

آفاق المعرفة

AFAQ ALMAAREFA

آداب

وصايا الآباء للأولاد في النثر العربي

حتى نهاية القرن الرابع

جمعًا وتوثيقًا



د. عبد العزيز بن عبد الله المقبل

وصايا الآباء للأولاد
في النثر العربي

شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المقبل، عبد العزيز بن عبد الله

وصايا الآباء للأولاد في النثر العربي حتىٰ نهاية القرن الرابع - جمعًا وتوثيقًا ودراسة./ عبد العزيز بن عبد الله المقبل - الرياض، ١٤٤٢هـ.

٨٧٨ص؛ ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٧-٨-٩١٥٣٨-٦٠٣-٩٧٨

١- النثر العربي - نقد

٢- الوصايا والحكم   أ. العنوان

ديوي ٨١٩,٥٠٠٩   ١٤٤٢/٧٩٦٧

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٧٩٦٧

ردمك: ٧-٨-٩١٥٣٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

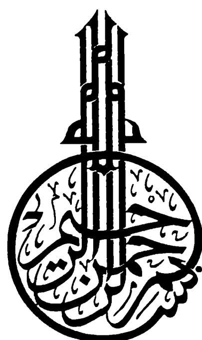
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

وَصَايَا الآبَاءِ لِلأَوْلَادِ فِي النَّثْرِ العَرَبِيِّ

حَتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ

جَمْعًا وَتَوْثِيقًا

د. عبد العزيز بن عبد الله المقبل


بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب يمثل البحث الذي تقدَّم به المؤلف ونال به درجة الدكتوراه

بمرتبة الشرف الأولىٰ من كلية اللغة العربية

التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

سنة ١٤٢٦هـ

وطلبًا للاختصار حُذِفت الدراسة الفنية، وتُخُفِّف من الصبغة الأكاديمية الأصلية للبحث

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا أزال أذكر كيف تفاعلت -علىٰ الرغم من يفاعتي- مع حديث إذاعي للأستاذ عبد الله بن خميس، رحمه الله، وقد كان بصوته الأجش يلقي قصيدة أبي ذؤيب في رثاء بنيه عبر المذياع في برنامجه (مَن القائل)، وكان يرتسم في خيالي صورة أبٍ مفجوعٍ ملذَّعِ الفؤاد، هائم النظرات كأنما يبحث بها عن بنيه الذين طواهم الموت دفعة واحدة. ثم قُدِّر لي -في أثناء دراستي الجامعية- أن أقفَ علىٰ قصيدة برَّة بنت الحارث [1] وقد فجعت بابنها، وكيف صوَّرتْ فجيعتها تصويرًا يجعل المتلقي يعايشها ذاهبةً آيبةً، مرتاعةً ملتاعةً، وهي تسترجع حياتها السابقةَ معه، وما كانت ترىٰ فيه ومعه من آمال وأحلام. وعايشت مشاعر الخطاب بن المعلىٰ [2]، الذي رُزِئ في ماله، وحطَّه الدهر، ولكنه ما إن يهمُّ بالضرب في مناكب الأرض حتىٰ يقطع ذلك عليه رؤيةُ بناتِه الصغيرات حوله، وهو يرىٰ فيهن كبدَه تمشي علىٰ الأرض، يخشىٰ عليها من نسمة الهواء حين تهبُّ، ودهشت من مالك بن الريب، وهو الذي امتهن اللصوصية زمنًا، كيف صوَّر دموعَ ابنته الصغيرة -مع رقَّتها- سكينًا تقطِّع نياطَ قلبه، وعجبت كيف غلب حبُّ الولدِ المعتقدَ عند عيسىٰ بن فاتك الخطي، الذي كلما همَّ بالخروج للقتال مع الخوارج تعلق به بناته فيقيم، فهنَّ -كما يقول- قد زدن الحياةَ

(١) كتاب الاختيارين، صنعة الأخفش الأصغر، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٤هـ ٢٨٧-٢٩٣.

(٢) كتاب الحماسة البصرية، صدر الدين البصري، تحقيق وشرح ودراسة الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ ٢/ ٧٦٩ رقم القصيدة ٦١١.

إليه حبًّا [١]! ووقفت متأملاً قصة أمية بن الأسكر الجندعي وابنِه كلاب بين يدي عمر، وهي قصة تجسد عمق الرابطة بين الابن والأب بصورة تُدمع العين [٢]!

وعندما أتيح لنفسي فرصةً لتداعي مثلِ هذه الصور أراها لا تقف عند حدٍّ، يقف علىٰ هامتها موقفُ النبي ﷺ حين كان يخطب الناس، فجاء الحسن والحسين -وهما صبيان صغيران- يمشيان ويعثران، فقطع خطبته ونزل، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥]، نظرت إلىٰ هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتىٰ قطعت حديثي ورفعتهما [٣].

إنها العلاقة الأزلية التي تربط الأبَ بالابن، علاقة الحب العميق لمجردِ الوالدية، لا يختلف فيها البدويُّ عن الحضري، ولا يتميَّز بها العالمُ عن الجاهل، ولا الرجلُ عن المرأة، ولا يوهن هذه المودةَ أو يقلل منها شيءٌ مهما كان؛ سواء ما يتصل بذات الابن كدمامة المنظر، أو ما يشوب علاقة الابن بأحد والديه كالعقوق. فأبو المخش علىٰ الرغم من وصْفِه خِلْقَةَ ابنه الغريبة يقول: فقأ الله عينيَّ إن كنتُ رأيتُ قبلَه أو بعدَه مِثلَه [٤]! والقاضي شريح عندما بعث إلىٰ معلِّم ولده، طالبًا منه معاقبته علىٰ العبث والتغيُّب عن الكتَّاب، طلب منه أن يضربه بدِرةٍ، وألا يزيد علىٰ ثلاث ضربات، مبينًا له أن نفسَ ابنِهِ -مع ما يجرِّعه- أعزُّ الأنفسِ عليه [٥]!

وباستعراض سريع لمضامين أغاني ترقيص الأطفال عند العرب تبدو طموحاتُ الأهلِ الضخمةُ في وليدهم، ومشاعرُهم الرقيقة نحوه، وتصورُهم عمق الرابطة به

---

(١) انظر: ديوان الخوارج ٥٧-٥٨.
(٢) انظر: الإصابة ١/ ١١٤.
(٣) مسند أحمد ٣٨/ ٩٩-١٠٠ ح٢٢٩٩٥، والترمذي ٥/ ٦٥٨ ح٣٧٧٤.
(٤) انظر: البيان والتبيين ١/ ١٢١.
(٥) حلية الأولياء ٤/ ١٣٧ والعقد الفريد ٢/ ٤٣٠-٤٣١.

ومعه حتىٰ في الشبه الجسمي [1]. وباستعراض لمراثي الأبناء ندرك عمق الفجيعة التي يحس بها أحد الوالدين، بل نكاد نرىٰ الدموع تبلل ألفاظ القصيدة [2].

ولقد عبَّرت العربُ عن ذلك الحبِّ المستكنِّ في نفسِ الأبِ للابن بِمَثَلٍ قالوا فيه: (كل شيء يحبُّ ولدَه حتىٰ الحبارىٰ، إنما خصَّ الحبارىٰ من جميع الحيوان لأنه يضرب به المثل في المَوْقِ. يقول: هي علىٰ موقِها تحبُّ ولدَها وتعلِّمه الطيران)[3].

وحين قال عبدُ الله بنُ عمر في ابنه سالم:

يلومونني في سالمٍ وألومُهم وجلدةُ بين الأنفِ والعينِ سالمُ

ذاع هذا البيتُ ذيوعًا عجيبًا [4]، وأصبح مضرِبَ مَثَلٍ في حميمية العلاقة [5]، حتىٰ ظن الجوهريُّ -مؤلِّف كتاب الصحاح- أن كلمةَ (سالم) اسمٌ للجلدة التي بين العين والأنف [6]!

---

(١) يمكن الوقوف علىٰ ذلك باستعراض مضامين تلك الأغاني في كتاب: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتىٰ نهاية العصر الأموي، أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

(٢) انظر: مراثي الآباء والأمهات للبنين والبنات من الجاهلية إلىٰ آخر القرن الثامن، عبد المعين الملوحي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م. والجزء الثاني منه (مع المستدرك علىٰ الجزء الأول)، دار الملوحي للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م. ورثاء الأبناء في الشعر العربي، الدكتور مخيمر صالح، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١.

(٣) مجمع الأمثال ٣/ ٢٩. والموق: الحمق.

(٤) مجمع الأمثال ٣/ ٢٩.

(٥) انظر: الفاضل في اللغة والأدب ٥١، والمصون للعسكري ١٠٣، وربيع الأبرار ١/ ٤٥٩-٤٦٠.

(٦) انظر: الوافي بالوفيات ١٥/ ٥٣. وقد اختلف في قائل البيت ما بين زهير بن أبي سلمىٰ، وعبد الله بن عمر، وأبي الأسود الدؤلي، وعبد الله بن معاوية الفزاري، ودارة، أبي سالم بن دارة، انظر: سمط اللآلئ ١/ ٦٦، وخزانة ٥/ ٢٧٢-٢٧٣، وديوان زهير بتحقيق فخر الدين قباوة ٢٧٠ حاشية ٦.

والإنسان بطبيعته يحب التقدمَ والسبقَ، وينافس في ذلك الآخرين، ويتمنىٰ ألا يكونَ أحدٌ فوقه أو قبله، ولكن تلك المشاعرَ تختفي حين يكون الأمرُ متصلًا بالابن، يقول الباجي في وصيته لابنيه: (واعلما أن لا أحدَ أنصح مني لكما، ولا أشفق مني عليكما، وأنه ليس في الأرض مَنْ تطيبُ نفسي أن يفضلَ عليَّ غيرُكما، ولا أرفع حالًا في أمر الدين والدنيا سواكما)[1].

ما مضىٰ غيضٌ من فيضٍ من تراثٍ عربيٍّ وإسلاميٍّ ضخمٍ يلف العلاقة بين الآباء والبنين، وهي علاقة تبدو فيها الشفقةُ والرحمة، ويتجسد فيها عمقُ الحب، ويلوِّنها التسامح. وقد ظل ذلك التراثُ بدلالاته زمنًا يسترعي انتباهي، ثم -من بعد- يتجاوز دائرة الإعجاب ليدخل دائرة الاهتمام، ولكن ثمة أمرٌ تبدو فيه العلاقةُ بصورة أكبر، وربما كان نتيجة طبيعية للمشاعر الأبوية نحو الأبناء وهو وصايا الآباء للأبناء، إذ تتسع دائرتها لتشمل جوانبَ الحياة المختلفة، كما تتسع دائرة الموصين لتشمل الرجل والمرأة، والأعرابي والحضري، والملوك والسوقة، كما تشمل من جهة ثانية مختلفَ الشعوب والآداب[2].

وتحتفظ المصادرُ بوصايا من هذا اللون، ضاربة في التاريخ، فتورد وصايا لآدم عليه السلام[3]، ولأبي البشرية الثاني نوحٍ عليه الصلاة والسلام[4]، وتتلبث بعض

---

(١) وصية الإمام الباجي لولدَيْه، تحقيق عبد اللطيف الجيلاني، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

(٢) انظر: أدب الوصايا في التراث العربي، الدكتور عيسىٰ علي العاكوب، مجلة التوباد مج٢ ع٣، ٤ ذو الحجة ١٤٠٩هـ.

(٣) انظر: كتاب الصمت وآداب اللسان، لابن أبي الدنيا ٢١٨، ٢١٩، ولباب الآداب ٢٧٤، وشرح نهج البلاغة ٧/ ٨٦.

(٤) انظر: كتاب التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا ٢٠٢، وكتاب مساوئ الأخلاق ومذمومها للخرائطي ٢٦٢.

التلبُّث عند وصايا داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام [1]، ولا يبعد عن ذلك وقوفُها عند وصايا يعقوب عليه الصلاة والسلام [2]، وتفسح المصادر مساحاتٍ واسعةً لوصايا لقمان لابنه [3]. وتبعد المصادر، في تأكيد مبدأ وصيةِ الأبِ للابن، حين تحوِّله إلىٰ رموزٍ علىٰ لسان الطير والزواحف [4]، وتتجاوز ذلك إلىٰ إيراد وصية إبليس لولده [5]! ويؤكد الآباء أحيانًا لبنيهم أنهم بوصاياهم إياهم يمثلون حلقة في سلسلة متصلة فقد أوصاهم آباؤهم من قبل [6].

وإذا كانت أغاني ترقيصِ الأطفال تمثل لونًا من المداعبةِ للولد، فإن الوصية تمثل حالة الجِدِّ، وبالذات حين يقولها الأبُ، وهو يودع الدنيا، متجاوزًا اللحظاتِ

(١) انظر: كتاب الأشراف لابن أبي الدنيا ٧٩، وعيون الأخبار ٣/ ١، والعقد الفريد ٢/ ٦٧، وبهجة المجالس ٣/ ٣٠، ٨٧، وربيع الأبرار ٤/ ٢٩٠، وحلية الأولياء ٣/ ٧٠، ٧١، ٧٢، والظرف والظرفاء ٦١، وسنن الدارمي ١/ ٩١، والجامع لشعب الإيمان ٦/ ٣٤١.

(٢) انظر: سراج الملوك ٢/ ٥٨٥، وجمل من أنساب الأشراف ١١/ ٥٥، وبهجة المجالس ١/ ٦٠.

(٣) انظر: البيان والتبيين ١/ ٢٦٩، ٢/ ١٤٩، والزهد لأحمد ٤٤٨، والجامع لشعب الإيمان ٥/ ٤٣٩، والجليس الصالح ٤/ ١٢٢ والمجالسة ٥/ ٤٧، ٧/ ٢٣١.

(٤) انظر: مجمع الأمثال ١/ ٣٣٣، ٤٠١.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٨٦.

(٦) قال الحكم بن عبدل (الأمالي للقالي ٢/ ٢٦١):

قد أمضيت هذا في وصية عبدل ... ومثل الذي أوصىٰ به والدي أوصي

وقال عبيد الله بن الحر الجعفي (المجتنىٰ لابن دريد ٩٤):

لم يبقَ شـيء يسامه أحد ... إلا وقـد سامناه إخـوتنا

فوجدونا نحمي الذمار ونأ ... بىٰ الضيم أن تستباح حرمتنا

بذاك أوصىٰ من قبل والدنا ... وتلك أيضًا غـدًا وصيتـنا

وقال المنذر لابنه النعمان: إني آمرك بما أمرني والدي، وأنهاك عما نهاني عنه والدي. الوصية: رقم (٥٩).

التلبُّث عند وصايا داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام [١]، ولا يبعد عن ذلك وقوفُها عند وصايا يعقوب عليه الصلاة والسلام [٢]، وتفسح المصادر مساحاتٍ واسعةً لوصايا لقمان لابنه [٣]. وتبعد المصادر، في تأكيد مبدأ وصيةِ الأبِ للابن، حين تحوِّله إلىٰ رموزٍ علىٰ لسان الطير والزواحف [٤]، وتتجاوز ذلك إلىٰ إيراد وصية إبليس لولده [٥]! ويؤكد الآباء أحيانًا لبنيهم أنهم بوصاياهم إياهم يمثلون حلقة في سلسلة متصلة فقد أوصاهم آباؤهم من قبل [٦].

وإذا كانت أغاني ترقيصِ الأطفال تمثل لونًا من المداعبةِ للولد، فإن الوصية تمثل حالة الجِدِّ، وبالذات حين يقولها الأبُ، وهو يودع الدنيا، متجاوزًا اللحظاتِ

---

(١) انظر: كتاب الأشراف لابن أبي الدنيا ٧٩، وعيون الأخبار ٣/ ١، والعقد الفريد ٢/ ٦٧، وبهجة المجالس ٣/ ٣٠، ٨٧، وربيع الأبرار ٤/ ٢٩٠، وحلية الأولياء ٣/ ٧٠، ٧١، ٧٢، والظرف والظرفاء ٦١، وسنن الدارمي ١/ ٩١، والجامع لشعب الإيمان ٦/ ٣٤١.

(٢) انظر: سراج الملوك ٢/ ٥٨٥، وجمل من أنساب الأشراف ١١/ ٥٥، وبهجة المجالس ١/ ٦٠.

(٣) انظر: البيان والتبيين ١/ ٢٦٩، ٢/ ١٤٩، والزهد لأحمد ٤٤٨، والجامع لشعب الإيمان ٥/ ٤٣٩، والجليس الصالح ٤/ ١٢٢ والمجالسة ٥/ ٤٧، ٧/ ٢٣١.

(٤) انظر: مجمع الأمثال ١/ ٣٣٣، ٤٠١.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٨٦.

(٦) قال الحكم بن عبدل (الأمالي للقالي ٢/ ٢٦١):

قد أمضيت هذا في وصية عبدل ... ومثل الذي أوصىٰ به والدي أوصي

وقال عبيد الله بن الحر الجعفي (المجتنىٰ لابن دريد ٩٤):

لم يبقَ شيء يسامه أحد ... إلا وقد سامناه إخوتنا

فوجدونا نحمي الذمار ونأ ... بىٰ الضيم أن تستباح حرمتنا

بذاك أوصىٰ من قبل والدنا ... وتلك أيضًا غدًا وصيتنا

وقال المنذر لابنه النعمان: إني آمرك بما أمرني والدي، وأنهاك عما نهاني عنه والدي. الوصية: رقم (٥٩).

الحرجةَ التي يمرُّ بها، ليلخص لبنيه رؤاه فيما يرىٰ أهميته، أو يرىٰ أنَّ بنيه إليه أحوج. وقد انعكس أثرُ هذا في أخذِ الأبناء بتلك الوصايا، إذ أصبح حفظُهم لها، وتمسكُهم بها منقبة يفخرون بها[1].

ولذلك كلِّه آثرتُ أن تكون رسالتي لنيل درجة الدكتوراة في هذا الموضوع، إذ هو كنزٌ تراثيٌ ضخمٌ، إنْ من حيث سموُ مضمونِه أو جودةُ صياغتِه، وليس هو أسيرَ تاريخٍ أو أرضٍ أو ذاتٍ معينةٍ، بل هو ثمرةُ تجاربَ ذاتية، يتجاوز فيها الآباء الحديثَ الوجدانيَّ إلىٰ كونها دستورًا حياتيًّا، ونهجًا قويمًا للأبناء. والموصي -في أحايين كثيرة- يتطلع أن تخلدَ وصيتُه، لتتجاوزَ أولادَه إلىٰ غيرهم، ويكون ذلك أدعىٰ إلىٰ إعطائها ما تحتاج إليه من اهتمامٍ أسلوبيٍّ وعطاءٍ فكريٍّ لتنتقلَ من الخاصِّ إلىٰ العام، ومن الآني إلىٰ الآتي.

وإذا كان القالبُ الشعريُّ والنثريُّ قد حمل كلٌّ منهما ذلك النوعَ من الوصايا، فإن ما أُثرَ من الشعر في ذلك الغرض لا يكاد يقف بجوار النثرِ مساحةً، ولا يطاوله في قامته الفنية. ومن هنا كان اختياري الوصايا في حقل النثر، وحين كنت أستعرض مادةَ البحث وجدت أن المصادرَ لا تكاد تحتفظ بمادةٍ تُذكر بعد القرن الرابع[2]، ومن ثَم كان اقتصاري في بحثي علىٰ تلك المدة الزمنية. ليكون عنوان البحث (وصايا الآباء للأولاد في النثر العربي حتىٰ نهايةِ القرنِ الرابعِ، جمعًا وتوثيقًا ودراسة).

---

(١) يقول أبو طالب عن وقوفه مع النبي ﷺ (تاريخ دمشق ٣/ ١٣):

راعيت منه قرابة موصولة   وحفظت فيه وصية الأجداد

ويقول قيس بن الخطيم بعد أخذه بثأر أبيه (ديوانه ٤٣):

ثأرت عديًا والخطيم فلم أدع   وصية أشياخ جُعلت إزاءها

(٢) وإن كان ثمة كتب محدودة، وإن بمستوىٰ أسلوبي أقل، لبعض العلماء في وصاة تلاميذهم، أو بنيهم ككتاب أبي حامد الغزالي (أيها الولد)، وكتاب أبي الفرج ابن الجوزي (لفتة الكبد إلىٰ نصيحة الولد).

وقد عني المشتغلون بالأدب قديمًا بالوصايا بعامة، فمنهم من خصَّها بكتب مفردة، كما فعل محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦هـ) في كتابه وصايا العرب[١]، والأصمعي (ت ٢١٧هـ) في كتابه تاريخ ملوك العرب الأولية [٢]، وأبو حاتم السجستاني (٢٥٠هـ) في كتابه المعمرون والوصايا[٣]، وابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) في كتابه الوصايا[٤]، وأبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في كتابه كتاب الوصايا[٥]، والمرزباني (ت ٣٨٤هـ) في كتابه الوصايا وحكم العرب والعجم، الذي وصفه ابن النديم بأنه ألف وخمسمائة ورقة [٦].

وضَمَّن كثيرون من المعنيين بالأدب كتبَهم فصولًا خصُّوا بها الوصايا، كالوشَّاء (ت ٣٢٥هـ) في كتابه الفاضل في صفة الأدب الكامل، وابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) في العقد الفريد، والآبي (ت ٤٢١هـ) في كتابه نثر الدر، وابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) في كتابه بهجة المجالس، والحمدوني (ت ٥٦٨هـ) في تذكرته، وأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) في كتابه لباب الآداب، وابن أبي الحديد (ت ٥٥٦هـ) في كتابه شرح نهج البلاغة، وابن أبي عاصم الأندلسي (ت ٨٢٩هـ) في كتابه حدائق الأزاهر، وغيرهم.

وإذا كان جلُّ هؤلاء قد أوردوا نماذج من الوصايا بعامة، فقد خصَّ بعضُهم وصايا الآباء للأبناء بفصلٍ خاصٍّ، كما جاء عند ابن قتيبة في عيون الأخبار: (وصايا الأولياء للنساء عند الهداء)، وكما عند الوشاء (باب البلاغة من ذوي الرشاد في حسن وصاة الأولاد)، في أربع صفحات ختمها بقوله: (وهذا باب قد ذكرته في

(١) انظر: معجم الأدباء ٦/ ١٧٨٠.
(٢) سيأتي مزيد كلام -إن شاء الله- حول هذا الكتاب.
(٣) طبع بتحقيق عبد المنعم عامر، ١٩٦١ م، ونشرته دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٠٤.
(٥) انظر: معجم الأدباء لياقوت ١/ ٢٦١.
(٦) الفهرست، تحقيق رضا المازندراني، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٨م.

كتاب جليل، وكلام طويل، فأغنىٰ ذلك عن التطويل)[1]. كما جاء في العقد الفريد (مواعظ الآباء للأبناء)[2].

وما زال الآباءُ -ممثلين بالأدباء- يوجهون الوصايا لبنيهم إلىٰ وقتنا الحاضر عند العرب [3] وغيرهم [4].

ولم أقف علىٰ بحثٍ علميٍ عالج الموضوع ذاته بهذه الصورة، وقد وقفت -بعد تقصٍّ- علىٰ بعض البحوث المنشورة [5] وغير المنشورة [6]، لكن كل تلك البحوث

(١) كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل، تحقيق يحيىٰ الجبوري، ١٥٦.
(٢) طبعة دار الفكر، بيروت، ٣/ ٨٧-٩٢.
(٣) انظر: مثلاً الكتب الآتية: من والد إلىٰ ولده، أحمد حافظ عوض. إلىٰ ولدي، أحمد أمين. (ينظر: رسائل الآباء إلىٰ الأبناء، دراسات في الأدب العربي والتاريخ، محمد عبد الغني حسن، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ٦٧-٨٣) أبي عزيز أباظة، عفاف عزيز أباظة. (ينظر: نصائح مأثورة للآباء، مجلة العربي الكويتية، ديسمبر ١٩٧٥م، العدد ٢٠٥). إلىٰ ابنتي شيرين، حمزة شحاته، تهامة، جدة، ط١، ١٤٠٠هـ. رسائل إلىٰ ابنتي وسن، سناء ناجي المصرف (ضمن كتابها راحة النفس في طيب الغرس)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٨م.
(٤) انظر: رسائل الآباء إلىٰ الأولاد، تحرير إيفان جونس، ترجمة لطفي الخوري والدكتور محمود الأمين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٢. ونصائح مأثورة للآباء (مرجع سابق).
(٥) البحوث المنشورة التي وقفت عليها:
١- الوصايا في الأدب العربي القديم، للدكتورة سهام الفريح (ص٢٠٠).
٢- أدب الوصايا في العصر العباسي إلىٰ نهاية القرن الرابع الهجري، للدكتور أحمد أمين صالح (ص٢٥٢).
(٦) البحوث غير المنشورة التي وقفت عليها ما يأتي:
١- الوصايا والحكم في الأدب الجاهلي، رسالة ماجستير أعدها محمد عبد الجواد فاضل، تحت إشراف الدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب، وقُدِّمت لقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر، سنة ١٤٠٣هـ (٢٦٤ص).
٢- أدب الوصايا من البعثة النبوية إلىٰ أواخر العصر الأموي، وهي رسالة ماجستير من إعداد إسماعيل قطيش، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عمر موسىٰ باشا، وقد قُدِّمت إلىٰ قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة دمشق، سنة ١٤١٢هـ. (ص٢٥٢).
٣- أدب الوصايا في العصر الجاهلي وصلته بالنقد العربي، وهي رسالة دكتوراة من إعداد جهاد رضا، تحت إشراف الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة، وقد قدمت إلىٰ قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية في جامعة حلب، (ص١٨٩). =

لم يكُن من هدف أصحابها الجمعُ والتوثيقُ، ومن ثم بنوا دراساتهم علىٰ نماذج محدودة، كما تناول كلٌّ منهم مدةً زمنيةً محددة، بالعصر الجاهلي، أو الإسلامي والأموي، أو العباسي. كما تناولت تلك البحوثُ الوصايا بعامة، وبعضها شمل الشعرَ والنثرَ، وبعضها ضم إلىٰ الوصيةِ الحكمةَ!

وإذا كان موضع وصايا الآباء للأبناء متميزًا في حجمه وشكله ومضمونه من خريطة الوصايا بعامة، فقد ضاع الحديثُ عنه وسط بحر المعالجة العامة في تلك البحوث.

وإذا كنت أشرت فيما مضىٰ إلىٰ نماذج من المصادر التراثية، فقد رحت أقرأ في مختلف جوانب المعرفة، أنقِّب عن وصايا الآباء للأبناء أينما وجدت، فاتسعت دائرة بحثي لتشمل الموسوعاتِ الحديثيةَ والتاريخيةَ والأدبيةَ وكتبَ التراجم، وكتبَ الأمثال، بل وكتبَ اللغة. ومع أنني ربما قرأت الكتاب أحيانًا فلا أظفر منه إلا بعددٍ محدود جدًّا من الوصايا، إلا أن الإلف الذي نشأ بيني وبين بحثي، بسبب بعدِه التربوي، جعلني أسارع إلىٰ شراء كل كتاب تراثي، تتم طباعتُه، ومن ثم أسارع إلىٰ تقليب صفحاته بحثًا عن وصيةٍ هنا أو هناك. وبذا استغرق الجمعُ مني وقتًا طويلًا، وكنت في أثناء رحلته أتمثَّل قولَ جرير[1]:

إذا قطعنا علمًا بدا عَلَمْ

ولم تكن مرحلةُ التوثيقِ بأقل مجهودًا من سابقتها، إذْ أصبح بين يدي نتاجٌ ضخمٌ من الوصايا، كان عليَّ أن أقسمه إلىٰ عصوره التاريخية، ثم أثبت نصَّ كلِّ وصيةٍ،

=٤- شعر الوصايا في الأدب العربي، اتجاهاته وخصائصه حتىٰ نهاية القرن الرابع الهجري (ص٤٦١)، وهي رسالة ماجستير، أعدها عبد الله بن صالح الفلاح، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور طه مصطفىٰ أبو كريشة، وقدمت إلىٰ قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، شعبة الأدب والبلاغة، سنة ١٤١٠هـ.

(١) ديوان جرير، تحقيق د. نعمان محمد طه، دار المعارف بمصر، ١/ ٥١٢.

لأعارضَها بعد ذلك بالروايات الأخرىٰ فأثبت الفروق، وكانت الاختلافات أحيانًا كثيرة، والمصادر متعددة، فيحدث نتيجة لذلك غيرُ قليلٍ من الإجهاد، ولا سيَّما أنني لم أكُن قد دخلت إلىٰ عالم الحاسب، وحين يفوت عليَّ شيءٌ من الروايات، أو أفاجأ بمصدر جديد أو بمصدر قد نسيته، يأتي دور الطامس، واللجوء إلىٰ جوانب الورقة وخلفها! ثم جاء دور الناسخ الذي أدفع إليه الأوراق ليصحح ما وقع فيها من أخطاء، فيعيدها إليَّ بأخطاء جديدة! لأعيدها إليه من جديد، وقد نصحني بعضُ الأحبة أن أجرُؤَ علىٰ استخدام الحاسب، فأمِّيتي فيه خيرٌ من تفوُّقِ الناسخ، وهكذا فعلت، ولكن من منتصف الدراسة الموضوعية. وعلىٰ الرغم من أن هناك أمورًا فنية تفضح أميتي الحاسوبية فإني وجدت الأمر كما أشار إليه أولئك الأحبة.

وفي الدراسة كان عددُ الوصايا الكبير يبعث علىٰ الحيرة، ففي كل وصية إشارة، ولا سيَّما أني كنت أستعرضها جميعًا، لأضع أمام كل فقرة ما يناسبها، ثم حين أريد نضد الموضوع أشعر أن كل شاهد يتوسل إليَّ، وأن كل جملة تُدِلُّ بدلالة تحملها، فأقف حائرًا، أَغْلِبُ مشاعري أحيانًا، وتغلبني أحيانًا أخرىٰ!

ومع المجهود الذي بذلته، وعلىٰ الرغم من الإشفاق الذي ينفحني به من عرف طول المسافة الزمنية، فإنني لم أشعر يومًا بضيق من بحثي، في طيِّ تلك المسافة في أثناء سفرتي البحثية مع أستاذي الفاضل الدكتور عبد العزيز بن عبد الله العواد، المشرف علىٰ الرسالة، إنْ في وطاءة أكنافه، وإن في جمال تعامله، وإن في سرعة إنجازه، وإن في رائع دفعه، فله مني خالص الشكر والدعاء.

وقد قسمت البحث قسمين؛ القسم الأول للدراسة، والقسم الثاني للجمع والتوثيق.

ويمكن إيجاز منهجي في الجمع والتحقيق بما يأتي:

اجتهدت في جمع المادة من مظانها، ومن ذلك نسخ خطية لوصيتين، هما: وصية الحارث بن كعب، ووصية طاهر بن الحسين، وقد عرفت بالمخطوط في توثيق كل منهما.

خصصت كل عصر بوصاياه، ورتَّبْتها فيه حسب الترتيب الهجائي لأسماء الموصين.

خصصت قسمًا لوصايا المغمورين والمجهولين، وهكذا فعلت في وصايا النساء بمن فيهن المغمورات والمجهولات. وأعني بالمجهولين من لم تُذكر أسماؤهم، وبالمغمورين من لم أجد تعريفًا بهم، أو معلوماتٍ عنهم، ولم أهتدِ إلىٰ عصورهم. وعليه فقد أبقيت علىٰ عدد من الوصايا في عداد الوصايا في العصر الجاهلي، مع أني لم أعرف شيئًا عن أصحابها -حسب اطلاعي- لكني عوَّلت في إلحاقهم بالعصر الجاهلي بواسطة بنية وصاياهم؛ شكلًا ومضمونًا، والتي تلتقي مع وصايا العصر الجاهلي.

اعتمدت المصدرَ الأقدمَ أصلًا لأقابله بروايات المصادر الأخرىٰ، وربما عَدَلْتُ عن ذلك حين يكون أحدُ المصادر مشتملًا علىٰ زيادة في النص معتبرة بالنسبة لغيره من المصادر، وقد نهجت هذا النهج بعد مشورة بعض أصحاب الخبرة في التحقيق من أساتذتي الفضلاء.

حين يكون للوصية روايتان بينهما اختلاف، في أجزاء معتبرة، بحيث تتفقان في بعض الوصية، وتختلفان في بعضها، كما لو اتفقتا في الصدر، واختلفتا في العجز، فإني أثبتهما جميعًا، ثم أقابل روايات كل منهما بالمصادر الأقرب لها، والأشبه بها.

قسمت التعليقات في الهامش أربع فقرات علىٰ النحو الآتي:

أولًا: صاحب الوصية: وفيها تعريف به، وإن كان المُوصَىٰ مذكورًا في الوصية، عرَّفت به ما أمكن.

ثانيًا: مناسبة الوصية: وفيها ذكرت ما أشارت إليه المصادر، أو بعضُها، من مناسبة الوصية، أو ما يمكن التماسُه من ذلك، من خلال حياة الموصي.

ثالثًا: المعاني والروايات: وفيها أوضح ما أرىٰ أنه بحاجة إلىٰ إيضاح من معاني الكلمات، محاولًا تبيان المعنىٰ فيما يتطلب ذلك، وأشير إلىٰ روايات الوصية في المصادر الأخرىٰ، كما أشير إلىٰ ما أراه الأولىٰ في تساوقه مع النص، وما يغلب علىٰ ظني كونُه تصحيفًا من ذلك.

رابعًا: التوثيق: وفيه أذكر المصدر الأصل، ثم أشير إلىٰ المصادر الأخرىٰ التي روت الوصية حسب ترتيبها التاريخي، مبينًا القدر الذي روته منها، وأستعرض الاختلاف في نسبتها إن كان ثمَّ خلاف.

عزوت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة إلىٰ مواضعها في القرآن الكريم وكتب الحديث.

نسبت ما ورد من الأبيات الشعرية إلىٰ أصحابها ما أمكن ذلك، مبينًا الخلاف في ذلك إن وجد، ومشيرًا إلىٰ مصادر تلك الأبيات، من دواوين الشعراء، إن وجدت، أو غيرها من المصادر.

بينت ما ورد في الوصايا من أمثال، مشيرًا إلىٰ أصحابها والحال التي قيلت فيها، والمصادر التي حوتها.

عرفت بما ورد عرضًا في الوصايا من أعلام.

رقمت الوصايا ترقيمًا تسلسليًّا.

وفي هذا المقام أود أن أشير إلىٰ أني وقفت علىٰ كتاب يتضمن بعض الوصايا، ورأيت ألا أضمِّن بحثي شيئًا مما تضمنه منها، والسبب في ذلك يرجع إلىٰ أمور، منها:

أولًا: الكتاب طبع سنة ١٣٣٢هـ منسوبًا إلىٰ الوشاء، ثم حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين، وقد عنون له في الغلاف: (تاريخ العرب قبل الإسلام)، وعنون له بين يدي التحقيق: (تاريخ العرب الأولية). واعتمد في تحقيقه علىٰ نسخة محفوظة بمكتبة الإمام الحسن بالكاظمية ببغداد، وتلك النسخة مصورة عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة باريس الوطنية تحت رقم (٦٧٢٦ كتب عربية).

وقد نسب المحقق الكتاب للأصمعي معترفًا بأن هذا الكتاب لم ترِد الإشارة إليه في المصادر التي روت أسماء كتب الأصمعي، لكنه في الوقت نفسه يرىٰ أن تاريخ النسخ وشخصية الناسخ[(١)] كافيان في إثبات المخطوط لمؤلفه دون شك أو تردد.

ثم طبع الكتاب بتحقيق الدكتور نزار أباظه، بعنوان: (وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود)[(٢)]، معتمدًا علىٰ نسخة محفوظة في مكتبة مجمع اللغة العربية برقم (٢٨١)، مصورة عن نسخة خطية في مكتبة الأمبروزيانا برقم (g٣)، وقد كتب علىٰ الغلاف، تحت العنوان، (المنسوب إلىٰ دعبل بن علي الخزاعي)، إلا أن المحقق في المقدمة حاول تأكيد نسبته لدعبل، دافعًا تشكيك الدكتور عبد الكريم الأشتر. وكان الدكتور الأشتر قد اطلع علىٰ ذلك المخطوط في أثناء إعداد دراسته عن (دعبل بن علي الخزاعي)[(٣)]، وعلق عليه بقوله: (ونُسِبَ إلىٰ دعبل كتابٌ كُتِبَ

(١) أشار إلىٰ أن تاريخ النسخ ٢٤٣هـ، وأنها بخط يعقوب بن السكيت.

(٢) دار صادر، بيروت، ودار البشائر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.

(٣) دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت، دراسة تحليلية لحياته وشعره، الدكتور عبد الكريم الأشتر، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠٤هـ.

في منتصف القرن السادس (سنة ٥٤٩هـ)، وهو كتاب... والكتاب صورةٌ لا تكاد تختلف عن الكتاب الذي نُشِرَ ببغداد باسم (تاريخ العرب قبل الإسلام)، ونُسِبَ إلىٰ الأصمعي، وقيل إنه بخط ابن السِّكِّيت!

وكلا الكتابين صورةٌ كاملةٌ فيما يبدو، للكتاب الذي نُشِرَ منه الجزءُ الأولُ في بغداد سنة ١٣٣٢هـ باسم وصايا الملوك العرب في الجاهلية، ووقع في أربعين صفحة، ونُسِبَ إلىٰ يحيىٰ بن الوشاء!

وهي كلها صورٌ، تختلف في بعض المواضع، للشرح الذي وضع علىٰ قصيدة نشوان بن سعيد الحميري التي نَظَمَ فيها تاريخَ اليمن؛ ونُشر في القاهرة سنة ١٣٧٨هـ باسم: خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة[١].

ونلاحظ -بنسبة الكتاب إلىٰ دعبل- أن راويَه هو علي بن محمد بن الدعبل بن علي! ولم يرد اسمُ دعبل معرَّفًا في غير هذا الكتاب! ولا يبعد أن يكون هذا من فعل أحدِ النساخ، ضللته كلمةُ (الخزاعي) التي تتردد في هذه الأخبار؛ علىٰ أن المقصود بها، علىٰ التحقيق، أبو سعيد الخزاعي لا دعبل الخزاعي.

وينبغي أن نذكر أخيرًا أن الذين ذكروا دعبلًا في القديم والحديث، وفيهم ابنُ النديم، لم يذكروا له غير هذين الكتابين السابقين[٢]، وأن الذين ترجموا للأصمعي وللوشاء لم يذكروا لهما كتابًا في هذا الموضوع)[٣].

وقد حصلت علىٰ مصورة من مخطوط بمكتبة باريس يحمل رقم (٦٧٣٨) عنوانه: كتاب وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان بن هود

---

(١) قلت: أعادت طبعه دار العودة، بيروت، ودار الكلمة، صنعاء، طبعة ثانية ١٩٧٨م.

(٢) يعني كتاب طبقات الشعراء، وكتاب الواحدة.

(٣) دعبل بن علي الخزاعي ٢٣٥-٢٣٦.

النبي ﷺ. وفي نهايته (تم الجزء الثالث من كتاب... وبه تمام الكتاب، وذلك بعد العصر من يوم الجمعة رابع شهر شعبان الكريم سنة ٩٥٣ بخط المحب لآل الرسول أحمد حسن بن محمد داود بن إبراهيم الجمي عفا الله عنهم). وكنت قد عرفت عن هذه المخطوطة من كتاب (الأصمعي، حياته وآثاره) للدكتور عبد الجبار الجومرد، الذي عدَّه ضمن كتب الأصمعي[١].

وقد وجدت بروكلمان، وهو يعدِّد كتب الأصمعي، يقول: (تاريخ ملوك العرب الأولين من بني هود وغيرهم، يوجد مخطوط منه كُتِبَ سنة ٢٤٣/ ٨٥٧ بخط ابن السِّكِّيت في باريس أول ٦٧٢٦. وهذا الكتاب هو نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، الموجود في المتحف البريطاني أول ٩٠٤، ١٢٧٣... وينسب إلىٰ الأصمعي كتاب وصايا ملوك العرب (باريس أول ٦٧٣٨) ولكنه يعد من مؤلفات الوشاء)[٢].

والكتاب الأخير، الذي نسبه للوشاء، والذي حصلت علىٰ نسخة منه، هو نسخة من الكتاب الأول، الذي حققه الشيخ محمد آل ياسين، كما ذكرت من قبل.

كما حصلت علىٰ مصورة، من نسخة مصورةٍ أيضًا، محفوظةٍ بدار الكتب، التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد القومي، بجمهورية مصر العربية، تعرفت إليها عن طريق فهرست المخطوطات[٣]، وهي في الفهرست منسوبة إلىٰ أبي الطيب محمد بن إسحاق -وقيل: أحمد- بن إسحاق بن يحيىٰ الوشاء، مع أنه ليس هناك في المخطوطة ما يدل علىٰ نسبتها إلىٰ الوشاء.

---

(١) الأصمعي، حياته وآثاره، د عبد الجبار الجومرد، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٥ م، ص١٥٥.

(٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢/ ١٥٠.

(٣) قسم ٣/ ١٩٧-١٩٨. ورقمها في الدار (١٥٦٣٢ ز).

ثانيًا: أن أصحاب الوصايا الواردة في الكتاب في جملتهم عاشوا في أزمنة غابرة، ربما قبل أن توجد العربية، خاصة وهم من عرب الجنوب. والكتاب في نشرة الدكتور نزار أباظه يتكون من (١٤٢) صفحة، وحتىٰ صفحة (٩٠) يتحدث عن عالم ما قبل انهيار سد مأرب! وهو ما يذكِّر بتعليق ابن سلام علىٰ الأشعار المنسوبة لعاد وثمود، في تساؤله عن ناقلها: (أفلا يرجع إلىٰ نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين، والله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٥]، أي لا بقية لهم)[(١)].

ثالثًا: معظم الوصايا جاءت شعرًا.

رابعًا: لغة الكتاب في بعضها ركاكة وضعف.

* * *

وحين رغب الإخوة الفضلاء، في شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، في طباعة البحث، وبعثه من مرقده، رأيت أن أحذف قسم الدراسة الفنية لكونه يهم المتخصصين، وأن أقلِّص بعض المقدمات.

وفي الختام أدرك أن ثمة أخطاء علىٰ الرغم من كل جهد، فهو جهد بشر، يعتريه النقص والخطأ. ثم إني أشكر كل من أسدىٰ إليّ معونة أيًا كانت، ولا أجد ما يكافئ ذلك سوىٰ الدعاء. ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

المؤلف
بريدة
٢٢/ ١/ ١٤٤٣هـ

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١/ ٨.

التمهيد

الوصية دلالتها ومرادفاتها:

حين يتتبع الباحثُ في نصوص الشعر العربي القديم الفعلَ (وصىٰ) الذي اشتقت منه الوصية، يجد أنه ورد بمعنىٰ الوصل والاتصال. فثمة شواهد شعرية كثيرة تتحدث كلها عن اتصال النبات أفقيًا ورأسيًا، وكثرتِه، والتفافِه، وعلىٰ تواصل الفلوات (جمع فلاة، وهي الصحراء)، وعلىٰ وصل الليل بالنهار في أثناء السفر.

وما مضىٰ من استعمالات كلمة (وصىٰ) داخل في دائرة المحسوسات، ولذا عدَّ الزمخشري الوصية بمفهومها الاصطلاحي الشرعي والتربوي من المجاز حين قال: (ومن المجاز: أوصيك بتقوىٰ الله ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٢]. ووصيتك بفلان أن تبرَّه، وبأرضي أن تعمرها، واستوصِ بفلان خيرًا)[1]، ولقد لحظ علماء اللغة الصلة بين الاستعمالين الحسي والمعنوي، أو الحقيقي والمجازي، إذ قال ابن فارس: (والوصية من هذا القياس؛ كأنه كلام يوصىٰ، أي يوصل)[2]، وقال الأزهري: (والوصية: ما أوصيت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت)[3]. ويبدو أن الأزهري ذهب إلىٰ جانب الوصية في مفهومها الشرعي، وابن فارس ذهب إلىٰ جانب الوصية المتصل بمفهومها العام.

والوصية فيما ذكره الأزهري مصطلح شرعي يتصل بما بعد الموت من الحقوق المالية الواقعة في ذمة الإنسان، أو فيمن يختاره للقيام علىٰ ما يجعله وقفًا بعد موته، أو الولاية في رعاية صغاره وتزويج بناته، (فالموصي وصل ما كان له في حياته بما

(١) أساس البلاغة ٥٠١.
(٢) معجم مقاييس اللغة ١/ ١١٦.
(٣) تهذيب اللغة ١٢/ ٢٦٨.

بعد موته، من تبرع وتوكيلٍ علىٰ نحو صغير، وقضاء دين ونحوه)[١].

(وسُمِّي هذا التصرف وصية لما فيه من وصل القُرْبَة الواقعة بعد الموت بالقربات المنجزة في الحياة)[٢]، أو (لأن الموصي وصل خير دنياه بخير عقباه)[٣].

والوصية بمفهومها الشرعي تتجه نحو جوانب تنفيذية يقوم بها الموصَىٰ نيابة عن الموصي. وقد أعطاها الإسلام بعدًا شرعيًّا، باعتبارها حقوقًا مادية للموصي أو عليه، موجبًا أداءها، بل إن النبي ﷺ يؤكد ذلك وهو يقول: **(ما حق امرئٍ مسلمٍ، له شيءٌ يوصي فيه، يبيت ليلتين، إلا ووصيته مكتوبة عنده)**[٤].

وقد استجاب الصحابة -رضوان الله عليهم- لذلك، لكنهم لم يكتفوا بالإشارة إلىٰ الحقوق المالية المشتملة علىٰ التبرع من مالهم في سبل الخير، وقضاء ما عليهم من ديون، أو من يختارونه للقيام علىٰ من لم يبلغ من بنيهم أو تزويج بناتهم، بل لحظوا الوصية بمفهومها العام، فعن أنس بن مالك قال: (كانوا يكتبون في صدور وصاياهم: هذا ما أوصىٰ فلان بن فلان، أوصىٰ أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصىٰ من ترك من بعده من أهله أن يتقوا الله حق تقاته، وأن يصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصىٰ به إبراهيم بنيه ويعقوب ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢])[٥].

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم ٦/ ٤٠.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٤/ ١٩٢.
(٣) نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج ٦/ ٣٩.
(٤) رواه البخاري -فتح الباري- ٥/ ٣٥٥ (ح٢٧٣٨)، ومسلم ٣/ ١٢٤٩ (ح١٦٢٧).
(٥) سنن الدار قطني ٤/ ١٥٤.

وأما الوصية بمفهومها العام فقد عرَّفها الراغب الأصفهاني بأنها: (التقدم إلىٰ الغير بما يعمل به مقترنًا بوعظ)[1]، ويبدو أن الراغب رحمه الله أول من قدَّم تعريفًا للوصية بمفهومها الذي نحن بصدده، ثم جاء بعده أسامة بن منقذ الذي ذكر أن الوصية وصيتان؛ وصية الأحياء للأحياء، وهي أدبٌ وأمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن منكرٍ وتحذيرٌ من زللٍ وتبصرةٌ بصالح عمل، ووصية الأموات للأحياء عند الموت بحق يجب عليهم أداؤه، ودين يجب عليهم قضاؤه)[2].

وفي العصر الحاضر عرَّفَ الوصيةَ عددٌ من الباحثين تعريفاتٍ تتقارب حينًا وتتباعد حينًا آخر، وجعلها بعض الباحثين مقاربة للخطبة في المفهوم، وإن اختلفت عنها لكونها لأشخاص مخصوصين، في زمن مخصوص، علىٰ شيء مخصوص، كما يقول الألوسي [3].

ومن الطبيعي أن تكون الوصية (نتيجة الخبرة الطويلة والملاحظة الدقيقة، والعقل الواعي، والتفكير السليم، ويدفع إليها المودة الصادقة والحب العميق)[4].

كما أن الوصية: (هي الثمرة الفكرية التي يكتسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية، ومن تفاعل هذه التجارب مع بيئته ومجتمعه)[5].

والأمر الذي أغفله من قدموا تعريفًا للوصية أن الوصية لا تكون دائمًا مبادرة من الموصي، وإن كان هذا هو الغالب، فقد تكون بطلب من الموصَىٰ، كما أن الوصية تكون للجماعة كما تكون للفرد.

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٥٢٥.
(٢) لباب الآداب ١.
(٣) انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٣/ ١٥٢.
(٤) تاريخ الأدب الجاهلي ٢٦٨.
(٥) الوصايا في الأدب العربي القديم، د. سهام الفريح، ١٧.

بقي أن أشير إلىٰ أن (وصَّىٰ لا يكون إلا لمرات كثيرة، وأوصىٰ يصدق بالمرة الواحدة)[1]، (ووصَّيته توصيةً في المبالغة والكثرة، وأما الوصية بعد الموت فالغالب من كلام العرب أوصىٰ ويجوز وصَّىٰ)[2].

(١) الكليات ٩٤٨.

(٢) العين للخليل بن أحمد ١٠٥٣.

مرادفات الوصية:

لفظ الوصية) هو اللفظ الأكثر شيوعًا واستعمالًا، وثمة لفظان آخران -من جذر الكلمة نفسها- يجري استخدامهما في التعبير عن الوصية، وهما: الوصاة والإيصاء، ويبدو أن استخدام كلمة (إيصاء)محدود جدًّا، مع صحة استعمالها اللغوي.

أما الوَصَاة فاستعمالها شائع كثير.

وقد وردت مرادفات للوصية علىٰ النحو الآتي:

١. **النصيحة**: فعندما دعا عامر بن الظرب العدواني قومه إلىٰ الإيمان بالبعث والنشور، عارضًا عليهم أدلة من واقع حياتهم، تولوا عنه ذاهبين، فقال: (ويلُ أمِّها نصيحة، لو كان لها من يقبلها بقبولها)[١].

ويقول عمر بن عبد العزيز في وصية لابنه [٢]: (أما بعد: فإن أحقَّ من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت).

وقال الراغب الأصفهاني: (النصح: تحري فعلٍ أو قولٍ فيه صلاح صاحبه... وهو من قولهم: نصحتُ له الودَّ أي أخلصته)[٣].

وقال ابن الأثير: (النصيحة كلمة يُعبَّر بها عن جملةٍ، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يُعَبَّرَ عن هذا المعنىٰ بكلمةٍ واحدةٍ تجمع معناها غيرها)[٤].

(١) المعمرون والوصايا ٦٤.

(٢) الوصية: ٢٥٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن ٤٩٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٦٣.

ويتراءىٰ لي أن النصيحة في الأصل هي الصدق والإخلاص وإرادة الخير للمنصوح له، لكنها استخدمت أحيانًا رديفة للوصية بمعنىٰ القول والإرشاد.

ولذا فحين تأتي مع لفظ الوصية في سياق واحد فإنها تعني المعنىٰ الأول، ومن ذلك قول أعرابية أرادت أن تهدي ابنتها، فقالت لها: (أي بنية، أوصيك فاحفظي وصيتي، وأنصحك فاقبلي نصيحتي)[1]، ولعل التعبير عن الوصية بالحفظ، وعن النصيحة بالقبول، يؤيد ما ذكرت، وربما كان أوضح دلالة من ذلك قول عبد الملك بن صالح: (أي بني، إني قد اخترت لك الوصية، ومحضتك النصيحة)[2]، ومحضتك: صدقتك وأخلصت لك.

وحين يأتي التعبير عن الوصية بالنصيحة، أو يأتي لفظ (أنصحك) بدلًا من لفظ (أوصيك) فإنها تكون مرادفة لها.

٢. **الوعظ**: ومنه ما ورد علىٰ لسان: (امرأة من بني عبد القيس تعظ ابنها:

وعِرْضكَ! لا تَمْذُلْ بِعِرضِك إنما ... وجدتُ مُضِيع العِرضِ تُلْحَىٰ طبائعُه[3]

وقولهم في المثل: لا تعظيني وتعظعظي، أي لا توصيني وأوصي نفسك [4].

وقول أكثم بن صيفي في وصيته لبنيه وقومه: (يا بني تميم، لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي)[5]. وما جاء في تقدمة وصية الخطاب بن المعلىٰ: (وعظ الخطاب بن المعلىٰ ابنه)[6].

---

(١) الفاضل للوشاء ٥٧٨.

(٢) الوصية: ٣٩٦.

(٣) لسان العرب: (وعظ) ١١/ ٦٢٢، ومذل بنفسه وعرضه: سمح، ومذلت نفسه بالشيء طابت.

(٤) الأمثال لأبي عبيد ٢٠٨.

(٥) الوصية: ٣.

(٦) الوصية: ٣٦٣.

وعند إحدىٰ وصايا المأمون: (قال المأمون للعباس يومًا، وهو يعظه)[1]، وتحت عنوان (مواعظ الآباء للأبناء) أورد ابن عبد ربه جملة من الوصايا [2].

وحين يراجع الباحث تعريف الموعظة، يجد الخليل بن أحمد يقول عن الموعظة: (وعظت الرجل أعظه... وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرقُّ له قلبُه)[3]، وعند ابن فارس: (التخويف)[4] ثم تلاه بكلام الخليل، ويقول ابن سيده: (الوعظ والعظة والموعظة: تذكرتك الإنسان بما يُليِّنُ قلبَه من ثواب وعقاب)[5]، وقال الجوهري: (الوعظ: النصح والتذكير بالعواقب)[6]، وقال الراغب الأصفهاني: (الوعظ زجر مقترن بتخويف)[7].

ومما سبق يمكن الاستنتاج بأن الموعظة متجهة إلىٰ نوعية المضمون، فحين يكون فيه ترغيب في الثواب وترهيب من العقاب أو تخويف من مغبة أمر مقترن بزجر يتجوز في إطلاق الموعظة علىٰ الوصية.

ولعل مما يؤيد ذلك ما روي (عن العرباض بن سارية ﷺ[8] قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر، ثم وعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال:

---

(١) الوصية: ٤٠٣. وانظر: كذلك الوصيتين ٤٦٨، ٥١٠.

(٢) انظر: العقد الفريد ٣/ ١٤٧.

(٣) العين ١٠٥٧.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٢٦.

(٥) المحكم ٢/ ٢٤٠.

(٦) الصحاح (وعظ) ٣/ ١١٨١.

(٧) المفردات ٥٢٧.

(٨) هو العرباض بن سارية السلمي، صحابي مشهور من أهل الصفَّة، سكن الشام، مات سنة خمس وسبعين.
انظر: أسد الغابة ٥/ ٢٥٦، والإصابة ٤/ ٤٨٢.

أوصيكم...)[1]. وما ورد في موعظة عمر بن عبد العزيز لابنه: (أما بعد: فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت... وإني لأعظك بهذا وإني لكثير الإسراف علىٰ نفسي، غير محكم لكثير أمري، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتىٰ يحكم أمر نفسه، ويعمل في الذي خلق له من عبادة ربه إذًا تواكل الناس الخير... وقلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض)[2]، وما ورد في مناسبة وصيةٍ للشافعي، (عاتب محمد بن إدريس الشافعي ابنه عثمان، فكان فيما قال له، فوعظه به...)[3].

وكذا ما ورد في وصية هشام بن عبد الملك: (وليس امرؤ، وإن ظوهرت له العظة، ونُخِلَتْ له النصيحة، بمنتفعٍ بشيءٍ من ذلك حتىٰ يكون له من توفيق الله داع، ومن نفسه عليه معين يبصِّره فضل ما يوعظ به علىٰ ما يوعظ عليه)[4].

ولعل الكلمات الأخيرة -منها- مع تقدمة وصية الشافعي تبرزان ما أشرت إليه -بصورة جلية- من التجوُّز في إطلاق الموعظة علىٰ الوصية، حين تتوجه إلىٰ الترغيب أو الترهيب، وتقترن بزجر، ولكن ذلك يكون حين تأتي كلمة الموعظة مع الوصية في سياق واحد... أما حين تستقل وحدها في الكلام فقد تكون مرادفة للوصية ويكون الفعل (وعظ) بمنزلة الفعل (أوصىٰ)كما في بعض النماذج التي سلفت في مقدمة هذه الفقرة.

ومن ذلك أيضًا ما قاله الهيثم بن صالح لابنه -وكان خطيبًا-: (يا بني، إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب، وإذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب. فقال:

---

(١) سنن الدارمي ١/ ٢٢٩(ح٩٦).

(٢) الوصية: ٢٥٠.

(٣) الوصية: ٣٧٩.

(٤) الوصية: ٣٣٣.

يا أبه، فإن أكثرت وأكثرت؟ -يعني كلامًا وصوابًا- قال: يا بني ما رأيت موعوظًا أحق بأن يكون واعظًا منك)[1]. لكن استعمال لفظة الموعظة ومشتقاتها أحيانًا يحدد نوعية ولون المضمون كما سبق، وكما في قول الرشيد لمنصور بن عمار [2]: (عظني وأوجز)[3]، وقول النابغة الشيباني [4]:

استمع يا بني من وعظ شيخٍ عَجَمَ الدهرَ في السنين الخوالي
اتقِ الله ما استطعت وأحسن إنّ تقوىٰ الإلهِ خيرُ الخِلال[5]

وقول غنيم بن قيس [6]: (كنا نتواعظ أول الإسلام بأربع، كنا نقول: اعمل في شبابك لكبرك، واعمل في فراغك لشغلك، واعمل في صحتك لسقمك، واعمل في حياتك لموتك)[7].

٣. **العهد**: (كقول سعد[8] حين خاصم عبد بني زمعة، في ابن أمته، فقال: ابن أخي عهد إليَّ فيه، أي أوصي إليَّ فيه، وقال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

(١) الوصية: ٤٦٦.

(٢) أبو السري منصور بن عمار بن كثير السلمي الخراساني، سكن بغداد وحدَّث بها، كان عديم النظير في الموعظة والتذكير، توفي في حدود المئتين.
انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٧١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٩٣.

(٣) انظر: ربيع الأبرار ٤/ ٣١٥.

(٤) هو عبد الله بن المخارق بن سليمان (أو سليم) الشيباني، شاعر بدوي، كان يفد إلىٰ خلفاء بني أمية بالشام، فيمدحهم، ويجزلون عطاءه.
انظر: الأغاني ٧/ ١٠٤، وسمط اللآلئ ٣: ٩٠١.

(٥) حماسة البحتري ١/ ١٩١، والحماسة البصرية ٢/ ٤٢٤، وانظر: ديوانه ٢٧٠.

(٦) غنيم بن قيس المازني، اختلف في رؤيته النبي ﷺ وروايته عنه، مات سنة تسعين للهجرة.
انظر: أسد الغابة ٤/ ٤٣، والإصابة ٥/ ٣٣٨.

(٧) الزهد والرقائق لابن المبارك ١/ ١٠٥.

(٨) المراد سعد بن أبي وقاص.

[يس: ٦٠]، يعني الوصية والأمر)[١]، ومنه الحديث: (تمسكوا بعهد ابن أم عبد. أي ما يوصيكم به ويأمركم)[٢].

ومنه حديث عليٍّ ﷺ: (عهد إليَّ النبي الأمي. أي أوصىٰ)[٣].

قال الخليل بن أحمد: (العهد: الوصية والتقدم إلىٰ صاحبك بشيء، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة)[٤].

وقال ابن فارس: (العين والهاء والدال أصل هذا الباب عندنا دال علىٰ معنىٰ واحد، قد أومأ إليه الخليل، قال: أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، والذي ذكره من الاحتفاظ هو الذي يرجع إليه فروع الباب، فمن ذلك قولهم: عهد إليه عهدًا، وهو من الوصية، وإنما سمِّيت بذلك لأن العهد مما ينبغي الاحتفاظ به، ومنه اشتقاق العهد الذي يكتب للولاة من الوصية، وجمعه عهود)[٥].

وقال الراغب: (العهد حفظ الشيء ومراعاته حالًا بعد حال، وسُمِّي الموثق الذي يلزم مراعاته عهدًا... وعهد فلان إلىٰ فلان يعهد، أي ألقىٰ إليه العهد، وأوصاه بحفظه)[٦].

وقال الزمخشري: (عهد إليه واستعهد منه: إذا أوصاه وشرط عليه)[٧].

ويتجلىٰ مما سبق أن أخذ معنىٰ الوصية من العهد متوجه إلىٰ كونه أمرًا يجب

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٥٨٢.
(٢) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٢٦.
(٣) لسان العرب: (عهد).
(٤) العين ٦٩١.
(٥) معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٦٧.
(٦) المفردات في غريب القرآن ٣٥٠ (عهد).
(٧) أساس البلاغة ٣١٥ (عهد).

حفظه أو الحفاظ عليه، ولذا أشار الكفوي إلىٰ أن العهد ينتظم أمورًا، منها الوصية، يجب علىٰ الإنسان الحفاظ عليها كلها بقوله: (العهد: الموثق. ووضعه لما من شأنه أن يُراعَىٰ ويُتَعَهَّد، كالقول والقرار واليمين والوصية والضمان والحفظ والزمان والأمر)[١].

ويلاحظ الباحث أن معظم ما ورد من الوصايا، مما استخدمت فيها لفظة (العهد) بمعنىٰ الوصية، هي من الوصايا المتصلة بالولايات السلطانية [٢]، وفي مقدمتها ولاية العهد [٣]، ولذلك: (قيل: وليُّ العهد لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ علىٰ من بايع الخليفة)[٤]، ويمكن ملاحظة أن جملة الوصايا التي وردت بصيغة العهد ورد في ثناياها لفظة الوصية، فالمنصور يقول للمهدي: (فاتقِ الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي... هذه وصيتي إليك)[٥]، وفي الوصية الأخرىٰ له يقول المنصور: (هذا ما عهد عبد الله أمير المؤمنين إلىٰ المهدي محمد بن أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين حين أسند وصيته إليه بعده)[٦]، وقول بعض الحكماء: (يا بني اقبل وصيتي وعهدي)[٧].

وقد سُبِقَتْ الوصايا في حالات غير كثيرة بألفاظ تختلف عن لفظ الوصية ولكنها تدخل في دائرة التوجيه الأخلاقي والسلوكي السوي الذي تجري الوصايا

---

(١) الكليات ٦٤٠.

(٢) انظر: عهد النبي ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلىٰ اليمن، وعهد أبي بكر ﷺ لرجل، وعهد علي ﷺ للأشتر النخعي حين ولاه مصر، وهي في صبح الأعشىٰ كالآتي: ١٠/ ٩، ١٩٢، ١٢.

(٣) انظر: عهد المنصور لابنه المهدي، انظر: الوصية: ٤٢٢.

(٤) لسان العرب (عهد).

(٥) الوصية: ٤٢١.

(٦) الوصية: ٤٢٢.

(٧) الوصية: ٤٩٥.

في جملتها في مضماره، ومن ذلك: (عَلَّم أعرابي بنيه إتيان الغائط فقال...)[1]، وقول جعفر الصادق: (أدبني أبي بثلاث...)[2].

وبعض الوصايا، وهي قليلة أيضًا، رواها الموصَون مشيرين إلىٰ أداة التأدية فيها، وهي الكتابة، يقول المعتمر بن سليمان: (كتب إليَّ أبي وأنا بالكوفة)[3]، ويقول مصعب الزبيري: (كتب إليَّ أبي من المدينة)[4]، كما أنَّ هناك وصايا روتها المصادر مصدرة باللفظ ذاته.

(١) الوصية: ٢٨٢.

(٢) الوصية: ٤٨٥.

(٣) الوصية: ٣٧٦.

(٤) الوصية: ٣٩٣.

دوافع الوصايا ونوازعها:

لم تعرف الجزيرة العربية في العصر الجاهلي الدولة نظامًا سياسيًّا يخضع الجميع لأحكامه، وتسود بينهم قوانينه ونظمه، وإنما سادها النظام القبلي المتعدد، وعُرف فيها عربُ المدر -ممثلين في ساكني القرىٰ والمدن- بأنهم أكثر استقرارًا في حياتهم المعاشية كما في حياتهم السياسية، فهناك مجالس لتداول الرأي كدار الندوة في مكة مثلًا، وهناك شخصيات لها اعتبارها واحترامها. ولكن عرب المدر قلة بالنسبة لعرب الوبر -قاطني الصحراء وساكني الخيام- تلك القبائل التي تعتمد -ومعها حيواناتها التي تمثل رؤوس أموالها- علىٰ ما يسقط من مياه الأمطار، التي تكون سببًا في إخصاب الأرض، وتوفر المراعي، التي هي مصدر حياتهم ومعاشهم.

وربما تأخرت الأمطار أو قلَّت فأجدبت الأرض، ومن ثمَّ فإنه لا بد لهذه القبيلة أو تلك من الرحيل ولو مؤقتًا عن الديار طلبًا للماء والكلأ، وهذا ما يؤدي غالبًا إلىٰ كثرة الحروب والنزاعات قديمًا بين القبائل العربية.

علىٰ أرض هذه الجزيرة، ووسط هذا المجتمع العربي الجاهلي المحترب، يولد الإنسان، وتتفتح عيناه علىٰ الحروب الطاحنة، والنزاعات المستمرة، وتمضي به قافلة الأيام، يَحْتَكُّ بالناس علىٰ مختلف طبقاتهم، وتتوالىٰ عليه نجاحات وإخفاقات، وتمرُّ عليه ضوائق وصعوبات، تبتسم له الدنيا حينًا لكنها تكلح في وجهه أحيانًا أخرىٰ، يشارك قومه آلامهم وآمالهم، يخوض معهم المعارك، ويشهد معهم المعاهدات، ويستشعر بينهم القوة، ويحسُّ بالأمن فيتعمق لديه الولاء لهم، وقد يتبوأ لديهم مكانة عالية فيصبح الرئيس المطاع والقائد المتبوع، وربما ذاع صيته خارج دائرة قومه ونال بحكمته وحنكته احترام جلِّ العرب.

وفي أثناء رحلة الحياة قد يطول بالإنسان العمر، وتمرُّ به التجارب المتنوعة التي اختزنها بالمعايشة والسماع والممارسة.

والأب الذي كان بالأمس شابًا يُصغي لتوجيهات والده قد أصبح الآن أبًا يروم الحفاظ علىٰ أولاده، ويغرس فيهم النخوة والشجاعة والقيم والأخلاق الفاضلة، وهذا ما فعله قيس بن معدي كرب، مع بنيه الأحد عشر حين بلغوا مبلغ الرجال (انظر الوصية ٥٤)، وفعله المنذر بن المنذر مع ابنه النعمان حين دعاه وهو شاب فأوصاه، ونبَّهه إلىٰ اختياره إياه للملك من بعده من بين سائر ولده، يقول المنذر: (يا بني، إن لي فيك رأيًا دون غيرك من ولدي فإني آمرك بما أمرني به والدي، وأنهاك عما نهاني عنه والدي...)[١].

ولأن الأولاد الذكور هم حماة القبيلة ووقود ما تخوضه من حروب، كان هناك احتفاء بهم، وكانت معظم الوصايا موجهة لهم، وهي تتناول موضوعات شتىٰ، أما الفتاة فقصارىٰ ما توصىٰ به أن تزوَّد عند إهدائها بأدب التعامل مع الزوج، وحسن العشرة معه، وفي الوقت الذي يُؤَمَّلُ فيه مع هذه التوصيات بدوام العشرة الزوجية، وقيام البيت علىٰ السعادة، إلا أنه يبدو أنه يهدف من وراء ذلك أيضًا إلىٰ أن يكون للزوجة دور في تهيئة الظروف الجيدة للرجل في البيت، ليقوم هو بدوره القبلي بصورة جيدة، أو بمعنىٰ آخر الاجتهاد في خدمة الرجل ليقوم هو بدوره في خدمة القبيلة.

والعربي في سبيل تقوية جانب قبيلته يحرص علىٰ كثرة العدد إذ يرىٰ معها العزة، يقول أوس بن حارثة لولده في وصية له: (من قلَّ ذلَّ، ومن أمر فلَّ)[٢]، ويبين

---

(١) الوصية ٥٩.

(٢) الوصية ١٩.

أكثم بن صيفي الطريق إلىٰ ذلك حين يقول: (عليكم بالبرِّ فإنه ينمي العدد)[1]، وينبه مالك بن المنذر البجلي بنيه إلىٰ ألَّا يثقلوا كاهل مسؤوليتهم بالارتباط بالضعفاء، وليرتبطوا بالعهود مع الأقوياء: (ولا تأخذوا حبلًا (أي عهدًا)من قليل، فإن القليل ذليل، وخذوا من ذي المرة الكاثر)[2]. ولا غرابة -في ظل هذا المفهوم- أن يكون أبناء طي بن أدد، وأبناء أبنائه، الذين جمعهم ليوصيهم خمسمائة رجل[3]، ولا عجب أن يبلغ أبناء سعد العشيرة، وأبناء بنيه، ثلاثمائة رجل، حتىٰ كان يركب فيهم فيقال: من هؤلاء معك؟ فيقول: عشيرتي: مخافة العين![4].

ولأن القبيلة هي محور الاهتمام، فقد جاء في كثير من الوصايا تأكيد ضرورة التعاضد والتكاتف والتحذير الشديد من الاختلاف، إذ إن القبيلة في ظل الوضع السياسي والأمني السائد أحوج ما تكون إلىٰ جمع الكلمة ووحدة الصف، يقول أسلم بن أفصىٰ الخزاعي: (وإياكم والاختلاف فإنه ليس معه ائتلاف)[5]، ويحاول تقريب المعنىٰ لهم -لأهميته- فيلفت انتباههم إلىٰ مثال يلتقطه من البيئة، فيشبههم بالشجرة، فبقدر تماسك أغصانها، والتفافها حول بعضها، تبقىٰ قوية في وجه الرياح.

ويعمد أكثم بن صيفي، وهو يودع الحياة، إلىٰ عرض صورة عملية لذلك، فقد دعا أولاده عند موته، فاستدعىٰ بضمامة من السهام، وتقدم إلىٰ كل واحد أن يكسرها، فلم يقدر أحد علىٰ كسرها، ثم فرقها، وتقدم إليهم أن يكسروها، فاستسهلوا كسرها،

(١) الوصية ٧.
(٢) الوصية ٥٦.
(٣) انظر: الوصية ٤٢.
(٤) انظر: الوصية ٣٥.
(٥) الوصية ١.

فقال: (كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم)[1].

ولا يقف التآلف علىٰ القرب المكاني بل حقيقته القرب القلبي، بل إن مجرد علاقة النسب قد تؤثر فيها المصالح الشخصية، ولذا يحاول أسيَّد بن أوس التميمي أن يبين -بتوظيفه لمشاهد من البيئة- أن مرور الزمن يترك آثارًا بعيدة علىٰ القوم يمكن تجاوزها بالتَّوادِّ القلبي[2]. والكثرة العددية -التي هي مطلب في الأصل- قد تصبح ضررًا ما لم تدعم بالمودة، يقول أكثم: (تناءوا في الديار لا تباغضوا)[3]، ويقول: (تناءوا في الديار وتواصلوا في المزار)[4].

وإذا كان الخلاف أمرًا طبيعيًّا فإنه يمكن تجنب سلبياته بالاحتكام إلىٰ العقل، وعدم الانسياق وراء العواطف، يقول أكثم بن صيفي لبنيه: (إن الهوىٰ يقظان والعقل راكد، والشهوات مطلقة والحزم معقول، والنفس مهملة والروية مقيدة، ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم، ولن يعدم المشاور مرشدًا)[5]، وتتضح أهمية مثل هذه الوصية حين ندرك طبيعة المجتمع الجاهلي وتركيبته، وأن معركة طاحنة بحجم معركة البسوس، التي استمرت عقودًا من الزمن، كان باعثها مقتل ناقة، إذ قد تثور عاطفة قائد أحمق، مطاع في قومه، بسبب تصرفٍ عارض فيتسبب في إشعال نار حرب يكون قومه وقودًا لها، ومن هنا جاء تأكيد المشورة في الوصايا.

إن الاستجابة لثورة النفس والسعي لإرضاء نزواتها يؤدي إلىٰ العواقب الوخيمة، ويرجع صاحبه بندمٍ شديدٍ، وتقييد النفس بقيد الحلم والتحمُّل أولىٰ من رجوعها بذاك، يقول أكثم بن صيفي لبنيه: (الصبر علىٰ تجرُّع الحلم أعذب من جني

---

(١) الوصية ٥.
(٢) انظر: الوصية ٢.
(٣) الوصية ٧.
(٤) الوصية ١٠.
(٥) الوصية ٣.

ثمر الندام)[1]، إنه يفترض ألا تُستنفَر قُوىٰ القبيلة إلا فيما يستحق ذلك دون أن تبدد قواها في حروب جانبية تنال منها وتبقيها ضعيفة لا تنهض في الأيام التي تستدعي النهوض والاستنفار، يقول أكثم: (ولا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير)[2]. بل إن الاستجابة للعواطف، وعدم تجرُّع مرارة الغيظ، من قبل أفراد القبيلة فيما بينهم، قد يكون سببًا في تفتيت وحدتها وموت اجتماعها وائتلافها.

ومن دوافع الوصايا التحذير من زلل اللسان، وإدراك خطر الكلمة، يقول أكثم: (كَلْمُ اللسان أنكأ من كَلْمِ الحسام، والكلمة مربوبة (أي: مملوكة)ما لم تنجم من الفم، فإذا نجمت فهي سبع محرب ونار تلهب)[3]، وقد يطلق عقال كلمة إرضاءً لنزوةٍ، لكن أثرها قد يتسبب في إشعال نار الحرب، وإضرام نيران العداوة، يقول أكثم: (وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه)[4]، ويقول: (ولا تجري فيما لا تدري)[5]، وسبق قوله: (ولا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير).

ولا ينسىٰ الموصون، في وصاياهم، تأكيدَ مقومات عزة القبيلة وحسن سمعتها ومكانتها بين القبائل، من الحثِّ علىٰ حماية الجار وإكرامه، إذ هو أمارة عزَّةٍ، يقول عمرو بن كلثوم: (وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم)[6]، ويقول عامر بن صعصعة: (ولا يُسْتَذَلَّنَّ لكم جار)[7]، ويقول مالك بن المنذر البجلي: (وشمِّروا لدرك الثأر ومَنَعَةِ الجار)[8].

---

(١) الوصية ٣.

(٢) الوصية ٧.

(٣) الوصية ٣.

(٤) الوصية ٧.

(٥) الوصية ٤.

(٦) الوصية ٤٨.

(٧) الوصية ٤٣.

(٨) الوصية ٥٦.

كما جاء في الوصايا التحذير من جار السوء، وصديق السوء، فإنه ربما عمل علىٰ إفساد ذات البين، كما أنَّ مثل أولئك أسرىٰ مصالحهم الذاتية، يسعون إلىٰ تحقيقها دون أدنىٰ مراعاة لما يصيب من حولهم من أضرار، يقول أسلم بن أفصىٰ: (ولا يكونن جار السوء لكم جارًا، ولا خدن السوء زوَّارًا)[1]، ويقول سعد العشيرة: (وأبعدوا من جار السوء داركم، ومن قرين الغي مزاركم)[2].

كما يأتي التأكيد في الوصايا علىٰ ضرورة الشعور بصدق الولاء، وعمق الانتماء، يقول جابر بن مالك الكلبي: (ولا تواكلوا النصر فتنكبوا، ولا تخاذلوا فتذِلُّوا)[3]. وعلىٰ احترام الرؤساء والكبار، يقول مالك بن المنذر البجلي: (ووقروا أهل الكفاية)[4]، ويقول حصن بن حذيفة الفزاري: (واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم، ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه، فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع)[5].

وحين يكون الموصَون من الرؤساء فإن الوصايا توجِّههم إلىٰ التعامل الجيد مع من دونهم لينالوا احترامهم، يقول قصي بن كلاب: (يا بني، إنكم أصبحتم من قومكم موضع الخرزة من القلادة، يا بني، فأكرموا أنفسكم تكرمكم قومكم، ولا تبغوا عليهم فتبوروا)[6]، ولا يفتأ الآباء يحذرون الأبناء من البغي مخافة أن يحيق بهم الهلاك، وتُقَوَّض منهم دعائم العزة لما للبغي من آثار خطِرة لكونه اعتداءً وتجاوزًا، يقول عبد المطلب بن هاشم: (ولا رأيت أحدًا بقي علىٰ البغي)[7]، ويضرب مالك بن المنذر البجلي لبنيه بنفسه مثلًا، يقول: (وإياكم والبغي فإنه أحلَّني دار الغربة)[8].

---

(١) الوصية ١.

(٢) الوصية ٣.

(٣) الوصية ٢٢.

(٤) الوصية ٥٦.

(٥) الوصية ٢٨.

(٦) الوصية ٥٢.

(٧) الوصية ٤٦.

(٨) الوصية ٤٦.

ومن دوافع الوصايا تأكيد تطهير النفوس وتنقية القلوب من الأحقاد لتصبح العلاقات مع الآخرين متينة تؤتي ثمارها، يقول سعد العشيرة: (ودعوا الضغائن فإنها تدعو إلىٰ التباين)[١]، ويقول مالك بن عمرو الكلبي مبيِّنًا أثر الضغائن وبعض أسبابها: (وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم، فإنه لا يسلم علىٰ الضغائن الكبير، ولا يصلح عليها الصغير)[٢]، ويقول عمرو بن يزيد الكلبي: (وأميتوا الضغائن تحمدوا العواقب)[٣].

وثمة دوافع أخرىٰ للوصايا تصبُّ في الإبقاء علىٰ قوة القبيلة واستمرار وحدتها، كالحذر من الحساد، وتجنُّب البطر حال الرخاء والجزع حال النازلة، والحثِّ علىٰ كتمان السرِّ، وإجالة قدح المشاورة لامتخاض زبدة الرأي بعد شحذ العقول، وإحسان الاختيار لمن يمكن مشاورته بعد التأكد من إخلاصه وصدقه.

ويسمو الآباء الموصون إلىٰ أن يحلَّ أبناؤهم مكانهم رؤساء في قومهم، وأن يحتلوا من قومهم المكانة الرفيعة والمنزلة العالية، يقول ذو الإصبع العدواني: (وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني...)[٤]. وينشر الآباء نماذج من سيرهم بين يدي الأبناء ليأخذوا بها كي توصلهم إلىٰ السيادة[٥]، ويحضُّ الموصون أبناءهم علىٰ الصفات الحميدة والقيم الفاضلة التي تتطلبها السيادة[٦]، ويؤكدون ضرورة تسويد العاقل لما تتطلبه الرئاسة من تبعات، يقول رياح بن ربيعة: (يا بني، سوِّدوا أعقلكم، فإن أمير القوم إذا لم يكُن عاقلًا كان آفة لمن دونه... واعلموا أن سيِّدَ القوم أشقاهم)[٧].

---

(١) الوصية ٣٥.

(٢) الوصية ٥٥.

(٣) الوصية ٤٩.

(٤) الوصية ٣٠.

(٥) انظر: الوصية ٣٢.

(٦) انظر الوصايا: ٦، ٧، ٣١، ٥١، ٥٤.

(٧) الوصية ٣١.

والأب -كما مرَّ- حال حياته يحاول حمل أولاده علىٰ أدبه، خاصةً حين يكون ذا شرف وحكمة، ويدرك الاختلاف بينهم في الاهتمامات، فيوصي كلًّا منهم حسب توجهه وميوله[1].

وتتأكد الوصية حين يتقدم بالإنسان العمر، فيهرم وتـؤذن شمس حياته بالمغيب، ويلتفُّ حوله أبناؤه، وحينذاك -وفي أجواء مشبعة بالتأثر- يشير الأب إلىٰ طول عمره وكأنه يلفت نظر أبنائه إلىٰ أنَّ صفحات كتاب هذا العمر الممتد مليئة بالأحداث والتجارب، يقول أسلم بن أفصىٰ: (يا بني، قد أتت عليَّ مائتا سنة)[2]، ومثله قول الحارث بن كعب: (قد أتت عليَّ ستون ومئة سنة)[3]، ويقول عمرو بن كلثوم: (يا بني قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحدٌ من آبائي وأجدادي)[4].

وربما لفت الأب نظر أبنائه إلىٰ ما مرَّ به من تجارب في حياته، وإلىٰ ما استفاده في الحياة من خبرات وتجارب، جاعلًا من ذلك مسوغًا لما يدعوهم إليه من قبول النصح، ولا سيَّما أن الموت سيطويه عنهم، يقول أكثم بن صيفي: (لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي، إنَّ بين حيزومي لبحرًا من الكلم، فتلقوها بأسماع مصغية وقلوب واعية تحمدوا عواقبها)[5].

ويذكِّر الأب في وصيته بنيه بشرفهم ومكانتهم، يقول زرارة بن عدس: (يا بني إنكم أصبحتم ببيت تميمٍ، بل بيت مضر)[6]، ثم يبيِّن لهم ما حققه من مكانة وبلغه من منزلة حين أضاف إلىٰ شرف النسب الالتزام السلوكي الذي يوجههم إليه:

---

(١) انظر: الوصية ٦٢.
(٢) الوصية ١.
(٣) الوصية ٢٦.
(٤) الوصية ٤٨.
(٥) الوصية ٣.
(٦) الوصية ٣٢.

(ما هجمت علىٰ قوم قط من العرب لا يعرفونني إلا أجلُّوني، فإذا نسبوني ازددت عندهم شرفًا، وفي أعينهم عظمًا، ولا وفدت علىٰ ملك إلا آثرني وشفعني)، وحين تشرئب نفوسهم لتلك المكانة يواصل وصيته: (يا بني خذوا من أدبي واثبتوا عند أمري، واحفظوا وصيتي)، وفي سبيل دفعهم إلىٰ لزوم تلك السيرة يأتي التأكيد أن كل سلوك يمارسونه سوف ينسب إلىٰ والدهم، ولذا فهو يحذرهم: (إياكم أنْ تُدخِلوا عليَّ في قبري حوبة أسب بها)، ويُذَكِّرهم أنَّ صفحات حياته نقية لم يدنِّسها شيء منذ صغره: (فوالله ما شايعتني نفسي قط علىٰ إتيان ريبة، ولا عمل بفاحشة، ولا ضمَّني وعاهرةً سقفُ بيتٍ قط، ولا حسَّنَتْ لي نفسي الغدر منذ شَدَّتْ يداي مئزري، ولا فارقني جار علىٰ قِلّىٰ، ولا حملني هواي علىٰ أمر يعيبني في مضر)، ولا ينسىٰ -وقد بيَّن لهم مكانتهم في قومهم- أن ينبههم علىٰ أن عيون الناس تبعًا لذلك موجَّهة إليهم تراقب سلوكهم: (يا بني، إن القالة إليكم سريعة).

ويرغب مالك بن المنذر البجلي إلىٰ أولاده أن يلتزموا بأدبه ويتمسكوا بوصيته، فيقول: (يا بني احفظوا أدبي يكفكم، واتبعوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم). ويلفت أنظارهم إلىٰ أنه في حياته كان يُقَوِّم أَوَدَهُم، وهو حين يودع الدنيا يترك لهم أدبه رائدًا مكانه، إذ ليس ثمة مؤدبٌ حيٌّ بعده: (فإني لم أَكِلْكُم إلىٰ أديب حيٍّ، والمعنيُّ بكم غائب عنكم)[1].

وإذا كان الآباء الموصون قد حرصوا في حياتهم علىٰ القيام بمسؤولياتهم تجاه أسرهم وفي محيطهم القبلي، فإنه يتضح مما سبق اجتهادهم في ترسيخ تلك المفاهيم لدىٰ أبنائهم ليحلُّوا محلهم، وليتبوَّؤوا مكانة عالية في قومهم، وليعملوا علىٰ الحفاظ علىٰ جمع شمل القوم، وعزة القبيلة وهيبتها، فتكون وصاياهم -فوق كونها تعبيرًا عن عميق اللحمة بين الأب والابن- مراعية حقَّ القبيلة أو العشيرة،

(١) الوصية ٥٦.

ومُرَغِّبةً في بقاء رسوخها وقوتها، برعاية المواضعات، والابتعاد عما يخرق ثوب الألفة ويبدد شمل الاجتماع.

ويسترعي الانتباه في وصايا العصر الجاهلي أن سبعًا وثلاثين وصية منها خاطب بها الموصون جماعة بنيهم، مقابل أربع وعشرين وصية خاطب بها الموصي ابنًا واحدًا. وأن وصية من الوصايا الأُوَل خاطب بها الموصي بنيه وبني بنيه، وأخرىٰ خاطب بها الموصي رهطه، وثالثة قومه، ورابعة عشيرته. وأشير في وصية قصي بن كلاب إلىٰ أن بنيه الموصَين كانوا يومئذٍ جماعة، وعند وصية عبد المطلب إلىٰ أن بنيه كانوا عشرة. وحين نستقرئ نسب بعض الموصين نجد أنهم يجرون في سلسلة نسب واحدة، كما في حال أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد. والثلاثة الأُوَل كلهم أوصىٰ بنيه. وما مضىٰ يؤكد عمق الدافع القبلي للوصايا، الذي ينضوي تحته عدد من الدوافع.

وحين بزغت شمس الإسلام وأضاءت جوانب الجزيرة العربية، ودانت القبائل العربية للإسلام، وحكّمته في حياتها، وشعر الناس بعميق الفرق بين حياتهم السابقة في الجاهلية واللاحقة في الإسلام، فأقبلوا علىٰ العلم، واجتهدوا في العبادة، وحاط سلوكهم الورع، واستبدلوا الإخوةَ الإسلاميةَ بالعصبية القبلية.

وقد أدرك أولئك الآباء الذين عايشوا المرحلتين عميق الفرق، وشعروا بضخامة النقلة، فاستيقظت عقولهم، واستنارت بصائرهم، واطمأنت أفئدتهم، واختلفت نظرتهم إلىٰ الحياة والأحياء، ولذا جاءت وصاياهم دافعة إلىٰ التخلص من أوضار الجاهلية، وداعية إلىٰ التمسك بأهداب الدين. ومن ثم برز فيها الحث علىٰ التمسك بالأدب الإسلامي، من مثل التزام تحية الإسلام، وعمارة المجلس بالذكر[1]، كما برز فيها التحذير مما يخلُّ بالدين، من مثل مقارفة الخمر وكل ما

(١) انظر: الوصية ١٣٤.

يوصل إلىٰ السكر[١]، أو كثرة الكلام لكونه مظنة لكثرة الخطأ والخطل[٢]، وتأكيد النهي عن ذلك في أثناء أداء مناسك الحج تعظيمًا وتأثمًا[٣].

ويتجه كثير من الوصايا إلىٰ انتزاع جذور التعلق بالدنيا من قلوب الأبناء ليحققوا التحرر الذي ينشده لهم الدين من مطامع النفوس والتعلق بالخَلْق، مما يسهِّل عليهم الاستجابة لمتطلبات الدين والتزامها[٤]، ومما يتصل بذلك التحذير من إطلاق البصر وراء ما يحوزه الناس من متع الدنيا، فذلك له أثر سيئ في نفس الإنسان، والإشارة إلىٰ أن القناعة هي لباس السعادة السابغ[٥].

ويحرص الآباء الموصون علىٰ تصحيح النظرة إلىٰ الحياة الدنيا، وأنها يجب أن تكون في موقعها الصحيح، فيهرب الإنسان من التعلق بها، ولا يحزن لما فاته منها[٦]، ويكون فيها ببدنه وفي الآخرة بقلبه[٧]، وأن يتخذها معراجًا إلىٰ الآخرة باستثمار خيراتها في الخير[٨].

ويأتي التوجيه إلىٰ البعد عن السلوكيات الجاهلية من الكِبْر[٩]، واحتقار الآخرين[١٠]، والغيبة[١١]، وتكييف السلوك الشخصي مع مقتضىٰ هدي الشريعة،

(١) انظر: الوصية ١٢٣.
(٢) انظر: الوصية ٦٥.
(٣) انظر: الوصية ٨٠.
(٤) انظر: الوصية ٧٥.
(٥) انظر: الوصية ١٢٨.
(٦) انظر: الوصية ١١٦.
(٧) انظر: الوصية ٩٨.
(٨) انظر: الوصية ٧٢.
(٩) انظر: الوصية ٧٨.
(١٠) انظر: الوصية ١١٣.
(١١) انظر: الوصية ١١١.

فيكون تعلُّم النسب -مثلًا- من أجل صلة رحمه[1].

كما يجتهد الآباء في دفع أبنائهم إلىٰ التعلم من أجل فهم أعمق للدين، ومن ثَم الإسهام في نشر العلم الذي أحلَّ الإسلام أهله محلًّا رفيعًا[2]، ومخالطة أهله الذين يسهمون بعلمهم وأخلاقهم في تقويم من احتكَّ بهم، وطلب العلم علىٰ أيديهم، يقول عليٌّ ﷺ: (يا بني، جالس العلماء، فإن أصبت حمدوك، وإن جهلت علَّموك، وإن أخطأت لم يعنِّفوك)[3].

وإذا كانت الجاهلية بفوضاها قد وَلَّتْ، واجتمعت كلمة الناس علىٰ إمام واحد يقيم شريعة الإسلام، ويحقق العدل، وينشر الأمن، وهو حتىٰ لو ظلم فالمكتسبات المتحققة باجتماع الكلمة عليه خير من إشعال شرارة فتنة قد يطول أمدها، وتترك آثارًا سيئة حتىٰ بعد رحيلها. يقول عمرو بن العاص: (والٍ عادلٌ خير من مطرٍ وابلٍ، وأسد حَطُومٌ خير من والٍ ظلوم، ووالٍ ظلوم خير من فتنة تدوم)[4].

ولكي يبقىٰ مستوىٰ الابن الإيماني والسلوكي عاليًا فإن الأب يوصيه بصحبة الصالحين بما يتركونه فيه من أثر[5]، ويحذره من صحبة السفلة[6]؛ إدراكًا منه لآثار الخلطة.

ولأن البنت مثل الولد مكلفة بالأحكام الشرعية، وهي مثله في المنزلة، فقد تجاوزت دوافع الموصين مجرد النظرة إليها في دائرة خدمة الرجل إلىٰ أن تكون

---

(١) انظر: الوصية ١٢١، والوصيتين ٨٢، ٩٢.
(٢) انظر: الوصيتين ٦٧، ١٢٧.
(٣) الوصية ١٠٥.
(٤) الوصية ١٢٤.
(٥) انظر: الوصية ١٣٧.
(٦) انظر: الوصية ٦٨.

مسؤولة عن نفسها، فهي مدعوة للإنفاق والصدقة[١]، وتجنُّب الإسراف في الزينة خشية العقوبة الأخروية[٢]، والصبر علىٰ ما تلقاه أحيانًا من شدة خلق زوجها، لانطواء ذلك علىٰ تحقيق الثواب الأخروي[٣].

وبعد مخاض الفتنة وتأسيس معاوية ﷺ الدولة الأموية، كان بدهائه وبُعْدِ نظرِه وحنكته وتجربته يريد لها أن تمتد وتقوىٰ، ولكن بأقل قدر من الاضطرار إلىٰ العنف أو السيف، وكان حلمه الذي اشتهر به خير معين له علىٰ ذلك، ومنذ وقع في نفسه أن يجعل ابنه يزيد خليفة في الملك كان يتعهده بالرعاية والتوجيه لما يناسب تلك المسؤولية، ولكنه حين عقد له علىٰ ولاية العهد كان التوجيه أكثر عمقًا، أما حين شعر أن شمس عمره توشك علىٰ المغيب فقد رسم له معالم التعامل الجيد مع الناس بعامة، وراح يفصِّل له طبيعة أهل كل إقليم من الأقاليم المهمة، وكيفية التعامل معهم، ثم يشير إلىٰ الأشخاص الذين يتوقع ثورتهم عليه أو اختيار الناس لهم دونه، ويضع بين يديه الأسلوب الأمثل -في رأيه- في التعامل مع كلٍّ منهم، ولا يفوته أن يذكِّرَه ببعض الأشخاص الذين يمكن اللجوء إليهم وقت الأزمات[٤].

وتكاد وصايا عبد الملك بن مروان أن تكون صورة لوصايا معاوية في موضوعاتها، ولا غرو؛ فهو المؤسس الثاني للدولة الأموية، إذ رفع لواءها بعد أن كادت تنتهي من التاريخ ولم يبقَ مع الخليفة سوىٰ دمشق، بل حتىٰ هي كادت تفلت من يده!

وعبد الملك كان في عمله السياسي يستكمل ما ابتدأه والده مروان به الحكم، وهو أيضًا قد ولاه فلسطين وأوصاه بوصية تضمنت مفاتيح العلاقة بالناس، كما

(١) انظر: الوصية ٥٢٥.

(٢) انظر: الوصية ١٤١.

(٣) انظر: الوصية ٨٦.

(٤) انظر: وصايا معاوية ٢٩٤، ٣١٥، ٣١٨.

خلف ابنه عبد العزيز علىٰ مصر موضحًا له عبر وصيته كيف يستطيع أن يستميل قلوبهم، وكيف يتعامل مع موظفيه.

كما أن عبد الملك بخلفيته الأدبية يحاول إغراء أولاده بالأدب والشعر؛ ثقة بما يتركه في النفس، وينعكس علىٰ السلوك.

وكان عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- قد عُدَّ خامس الخلفاء الراشدين بسبب كبحه جماح نفسه، ورؤيته المختلفة للدنيا، وزهده فيها، وقد لوَّن توجُّهُهُ ذاك وصاياه لولده.

وتتنوع دوافع أصحاب الولايات تبعًا لطموحاتهم، فزياد بن أبي سفيان يطمح أن يخلفه ابنه في ولاية العراق، فيوصيه -وهو يبعثه إلىٰ معاوية- بالتعامل معه بأسلوب يعرف بذكائه أنه يتفق مع المواصفات التي تعجب معاوية[1]، وسعيد بن العاص يثق بمواهب ولده، ويطمع أن ينال ولاية، ولذا فهو يلفت نظره إلىٰ أن الولاية في حقيقتها تكليف لا تشريف، متىٰ ما قام بها الإنسان حق القيام، يقول: (يا بني، إن الولاية محن الرجال، تبدي محاسنهم ومساوئهم، فإن وليت فاستطعت أن تكون ذِكْرًا حسنًا فافعل)[2].

أما محمد بن عطية السعدي فهو يدرك أن للولاية نزعة تعاظم، تجعل الوالي لا يحتمل جرأة الناس عليه، فيغضب ويبطش، ولذا حين ولي ابنه عروة اليمن، قال له: (إذا غضبتَ فانظر إلىٰ السماء فوقك، وإلىٰ الأرض أسفل منك، ثم أعظم خالقهما)[3].

وكان الولاة والأشراف حريصين علىٰ تنشئة أبنائهم تنشئة صالحة شريفة قوية، بعيدة عن صفات السوقة؛ رغبةً في تكوينهم تكوينًا يهيئهم لتبوُّؤ المكانة اللائقة

---

(١) انظر: الوصية ١٧٢.

(٢) انظر: الوصية ١٨٧.

(٣) انظر: الوصية ٢٧٦.

بهم، وذلك ما يدفعهم إلىٰ تحذير أبنائهم من الاحتكاك بالسوقة، يقول المهلب بن أبي صفرة: (إياكم أن تُروا في الأسواق، فإن كنتم لا بُدَّ فاعلين ففي سوق الدواب والسلاح، فإنهما من صناعة الفرسان)[1]، ويقول: (يا بني، لا تقوموا في الأسواق إلا علىٰ زَرَّادٍ أو وَرَّاق)[2]، وتتضح النظرة الرديئة لأهل السوق في لغة ذلك البدوي المتعجرف وكيع بن أبي سود حين يقول لبنيه: (وإياكم إذا أنا مِتُّ أن تأتيكم هذه الباعة من أهل الأسواق...)[3].

ويقول قتيبة بن مسلم: (يا بني، لا تدخلوا الأسواق فَتَدِقَّ أخلاقُكم، ولا تمزحوا فَيُسْتَخَفَّ بكم، ولا تمشوا في العساكر فتصغروا عند أكفائكم)[4].

وإذا كانت الوصية السابقة في جملتها توضح مدىٰ حرص ذلك الوالي علىٰ وضع إطار سلوكي أمام أبنائه، بمقاس الولاية التي يطمع أن يخلفوه فيها، فإن الجملة الأخيرة تبين طرفًا من المنافسة بين الأكفاء، وكأن ثمة تنافسًا بالارتفاع عن الدنايا، والارتقاء في سُلَّم القيم، وذلك ما يراعيه أكثر من أبٍ من الولاة والأشراف؛ منهم قيس بن عاصم الذي يقول ممثلًا الرؤية البدوية القبلية التي بقيت في العصر الأموي متماسكة: (سوِّدوا أكبركم تخلفوا آباءكم، ولا تسوِّدوا أصغركم فيزري بكم ذلك عند أكفائكم)[5].

ومن يراهم الأشرافُ والولاة سوقةً يراهم العلماء والعباد سفهاءَ، وينهون أبناءهم من ثَم عن مجالستهم ومجادلتهم، يقول عمير بن حبيب: (يا بني، إياكم

(١) انظر: الوصية ٣٢٤.
(٢) الوصية ٣٢٥.
(٣) الوصية ٣٣٤.
(٤) الوصية ٢٦٨.
(٥) الوصية ٢٧٠.

ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء)[١]، ويقول عتبة بن أبي سفيان: (فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من عواقبهم)[٢]، ويقول وهب بن منبه: (لا تجادلنَّ العلماء... ولا تمارينَّ السفهاء)[٣]، ويصفهم عبد الله بن شداد باللئام، مبيِّنًا لابنه مواصفاتهم، يقول: (وضع الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعنَّ معروفك عند اللئام فتضيعه، فإن الكريم يشكرك ويرصدك بالمكافأة، وإن اللئيم يحسب ذلك حتمًا ويؤول أمرك معه إلىٰ المذلة) [٤].

وإذا كانت النغمة القبلية والحث عليها قد اختفت في وصايا الآباء أو كادت، فقد أصبحت ملجأ عند الفتن، أو ما يسميه الأشعث بن قيس (اضطراب الحبل)[٥]، كما صارت تمثِّل خلفية ضغطٍ يستشعر الإنسان قوته بواسطتها، ويفترض أن يوطد علاقته بها اعترافًا منه لها بهذا الدور[٦]، كما يأتي توجيه الابن الوالي بالتعامل مع القبائل حسب ثقلها وخلفيتها التاريخية[٧]، ويمثل الدين دافعًا قويًّا لبعض الموصين بمحاولة إنهاء الثارات القبلية تحسبًا للعقاب الأخروي كأثرٍ من آثار التدين، يقول قيس بن عاصم: (فقد كانت بيني وبينهم خماشات في الجاهلية، فأخاف أن ينبشوني، فتفسدوا عليهم دنياهم، ويفسدوا عليكم آخرتكم) [٨].

وفي الجملة حَلَّتْ في لغة الموصين الصداقة والمؤاخاة محل العلاقة القبلية، فيحرص الأب -ممثلًا بسعيد بن العاص- علىٰ توصية أبنائه بإكرام إخوانه بعد

(١) الوصية ٢٦١.
(٢) الوصية ٢٣٥.
(٣) الوصية ٣٣٧.
(٤) الوصية ٢٠٤.
(٥) الوصية ١٦٢.
(٦) انظر: الوصية ٣٢٠.
(٧) انظر: الوصية ٣٤٢.
(٨) الوصية ٢٧٠.

رحيله[١]، ويطيل عبد الله بن شداد في وصيته الحديث عن المؤاخاة واختيار الإخـوان، وغضِّ الطرف عن زلاتهم، ومواصفات من يُؤاخَىٰ[٢]، ويشدد إياس بن معاوية علىٰ التروي والتثبت في المؤاخاة قبل الإقدام، لأن التحوَّل عن الإخاء شديد[٣].

وحيث انفتحت الدنيا علىٰ المسلمين وشاع التباهي في الغنىٰ وحبُّ المال في الحواضر، وتنافس الناس في ذلك، كان هذا دافعًا لبعض صالحي الآباء لاغتيال أو اعتقال هذه الرغبة لدىٰ الأبناء بتذكيرهم ما يترتب عليها مما ينافي الهدي الإسلامي، يقول عبد الله بن عمر: (أما والله إني أرىٰ ستجعلون ما رزقكم الله عز وجل في بطونكم وعلىٰ جلودكم، وتتركون أراملكم ويتاماكم ومساكينكم)[٤].

ولعل ما توالىٰ علىٰ بعض سادة العلويين (آل أبي طالب) من قتل وتنكيل ومتابعة لوَّن وصاياهم، وكان من الدوافع وراء مضامينها، فبرز فيها الأمر بالصبر علىٰ الغيظ، والحلم عند ذاك[٥]، والصبر علىٰ النوائب انتظارًا للفرج[٦]، والتحذير من مداخل السوء خشية التهمة، وإبقاء علىٰ النقاء، والتحذير من صحبة جملة من الأشخاص ممن المضرة في صحبتهم أقرب من النفع[٧]، وتلك المضامين يبدو أن العلويين كانوا يتواصون بها أبًا عن جد، يقول علي بن الحسين لابنه: (يا بني، أوصيك بما أوصاني به أبي يوم قتل، وبما ذكر لي أن أباه عليًّا أوصاه به...)[٨].

---

(١) انظر: الوصية ١٨٢.
(٢) انظر: الوصية ٢٠٤.
(٣) انظر: الوصية ١٦٣.
(٤) الوصية ٢١٠.
(٥) انظر: الوصية ٢٤٣.
(٦) انظر: الوصية ٢٤٤.
(٧) انظر: الوصية ٢٤٨.
(٨) الوصية ٢٤٩.

وحين قامت الدولة العباسية علىٰ أشلاء الأمويين كان لأهل خراسان إسهام في قيامها، فظل أوائل خلفاء بني العباس بسببه يتواصون بإكرامهم، اعترافًا بفضلهم، وليظلوا سيفًا في يد الخليفة عند الحاجة، يقول أبو جعفر المنصور للمهدي: (أوصيك بأهل خراسان خيرًا؛ فإنهم أنصارك وشيعتك، بذلوا أموالهم في دولتك، ودماءهم دونك، ومن لا تخرج محبتُك من قلوبهم؛ أن تحسن إليهم، وتتجاوز عن مسيئهم، وتكافئهم علىٰ ما كان منهم، وتخلف من مات منهم في أهله وولده) [1]، ويقول له مرة أخرىٰ: (وعليك بتلاد نعمتك ومواليك من أهل خراسان وغيرها من أهل الآفاق، فإنهم أنصح الناس لك، وأشدهم سعيًا في بقاء دولتك، فإنما عزهم بعزك)[2]، ويقول المهدي لابنه موسىٰ: (وإن أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا، وسيوف دعوتنا، الذين نستدفع المكاره بطاعتهم، ونصرف نزول العظائم بمناصحتهم... فهم عماد الأرض إذا رجفت كتفها، وحتوف الأعداء إذا برزت صفحتها... قد مضت لهم وقائع صادقات، ومواطن صالحات) [3].

ويستشعر الخليفة المنصور عظم المسؤولية في ترسيخ أركان الدولة الجديدة، والمحافظة علىٰ بقائها، فيعتمد في سياسة دولته علىٰ ذكائه وحزمه وجبروته وجرأته، (عن عبد الصمد بن علي أنه قال للمنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتىٰ لكأنك لم تسمع بالعفو! قال: لأن بني مروان لم تَبْلَ رِمَمُهُم، وآل أبي طالب لم تُغْمَدْ سيوفهم، ونحن بين قوم قد رأونا أمسِ سوقةً واليومَ خلفاء، فليس تتمهَّد هيبتُنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة)[4]، ولكنه يدرك أنه ماضٍ فيسعىٰ إلىٰ تشكيل

(١) الوصية ٤١٩.
(٢) الوصية ٤٢٠.
(٣) الوصية ٤٣٧.
(٤) تاريخ الخلفاء ٣١٦.

عقلية ابنه المهدي بصورة تجعله يسوس الدولة ويحافظ عليها، ومن هنا يوصيه ويكرر عليه الوصية، ومن ضمنها إيصاؤه بأمور ثلاثة:

الأول: جمع المال وعدم التبذير، يقول: (وإياك والأثرة والتبذير؛ فإن النوائب غير مأمونة)[1]، ويشير إلىٰ أهمية المال فيقول: (وانظر الأموال؛ فإنها عدة الملوك، وبهاء السلطان، ونظام التدبير، فوفِّرها بولاية أهل العفاف عنها، والحيطة عليها، ولا تبتذلها إلا في إصلاح أمور السلطان والرعية، وثواب أهل الطاعة والنصحية) [2].

الثاني: المركزية الإدارية بمباشرة الأمور بنفسه، يقول المنصور: (وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل، واستعمل حسن الظن بربك، وأسئ الظن بعمالك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقظ)[3].

الثالث: ما أشار إليه في آخر المقطع السابق من وصيته، وهو التيقظ والحزم، ومتابعة أحوال الولاة، وتقصِّي أمور الدولة، عبر جيش من العيون، يقول أبو جعفر: (ولا تنَمْ! فإن أباك لم ينَم منذ ولي الخلافة، ولا دخل عينَه غمضٌ إلا وقلبُه مستيقظ)[4]! ويقول في الوصية نفسها: (وأعْـدِدْ رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالًا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل)، ويقول: (ولا تقدم في الحياطة بمثل نقل الأخبار)[5].

وإذا كانت وصايا أبي جعفر تمثل دوافع الخلفاء، فإن وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله تمثل السياسة المثلىٰ للولاة[6].

---

(١) الوصية ٤٢١.
(٢) الوصية ٤٢٠.
(٣) الوصية السابقة.
(٤) الوصية ٤٢١.
(٥) الوصية ٤٢٨.
(٦) انظر: الوصية ٣٨٢.

ومع أن هناك من دوافع الوصايا في العصر الأموي ما يتكرر في العصر العباسي، إلا أن هناك دوافع -غير السياسية السابقة- جاءت منبثقة من طبيعة الدولة والمجتمع، فالدولة قد اصطبغت إداريًّا باللون الإداري الفارسي، وتسللت الثقافة الاجتماعية الفارسية، وانداحت دوائر الاهتمام العلمي، وتوسعت جوانب المعرفة، ومن هنا نجد من يوصي ولده بالأسلوب الأمثل للتعامل مع السلطان وتوقيره[١]، ومن يدفع ابنه لتنويع ثقافته ليحظىٰ بقبول أكثر[٢]، ومن يحذر ابنه من الإغراق في التأنق إلىٰ درجة التأنث[٣]، وتأكيد المهارات الذاتية في تحقيق المنزلة العالية[٤]، والإشادة بالمنطق الذي راجت سوقه[٥]. وعلىٰ الجانب الآخر نجد العلماء يوصون أبناءهم بتجنب مجالسة السفهاء[٦]، والعناية باختيار واختبار الأصدقاء[٧]، والاستمساك بمعالي الأخلاق[٨]، والحرص علىٰ صحبة العلماء[٩]، وشغل الوقت بكتابة العلم[١٠]، والاجتهاد في التزوُّد من النوافل[١١].

---

(١) انظر: الوصية ٣٦٣، ٣٦٥.
(٢) انظر: الوصية ٤٤٠، ٤٤١.
(٣) انظر: الوصية ٣٦٣.
(٤) انظر: الوصية ٣٩٨، ٤٠٨.
(٥) انظر: الوصية ٣٧٥، ٤٠٥.
(٦) انظر: الوصية ٣٩٢.
(٧) انظر: الوصية ٣٥٣، ٤٠٠.
(٨) انظر: الوصية ٣٧٩.
(٩) انظر: الوصية ٣٥٦، ٣٩٦.
(١٠) انظر: الوصية ٣٧٦.
(١١) انظر: الوصية ٣٧٤.

أولاً

مصادر ثقافة الموصين

ثمة ملاحظةٌ تستوقف الباحثَ في الوصايا أو المطلع عليها، هي أن أغلبَ من تعددت وصاياهم يتصفون بمعارف متنوعة، وخبرات وتجارب واسعة، وفي مقدمة أولئك أكثم بن صيفي حكيم العرب في العصر الجاهل، ومعاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، وعبد الملك بن مروان أشهر الخلفاء الأمويين بعد معاوية، وأبو جعفر المنصور الخليفة العباسي المشهور، ويحيىٰ بن خالد البرمكي، من أبرز وزراء الدولة العباسية.

وقد أغفلتُ ذكرَ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مع هؤلاء ليس شكًّا في مبلغه من العلم، وإنما للشك في صحةِ بعضِ ما نُسِب إليه من وصايا.

أما أكثم بن صيفي فقد اكتسب معرفته وحكمته عن طريق النظر والتأمل، إذ قال عن نفسه في كتابه إلىٰ النعمان بن حميضة: (قد حلبت الدهرَ أشطرَه)[1]. وقد عرف بالحكمة والفطنة وصواب الرأي، وتجاوزت شهرته حدود قبيلته فأصبح حكيم العرب[2].

وأما معاوية فقد استفاد حنكته ومعرفته ودهاءه من بيئتيه الخاصة والعامة، وما أثر عنه من كلمات يدل علىٰ وعيه بقيمة التكوين المبكر، ورؤيته لبعض ما له أهميةٌ في ذلك، فهو القائل: (يجب علىٰ الرجل تأديب ولده، والشعر أعلىٰ مراتب

(١) جمهرة الأمثال ١/ ٤٩٣.

(٢) المعارف ٢٩٩.

الأدب)[1]، كما أنه القائل: (اجعلوا الشعر أكبر همِّكم، وأكثرَ آدابكم، فإن فيه مآثِرَ أسلافكم، ومواضع إرشادكم)[2].

وقال معاوية للحارث بن نوفل حين دخل عليه بابنه: (ما علَّمتَ ابنك؟ فقال: القرآنَ والفرائضَ. فقال: رَوِّهِ من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل، ويفصح المنطق، ويطلق اللسان، ويدل علىٰ المروءة والشجاعة)[3].

وأخبار معاوية مع عبيد بن شرية مشهورة، قال ابن النديم عن عبيد: (وفد علىٰ معاوية بن أبي سفيان، فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة، وأمر افتراق الناس في البلاد، وكان استحضره من صنعاء، فأجابه بما أمر، فأمر معاوية أن يُدَوَّن ويُنسب إلىٰ عبيد بن شرية)[4].

والناظر في ترجمة معاوية في كتاب تاريخ دمشق مثلًا يلحظ كثرةَ تمثُّلِه بالشعر، وهو ما ينبئ عن غزارة معارفه وحفظه.

وعبد الملك بن مروان اشتهر عنه معرفتُه بالشعر، ونقدُه له، وتمثُّلُه به، وحثُّ أولاده علىٰ طلب الأدب لما له من أثر في العقل والنفس، كما يشهد بطرف من ذلك بعض وصاياه.

وأبو جعفر المنصور ورد عنه قوله: (عجبت للسلطان الذي لا يتخذ بقراءة الأخبار لهوًا بماذا يلهو؟! وللمدبِّر الذي لا يعلم ما حدث في عمله كيف يمضي تدبيره؟!)[5].

---

(١) العمدة ١/ ٨٨.

(٢) الكامل للمبرد ٣/ ١٤٣٣، والعمدة ١/ ٨٨، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٦٧، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٤١.

(٣) ديوان المعاني ١/ ١١٤.

(٤) الفهرست ١٠٢.

(٥) تسهيل النظر ٢٧٠.

وخلَّف لولده المهدي سفطًا، فيه -كما يقول- عِلْمُ آبائه[1]. وقال محمد بن علي الخراساني عن المنصور: (أول خليفة تُرجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية)[2]. وقال الصولي: (كان المنصور أعلم الناس بالحديث والأنساب مشهورًا بطلبه)[3].

ومن يطالع سيرة المنصور يجد أنه يكثر من ذكر الأبيات الشعرية استشهادًا أو تمثُّلًا واستنشادًا[4].

أما يحيىٰ بن خالد البرمكي فقد قال عنه ابن خلكان: (وكان من العقلاء الكرماء البلغاء)[5]، ونقل قول المأمون عنه: (لم يكن كيحيىٰ بن خالد وكولده أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة). وحثُّه بنيه علىٰ الأخذ من كل علم بطرف، وتأكيده ذلك دليل واضح علىٰ مكانة العلم والمعرفة في نفسه، وقد تكون الظروف السياسية التي عاش فيها كلٌّ من معاوية وعبد الملك والمنصور سببًا في حرصهم علىٰ إيصاء أبنائهم، وكثرة وصاياهم، لكن من المؤكد أنَّ لسعة العلم والمعرفة التي اتصف بها كلٌّ منهم أثرًا جليًا في ذلك، ولا سيَّما قد ورد ضمن وصاياهم الحثُّ علىٰ العلم والأدب والترغيب فيهما، وقد أفصحت غالبية الوصايا عن مدىٰ ثقافة أصحابها واتجاهها ومصدرها، كما كشفت عن فطنتهم وخبراتهم وتجاربهم، ويمكن إيضاح ذلك علىٰ النحو الآتي:

---

(١) الوصية: ٤١٩.

(٢) تاريخ الخلفاء ٣١٩.

(٣) المصدر السابق ٣٢٠.

(٤) الطبري ٨/ ٨٥-٩٨.

(٥) وفيات الأعيان ٦/ ٢٢١.

أ - المصدر الديني:

لئن كان الباحث لا يكاد يجد في وصايا العصر الجاهلي إشارات لمصدر ديني، فإن عددًا من الوصايا في عصر صدر الإسلام قد ورد فيها قدرٌ من أحاديث الرسول الكريم ﷺ، حينًا بالتصريح[١]، وحينًا يدرج الحديث في الوصية كما لو كان جزءًا من كلام الموصي، وفي هذا اللون الأخير غالبًا ما تكون الوصية كلها حديثًا نبويًّا[٢]، وقد يكون الحديث بنصِّه، كما في بعض النماذج المشار إليها سابقًا، وقد يكون بمعناه[٣].

ولعل اتكاء بعض الموصين علىٰ حديثٍ بعينه، في وصاياهم لأبنائهم، يفسِّر تردُّدَ الوصيةِ الواحدة بين عدد منهم، كما في الوصية: (أظهر اليأس فإنه الغنىٰ، وإياك وطلب ما عند الناس فإنه الفقر الحاضر)، فقد نُسبتْ لسعد بن أبي وقاص، وسعد بن عمارة، وسعيد بن جبير، ومعاذ بن جبل.

وثمة أمر يسترعي الانتباه، وهو أنَّ ما أمكن الباحث جمعَه من وصايا عصر صدر الإسلام يكاد يخلو من الاستشهادات بآيات القرآن الكريم تصريحًا أو تضمينًا، علىٰ حين جاءت الآيات القرآنية في وصايا العصرين الأموي والعباسي؛ تصريحًا حينًا، وتضمينًا حينًا آخر.

وقد سار الاستشهاد بالآيات في ذينك العصرين إلىٰ جانب الاستشهاد بأحاديث النبي ﷺ، إنْ تصريحًا، وإن إدراجًا.

---

(١) انظر: الوصايا: ٨١، ١٠٠، ١١٧، ١٣٠، ١٣٥.

(٢) انظر: الوصايا: ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٩٠، ٩٢.

(٣) انظر: الوصية: ٨٢.

ب - المصدر التاريخي:

لا يكاد الباحث في وصايا العصر الجاهلي يقف علىٰ إشارات تاريخية استشهد بها الموصون في وصاياهم، أو اتكؤوا عليها في منطلقاتهم في أحاديثهم، سوىٰ ما أشار إليه عبد المطلب بن هاشم في معرض تحذيره بنيه من البغي حين قال: (ولا رأيت أحدًا بقي علىٰ البغي إلا إخوتكم من بني عبد شمس)[١].

وبموازاة ذلك يجد الباحث -أحيانًا- أن هناك تكرارًا في موضوعات جزئية في الوصايا، وبالعبارة نفسها أو مقاربة جدًّا لها، وهو ما يعطي إمكانية القول باستفادة بعض الموصين من تراث الوصايا ممن سبقهم، ولا سيَّما وهي أدبيات متوارثة تتوافق مع البيئة الاجتماعية والسياسية لذلك العصر، فتميم بن مرٍّ يقول -ضمن وصيته لبنيه-: (وعليكم بالمسألة فإن است المسؤول أضيق)[٢]، وهي بنصها ما قاله -قبلًا- أسدُ بن خزيمة في وصيته لبنيه.

والحارث بن كعب في معرض دعوته بنيه إلىٰ التعاضد والاجتماع يقول في وصيته: (الضغائن تدعو إلىٰ التباين)[٣]، وهو معنىٰ سبقه إلىٰ التحذير منه سعد العشيرة في وصيته لبنيه حين قال: (ودعوا الضغائن فإنها تدعو إلىٰ التباين)[٤].

ويحذر أسلم بن أفصىٰ الخزاعي بنيه، من الفجور، ويبيِّن لهم سوء عاقبته بقوله[٥]: (وإياكم والفجور بِحُرَم الأقوام، فإنه قلَّما انتهك رجلٌ حرمة إلا ابتلي في

---

(١) الوصية: ٤٦.

(٢) الوصية: ٢١. وانظر: التعليق عليها.

(٣) الوصية: ٢٦.

(٤) الوصية: ٣٥.

(٥) الوصية: ١.

حرمته)، وبعد زمن طويل يأتي عمرو بن كلثوم ليعيد المعنىٰ نفسه في وصيته لبنيه، ويزيد عليه فيقول: (ولا خير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه، وقلَّ من انتهك حرمة لغيره إلا انتهك منه حرمته)[1].

وقد يرىٰ باحث ما أنه لا يلزم معرفة صاحب الوصية المتأخر بوصية المتقدم، وأن تلك قيم مهمة يُتداول الحديث عنها بكثرة، وقد يكون ذلك صحيحًا، لكنَّ تقارب الأسلوب -إلىٰ حد التطابق أحيانًا- يجعل فرصة المعرفة والسماع جدَّ ممكنة، ولا سيَّما أنها قيم معتبرة مقيدة بنصوص تحفظ، لأنها تلقىٰ عناية كبيرة من لدن الأبناء، ويمكن أن يُستثنىٰ من ذلك إذا ما كانت الوصية نفسها تتردد نسبتُها بين شخصين أو أكثر.

وفي عصر صدر الإسلام يبدو أن قربَ الموصين من عهد النبي ﷺ وارتباطَهم القوي بشخصه وحبَّهم العميقَ له، كان وراء الصبغة الحديثية علىٰ أغلب الوصايا، ولا يكاد الباحث يجد ذكرًا لبعض الموروث المعرفي سوىٰ ما ورد لدىٰ الزبرقان بن بدر، بما كان يوصي به بناته عند هدائهن: (كوني له أمة يكُن لك عبدًا)[2]، وهي جملة تمثل جزءًا من وصية أمامة بنت الحارث، التي عاشت في العصر الجاهلي، وما ورد لدىٰ العباس بن عبد المطلب في عَتْبِهِ علىٰ ولده، بسبب نومة الضحىٰ، حين قال له: (أوَما سمعت ما قالت العرب: إنها مكسلة مهزلة منساة للحاجة)[3]. كما أن وصيته لابنه التي قال فيها: (يا بني تعلَّم العلم، ولا تعلَّم لترائي به، ولا لتباهي)[4] مما أثر عن لقمان[5].

---

(١) الوصية: ٤٨.

(٢) الوصية: ٧٠.

(٣) الوصية: ٨٢.

(٤) الوصية: ٨٤.

(٥) انظر: الزهد والرقائق لابن المبارك ٢/ ٧٠٨، وحلية الأولياء ٦/ ٦٢-٦٣.

وفي ذلك العصر ليس ثمة إشارات أو استشهادات تاريخية، وهو ما ينسحب أيضًا علىٰ وصايا العصرين الأموي والعباسي. علىٰ حين تتضح الثقافة الأدبية عبر كثرة الاستشهادات الشعرية، والأمثال، والإفادة من وصايا سابقة.

وتمثل وصية عبد الله بن شداد ثقافة أدبية غزيرة، إذ استشهد فيها بشعر اثني عشر شاعرًا، منهم الجاهلي والمخضرم والإسلامي والأموي، وبلغ عدد ما استشهد به من الأبيات ستة وأربعين بيتًا[1]، واستشهد عبد الملك بن مروان بأبيات عبد الإله ابن عبد الأعلىٰ الشيباني، وهي ستة أبيات تتضمن المعاني ذاتها التي أوصىٰ بها عبد الملك بنيه[2]، وكأنه أراد تأكيدها بذلك الاستشهاد. وبدا عبد الملك بن مروان بين يدي بنيه في موقف الناقد وهو يقول: (فما يبالي رجل منكم ما قيل فيه من الهجو بعد قول الأعشىٰ:

تبيتون في المشتىٰ ملاءً بطونُكم ... وجاراتكم غرثىٰ يَبِتْنَ خمائصا

وما يبالي قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير:

علىٰ مكثريهم حقٌّ من يعتريهم ... وعند المقلِّين السماحة والبذل[3]

وقيس بن عاصم ختم وصيته بسبعة أبيات من إنشائه[4]، وقد استشهد بها عبد الملك بن مروان فيما بعد، عند وفاته، ناسبًا إياها -كما سبق- إلىٰ عبد الله بن عبد الأعلىٰ، ولعلهما قصيدتان متداخلتان، كما نُحِلَتْ أبياتُ قيسٍ سابقًا البربري[5].

---

(١) الوصية: ٢٠٤.
(٢) الوصية: ٢١٣.
(٣) الوصية: ٢٢٤.
(٤) الوصية: ٢٧٠.
(٥) انظر: التعليق عليها في نهاية الوصية السابقة.

ويلمح الباحث في بعض الوصايا الاتكاء علىٰ حِكم ووصايا سابقة، فمثلًا من يطالع وصية قيس بن عاصم ويقف منها علىٰ قوله عن الجلوس عند السلطان: (واجعل بينك وبينه مجلسَ رجلٍ أو رجلين، فإنه عسىٰ أن يأتي من هو أولىٰ بذلك المجلس منك فتقام له، فيكون قيامك زيادة له ونقصانًا عليك)[1]، ثم يطَّلع علىٰ ما أورده كعب الأحبار من حكمة لقمان، يتراءىٰ له تأثر اللاحق بالسابق، ووصية قيس اعتذر بها الأحنف من معاوية حين جلس علىٰ الأرض، وترك الوسادَ الذي أشار معاوية له بالجلوس عليه[2].

وما دام الحديث موصولًا بقيس بن عاصم فتجدر الإشارة إلىٰ اقتفائه أثر أكثم بن صيفي -وكلاهما تميمي- في التمثيل العملي لأبنائه لأثر الاجتماع وارتباطه بالقوة، عن طريق عرض السهام وطلب كسرها مجتمعة ومتفرقة[3]، وقد اقتفىٰ أثر قيس في ذلك، من بعدُ، عبد الملك بن مروان[4]، ولزياد بن أبي سفيان وصية قال لابنه فيها: (عليك بالحجاب، فإنما تجرأت الرعاة علىٰ السباع بكثرة نظرها إليها)[5].

وقريب منه جدًّا قول ابن شبرمة لابنه: (يا بني لا تُمَكِّن الناس من نفسك، فإن أجرأ الناس علىٰ السباع أكثرهم لها معاينة)[6]، كما ورد عن ابن شبرمة قوله لابنه: (يا بني إياك وطول المجالسة، فإن الأُسْدَ إنما يجترئ عليها من أدام النظر إليها)[7]. وقد علَّق ابن عبد البر علىٰ الوصية الأخيرة بقوله: (وهذا عندي مأخوذ من قول أردشير لابنه: يا بني لا تمكن الناس من نفسك فإن أجرأ الناس علىٰ السباع أكثرهم

---

(١) الوصية: ٢٧٤.

(٢) انظر: التعليق علىٰ الوصية: عند توثيقها.

(٣) انظر: الوصيتين: ٥، ٢٧٠.

(٤) انظر: التعازي والمراثي ١٢٥.

(٥) الوصية: ١٧٣.

(٦) الوصية: ٣٩٠.

(٧) الوصية: ٣٩١.

لها معاينة)[1]، وهو بذلك يؤكد التناص بين الوصيتين.

وإذا كان مروان بن الحكم قد ضمَّن وصيته مثلًا مشهورًا، افتتحها به، وهو: أرسل حكيمًا ولا توصه[2]، فإن مثل تلك التضمينات تتسع دائرتها في وصية الخطاب ابن المعلىٰ، لتشمل -إلىٰ جانب الحكم- مجموعةً من الأمثال؛ منها: الرغبةُ تَدُقُّ الرقبة، وهو كلام قاله خالد بن صفوان لأعرابيٍّ، في خبرٍ له، فسار مثلًا[3]، ومنها: رُبَّ أكلةٍ تمنعُ أكلاتٍ، وهو مثل قاله عامر بن الظرب العدواني[4]. ومنها: إنما المرء بأصغريه، والمثل لشِقَّة بن ضمرة التميمي قاله للمنذر بن ماء السماء[5].

وهذه الاستشهادات تجسِّد تأثر الموصين اللاحقين بالموروث الثقافي لمن سبقوهم، في حقبة زمنية امتدت من العصر الجاهلي إلىٰ العصر العباسي.

أما وصية كل من عبد الملك بن صالح[6] وجعفر الصادق[7] فيبدو دورُ صاحبيهما في الرَّصفِ بين جملة من الحكم، والأمثال، وبعض الأحاديث، والمأثور عن السابقين.

ولولا أن روحَ الجاحظ تفضح وجودَها في وصية أبي عبد الرحمن الثوري[8] لكانت نموذجًا للمزيج الثقافي الديني والأدبي والاجتماعي والتاريخي لصاحبها، لكن يحس الباحث أن الجاحظ إن لم يكُن هو المنشئَ الأصليَّ للوصية فقد غابت شخصيةُ صاحبها وراء تصرُّف أبي عثمان فيها.

---

(١) بهجة المجالس ١/ ٤٩.
(٢) انظر: الوصية: ٢٨٣.
(٣) انظر: مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٦.
(٤) انظر: التعليق عليه في موضعه من الوصية.
(٥) انظر: التعليق عليه في موضعه من الوصية.
(٦) انظر: الوصية: ٣٩٦.
(٧) انظر: الوصية: ٣٥٢.
(٨) انظر: الوصية: ٣٤٨.

ج - الأعراف والتقاليد:

تمثل الأعراف الاجتماعية والتقاليد -بحدِّيَّتها وصرامتها- وسيلةَ استمرار القيم أحيانًا، إذ يكون الإنسان مضطرًا لمراعاتها خوف نظرة المجتمع السلبية له؛ سواء أكان يهفو لتحقيق تطلعات معينة، أم يخشىٰ أن تطارده النظرات، وتلوكه الألسن، لذا يدعو أبجر بن جابر العجلي، ابنه حجارًا إلىٰ الحذر من منازعة البواب، حين يستأذنه في الدخول علىٰ السلطان، إذ ربما أطلق عليه لقبًا يتناقله الناس، ثم يرتبط به أكثر من اسمه، يقول: (وإذا حضرت باب السلطان فلا تنازعنَّ بوابَه، فإن أيسر ما يلقاك منه أن يُعْلِقَك اسمًا يسبك به الناس)[1]. فالناس، أو الرأي العام -حسب الاصطلاح المعاصر- لا بدَّ من مراعاة أعرافهم، والأخذ بما هو شائع معروف بينهم، وحين يخالف الإنسان ذلك تتراجع نظرتهم إليه، فيعود بالمذمَّة والنقص، يقول أبجر في وصيته السابقة: (وإياك والسآمة في طلب الأمور، فإنك إن سئمت قذفتك الرجال خلف أعقابها).

كما يأمر جابر بن مالك الكلبي بنيه بالتباعد ممن قد ينبِّش المعايب، ويكشف السوءات، فيكون ذلك سببًا في ذيوعها، يقول: (أوصيكم برهبة الله... والمباعدة لأهل الغدر، وأهل الذكر للمعاير)[2].

والخشية من مسبة الناس تظل -دائمًا- أمام ناظري الأب وهو يوجِّه بنيه، فقيس بن معدي كرب الكندي يحث بنيه علىٰ اكتساب المال لأنه (يسوِّد غير السيِّد ويؤيد غير الأيِّد)، ويؤكد لهم ضرورة الإنفاق، وتلمس حاجات الناس، والأقربين خاصة، وينبههم إلىٰ مغبَّةِ الإمساك، وكيف يحط من قيمة الإنسان مهما كانت منزلته ونسبه،

---

(١) الوصية: ١٤٢.

(٢) الوصية: ٢٢.

حين ينقلب الناس من عنده بالخيبة فيظلون يلوكون سيرته، ويبحثون فيها عن مثلبة وعيب، يقول: (ومن اكتسب مالًا فلم يصل به رحمًا، ولم يعط منه سائلًا... فإن كان مدخولًا هَرَتُوه، وإن لم يكُن مدخولًا ألزموه دَنِيَّة، وأكسبوه عِرْقًا لئيمًا حتىٰ يُهَجِّنُوه)[١].

والمعنىٰ نفسه سبق إليه أكثم بن صيفي حين قال: (ومن جعل ماله دون عرضه استهدف للذم)[٢]، ويحذر في السياق ذاته من رمي الناس بالقبيح وإذاعة عيوبهم والتشهير بهم وفضحهم، لأنهم سيقابلون ذلك بمثله، يقول في الوصية نفسها: (ومن سَمَّع سُمِّع به). وحين يحدث ذلك فإنه سيكون ذا أثر بالغ علىٰ سمعة الإنسان، ما يجعل العاقل يكفُّ عن الشتم حفاظًا علىٰ عرضه، وذلك ما نبَّه عليه عمرو بن كلثوم بنيه حين قال: (ومن سبَّ يُسَبُّ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم)[٣].

ويعرض زهير بن جناب[٤] إلىٰ جانب آخر يتصل بالنيل من الآخرين، إذ يشير إلىٰ أن الإنسان وإن لم يقابل بردٍّ ممن نال منه فقد تصيبه عقوبة إلهية، يقول لبنيه (فإنه –والله– ما سخر امرؤ قط إلا ابتلي)، علىٰ حين يُذَكِّر رياح بن ربيعة بنيه –وهو يأمرهم أن يسوِّدوا أعقلهم– (أن التغافل فعل الكرام، والصمت جماع الحلم)[٥]، فليس من الحكمة في حق السيِّد العاقل أن يلتقط كل كلمة ويردَّ عليها أو يعاقب بها، فقد يكون ذلك سببًا في نفرة الناس منه، وكراهيتهم له، مع أهمية أن يجتمعوا حوله، ويصدروا عنه، ويرضوا قوله.

(١) الوصية: ٥٤.
(٢) الوصية: ٣.
(٣) الوصية: ٤٨.
(٤) الوصية: ٣٣.
(٥) الوصية: ٣١.

والشريف يفترض فيه أن يكون أكثر مَلْكًا لنفسه وغلبة لهواه، وبذلك يظل نظيف الثياب، طاهر الأدران، أبيض السيرة، يعرف الناس ذلك منه، فيكون ذلك أدعىٰ لتشريفهم إياه، ولذا يؤكد زرارة بن عدس لبنيه عدم قربه من الخنا، بقوله: (ولا ضمَّني وعاهرةً سقفُ بيتٍ قط)[1]. وفي المسلك ذاته يشير الحارث بن كعب إلىٰ أنه لم تكتحل عيناه برؤية وجه مومس قط، فيقول: (ولا طرحت عندي مومسةٌ قناعها)[2]، إذ إن عفافَه، الذي يمثل خيطًا مهمًّا في نسيج شرفه، قد زرع هيبة في صدور ذوات الخنا، امتنعن معه من مجرد كشف وجوههن بحضرته.

ولقد أصبح من المتعارف عليه النتائج الوخيمة للبغي، والأثر السيئ علىٰ الباغي، فقد جاء كثير من وصايا الآباء منبهة علىٰ عدم التهاون في الاجتراء علىٰ البغي، فهو -كما يقول صيفي بن رباح التميمي-: (أسرع الجرم عقوبة البغي)[3]، ويؤكد هذا المعنىٰ عبد المطلب بن هاشم لبنيه مؤكدًا ذلك بالقسم، وبالأحداث التاريخية: (إياكم والبغي، فوالله ما خلق الله -عز وجل- شيئًا أعجل عقوبة من البغي، ولا رأيت أحدًا بقي علىٰ البغي إلا إخوتكم من بني عبد شمس)[4].

ويشير طيئ بن أدد -في سبيل تحذير أبنائه من البغي- إلىٰ أنه أمارةٌ علىٰ قرب الهلاك، ضاربًا لهم مثلًا محسوسًا من البيئة، يقول: (فإن الله إذا أراد إهلاك النملة أنبت لها جناحين!)[5]، ويوجِّه مالك بن عمرو الكلبي بنيه إلىٰ سبب مهمٍّ في تكثير الأتباع حين يقول: (واستكثروا من الإبل يكثر تبعكم)[6].

---

(١) الوصية: ٣٢.

(٢) الوصية: ٢٦.

(٣) الوصية: ٤٠.

(٤) الوصية: ٤٦.

(٥) الوصية: ٤٢.

(٦) الوصية: ٥٥.

وحين حضرت الوفاة مالك بن المنذر البجلي -وكان قد أصاب دمًا جعله يلحق ببني هلال بن عامر- أوصىٰ بنيه أن يلحقوا بقومهم، ولم ينسَ أن يضع بين أيديهم أنسب الأوقات لظعنهم، إذ تعارف العرب علىٰ عدم الحرب في شهر رجب، حتىٰ لا يكاد يُسمع صوتُ السلاح، ما جعلهم يعدون الشهر لذلك أصمَّ، يقول: (وأظعنوا في الشهر الأصم تبلغوا دار قومكم آمنين)[1].

ولعل الإشارة إلىٰ التقاليد والأعراف في الوصايا أوضح ما تكون في شأن النساء مما سأذكره بتوسع في الدراسة في موضوع الوصايا الأسرية -إن شاء الله-.

وإذا كان ما مضىٰ يمثل في معظمه التقاليد والمواضعات في الجاهلية، فإن أول ما يلفت النظر في الأعراف والتقاليد في عصر صدر الإسلام أثر الجانب الديني فيها. فإذا كان الرسول ﷺ قد حث علىٰ الرمي بقوله: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا)[2]، فقد جعل سعد بن أبي وقاص ﷺ في وصيته لبنيه الرميَ خير لعبهم[3]، وعمر بن الخطاب ﷺ يحث علىٰ تعلم النسب، ولكن لا للتفاخر به، صنع الجاهلية، ولكن حرصًا علىٰ صلة الرحم[4]، وأبو بكر ﷺ يحذر ابنه من منازعة جاره ومخاصمته، إذ يبقىٰ محفوظًا عنه في الدنيا، وعليه في الآخرة[5].

وأنس بن مالك ﷺ وهو يحذر بنيه من السفلة -يصفهم لهم بأنهم من لا يخافون الله، عز وجل[6]، وعبد الله بن مسعود ﷺ يدعو أبناءه إلىٰ القيلولة، مشيرًا إلىٰ (أن الشياطين لا تقيل)[7].

---

(١) الوصية: ٥٦.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري) ٦/ ٩١ ح٢٨٩٩.

(٣) الوصية: ٧٩.

(٤) الوصية: ١٢١.

(٥) الوصية: ٨٥.

(٦) الوصية: ٦٨.

(٧) الوصية: ٩٢.

ومن الأمور، التي بقي الاحتفال بها في هذا العصر، العناية باختيار المرأة زوجةً، فيوجِّه غيلان بن سلمة بنيه إلىٰ اختيار البيوت الشريفة عند الرغبة في الزواج، يقول: (عليكم ببيوتات العرب فإنها معارج الكرم)[1]، ويؤكد ذلك عثمان بن أبي العاص الثقفي حين يشير -في وصيته لبنيه- إلىٰ أن (الناكح مغترس، فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه)، مؤكدًا أن (العرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين)[2]، وحين لحظ الزبير بن العوام ﷺ مشابهة كلام ولده عبد الله -حين تكلم- بكلام أبي بكرٍ جدِّه لأمه، أكَّد له، بذلك، قيمةَ اختيار الزوجة، واضعًا بين يديه سبيل الاختيار: (انظر إلىٰ من تزوج، فإن المرأة من أخيها، من أبيها)[3].

وفي العصر الأموي يبرز في بعض الوصايا -كما في العصر الجاهلي- التنبيهُ إلىٰ التعامل مع الناس، والحذر من الزلل أو الوقوع في مزالق اللسان التي تحطُّ من قدر الإنسان، فالناس يمثلون رقابة اجتماعية صارمة، ينبغي أخذها في الحسبان والتهيؤ لها، يقول أبو الأسود لابنه: (يا بني إذا جلست في قوم فلا تتكلم بما هو فوقك فيمقتوك، ولا بما هو دونك فيزدروك)[4]. ويحذر المهلب بنيه من أي صورة من صور القرب من أهل الفساد، حتىٰ لا يتسرب إليهم شيء من سلوكهم، ولا يحكم عليهم الناس من طريقهم، يقول: (ولا تقاعدوا أهل الدعارة والريبة، ولا تخالطوهم، ولا يطمعنَّ في ذلك منكم)[5].

ويصرح بذلك عبد الله بن شداد في وصية لابنه: (واخلط نفسك مع الأخيار،

---

(١) الوصية: ١٣١.
(٢) الوصية: ٩٤.
(٣) الوصية: ٧١.
(٤) الوصية: ١٥٣. وانظر: وصية أبجر العجلي، التي صدرت بها هذه الفقرة من البحث.
(٥) الوصية: ٣٢٠.

وطهرها من الفجار، فالمرء يعرف بقرينه)[1]. ويأمر إياس بن معاوية بنيه بالتثبت فيمن يؤاخونه (فإن التحوَّل عن الإخاء شديد)[2].

ولأن طبيعة الناس بعامة نقل الكلام وتداوله والزيادة فيه، وتعمد إشاعة الأقاويل المغرضة، فإن معاوية يحذر ابنه يزيد من أن يترك للناس، بسبب سلوكه، مجالًا للوقوع فيه، ونقل الحديث عنه، بل يؤكد له أن يكون قدوة في التعامل، يقول: (وأصلح نفسك يصلح لك الناس، لا تدع لهم منك مقالًا، فإن الناس نزَّاع إلىٰ الشر)[3].

والشرف الحقيقي لا يحصل إلا بالاحتمال، وبذل المال، ولولا تلك التبعات لكان الناس كلُّهم أشرافًا، ولذا فمن تبوأ منزلة عالية فليستعدَّ لتلبية حاجات الناس، يقول خالد بن عبد الله القسري لبنيه: (يا بني إنكم قد شرفتم، وقمن أن تطلب إليكم الحوائج)[4]، ويحاول سعيد بن العاص، توطين أبنائه علىٰ تحمل كلفة الشرف وتبعته، لافتًا أنظارهم إلىٰ فضل المكارم في الدنيا، وثوابها في الآخرة، يقول: (يا بني إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللئام، ولكنها كريهة مرَّة، لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها، ورجا ثوابها)[5].

ومن مناسبة وصية سليمان بن عبد الملك لبنيه يتضح عظم منزلة العالم، وعلو مكانته، ممثلًا بعطاء بن أبي رباح، الذي وإن افتقد جمالَ الوجه، وعراقةَ النسب، وكثرة المال، فعلمه يُحِلُّه، من عيون الناس، منزلةً عاليةً لا يأبه معها بالخليفة وهو

(١) الوصية: ٢٠٤.

(٢) وصية ١٦٣.

(٣) الوصية: ٢٩٤.

(٤) الوصية: ١٦٩.

(٥) الوصية: ١٨٥.

يقف عليه مستفتيًا هو وأبناؤه، لأن حبل الحديث كان موصولًا بينه وبين مستفتين آخرين، كانوا يقفون عليه قبل وصول الخليفة فلم يشأ قطعه، لأن صلته بربه، وتعلُّقه بثواب الآخرة لا يشوبه أرَبٌ دنيوي، يقول سليمان حاثًّا بنيه علىٰ طلب العلم -ومرارة ذلك الموقف لا تزال تتردد في حلقه وتصبغ كلماته-: (يا بني لا تَنِيَا في طلب العلم فإني لا أنسىٰ ذلَّنا بين يدي هذا العبد الأسود)![1].

وإذا كان ثمة عُرْفٌ جاهلي يمثِّله عامر بن الظرب العدواني -وهو أحد حكام العرب- بقوله لزوجته: (يا هذه (!) مري ابنتك.. وإياك ووصيتك فإنه لا وصية لك)[2]! فإن أسماء بن خارجة الفزاري، في ظل الإسلام، يقلب هذا المفهوم في عدة وصايا؛ يقول في الأولىٰ: (يا بنية، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة، فعليك...)[3]، ويقول في ثانية: (قد كانت والدتك أحقَّ بتأديبك مني لو كانت باقية، وأما الآن فإني أحقُّ بتأديبك من غيري)[4]. ويقول في وصية ثالثة: (يا بنية كان النساء أحقَّ بأدبك، ولا بد لي من تأديبك)[5].

وأما اختيار الكفء في الزواج فهو تقليد مستمر يصل فيه الحال عند سعيد بن العاص في بناته إلىٰ أن تكون (بيوتهن قبورهن إلا من الأكفاء)[6]، أما مهورهن -في مقابل ذلك- فلا يلتفت إليها، إذ يوجِّه سعيد بن العاص ابنه بقوله: (لا تزوج بناتي إلا من الأكفاء ولو بفِلَقِ خبز الشعير)[7].

---

(١) الوصية: ١٩١.
(٢) الوصية: ٤٤.
(٣) الوصية: ١٤٩.
(٤) الوصية: ١٥٠.
(٥) الوصية: ١٥١.
(٦) الوصية: ١٨٣.
(٧) الوصية: ١٨٠.

وإذا كان هذا الأمر تجاه عامة الناس فإن التحفُّظ من السفهاء أولىٰ، والبعد عما يطمعهم في الشخص أحرىٰ: (وإياك وأحاديث الرؤيا، فإنك إن أظهرت عجبًا بشيء منها طمع فيك السفهاء، فولَّدوا لك الأحلام، واغتمزوا في عقلك).

ويضع الخطاب بن المعلىٰ قدمه علىٰ الطريق ذاته الذي سار فيه بعض الموصين من قبل فيما يتصل بكفِّ السرِّ عن المرأة، لكنه يخص ذلك بعدم إطلاعها علىٰ ما لدىٰ الإنسان من مال، ويشمل معها الأبناء لأنهم -كما يقول-: (إن رأوه قليلًا هنت عليهم، وإن كان كثيرًا لم تبلغ به رضاهم). ليس هذا فحسب، بل يوجز له رؤية من حوله له بنوع تعامله معهم، والرؤية المجتمعية للعلاقة بالزوجة، فيقول: (ولا تهازل في حاجتك أمتَك ولا عبدَك، فيسقط وقارُك من قلوبهم... وطاعة النساء تزري بالعقلاء)، وهذا الجزء من الوصية، يذكِّر بعضُه بوصية مشابهة لمعاوية[١].

ويمكن ختام هذه الفقرة بالإشارة إلىٰ أن وصية الأب للابن أو الأبناء كانت نوعًا من المواضعة الاجتماعية، خاصة عند حضور المنية.

د - التجربة الشخصية:

للتجارب الشخصية أثر كبير في حنكة الموصين، وصقل مواهبهم، وإثراء معرفتهم بجوانب الحياة، وأحوال الناس، وبعض الموصين يستدعون تجاربهم في سياق وصاياهم، لما لها من أثرٍ في تلقِّي الوصية من قِبَل الموصىٰ.

والإشارة إلىٰ التجارب الشخصية قد تأتي مجملة عامة، تؤكد أثرها في الإنسان كما في قول أكثم بن صيفي في وصيته لبنيه: (يا بني إن الدهر قد أدبني، وقد أحببت أن أؤدبكم وأزودكم أمرًا يكون لكم من بعدي)[٢]، فالدهر كان له في منزلة المقوِّم

---

(١) انظر: الوصية: ٣١٥.

(٢) الوصية: ٧.

لأَوَدِه، المعاقب على الخطأ، وهو، بعد التجربة الطويلة، يحلُّ من أبنائه محل الدهر، ليختصر عليهم الطريق، فيبدؤون من حيث انتهى، ويجعلون ما يسمعونه من أبيهم زادًا لهم في طريق الحياة.

وعمرو بن كلثوم يشير، في وصيته لبنيه، إلى أن الدهر عركه بالتجارب حتى صار حكيمًا، جديرًا بأسلوب مواجهة الحياة، يقول: (وأحكمتني التجارب، والأمور تجربة واختبار)[1].

وعبد الله بن شداد -في العصر الأموي في معرض وصيته لابنه- يشير إلى أنه جمع له تلك الوصايا بمروره بالتجارب، التي سيختصر بها على ولده طريق النجاح، يقول: (يا بني قد جمعت لك مصالح نفسك، فاستفتح الله بمسامع عقلك، وتفهَّم ما وصفت لك بالتجارب تحزْ صلاح العواقب)[2].

وقد يشير الأب في وصيته لبنيه إلى التزامه الأخلاقي الأمثل، ونهجه السلوكي الأفضل، الذي سار عليه طول حياته، والذي بسببه نال وجاهة بين الناس، وتقديرًا منهم، حاضًا أولاده على احتذاء سيرته، كما في وصية حاتم الطائي لابنه: (يا بني أعهدك من نفسي ثلاثًا: ما خالفت إلى جارة لسوء قط، ولا أوتمنت على أمانة قط إلا أديتها، ولا أتى أحدًا من قبلي سوء)[3]، وقد سبقت شواهد أخرى لذلك من الموصين الجاهليين في موضوع: دوافع الوصايا ونوازعها.

وتتسع مساحة هذا النمط من عرض التجارب الشخصية المتصلة بالتزام مسار سلوكي راقٍ، وتشمل المساحة الزمنية للبحث، يقول عثمان بن أبي العاص: (وإني

(١) الوصية: ٤٨.
(٢) الوصية: ٢٠٤.
(٣) الوصية: ٢٣.

والله ما جلست إلىٰ رجل من ثقيف أشتم عرضه)[1]. ويقول سعيد بن العاص لابنه: (يا بني ما شاتمت رجلًا مذ كنت رجلًا، ولا زاحمت ركبتاي ركبته)[2]، ويقول عبيد الله بن المهاجر المخزومي -وهو يدعو أبناءه إلىٰ التزام الصدق-: (والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن)[3]، ويردف بدعوتهم إلىٰ سلامة الصدر للمسلمين، ويرسم لهم سلوكه في ذلك: (فوالله لقد رأيتني وإني لأخرج من بابي وما ألقىٰ مسلمًا إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي، أفترون أني أحب لنفسي إلا خيرًا؟!).

وقد ينبه الأب الابن في وصيته إلىٰ جانب معين، أو يدفعه إلىٰ أمرٍ، فيعرض تجربته شاهدًا علىٰ أهمية ما يوجِّهه إليه. قال عمرو بن العاص: (انظر حاجبَك فإنه لحمك ودمك، فلقد رأيتنا بصفين وقد أشرع قوم رماحهم في وجوهنا ما لنا ذنب إليهم إلا الحجاب)[4]. ويدفع الخليفة سليمان بن عبد الملك ولديه إلىٰ الاجتهاد في طلب العلم حين يقول: (يا بني لا تَنِيَا في طلب العلم، فإني لا أنسىٰ ذلَّنا بين يدي هذا العبد الأسود!)[5]. وهو يشير إلىٰ قدومهم علىٰ عطاء بن أبي رباح أيام الحج في مِنىٰ للفتيا، وقد انشغل عنهم بعض الوقت، ولم يَأْبَهْ بهم، ويدفع عروة بن الزبير بنيه إلىٰ طلب العلم مشفوعًا بتجربته هو؛ إذ كان صغيرًا لا يُؤْبَهُ به، وهو يتردد علىٰ حلق العلم، فلما كبر توالت عليه أسئلةُ الناس، يقول: (إني كنت صغيرًا لا ينظر إليَّ، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني)[6].

---

(١) الوصية: ٩٤.
(٢) الوصية: ١٨٠.
(٣) الوصية: ٢٣٠.
(٤) الوصية: ١٢٥.
(٥) الوصية: ١٩١.
(٦) الوصية: ٢٢٨.

ويوجه معاوية ابنه يزيد -وهو يولِّيه أمر الأمة- إلىٰ سياسة الناس، ومحاولة استلال سخائمهم بجزيل العطايا، وكيف أنه ولي الأمر والنفوس ممتلئة عليه، فاستطاع أن يتألف الناس بذاك، يقول: (وقد وليتك أمرًا عظيمًا من أمر الأمة، وليس حيٌّ من أحياء العرب إلا وله عندي تِرَةٌ، وقد كنت أشغله عنها بحسن الوفادة وجزيل الرفد، حتىٰ تركت قلوبهم كالطينة المُؤْتَثَّةِ، فلا تخالفنَّ فعلي فيهم)[1].

وأبو جعفر المنصور، وهو يدعو ابنه المهدي إلىٰ الاحتراس واليقظة، يضع بين يديه سيرته في ذلك، يقول: (ولا تنَمْ، فإن أباك لم ينَمْ منذ ولي الخلافة، ولا دخل عينه غمض إلا وهو مستيقظ)[2].

ويروي عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، طرفًا من سيرته الذاتية في سياق دعوة ابنه إلىٰ التواضع، وعدم الافتتان بالنعم التي يعيش فيها، إذ يذكر موقعه بين إخوته، ونظرة والده له، يقول: (ولا تَفْتَتِنْ فيما أنعم الله به عليك، فيما عسيت أن تقرض أباك فيما ليس فيه، إن أباك كان بين ظهراني إخوته عند أبيه، يُفضِّل عليه الكبير، ويُدْنَىٰ دونه الصغير)[3].

وأسماء بن خارجة يذكِّر ابنته، بين يدي زفافها، بما وَجَّهَ إليه أُمَّها، حين دخل بها، يقول: (واعلمي أني القائل لأمك حيث أقول: ...)[4].

وقد يستبدل الموصي بالتجربة المشاهدات التي وقف عليها، والواقع الذي استقرأه في حياته، وقد كانت وسيلته إليها البصر (رأيت) أوسع النوافذ إلىٰ المحسوسات، فأكثم يوجه أبناءه حين الكثرة إلىٰ التباعد حتىٰ لا تنبت بينهم أشجار

(١) الوصية: ٣١٥. المؤتثة: الرطبة اللينة.
(٢) الوصية: ٤٢١.
(٣) الوصية: ٢٥٠.
(٤) الوصية: ١٤٩.

البغض والكراهية، بسبب التكاثر والاحتكاك، ويضع بين أيديهم، شاهدًا لكلامه، منظرًا رآه، يقول: (ولقد رأيت جبلًا مطلًّا تُزَايِلُهُ حجارتُه، ولقد رأيته أملس ما فيه صدع)[1].

ويشير عبد الله بن مصعب الزبيري إلىٰ عوامل إقبال الناس علىٰ الشخص من فيض مشاهداته، فيقول: (يا بني من استغنىٰ عن الناس احتاجوا إليه، فأصلح مالَك، وأقلَّ من مجالسة الناس، فإني قد رأيت رجالًا يُقتبس منهم، ولا جاه يدفعون به عنهم، ولا جود يفضلون به عليهم، استغنوا بأموالهم وجلسوا فأتاهم الناس)[2].

---

(١) الوصية: ٧.

(٢) الوصية: ٣٩٤.

ثانيًا

مقاصد الوصايا وأغراضها

تنوعت مقاصد الوصايا وأغراضها تنوعًا واسعًا، وشملت جوانب مختلفة، وإنْ تفاوت الاحتفاء بها، ما بين جانب وآخر، حسب الاتجاهات العامة لكل عصر من عصور البحث، ويمكن عرض أهم أغراض الوصايا ومقاصدها علىٰ النحو الآتي:

أ - الوصايا الدينية:

مع أن عبادة الأصنام كانت فاشية في العرب في جاهليتهم، والإشراك بالله هو الغالب عليهم، إلا أنه لا يكاد يوجد لذلك ذكر في وصايا الآباء للأبناء، علىٰ حين نرىٰ دعوة للتشبث بالوحدانية تضمنتها وصيتان؛ إحداهما للحارث بن كعب وهو من عرب الجنوب، والأخرىٰ لزرارة بن عدس التميمي وهو من عرب الشمال، يقول الحارث بن كعب: (وإني لعلىٰ دين شعيب النبي ﷺ، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمة، وتميم بن مرٍّ، فاحفظوا وصيتي، وموتوا علىٰ شريعتي)[1].

أما زرارة بن عدس الدارمي التميمي فيخبر بنيه العشرة وبني بنيه، عما كان ينتظره منذ أخبره عنه أحدُ سادة تميم السابقين، وهو يأمر أبناءه وأبناءهم بانتظار ذلك النبي المنتظر، والمسارعة إلىٰ اتباعه، يقول زرارة: (يا بني، قد أدركت سفيان بن مجاشع بن دارم شيخًا كبيرًا محجوبًا، فأخبرني أنه قد حان خروج نبي بمكة من مَعَد، يقال له

---

(١) الوصية: ٢٦.

أحمد عليه السلام[1]، يدعو إلىٰ عبادة الله، فإن أدركتموه فاتبعوه تزدادوا بذلك شرفًا إلىٰ شرفكم، وعزًّا إلىٰ عزكم)[2]. وأمام هذا الأمر تجري تساؤلات عدة: هل حقًّا تجاوز جميع الموصين الإشارة إلىٰ عقيدتهم في عبادة الأصنام؟ وهل أمر الاستعانة بالأصنام من الفشوِّ والانتشار والرسوخ بما لا يحتاج إلىٰ التوصية به؟ وهل الدين في جملته في حياتهم تقاليد لا تقوم أمام قيم النسب والولاء للقبيلة؟

وإذا كان للدين الممزوج بالوثنية قيمة عندهم، فهل حُجبت الوصايا التي تحمل ذلك من الوصول إلينا تأثمًا من قبل الرواة وتحرجًا؟ وهل ما وصل إلينا من الوصايا امتدت إليه يدٌ بالتعديل ليُوافق قيمَ الإسلام؟ ذلك قد يكون له جانب من الصحة، لكن ما يعكِّر قبوله أن القيم الجاهلية السلبية عامة يبدو ظهورها خافتًا في الوصايا، وليس الأمر متصلًا بالعقيدة الوثنية فحسب.

وثمة ثلاث وصايا يحذر أصحابها فيها من مقارفة المعصية:

الأولىٰ: لجدٍّ قديم هو أسلم بن أفصىٰ بن عامر بن قمعة بن إلياس بن مضر، وأبوه أفصىٰ أخو لحي بن قمعة، الذي كان ابن ابنه عمرو بن عامر بن لحي -وكثيرًا ما ينسب لجدِّه- هو أول من غيَّر دينَ إسماعيل عليه السلام، ودعا العرب إلىٰ عبادة الأوثان[3]، يقول أسلم لبنيه: (يا بني اتقوا ربكم في الليل إذا دجا، وفي النهار إذا

---

(١) ورد في المحبر: (المسمَّون بمحمد لما كان يبلغهم أنه يبعث في العرب نبي يقال له محمد... محمد بن سفيان بن مجاشع، وكان سفيان أتىٰ الشام فنزل علىٰ راهب، فأعجبته فصاحته وعقله، فسأله الراهب عن نسبه، فانتسب إلىٰ مضر، فقال له: أما إنه سيبعث في العرب نبي يقال له محمد فسمىٰ سفيان ابنه محمدًا). ومن العجيب أنه ورد في كتاب المفصل في تاريخ العرب ٥/ ٦٩٣: (وورد أن زرارة بن عدس وابنه حاجب بن زرارة -وهما من سادات تميم- كانا قد اعتنقا المجوسية)!

(٢) الوصية: ٣٢.

(٣) انظر: كتاب الأصنام لابن الكلبي ٨، والمنمق لمحمد بن حبيب ٤٠٧.

أضاء، يكفكم كل ما تخافون ويتقىٰ، وإياكم ومعصيته، فإنه ليس لكم وراءه وزر، ولا لكم دونه محتضر)[1].

والثانية: لقصي بن كلاب يقول فيها: (وإياكم والغدر فإنه حوب عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم)[2].

والثالثة: لمالك بن عمرو الكلبي، يقول فيها: (وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم)[3]، وإذا كانت الوصية الأولىٰ قبل عبادة الأصنام، فإنه يبقىٰ تساؤل حول الوصيتين الأخيرتين، إذ كيف يأتي التحذير من المعصية في الثانية، والإشارة إلىٰ عظمها عند الله في الأولىٰ، مع شيوع الشرك؟ وربما أمكن تعليل ذلك ببقاء أصل الإيمان عند العرب، إلا أن تكون تلك الوصايا تعرضت لشيء من التعديل، وينشأ تساؤل أكبر من السابق عندما نطالع، في جملة من الوصايا، الأمر بتقوىٰ الله، منها ما ورد في وصايا سبقت الإشارة إليها، وهي وصايا الحارث بن كعب، وأسلم بن أفصىٰ الخزاعي، وزرارة بن عدس، ومالك بن عمرو الكلبي، ومنها خمس وصايا أخرىٰ لجابر بن مالك الكلبي وسعد العشيرة وشراحيل بن كعب وعمرو بن يزيد الكلبي وهبيرة بن صخر الكلبي، والذي يسترعي النظر ما يلاحظ من تشابهٍ بين بعض هذه الوصايا وبعضها الآخر، في الجمل التي اشتملت علىٰ الأمر بتقوىٰ الله، فمثلًا وصية زرارة بن عدس في هذا الموطن تشبه وصية أسلم بن أفصىٰ الخزاعي، ويمكن المقارنة بين ما مضىٰ من وصية أفصىٰ وبين قول زرارة: (فاتقوا الله في الليل إذا أظلم، وفي النهار إذا انتشر، يكفكم ما أهمكم).

---

(١) الوصية: ١.
(٢) الوصية: ٥٢.
(٣) الوصية: ٥٥.

والوصيتان السابقتان تشبهان في نهايتهما أول وصية الحارث بن كعب -وقد سبقت الإشارة إليها- التي يقول فيها: (إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم، وإياكم ومعصيته، لا يحل بكم الدمار، وتوحش منكم الدار).

كما تأتي وصية سعد العشيرة، وكأنها اختصار للوصيتين السابقتين، في الموضع ذاته، يقول: (يا بني، اتقوا إلهكم بالليل والنهار)[1]. وهذا التشابه قد يعزز وجود بعض التصرف في رحلة نقل النصوص، ولا سيَّما أن بعضها بينه وبين الإسلام عهدٌ بعيد.

وقد بحثت في الشعر الجاهلي عن كلمة (تقوىٰ الله) فلم أعثر عليها إلا لدىٰ شاعرين، إذ وردت في بيت لزهير بن أبي سلمىٰ هو قوله:

بـدا لـيَ أن الله حـقٌّ فـزادني   إلىٰ الحق تقوىٰ الله ما كان باديا

وهذا البيت من قصيدة وردت في شرح ديوان زهير -صنعة ثعلب[2] من رواية حماد-. وفي شعر زهير -صنعة الأعلم الشنتمري[3]-، وقد ورد بين يدي القصيدة نفسها: (وقال الأصمعي: ليست لزهير، ويقال: هي لصرمة الأنصاري، ولا تشبه كلام زهير).

وصرمة بن قيس، نقل ابن حجر[4] عن ابن إسحاق أنه ترهَّب في الجاهلية، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك، فلما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم. ونقل عن المرزباني -وليس هو في المطبوع من معجم الشعراء- أنه عاش نحوًا من عشرين ومئة سنة، وأدرك الإسلام فأسلم وهو شيخ كبير.

(١) الوصية: ٣٥.
(٢) ص٢٨٧.
(٣) ص١٦٧.
(٤) الإصابة ٣/ ٤٢٢-٤٢٣.

كما ورد في شعر الأعشىٰ قوله:

وإن تُقَىٰ الرحمن لا شيء مثله   فصبرًا إذا تلقىٰ السحاقَ الغِراثيا[1]

وقد شكك محقق الديوان، الدكتور محمد محمد حسين، بصحة القصيدة التي منها البيت، لأسباب ذكرها، منها الركاكة والضعف، والتأثر الواضح بآيات القرآن، ومخالفتها ما عرف عن الأعشىٰ من فسق ودعارة، ثم قال: (والقصيدة مروية عن أبي عمرو الشيباني، وهو راوية ثقة، وذلك يضطرنا -مع ما قدمنا من أسباب- إلىٰ افتراض أنهما، هي والقصيدة (١٧)[2] قد صنعهما الشاعر بعد أن بلغه شيءٌ عن مبادئ الإسلام وتعاليمه، وربما كان قد سمع شيئًا من القرآن، قبل أن يرحل إلىٰ النبي ﷺ في القصة المشهورة)[3].

وهذا الذي رأيته في الشعر من ندرة وجود لفظة الأمر بتقوىٰ الله، والشك الذي قوبلت به القصيدتان من حيث صحة نسبتهما، قصيدة زهير قديمًا، وقصيدة الأعشىٰ حديثًا، هو الذي يُقوِّي عندي الميل إلىٰ وجود (تعديل) يمكن أن يكون طال الوصايا، في العصر الجاهلي أو زيادة ألحقت بها، ولا سيَّما قد أصبح الأمر بالتقوىٰ سمة كثير من الخطب والوصايا في الإسلام.

---

(١) ديوانه: ٣٧٩. وفيه: الصبر هنا الكفالة، من قولهم: صبر نفسه به، أي كفله وعاله، وقام بالإنفاق عليه. والسحاق: من الضمور والهزال، والغراث جمع غرثان، وهو الجائع، والمعنىٰ: اتقِ الله فليس كتقواه شيء، وواسِ الجائع الذي أضنته الفاقة.

(٢) هي القصيدة التي ذكر أنه كان قد أعدها ليمدح بها النبي ﷺ، حين قصده، لكنه رضي بإقناع قريش له بالرجوع، بعد أن جمعوا له مئة ناقة، وفي القصيدة قوله:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقىٰ   ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت علىٰ ألا تكون كمثله   وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وهي في الديوان ١٨٧.

(٣) ديوان الأعشىٰ الكبير ٣٧٨.

وحين تشتمل الوصية علىٰ معانٍ دينية من الحث علىٰ العمل الصالح، والتزهيد في الدنيا وتنتسب إلىٰ العصر الجاهلي، فقد يكون الأمر غريبًا، لكن الغرابة تزول حين يكون صاحب الوصية حنيفيًا، قال عنه النبي ﷺ: (إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده)[1] وهو قس بن ساعدة[2].

أما بعد أن منَّ الله علىٰ العرب -والناس كافة- ببعثة محمد ﷺ وقرأ الناس القرآن، واستروَحوا العيش في ظلاله، وتحفَّظوا أحاديث النبي ﷺ، فلا غرو أن أصبحت الدنيا في أيديهم والآخرة في قلوبهم، ولا سيَّما والقرآن الكريم تؤكد آياته هذا المعنىٰ، من مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٤].

يقول علي ﷺ لولده: (كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك)[3].

وينبه عتبة بن أبي سفيان بنيه علىٰ أن يجعلوا المال دون الدين، وألا ينسيهم الانغماس في الدنيا الغاية التي من أجلها خلقوا[4].

وفي ظل الفتنة التي عصفت بالمسلمين في العصور الأولىٰ يحذِّر الأشعث بن قيس بنيه من التورط في ظلم الناس بأخذ أموالهم، أو استباحة دمائهم، لما ينتظر فاعل ذلك من الإثم العظيم، والحساب العسير[5].

وفي العصر العباسي يرسم العتبي لابنه ما يجب أن يكون عليه موقع الدين من خريطة الاهتمام، مشيرًا إلىٰ حقارة الدنيا، مستدلًّا علىٰ ذلك بواقعها مع الناس عصاةً

---

(١) الأغاني ١٥/ ١٩٣، والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٨١.

(٢) انظر: الوصية: ٥١.

(٣) الوصية: ٩٨.

(٤) انظر: الوصية: ٢٣٣.

(٥) انظر: الوصية: ١٦٢.

وتقاةً، يقول: (واجعل دنياك صلة لآخرتك. ولا ترضَ بها عوضًا من الآخرة، فإن الله لم يرضها عقابًا لمن سخط عليه، ولا ثوابًا لمن رضي عنه)[1].

ويعرض الموصون في العصر الجاهلي لأثر المعصية في حياة الإنسان في الدنيا، يقول الحارث بن كعب لبنيه: (لزوم الخطية يعقب البلية)[2]، ويتضح هذا الأمر بصورة أجلىٰ في قول قصي بن كلاب: (وإياكم والغدر فإنه حُوبٌ عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم)[3].

أما في العصور الإسلامية فمن الطبيعي أن تصطبغ الحياة بجميع شؤونها بالدين، فقُرَّة بن إياس يحذِّر ابنه من الجلوس في مجلس ينتهي دون أن يجري علىٰ ألسنة الجالسين فيه ذكر الله، ويصور ذلك بصورة منفِّرة، إذ (كأنما تفرقوا عن جيفة حمار)[4]. وقتيبة بن مسلم يدفع بنيه إلىٰ إدامة شكر الله، (فإن أحق الناس بالزيادة في النعمة أشكرهم لما أُوتي منها)[5]، ولأن استمرار تدفق النعم مرهون باستعمالها فيما يرضي الله، وفي شكره المستديم عليها، فإن عتبة بن أبي سفيان يضع أمام أعين أبنائه هذه الحقيقة، ويوصيهم بالتزامها، يقول: (يا بني، تألَّفوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا المزيد فيها بالشكر عليها)[6]، ويدفع عروة بن الزبير بنيه إلىٰ تعظيم الله بالنظر فيما يتصدقون به، وألا يكونَ ما يهدونه فوق ما يتصدقون به[7].

(١) الوصية: ٣٩٩.
(٢) الوصية: ٢٦.
(٣) الوصية: ٥٢.
(٤) الوصية: ١٣٤.
(٥) الوصية: ٢٦٧.
(٦) الوصية: ٢٣٤.
(٧) الوصية: ٢٣٦.

وزبيد اليامي يحضُّ ابنه علىٰ استحضار نية الاحتساب حتىٰ في أقل الأعمال وأدناها، وهو الخروج (إلىٰ الكناسة في حاجة)[1]. وحين تغيب النية عن العمل يصبح الدين لدىٰ المرء غائمًا، فلا بد في كل عمل من إحسان النية، (فإنه لا دين لمن لا نية له)[2]، وهكذا دعا عبد الله بن شداد ابنه إلىٰ (شكر الله، وحسن النية في السر والعلانية)[3].

وعمر بن الخطاب ﷺ من قبلُ، يحثُّ ابنه علىٰ الحرص علىٰ فعل ما يعمِّق جذور شجرة الإيمان في القلب، فيعدد خصال الإيمان[4].

والأمر بتقوىٰ الله وصية الله للسابقين واللاحقين، يقول الله تعالىٰ: (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)[5]، وقد تردد الأمر بذلك في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، بل أصبح الأمر بتقوىٰ الله شرطًا وركنًا في خطبة الجمعة، لذلك كله لا غرو أن يتضمن الكثير من الوصايا الأمر بتقوىٰ الله، يأمر أحد الموصين ابنه بأن يبدأ أموره بالتقوىٰ، وأن يلتزم طاعته، (فإن التردِّي بهما أجمل لباس، والتحصُّن بهما أمنع حرز، والتشفُّع بهما أكرم وسيلة)[6]. ويأمر عمر ﷺ ابنه بالتقوىٰ ويؤكدها، موضحًا أثرها، (فإنه من اتقىٰ الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده)[7]. ويوجه مروان بن محمد ابنه إلىٰ تقوىٰ الله في الغيب

---

(١) الوصية: ١٧٠.
(٢) الوصية: ١٩٩.
(٣) الوصية: ٢٠٤.
(٤) انظر: الوصية: ١٢٣.
(٥) سورة النساء ١٣١.
(٦) الوصية: ١٢٥.
(٧) الوصية: ١١٩.

والشهادة، مستشهدًا بالقرآن على قرب المتلبِّس بذلك من الله[1].

ويمضي الأمر بالتقوىٰ إلىٰ جانب حثِّ الابن علىٰ الانكفاف عن الناس، ولزوم البيت، والانشغال بالعبادة[2]، وعلىٰ أنها أوثق سبب بين العبد وربه[3]، ومقرونة بأداء الشعائر[4]، ومقرونة بالزهد في الدنيا، وعدم الأسف علىٰ ما زُوي منها عن الإنسان[5].

وفي العصر الأموي ينبِّه معاوية ابنه علىٰ أن التقوىٰ شرط أساس لوقاية الله الإنسان وحمايته[6]، ويقرن المهلب بن أبي صفرة الأمر بالتقوىٰ بالأمر بصلة الرحم، مشيرًا إلىٰ (أن تقوىٰ الله تعقب الجنة)[7]، ويقرن عبد الله بن شداد الأمر بالتقوىٰ بشكر الله علىٰ أنه أولىٰ الأمور بابنه، وعلىٰ أن التقوىٰ خير زاد[8]، ويأمر بها عبد الملك بن مروان علىٰ أنها أزين حلة، وأحصن كهف، وأحرز جنة[9]، ويقرن عبيد الله بن أبي المهاجر التقوىٰ بقراءة القرآن وتعاهده[10].

وفي العصر العباسي يوضح الخطاب بن المعلىٰ لابنه الطريق إلىٰ التقوىٰ وأنه باتباع السنن، ويجلو له أثر ذلك في صحة العيوب وقرة العين، مذكرًا إياه بأنه

---

(١) انظر: الوصية: ٢٨٥.
(٢) انظر: الوصية: ٩٠.
(٣) انظر: الوصية: ٩٦.
(٤) انظر: الوصية: ١١٦.
(٥) انظر: الوصية: ١١٧.
(٦) انظر: الوصية: ٢٩٨.
(٧) الوصية: ٣٢٠.
(٨) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(٩) الوصية: ٢١٣.
(١٠) الوصية: ٢٣٠.

لا تخفىٰ علىٰ الله خافية[1]، ويؤكد طاهر بن الحسين في وصيته لابنه -في سياق توجيهه لإدارة الولاية التي وليها- بقول: (عليك بتقوىٰ الله وحده لا شريك له، وخشيته ومراقبته، ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك)[2]. ويشير أبو طوالة لأبنائه أنهم علىٰ الصدر والنحر ما اتقوا الله، وإن عصوه فيقسم بأنه لن يبالي ما صنع الله بهم[3]، ويجعل عبد الملك بن صالح: (الشرف التقوىٰ)[4]، ويجعل العتبىٰ التقوىٰ سببًا في البركة حين يقول لابنه: (وأنت قليل فاتقِّ تكُن كثيرًا)[5]، ويذكِّر المنصور ابنه أنه حين يتقي الله، فيما يعهد إليه من أمور المسلمين، فسيكون ذلك سببًا في إزالة ما كربه وحزنه[6]، ويؤكد المهدىٰ لابنه التزام تقوىٰ الله تعالىٰ وطاعته، محتملاً سخط الناس فيهما، وإلا يطلب رضاهم بخلافهما[7].

وحيث إن للتديُّن منزلةً عند الناس، وللمتديِّن قبولًا، فثمة من يكتفي من الدين بالمظهر، يبدو فيه بأعين الناس زاهدًا في الدنيا، علىٰ حين قد يكون يخفي وراء ذلك أغراضًا وأطماعًا، فأحد الموصين يوجِّه بنيه إلىٰ إظهار الزهد والتديُّن، معلِّلًا ذلك بفائدته في رؤية الناس لهم، فإن رأىٰ الناس أحدهم (بخيلًا قالوا: مقتصد لا يحب الإسراف، وإن رأوه عييًا قالوا: يكره الكلام فيما لا يعنيه... وإن رأوه جبانًا قالوا: لا يقدم علىٰ الشبهات)[8].

ويرسم وكيع بن أبي سود لبنيه صورة (قوم شمَّروا ثيابهم، وحلقوا شواربهم،

---

(١) الوصية: ٣٦٣.

(٢) الوصية: ٣٨٢.

(٣) انظر: الوصية: ٣٨٥.

(٤) الوصية: ٣٩٦.

(٥) الوصية: ٣٩٨.

(٦) انظر: الوصية: ٤٢١.

(٧) انظر: الوصية: ٤٣٧.

(٨) الوصية: ٤٩٦.

وعفَّروا جباههم)[١]، (وقرَّحوا جباههم، ونشروا لحاهم)[٢] علىٰ أنهم سيأتونهم بعد وفاته للمطالبة بديون لهم قِبَلَه، ووَصْفُه لأولئك فيه إشعار بزهدهم ظاهرًا من جهة، وتصنُّعهم من جهة أخرىٰ، وكأن منظرهم ذاك (شَرَكٌ) يسارع الأبناء في الوقوع فيه، حين يصدقونهم ويوفونهم!

وعبد الله بن المقفع يوصي ابنه بألَّا يعدَّ الناسك المخادع ناسكًا، إذ المظهر لا يكفي ما لم يتجسَّد في السلوك[٣]. فمثل ذلك السلوك قد يكون دافعه الطمعَ، وتحقيقَ مكاسب دنيوية بانخداع الناس بالمظهر، وثقتهم من بَعْدُ بصاحبه. وإذ كان الآباء حريصين علىٰ زرع شجرة الإيمان في قلوب بنيهم، فإنهم يحرصون علىٰ بقائها ندية خضراء، والإفراط في طلب الدنيا، والانغماس في ملذاتها فيه إشغال للنفس عن الآخرة، وفتور وتوانٍ في أداء العبادات. وقد يدفع الإنسانَ رغبتُه في جمع المال، وحرصُه علىٰ سرعة تحصيله إلىٰ تجاوز الحلال إلىٰ الحرام، وأخذ أموال الناس بالباطل. والإنسان قد لا يقدم علىٰ أخذ الحرام أو الوقوع فيه، لكن قد يتسرَّب إليه الحسد، ويمتلئ قلبه بالغيرة، ويتحكم ذلك في سلوكه، ولا غرو حينذاك أن يكون التوجيه إلىٰ الزهد والإيصاء به دواء ناجعًا من قِبَلِ جملة من الآباء، الذين أقبلوا علىٰ الله وعرفوا طريقه، وعركتهم الأيام، وأنضجتهم التجارب، فأبو الدرداء ﷺ ينهىٰ ابنه أن يُتْبِعَ بصرَه كلَّ ما يرىٰ في الناس، مبينًا الأثر السيئ لذلك[٤].

وهو، بنظرته الثاقبة، يتجاوز نظرة العامة الساذجة التي ترىٰ النعمة في تَوَفُّر الجوانب المادية، ويجعل تلك النظرة من السذاجة لدرجة تدل علىٰ (فقر) صاحبها

(١) الوصية: ٣٣٥.
(٢) الوصية: ٣٣٦.
(٣) انظر: الوصية: ٤١٦.
(٤) انظر: الوصية: ١٢٨.

في العلم، ووصيته من جهة ثانية، تمنح توجيهًا رائعًا بقَصْرِ الطَّرْفِ، وعدم التوسع في إطلاقه لئلا تظل تلك عادة للإنسان، ويظل تفكيره، من بعْدُ، محصورًا في مرائيه.

وسعد بن أبي وقاص ﷺ يوجه ابنه توجيهًا جميلًا للوصول إلىٰ درجة الاستغناء، وذلك بارتداء لباس القناعة، فمن قنع بما عنده ملأ عينه، ولم يتعبها بالتطلع إلىٰ ما عند الآخرين، واستجمع قلبه فلم يتشتت بالأطماع، واطمأنت نفسه فلم تحزن، أما من يمتطي ظهر الطمع فإنه سيحتقر ما لديه في جنب ما لدىٰ الناس، فيصبح فقيرًا لدىٰ نفسه، يغمُّها وإن كان ميسورًا في الواقع، وتتشتت نفسه بالتطلع فيطبع حياته الحزن، وينبه ابن مسعود ابنه، مرة أخرىٰ، إلىٰ دواء نفسيٍّ حاسم، إذ يهديه إلىٰ ضرورة استشعار اليأس أمام الأشياء الدنيوية التي يصعب الحصول عليها[1].

وقد حرص جعفر الصادق -رحمه الله- علىٰ تعميق الإيمان بالقضاء والقدر لدىٰ ابنه، متخذًا من ذلك وسيلة للشعور بالغنىٰ، مشيرًا إلىٰ أنَّ (من مدَّ عينيه إلىٰ ما في يد غيره مات فقيرًا، ومن لم يرضَ بما قسم الله له اتهم الله في قضائه)[2]، وهو في الجملة الأخيرة يشير إلىٰ أن من وقع في ذلك الخطأ فإن مردَّه إلىٰ الله، وربما عاقبه، فخسر ما يتطلع إليه في الدنيا، ولم تسلم له آخرته، كما يثير في النفس إيمانها فهو أقوىٰ الأسباب -حين يَصِحُّ- فهو الذي يكبح جماح الإنسان ويقصر خطوه نحو التقحُّمِ فيما يفسد لذته في الدنيا، ويُعْطِبُه في الآخرة.

وإذا كان هذا هو أثرَ الإيمان بالقضاء والقدر فليس غريبًا أن يجعل له عبادةُ بن الصامت، رضي الله عنه، منزلةً جدًّ عالية في الدين والعلم، تجعل ابنه يستشعر أهمية ذلك ويبادر بالسؤال المغموس بالشفقة والحرص: كيف له أن يعرف أنه متلبس بذلك؟ ويسارع الأب إلىٰ الإجابة، ويشفع ذلك بحديثٍ سمعه من رسول

(١) انظر: الوصيتين: ٧٥، ٧٦.
(٢) الوصية: ٣٥.

الله ﷺ مُنْهِيًا وصيته بتحذير ابنه من دخول النار، إن مات علىٰ غير ذلك[١].

والتذكير بالآخرة توأم التزهيد في الدنيا، فالآخرة هي الأحقُّ بأن يُصْرَفَ لها وجهُ الاهتمام، إذ شمس الدنيا سريعة الغروب، والإنسان غَرَضٌ تستهدفه سهام الأرزاء، وتنتهي حياته -مهما طالت- بالموت، أما الآخرة فنعيم لا ينفد، وقرَّة عين لا تنقطع لمن غفر الله ذنبه ورضي عنه، وبوَّأه الجنة، يقول أعرابي لابنه: (لا يغرنَّك ما ترىٰ من خفض العيش ولين الرياش، ولكن انظر إلىٰ سرعة الظعن وسوء المنقلب)[٢]. ويقول آخر: (يا بني، إن الدنيا تسعىٰ علىٰ من يسعىٰ لها، فالهرب قبل العطب، فقد آذنتك ببينٍ، وانطوت لك علىٰ حَين)[٣].

وإذا كان الآباء الموصون يدفعون أبناءهم إلىٰ إيثار الآخرة فإنَّ من أهمِّ ما يمثل الاستعداد لها الاستقامةَ الجادةَ الصادقةَ علىٰ صراط الله، وأبرزُ معالمِ هذا الطريق أداءُ ما افترض الله من الشعائر والفروض، وفي هذا الجانب يحذر مروان بن محمد ابنه من التأخر عن إجابة داعي الله المؤذنِ، وهو يدعو إلىٰ الصلاة، مذكرًا إياه بأن الصلاة لها أوقاتها المؤقتة، التي يُذَكِّرُ بدخولها المؤذن[٤].

ويوصي سعد بن عمارة ابنه بأن يمكِّن الماء في الوضوء من جميع أعضائه متطلبًا في ذلك الكمال، ثم حين يتوجه إلىٰ الله في الصلاة أن يؤدِّيَها وكأنها آخرُ صلاة له في الدنيا، فيكون في غاية الحرص علىٰ كمالها وتمامها، ثم يحفِّزه إلىٰ أن يرتقي في معارج الخير يومًا بعد آخر[٥].

---

(١) انظر: الوصية: ٨١.

(٢) الوصية: ٤٧٤.

(٣) الوصية: ٤٧٧.

(٤) انظر: الوصية: ٢٨٥.

(٥) انظر: الوصية: ٧٤.

وفي وصيته لهم، يرجو أبو سعيد الخدري لبنيه حجًّا مبرورًا لم يخدشْ وجهَ أدائه مقارفةُ معصية، أو إيقاعُ أذىً بأحد[1].

ويربط سمرة بن جندب ﷺ بين عدة أمور في توجيهه لبنيه، يبدؤها بالأمر بالتقوىٰ، ويجمع فيها أداء الزكاة وإقامة الصلاة، ويدعوهم فيها لاجتناب المعصية، ويحضهم علىٰ طاعة الله ورسوله ومن قام علىٰ أمر المسلمين[2].

ويحث عليٌّ ﷺ بنيه علىٰ أداء الصلاة والمداومة علىٰ الحج والعمرة والجهاد بالمال والنفس واللسان[3].

والآباء، وهم يدركون أثر التقرُّب إلىٰ الله في دنيا الإنسان وعظيم خطره في آخرته، لا يقفون عند حد الأمر بأداء ما افترض الله، فقد يعتري أداءَ ذلك فُتُوقٌ يكون رَتْقُها بالحرص علىٰ النوافل، ولذا ظلت وصايا الآباء تحمل تأكيد التقرب إلىٰ الله بأداء النوافل، وممارسة جميع أنواع القرب.

فسمرة بن جندب ينقل لبنيه ما كان يأمرهم به رسول الله ﷺ فيقول، في وصيته السابقة: (فإن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن يصلي أحدُنا كلَّ ليلةٍ بعد الصلاة المكتوبة، ما قلَّ أو كَثُرَ من الصلاة، ونجعلها وترًا، وكان يأمرنا أن نصلي أي ساعة شئنا من الليل والنهار، غير أنه أمرنا أن نجتنب...)، ثم ذكر الأوقات المنهي عن الصلاة فيها.

وعمر بن عبد العزيز -رحمه الله- يُذَكِّر ابنه بما أنعم الله به عليهما، ويلتمس منه -بلطفٍ- أن يظهر اعترافه بذلك، وشكره له بعمل مختلف الطاعات، ويرغِّبه بأن ذلك متىٰ تمَّ كان من أسباب القبول. ويوجِّهه إلىٰ كثرةِ ذكر الله كلَّ وقت،

(١) انظر: الوصية: ٨٠.
(٢) انظر الوصية: ١٩٢.
(٣) انظر: الوصية: ١١٧. وانظر: الوصايا: ٧٧، ١١٨، ١٢٣.

وجعلها نهاية كل مجلسٍ تُجَالُ فيه قِدَاحُ الكلام، يقول: (وأكثر تحريك لسانك، في ليلك ونهارك، بذكر الله، فإن أحسن ما وصلت به حديثًا حسنًا ذكرُ الله، جلَّ اسمه، وأحسن ما قطعت به حديثًا سيئًا ذكرُ الله، تبارك وتعالىٰ)[١].

ويحذر بعض الحكماء ابنه من خداع النفس بتأجيل العمل الصالح حين يهمُّ به، مبينًا أن الوقت يمضي، ومحذرًا من طول الأمل الذي يُقْعِد الإنسانَ عن العمل، وأنه سبب هلاك مَنْ هَلَكَ، ومذكّرًا أن من يبادر إلىٰ الصالحات، ويتنبه لسرعة مرور الأيام يشعر بغبطة غامرة حين النجاة في الآخرة[٢].

وأسماء بنت أبي بكر التي عرفت بالجود وكثرة الصدقات[٣] تحثُّ بناتها علىٰ الإنفاق، وتحذرهن من الانتظار في الصدقة إلىٰ وقت السَّعة، وأن ذلك قد يكون ضربًا من الخيال، إذ سيظل الإنسان يأكل ما جمع، ويستهلكه في حاجاته، وتلفت نظرَهن إلىٰ أمرٍ نفسيٍّ جميل، فالإنسان حين تمضي الصدقة، ولو كانت جزءًا من قوته اليومي، يمضي شعورُه بفقدها معها، فلا يحسُّ به بعد ذلك[٤].

ويقابل الحثَّ علىٰ أداء الفرائض والتقربَ بالنوافل المبادرةُ بالتوبة من الذنوب، فالعمل الصالح يقرِّب من الله، والتوبة تمحو ما يكون سببًا في غضبه، وتجدِّد العزم علىٰ التشمير وترك التواني. ويشبه عقبة بن أبي سفيان التوبة بالمطية التي من استقلَّ ظهرَها نجا، ولكنه لا يصرح بها حتىٰ يحفز بنيه إلىٰ التطلُّع لمعرفتها. يقول: (واعلموا أن النفوس أقبل شيء لما أعطيت، وأعطىٰ شيء لما

---

(١) انظر: الوصية: ٢٥١، وانظر: الوصايا: ٩٧، ١٣٤، ١٣٨، ٢٥٠.

(٢) انظر: الوصية: ٤٩٤.

(٣) في صفة الصفوة ٢/ ٥٨: (عن عبد الله بن الزبير قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء وجودهما مختلف؛ أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتىٰ إذا اجتمع عندها قسَّمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئًا بعد).

(٤) انظر: الوصية: ٥٢٥.

سئلت، فاحملوها علىٰ مطية لا تبطئ إذا ركبت، ولا تُسبَق وإن تُقُدِّمتْ. عليها نجا من هرب من النار، وأدرك من سابق إلىٰ الجنة. فقال الأصاغر من ولده: يا أبانا ما هذه المطية؟ قال: التوبة)[١].

ويحذر عمر بن عبد العزيز ابنه من التسويف في التوبة، ويحضُّه علىٰ الإسراع إليها ما دام الوقت ممكنًا، قبل أن تخترم الإنسانَ المنيةُ، عارضًا عليه -في سبيل التحفيز- شيئًا من أهوال الآخرة[٢].

وينبه مطرّف بن عبد الله ابنه علىٰ عدم الاغترار بما عليه عامة الناس، والتراخي من ثَمَّ في التوبة، فكل إنسان مأخوذ بجريرة نفسه، ثم يرغبه في التوبة مشيرًا إلىٰ محقها للذنوب[٣].

ويحذر الآباء أبناءهم من الاغترار بما هم فيه من الحال، وبما في أيديهم من مال، وما يعيشونه من ترفٍ، ويتقلَّبون فيه من نعيم، أو الانخداع بالشباب والصحة، وينبهونهم علىٰ أن الأيام دول والزمن قُلَّبٌ، يقول أوس بن حارثة واصفًا الدهر: (والدهر يومان، فيوم لك ويوم عليك)[٤]، ويقول الحارث بن كعب: (الدهر صرفان فصرفٌ رخاءٌ، وصرفٌ بلاء، واليوم يومان، فيوم حَبْرَةٌ ويوم عَبْرَة)[٥]. وهذا ما دعا زهير بن جناب أن يقول لبنيه: (وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين، ولها آمنين، ... فإنما الإنسان في الدنيا غَرَضٌ تعاوره الرماة؛ فمقصرٌ دونَه، ومجاوزٌ لموضعه، وواقعٌ عن يمينه وشماله، ثم لا بدَّ أنه مصيبُه)[٦].

---

(١) الوصية: ٢٣٤.
(٢) انظر: الوصية: ٢٥٠.
(٣) الوصية: ٢٩١.
(٤) الوصية: ٩.
(٥) الوصية: ٢٦.
(٦) الوصية: ٣٣.

وإذا وُجِدَ ذلك التحذيرُ من تقلُّب الأحوال في العصر الجاهلي، فإن الإسلام بنظرته إلىٰ الدنيا -كدارِ ممرٍّ لا دار مَقَرٍّ- أكدتْ تعاليمُه ضرورة اليقظة، ويتردد في القرآن الكريم الحديثُ عن الكفار، وعلىٰ لسانهم، بما يصوِّر إعراضَهم والاسترسالَ في غفلتهم، والركونَ إلىٰ دنياهم، كما في هذه الآيات: (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة)[1]، (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون)[2]، (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين)[3]، (لقد كنتَ في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك)[4]. ومن جهة أخرىٰ يكثر في القرآن الحثُّ علىٰ النظر والاعتبار في ملكوت الله وفي آثار السابقين والسير في الأرض من أجل ذلك، وأنَّ آثارهم لا تزال شاهدة بما كانوا عليه من القوة: (وعادًا وثمود وقد تبيَّن لكم من مساكنهم)[5]، (فأصبحوا لا يُرىٰ إلا مساكنُهم)[6]، (أوَلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدَّ منهم قوة)[7]. ولقد انضاف ذلك إلىٰ التجارب الشخصية للآباء، فانعكس في وصاياهم، يقول علي ﷺ: (أحْيِ قلبك بالموعظة... وبصِّره فجائع الدنيا، وحذِّره صولة الدهر، وفحِّش تقلُّب الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكِّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسرْ في ديارهم وآثارهم)[8].

---

(١) سورة مريم: ٣٩.
(٢) سورة الأنبياء: ١.
(٣) سورة الأنبياء: ٩٧.
(٤) سورة ق: ٢٢.
(٥) سورة العنكبوت: ٣٨.
(٦) سورة الأحقاف: ٢٥.
(٧) سورة فاطر: ٤٤.
(٨) سورة الروم: ٩.

وعبد الله بن شداد يضع عين ولده علىٰ هذه الحقيقة، مبينًا له أن في الادِّكار نجاة، يقول: (واعلم أن الزمان ذو ألوان... ومن نظر في العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر)[1].

وقد تحتاج النفس إلىٰ رياضة حتىٰ يسلس قيادُها لتلحق بقوافل الصالحين، وقد يكون في تلك الرياضة بعضُ القسوة، ويمثل ذلك ما كتب به رجل إلىٰ ولده: (كن آنس ما تكون إذا خلوت بربك، وأوحش ما تكون إذا قعدت مع الناس، ما أصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركت، وما أيسر ما فعلت في جنب ما أمَّلْت، اسجن نفسك في بيتك وحدك، لا محدِّثَ ولا جليسَ، واصطبغ بملحك، واجعل قرصَك كفايتَك، فإذا بك قد لحقت بالصالحين)[2].

وإذا كان بعض الأبناء قد يحتاج في رحلة الاستقامة إلىٰ مثل هذه الرياضة فإن بعض الأبناء يحتاج إلىٰ من يخفِّف من اندفاعه وشططه، وقسوته علىٰ نفسه، فمطرّفُ بن عبد الله لما رأىٰ ابنه عبد الله قد بالغ وأفرط وأجهد نفسه في العبادة، أشفق عليه، وراح -بعقل المجرِّب، وشفقة الأب- يبين له أن هذا المسلك رغم جماله الظاهري قد يؤدي إلىٰ نتائج خطرة، إذ قد يملُّ الإنسان، ويُبَغِّض إلىٰ نفسه العبادة، فيرسم له الطريق الوسط ويحذره من مغبة تجاوزه، معتمدًا -في سبيل إقناعه- علىٰ صورة من الواقع المشاهد، وذلك أنَّ الإنسان حين يرهق دابته ولا يترك لها فرصة لترتاح، ويستمر في المسير، فقد تهلك دابته، ولا يصل إلىٰ بغيته[3].

وحين أخذ عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- يمارس عملية تصحيح بعض ما انحرف من الأمور بعد تولِّيه الخلافة، كان يواصل عمله حتىٰ شعر بالإرهاق، فأراد

(١) الوصية: ٢٠٤، وانظر: الوصايا: ٤٨، ٥٠٧، ٥٤٧.

(٢) الوصية: ٥٠٥.

(٣) انظر: الوصية: ٢٩٢.

أن يأخذ قسطًا من الراحة وقت القائلة، ولكن حماس ابنه عبد الملك -مدفوعًا بما عُرف عنه من دينٍ وورع- جعله يدخل علىٰ والده ناعيًا عليه القيلولة، محاصرًا إياه باللوم، مخوفًا إياه الموت قبل إنهاء المظالم، فقال له عمر: (يا بنيّ إن نفسي مطيَّتي، وإن لم أرفق بها لم تبلِّغني)، ثم يضعه أمام درس بليغ وهو يقول: (يا بني، لو شاء الله -عزَّ وجلَّ- أن ينزِّل القرآن جملة واحدة لفعل، نزَّل الآية بعد الآية، حتىٰ إبطاء ذلك في قلوبهم، يا بني إني لم أجد الحقحقة تَردُّ إلىٰ خير)[1].

وحين يكتشف الأب لدىٰ الابن فهمًا خاطئًا لجانب يتصل بالدين، فإنه يسارع إلىٰ تصحيحه، فعندما أراد الزبير بن العوام ﷺ شراء أرض، وأوصىٰ ابنه عبد الله بأن يشتريها وإن بلغت ثلاثين ألفًا، ردَّ ابنُه بأنَّ دفعَ المال علىٰ هذا النحو نوع من (تكاثر الناس وفخرهم)، أي إظهار الثراء والمنافسة في الشراء، فقال الزبير: (إنه -والله- ما بالدنيا بأس، ما تُدرك الآخرة إلا بالدنيا، فيها يُوصل الرحم، ويفعل المعروف، وفيها يتقرب إلىٰ الله -عز وجل- بالأعمال الصالحة)[2].

وحيث قد أصبح المجتمع مسلمًا، يُحكم فيه بشرع الله، وتُلتزم فيه حدوده، وتجلَّت بذلك الآثار الإيجابية العميقة، التي نقلت الإنسان من الولاء للقبيلة إلىٰ الولاء للملَّة، وقشعت غمامة الظلم والاستعباد والطبقية، ونشرت بساط الأخلاق، ومدَّت أروقة العلاقات المتينة بين جميع المسلمين، ونظَّمت الحقوق والواجبات، فقد أصبح الناس حريصين علىٰ المحافظة علىٰ طهارة المجتمع ونقائه إبقاءً علىٰ هذا الخير، وبذلك أصبح الخارج عن حدود الله، والمخلُّ بآداب الدين، والمجاهر بالمعصية، بحاجة إلىٰ منع وردع، لئلا تتسع دائرة المنكر، فإن تركَ دائرة المنكر

---

(١) الوصية: ٢٥٨، وانظر: الوصايا: ٩٧، ١٠٦.

(٢) الوصية: ٧٢.

تتسع هو تركٌ لدائرة الخير تضيق، وقد يكون ذلك سببًا في عقوبة الله للمجتمع بعامة، وإن كان فيهم الصالحون، إذ يتسلل المنحرفون والأشرار إلىٰ مراكز الصدارة والتوجيه، ومن ثمَّ كانت (مكافحة) المنكر مسؤولية جماعية، يترتب علىٰ تركها العقوبة الجماعية. ويقول عليٌّ ﷺ: (ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولَّىٰ عليكم أشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم)[1].

ولأن القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يُواجه بالصدِّ والإعراض، وربما جُوبِهَ بالسخرية والهزء، فلا بدَّ له من أن يروضَ نفسه علىٰ الصبر علىٰ ما يلقاه، وذلك ما يؤكده عمير بن حبيب ﷺ لبنيه[2].

ويدعو علي ﷺ ابنه إلىٰ استفراغ الجهد في إنكار المنكر، والبعد الشديد عن الواقعين فيه[3].

وربما قرأت فاطمة بنت الحسين -رحمها الله- في عيون أولادها التساؤلاتِ والحيرةَ وهم يعايشون أترابهم في المجتمع، ويرون بعض ما يعيشه أولئك من انحراف، وكيف يتحدثون عنه بنشوة، وإذا هي تعمِّق في روعهم أن الإنسان هو الذي يشعل فتيل اللذة فيما يمارسه من عمل، وما يهفو إليه من سلوك، وبذلك سيجد صاحب السلوك المستقيم بسلوكه ضعفَ ما يجده صاحبُ السلوك المنحرف من لذة، تقول: (يا بني إنه -والله- ما نال أهل السَّفَه شيئًا في لذاتهم بالسَّفَه إلا وقد نال أهلُ المروءات مثلَه أو أكثر منه بمروءاتهم فاستتروا بستر الله)[4].

---

(١) الوصية: ١١٧. والوصية: ربما كانت متأثرة بقوله ﷺ: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنَّ الله شراركم علىٰ خياركم فتدعون فلا يستجاب لكم).

(٢) الوصية: ٢٦١.

(٣) انظر: الوصية: ٩٦.

(٤) الوصية: ٥٥١.

ب - الوصايا الأسرية:

تكاد الأسرة تذوب في القبيلة في العصر الجاهلي، إذ لا تكاد تذكر بحجمها الصغير، وقد سلف -في مبحث سابق- الإشارة إلىٰ سمة العصر الجاهلي، وأن ظروفه السياسية والاجتماعية كانت تقتضي العناية بالكثرة والاجتماع والتلاحم، وهذا ما عزز بناء جدار القبليَّة. والقبيلة أسرة في الأصل، لكنها تتكون من عدد ضخم من الأبناء وأبنائهم وأبناء أبنائهم، فمثلًا عاش أسيّد بن أوس التميمي مئة وتسعين سنة، وقتل له ثلاثون ابنًا في حرب كانت بينه وبين بني يشكر بن بكر بن وائل، وقد كانت وصيته لمن بقي منهم[١]. وقيس بن عاصم، وقد أدرك الجاهلية ثم قدم علىٰ النبي ﷺ وأسلم، كان له اثنان وثلاثون ذكرًا من الأبناء[٢]، بل إن وَلَدَ سعدِ العشيرة، ووَلَدَ ولدِه، بلغوا ثلاثمائة رجل[٣]!

وتطفح الوصايا الجاهلية بالتوجيه نحو التعاضد والتآلف. ولا يملُّ الآباء من تكرارها في مسامع الأبناء، موضحين الأسباب الداعية إلىٰ المودة والألفة، محذرين من الأسباب التي تمثل (بذورَ) فرْقَةٍ بين أبناء القبيلة الواحدة، لما يترتب علىٰ ذلك من القلة والذلة، والتصدع الداخلي.

ويكثر الآباء في وصاياهم من التحذير من الفرقة والاختلاف، فأسلم بن أفصىٰ الخزاعي يبين أن الاختلاف يمثل صدعًا في جدار القبيلة المتماسك لا يمكن رأبه، فيقول: (وإياكم والاختلاف فإنه ليس معه ائتلاف)[٤].

---

(١) انظر: الوصايا والمعمرون ٧٤.

(٢) انظر: مناسبة وصيته: ٢٧٠.

(٣) انظر: مناسبة وصيته: ٣٥.

(٤) الوصية: ١.

ويؤكد المعنىٰ نفسه في نهاية وصيته، ولكنه يستخدم التشبيه، ويختار مادة التشبيه من البيئة التي يتقلبون فيها ليل نهار، ليحدث نوعًا من التداعي الذهني بين رؤية اشتباك أغصان الشجرة، الذي هو سرُّ قوتها وبقائها، وسيادة العلاقات المتينة بين أفراد القبيلة، يقول: (يا بني، أنتم مثل شجرة ثابتة الأركان، ملتفة الأغصان، ولا تختلفوا فتذبل الأغصان وتعجف الشجرة، فتكونوا أشلاء بكل مكان).

وينبه الحارث بن الحكم بنيه علىٰ أن يلينوا بأيدي قومهم، فيما أحبَّ قومُهم -وإن لم يَرُقْ لهم- حفاظًا علىٰ الوحدة القبلية من الانتقاص، ويؤكد لهم أنه لا يمكن الوثوق زمن الشدة إلا بالقرابة[١].

ويبين الحارث بن كعب آفة الاختلاف بقوله: (وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم)[٢].

وفي مقابل النهي عن الاختلاف كانت هناك دعوة إلىٰ الاجتماع، إذ بالاجتماع قوة وهيبة، وبالتشردم ضعف وذلة، وهو ما يفرُّ منه الكريم ويؤثر الموت عليه، يقول الحارث بن كعب: (يا بني كونوا جميعًا ولا تتفرقوا فتكونوا شيعًا، فإن موتًا في عزٍّ خيرٌ من حياة في ذلٍّ وعجز)[٣].

ويؤكد أكثم بن صيفي لبنيه أثر الاجتماع في القوة بأسلوب عملي، فيعرض عليهم، الواحد منهم تلو الآخر، حزمة مجتمعة من السهام، لمحاولة كسرها، فلم يقدر أحد منهم علىٰ كسرها، ثم فرَّقها عليهم، فاستسهلوا كسرها، وحينذاك ذكَّرهم بأنهم كذلك، في حالتي اجتماعهم وافتراقهم[٤].

(١) الوصية: ٢٥.

(٢) الوصية: ٢٦، وانظر: الوصية: ٢٢.

(٣) الوصية: ٢٦، وانظر: الوصية: ٣٩، ٥٥.

(٤) انظر: الوصية: ٥.

وينبه أسيّد بن أوس التميمي بنيه علىٰ أن مجرد الاجتماع الجسدي لا يمثل قوة، وأنه لا بدَّ من اجتماع القلوب، كما أن مجرد المظهر الخارجي للاجتماع لا يكفي في وجود الهيبة، أو في استمرار التماسك، فمرور الأيام يكشف المستور، ويوسع الخروق[1]. ويحذر الآباء بينهم من التواكل والتخاذل[2].

وليست آثار التواكل السلبية مقصورة عليه حين الحرب، بل إن التواكل في إعانة المحتاجين، وتفقد ذوي العوز، قد يكون سببًا في العطب[3].

ومن الأمور التي يجب الحذر منها والبعد عنها، الشحناء والأحقاد، فهيٰ تسارع في تفرُّق القوم[4]، ولعل مما يزرع شجرة البغضاء قطيعة الرحم، وعدمُ برِّهم: (فإنه لا يسلم علىٰ الضغائن الكبير، ولا يصلح عليها الصغير)[5]، ولهذا جاءت بعض الوصايا دافعة الأبناء إلىٰ صلة الرحم[6]. وقد ربط عمرو بن كلثوم، في وصيته لبنيه، بين صلة الرحم وعمارة الديار[7]، ويؤكد أسلم بن أفصىٰ الخزاعي أثر صلةِ الرحم في كثرة الأموال، وكيف تترك القطيعة الديار بلاقع[8].

ويجعل الحارث بن كعب القطيعة سببًا في إلمام الهمِّ بالإنسان، وعدم الراحة[9].

---

(١) انظر: الوصية: ٢، وانظر: الوصايا: ٩، ٤٩.
(٢) انظر: الوصايا: ٢٢، ٤٩.
(٣) انظر: الوصية: ٥٦.
(٤) انظر: الوصية: ٣٥.
(٥) الوصية: ٥٥.
(٦) انظر: الوصايا: ٢٦، ٤٩.
(٧) انظر: الوصية: ٤٨.
(٨) انظر: الوصية: ١.
(٩) الوصية: ٢٦.

وحين تكثرُ أعداد القبيلة كثرةً قد ينشأ عنها حسدٌ أو عداوة، أو تبدو في الأفق ملامح خيوط قد تنسج البغضاء، ولا يمكن تلافيها، فإن التفرُّقَ مع بقاء المحبة هو الدواء حينذاك، يقول أكثم بن صيفي: (تناءوا في الديار، وتواصلوا في المزار)[١]، لكن فيما سوىٰ ذلك فليحرصوا حتىٰ علىٰ الوحدة المكانية، يقول مالك بن المنذر وهو يوجه بنيه بالمصير إلىٰ قومهم: (وإذا قدمتم علىٰ قومكم فلتكن محلتكم واحدة)[٢].

وحين تتجاوز الأمور حدود البغضاء إلىٰ حدوث اعتداء بالقتل يعقبه تنازع في الدماء، فإن الأب ينهىٰ بنيه أن تكون الحرب هي الحكم في ذلك النزاع، يقول عمرو بن كلثوم: (وإذا تنازعتم في الدماء فلا يكوننَّ حقكم اللقاء)[٣].

وفي ظل المعطيات الحياتية التي تدفع إلىٰ العناية بالهمِّ الجماعي تخفت العلاقات البيتية القريبة فلا تكاد تبدو إلا لمامًا، ومن ذلك القليل تلك المشاعر الأبوية الحانية التي غمر بها زرارة بن عدس بنيه، وهم الكبار، والتي أراد بها غرس الثقة في نفوسهم من جهة، وكشف الخصائص الفردية لكل منهم من جهة أخرىٰ، ولا سيَّما وهو بصدد ترشيح خليفةٍ له عليهم، وهو يكاد يودِّع الدنيا، يقول زرارة: (إنه ليس فيكم سقط رجل واحد، ولا تمنيتكم أني بدلتكم بعدَّتكم من العرب، ولولا عجلة لقيط إلىٰ الحرب -والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيثُ- لشرَّفته عليكم، وهو بعدُ فارس مضر، وعليكم بحاجب فإنه حليم)[٤].

والحارث بن كعب يحذر من العقوق موضحًا أثره السيئ، فيقول: (عقوق الوالدين يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد)[٥]. ويوجه أكثم بنيه ألاَّ تكون

---

(١) الوصية: ١٠، وانظر: الوصية: ٧.

(٢) الوصية: ٥٦.

(٣) الوصية: ٤٨.

(٤) الوصية: ٣٢.

(٥) الوصية: ٢٦، وانظر: الوصية: ٣٥ وفيها: ولا تكونوا لآبائكم عاقين، والرواية الأخرىٰ: ضرارًا، أي مخالفين.

علاقاتهم مبنية علىٰ المصالح والأطماع[1]. ويؤكد عمرو بن يزيد الكلبي في وصيته حفظَ العيال[2].

وإذا كانت العلاقات البيتية في الوصايا الجاهلية خافتة بأن كان الحديث عنها محدودًا جدًّا، فإن التعرض للقضايا المعيشية لا يكاد يذكر، وقد ورد فيه -ضمن وصية قس بن ساعدة لابنه-: (ولا تأكل ما لا تحتاج إليه فيتويك)[3]، وهي تأتي ضمنًا في توجيهات يتصل بعضها بالتزهيد في الجوانب المادية جملة، والرغبة في العمل الصالح.

أما الحديث عن المرأة فهو حديث مستفيض، إذ عرضت له أكثر من ثلث وصايا العصر الجاهلي، ولعل أبرز مفردة تُتَداول في الوصايا بمعانٍ مختلفة هي العفةُ والحرص عليها، ولعل أول ما يتصل بذلك ضرورة الدفاع عن النساء، فإنه -كما يقول أوس بن حارثة-: (من كرم الكريم الدفاع عن الحريم)[4]. ويقول ذو الإصبع العدواني -ضمن تعداده لمقومات الرئاسة لابنه-: (واحم حريمك)[5].

ونجد بعد ذلك تحذيرًا من التعرض لِحُرم الآخرين، أو الفجور بهن خشية ابتلاء الإنسان في حرمه، يقول أسلم بن أفصىٰ محذرًا بنيه: (وإياكم والفجور بحرم الأقوام فإنه قلما انتهك رجل حرمة إلا ابتلي في حرمته)[6]. ويعيد عمرو بن كلثوم المعنىٰ نفسه، ويقدِّم عليه قوله: (ولا خير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه، وقلَّ من انتهك حرمةً لغيره إلا انتهكت منه حرمته)[7]، ويضرب الآباء لأبنائهم نماذج للعفة من سيرهم[8].

(١) انظر: الوصية: ٥.
(٢) انظر: الوصية: ٤٩.
(٣) الوصية: ٥١.
(٤) الوصية: ١٩.
(٥) الوصية: ٣٠.
(٦) الوصية: ١.
(٧) الوصية: ٤٨، وانظر: الوصية: ٣٥.
(٨) انظر: الوصايا: ٢٦، ٣٢.

وحرصًا علىٰ البعد عمَّا يمكن أن يدنِّس ثوب عفة المرأة أو يمس كرامتها ويُلحق -من ثمَّ- العارَ بأهلها، أوصىٰ الآباء أبناءهم بعزل النساء بعيدًا عن الاختلاط بالرجال، وقصرهن في البيوت بعيدًا عن الأعين، وجاءت عباراتهم في ذلك تؤكد هذا المعنىٰ ما بين: (ألزموا النساء البيوت)(١)، و(الإحراز للحرم)(٢)، و(احجبوا الكرائم، وتجنبوا الملاوم)(٣)، وضرورة المحافظة، وعدم الغفلة: (حافظوا علىٰ الحرم، فإن الهلاك في الغفلة عنها)(٤)، ويفصل عمرو بن كلثوم في ذلك لبنيه بقوله: (وأبعدوا بيوت الرجال عن بيوت النساء، فإنه أغضُّ للبصر، وأعفُّ للذكر، فإذا كانت المعاينة واللقاء ففي ذلك داء من الأدواء)(٥)، ولأن ترددَ النساء بين الرجال مدعاة لإطلاق البصر، وأن لإطلاق البصر ما وراءه مما لا يمكن أن يحسب له الناظر حسابًا، فإن أوس بن حارثة يقرر بين يدي ولده أن (ذهاب البصر خير من كثير من النظر)(٦) وهو إيحاء رائع لا بد أن يترك أثرًا في نفس الابن.

وهناك من لم تقف وصيته عند مجرد إيداع النساء البيوت فهو مجرد حلٍّ سلبي، ويرىٰ ملء وقت المرأة بالشيء المفيد النافع، ولأن العرب في البادية غالبًا ما يصنعون احتياجاتهم بأيديهم فإن اشتغال المرأة الحرة(٧) بالغَزْل أمر جدُّ رائع، يقول

---

(١) الوصية: ٥٥.

(٢) الوصية: ٤٩.

(٣) الوصية: ٢٢.

(٤) الوصية: ٦٣.

(٥) الوصية: ٤٨.

(٦) الوصية: ١٩.

(٧) باعتبار أن الأمة تقوم بالأعمال خارج البيت ويمكن الاستئناس بقول الراعي النميري:

صلَّىٰ علىٰ عزة الرحمن وابنتها ... ليلىٰ وصلَّىٰ علىٰ جاراتها الأخر

هنَّ الحرائر لا ربَّات أحمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور

انظر: شعر الراعي النميري تحقيق هلال ناجي، ود. نوري القيسي/ ١٠١، وديوان القتال الكلابي (أشعار اللصوص وأخبارهم جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي ٢/ ٥١٠) وفيه: عمرة. =

أكثم بن صيفي حكيم العرب: (ألزموا النساء المَهَنَة ولنعم لهو الحرة لمغزل)[1].

وثمة أمر يسترعي الانتباه في وصايا العصر الجاهلي، وهو التحذير من البوح بالسرِّ للمرأة، فأود بن صعب، وهو يوصي بنيه أن يحاولوا استخراج أخبار الآخرين، وأن يحرصوا علىٰ ألَّا يعرف الآخرون أخبارهم، يقول لأبنائه في هذا السياق: (وبئس موضع السر المرأة)[2]. وكأنه، وهو يوصي بالإمساك عن تسريب الأخبار، يخشىٰ أن وضعها بين يدي المرأة يكون وسيلة لتسريبها.

ومالك بن عمرو الكلبي، وهو يأمر بينه بإلزام النساء البيوت، يقول لهم: (وخافوهن علىٰ أسراركم)[3]، وهي كلمة أكثر وقعًا في التحذير، وهي توحي كما لو كانت المرأة حريصة علىٰ معرفة السر لإذاعته.

وأكثم بن صيفي، يخصُّ الأمة بعدم إفشاء السر، وهو يقرن إفشاء السر إليها بالنهي عن البول في الأكمة، يقول: (لا تبولوا علىٰ أَكَمَةٍ، ولا تفشوا سرًّا إلىٰ أَمَةٍ)[4]، وكأنه قرن بينهما لكونهما ليسا محلًّا لما يودعانه[5].

فالأَمَةُ قد تباع وقد تهرب، وحين تؤخذ سبيَّةً فستجعل السابين أهلًا، إذ لا فرق عندها بين سيِّدٍ سابق ولاحق، ولذا فهي لا تشعر بالانتماء الذي تشعر به الحرة التي هي من أصل القبيلة. وبمقابل كلام أكثم الذي ربما مثَّل نوعًا من الوسطية يبدو غراب بن ظالم متشائمًا وهو يوصي ابنه: (لا تأمننَّ صدر امرأة ولو كانت أمَّك، ولا

=قال الجواليقي (شرح أدب الكتاب ٢٧٦): (يقول: هنَّ خيِّرات كريمات، يتلون القرآن، ولسن بإماء سود، ذوات حُمْرٍ يسقينها).

(١) الوصية: ٧. وانظر: في كلمتي: المهنة، الحرة، التعليق علىٰ الوصية.

(٢) الوصية: ١٨.

(٣) الوصية: ٥٥.

(٤) الوصية: ٧.

(٥) انظر: مجمع الأمثال ٣/ ١٥٦.

تأمننَّ علىٰ سرِّك غيرَك)[1]، وربما كان ما عُرف عن النساء من كثرة الكلام، باعتبار شكوىٰ بعضهن إلىٰ بعض مما يقع عليهن من ظلم، أو يحدث بينهن وبين أزواجهن من مشكلات، أو ما كنَّ يتطلعن إليه ولم يجدنه في دنيا أزواجهن، ربما كان ذلك سببًا في تسلل بعض الأسرار التي يكون لها أثر سيِّئ علىٰ الزوج وربما تجاوزه إلىٰ غيره، ولذا يقول مالك بن المنذر البجلي: (ولا تعرِّضوا لنمائم النساء، فشؤم النساء والغدر أورثاني دار الغربة)[2]. وكان مالك قد أصاب دماء في قومه فلحق ببني هلال بن عامر.

ويفهم من وصية أمامة بنت الحارث أن ثمة أسرارًا يودعها الأزواج صدور نسائهم، إذ تقول لابنتها في التعامل مع الزوج: (ولا تفشي له سرًّا... فإنك إن أفشيت سرَّه لم تأمني غدره)[3].

ولا ينتهي الأمر في الوصايا بشأن النساء عند حفظ السرِّ عنهن، بل نجد النهي عن مشاورتهن، واتهام عقولهن بالضعف، يقول أكثم بن صيفي: (إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلىٰ أَفَنٍ، وتجربتهن إلىٰ وَهَنٍ)[4]، وتمضي الوصية أبعد من ذلك حين تنهىٰ عن تولية المرأة أيَّ شيء يجاوز ذاتها: (ولا تُمَلِّك امرأة من الأمر ما جاوز نفسها)! ولعل مثل هذا الرأي هو الذي جعل عامر بن الظرب العدواني، يطلب من زوجته إيصال وصيته إلىٰ ابنته -دون أن تضيف إليها شيئًا من عندها-

---

(١) الوصية: ٥٠.

(٢) الوصية: ٥٦.

(٣) الوصية: ٥٢٧.

(٤) الوصية: ١٤. ويعتريني غير قليل من الشك حول صحة نسبة هذه الجملة إلىٰ أكثم. خاصة وقد مرَّ سابقًا، مما يتصل بهذا الموضوع، ما يدل علىٰ اعتدال نظرة أكثم، وهو ما يناسب عقليته ومكانته، وقد ورد عنه في الوصايا والمعمرون ٢٤: (أفضل القرناء المرأة الصالحة).

متهمًا إياها بالضعف، يقول: (وإياك أن تميلي إلىٰ هواك ورأيك فإنه لا رأي لك، وإياي ووصيتك فإنه لا وصية لك)[1]، وأي شيء بقي للمرأة إذا كان يحظر عليها حتىٰ أن توصي ابنتها؟! إلا أن يكون عامرٌ ابتلي بامرأة حمقاء! وإذا كان ضرار بن عمرو الضبي، وقيس بن خالد الشيباني، ومسعود بن قيس، قد أوصوا بناتهم عند الهداء، فهل كانت تلك وصيةً خاصة بالأب غير وصية الأم؟ أم كانت الأم قد ماتت؟ أم أن مقولة عامر بن الظرب العدواني تمثل عُرفًا عامًّا؟ ولكن هذا يبدو بعيدًا جدًّا، فوصية أمامة بنت الحارث أوسع شهرة من وصايا كل أولئك، وستأتي -فيما بعد- إشارة أسماء بن خارجة الفزاري إلىٰ أن وصية الفتاة حين الزفاف هي من شأن الأم، وأنه اضطر لإيصاء ابنته بسبب وفاة أمها، ولذا يبدو أن الوصية هي فعلًا من شأن الأم، لكن قد يكون للأب وصية خاصة به، وقد يرىٰ أن الأم -أحيانًا- غير قادرة علىٰ تأدية وصية تحقق الغرض المنشود، وقد تكون الأم غير موجودة، ولا يعني قلة وجود وصايا للنساء، مقارنة بوصايا الرجال، أن هذا هو الواقع، فمن المؤكد أن ثمة وصايا نسائية عديدة -خاصة في مثل مناسبة الزفاف- لكن النظرة للمرأة بعامة، والمواضعات والتقاليد الاجتماعية السائدة حالت -ربما- دون نقل الكثير من ذلك.

وقد ورد في بعض المصادر: (كان نساء العرب يعلِّمن بناتهن اختبار الأزواج، فكانت المرأة تقول لابنتها: ابدئي زوجك قبل الإقدام عليه فانزعي زِجَّ رمحه، فإن أقرَّ فاقلعي سنانه، فإن أقرَّ فضعي الإكاف علىٰ ظهره فإنما هو حمار)[2]! وهي وصية من المؤكد أن الأب لن يتاحَ له سماعُها فضلًا عن إقرارها، إذ ربما مورست عليه من قبل، وربما لم ينجح في الاختبار!

---

(١) الوصية: ٤٤.

(٢) الوصية: ٥٤٨.

والذي يبدو أن الطبقات الاجتماعية التي يفتقد أطرافها الحوار، وتقوم العلاقة الزوجية فيها على الخوف من قبل الزوجة، والتسلط من قبل الزوج، ينشأ فيها مثل ذلك الصراع، أما الطبقات الرفيعة، التي اختار الزوج فيها زوجته بعناية، وقَبِلَ به أهل المرأة لصفاتٍ فاضلة مقنعة، فسيبقى شعار الزوجين فيها الاحترام المتبادل، ولعل في وصية أمامة بنت الحارث، وفاطمة بنت الخرشب، وقيلة بنت الحسحاس، وتماضر بنت الشريد، والرواع النمرية، ما يعضد هذا الرأي.

وفي تزويج المرأة يؤكد الموصون ضرورة اختيار الكفء، يقول الحارث بن كعب: (زوجوا النساء الأكفاء)[1]. ويجب عدم الرضا بغير الكفء ولو أدى ذلك إلى بقاء المرأة دون زواج حتى الموت، يقول زرارة بن عدس: (يا بني زوجوا النساء الأكفاء، وإلا فانتظروا بهن القضاء)[2]. وهو يوصي بنيه بقصر تزويج البنات في دائرة العائلة ما أمكن، ربما لضمان الكفء، ثم يؤكد أنه إذا لم يتمَّ ذلك فيجب عدم التقصير في البحث عن الكفء، وعدم ردِّه: (وزوِّجوا بناتِ العمِّ بني العم، فإن تعديتم بهن إلى الغرباء فلا تألوا بهن عن الأكفاء).

ويدعو تميم بن مرٍّ بنيه إلى عدم المغالاة في المهور خشية كساد البنات[3].

وحين تتهيأ الفتاة للبناء بها، أو للرحيل مع زوجها فثمة ثقافة زوجية، تُنْقَلُ لها عبر الوصية، لتفيد منها في حياتها الزوجية، ولتحقق الوئام النفسي والقلبي مع زوجها الذي لم تعرفه من قبل، وبذلك أيضًا تستطيع أن تتواءم مع المكان الجديد الذي انتقلت إليه من ديار قومها، حيث يقطن زوجها.

---

(١) الوصية: ٢٦.

(٢) الوصية: ٣٢.

(٣) انظر: الوصية: ٢١.

وتلك الثقافة تشمل الجوانب المتصلة بالنظافة والتجمل أو الاستعداد الجسدي، كما تشمل أساليب اجتلاب إعجاب الزوج، أو الجوانب الخلقية والنفسية، وبين هذا وذاك التنبيه علىٰ ما يعكّر صفاء الحياة الزوجية، ويوغر صدر الزوج، بما قد تنكسر معه تلك العلاقة بالطلاق.

وتبقىٰ وصية أمامة بنت الحارث مثلًا رائعًا بذلك المدخل الجميل الذي يمثل تهيئة نفسية جيدة لقبول الوصية، إذ أشادت بما تكامل في ابنتها من جوانب، وألمحت إليها أن الوصية لا تعني نقصًا في الموصَىٰ ولكنها لمجرد التذكير، ثم تشير إلىٰ أن سنة الله في الحياة هي التي تجعل والديها يزوجانها مع غناهم، وشدة حاجتهم إليها، وتبين لها أنها ستدخل حياة جديدة تتطلب تهيؤًا تستطيع به التكيُّف مع المجتمع الجديد الذي انتقلت فيه من ملك الأب إلىٰ ملك الزوج!

ثم وجهت أمامة ابنتها توجيهًا عامًّا في كيفية امتلاك قلب زوجها، وذلك بمطاوعته التامة، إذ سيؤثر ذلك في سلوكه معها فيطاوعها فيما تريد: (فكوني له أمةً يكُن لك عبدًا). وهذا المبدأ بالتعبير ذاته عبَّر عنه عددٌ من الموصين، وسواء أخذوا ذلك من وصية أمامة أم من ذات أنفسهم، فهو يظل مبدأ تتفق عليه العقول، وتؤكده التجارب.

وقد عبَّر عنه عامر بن الظرب تعبيرًا جميلًا، عاطفًا الحديث فيه -بوضوح أكثر- إلىٰ جانب الغريزة الجنسية، مقدمًا عليه ببيان الأثر النفسي البالغ للكلمات الغزلية الودودة بين الزوجين، يقول: (أخبري ابنتك، أن العشق حلو، وأن الكرم المؤاتاة، فلا تستكرهن زوجها من نفسها، ولا تمنعه عند شهوته، فإن الرضا الإتيان عند اللذة)[1].

---

(١) الوصية: ٤٤.

وإذا كانت أمامة قد قدمت بين يدي وصيتها بالجملة السابقة، فإنها في نهاية وصيتها قد أكدتها، ولكن بتعبير آخر، تقول: (واعلمي أنك أشد ما تكونين له إعظامًا أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة)، وتفسِّر ذلك بقولها: (واعلمي أنك لن تصلي إلىٰ ذلك منه حتىٰ تؤثري هواه علىٰ هواك، ورضاه علىٰ رضاك فيما أحببت وكرهت)[1].

وحيث إن أخذ الزينة مهمٌّ، ويمثل جسرًا يعبر عليه الحب، فقد جاءت الوصايا تؤكد هذا الجانب، ولعل المفردة التي كثر تداولها في موضوع الزينة هي الماء! إذ يأمر عامر بن الظرب العدواني ابنته بكثرة استعماله، وباصطحابه معها في تنقلاتها، مبينًا بعيد أثره، يقول: (يا هذه! مري ابنتك فلا تنزلن فلاة إلا معها ماء، وأن تكثر استعمال الماء، فلا طيب أطيب منه، وإن الماء جعل للأعلىٰ جلاء، وللأسفل نقاء)[2].

ويجعل مسعود بن قيس: (طيب النساء الماء)[3]، ويوجه قيس بن خالد الشيباني ابنته باستعمال الماء حتىٰ تكسب نفسها رائحة رائعة: (وليكن أطيب طيبك الماء، حتىٰ يكون ريحك ريحَ شنٍّ غبٍّ)[4]، وتشير أمامة بنت الحارث، وهي توصي ابنتها بالكحل زينةً، إلىٰ: (أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود)[5]. ومن وصية أمامة يتبيَّن أن الماء -مع أهميته البالغة في النظافة وعدم الاستغناء عنه- هو وسيلةُ الزينة الشعبية المتاحة، ولعل ما يؤكد ذلك قول فاطمة بنت الخرشب: (واجعلي الماء آخر طيبك)[6].

---

(١) الوصية: ٥٢٧، وانظر: التعليقات عليها. وانظر: الوصية: ٥٤٨.

(٢) الوصية: ٤٤. وانظر: الوصية: ٢٦.

(٣) الوصية: ٥٧.

(٤) الوصية: ٥٣، وثمة رواية: وليكن أكثر، وانظر: التعليق علىٰ الجملة الأخيرة هناك.

(٥) الوصية: ٥٢٧. وثمة رواية: الطيب الموجود... الحسن المودود.

(٦) الوصية: ٥٥٢، وقد اشتملت الوصية علىٰ وصايا أربع أمهات لبناتهن، كلهن ذكرن الماء في وصاياهن.

ويحرص الموصون علىٰ طيب الرائحة، وإذا كان للماء أثرٌ مهمٌّ في ذلك، فقد جاءت بعض الوصايا باستخدام الطيب، يقول مسعود بن قيس لابنته: (وتتبَّعي من الطيب مواقعَ أنفِه)[1]، وتقول فاطمة بنت الخرشب لابنتها: (عطِّري جلدك).

وإذا كان عامر بن الظرب ينهىٰ ابنته عن كثرة الاضطجاع مع زوجها لأن (الجسد إذا ملَّ ملَّ القلب)[2]، فإن مسعود بن قيس يوجه ابنته إلىٰ أسلوب جميل في العلاقة الزوجية، حين يقول: (فلا تدني منه (كل) الدنوِّ فيملُّك، ولا تبتعدي منه (كل) البعد فينساك)[3].

كما ينهىٰ عامر بن الظرب ابنته عن جعل شيء من زوجها مادة للسخرية، ولو من باب المزاح، لما يسبِّبه من انقباض النفس، ويوجهها إلىٰ أن تستر سوءتها منه (فإنه وإن كان لا بدَّ أن يراها فإن كثرة النظر إليها استهانة وخفَّة!)[4].

ويبدو أن (حساسية) الموضوعات التي طرقها عامر هي التي اضطرته إلىٰ أن يجعل زوجته هي الوسيط في نقل الوصية إلىٰ ابنته، مع سوء رأيه فيها!

وإذا كان عامر تميَّز بجرأة الطرح، وارتياد هذه الموضوعات التي قد يراها كثيرون ذات خصوصية بالغة، فإن أمامة طرقت جوانب أخرىٰ مهمة تتصل بإدارة الذات وإدارة البيت والأبناء. وقد صاغتها بعشر خصال ليسهل علىٰ ابنتها تذكُّرها، وقد نبهتها في الأولىٰ والثانية علىٰ أهمية القناعة وأثرها الجميل في جلب الراحة القلبية، وضرورة طاعة الزوج، ففي طاعته رضا الرب.

وفي الثالثة والرابعة نبَّهتها علىٰ ضرورة العناية بما يراه زوجها ويشمُّه، وفي الخامسة والسادسة إعداد الطعام وتهيئته في وقته، وتوفير الهدوء له حين نومه، وفي

---

(١) الوصية: ٥٧.
(٢) الوصية: ٤٤.
(٣) الوصية: ٥٧.
(٤) الوصية: ٤٤.

السابعة والثامنة حسن القيام علىٰ الأبناء وحسن إدارة المال، أو ميزانية البيت في العرف الراهن، وفي التاسعة والعاشرة عدم إفشاء أسرار الزوج، والحذر من عصيانه، ثم أرشدتها إلىٰ ضرورة مراعاة نفسيته، والتفاعل معه في حالتي الفرح والحزن[١].

وتذكر تماضر بن الشريد السلمية -في وصيتها لابنتها- معنيين مهمين؛ هما التستر عن الأعين، وعدم كثرة مجادلة الزوج لما يترتب عليه من وغر الصدر، ومن ثم الفراق، تقول: (لا تجلسي بالفناء، ولا تكثري المراء)[٢]. وقالت قيلة الأسدية لابنتها: (أدني سترك... واجتنبي الإباء)[٣].

وليس ثمة وصايا تتصل بالعلاقات مع أهل الزوج وذويه سوىٰ ما جاء في وصية قيس بن مسعود في التعامل الجيد مع أهل الزوج، إذ يقول لابنته: (واغلبي أحماءك بالخير ولا تغلبيهم بالشر)[٤].

وما جاء في وصية امرأة من العرب لابنتها في العلاقة مع الضرة، حين قالت: (لا تهدي إلىٰ ضرتك الكتف، فإن الماء يجري بين أليها)[٥]. وهو خلاف الوصية السابقة، إذ هو بناء للعلاقة علىٰ دَخَن!

وأمام هذه التوصيات الشاملة المفصلة للفتاة بين يدي زفافها لا يوجد ما يماثل ذلك أو يقابل جزءًا منه للفتىٰ بين يدي زواجه، فالفتاة يؤكد لها أن تكون (أمة) لزوجها، متحرِّية الدقة في كل ما تقوم به، لا تغفل لحظة عن مظهرها، تراعي نفسية زوجها في الترح والفرح، وتكيِّف نفسها حسب ذلك، وأن تجيد (مهارة) الكرِّ والفرِّ

(١) انظر: الوصية: ٥٢٧.
(٢) الوصية: ٥٥٢.
(٣) انظر: الوصية السابقة.
(٤) الوصية: ٥٧.
(٥) الوصية: ٥٤٥. والضرة هنا الحماة، وانظر: التعليق علىٰ الوصية.

في الدنوِّ من الزوج والبعد عنه، حتىٰ تضمن عدم إملاله. علىٰ حين تتلخص الوصايا للأبناء عند الزواج في أمرين:

أولهما: الحذر من التهاون في صراحة النسب مهما كان جمال المرأة مغريًا: (فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف)[1].

والثاني: اجتناب نكاح الحمقاء: (فإن ولدها إلىٰ أفنٍ ما يكون)[2]، كما يقول الحارث بن كعب، وهي -في نظر سعد العشيرة-: (أدوأ الدواء)[3]، وربما فُهِمَ من هذا أن الحمق صفة نسائية، إذ لا يوجد في الوصايا تحذير لأولياء المرأة من إنكاحها الأحمق، وكأنه لا يوجد رجل أحمق، إلا أن تكون صراحة النسب تكفي عن كل شيء، أو أنهم كانوا يعتقدون أن المرأة وحدها هي المسؤولة عن نجابة الولد وحمقه دون الرجل، كما ربما دلَّت علىٰ ذلك وصية الحارث بن كعب الآنفة الذكر.

وفي عصر صدر الإسلام وما بعده كان ظهور الأسرة أوضح، باعتبار المسؤولية الشرعية الملقاة علىٰ عاتق الأب، المتمثلة بمثل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، وقول الرسول ﷺ: (والرجل راعٍ في أهله)[4].

كما أن المسؤوليات الإدارية خرجت عن النطاق القبلي، وأصبحت جوانب الحياة تسير وفق التشريعات الجديدة بعيدة عن الميول الشخصية والأهواء، وإن بقي بعض الزعماء القبليين في البوادي تتنازعهم -أحيانًا- الجواذب العصبية والتشريعات والحدود الدينية.

(١) الوصية: ٩.
(٢) الوصية: ٢٦.
(٣) الوصية: ٣٥.
(٤) رواه البخاري (فتح الباري) ٢/ ٣٨٠ ح٨٩٣.

يدعو الآباء أبناءهم إلىٰ التآلف والتقارب وعمل ما يساعد في ذلك ومنه التهادي، يقول أنس بن مالك: (تباذلوا فيما بينكم فإنه أودُّ لما بينكم)[1]. ولا شك أن للعطية أثرَها في تحريك المشاعر القلبية، ولعل أنسًا استفاد ذلك من قول الرسول ﷺ: (تهادوا تحابوا)[2]، ويفصِّل عبد الملك بن مروان أكثر حين يقول: (أن يعطف الكبير منكم علىٰ الصغير، وأن يعرف الصغير منكم حق الكبير... وكونوا بني أمٍّ بررة)[3].

وباستشهاده ببعض الأبيات الشعرية، فإنه يؤكد بالمثال قيمة الاجتماع والتلاحم الأسري، وكيف أن ذلك يتم حين لا تنطوي القلوب علىٰ إحن.

وفي سبيل زرع المحبة بين الأبناء يأتي توجيه المهلب بن أبي صفرة مؤكدًا كل صور التقارب الحسي والمعنوي، يقول: (تواطؤوا وتوازروا وتواصلوا وتعاطفوا فإن ذلك (يثبت) المودة، وتحابوا)[4]. ومع هذا التوجيه العام الجميل من التوافق والتعاون والمواصلة والتعاطف، والإشارة إلىٰ أثر ذلك في تعميق المودة، فإن المهلب -قبل ذلك- رسم لأبنائه (الصورة) التي ينبغي أن ينبني عليها الهرم الأسري، والصفات التي يفترض أن تحكم العلاقة بين الجميع بعامة، وبين الكبير والصغير أو اليتيم بخاصة، وضرورة تحمُّل المسؤولية تجاه ما يمكن حدوثه من تجاوز بعض أفراد الأسرة، وممارسة الضبط السلوكي الأسري، مؤكدًا أن التزامهم ذلك يحقق الخير في الدارين.

---

(١) الوصية: ٦٥.

(٢) جزء من حديث، انظر: السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦/ ١٦٩، والمعجم الأوسط للطبراني ٧/ ١٩٠ ح٧٢٤٠.

(٣) الوصية: ٢١٣.

(٤) الوصية: ٣٢٠.

وإذا كان عبد الملك بن مروان قد وجَّه بنيه للتعامل الأمثل فيما مضىٰ من وصيته، فقد حذرهم بعد ذلك من الاختلاف والتفرق، مؤكدًا أثرهما السيئ البعيد، مشيرًا إلىٰ ضرورة أخذ العظة من التاريخ، يقول: (وإياكم والفرقة والاختلاف، فإن بها هلك الأولون، وذلَّ بها ذو العز المكين)، وحيث إن الأعراف الاجتماعية قد حرمت ابنه مسلمة حقَّه في نيل الخلافة -لأنَّ أمَّه أَمَةٌ- فإن عبد الملك يشيد بقدرات ابنه وملكاته ورجاحة عقله، ويدفع أبناءه -ممن سيتولون الخلافة- إلىٰ عدم الاستقلال برأيٍ دونه، وأن عليهم الصدور عن رأيه[1].

ويحثُّ علي ﷺ بنيه علىٰ التقارب ويعرِّف كلَّ واحد منهم بواجبه تجاه الآخر، يقول لابنه محمد بن الحنفية: (هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، فاتَّبع أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما، ثم قال [للحسن والحسين]: أوصيكما به خيرًا، فإنه شقيقُكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباه كان يحبه)[2].

وحِرْصُ عليٍّ ﷺ علىٰ التآلف والمحبة بين أبنائه يجعله ينبههم علىٰ أمر قد يبدو في ظاهره حسنًا، لكنه في نتيجته ذو أثر سيئ علىٰ المدىٰ البعيد، يقول: (يا بني، كثرة الزيارة تورث الملالة)[3].

وإذا كان الآباء حريصين علىٰ زرع التآلف والتعاضد بين أبنائهم وتأكيد ذلك في وصاياهم، فإن نظرتهم لا تنتهي إلىٰ وجوده بين الأبناء فحسب، بل تمتد إلىٰ ذوي الأرحام، ولا سيَّما قد أكد الإسلام أمرَ مواصلةِ الأرحام والبرِّ بهم. ولذلك جاءت جملة الوصايا في ذلك صدىٰ لأحاديث النبي ﷺ من مثل قوله: (اعرفوا

---

(١) انظر: الوصية: ٢١٣، وانظر: في المعاني ذاتها في وصيتي علي ﷺ: ١١٧، ١١٨.

(٢) الوصية: ١١٦.

(٣) الوصية: ٩٧.

أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا قُرْبَ بالرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بُعْدَ إذا وُصِلَتْ وإن كانت بعيدة)[1].

ويقول عبد الله بن عمر: (يا بني إنَّ من لم يعرف نسبه لم يصلْ رحمًا؟ ولم يقضِ حقًّا)[2]. وواضح أن ابن عمر ﷺ بتقواه وورعه كان يعني ذوي الأرحام البعيدين، وإلا لم يحتَجِ الأمر إلىٰ تَعَلُّم النسب! ويتضح الأثر الديني في الحث علىٰ صلة الأرحام أيضًا في قول علي ﷺ لبنيه: (انظروا إلىٰ ذوي أرحامكم فصلوهم يهوِّن الله عليكم الحساب)[3]، ولكنه في وصية المهلب أكثر وضوحًا، إذ أَلَمَّ بقوله ﷺ: (إن أعجل الطاعة ثوابًا صلةُ الرحم، حتىٰ إن أهل البيت ليكونون فجارًا، ينمي أموالهم، ويكثر عددهم إذا وصلوا الرحم)، وقوله ﷺ: (إن الله -عز وجل- ليعمر للقوم الديار، ويكثر لهم الأموال... بصلتهم أرحامهم)، وقوله ﷺ: (ما من ذنب أحرىٰ أن يعجل الله -عزَّ وجلَّ- لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة، من قطيعة الرحم والبغي)، وقوله ﷺ: (من سَرَّه أن يبسط عليه في رزقه، وأن ينسأ في أجله فليصل رحمه)[4]. يقول المهلب: (أوصيكم بتقوىٰ الله وصلة الرحم، فإن تقوىٰ الله تعقب الجنة، وصلة الرحم تنسئ في الأجل، وتثري المال، وتجمع الشمل، وتكثر العدد، وتعمر الديار، وتعزُّ الجانب. وأنهاكم عن معصية الله وقطيعة الرحم، فإن معصية الله تعقب النار، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذلة، وتفرق الجمع، وتدع الديار بلاقع، وتطمع العدو، وتبدي العورة)[5]، ويشير عليٌّ ﷺ إلىٰ

(١) الجامع في شعب الإيمان ١٥/ ٩٤ ح (٧٥٦٩).
(٢) الوصية: ٢٠٨.
(٣) الوصية: ١١٨.
(٤) انظر: في الأحاديث السابقة (علىٰ الترتيب): الجامع لشعب الإيمان ١٤/ ٩٦-١٢٣، الأحاديث ٧٦٠١، ٧٥٩٦، ٧٥٨٨، ٧٥٧١.
(٥) الوصية: ٣٢٠.

مكانة العشيرة من الإنسان، وأهميتها في حياته، ويأمر بإكرامها[1].

ويرسم زيد بن علي حدود الاعتدال في العلاقة بين الأب والابن، ملمحًا إلىٰ ما ورد من ذلك في القرآن الكريم، يقول لابنه: (إن الله لم يَرْضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذرنيك، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدْعُهُ المودة إلىٰ التفريط، وخير الأبناء للآباء من لم يَدْعُهُ التقصير إلىٰ العقوق)[2]. ويحذر عتبة بن أبي سفيان من العقوق وأنه يثمر العقوبة[3]، ويعدُّه عبد الملك بن صالح أعدىٰ الأعداء[4].

ويُفيض عمر بن عبد العزيز علىٰ ابنه مشاعر رقيقة، وهو يعظه، ويقرُّ له بأنه نفسه -كما يقول-: (لكثير الإسراف علىٰ نفسي، غير محكم لكثير من أمري)[5].

ولا شك أن ذلك يسهم في سرعة قبول الموعظة بسبب زوال الفوقية التي يمارسها بعض الآباء في توجيه أبنائهم، مشعرين أبناءهم بالكمال في حقِّ أنفسهم، ثم يدعوه إلىٰ إعانته وتسديده فيما يمكن أن يقع فيه من زلل أو تقصير، فيما وُكِلَ إليه من أمر الخلافة[6]. وعمر بذلك يجسد عمق العلاقة وحسن التعامل بين الأب والابن، وعمر في وصيته الأخرىٰ يشعر ابنه بقربه القلبي منه، حين يقول له: (فإن أحقَّ من وعىٰ عني، وفهم قولي أنت)[7].

ويضع الخطَّاب بن المعلىٰ بين يدي ابنه الأسلوب الأمثل، الذي يراه، في التعامل مع الأبناء، مقدمًا علىٰ ذلك بتحذيره من إطلاعهم علىٰ عدد ماله، معلِّلًا

---

(١) انظر: الوصية: ٩٦.
(٢) الوصية: ١٧٥.
(٣) انظر: الوصية: ٢٣٣.
(٤) انظر: الوصية: ٣٩٦.
(٥) انظر: الوصية: ٢٥٠.
(٦) انظر: الوصية: ٢٥٠.
(٧) الوصية: ٢٥١.

ذلك بقوله: (فإنهم إن رأوه قليلًا هنت عليهم، وإن كان كثيرًا لم تبلغ به رضاهم، وأخِفْهم في غير عنف، ولِنْ لهم في غير ضعف)[1].

ويؤكد أبو عبد الرحمن العتبىٰ لابنه أثر القدوة في التربية حين يقول: (وانظر أهلك فإنهم لن يصلحوا وأنت فاسد)[2]، وينبه الخطاب بن المعلىٰ، في وصيته السابقة، علىٰ أَثَرِ التربية زمنَ الطفولة، وعسرها وقتَ الكبر، فيقول: (وأدب الشيخ عناء، وتأديب الغلام شفاء).

وإذا كان ما مضىٰ ذكره من الوصايا قد اتجه فيه الحديث حول العلاقات الأسرية والتربوية المتصلة بالتنشئة، فثمة وصايا تتصل بالجوانب المعاشية، فجرير بن عبد الله البجلي ﷺ يوجه أبناءه، حين الشرب، إلىٰ عدم استغراق شرب ما في الإناء[3]، ولأن الإسلام قد حَرَّمَ الخمر فإن الأشج العبدي يوصي بنيه بألَّا ينبذوا البسر والتمر جميعًا، لنهي النبي ﷺ عن ذلك، كما ينهاهم عن إدمانه مخافة السُّكْر[4].

وعمر ﷺ يدرك ما للجوع من أثر في نفسية الإنسان، ومن ثَمَّ في تعامله مع الآخرين، فيوصي ابنه بقوله: (يا بني لا تخرج من منزلك حتىٰ تأخذ حِلْمَك، يعني تتغدىٰ)[5]، وإذا كان قد عُرف عنه ﷺ قوله: (اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا)[6]،

(١) الوصية: ٣٦٣.
(٢) الوصية: ٣٩٨.
(٣) انظر: الوصية: ٦٩.
(٤) انظر: الوصية: ٦٤.
(٥) الوصية: ١٢٠.
(٦) من كلمة له وردت في كتاب غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٢٢٣، قال أبو عبيد -رحمه الله- تعليقًا عليها(وقوله «اخشوشنوا»: هو من الخشونة في اللباس والمطعم، «واخشوشبوا» أيضًا شبيه به، وكل شيء غليظ خشن، فهو أخشب وخشب، وهو من الغلظ، وابتذال النفس في العمل، والاحتفاء في المشي، ليغلظ الجسد ويجسو... وقوله: (تمعددوا)... هو من الغلظ أيضًا، ومنه قيل للغلام إذا شب وغلظ: قد تمعدد).

فإنه يوجه أبناءه إلىٰ عدم إدامة التَّنَعُّم بالمأكل والمشرب والملبس، ولو كان وافرًا، يقول: (لا تديموا أكل اللحم، ولا تلظُّوا بالماء العذب، ولا تديموا لبس القميص)[1]، وبخصوص إدامة اللحم فقد نهىٰ عنه عمر ﷺ في قوله: (إن للحم ضراوةً كضراوة الخمر)، منطلقًا في ذلك من منظور اقتصادي، إذ معتاد اللحم لا يكاد يصبر عنه، فيدخل في الإسراف من هذا الباب[2].

وينهىٰ دعبل -في العصر العباسي- ابنه عن أكل ألية الشاة تنزُّهًا، إذ هي -كما يقول-: (طبق الاست وقريب من الجواعر!)[3].

وفي مقابل كلام عمر السابق، نجد التوسع في الدنيا، سواء كان في ساحة المنزل، أو في ملذات الحياة، في وصايا يحيىٰ بن خالد البرمكي في العصر العباسي، إذ أصبحت للثقافة الفارسية بصماتٌ واضحةٌ في الحياة، بما اطلع عليه العرب في حياة الفرس من أوجه الحياة المدنية، وبما نقله الفرس من أدبيات فيها.

يقول يحيىٰ البرمكي لابنه: (تريد أن تبني دارك، فاعلم أن عمرانها عمران قليل، وخرابها خراب قليل، فاستوسع فإن الهمة في السعة)[4].

وحين شكا إليه الخليفة الرشيد سلوك ابنه الفضل -وقد ولَّاه الرشيد خراسان- من إخلالٍ بعمله، وإقبال علىٰ الشهوات، عاتب ابنه الفضل علىٰ ذلك، مبينًا له ضرورة ترتيب الوقت، وإخلاص النهار للعمل، والتفرغ للهو في الليل، إذ يستره جنح الظلام عن الأعين[5]!

---

(١) الوصية: ١٢٢.
(٢) انظر: اللسان (ضرا).
(٣) الوصية: ٣٦٤.
(٤) الوصية: ٤٤٨.
(٥) انظر: الوصيتين: ٤٤٩، ٤٥٠.

وفيما يتصل بالنوم فقد كان له نصيب من توجيهات الآباء، فثمة أوقات -من النهار- يكون النوم فيها مكروهًا، وأخرىٰ يكون النوم فيها مرغَّبًا فيه، وهم في ذلك -كحالهم فيما مضىٰ من الجوانب- يمتحون من الآداب الإسلامية الجديدة، المتمثلة بتوجيهاته ﷺ، فحين رأىٰ العباس ؓ ابنه نائمًا وقت الضحىٰ وكزه برجله، وقال: (قم لا أنام الله عينك، أتنام في ساعة يقسم الله فيها الرزق بين عباده، أوَما سمعت ما قالت العرب: إنها مكسلة مهزلة منساة للحاجة)[1]. وهو في جزئها الأول قد ألَمَّ بحديث شريف في هذا المعنىٰ[2]، وابن مسعود ؓ يوجه أبناءه إلىٰ نومة القيلولة، فيقول: (يا بني قيلوا فإن الشياطين لا تقيل)[3]، وهو أيضًا يتكئ علىٰ حديثٍ شريف، بل إن كلامه يمثل الحديث الشريف بنصه[4].

وفي موضوع المرأة لا تكاد الوصايا تعدو كثيرًا من المعاني التي طرقتها الوصايا في العصر الجاهلي، وهي معانٍ له اعتبارها في الجملة، فقد تطرَّق الآباء الموصون إلىٰ أثر العرق السيئ، وضرورة العناية باختيار العروق الطيبة، فعثمان بن أبي العاص يطرح بين يدي بنيه أثر تجربته في حسن اختيار الزوجة، ثم يبين لهم أن الناكح زارع يفترض أن يختار الأرض الطيبة لما يريد استنباته، مشيرًا إلىٰ أن القاعدة العامة عدمُ نجابةِ من تكون أمه من عرق سيئ[5]، ويشير غيلان بن سلمة -في وصيته لبنيه- أن المرأة الشريفة التي نشأت في بيت تتجسد فيه القيم الكريمة، تصبح معراجًا لأولادها إلىٰ طريق الكرم، مؤكدًا أن استمرار المجد مربوط بحسن الاختيار في النكاح والإنكاح، مبينًا تجربته في اختيار زوجاته[6]، ويمتنُّ أبو الأسود

(١) الوصية: ٨٢.

(٢) انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/ ٢٨٩.

(٣) الوصية: ٩٢.

(٤) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رحمه الله ٤/ ٢٠٢ ح١٦٤٧.

(٥) انظر: الوصية: ٩٤.

(٦) انظر: الوصية: ١٣١.

علىٰ بنيه أنه حفظهم قبل أن يولدوا! إذ لم يضعهم في أرحام يسبُّون بها[1]. ويحذر قيس بن عاصم بنيه من العرق السيئ، إذ هو -كما يقول-: (مهما يسرُّكم يومًا فما يسوؤكم أكثر)[2]، والخطاب بن المعلىٰ يؤكد أن (العرق نزاع)، مذكرًا ولده (أن زوجة الرجل سكنُه، ولا عيش له مع خلافها)، مؤكدًا له ضرورة السؤال عن الأهل حين إرادة النكاح (فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة)[3]، وحين تكلم عبد الله بن الزبير عند والده، ورأىٰ والده في صوته صوتَ أبي بكر جدِّه لأمه، أكد له أن المرأة لا تخرج عن والدها وأخيها[4].

وإذا كان الحديث السابق عن اختيار الزوجة فإن مجهودًا لا يقل عنه، وبعبارات فيها قدرٌ غير قليل من الصرامة، يوجهه الآباء إلىٰ أبنائهم في عدم تزويج البنات غيرَ الكفءِ، ويعلل الأشعث بن قيس لبنيه ذلك بقوله: (فإنكم أهل بيت يتأسَّىٰ بكم الكريم، ويتشرَّف بكم اللئيم)[5]، وينهىٰ سعيد بن العاص بنيه من تزويج بناته إلا من الأكفاء (ولو بفِلَقِ خبز الشعير)[6]، ويؤكد مرة أخرىٰ: (أن تكون بيوتهن قبورهن إلا من الأكفاء)[7]، وتعجب وصيةُ سعيدٍ السابقة أبا العتبي، فيوصي ابنه في بناته بها، لكنها تأتي عنده أكثرَ صرامة، فيقول: (وانظر بناتي، فوصيتي فيهن بما أوصىٰ به سعيد بن العاص في بناته حين قال: يا عمرو، انظر بناتي، فاجعل البيوت لهن قبورًا حتىٰ يأتيهن الموت، أو يأتيك الأكفاء)[8].

---

(١) انظر: الوصية: ١٥٧.
(٢) الوصية: ٢٧٠.
(٣) الوصية: ٣٦٣.
(٤) انظر: الوصية: ٧١.
(٥) الوصية: ١٦٢.
(٦) الوصية: ١٨٠.
(٧) الوصية: ١٨٣.
(٨) الوصية: ٣٩٨.

وفيما يتصل بتوجيه الفتاة لاستقبال الحياة الزوجية، والنجاح فيها، تبدو المسؤولية علىٰ الزوجة -كما كان في العصر الجاهلي-، فهي قادرة علىٰ جعل زوجها (عبدًا) لها متىٰ ما أصبحت بمعاملتها إياه سامعةً مطيعةً، كما لو كانت (أمة)، وتتكرر -في عدد من الوصايا- عبارةُ أمامة بنت الحارث: (كوني له أمةً يكُن لك عبدًا)[١]، ويحذر الزبرقان بن بدر بناته من رجوعهن بالطلاق، فقد كان: (إذا زوَّج ابنةً له دنا من خدرها، وقال: أتسمعين؟! لا أعلمن ما طلقت، ثلاثًا، كوني له أمة يكُن لك عبدًا)[٢]، ويحذر أسماء بن خارجة وعبد الله بن جعفر ابنتيهما من الغيرة ويعدَّانها مفتاح الطلاق[٣].

ويحذر أسماء من (كثرة المعاتبة) باعتبارها (مقطعة للود)، ويحذر عبد الله بن جعفر من المعاتبة بالكلية باعتبارها (تورث البِغْضَة)، ويزوِّد أسماء ابنته بأبياتٍ قد خاطب بها أمَّها حين دخل بها، وهي تتصل فيما تستطيع به المرأة غرسَ مودتها في قلب زوجها، وكيف أن المودة حتىٰ لو كانت موجودة، يمكن بالأذىٰ أن تزول مع مرور الوقت[٤].

ويرسم أسماءُ لابنته أسلوبًا لطيفًا في التعامل مع الزوج، بغيةَ امتلاك قلبه، فيقول: (لا تلحفي به فيقلاك، ولا تتباعدي عنه فينساك، إن دنا فاقربي منه، وإن نأىٰ فأبعدي عنه)[٥]. ويشير أحد الآباء إلىٰ ابنته -بذكاء وتجربة- إلىٰ أثر التلطُّف مع الزوج من قبل الزوجة بقوله: (وعليك باللطف فإنه أبلغ من السحر!)[٦].

---

(١) انظر: الوصايا: ٧٠، ١٤٩، ٤٦٧.

(٢) الوصية: ٧٠.

(٣) انظر: الوصيتين: ٧٠، ١٤٩.

(٤) انظر: الوصية: ١٥٠.

(٥) الوصية: ١٥٠. وفيها شبه بوصية مسعود بن قيس، انظر: الوصية: ٥٧.

(٦) الوصية: ٤٦٧.

ويتطرق الآباء في وصاياهم لبناتهم إلىٰ موضوع الزينة والنظافة، وتتعدد تعبيراتهم عن ذلك، فعبد الله بن جعفر ينصُّ عليهما بقوله: (وعليك بالزينة والطيب)[1]، وأسماء بن خارجة وأبو الأسود الدؤلي يوصيان بما يجعل الزوجة مقبولة من قبل زوجها، بملء حواسه، فيمزجان الزينة بالسلوك، يقول أسماء: (لا يشمُّ منك إلا طيبًا، ولا يسمع إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلًا)[2]. ويقول أبو الأسود: (أكرمي عينيه وأنفه وأذنيه)[3].

ويبدو الاحتفاء بالماء كوسيلة متاحة مهمة للنظافة، فهو عند أسماء بن خارجة (أطيب الطيب)[4]، وعند موصٍ آخر (رأس الطيب)[5]. وللكحل مكانة مهمة في موضوع الزينة، إذ يتصل بالعين التي تمثل معظم جمال الوجه، ويعدُّ عبد الله بن جعفر الكحل (أزين الزينة)[6]، ويعدُّه أسماء بن خارجة (أحسن الحسن)[7]، ولأن البادية ليس عندهم ما عند الحاضرة من وسائل الزينة والطيب، فإن الفرافصة الكلبي، وهو يودع ابنته، التي تُزَفُّ من البادية إلىٰ الخليفة عثمان ﷺ في المدينة، يخشىٰ عليها أن تغلبها نساء المدينة، بما يتوافر لديهن من وسائل الزينة والطيب، فيقول: (يا بنية، إنك تقدمين علىٰ نساء قريش، وهنَّ أقدر علىٰ الطيب منك، فلا تغلبي علىٰ خصلتين؛ الكحل والماء، تطهَّري حتىٰ يكون ريُحك ريحَ شنٍّ أصابه المطر)[8]. ويضيف محمد بن عبد الله بن حسن السواكَ كعاملٍ مهمٍّ في النظافة،

---

(١) الوصية: ٧٠.
(٢) الوصية: ١٥٠.
(٣) الوصية: ١٥٦.
(٤) الوصية: ١٤٩.
(٥) الوصية: ٤٦٧.
(٦) الوصية: ٢٠٢.
(٧) الوصية: ١٤٩.
(٨) الوصية: ٢٦٦، وانظر: التعليق علىٰ الجملة الأخيرة هناك.

فيقول لابنتيه: (واعلما أن لن تسقط امرأة واظبت علىٰ ثلاث خصال: الماء والسواك والكحل، فعليكما بهن)[1].

ويقف الآباء أبناءهم علىٰ الصفات الجسمية والخلقية التي ينبغي تَطَلُّبُها في المرأة أو الحذر منها حين تشتمل عليها، فيؤكد غيلان بن سلمة الصفات الجسمية والخلقية المتصلة بالوجاهة والشرف، ويأمر بنيه بتزوُّج (كل رمكاء مكينة ركينة، أو بيضاء رزينة، في خِدْرِ بيتٍ يُتْبَعُ، أو جَدٍّ يُرتجىٰ)[2]، ويحذرهم من (القصيرة الرطلة)، مشيرًا إلىٰ أن بنيها ربما كانوا صورة منها.

ويحذر أحد الآباء ابنه من التورط بامرأة تتصف بشيء من الصفات السيئة التي عدَّدها بقوله: (يا بني إياك والرقوب، الغضوب، القطوب، الغلباء، الرقباء، اللفوت، الشوساء، المنانة، الحنانة)[3]، ثم يشير إلىٰ أن النساء بالنسبة لأسرة الزوج أو ماله أو منزله أنواع، فيقول: (واعلم أن من النساء جماعًا تجمع، وربيعًا تربع، وخروجًا تطلع، توهي الخرق ولا ترقع)، ويوصي بعض الهالبيين بنيه بأن يتزوجوا المطلقات لضعف نفوسهن! باعتبارهن مرفوضات، وألَّا يتزوجوا من مات عنهن أزواجهن، فربما ظلَّت تستقلُّ ما عند الزوج الأخير بالنسبة للزوج الميت[4].

وإذا كانت (النساء أشدَّ اختلافًا من أصابع الكف) -كما يؤكد الخطاب بن المعلىٰ في وصيته ولده- فقد بسط الحديث وأفاض فيه، حول أنواع النساء، وصفات كل واحدة مع زوجها وبيتها وولدها، بل وجيرانها[5].

---

(١) الوصية: ٤١٤.

(٢) الوصية: ١٣١.

(٣) الوصية: ٥٢٠.

(٤) انظر: الوصية: ٥٢٠.

(٥) انظر: الوصية: ٣٦٣.

ويرسم الآباء للأبناء سياسة التعامل مع النساء التي يرونها أكثر توافقًا مع تركيبتهن، وأعظم أثرًا في صلاح حالهن. ولعل بُعْدَهنَّ عن معرفة ما يتصل بسياسة الدولة هو ما رآه الآباء منسجمًا مع المنطق، فحين يوصي معاويةُ ابنه يزيدَ باستشارة ذوي الرأي والدين فيما يعرض له من أمور، يُنهي حديثه عن ذلك الموضوع بقوله: (واخزن ذلك عن نسائك وخدمك)[1]. ويحذر المنصور ابنه عن استشارة النساء في أمور الدولة، فيقول: (وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك)[2]، وربما كان ذلك لغلبة العاطفة عليهن، ويحذر معاوية -في وصيته السابقة- ابنه من الانشغال (بمفاكهة الإماء ومداعبتهن، فإن ذلك من فعل ضعفة الرجال)، ولعل السرَّ في ذلك التخوُّف من أن يتسرَّب شيء من أسرار الدولة في أثناء ذلك الإيغال في المفاكهة، أو أن تنكسر هيبة الخليفة فيتجرَّأن علىٰ الأمر والنهي بين يديه، أو التهاون في إنفاذ أمره.

ولهذا حذر بعض الآباء ابنه من السماح للنساء بالشفاعة أو إطماعهن بذلك[3]، ويعلل عبد الملك بن صالح ذلك بميل (من شفعت له عليك معها)[4]، ويوصي بعض الآباء بنيهم بعدم التهالك علىٰ النساء، ومواتاتهن في إغرائهن لهم، يقول عبد الملك بن صالح: (لا تساعف النساء فيملَلْنك، واستبق من نفسك بقية، فإنهن إن يرينك ذا اقتدار خير من أن يطَّلعن منك علىٰ انكسار)[5]، وثمة تحذير من الغيرة المفرطة لما لها من آثار سيئة، يقول سليمان بن داود الهاشمي: (لا تكثر الغيرة علىٰ

---

(١) الوصية: ٢٩٤.
(٢) الوصية: ٤١٩.
(٣) انظر: الوصية: ٩٦.
(٤) الوصية: ٣٩٦.
(٥) الوصية السابقة.

أهلك فتُرمىٰ بالشر من أجلك)[1]، ويشير عليٌّ ﷺ إلىٰ مفسدة الغيرة، حين تكون في غير موضعها، راسمًا نهجًا قويمًا في التعامل مع ذنب الزوجة -والمرأة في البيت عامة- فيقول: (إياك والغيرة في غير موضعها فإنها تدعو الصحيحة إلىٰ السقم، ولكن أحكم أمرهن، فإن رأيت ذنبًا فاجعل النكير علىٰ الكبير والصغير، وإياك أن تعيِّرهن بالذنب فيهون عليهن العيب)[2].

وثمة كلام تضمنته وصية منسوبة لعلي ﷺ عن النساء، وضرورة حجبهن، وأن (شدة) الحجاب أبقىٰ عليهن، و(أن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة)، مع أمور أخرىٰ هي بالثقافة الفارسية أليق، ولا سيَّما وقد ورد الكلام نفسه في وصية منسوبة لعبد الله بن المقفع[3].

وإذا كانت عامة وصايا الآباء للبنات ليلةَ البناء، أو بين يدي الزواج، متضمنة تعريف البنت بالأسلوب الأمثل لاجتلاب قلب الزوج، فثمة وصايا خرجت عن هذه الدائرة قليلًا[4] أو كثيرًا[5].

ج - الوصايا الاجتماعية:

يدعو حكيم العرب، أكثم بن صيفي، إلىٰ استمداد السلوك الاجتماعي من وحي العقل، فيقول: (أرىٰ الكيس نصف العيش)[6]، ولكن توجيهات عدد من الآباء لبنيهم في التعامل تأتي منطلقة من معطيات الواقع الجاهلي، فتدفع إلىٰ أنواع

---

(١) الوصية: ٣٧٥.

(٢) الوصية: ٩٩.

(٣) انظر: توثيق الوصية: ٩٦.

(٤) انظر: الوصيتين: ٨٦، ٨٨.

(٥) انظر: الوصية: ١٤١.

(٦) الوصية: ٤.

من السلوك يهدف من ورائها إلىٰ زرع الهيبة، حيث حفظ الحقوق، ورهبة الجانب، فيطلب أود بن صعب من بنيه إظهار القوة النفسية، والتحفظ علىٰ الأسرار، فيقول: (يا بني أخيفوا الناس ولا تخافوهم، واستخبروهم ولا تخبروهم)[1].

وحين تتحقق الهيبة، ويتمُّ الاعتراف بالحقوق لا يبقىٰ للاعتداء أو إظهار القوة قيمة، يقول: (وإذا دُفعتم عن حقكم فاطلبوا أكثر منه، وإذا بُخِعَ لكم فاقتصروا عليه).

ويغلو طيئ بن أدد فيرىٰ الاعتداء علىٰ الناس هو السبيل للاحترام، يقول لبنيه: (وابدؤوا الناس بالشر فإنه أشكر لخيركم)[2].

ولكن سعد العشيرة -مقابل ذلك- ينحو منحًىٰ أكثر واقعية وهو يقول لبنيه: (تحبَّبوا إلىٰ العشائر تهبْكم العمائر)[3]، فيكون زرع الهيبة منبثقًا من التكتُّل القبلي، القائم علىٰ أسلوب التعامل اللطيف والتحبُّب فيما بين الأقارب.

وأمام أساليب العنف السابقة يبرز أسلوب يؤثر السلامة في التعامل، ويغلِّب المجازاة بالخير، مع سائر الناس، يقول شراحيل بن كعب: (لا تستثيروا السباع من مرابضها فتندموا، وداروا الناس بالكفِّ عنهم تسلموا)[4].

فالبشر في غرائز الشرِّ كالسباع، إن ذهبت تستثيرها في مرابضها هيَّجتها وجرأتها للهجوم عليك، وكذا الناس كلٌّ سائر في طريقه ما لم يبادره أحد بشرٍّ.

ويقول الحارث بن الحكم: (وجازوا بالحسنة ولا تكافئوا بالسيئة)[5]، ويوضح الحارث بن كعب لبنيه أن: (التفضُّل بالحسنة يقي السيئة، والمكافأة بالسيئة الدخول

(١) الوصية: ١٨.
(٢) الوصية: ٤٨، والغريب أنه حذر بنيه في أول الوصية من البغي!
(٣) الوصية: ٣٥.
(٤) الوصية: ٣٧.
(٥) الوصية: ٢٥.

فيها)[١]، ومع ذلك فلا بد من استصحاب الحذر ممن يُتخوَّف ترصُّدهم لأخذ الثأر[٢]، أما التعامل بعامةٍ -في توجيه حصن بن حذيفة الفزاري لبنيه- فينبغي أن يكون بالخلق الجميل، يقول: (واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم)[٣].

وإذا كان ما مضىٰ متصلًا بالسلوك فإن الأمر في القول غالبًا ما يتجه إلىٰ الابتعاد عما يشعر بالكمال أو يرجع بالنقص، يقول أكثم ضمن وصيته لبنيه: (واستر سوءة لما تعرف فيك)[٤]، ويدعو أبناءه إلىٰ التوازن حين الحكم علىٰ الأشخاص والكلام فيهم فيقول: (ولا تمنعكم مساوئ رجل من ذكر محاسنه)[٥]. والمجادلة والمماراة قد تدفعان الإنسان إلىٰ الانفعال ورفع الصوت، والحديث بأمور تجرُّ عليه عواقب وخيمة، والحياء خصلة جميلة تمنع من الجري في ذلك الميدان، يقول أكثم لابنه: (واعلم أن ترك المراء من الحياء)[٦]، وينبِّه أكثم بنيه إلىٰ ضرورة كبح جماح النفس، إذ ربما غضب الإنسان من اليسير فجرَّ علىٰ نفسه بذلك الغضب الكثيرَ[٧]، بل إن العتاب -وهو يجري غالبًا بين المتحابين- إذا أُفرط فيه أصبح أمرًا سيئًا، يقول صيفي بن رياح: (وأسوأ الأدب كثرة العتاب)[٨].

ويوجه أكثم بنيه لأدب المجالسة والمجالس، فينهاهم عن الحديث فيما لا علم للإنسان فيه، حتىٰ لا يُحرَج، أو يُتخذ هزءًا، أو يُرمىٰ بالكذب، يقول: (لا تجري فيما

(١) الوصية: ٢٦.
(٢) انظر: الوصية: ١٨.
(٣) الوصية: ٢٨.
(٤) الوصية: ٤.
(٥) الوصية: ٧.
(٦) الوصية: ١٥.
(٧) انظر: الوصية: ٧.
(٨) الوصية: ٤٠.

لا تدري)[1]، وحتىٰ مع وجود العلم فليس من الأدب أن يتسرَّع الإنسان بالإجابة عن سؤال لم يُوَجَّهْ له، كما أنه من غير الأدب الضحك مما لا يدعو للضحك، مما يخلُّ بشخصية الإنسان أمام الناس[2].

وفي الوصايا في العصور الإسلامية تبدو الإشارة إلىٰ تركيبة المجتمع سواء من حيث العقل؛ حيث العقلاء والسفهاء[3]، والضعيف والأهيس الأليس[4]، والعقلاء والجهّال[5]، والحليم واللئيم[6]، أو الحليم والأحمق[7]، وذو اللبِّ والجهول والعجول[8]، أو من حيث الدِّين ففي المجتمع الأخيار والأشرار[9]، والصالحون وأهل الدعارة والريبة[10]، والمغترُّ بالله[11] ورجل السوء، ورجل الصدق[12].

وهو من حيث العلم فيه العلماء والسفهاء[13]، والحكماء[14]، وهو من حيث الخلق والسلوك فيه الكرام واللئام[15]، والشريف والدنيء[16]، وأصحاب

(١) الوصية: ٤.
(٢) انظر: الوصية: ٧.
(٣) انظر: الوصيتين: ٣٣٧، ٢٦١.
(٤) انظر: الوصية: ١٦١.
(٥) انظر: الوصية: ١٩٥، ٢٠٤.
(٦) انظر: الوصية: ٢٤٤.
(٧) انظر: الوصية: ٣٦٣.
(٨) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(٩) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(١٠) انظر: الوصية: ٣٢.
(١١) انظر: الوصية: ٢٣٥.
(١٢) انظر: الوصية: ٢٣٦.
(١٣) انظر: الوصية: ١٠٥، ٣٥٢، ٣٣٧.
(١٤) انظر: الوصية: ٣٣٩.
(١٥) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(١٦) انظر: الوصية: ١٨٨.

المروءات والأخلاق الجميلة، والصغار الأخطار اللئام الأقدار[١]، والأنذال[٢].

وهو من حيث منزلة الناس فيه الصغار والكبار[٣]، والملوك والسوقة [٤]، والأشراف والسفلة [٥].

وهذا التنوُّع في تركيبة المجتمع اقتضىٰ من الآباء تنبيه الأبناء إلىٰ كيفية التعامل مع سائر هذه الفئات، فحذر الآباء أبناءهم من صحبة السفلة[٦]، بل من مجرد مجالستهم، إذ إن طول مجالستهم تجعلهم يجترئون علىٰ مُجالِسهم، فإن أجرأ الناس علىٰ السباع أطولهم لها معاينة[٧].

ومن خالط الأنذال فسينظر الناس إليه نظرة احتقار[٨]، ويحذِّر عمير بن حبيب بنيه من مجالسة السفهاء مؤكدًا (أن مجالستهم داء)[٩]، ويدعو إلىٰ الإغضاء عما يصدر منهم، ويحذر وهب بن منبه ابنه من مماراة السفهاء -وإن لبسوا سربال العلم- إذ إنهم سيجهلون عليه ويشتمونه، ويخبره أنه إنما (ينجو من السفهاء من صمت، وسكت عنهم)[١٠]، وفي سبيل البعد عن الجهلة يجعل الخطاب بن المعلىٰ: (ذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك!)[١١]، ويحذر الآباء من صحبة الأحمق لأنه

---

(١) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(٢) انظر: الوصية: ٩٧.
(٣) انظر: الوصية: ٢٣٣.
(٤) انظر: الوصايا: ٣٥٩، ٣٨٦.
(٥) انظر: الوصية: ٣٩٢.
(٦) انظر: الوصية: ٦٨.
(٧) انظر: الوصية: ٣٩٢.
(٨) انظر: الوصية: ٩٧.
(٩) الوصية: ٢٦١.
(١٠) الوصية: ٣٣٧.
(١١) الوصية: ٣٦٣.

يريد نفعك فيضرك[1]، ولذا فقد نبه أعرابي ابنه ألا يغترَّ من الناس بمجرد إقبالهم عليه، وإنما يتعامل معهم حسب عقولهم، فيقول: (يا بني كُن للعاقل المدبر أرجىٰ منك للأحمق المقبل)[2]، أما العقلاء فليجالسهم الإنسان حتىٰ ولو كانوا أعداء (فإن العقول تلقح العقول)[3]، وإذا كان الأمر كذلك فإن (صحبة بليد نشأ مع العقلاء خيرٌ من صحبة لبيبٍ نشأ مع الجهَّال)[4]، بل إن (معاداة الحليم خير من صحبة الأحمق)[5]، كما يقرر الخطاب بن المعلىٰ.

أما اللؤماء فإن طباعهم توجب الحذر منهم، فهم (إن أحسنت إليهم لم يشكروا، وإن نزلت معضلة لم يصبروا)[6]، ولا غرو حينئذٍ أن يكون عبد الله بن شداد قد أمر ابنه أن يضع (الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعن معروفك عند اللئام)[7]، بل يؤكد الخطاب بن المعلىٰ لابنه أن: (لزوم الكريم علىٰ الهوان خير من صحبة اللئيم علىٰ الإحسان!)[8].

وإذا كان الدين أعظم منَّةٍ امتنَّ الله بها علىٰ المسلم، فيجب أن يُتَجَنَّب ما يثلمه، فمجالسة أهل الشر، المنحرفين عن شرع الله، المجترئين علىٰ ما حرم الله، قد تطبع الإنسان بذلك، فيخسر خسرانًا مبينًا، وإذا كان عليٌّ ﷺ قد أمر ابنه بمقارنة

---

(١) انظر: الوصية: ٢٦٩.
(٢) الوصية: ٤٧٢.
(٣) الوصية: ٤٦٣.
(٤) الوصية: ٤٦٩.
(٥) الوصية: ٣٦٣.
(٦) الوصية: ٥١٩.
(٧) الوصية: ٢٠٤.
(٨) الوصية: ٣٦٣.

أهل الخير، ومباينة أهل الشر[١]، وجعفر الصادق أمر ابنه بزيارة الأخيار، ونهاه عن زيارة الفجار[٢]، فإن المهلب بن أبي صفرة يسدُّ كلَّ منفذ يمكن أن يلتقي فيه أبناؤه بأهل الفساد، أو من يحملون أماراته، يقول: (ولا تقاعدوا أهل الدعارة والريبة، ولا تخالطوهم، ولا يُطمعن في ذلك منكم)[٣].

والآباء، وهم يوصِّفون لبنيهم السلوكَ الأمثل مع سائر الناس، يُلحظ في وصاياهم تغليب جانب الصفح والعفو، وحسن اللقاء، وتحمُّل الأذىٰ، والحرص علىٰ عدم المعاداة، مع الاحتفاظ بقدر من الهيبة التي تُبقي علىٰ الإنسان احترامه، وتمنع اقتحام العيون له، يقول الخطاب بن المعلىٰ لولده: (والق عدوَّك وصديقك بوجه الرضا، وكف الأذىٰ، من غير ذلةٍ لهم، ولا هيبةٍ منهم)[٤].

ويفتح علي بن أصمع الباب أمام أبنائه في التقرب إلىٰ الناس والتخلُّق معهم، وسلوك كل سبيل يجلب المودة، ويشعر بعمق المكانة، يقول: (يا بني عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنُّوا إليكم، وإن مِتُّم بكوا عليكم)[٥]، ولا يمكن أن تنشأ هذه المكانة إلا عبر تعامل طويل، وسلوك جميل.

ويؤكد الخطاب بن المعلىٰ في وصيته الآنفة الذكر حسنَ اللقاء مع الناس، وأثره في نفوسهم، وكيف أن الكرام هم من يتَّصفون بالبشر في وجوههم، والرقة في حديثهم، يقول: (وحسن اللقاء يذهب بالشحناء، ولين الكلام من أخلاق الكرام)، ويبين عبد الله بن شداد قيمة الملاقاة بالبشر، إذ يعدل عمل المعروف، وأن علىٰ المرء أن يجازي من يعامله بلغة راقية، بلغة أفضل منها، يقول: (ومن لاقاك بالبشر

(١) انظر: الوصية: ٩٦.
(٢) انظر: الوصية: ٣٥٢.
(٣) () الوصية: ٣٢٠.
(٤) الوصية: ٣٦٣.
(٥) الوصية: ٢٤٢.

فقد أدىٰ إليك الصنيع، ومن أقرضك الثناء فاقضِه الفضل)[1]، لكن هذا التعامل اللطيف والبشر الطافح في الوجوه لا يقتضي عند عبد الله بن شبرمة كثرةَ الخلطة بالناس، إذ إن ذلك يؤدي إلىٰ اجتراء السفهاء، وزوال الهيبة، يقول: (يا بني لا تمكِّن الناس من نفسك فإن أجرأ الناس علىٰ السباع أكثرهم لها معاينة)[2]، ويقول: (يا بني إياك وطول المجالسة، فإن الأُسْد إنما يجترئ عليها من أدام النظر إليها)[3].

وإذا كانت الهيبة تهون بكثرة المجالسة، فإن المزاح -بما يستتبعه من ردٍّ، وما يترتب عليه من أثر- قد يكون أسرع في إضعافها، ولذا فإن سعيد بن العاص يدعو ابنه إلىٰ الاقتصاد فيه، (فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرِّئ عليك السفهاء)[4]، وحين يتحول المزاح إلىٰ مهازلة، فإنه سيئ حتىٰ مع الإخوان[5]. بل إن ممازحة الشريف -بين يدي الناس- قد تُحفِظه، وتحمله علىٰ الحقد، ظنًّا بأن من مازحه يروم التهوين من شأنه، أو إسقاط هيبته[6]، وتمنح إحدىٰ الإعرابيات ابنها أسلوبًا رائعًا يستطيع به تكوين السلوك الأمثل، فتقول: (ومثِّل لنفسك مثال ما استحسنت لغيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرىٰ عيب نفسه)[7].

وحين يبتلىٰ الإنسان بسفيهٍ فإن العقل يقتضي عدم الدخول معه في معركة الغالبُ فيها شرٌّ من المغلوب، وقد يغتاظ الإنسان مما يُرمىٰ به من كلام كاذب أو قاسٍ، لكن دخوله مع الجهلة والسفهاء أشد ضررًا من الكذب أو القسوة عليه في

---

(١) الوصية: ٢٠٤.
(٢) الوصية: ٣٩٠.
(٣) الوصية: ٣٩١.
(٤) الوصية: ١٨٤. وانظر: الوصيتين: ٢٢٦، ٥٣٤.
(٥) انظر: الوصية: ٣٦٣.
(٦) انظر: الوصية: ١٨٨.
(٧) الوصية: ٥٣٥.

الكلام، وربما أسف الإنسان لردِّه، وتمنىٰ لو أنه صمت. ولكن العاقل يستعيذ بربه، ويعتصم بحلمه، ويُروض نفسه علىٰ الإحسان إلىٰ من أساء إليه، وحين ذاك يظهر فضله، ويرجو رضا ربه وثوابه، وذلك ما أكَّده وهب بن منبه، في وصيته لابنه[١]. ويؤكد هذا المعنىٰ عمير بن حبيب حين يقول لولده: (إن من يحلم عن السفيه يسرُّ بحلمه، ومن لا يُقرُّ بقليل ما يأتي به السفيه يقرُّ بالكثير، ومن يصبر علىٰ ما يكره يدرك ما يحبُّ)[٢]، ويؤكد الخطاب بن المعلىٰ هذا المعنىٰ، ويوضح أن هذا السلوك مدعاة للرفعة في أعين الناس[٣]. ويضيف عبد الله بن شداد إلىٰ ذلك الإغضاء عن كلام الحساد، وينبه ابنه إلىٰ أن التغافل من كمال الفطنة، وأن الناس يصدرون في حكمهم علىٰ المتخاصمين بحديثهما وسلوكهما[٤].

وتحذر أعرابية ابنها من التعرض لعيوب الناس، إذ سيرمونه عن قوس واحدة، فيصاب في مقتل[٥].

وفي سبيل تحقيق مقتضيات الشرف والرئاسة فإن الأشعث بن قيس يوجه بنيه إلىٰ الإغضاء عما يرميهم به السوقة، وتلافيه بطريقة عملية، وذلك ببسط الكف بالعطاء[٦].

ويحذرهم في الوصية ذاتها من أن يقولوا أو يفعلوا ما يضطرهم إلىٰ الاعتذار، أو ما يخرقون به ثوب الحياء: (وإياكم وما يعتذر منه أو يستحيىٰ، فإنما يعتذر من ذنب، ويستحيىٰ من عيب).

---

(١) انظر: الوصية: ٣٣٧.
(٢) الوصية: ٢٦١.
(٣) انظر: الوصية: ٣٦٣.
(٤) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(٥) انظر: الوصية: ٥٣٥.
(٦) انظر: الوصية: ١٦٢.

ويصل الاحتفاء بالناس ذروته عند سعيد بن العاص حين يقول لبنيه: (من أتاكم في مجالسكم فقد وجب حقُّه عليكم، ومن أتاكم في منازلكم فقد وجبت حرمته عليكم، ومن أتاكم في حاجة فلا تدخروه شيئًا، فمِنَّته عليكم أعظم، إذ رآكم أهلًا لحاجته)[1]، وفي مقابل الوصايا بحسن التعامل، والعمل علىٰ اصطياد محبة الناس وودِّهم، تأتي وصايا تحذر من عمل كل ما يثير عداوة الناس. تقول أعرابية لابنها: (والْهَ عن النمائم، فإنها تزرع الضغائن وتزيل الوفاء... واطرح حُلَلَ الغرور فإنها مبغضة، والتخلُّق بها شين)[2]، وتقول أعرابية أخرىٰ لابنها: (وإياك والنميمة، فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها، ولا ضغينة إلا أوقدتها)[3].

وإذا كان الآباء قد وجهوا أبناءهم إلىٰ الابتعاد الحسي أو المعنوي عن أنواعٍ من الناس، فقد نبهوهم إلىٰ أن ذلك البعدَ ينبغي ألا يخالطه شعور بالكبر أو الخيلاء تجاه الآخرين، يقول الخطاب بن المعلىٰ: (وعليك بالرزانة والتوقر، من غير كِبْرٍ يوصف منك، ولا خيلاء تحكىٰ عنك)[4]، ويقول عون بن عبد الله: (كن يا بني ممن نَأْيُهُ عمن نأىٰ عنه يقين ونزاهة، ودُنُوُّه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس نأيه بكِبْرٍ ولا عظمة)[5].

وفي مقابل ما مضىٰ يأتي التحذير من معاداة الرجال، إذ -كما يقول علي بن الحسين لابنه-: (إنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم)[6].

---

(١) الوصية: ١٨٦.

(٢) الوصية: ٥٤١.

(٣) الوصية: ٥٣٨، وانظر: الوصية: ٥٣٥، ويلفت النظر تأكيد النساء في وصاياهن تركَ النميمة. وثمة تساؤل حيال ذلك: هل هو نتاج تجربة، أم نتاج معايشة في أوساط النساء، حيث الاحتفاء بالكلام واشتعال نار الغيرة؟

(٤) الوصية: ٣٦٣.

(٥) الوصية: ٢٦٣.

(٦) الوصية: ٢٤٤.

وينبه أحد الآباء أبناءه إلىٰ عدم معاداة أيِّ رجل، وإن غَلَبَ علىٰ ظنهم -في زمنهم الحاضر- أنه لا يضرُّهم، وإلىٰ عدم الزهد في صداقة أحد، وإن بدا لهم أنه لا ينفعهم، ويعلل لهم ذلك بقوله: (فإنكم لا تدرون متىٰ تخافون عداوة العدوِّ، ولا متىٰ ترجون صداقة الصديق)[1]، فقد يصبح ما يرونه اليوم حقيرًا ذا خطر غدًا، ووقتها يخافون سطوته إن كانوا قد عادوه، ويُحرَمون خيرَه إن لم يكونوا قد أقاموا بينهم وبينه جسر صداقة، ولعل أقل بذرة صداقة يمكن وضعها في صدر الإنسان ما أشار إليه الأب في نهاية الوصية بقوله: (ولا يعتذر منكم أحد إلا قبلتم عذره، وإن علمتم أنه كاذب!).

ويوجِّه أحد الآباء ابنه إلىٰ ألَّا تكون علاقته بالآخرين مغلَّفة بالمصلحة العارضة بل مكسوة بالحبِّ الصادق الذي يرسخ صداقة الأصدقاء، ويجلب عطف عامة الناس، مشيرًا إلىٰ أن الأضغان هي التي يطفح بها سوق العلاقات الاجتماعية، وأن الصداقة الحقيقية قليلة، تتطلب بذل مجهود لتحقيقها، وأنه، بما أشار إليه من سلوك، يمكن غرس بذور الصداقة، واستنبات شجرتها، يقول: (يا بني، ابذل المودة الصادقة تستعبد إخوانًا، وتتخذ أعوانًا، فإن العداوة موجودة عتيدة، وإن الصداقة مستعذرة بعيدة)[2].

والمجالس -بأنواعها- هي المجالُ الأرحب للاجتماع والسماع، فلقاءات الناس في غيرها لقاءات عارضة سريعة، والحديث فيها مقتضب. والمجالس قد تكون عامة مفتوحة يحضرها الجمُّ الغفير، كما أن وقتها واسع ممتدٌّ، والحديث فيها متشعب، وقد تكون خاصة، يكون عدد الحاضرين فيها محدودًا، تربطهم وشيجة، أو يجمع بينهم سبب، لكنها تشترك مع المجالس العامة في امتداد الوقت وتشعُّب

---

(١) الوصية: ٥١٢.

(٢) الوصية: ٥١٩.

الحديث، ومن المهم أن يكون مرتاد المجلس -بصفة عامة- ملتزمًا الأدب، متصفًا بالأخلاق الفاضلة، إذ إن حديثه وسلوكه في المجلس، تحت سمع وبصر جميع الحاضرين، وحين يندُّ منه تصرُّفٌ غير مناسب، أو تسبق علىٰ لسانه كلمة عوراء، في ذاتها، أو في حق أحد من الحضور، فقد تتناقلها الألسن، وتتقاذفها الأفواه، وتتردد في المجالس، مقترنة باسم قائلها، فتقتحمه الأعين، وتزدريه الناس، وربما كانت الكلمة مسددة نحو سفيه فإذا هو يطلق عنان لسانه في عرض المتكلم، ويصب عليه سوط كلام موجع.

ذلك كله دعا الآباء إلىٰ أن يؤكدوا في وصاياهم لأبنائهم علىٰ ما ينبغي التزامه من آداب المجلس. ولعل الخطاب بن المعلىٰ أكثر الموصين تطرُّقًا إلىٰ تلك الآداب، يقول لابنه: (إياك وهذر الكلام، وكثرة الضحك، والمزاح، ومهازلة الإخوان، فإن ذلك يذهب البهاء، ويوقع الشحناء، وعليك بالرزانة والتوقر، من غير كبر يوصف منك، ولا خيلاء تحكىٰ عنك، ... ولا تتخذ السوق مجلسًا ولا الحوانيت متحدثًا ولا تكثر المراء ولا تنازع السفهاء، فإن تكلمت فاختصر، وإن مزحت فاقتصر، وإن جلست فتربَّع، وتحفَّظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها، والعبث بلحيتك وخاتمك، وذؤابة سيفك، وتخليل أسنانك، وإدخال يدك في أنفك، وكثرة طرد الذباب عنك، وكثرة التثاؤب والتمطي، وأشباه ذلك مما يستخِفُّه الناس منك، ويغتمزون به فيك، وليكُن مجلسك هاديًا وحديثًا مقسومًا، وأصغِ إلىٰ الكلام الحسن ممن حدثك، بغير إظهار عجب منك، ولا مسألة إعادة، وغضَّ عن الفكاهات من المضاحك والحكايات... وإذا وعدت فحقق، وإذا حدثت فاصدق، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصمِّ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس، وتخيَّر محاسن القول بالحديث المقبول، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلىٰ أهله، وإياك والأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب، وتقفُّ لها الجلود... ولا تكثر الكلام فتثقل علىٰ الأقوام، وامنح البشر

جليسك)[1]. وهكذا رسم الخطاب لابنه آداب المجلس، لم يكَد يغادر منها شيئًا.

ولا تكاد الوصايا الأخرىٰ تخرج في هذا الموضوع عن وصية الخطاب السابقة[2] سوىٰ ما أشار إليه أبو الأسود الدؤلي بقوله لابنه: (يا بنيْ إذا جلست في قوم فلا تتكلم بما هو فوقك فيمقتوك، ولا بما هو دونك فيزدروك)[3].

ولعل من الطريف أن تكون الشهرة -ولو سلبيةً- عند بعض الناس هي الهدفَ الذي يُسعىٰ إليه حين حضور المجالس، فقد قالت أعرابية لابنها: (إذا جلست مع الناس فإن أحسنت أن تقول كما يقولون وإلا فخالف تذكر!)[4]، وقد يكون في قولها مبالغة، ولكن ربما دعاها إلىٰ ذلك الهربُ من خمول الذكر، إذ الخامل الذكر ساقط من أعين الناس[5].

وثمة توجيه جميل، ولفتة نظرٍ رائعة، مؤداها أن الأعراف الاجتماعية ظاهرة في كل جيل، وهي أثر من آثار المحيط والبيئة اللذَينِ يعيش فيهما أيُّ جيل، وينبغي أن يعايش كل إنسان زمانه، وألا يحاول الخروج عن زمانه إلىٰ زمان والده، الذي ظلت تسوده مواضعاتٌ وأعرافٌ ظل يصنعها أبناءُ جيله الذي عاش فيه، والتي قد تتوافق مع أوضاعهم بصورة أفضل، دون أن يستلزم ذلك تناغمها مع زمن الابن، يقول عروة بن الزبير لبنيه: (الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم)[6]. وقد يكون الخطاب ابن المعلىٰ عنىٰ ذلك بقوله: (والبس لكل دهر ثيابه، ومع كل قوم شكلهم)[7].

---

(١) الوصية: ٣٦٣.
(٢) انظر: الوصايا: ٢٠٤، ٢٦١، ٣٢٠، ٣٣٧.
(٣) الوصية: ١٥٣.
(٤) الوصية: ٥٣٦.
(٥) انظر: مناسبة الوصية السابقة.
(٦) الوصية: ٢٣٦.
(٧) الوصية: ٣٦٣.

وجارُ الإنسانِ ألصقُ الناس به بعد أهله، ونمط التعامل معه له أثره الكبير في نفسه، وإقامته إلىٰ جوار الإنسان دائمة وليس لقاؤه عارضًا، وقد جاءت تعليمات الإسلام تؤكد العناية به، ورعاية مشاعره، وقد جعل النبي ﷺ إكرامَ الجار، وعدمَ أذاه من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر[١]، وقال لأبي ذر: يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك[٢]، ويشير ﷺ إلىٰ إلحاح جبريل -عليه السلام- بالوصية عليه في الجار، وهو ما استشهد به عليٌّ ﷺ وهو يوصي بنيه بالجار[٣].

ومع ما سبق لا يكاد يوجد سوىٰ عددٍ يسيرٍ من الوصايا لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة تعرض للتعامل مع الجار، فأبو بكر ﷺ يقف علىٰ ابنه عبد الرحمن وهو ينازع جارًا له، فينهاه عن ذلك، وينبهه إلىٰ مكانة الجار، وبقاء التعامل معه عالقًا بسيرة الإنسان بعد رحيله[٤]، والمهلب يوصي بنيه بتعهُّد جيرانهم وفقرائهم بما قدروا عليه[٥]، وضيغم بن مالك يوصىٰ بنيه بحسن الجوار[٦].

ولا يكاد يوجد خلاف ذلك، وغير وصية علي ﷺ الآنفة الذكر، سوىٰ إشارات عرضية غير مباشرة -مع محدوديتها أيضًا- كقول علي ﷺ: (وسَلْ عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار)[٧]، فوجود الجار المسالم الحسن الأخلاق، مدعاة لمعاملته بالمثل، والإغضاء عما يمكن حدوثه منه من زلل. والخطاب بن المعلىٰ، حين يذكر نموذجًا سيئًا من النساء، يجعل من صفاتها: (وجارها محروب)[٨]،

(١) انظر: صحيح مسلم ١/ ٦٨ ح٤٧.
(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠٢٥ ح٢٦٢٥م.
(٣) انظر: الوصية: ١١٧، وانظر: تخريج الحديث هناك.
(٤) انظر: الوصية: ٨٥.
(٥) انظر: الوصية: ٣٢٠.
(٦) انظر: الوصية: ٣٨١.
(٧) الوصية: ٩٦.
(٨) الوصية: ٣٦٣.

وعبد الملك بن مروان يوصي بنيه ببذل المال مؤكدًا ذلك بقوله: (فما يبالي رجل منكم ما قيل فيه من الهجو بعد قول الأعشىٰ:

تبيتون في المشتىٰ ملاء بطونكم　　　وجاراتكم غرثىٰ يَبِتْنَ خمائصا[1]

ويستشهد عبد الملك بالبيت في وصية ثانية، يوصي بنيه فيها بحسن مجاورة الشعراء[2].

أما الضيف الذي جعل النبي ﷺ إكرامَه من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر[3]، فقد جاء الحديث عنه -أيضًا- محدودًا جدًّا، فثمة وصية ليحيىٰ بن يحيىٰ الغساني يوصي بها ولده، وأهل بيته، يقول فيها: (أنزلوا الأضياف، ولا تكلفوا لهم مؤونة، فإنكم إذا تكلَّفتم لهم ثقلوا عليكم، فأطعموهم مما حضر)[4]، كما أوصىٰ أحد الحكماء ابنه بالترحيب والبشر، وحذره من التقطيب والكبر، مشيرًا إلىٰ أن (الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويحرموا، من أن يلقوا بما يكرهون ويعطوا)[5]، وهو كلام عامٌّ في الكرم لكنه استشهد بقول حاتم:

أُضاحك ضيفي قبل إنزال رحله　　　ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرىٰ　　　ولكنما وجه الكريم خصيب

وحين يقارن الباحث ما ورد في وصايا الجاهليين عن الجار وما ورد في وصايا العصور الإسلامية -مع اعتبار طول زمن الأخيرة- يجد أن العصر الجاهلي حفل بأربع وصايا في ذلك، إضافة إلىٰ خامسة بالتحذير من جار السوء[6]، وهو عدد

(١) الوصية: ٢٢٤.
(٢) الوصية: ٢٢٥.
(٣) انظر: هامش ٨٣.
(٤) الوصية: ٤٥٦.
(٥) الوصية: ٤٨٨.
(٦) انظر: الوصية: ١.

يساوي الوصايا الصريحة في موضوع الجار في العصور الإسلامية، مع أن الإسلام حث علىٰ إكرام الجار -كما سبق-. ومع التأمل يمكن القول بأن منطلق إكرام الجار يختلف في الإسلام عنه في الجاهلية، فهو في الإسلام منطلق ذاتي يحقق فيه الإنسان مطلبًا دينيًّا يرجو من ورائه رضا الله، سبحانه وتعالىٰ، أما في الجاهلية فمنطلقه جماعي قبلي، ينظر إليه -بحساسية- كمعيار لمواصفات القبيلة، وعلىٰ رأسها القوة، ولذا يلاحظ في الوصايا الإسلامية المتصلة بالجار أنها تتوجه إلىٰ إكرامه، وتفقُّده، وعدم إلحاق الأذىٰ به، علىٰ حين تتوجه في الوصايا الجاهلية إلىٰ الدفاع عنه، ومنعه.

ولذا جاءت تعابير الموصين علىٰ النحو الآتي: (اعزز جارك)[(١)]، (ولا يستذلنَّ لكم جار)[(٢)]، (شمِّروا لدرك الثأر ومنعة الجار)[(٣)]، وحتىٰ عندما تأتي الوصية بالإحسان إلىٰ الجار فإن الهدف هو الثناء: (وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم)[(٤)]، ثم لا يلبث الموصي أن يكرر المعنىٰ ملمحًا للمعنىٰ السابق، حين يقول: (وامنعوا ضيم الغريب من القريب، فإنك تُدِلُّ علىٰ قريبك ولا يجمل بك ذل غريبك).

أما ما يتصل بالضيف فقد جاء محدودًا في الوصايا الجاهلية، إذ جاء عرضًا في وصيتين؛ الأولىٰ في قول حصن بن حذيفة الفزاري لبنيه: (وأعجلوا الضيف بالقرىٰ، فإن خيره أعجله)[(٥)]، والثانية في قول ذي الإصبع العدواني لابنه: (وأكرم ضيفك)[(٦)]. علىٰ حين لم يجرِ له ذكر في الوصايا الإسلامية!

---

(١) انظر: الوصية: ٣٠.
(٢) الوصية: ٤٣.
(٣) الوصية: ٥٦.
(٤) الوصية: ٤٨.
(٥) الوصية: ٢٨.
(٦) الوصية: ٣٠.

ولعل قلة التعرُّض للضيف، في الوصايا عامةً، لكونه جاء منغمرًا في الحديث المستفيض عن الكرم، الذي جاء تأكيده في الوصايا كقيمة أخلاقية[١].

والإنسان وهو يعبر طرق الحياة يعترضه كثير من العوائق المادية، ويعتريه علىٰ إثرها كثير من العوارض النفسية، وحينذاك يحتاج إلىٰ من يشد أزره ويقوىٰ عزيمته، ويشير عليه، ويسدد خطاه، وذلك هو الصاحب والصديق.

وقد مرت كلمة (صديق) عرضًا في ثلاث وصايا جاهلية[٢]، كما ورد نهي أبي سلمىٰ ابنه زهيرًا عن ممازحة الصديق مخافة اكتساب عداوته[٣]! علىٰ حين نهىٰ المنذر ابنه النعمان عن استبدال الأصدقاء واحدًا بعد الآخر بدافع الملل[٤]، كما وردت كلمة إخوان في وصية النعمان بن ثواب العبدي حين قال لابنه: (وابلُ إخوانك فإن وفيَّهم قليل)[٥].

أما في العصور الإسلامية فقد ترددت الكلمة كثيرًا، وطرأت مفردات رديفة، ومصطلحات جديدة.

وفي عصر صدر الإسلام ترددت كلمة (الصديق) كثيرًا، ولكن في الوصايا المنسوبة إلىٰ علىٰ ﷺ فقط! فهو يوصي بنيه باحتمال مصائب الدنيا طلبًا للراحة في الآخرة، ومن ذلك فراق الصديق، وأخبرهم أن لا خير في صديق مُتَّهم الوداد، ونهاهم عن اتخاذ عدوِّ صديقِهم صديقًا، مما يكون سببًا في معاداة صديقهم، وبيَّن

(١) سيأتي الحديث عنه في الوصايا الخلقية.

(٢) انظر: الوصايا: ٦، ٢٠، ٢٦.

(٣) انظر: الوصية: ٣٦.

(٤) انظر: الوصية: ٥٩.

(٥) الوصية: ٦٢.

لهم أن الصديق من صدق غيبُه[1]، وأمر ابنه بالتوازن في العلاقة بالصديق، حين يقول: (ابذل لصديقك كلَّ مودة، ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواساة، ولا تُفْضِ إليه بكل الأسرار)[2]، ونهىٰ ابنه عن مصادقة الأحمق[3].

وجاءت كلمة (الأخوة) تمثل منزلة أعلىٰ من الصداقة، فهي بمنزلة الأخوة في النسب، بل هي أخوة دينية تفوق أخوة النسب، ولعل منشأها المؤاخاة التي عقدها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، حين قدم المدينة، مهاجرًا، وضرب فيها الفريقان أمثلة فريدة في التعامل[4]، يقول علي ﵁ لابنه: (وامحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة، ولا تضيِّعنَّ حقَّ أخيك اتكالًا علىٰ ما بينك وبينه، فإنه ليس بأخٍ لك من أضعت حقه)[5].

وقد اتسعت دائرة استخدام الأخ والأخوة والتآخي في الوصايا الأموية، وخَفَتَ -وإن لم يختفِ- استعمالُ الصديق والصداقة. ولأن للأُخُوَّة تبعاتٍ فإن الآباء يوصون أولادهم بعدم الدخول مع أحدٍ في سرادقها، إلا بعد امتحان وتثبُّت، وتختلف رؤاهم حول ذلك الامتحان؛ فالأحنف بن قيس -رحمه الله- يراه في امتحان عملي، ولأن الغضب يخرج الإنسان عن طوره، فيتكلم بما يمكن أن يندم عليه في حال سكون غضبه، فإنه يقول لابنه: (يا بني، إذا أردت أن تؤاخي رجلًا فأغضبه، فإن أنصفك وإلا فاحذره)[6]! علىٰ حين يرىٰ إياس بن معاوية الامتحان في الموازنة بين المحاسن والمساوئ، فيكون التقدُّم أو التأخر بناء علىٰ الغالب

(١) انظر: الوصية: ٩٦.
(٢) الوصية: ١٠٤.
(٣) انظر: الوصية: ١١٤.
(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١-٢/ ٥٠٤، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٢٤.
(٥) الوصية: ٩٦.
(٦) الوصية: ١٤٧.

منهما علىٰ المرء[١]، وهو في ذلك أقرب إلىٰ الواقعية، ويرىٰ عبد الله بن شداد أن الامتحان يتمثل في المعايشة، إذ يمكن صحبة الإنسان مع رصد سلوكه، والخروج من ذلك بنتيجة يتمُّ بعدها المضي أو التراجع[٢]. ويتضح في وصيته تأكيد الدقة في عملية الرصد، وتوسيع الدائرة فيه، ويبيِّن إياس بن معاوية لبنيه سرَّ ذلك الامتحان بقوله: (فإن التحوُّل عن الإخاء شديد، وليس الأخ كالثوب يَبْلىٰ فيطرح، ولا كالعِلْق يُزهد فيه فيُستبدل)[٣]، وحين يكون ثمة سبب للغضب، ويتكرر ذلك ثلاث مرات، يغضب فيها (الأخ) فلم يدفعه غضبه إلىٰ أن يقول في صاحبه سوءًا فإنه -حسب وصية جعفر الصادق لابنه- يستحق أن يرتقي إلىٰ منزلة (الخُلَّة)، يقول: (يا بني من غضب من إخوانك، ثلاث مرات، فلم يقُل فيك سوءًا، فاتخذه لنفسك خِلًّا)[٤].

ويوصي أبجر بن جابر العجلي، ابنه بتوسيع دائرة الصداقة، فيقول: (إذا دخلتَ مصرًا فأكثر من الصديق، فإنك علىٰ العدو قادر)[٥]! وهو أسلوب رائع في تهيئة النفوس لبلوغ الحاجات منها أو عَبْرَها، وفي أقل الأحوال يكون بالصداقة دفع شرِّها. والإكثار من الصديق -لتلك الأهداف- أمر يبدو شائعًا، فقد رُوي (أن رجلًا من أزد شنوءة أوصىٰ قومه فقال: استكثروا من الصديق فإن العدو هم أكثر)[٦]. ويبدو أن من الثقافة الشائعة -في مضمار الحديث عن الصداقة- قول سليمان بن داود -عليهما السلام- لابنه: (يا بني، لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق، ولا تستقلَّ أن يكون لك عدو واحد)[٧].

---

(١) انظر: الوصية: ١٦٣.
(٢) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(٣) الوصية: ١٦٣.
(٤) الوصية: ٣٥٣.
(٥) الوصية: ١٤٢.
(٦) المصدر السابق: ١١٣.
(٧) كتاب الإخوان: ١١٤.

ومن مرادفات الصداقة الصحبة، فطاوس يوصي ابنه بمصاحبة العقلاء لينسب إليهم[1]. وقيس بن عاصم يبيِّن لبنيه صفات من يوجههم لصحبته[2]. ومثلُ الصاحبِ الجليسُ، وقد سبق الحديث عن الجلساء فيما سبق من هذا المبحث.

ووصية عبد الله بن شداد لابنه كُبرىٰ الوصايا مساحةً للحديث حول الصداقة والصديق، إذ ورد فيها عددٌ من المترادفات داخل تلك الدائرة، فتناثرت فيها كلمات: (تؤاخي، تعاشر، الإخوان، صحبة، صديق، نديم، خدين، صاحب، قرين، قرناء، اخلط نفسك). وقد أكد في وصيته أهمية الأخوة ومكانتها، وأشار إلىٰ مواصفات الصديق وحقوقه، مبديًا القول ومعيده، ومستشهدًا بالشواهد الشعرية[3] في حديث ينمُّ عن عقل راجح، ونظر ثاقب، وتجربة عميقة.

وكما في وصايا العصر الأموي فإن غالب الوصايا العباسية وردت فيها كلمة الأخوة[4]، تليها كلمة الصحبة[5]، ولم ترد كلمة (الصداقة) إلا في وصية الخطاب بن المعلىٰ، التي تلي وصية عبد الله بن شداد في شمولية الحديث عن الصديق، والتي تناثرت فيها مفردات تمثل مترادفات للصداقة، فقد ورد فيها كلمات: (قرين، إخوان، صديق، الرفيق). وإن كانت لا ترقىٰ -في مستوىٰ الحديث ومساحته- لوصية عبد الله بن شداد.

وإذا كانت وصية إياس بن معاوية -في العصر الأموي- تمثل الواقعية في اختيار الأصحاب والأصدقاء -بكون المحاسن غالبةً- فإن وصية علقمة بن لبيد العطاردي لابنه -في العصر العباسي- تمثل المغالاة في توصيف من يستحق الصحبة، وتُطِلُّ

(١) انظر: الوصية: ١٩٥.
(٢) انظر: الوصية: ٢٧٣.
(٣) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(٤) انظر: الوصايا: ٣٥٣، ٣٩٦، ٤٠١، ٤١٦.
(٥) انظر: الوصايا: ٣٥٦، ٤٠٠.

المغالاة مع بداية الوصية، إذ تبدو الصحبة في الوصية مقرونة بالحاجة والاضطرار، وكأن الأصل عدم اللجوء إلىٰ الصحبة إلا في مثل تلك الظروف، يقول علقمة لابنه: (يا بني، إذا نزعتك إلىٰ صحبة الرجال حاجة، فاصحب منهم مَنْ إنْ صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابته خصاصة مانك، وإن قُلْتَ صدَّق قولك، وإن صُلْتَ شدَّ صولك، وإن مددت يدك بفضلٍ مدَّها، وإن رأىٰ منك حسنة عدَّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدىٰ الملمات آساك، من لا يأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق؛ وإن حاول حويلًا آمرك، وإن تنازعتما مُنْفَسًا آثرك)[1].

وقد لحظ القدماء المغالاة في هذه الوصية، فقد قال يحيىٰ بن أكثم: (حدثنا المأمون حديثًا، فقلت: يا أمير المؤمنين، أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن أبجر قال: لما حضرت علقمة العطاردي الوفاة دعا ابنه فقال... قال: عبد الملك بن أبجر، أحد رواة الوصية: فحدثت بهذا الحديث الشعبي، فقال: تعلم لِمَ أوصاه بهذه الوصية؟ قلت: لا. قال: لأنه أحبَّ ألَّا يصحب أحدًا، لأن هذه الخصال لا تجتمع في إنسان قال: فقال المأمون: وأين هذا؟!)[2]. وكم هي المسافة بعيدة بين حشد تلك الصفات في وصية علقمة العطاردي، وقول علي بن بندار الصوفي لابنه: (يا بني، إياك والخلاف علىٰ الخلق، فمن رضي اللهُ به عبدًا فارضَ به أخًا)[3].

لكن وصية علقمة مع مثاليتها لا تصل إلىٰ التطرف الذي تمثله وصية الكندي لابنه في قوله: (يا بني، الأصدقاء هم الأعداء، لأنك إذا احتجت إليهم منعوك، وإذا احتاجوا إليك سلبوك)[4]. وغير بعيد من ذلك قول بعضهم لابنه: (لا تقبل

(١) الوصية: ٤٠٠.

(٢) آداب الصحبة للسلمي: ١٣٧.

(٣) الوصية: ٤٠١.

(٤) الوصية: ٤٥٩.

من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية)[1]، وقول أعرابي لابنه: (إنَّ صحبةَ الرجال ذلٌّ، وذلُّ الصحبة أيسر من مضاضة الخلَّة، فإن دعتك إليها حاجة فاستكرم الصاحب)[2].

ومثل هذه الوصايا الأخيرة غالبًا ما تصدر من إنسان مرَّ بتجربة مرَّة من صديق، أو إنسان مشتمل علىٰ صفات سيئة كالبخل، كما في حال الكندي، أو يكون شخصًا لا يخلو من مرضٍ نفسيٍّ كحب الانعزال، أو بكونه ذا فهم ضيِّق للدين أو العلاقات الإنسانية.

وفي ميدان الاستشارة علىٰ الإنسان ألَّا يعتمد علىٰ نفسه، فيما يؤمُّه من أمور، أو يقطع ما ينتابه من تردد، اتكالًا علىٰ رجاحة عقله، وهو يستطيع الاستشارة، ويجد من يستشيره، لأن الإنسان إذا اعتمد علىٰ رأي نفسه -فحسب- فقد يجانب العقل ويميل مع العاطفة[3]. ومع أهمية الاستشارة وقيمتها فليس كل أحد يستشار، فاستشارة الحسود مثلًا يجب عدم اللجوء إليها، لأنها لن تكون بمنأىٰ عن الغش[4].

والإنسان في حياته يحتاج إلىٰ التكتُّم علىٰ بعض أموره، سواء ما اتصل منها بالأفعال أو الأقوال، فيُسِرُّها في نفسه، وقد يفشي ذلك اضطرارًا أو اختيارًا، لقريب أو بعيد. وحين يفعل الإنسان ذلك يصبح سرُّه معرضًا للكشف والإذاعة، ولذلك أوصىٰ الآباء أبناءهم بعدم إفشاء السر[5]، والإبقاء عليه مدفونًا داخل صدورهم، ويؤكد قس بن ساعدة ذلك، حتىٰ مع من (قربتْ قرابته، فإنك إن فعلت ذلك لم تزل وَجِلًا، وكان المستودَع بالخيار في الوفاء والغدر، وكنت عبدًا له ما بقيت، وإن جنىٰ

(١) الوصية: ٥٠٥.

(٢) الوصية: ٤٨٠، والخلة: شدة الحاجة.

(٣) انظر: الوصية: ٣٨٧.

(٤) انظر: الوصية: ١٣.

(٥) انظر: الوصايا: ٥٦، ٢٥٤، ٥٣٨.

عليك كنت أولىٰ بذلك، وإن وفىٰ كان الممدوحَ دونك)[١]. ونتيجة لذلك عدَّ عبد الملك بن صالح في وصيته لابنه: (من الفقه كتمان السر)[٢].

وثمة درس عملي في ذلك يرويه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وذلك أن عمَّه معاوية ﷺ أسرَّ إليه حديثًا، فأراد أن يحدث والدَه به، فهو يظن -كما يقول- أن معاوية لا يطوي عن والده -وهو أخوه- ما يبسطه لغيره، لكن والده لم يسمع منه، بل قال له: (يا بني، إنَّ من كتم سرَّه كان الخيار بيده، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فلا تكونَنَّ مملوكًا بعد أن كنت مالكًا، قال الوليد: وإنَّ هذا ليجري بين الرجل وأبيه؟ قال: لا، ولكني أكره أن تذلِّل لسانك بأحاديث السر!)[٣]، وحين ذهب الوليد ليروي لمعاوية هذا الموقف، أكد معاوية هذه القيمة لديه بقوله: (يا وليد أعتقك أخي من رقِّ الخطأ)، وقد يكون ذلك نموذجًا للتربية التي يتآزر البيت الأموي في إخضاع أبنائهم لها، خاصة وهم يمثلون العائلة الحاكمة.

وينبِّه الحارث بن كعب بنيه إلىٰ أن الحفاظ علىٰ السرِّ يشمل حتىٰ الصديق، فيقول متحدثًا عن تجربته الحياتية: (ولا بحتُ لصديقٍ لي بسري)[٤].

وقد سبقت الإشارة إلىٰ تحذير الموصين من استيداع المرأةِ السرَّ عند الحديث عن الوصايا الأسرية.

وبالنسبة للمرأة فإن إفشاءها لسرِّ زوجها أكثر خطرًا ونقصًا عليها، باعتبار أنه الأقوىٰ حسًّا ومعنىٰ، ولذا حذرت أمامة بنت الحارث ابنتها في وصيتها من ذلك،

---

(١) الوصية: ٥١.

(٢) الوصية: ٣٩٦.

(٣) الوصية: ٢٣٢.

(٤) الوصية: ٢٦.

فقالت: (فلا تفشي له سرًّا، ولا تعصي له أمرًا، فإنك إن أفشيت سرَّه لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره)[1].

وحين يُستودَع الإنسان سرًّا فإنه يجب عليه حفظه وكتمانه، ولو حدثت بينه وبين مستودعه السرَّ عداوةٌ، فالسر أمانة، وينبغي ألَّا يغري الإنسانَ تورطُ بعض الناس بالإفشاء ليكون مسوِّغًا له إفشاءه، يقول بلعاء بن قيس لابنه: (يا بني، لا تفشينَّ سرَّ صديق أو عدو، فإن السر أمانة عند الكريم، وإن غلب صاحب علىٰ إخفائه، فلا تغلب عن هتك ستره فيه)[2].

وحين رأىٰ العباس بن عبد المطلب عمرَ ﷺ يدني ابنه عبد الله، ويجمعه في مشورته مع الأكابر من الصحابة، رضي الله عنهم، أوصاه بخصالٍ قال في أولاها: (لا تفشينَّ له سرًّا فيزدريك)[3]، وحين قال الشعبي لابن عباس عن تلك الخصال: (كل واحدة خير من ألف، قال: إي والله ومن عشرة آلاف!).

وإذا كان البخل صفةً غايةً في الذم فإنه يصبح صفة محمودة حين يكون البخل بالسرِّ، وهو ما يؤكده عبد الله بن شداد لابنه، مؤكدًا أن كتمان السر ينبغي أن يشمل (جميع) الخلق، مستشهدًا بافتخار قيس بن الخطيم بالبخل بسره، يقول: (أي بني، كن... بخيلًا بالأسرار عن جميع الخلق... وإن أحمد بخل المرء الضن بمكتوم السرِّ)[4].

---

(١) الوصية: ٥٢٧.

(٢) الوصية: ٢٠.

(٣) الوصية: ٨٣.

(٤) الوصية: ٢٠٤، وانظر: استشهاده بالأبيات هناك.

د - الوصايا الخلقية:

للأخلاق أهميتها الكبرىٰ، فهي التي تحدد مستوىٰ العلاقات بين أفراد المجتمع، وتحل الإنسان من قلوب الآخرين مكانًا قريبًا أو قصيًّا. وهي بهذا المستوىٰ مسؤولية فردية، لكنها من جهة أخرىٰ مسؤولية جماعية، إذ إن التخلي عن محاسن الأخلاق، وإفساح المجال لسيئها لينمو في تربة المجتمع سوف يمثل قدوة سيئة تألفها الأعين، ويتعلق بها الصغار ليشبوا عليها، وهذا بدوره سيجعل نظرة الآخرين من خارج المجتمع ليست نظرة خاصة إلىٰ فرد، وإنما عامة إلىٰ مجتمع.

كما أن فشوَّ الأخلاق الرديئة سيكون له آثاره السلبية -بسبب تحطيم العلائق بين الأفراد- في استيحاش القلوب، ووغر الصدور، والإحجام عن المساعدة، مما يؤذن بتصدع أركان المجتمع، ولذا فليس غريبًا أن تتوافر جملة ضخمة من الوصايا تدفع للاستمساك بالأخلاق الحسنة، وتوصي بتجنب سيئ الأخلاق، وتحذر من الاتصاف به.

وإذا كان الحفاظ علىٰ السمعة يمثل أهمية كبرىٰ لدىٰ العربي في العصر الجاهلي فقد ارتبطت به نظافة السلوك، ويؤخذ من الوصايا أن سلوك العربي بعامة يتجه نحو تحقيق السمعة الطيبة عن طريق عمل ما يدعو لها، والبعد عما يشين الإنسان، أو يتسبب في إكسابه سمعة سيئة، ومن هنا كان حرص بعض الآباء -الذين حققوا سمعة ومكانة بين قومهم- علىٰ وضع سيرهم بين يدي أبنائهم، وتأكيد أهمية انتهاجها[1]، كما يأتي التحذير للأبناء من أن يلمَّ أحدهم بفاحشة يلحق الأب عارها ولو في قبره[2]!، وتأكيد أن طريق السيادة التي يهفو إليها الإنسان، من أهم متطلباتها السمعة الطيبة التي يعكسها السلوك.

---

(١) انظر: الوصيتين: ٥٦، ٥٩.

(٢) انظر: الوصية: ٣٢.

وحين جاء الإسلام أعطىٰ الأخلاق بعدًا دينيًا، فقد ورد عن الرسول ﷺ عددٌ كبير من الأحاديث تبين منزلة الأخلاق الحسنة، وتحث علىٰ التزامها، ومن ذلك قوله ﷺ: (البر حسن الخلق)[١]، وقوله: (أحب عباد الله إليه أحسنهم خلقًا)[٢]، وقوله: (أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن)[٣]، وقوله: (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا)[٤]، وقوله: (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل، صائم النهار)[٥]، وقوله: (إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من حسن الخلق)[٦].

وتطفح الوصايا -عبر العصور- ببيان أهمية حسن الخلق وقيمته، ففي العصر الجاهلي يؤكد أوس بن حارثة لابنه الدرجة السامقة للتمثل بالسلوك الجميل، حين يجعل (الموت المفيت) خيرًا من أن يرمىٰ الإنسان بالحمق بسبب سوء تعامله[٧].

ويوجز ذو الإصبع العدواني لابنه موجبات السيادة، التي تجعله يحل محل والده، وهي في جملتها تقوم علىٰ الأسلوب التعاملي الأخلاقي الذي تكون فيه هموم الناس المادية والمعنوية في قمة اهتمامه[٨].

وبالصورة نفسها يغري قس بن ساعدة ابنه بالسيادة علىٰ قومه، مؤكدًا التعامل الأخلاقي الذي يبدو فيه الإنسان أيضًا متجاوزًا ذاته[٩].

---

(١) رواه مسلم ٤/ ١٩٨٠ ح٢٥٥٣.
(٢) صحيح الجامع الصغير: ١٧٧.
(٣) صحيح الجامع الصغير: ١٣٣.
(٤) صحيح الجامع الصغير: ١٢٤١.
(٥) صحيح الجامع الصغير: ١٦١٧.
(٦) صحيح الجامع الصغير: ١٩٧٣.
(٧) انظر: الوصية: ١٩.
(٨) انظر: الوصية: ٣٠.
(٩) انظر: الوصية: ٥٥.

وفي الإسلام يتجاوز الآباء المردود الوجاهي للتمثل بالأخلاق، ليصبح التمثل بها هدفًا بذاته، فالأخلاق ليست وسيلة لتحقيق قيمة، ولكنها بذاتها قيمة يُسعىٰ إليها، ويحرص عليها، فحسن الخلق -في رأي علي بن أبي طالب ﷺ- (خير قرين)[١]، ويراه أيضًا أكرم الحسب[٢]، بل (لا حسب كحسن الخلق)[٣]، كما يقول في وصية أخرىٰ.

ويرىٰ طاوس بن كيسان حسن الخلق غاية ما يبلغه الإنسان، ويطمح إليه[٤].

ويوصي حبيب بن الشهيد ابنه أن يصحب الفقهاء والعلماء، وأن يتعلم منهم، وأن يأخذ من أدبهم، فأخذه ذاك من أدبهم أحبُّ إلىٰ الأب من أخذ الكثير من الحديث[٥].

ومع ذلك فيبقىٰ للأخلاق أثرها في رفع القدر، وتعويض سوء الخلقة[٦]. بل إن أخلاق المرء تسبقه أينما توجه، حين يتحدث الناس عنه، وحيثما حلَّ يكون لقاؤه، حسب ما وقر في النفوس من سمعته[٧].

وإذا كان أوس بن حارثة قد رأىٰ في (الموت المفيت) خيرًا من رمي الإنسان بالحمق -كما سبق- فذلك لأن وجود العقل الناضج الحصيف مهم في توجيه بوصلة السلوك، وإدراك ما يجمل وما لا يجمل منه، والقدرة علىٰ التكيُّف الجيد

---

(١) الوصية: ٩٧.
(٢) انظر: الوصية: ١١٤.
(٣) الوصية: ١٠٨.
(٤) انظر: الوصية: ١٩٥.
(٥) انظر: الوصية: ٣٥٦.
(٦) انظر: الوصية: ٥٢٧.
(٧) انظر: الوصية: ٤٩٤.

مع الآخرين، وهذا ما دعا حكيم العرب أكثم بن صيفي إلىٰ أن يقول -وكأنه يوجز تجربته الحياتية الطويلة-: (أرىٰ الكيس نصف العيش)[1].

وبالنظر في الوصايا يتضح أن هناك أكثر من طريق لاكتساب الأخلاق الحميدة؛ فثمة طريق مباشر، وهو تعلُّم الأخلاق وتدريب النفس عليها، وطريق غير مباشر وهو الاقتداء كسلوك مشاهد، ومطالعة الأدب كسلوك مقروء.

وقد ترددت في الوصايا عباراتٌ كثيرة دفع بها الآباء بنيهم إلىٰ تدريب النفس وتمرينها علىٰ كريم الخلال، وجميل السجايا.

فأكثم بن صيفي يعبِّر بثلاث كلمات عن توطين النفس علىٰ الأخلاق، (ذلِّلوا أخلاقكم، قودوها، علِّموها)[2]، وبين الكلمات الثلاث خيطٌ متصل يبدأ بالتذليل، ومن ثم يسهل القياد، ثم يصبح أمرًا تلقائيًّا؛ ولأن جملة من الخلال الكريمة تقوم علىٰ العطاء بجانبيه الحسي والمعنوي، والإنسان مفطور علىٰ الانكفاء علىٰ ذاته -ومن هم في منزلتها من أبناء وزوجة-، تتضح أهمية ذلك التأكيد لتوطين النفس علىٰ مكارم الأخلاق.

ويؤكد سعيد بن العاص -في وصيته لبنيه- علىٰ أن طريق المكارم صعب، لا يسلكه إلا من استطاع الخروج من كهف الذات، والتحرُّر من أسرها، مدركًا عظم الأجر المترتب علىٰ الانتصاب لحاجات الناس، والقيام فيها، وتحمُّل ملاقاتهم باختلاف عقولهم وأخلاقهم، وقطع لذات الذات بل وحاجاتها بكثرة ترددهم، يقول سعيد: (يا بني، إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللئام، ولكنها مرَّة لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها، ورجا ثوابها)[3].

---

(١) الوصية: ٤.

(٢) انظر: الوصية: ٦.

(٣) الوصية: ١٨٥.

والإنسان حين يريد أمرًا ويجده صعبًا فمن المهمِّ أن يستشعر صعوبته، ويوقن بأنه قادر علىٰ أن يكون من أهله، وحين ذاك يكون قد تهيأ له نفسيًّا، فيذل له طريق الوصول إليه[١].

ويؤكد عبد الملك بن صالح أن اجتلاب الأخلاق الحسنة، وزرعها سلوكًا معاشًا، يتمُّ عن طريق الاعتياد، فليختَرِ الإنسان أفضل الأخلاق ثم لـ(يعوِّد) نفسه إياها[٢]. ويؤكد في الوصية ذاتها أن (من أطال النظر -بإرادة تامة- أدرك الغاية)، ويجعل (طول التجارب زيادة في العقل، وبالعقل تستخرج الحكمة وبالحلم يستخرج غور العقل). وهكذا يجتمع التفكير والتأمل، والإفادة من التجارب الذاتية والغيرية، مع الرفق وعدم العجلة، ليصل الإنسان -بالاعتياد والدربة- إلىٰ مستوىٰ أخلاقي راقٍ.

وحين تكون لدىٰ الإنسان إرادة جادة، ويتأمل في قيمة ما يبتغيه من خلق، وأثره في علاقته بالآخرين، ثم يجعله هدفًا يسعىٰ جاهدًا لتحقيقه، فإن الإنسان لا يلبث أن يصل إليه وينطبع به، كما يؤكد طاهر بن الحسين في وصيته لولده[٣].

ومع أن رضا الناس غاية لا تدرك -كما يعترف أبو جعفر المنصور- إلا أنه يوصي ابنه بالتحبُّب إليهم، وأن يعوِّد نفسه الصبر، والتحبُّبُ فِعْلٌ يُؤَدَّىٰ بوعيٍ وإرادة، ليوصل للنتيجة المبتغاة، ويلزم منه الصبر علىٰ ما يمكن أن يلقاه الإنسان مما يصعب احتماله، وتعويد نفسه إياه كي لا تنزعج كلَّ مرة يواجهها، يقول المنصور: (واعلم أن رضا الناس غاية لا تدرك، فتحبَّب إليهم بالإحسان جهدك... وعوِّد نفسك الصبر علىٰ التعب في إصلاح الرعية، وترك الهوينىٰ والدعة)[٤].

(١) انظر: الوصية: ٤٧٩.
(٢) الوصية: ٣٩٦، وانظر: الوصية: ٢٤٧.
(٣) انظر: الوصية: ٣٨٢.
(٤) الوصية: ٤٢٠.

ويؤكد الخطاب بن المعلىٰ لابنه أن التخلُّق بخلقٍ ما يُلحق الإنسان في النهاية بأهل ذلك الخلق، وأن تطلُّع الإنسان للشيء بجدِّيَّة يوصله إليه، وهي معانٍ رائعة تقطع علىٰ الكسالىٰ حجَجَهم في البقاء علىٰ ما هم عليه وعدم المضي في التغيير إلىٰ الأحسن، يقول الخطاب: (تشبَّه بأهل العقل تكُن منهم، وتصنَّع للشرف تدركه، واعلم أن المرء حيث وضع نفسه)[1]، مع أنه لا ينكر أن (العرق نزَّاع، والعادة طبيعة لازمة؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر)، والقول الأخير يمكن أن يُفهم بأن العادة يمكن أن تحلَّ محل الطبيعة، لتصير هي طبيعة! ويؤيد هذا ما ورد في وصية الرشيد لبنيه من قوله: (والعادة ألزم من الطبع)[2].

والخطاب، من جهة أخرىٰ، يؤكد دور القدوة في التكوين الأخلاقي للإنسان، ممثلة في القرين، إذ (المرء يُعرَف بقرينه)، ومن هنا يأتي تحذيره لابنه من (إخوان السوء) -بصفاتهم السيئة- ويرىٰ أن (رفضهم من استكمال الأدب).

ومع أن المطلوب من الإنسان أن يحرص علىٰ تحقيق أرفع مستوىٰ من الأخلاق بالتعوُّد والتشبُّه والتخلُّق، إلا أنه يبقىٰ أن (خير السجية ما لم يتكلَّف)[3]، كما يقول الحارث بن الحكم. وإن كان مجرد التظاهر بالخير لا يقارن بمقابلة الناس بالشر، يقول الخطاب بن المعلىٰ: (وَلَرِياء بخير خير من معالنة بِشَرٍّ)[4]، وهو يتفاءل حتىٰ مع سلوك الأخلاق رياء -حين يطول التلبُّس بها- أن ترجع عند الإنسان خلقًا، فيقول: (وصاحب الرياء يرجع إلىٰ السخاء)!

ويعمد بعض الآباء إلىٰ تذكير بنيه بسيرته، داعيًا إياهم إلىٰ اقتفاء أثره فيها، ولا سيَّما وقد أدَّبَه الزمان، وخاض الكثير من التجارب، وحقق مكانة مرموقة، يقول

(١) الوصية: ٣٦٣.
(٢) الوصية: ٣٦٥.
(٣) الوصية: ٢٥.
(٤) الوصية: ٣٦٣.

زرارة بن عدس لبنيه: (يا بني خذوا من أدبي)، وفي رواية: (آدابي)[1].

ويضع مالك بن المنذر البجلي بين يدي بنيه مبدأين أخلاقيين، يرىٰ أنهما يلخصان لهما سيرته، التي سوف تكفيهم في تحقيق المستوىٰ الأخلاقي المنشود، فيقول: (آثروا ما يجمل، واقفوا أخياركم)[2]، علىٰ حين يكتفي حاتم الطائي بعرض سيرته الجميلة بين يدي ابنه دون تعليق[3].

وأَثَرُ القدوة تدركه أعرابية، وهي توصي ولدها المسافر، بـ(مرافقة السمحاء المعطين، ومجانبة البخلاء المكدين)[4].

ويؤكد هذا المعنىٰ عبد الملك بن صالح، الذي يجعل لمجرد تكرار اللقاء حسب أثره، وهو يقول لابنه: (والقَ أهل الخير فإن لقاءهم عمارة للقلوب)[5]، ويذهب الخطاب ابن المعلىٰ بعيدًا، وهو يحاول عزل ابنه عن المؤثرات السلبية، حين يقول له: (ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق، ولزوم الكريم علىٰ الهوان خير من صحبة اللئيم علىٰ الإحسان)، فالمعاداة تصبح خيرًا من المصادقة حين يكون الخيار بين أحمق وحليم، والهوان يصبح خيرًا من الإحسان حين يكون الخيار بين اللئيم والكريم، لأن الحليم يأبىٰ عقلُه، الذي يدلُّ عليه سلوكُه، أن يتخلَّق بما يعاب به، وكذا الحال مع الكريم.

وإذا كان ما مضىٰ يمثل تأثير الصديق والجليس والمصاحب، سواء كان ملازمًا أو عارضًا، فإن للبيئة التي يعيش بها الإنسان أثرَها الكبير في تكوين أخلاقه، والتأثير فيها، وفي هذا الصدد يحذر المنصور ابنه المهدي، في وصيته له، من أخلاق أهل

(١) الوصية: ٣٢.
(٢) الوصية: ٥٦.
(٣) انظر: الوصية: ٢٣.
(٤) الوصية: ٥٤٢.
(٥) الوصية: ٣٩٦، وانظر: الوصية: ٣٥٦.

العراق، مؤكدًا أثر النشأة في تلك البيئة، فيقول: (وتجنب دقيقَ أخلاق أهل العراق، فإنهم نشؤوا علىٰ الخِبِّ ومذموم الأخلاق)[1].

ومعاوية بن أبي سفيان يرىٰ أن الإقامة بين ظهراني قوم، ولو لم تكُن طويلة، قد تترك أثرًا في أخلاق الشخص، فهو بعد أن يوصي ابنه باتخاذ أهل الشام بطانة، ومقاتلة أهل العراق بهم، يوصيه بسرعة ردِّهم إلىٰ بلادهم خشية تأثرِهم بأخلاقِ غير أخلاقهم، فهم نشؤوا علىٰ الطاعة التامة، علىٰ حين نشأ العراقيون علىٰ الثورات، والجرأة علىٰ الولاة[2].

بل إن البيئات في المجتمع الواحد تتباين أخلاقها، وهو ما يتضح في وصية قتيبة بن مسلم، وهو يوصي بنيه بعدم دخول الأسواق خشية أن تدقَّ أخلاقهم[3]! وينعىٰ عمرو بن عتبة علىٰ (ناسٍ) من قريش تخلَّوا عن أخلاق قومهم الذين (لو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم، ولو احتفلت ما تزيَّنت إلا بهم)[4]، و(تخلقوا بأخلاق العوام، فصار لهم رفق باللؤم وخرق في الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها، إن خافوا مكروهًا تعجلوا له الفقر، وإن عجِّلت لهم نعمة أخَّروا عليها الشكر). وهو بذاك يوضح لونين من الأخلاق؛ أحدهما يمثله سلوك الأشراف الذين لا يعيشون لذواتهم فحسب، والآخر تمثله طبقة العوام، التي يهمها جمع الحطام، بأيِّ صورة كانت، وتغلِّف عينيها الذاتية، ولا ترفع رأسًا بمعالي الأخلاق.

ويوجه الآباء أبناءهم إلىٰ الإقبال علىٰ الأدب ممثلًا بالشعر والنثر، إذ يصوِّر فيه الشعراء -في حديثهم عن ممدوحيهم أو مرثييهم- معالي الأخلاق، وهم في مَلْكِهم

(١) الوصية: ٤٢٠.
(٢) انظر: الوصية: ٣١٨.
(٣) انظر: الوصية: ٢٦٨.
(٤) الوصية: ٢٦٠.

لناصية البيان يعرضون ذلك بصورة رائعة مغرية، ما يجعله يترك أثرًا في المتلقي، يقول عمر بن الخطاب ﷺ لابنه: (واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك... فإنَّ من لم يعرف الشعر لم يؤدِّ حقًّا، ولم يقترف أدبًا)[1].

ويوصي عبد الله بن شداد ابنه بصحبة العقلاء الذين تثقفت عقولهم بالأدب، وترك أثرًا في سلوكهم[2].

ويجعل علي بن أبي طالب الذين لا يستفيدون من الآداب بمنزلة الدواب[3].

والمستوىٰ الأخلاقي يجب ألَّا يقف عند حدٍّ، بل يظل سلَّمًا يرتقي الإنسان في درجاته يومًا بعد آخر، يقول سعد بن أبي وقاص لابنه: (وكُن في اليوم الذي تستقبل خيرًا منك في اليوم الذي خلَّفت)[4].

والتنشئة الأخلاقية مهمة جدًّا، وأفضل أوقاتها مرحلة الطفولة، حيث العود ليِّن، وصفحة النفس لم تزَل بيضاء، أما حين يكبر الإنسان فتحويله عن أخلاقه من الصعوبة بمكان، فكيف حين يشيخ، يقول الخطاب بن المعلىٰ: (وأدب الشيخ عناء، وتأديب الغلام شفاء)[5].

ويخاطب علي بن أبي طالب ابنه، وهو يجمع له في وصيته الكثير من الأمور، مؤكدًا له تعمُّدَه مبادرتَه بذلك: (قبل أن يقسو قلبُك، ويشتغل لبُّك)[6]. ويؤكد ذلك مرة أخرىٰ بعبارة أكثر وضوحًا، فيقول عن توقيت الوصية: (أن يكون ذلك وأنت في

---

(١) الوصية: ١٢١.

(٢) انظر: الوصية: ٢٠٤.

(٣) انظر: الوصية: ٩٦.

(٤) الوصية: ٧٧.

(٥) الوصية: ٣٦٣.

(٦) الوصية: ٩٦.

مقبل العمر، ومقتبل الدهر، ذو نية سليمة، ونفس صافية). ويعلل ذلك بقوله: (وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته).

ويضيف عمر بن عبد العزيز علَّةً أخرىٰ لذلك، وهو يقول في وصيته لابنه: (واعلم أن الشباب -إلا ما وقىٰ الله ودفع- عون علىٰ أمور كثيرة من السوء، وفيه معونة كثيرة علىٰ الخير لمن رزقه الله، فاحذر شبابك)[1]! ولا شك أن الشاب في حدَّة شهوته، وقلّةَ تجربته، واندفاعه مظنة الوقوع في الفاحشة، أو الاندفاع في الأمور دون حساب، وإن كان من جهة أخرىٰ حين يتَّجه إلىٰ الخير أجلدَ في الطاعة، ومساعدة الآخرين.

ولعل من المعايير التي يضعها الآباء بين يدي بنيهم لتعديل سلوكهم، رؤيتَهم لسلوك الآخرين، وتجنُّبهم ما يذمونه منه، إذ هو حينئذٍ أوضح ما يكون، يقول أكثم بن صيفي لبنيه: (ولا تقيموا علىٰ خلق تذمُّونه من غيركم)[2]، ويقول علي ﷺ لابنه: (وكفىٰ أدبًا لنفسك ما كرهته من غيرك)[3].

ويتجاوز الأمر ذلك إلىٰ تنبيه الأبناء إلىٰ أن التأثير في سلوك الآخرين تجاههم ممكن، ويتمثل ذلك بإحسان التعامل معهم، والحديث عنهم، يقول زرارة بن عدس لبنيه: (واذكروا قومكم إذا غابوا عنكم بمثل الذي تحبُّون أن تُذكروا به... يا بني، انشروا الخير تنشروا، واستروا الشرَّ تستروا)[4]. ويقول علي بن أبي طلب ﷺ لابنه: (ولِنْ لمن غالظك، فإنه يوشك أن يلين لك)[5]. ويتصل بذلك عدم استثارة الآخرين،

(١) الوصية: ٢٥١، وانظر: الوصية: ٢٥٣ له، وعبارته فيها: (يا بني إن الشباب عون علىٰ مساوئ الأخلاق).
(٢) الوصية: ٦.
(٣) الوصية: ٩٧.
(٤) الوصية: ٣٢.
(٥) الوصية: ٩٦.

فإن ذلك سيدفعهم إلىٰ الرد بالمثل، يقول جعفر الصادق لابنه: (يا بني، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ... وإياك والتعرُّض للعيوب... وإياك أن تزري بالرجال فيُزْرَىٰ بك)[1].

وقد وُجد من الآباء في الجاهلية من يحرِّض بنيه -في سبيل زرع الهيبة التي تقتضيها أجواء العصر- علىٰ إظهار الخشونة للناس، واستعراض القوة، والتلويح بالتهديد، كما عند تميم بن مر، في وصيته لبنيه: (وابدؤوا الناس بالشرِّ يُردُّ عنكم الشر)[2]. وعند طيئ بن أدد، الذي يقول لبنيه: (وابدؤوا الناس بالشرِّ فإنه أشكر لخيركم)[3].

وفي مقابل ذلك نجد سعد العشيرة ينهىٰ بنيه عن كل ما يلزمهم الاعتذار منه، يقول: (وإياكم وما يعتذر منه)[4]. كما نجد جابر بن مالك الكلبي يحض بنيه علىٰ ترك كل ما يعتذر منه، أو يلام عليه، يقول: (وتجنبوا الملاوم، وكل ما يعتذر منه خطيئة)[5].

وهذا اللون الأخير من التوجيه -بِتَرك كلِّ ما يعتذر منه- نجد له حضورًا واضحًا في جيل الصحابة والتابعين، فسعد بن أبي وقاص يقول لابنه: (وإياك وما يعتذر منه من القول والعمل، وافعل ما بدا لك!)[6]. وبمثل ذلك أوصىٰ معاذ بن جبل بنيه[7]،

(١) الوصية: ٣٥٢، وانظر: الوصية: ٤٨.

(٢) الوصية: ٢١.

(٣) الوصية: ٤٢، وقد بدأ طئي وصيته بالنهي عن البغي! وربما كان مراده هنا عند مصافَّة العدو، وهو أمر له وجاهته!

(٤) الوصية: ٣٥.

(٥) الوصية: ٢٢.

(٦) الوصية: ٧٦.

(٧) انظر: الوصية: ١٣٩.

والأشعث بن قيس يقول لبنيه: (وإياكم وما يعتذر منه، أو يستحىٰ، فإنما يعتذر من ذنب، ويستحىٰ من عيب)[1]. وسعد القصير يقول لابنه: (إياك وكل شيء يعتذر منه، فإنه لا يعتذر إلا من شر)[2]. وسعيد بن جبير يختم مثل تلك الوصية بقوله: (فإنه لا يعتذر من خير)[3].

ويتضح مما سبق كيف أصبح الخير والشر معيارًا لتقويم الخلق حُسْنًا وَسُوءًا.

ويتكرر المعنىٰ السابق نفسه في الوصايا الإسلامية ولكن بتعبير آخر هو كفُّ الأذىٰ، فعلي ﷺ يوصي ابنه بتجاوز كل ما يدخل دائرة الأذىٰ، سواء بالفعل، أو التعبير اللغوي، أو الصوت الفاحش، فيقول: (يا بني كفَّ عن الأذىٰ، وعدَّ عن الخنا، وأعرض عن اللجاجة)[4]. وعبد الملك بن مروان يوصي بنيه وأهل بيته ببذل المعروف، وكفِّ الأذىٰ[5]، والخطاب بن المعلىٰ يوصي ابنه أن يَلقىٰ الصديق والعدو بـ(وجه الرضا، وكَفِّ الأذىٰ)[6]، وعبد الله بن الحسن بن الحسن يوصي ابنه بكف الأذىٰ، ورفض البذا[7].

ويتجاوز الأمر أكثر من هذا حين يوصي الآباء أبناءهم بالصبر علىٰ الأذىٰ[8]، ويعُدُّ علي ﷺ ذلك أخذًا بالفضل، ويراه -بمنظور بعيد- أحدَ الظفرين[9]، ويكفي أنه انتصار علىٰ نوازع الشرِّ في النفس.

---

(١) الوصية: ١٦٢.
(٢) الوصية: ١٧٧.
(٣) الوصية: ١٧٩.
(٤) الوصية: ١٠١.
(٥) انظر: الوصية: ٢٢١.
(٦) انظر: الوصية: ٣٦٣.
(٧) انظر: الوصية: ٣٨٧.
(٨) انظر: الوصية: ٤٩٤.
(٩) انظر: الوصية: ٩٦.

وحين يوصي عمير بن حبيب بنيه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينسىٰ أن يذكِّرهم بأن من يروم ذلك ابتغاء الأجر (فليُوَطِّن نفسه علىٰ الصبر علىٰ الأذىٰ، وليوقن بالثواب من الله، فإنه من يثق بالثواب من الله لا يجد مسَّ الأذىٰ)[1].

ويدعو بعض الآباء أبناءهم للانشغال بأنفسهم عن الناس، يقول عبد الله بن مسعود لابنه: (يا بني ليسعك بيتك، واملك عليك لسانك، وابك علىٰ خطيئتك)[2].

ويدعو الآباء بنيهم إلىٰ التأدب بأدب (الصالحين) من سلفهم[3]، ويضعون بين يدي بنيهم جملة من القواعد الخلقية التي تمثل السلوك الأمثل؛ من مثل النزول عن مطية الهوىٰ، إذ هو ضرورة لتحقيق السلامة[4]، فلا عقل لمن لا يغلب هواه[5]، واستشعار المكانة، وسرعة القالة[6]، و(مؤاخاة الكرام، وترك اللئام)[7]، ومغادرة الشر وأهله بمجرد رؤيته[8]، والاتصاف بالاعتدال والتوسط والإنصاف[9]، وإدراك أن (رأس العلم الرفق، وآفته الخرق)[10]، وتغليب حسن الظن بكلام الناس ما وجد الإنسان له محملًا من الخير[11]، وتعميق الجانب الإيجابي في النفس، من الإحسان إلىٰ الناس دونما نظر للون تعاملهم أو مستواه، أو انتظارٍ لردِّ ذلك الإحسان[12]، وتجاوز

(١) الوصية: ٢٦١.
(٢) الوصية: ٩٠.
(٣) انظر: الوصيتين: ٩٦، ٣٢٠.
(٤) انظر: الوصيتين: ١٠١، ٢٠١.
(٥) انظر: الوصية: ١٩٩.
(٦) انظر: الوصية: ٣٢.
(٧) الوصية: ٣٥.
(٨) انظر: الوصية: ١٢٩.
(٩) انظر: الوصايا: ٣٦، ٩٧، ٣٦٣.
(١٠) الوصية: ٩٧، وانظر: الوصية: ٣٧٨.
(١١) انظر: الوصية: ٢٥٢.
(١٢) انظر: الوصية: ٣٥٢.

المظهر إلىٰ الجوهر[١]، والتعامل مع كل أحد بما يناسب منزلته[٢]، وتنكُّب العجلة فعلًا وقولًا، ومعرفة ما قيل فيمن عُرِفَ بها، والاتصاف بالأناة التي تحول بين الإنسان والوقوع في مشكلاتٍ قد لا يستطيع الانفكاك منها[٣]، والابتعاد عن العجز والتواني، إذ هما يورثان الندامة، ويكثران الملامة[٤]، وارتداء لباس التغافل، الذي هو من فعل الكرام[٥].

وإذا كان ما مضىٰ إشارات تمثل السلوك الأمثل والأجمل، فقد طفحت الوصايا بجملة ضخمة من الصفات الخلقية الحسنة التي يحفز الآباء أبناءهم إلىٰ التمثُّل بها، كما طفحت بمثل ذلك من الصفات الخلقية السيئة التي يدفع الآباء أبناءهم عنها، ويحذرونهم منها. ويمكن استعراض ذلك علىٰ النحو الآتي:

الحلم:

وقد جاء تأكيده لأهميته وقيمته وأثره، فـ(الحلم خير وزير)[٦]، و(الحليم سليم... والسفيه كليم)[٧]، وليس ثمة أحلىٰ عاقبة، ولا ألذَّ مغبة من تجرُّع الغيظ[٨]، حين تتكشف للإنسان العواقب بالسلامة، فـ(الصبر علىٰ تجرُّع الحلم أعذب من جني ثمر الندامة)[٩]، ثم إن (الحلم أعزُّ ناصرًا، وأكثر عددًا)[١٠]، فالناس غالبًا يرمون

(١) انظر: الوصية: ٣٦٣.
(٢) انظر: الوصية: ٤٦٤.
(٣) انظر: الوصية: ١.
(٤) انظر: الوصية: ٤٩٤.
(٥) انظر: الوصية: ٣١.
(٦) الوصية: ٣٦٣.
(٧) الوصية: ٤٨.
(٨) انظر: الوصية: ٩٦.
(٩) الوصية: ٣.
(١٠) الوصية: ٢٤٣.

بطَرْفِ الإعجاب من يملك نفسه، ومن ثم لسانه عند الغضب، وهم خلاف ذلك مع من يدفعه غضبه إلىٰ الاعتداء. والإنسان حين يفتتح بُدُوَّ غضبه بالكظم يختمه بالحلم، وحين يفتتحه بالقلق والضجر يختمه بالسَّفَهِ[1]، وينبغي للإنسان أن يستعد (لحريق الغضب بالأناة، قبل أن تلتهب ناره) في لحمه ودمه، (فإن إطفاءه قبل استيثاره سريع، وإذا اشتعل قبَّح محاسن) ما كان يتجمل به الإنسان، ولا سيَّما وأنه (ليس في وقت الرضا وَصْفُ الحلم)[2]، ويساعد في الحلم الصمت، إذ (الصمت جماع الحلم)[3].

الغضب:

وهو في مقابل الحلم، فبقدر ما للحلم من الفضل يكون للغضب من الذمِّ. وحين التأمل والتعقُّل يتضح أن الغضب يحطُّ من قدر الإنسان، لأنه إن كان سلطانًا فعقوبته تكون من وراء المذنب، والغضب فَضْلٌ لا وَجَهَ له، وإن كان سوقة فما قَدْرُ كلمةٍ -وإن بلغت منه- في جَنْبِ ما يفوز به من عاجل الحمد، والطَّوْلِ علىٰ من نازعه بالعفو[4]، و(الغضب يقطع الحُجَّة، ويظهر عليك الخصم)[5]. وقد يغضب الإنسان من اليسير فيجني عليه ذلك الكثير[6]، ولأن صاحب الولاية يشعر بالقدرة، وقد يدفعه غضبه للإمعان في العقوبة، فقد أوصىٰ محمد بن عطية السعدي ابنه، حين أصبح واليًا علىٰ اليمن، قائلًا: (إذا غضبت فانظر إلىٰ السماء فوقك، وإلىٰ الأرض

(١) انظر: الوصية: ٤٩٩.
(٢) الوصية: ٤٩٤.
(٣) الوصية: ٣١.
(٤) انظر: الوصية: ٤٩٤.
(٥) الوصية: ٤٩٩.
(٦) انظر: الوصية: ٩.

أسفل منك، ثم أعظم خالقهما)[١]، وهو علاج رائع -لمن يخشىٰ الله- في التراجع حين الغضب، بتذكر قدرة الله في جنب قدرته.

الصمت:

فإطالة الصمت إلا من حق مجال للسَّبْقِ[٢]، لأن (الصمت سَتْرٌ للعي، كما أن الكلام ستر للبيان)[٣]، ويرىٰ علي ﷺ (أن العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله)[٤]. والصبر علىٰ كلمة يسمعها الإنسان خير من ألف كلمة يطلب التخلص منها[٥]، حين يرخي للسانه العنان، بعد أن يكون قد استُفِزَّ بكلمة جارحة، أو أراد أن يُظْهِر مقدرتَه علىٰ المقارعة في الخصومة، أو أن يدفعه إلىٰ ذلك شعورُه بضآلة من رماه بالكلام. والسكوت عن الأمر الذي لا يعني الإنسان خير من الكلام، فإذا اضطر فليتحرَّ الصدق والإيجاز[٦]، وتلافي ما فرط من الصمت أيسر من إدراك ما فات من المنطق، (وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء)[٧]!

ولكنَّ تفضيل الصمت ليس علىٰ إطلاقه، فـ(تكلُّم بحقٍّ خيرٌ من سكوت عنه)[٨].

وإذا كان ما مضىٰ من توجيه إلىٰ الصمت يمثل الرأي الحصيف، فثمة من السوقة من يرىٰ إثبات ذاته بالكلام أيًا كان، قال أعرابي لولده: (ما لك ساكت

---

(١) الوصية: ٢٧٦.
(٢) الوصية: ٣٨.
(٣) انظر: الوصية: ٥٦.
(٤) الوصية: ٩٧.
(٥) انظر: الوصية: ٤١٥.
(٦) انظر: الوصية: ٦٠.
(٧) الوصية: ٩٦.
(٨) الوصية: ٤٦٠.

والناس يتكلمون؟! قال: لا أحسن ما يحسنون. قال: إن قيل: لا، فقل أنت: نعم، وإن قيل: نعم، فقل أنت: لا، وشاغبهم، ولا تقعد غُفْلًا لا يُشعر بك)[1]!

الكلام وضبط اللسان:

وقد أخذ الحديث عن هذا الموضوع حيِّزًا ضخمًا من الوصايا تبعًا لأهميته، ويكفي إدراكًا لمسؤولية الكلمة، وخطر اللسان أن يدرك الإنسان أن (كَلْمَ اللسان أنكأ من كلم السنان، والكلمة مربوبة ما لم تنجم من الفم، فإذا نجمت فهي سبع محرب، ونار تلهب)[2]، وربما كان (مقتل الرجل بين فكيه)[3].

وإذا كان الحفاظ علىٰ السمعة له أهميته الكبرىٰ، خاصة في دنيا العربي في العصر الجاهلي، فقد كانت الوصية بالحذر من كل ما يُجَرِّئ الناس علىٰ كسر هيبة الإنسان أو صدعها، فحينذاك قد يصعب رَأْبُها إن لم يكُن مستحيلًا، بعد أن تستقبلها المجالس، وتعيد تصديرها، ولذا ليس غريبًا أن يأتي التحذير من الشتم، إذ إن تركه أسلم للأعراض، لأن من سب سُبَّ[4]، وليس غريبًا أيضًا أن يكون (التغافل من فعل الكرام)[5]!

وحين يتحدث الإنسان ينبغي أن يؤثر الإيجاز، فـ(المكثار كحاطب الليل)[6]، فحاطب الليل (ربما نهشته الحية أو لَسَبَتْهُ العقرب، في احتطابه ليلًا، فكذلك هذا المكثار ربما أصابه -في إكثاره- بعضُ ما يكره)[7]، وكذلك (مع الإكثار يكون

(١) الوصية: ٤٧٥.
(٢) الوصية: ٣.
(٣) الوصية: ٧.
(٤) انظر: الوصية: ٤٨.
(٥) انظر: الوصية: ٣١.
(٦) الوصية: ٧.
(٧) كتاب الأمثال: ٤٣.

الإهـذار)[١] والهجر[٢] ولا يسلم معه صاحبُه[٣]، وربما أطلق الإنسان لسانه في المزاح، فوقع فيما يجرح صاحبه، أو يحرجه هو حين يتأمله، وهذا ما يدعو إلىٰ الحذر من فلتات المزاح[٤]. والإكثار شين العاقل، وحَيْن الجاهل[٥]، لذا يفترض أن يدعه الإنسان وهو عليه قادر[٦]، فإقلال الكلام مدعاة للرهبة[٧]، علىٰ حين أن الإكثار مظنة الإثقال علىٰ الجلساء وسآمتهم، وتلقي الإجابة المزعجة منهم[٨]، كما أن (الإكثار يمحق البيان، ومن قِبَلِه تحدث الآفة في اللسان)[٩]، وحين تعثر قدم الرجل يقوم من زلقه، فينتعش سويًّا، وحين يزل لسانه يوبقه، وتكون فيه هلكته[١٠]، فـ(عثرة الرِّجْل عَظْمٌ يجبر، وعثرة اللسان لا تبقي ولا تذر)[١١]. وإذا أقلَّ الإنسان من الكلام أكثر من الصواب، وإذا أكثر من الكلام أقلَّ من الصواب[١٢]، ومن هنا يأتي فضل الاقتصاد في الكلام، وأهمية مَلْكِ اللسان[١٣]، ولا سيَّما في الأماكن المقدسة، في أثناء تأدية النسك[١٤]، وفضيلة أن يكون لفعلِ الإنسان الفضلُ علىٰ

---

(١) الوصية: ٤٨.
(٢) انظر: الوصية: ٦٦.
(٣) انظر: الوصية: ٣٢٠.
(٤) انظر: الوصية: ٢٨.
(٥) انظر: الوصية: ١٢٧.
(٦) انظر: الوصية: ٥٩.
(٧) انظر: الوصية: ٤٩.
(٨) انظر: الوصية: ٣٦٣.
(٩) الوصية: ٣٦٥.
(١٠) انظر: الوصية: ٣٢٠.
(١١) الوصية: ١٢٤.
(١٢) انظر: الوصية: ٤٦٦.
(١٣) انظر: الوصية: ٩٠.
(١٤) انظر: الوصية: ٨٠.

لسانه، وكراهية أن يكون للسانه الفضلُ علىٰ فعله[1]، (ومن علم أن كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما ينفعه)[2].

ثم حين يتحدث الإنسان ينبغي ألَّا يحمل لسانه علىٰ وحشي الكلام، وألا يعوِّده المستشنع ولا التصنُّع، فالعادة ألزم من الطبع، وأن يعتمد سهولة الكلام من غير استكراه ولا مؤونة تكلُّف، فسيِّد الكلام ما ارتفع عن طبقة العامة، وانخفض عن درجة المتشدقين، وخالف سبيل المغرقين، وأصبح قَصْدًا[3]. وعلىٰ الإنسان أن يجيد العربية، لـ(يقيم بها أَوَدَه، ويزيِّن بها مشهده، ويفلُّ بها حجج خصمه بمسكتات حكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه)[4]، وأن يحاول الوصول إلىٰ مستوىٰ بلاغي، يستطيع به تأكيد كلامه ودعمه، والتدليل علىٰ سقوط حجة خصمه، حين يجري بينه وبين أحدٍ حوار، أو تجمعه معه مناظرة، فـ(البلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه، وشرُّ القول ما نقض بعضه بعضًا)[5]. ومن الأهمية بمكان إصلاح اللسان، (فإن الرجل تنوبه النائبة فيستعير الدابة والثياب، ولا يقدر أن يستعير اللسان)[6].

كما يفترض في الإنسان حين يتحدث أن يستعين علىٰ الكلام بطول الفِكْر في المواطن التي تدعوه فيها نفسه إلىٰ الكلام، (فإن للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب)[7].

وعلىٰ المرء ألا يحدِّثَ من لا يقبل بوجهه عليه، ولا ينصتَ لمن لا ينمي بحديثه

---

(١) انظر: الوصية: ٣٢٠.

(٢) الوصية: ٩٧.

(٣) انظر: الوصية: ٣٦٥.

(٤) الوصية: ٤٠٩.

(٥) الوصية: ٣٩٦.

(٦) الوصية: ٤٩٨.

(٧) الوصية: ٣٨٧.

إليه[١]، بل يحدث القوم ما حاذوه بآذانهم، ولحظوه بأبصارهم، فإذا وجد منهم فترةً أمسك[٢].

وليتعلم، في مقابل ذلك، حسنَ الاستماع كما يتعلم حسن الحديث، ليعلم الناس علىٰ أنه أحرص علىٰ الاستماع منه علىٰ القول[٣]، وحتىٰ لا يقع في سوء الاستماع، إذ إن (سوء الاستماع يعقب العي)[٤]، وألا يردَّ علىٰ أحد جوابًا حتىٰ يفهمه، وألا يتعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا يستحيي أن يستفهم إذا لم يفهم، فإن الجواب قبل الفهم حمق[٥].

وعليه ألا يهرف بما لا يعرف[٦]، وألا يتكلم فيما جهل، ولا يعجل في الكلام بما علم، فيذلَّ نفسه، (فإن من إكرام المرء نفسه ألا يتكلم إلا بما أحاط به علمه)[٧]، وأن يتجنب من الكلام ما يسبق إلىٰ القلوب إنكاره، وإن كان عنده اعتذاره، فليس بموسع عذرًا كل من أسمعه نكرًا[٨].

الصدق والكذب:

فـ(الصدق تمام المروءة، والكذب يهدم الفعال)[٩]، (والصدق زين، والكذب

(١) انظر: الوصية: ٥٠٦.
(٢) انظر: الوصية: ٣٩٦.
(٣) انظر: الوصية: ٤٩٢.
(٤) الوصية: ٥٠٦.
(٥) انظر: الوصية: ٤٥٢.
(٦) انظر: الوصية: ١١.
(٧) الوصية: ١٦.
(٨) انظر: الوصية: ٤٨٦.
(٩) الوصية: ٢٥.

شين)[١]، ولا خير في الكذب[٢]، علىٰ حين أن (الصدق منجاة)[٣]، (وحليف الصدق موفق، وصاحب الكذب مخذول)[٤]، (ولصدقٌ يسرع في عطب صاحبه أحسن عاقبةً من كذبٍ يسلم عليه قائله)[٥]، ويكفي (من شرف الصدق أن الصدوق يقبل قوله في عدوِّه، ومن دناءة الكذب أن الكذَّاب لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوه)[٦]، والكذاب، المشتهر بالكذب، (إن قال حقًّا لم يصدَّق... فما صح من صدقه نسب إلىٰ غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه)[٧]، وينبغي للإنسان ألاَّ يكذب هازلاً لئلا يُكْذَب جادًّا[٨]، بل يتخذ الكذب كنزًا، فلا يخرجه[٩]، ويحاول تحري الصدق -في قوله- ليسلَمَ[١٠]، وليَبْقَ الإنسان طاهرًا الثوبَ من دنس الكذب، فإن من جُرِّب عليه الكذب كاد يسقط من عين من سمعه، ممن كان يجلُّه[١١]، بل ينبغي الابتعاد عمَّا يمكن أن يراه الناس كذبًا ولو لم يكُن في منزلة الكذب[١٢]، وفي مقابل ذلك ينبغي التزام الصدق حتىٰ لو قَتَل الإنسانُ قتيلًا ثم سُئل عنه أقرَّ به[١٣]، لكن حين يترتب علىٰ الصدق مظلمةٌ يكون الصدق حينذاك عجزًا[١٤].

---

(١) الوصية: ٣٦٣.
(٢) انظر: الوصية: ٢٨.
(٣) الوصية: ٧.
(٤) الوصية: ٢٠٤.
(٥) الوصية: ٣٦٣.
(٦) الوصية: ١٤٤.
(٧) الوصية: ٤٧٨.
(٨) انظر: الوصية: ١٢.
(٩) انظر: الوصية: ١٤٣.
(١٠) انظر: الوصية: ٦٠.
(١١) انظر: الوصية: ٨٣.
(١٢) انظر: الوصية: ٢٠٥.
(١٣) انظر: الوصية: ٣١.
(١٤) انظر: الوصية: ٢٣٠.

الحرص والطمع:

فالطمع دنس أخلاقي[1]، و(مصارع الألباب تحت بروق الطمع)[2]، وإذا كان يجب علىٰ الإنسان أن يكفَّ نفسه عن سوء الأخلاق، فإن أقبح ذلك ما كان في المطمع[3]، ومن ارتحل مطايا الطمع أوردته مناهل الهلكة[4]، والحرص مفتاح التعب، ومطية النصب، وداعٍ إلىٰ التقحُّم في الذنوب)[5]، والطمع فقر حاضر[6].

وعلىٰ المرء العاقل -في مقابل ذلك- إذا طَلَبَ شيئًا أن يطلبه بالقناعة (فإنها مال لا ينفد)[7]. وما أسوأ أن يجمع الإنسان فقرًا وتهالكًا وخضوعًا وتذلُّلاً لذي مالٍ طمعًا فيما عنده، وربما لن يحصل منه علىٰ شيء. ولذا لا غرو أن يكون (خير الغنىٰ القناعة، وشر الفقر الضراعة)[8]، إذ إنَّ لزوم القناعة يجعل أوسع الناس غنىٰ هو أقنعَهم بما قُسِم لهم[9]، لا أكثرَهم مالاً.

وحين يريد الإنسان علاج نفسه من الطمع فأحرىٰ شيء به هو اليأس، فإنه لن ييْئَس من شيء إلا أغناه الله عنه[10].

---

(١) انظر: الوصية: ٢٩.
(٢) الوصية: ٣.
(٣) انظر: الوصية: ٥٥.
(٤) انظر: الوصية: ٩٦.
(٥) الوصية: ٩٧.
(٦) انظر: الوصية: ٧٥.
(٧) الوصية: ٧٥.
(٨) الوصية: ١٩.
(٩) انظر: الوصية: ٢٦٧.
(١٠) انظر: الوصية: ٧٥.

الحسد:

وتركه يقطع عن تاركِهِ العداوةَ والشحناء[1]، وهو صفةٌ لاخير فيها[2]، كما أنه ماحقٌ للحسنات[3]، وإذا تحاسد القوم ذلُّوا[4]، فهو سبب في التصدع الداخلي للمجتمع، وسبب لذلة القبيلة جمعاء. (ومن ترك الحسد كانت له المحبة من الناس)[5]، والحسد يبيِّن في صاحبه ما لا يبيِّن في عدوه[6]، إذ يقتله حسدُه من الداخل، ثم لا يلبث أن يبين عليه، فـ(لن يعدم الحسود أن يزعج قلبه، ويشغل فكره، ويورث غيظه، ولا يجاوز ضره نفسه)[7]، وعلىٰ العاقل إذا سمع كلمة من حاسد أن يكون كأنه ليس بالشاهد، إذ سيرجع العيب علىٰ الحاسد نفسه[8]، وحين يتحقق الإنسان حَسَدَ الحاسد ينبغي له أن يغمَّ عليه أمرَه، ويكتمه سرَّه، وألا يستشيره فيغشَّه، فإنه ربما أظهر الخير وهو يضمر الشر، ولقي الإنسان بالمكاشرة وخلفه بالغيبة[9].

العجب والكبر:

والعجب ممقتة[10]، و(إعجاب المرء بنفسه دليلٌ علىٰ ضعف عقله... ومن أعجب برأيه ضلَّ... ومن تكبر علىٰ الناس ذلَّ)[11]، و(الإعجاب ضد الصواب،

(١) انظر: الوصية: ٥٦.
(٢) انظر: الوصية: ٢٨.
(٣) انظر: الوصية: ٥١٩.
(٤) انظر: الوصية: ٤٩.
(٥) الوصية: ٩٧.
(٦) انظر: الوصية: ٤٨٩.
(٧) الوصية: ٣، وانظر: الوصية: ٣٨٩.
(٨) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(٩) انظر: الوصية: ١٣.
(١٠) انظر: الوصية: ٥٥.
(١١) الوصية: ٩٧.

وآفة الألباب)[١]، و(لا وحدة أوحش من العُجْب)[٢]، بل إن (أوحش الوحشة العجب)[٣]، (والزهو جالبٌ لمقت الله ومقت عباده، والعجب صارف للازدياد من العلم، داعٍ إلىٰ الجهل والتخبط)[٤]، وينبغي للمسلم تجنُّبُ العزة والعظمة والكبرياء، فإن ذلك من عمل الشيطان، وهو عدوٌّ مضلٌّ مبين، وإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي[٥]، وليسأل المرء نفسه كيف تعجبه نفسه وهو لا يشأ أن يرىٰ من عباد الله من هو خير منه إلا رآه[٦]، وحين تهاجم مشاعرُ الكِبْرِ الإنسانَ، فليكن مما يستعين به علىٰ التخلص من ذلك تفكُّرُه بالذي منه خُلق، والذي إليه يصير، إذ كيف يتكبر وقد كان أصله نطفة قذفت في ظلمة الرحم، وتغذت بالدم[٧]، وليتذكر الإنسان صِغَرَ أمرِه، وحقارةَ شأنِه حتىٰ بعد أن بدأ يدرج علىٰ الأرض، وأصبح يستشعر مكانته بين الناس، إذ تنتابه الأمراض، وتجتاحه النوازل، ولا يدري متىٰ يهجم عليه الموت[٨].

البغي:

ويتردد في الوصايا التحذير من البغي؛ بين طَلَبِ هَجْرِه لأنه مؤدٍ للهلاك[٩]، علىٰ حين تَعْمُر ساحات القوم بتجنُّبِه[١٠]، والإشارة إلىٰ أنه سبيل للفضيحة[١١]، وتأكيد

(١) الوصية: ٩٦.
(٢) الوصية: ١٠٨.
(٣) الوصية: ١١٤.
(٤) الوصية: ٥١٩.
(٥) انظر: الوصية: ٢٥١.
(٦) انظر: الوصية: ٣٦٨.
(٧) انظر: الوصية: ٧٨.
(٨) انظر: الوصية: ٢٥١.
(٩) انظر: الوصية: ٥٥.
(١٠) انظر: الوصية: ٣٥.
(١١) انظر: الوصية: ٢٨.

أنه الدليل علىٰ قرب النهاية[١]، وأن التطلُّع إليه والانتشاء به يشبه خروج الجناحين للنملة، اللذين هما علامة علىٰ قرب هلاكها[٢]، فالباغي قد يحقق نصرًا، ولكنه نصرٌ صوريٌّ سريعًا ما يأفل نجمه، والإشارة إلىٰ أن البغي أسرع الذنوب عقوبة[٣]، وتأكيد ذلك من واقع التجربة، ومن هنا يأتي تأكيد ضرورة إزالة (نيَّة) البغي، وإلزامِ القلوبِ الإنصافَ وعزيمةَ العفو، لأن ذلك سيكون سببًا في جلب النصر[٤].

ولعل التأمل والملاحظة، وما بقي لدىٰ عرب الجاهلية من أثارَةٍ من الدين، جعلتهم يدركون أثرَ السلوك في استتباب الأمن وبقاء الدولة، فالاعتداء علىٰ الآخرين، والبغي عليهم، وعدم التعامل معهم بالعدل والإنصاف قد يؤذن بالزوال كما مرَّ.

ومع استيلاء الدين علىٰ النفوس يكون الردع عن البغي متصلًا بالمستقبل الأخروي للإنسان، فالعقوبة الإلهية تنتظر الباغي، إذ (بئس الزاد إلىٰ المعاد العدوانُ علىٰ العباد)[٥]، علمًا أنه حتىٰ في الدنيا (من سلَّ سيف البغي قُتل به)[٦]، ومن هنا يحسن التحرُّج من أي مظهر يَمُتُّ للبغي بسبب، ولو كان الابتداءَ بالدعاء إلىٰ المبارزة، إذ (طالبها باغٍ، والباغي مصروع)[٧].

---

(١) انظر: الوصية: ٢٥.
(٢) انظر: الوصية: ٤٢.
(٣) انظر: الوصية: ٤٠.
(٤) انظر: الوصية: ٤٩.
(٥) الوصية: ٩٧.
(٦) الوصية: ٣٥٢.
(٧) الوصية: ١٠٣.

العفو:

(والعفو منتهىٰ البر... وترك العقوبة يسلُّ السخيمة)[١]، و(لذَّةُ العفو أطيب من لذة التشفي)[٢]، وإلزام القلوب الإنصــاف وعزيمة العفو سببٌ للنصر[٣]، بل إن مجرد ترك المكافأة بالشر سبب للنصر[٤]، (وخير السيرة في العدوِّ العفوُ)[٥].

الصبر:

ففي الصبر علىٰ المضض (الفوز، ولا فوز القِسِي... وإنما المعسكر لمن صبر)[٦]، (والجزع عند المصائب، والتواكل عند النوائب، داعية للغمِّ، وشماتة للعدو)[٧]، وحين تلحق الصعوبات بالإنسان فينبغي ألاَّ يهون أو يلين، وليقارع الأحداث، وليصبر علىٰ النوائب، لينتهي بالفوز[٨].

معاشرة الناس:

والمعاشرة الحسنة تُحِلُّ الإنسان من قلوب الآخرين مكانةً عاليةً، فإن غاب حنُّوا إليه، وإن مات بكوا كثيرًا عليه[٩]، وحين يعاشر الإنسانُ الناسَ ويطمع في استمالتهم فإن أول ما ينبغي له في حقهم أن يرتفع عما يؤثر في نفوسهم، أو يجرح

---

(١) الوصية: ٢٥.
(٢) الوصية: ٤٢٤.
(٣) انظر: الوصية: ٤٩.
(٤) انظر: الوصية: ٥٦.
(٥) الوصية: ٢٥.
(٦) الوصية: ٦٣.
(٧) الوصية: ٣٣.
(٨) انظر: الوصية: ٤٧٩.
(٩) انظر: الوصية: ٢٤٢.

مشاعرهم، فلا يستخفنَّ بأحد أبدًا، بل يقابل الناس بمختلف طبقاتهم وألوانهم بالمشاعر الفياضة الصادقة؛ ويعُدُّ من هو أكبر منه أبًا، ومن كان في مثل سنه أخًا، ومن كان أصغرَ منه ابنًا[1]. وليعلم الإنسان أنه حين يزري بالآخرين فسيُزْرَىٰ به، وحين يدخل نفسه فيما لا يعنيه فسوف يُذِلُّ نفسه[2]، وحين يقدُم عليه أحدٌ فليلقه بالترحيب والبشر، وليجانب التقطيب والكبر، (فإن الأحرار أحبُّ إليهم أن يلقوا بما يحبون ويحرموا، من أن يلقوا بما يكرهون ويعطَوا)[3]، وليكُن مثالُه قولَ حاتم:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرىٰ ولكنما وجه الكريم خصيب

و(من لانت كلمته وجبت محبته)[4]، (وحسن اللقاء يذهب بالشحناء)[5]، وحين يغلب علىٰ الإنسان التواضع، ويرزق غضَّ الطرف وثقل السمع عما يمكن أن يفلت ممن يجالسه أو يلمُّ به، وتصبح يده ندية بالعطاء[6]، فسينقلب عنه الناس وهم يلهجون بالثناء عليه.

ومنحُ الآخرين الاهتمامَ له أثرُه الكبير في نفوسهم، ولعل أولىٰ الناس بذلك الجليس، وأولىٰ الحالات بذلك في أثناء حديثه معه، ومن أروع الآداب التي تكسب المحبة حينها، أن يقبل الإنسان علىٰ محدِّثه، ويصغي بكلِّيَّته إلىٰ كلامه، حتىٰ لو كان أحفظَ له منه، وكأنه لم يسمعه إلا منه، وليحذر من إشعاره أنه قد سمعه[7].

(١) انظر: الوصية: ١١٣.
(٢) انظر: الوصية: ٣٥٢.
(٣) الوصية: ٤٨٨.
(٤) الوصية: ٧.
(٥) الوصية: ٣٩٦.
(٦) انظر: الوصية: ٥٩.
(٧) انظر: الوصية: ٤٣٩.

يمضون فيه، حتىٰ يتحوَّل إلىٰ غضب، تعقبه عداوةٌ بين من كانوا أصدقاء[١].

وهناك من لا يرىٰ المزاح مطلقًا[٢]، باعتباره (يذهب بالبهاء، ويعقب المذمة، ويزري بالمروءة)[٣]، لكن التأكيد الأكثر للاقتصاد في المزاح، فإن الإفراط فيه يبعد عن الإنسان الوقار، ويجري عليه السفهاء. والتقصير فيه يفضُّ عن الإنسان المؤنسين، ويوحش منه المصاحبين[٤]، وحين يمزح الإنسان فليعرف شخصية من يمازحه، فقد تقود ممازحة الشريف إلىٰ الحقد، حين يفهم من ذلك أنه نوع من الإحراج، أو إزالة الهيبة، وقد تقود ممازحة الدنيء إلىٰ تطاوله، وكسر هيبة الممازح في نفسه[٥]، وليجتهد الإنسان في الحذر من أن يغلب عليه هذرُ الكلام، وكثرة الضحك والمزاح، ومهازلة الإخوان (فإن ذلك يذهب البهاء، ويوقع الشحناء)[٦]، والقهقهة التي قد يوصل لها المزاح هي الأخرىٰ تذهب الهيبة[٧].

ولعل البهاء -الذي ورد في عدد من الوصايا علىٰ أن المزاح يذهبه- هو الاتزانُ والوقارُ، والهيبةُ والجديةُ التي قد يكون عُرِفَ بها الإنسان، وهي صفة مرغوبة، لها دلالتها علىٰ العقل والشرف.

أما المرأة فلتمزح مع زوجها، ولكن لتحذر أن تكون ذاتُ الزوج هي موضوعَ المزاح[٨]!

---

(١) انظر: الوصية: ٣٦.
(٢) ()نظر: الوصية: ٩٧.
(٣) الوصية: ٣٤٥.
(٤) انظر: الوصية: ١٨٤.
(٥) انظر: الوصية: ١٨٨.
(٦) الوصية: ٣٦٣.
(٧) انظر: الوصية: ٢٢٦.
(٨) انظر: الوصية: ٤٤.

الكرم والبخل والمسألة:

تردَّدَ الترغيب في الإنفاق وصنائع المعروف في جملة من الوصايا، فمالك بن عمرو الكلبي يجعل بذل المعروف من صيانة النفس[١]، ويبيِّن سعد العشيرة لبنيه أثر ذلك في المال نفسه، فيقول: (وجودوا بالنوال تنمُ لكم الأموال)[٢]، ويأمر ابنُه صعبٌ بنيه بحلول المرتفعات ليكونوا أكثر ظهورًا لمن يقصدهم[٣]، ويؤكد زهير بن جناب لبنيه أهمية المعروف، ويرغِّبهم في كسب مودة الآخرين، مشيرًا إلىٰ ما لها من العواقب الحميدة[٤]، ويدفع النعمان بن ثواب ابنه، المتَّصف بالجود، إلىٰ الإنفاق من قديم المال وحديثه، وعدم البخل[٥]، ويوصي أكثم بنيه بالتحلِّي بالجود ليكتسبوا المحبة، ويحذرهم من اقتعاد البخل فهو تعجُّل للفقر[٦]، وفي وصية رياح بن ربيعة لبنيه بالجود، الذي هو -كما يقول- نعم الدواء، يحذرهم من البخل علىٰ أنه داء[٧]، كما يحذرهم من (المنِّ فإنه مهدمة للصنيعة)، ويشير أكثم بن صيفي إلىٰ أن المال -حتىٰ لو أعطي غير مستحقه، أو صرف في مصرف أعقبه الندم- لم يُعدَّ ضائعًا ما استفاد منه المرء درسًا، فهو يقول: (لم يهلك من مالك ما وعظك)[٨].

ولكن بذل المعروف ليس علىٰ إطلاقه عند بعض الآباء، فالنعمان بن ثواب العبدي -وهو يأمر ابنه الذي اتصف بالجود بابتلاء إخوانه باعتبار أن وفيَّهم قليل-

---

(١) انظر: الوصية: ٥٥.
(٢) الوصية: ٣٥.
(٣) انظر: الوصية: ٣٩.
(٤) انظر: الوصية: ٣٤.
(٥) انظر: الوصية: ٦٢.
(٦) انظر: الوصية: ٥.
(٧) انظر: الوصية: ٣١.
(٨) الوصية: ٧

يأمره بصنع المعروف عند محتمله[1]! وبالنسبة للجود بالمال فقد تباينت مواقف الآباء في ذلك، فالمنذر بن المنذر يوصي ابنه بالانخداع في ماله[2]، والانخداع كناية عن العطاء دونما سؤال، وأكثم يوصي ابنه بالبذل ولو لم يكُن معه إلا القليل، فـ(كل ما يبذل يحمد، وإنما يُمسِّك من استمسك)[3]، إذ الناس يبصرون ويحكمون، فمن رأوه يبذل من وِسْعِه -ولو قليلًا- حمدوه، ومن رأوه يمنع ما عنده -ولو قليلًا- رموه بالبخل، وحصن بن حذيفة الفزاري يوصي بنيه بأن يعطوا علىٰ حسب المال[4]، ويحاول عامر بن صعصعة فلسفة البخل لأبنائه -حين القلَّة- فيبيِّن لهم أن المال مال الإنسان، فإن أعطىٰ منه فمن عند نفسه، وهو بهذه المنزلة، حين يمنع، أولىٰ بالتماس العذر ممن يظلمه برميه بالنقيصة حين يمنعه مالَه! يقول لبنيه: (واعلموا أن الشحيح أعذر من الظالم)[5]. أما بخصوص المسألة فأكثر الآباء قد نهوا أبناءهم عنها، حتىٰ عدَّ ذو الإصبع العدواني السماح بالمال وعدم المسألة -مع بعض صفات أخرىٰ- تمامَ السؤددِ، وتعبيره عن ذلك يعكس مدىٰ الشعور بالذلة حين السؤال، وأوضح ما يبين ذلك في الوجه، ونهيُ ذي الإصبع عن المسألة مطلقٌ؛ سواء ما يتصل بمن يُسأل أو بما يُسأل، يقول: (... واسمح بمالك... وصُنْ وجهك عن مسألة أحد شيئًا، فبذلك يتمُّ سؤددك)[6]، أما أسلم بن أفصىٰ الخزاعي فقد أوصىٰ بنيه بالجود بالنوال والكفِّ عن السؤال[7]، ومثله فعل عامر بن صعصعة،

(١) انظر: الوصية: ٦٢.
(٢) انظر: الوصية: ٥٩.
(٣) الوصية: ٤.
(٤) انظر: الوصية: ٢٨.
(٥) الوصية: ٤٣.
(٦) انظر: الوصية: ٣٠.
(٧) انظر: الوصية: ١.

فهو يأمر بنيه أن يجودوا علىٰ الناس ولا يسألوهم[1]، لكن شراحيل بن كعب لم ينهَ بنيه عن المسألة، لكنه أوصاهم بالإسراع عندها وعدم التثاقل[2]، ولعله يرمي إلىٰ أن المَعَرَّة ليست بالسؤال عند الحاجة، ولكنه في الإلحاف فيها. ولعل مما يعزز ذلك ما نلمسه في وصية طيئ بن أدد حين يقول لبنيه: (يا بني، لا تستحيوا من منع من لا يستحي من المسألة)[3]، وقس بن ساعدة يوصي ابنه بالاستغناء التام الدائم عن الناس، إذ ستظل مِنَّتُهُم تطارده، يقول: (ولا تضعنَّ في عنقك طوقًا لا يمكنك نزعه إلا بشق الأنفس)[4].

وفي مقابل المواقف السابقة من المسألة تأتي وصية تميم بن مر لتمثل الذاتية المقيتة، إذ يقول لبنيه: (وعليكم بالمسألة فإن است المسؤول أضيق!...، واستعيروا ولا تعيروا، وأظهروا للناس الحاجة لكي لا تسألوا فتمنعوا فتكون استاهكم هي الضيقة!)[5]. ويتضح اعترافه بمَعَرَّة منعِ السائل حين يَسأل، فإذا هو يوصي بنيه بالتهرب من ذلك بإظهار الحاجة. ولذا فقد أوصىٰ أسلم بن أفصىٰ بنيه -في وصيته السابقة- بعدم رد السؤال، وإعطاء من جاء سائلًا محقًّا كان أم مبطلًا، معللًا ذلك بقوله: (فإن كان محقًّا فلا تحرموه، وإن كان في حال علَّة فإنها تسدُّ منه خلَّة، وإن كان مبطلًا فقد أذهب خفره، وصرَّح عن الحياء بصره، فأعطوه)، مؤكدًا لهم -قبل ذلك- أنهم إن أعطوا قليلًا فسيعود لهم كثيرًا.

---

(١) انظر: الوصية: ٤٣.
(٢) انظر: الوصية: ٣٧.
(٣) الوصية: ٤٢.
(٤) الوصية: ٥١.
(٥) الوصية: ٢١.

أما الطعام فقد وردت الوصية ببذله[1]، وقد عبَّر عبقر بن أنمار عن ذلك بالإباحة، وهي ما يوحي بعدم وجود أيٍّ حواجز يحتاج إلىٰ أن يتوقف عندها أيُّ سابل، يقول: (وأبيحوا ما يؤكل فإن منعه ألأم اللؤم)[2].

وفي العصور الإسلامية يأتي تأكيد عمل المعروف، فسعيد بن العاص -وهو من لحقته الديون الكثيرة بسبب الكرم- يقول لأولاده: (إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللئام، ولكنها كريهة مُرَّة، لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها، ورجا ثوابها)[3]، ولعل سعيدًا رأىٰ تنافس الناس في الترف، بعد أن كثر المال بأيديهم، وعرف أن الالتفات إلىٰ الآخرين، وقضاء حاجاتهم، التي قد تحتاج إلىٰ مال كثير، لا يتحقق إلا لمن عوَّد نفسه ذلك عن قناعة تامة.

وعبد الله بن شداد يوصي ابنه بعدم الزهد بأي معروف يقدِّمه، واغتنام الفرصة، مذكرًا إياه بأن الدهر ذو صروف، وأنه كم من راغب كان مرغوبًا إليه، مؤكدًا أن زارع البر يحصد السرور[4]. ويزيد بن المهلب يوصي ابنه بألاَّ يملَّ معروفًا، وأن يستكثر بذلك من الحمد، فإن الذم قلَّ من ينجو منه[5].

أما عبد الملك بن مروان -في وصية لبنيه- فهو يقرن عمل المعروف بوصيتهم بالتقدُّم في الحرب، باعتبار أن الحرب لن تدني منية قبل وقتها، والمعروف يبقىٰ أجرُه وذكرُه، وهو بذلك يعطي عمل المعروف بعدًا سياسيًا، يتضح أكثر في قوله من الوصية: (وضعوا الصنائع عند ذوي الأحساب والأخطار، فإنهم أصون لأحسابهم،

(١) انظر: الوصايا: ٤٢، ٤٣.
(٢) الوصية: ٤٧.
(٣) الوصية: ١٨٥.
(٤) انظر: الوصية: ٢٠٤.
(٥) انظر: الوصية: ٣٤٤.

وأشكر لما يؤتىٰ إليهم)[1]. وهو يصيح ببنيه: (أحسابكم، أحسابكم، صونوها ببذل أموالكم)[2]، يقول ذلك وهو يروي لهم نموذجين من الشعر، يمثل أحدهما غاية المدح بالكرم، ويمثل الآخر غاية الذم بالبخل، وهو -بسبب ذلك- يوصي بنيه -في وصية أخرىٰ- بحسن جوار الشعراء، موضحًا الأثر الذي يتركه الشعر في كل مكان يصل إليه، مؤكدًا لهم أنه يتمنىٰ أن يكون مُدِح بأبيات لزهير بن أبي سلمىٰ -ذكرها- وأنه زال عن نعمته كلِّها[3]! ولكن عبد الملك مع ذلك يوصي بنيه، وأهل بيته، ببذل المعروف، وكفِّ الأذىٰ، والعفو عند المقدرة، وعدم البخل عند السؤال، وعدم الإلحاف عند المسألة، مؤكدًا أنه من ضيَّق ضيَّق الله عليه، ومن وسَّع وسَّع الله عليه[4]، وكأنه يشير إلىٰ أنها هي الصفات اللائقة بهم كأهل بيت حاكم.

ويرىٰ خالد القسري أن بذل المعروف، والقيام بحاجات الناس هو ضريبة الشرف، فهو يقول: (إنكم قد شرفتم، وقَمِنٌ أن تطلب إليكم الحوائج)[5]، مشددًا علىٰ ضرورة الوفاء بما ضمنه أبناؤه من حاجات الناس، إذ أصبحت أمانة في أعناقهم.

ويدعو يحيىٰ بن خالد البرمكي بنيه للإسراع في بذل المعروف، ولو كان ما عندهم قليلًا، (فإن كثير العطاء بعد المطل قليل)[6]، والعذر مقبول مع التعجيل.

ويرىٰ الخطاب بن المعلىٰ: (كثرة العلل من البخل، وشر الرجال الكثير الاعتلال)[7].

---

(١) الوصية: ٢١٣.
(٢) الوصية: ٢٢٤.
(٣) انظر: الوصية: ٢٢٥.
(٤) انظر: الوصية: ٢٢١.
(٥) الوصية: ١٦٩.
(٦) الوصية: ٤٥٥.
(٧) الوصية: ٣٦٣.

وعمل المعروف في الناس يمنع أذاهم، ويبقي علاقتهم بالإنسان مقبولة[١]، وينبغي للمرء حين يتخذ عند أحد يدًا أن ينساها[٢]، حتىٰ لا يشوبها بمنٍّ. ويبقىٰ (البخل أذم الأخلاق، وأجلبها لسوء الأحدوثة)[٣].

الغيبة والنميمة:

ويحذر الحارث بن الحكم بنيه -ضمن كلام له في حسن التعامل مع العشيرة- من المشي بينهم بالنميمة[٤]. لتبقىٰ وصيتُه الوحيدة التي عرضت لهذا الموضوع في العصر الجاهلي. علىٰ حين تجاوزته الوصايا في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، فلم تشِرْ إليه سوىٰ ما ورد في وصية لعبد الملك بن مروان لبنيه عند موته، وهو قوله: (ولا تدنوا منكم العقارب)[٥]! وهو يشير بذلك إلىٰ النمامين. ولعله -مع كثرة أولاده- خشي أن يدخل بينهم من يفسد قلوب بعضهم علىٰ بعض، فتدبَّ بينهم الخلافات، ويُنتزع الملك منهم. ولعل مما يعضد هذا محاولة عبد الملك في تلك الساعات الحرجة أن يؤكد لبنيه مكانة أخيهم مسلمة، الذي لا تسمح التقاليد والأعراف بتوليه الحكم مع أهليَّته، ويطلب منهم الرجوع إليه، والصدور عنه في الرأي، وهي مهمة مزدوجة، تشعره بمكانته عندهم، وتدفعهم إلىٰ احترامه وتقديره! كما يعضد ذلك أنه حين كاد ينشب خلاف بين الوليد وهشام ابني عبد الملك ذكَّر أحدهما الآخر بوصية والدهما.

وفي العصر العباسي، ومع المعطيات السياسية الجديدة، كان التخوُّف من الدسائس أكثر، وتؤكد هذا وصية طاهر بن الحسين، التي جاءت صارمة في التعامل

(١) انظر: الوصية: ٤٦٤.
(٢) انظر: الوصية: ٤٩٣.
(٣) الوصية: ٥١٩.
(٤) انظر: الوصية: ٢٥.
(٥) الوصية: ٢١٣.

مع النمامين، حين يقول فيها: (وأقصِ أهل النميمة، فإن أول فساد أمرك، في عاجل الأمور وآجلها، تقريبُ الكَذَبَةِ وأهل الجرأة علىٰ الكذب، لأن الكذب رأس المآثم والزور، والنميمةَ خاتمتها، لأن صاحب النميمة لا يسلم له صاحب، ولا يستقيم لمطيعه أمر)[1].

وإذا كان الموقف من النمام والنميمة بتلك الصرامة فلا غرو أن يخوِّف الآباء الأبناء من التلبُّس بها، فعبد الملك بن صالح يحذر ابنه من الوقوع في النميمة، وهو يدرك حساسية الناس منها وصاحبها، فيقول: (من سعىٰ بالنميمة حذره البعيد، ومقته القريب)[2].

ويحذر جعفر الصادق ابنه من النميمة (فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال)[3]، كما يحذِّره من التعرُّض لعيوب الرجال، (فإن المتعرض لعيوب الرجال بمنزلة الهدف).

وتؤكد أعرابية -توصي ولدها المسافر لكي يكون محبَّبًا محفوظًا- علىٰ أن النميمة (تزرع الضغائن، وتزيل الوفاء)[4]، طالبةً منه أن يلهىٰ عنها. وتزيد أعرابية أخرىٰ أن النميمة (تفرِّق بين المحبِّين)، محذرةً ابنها من التعرض لعيوب الناس، حتىٰ لا يتخذه الناس غرضًا، (وخليق ألَّا يثبت الغرض علىٰ كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضًا إلا كلمته حتىٰ يَهِيَ ما اشتدَّ من قوته)[5].

---

(١) الوصية: ٣٨٢.
(٢) الوصية: ٣٩٦.
(٣) الوصية: ٣٥٢.
(٤) الوصية: ٥٤١.
(٥) الوصية: ٥٣٥.

الحياء:

الحياء (جماع الخير كلِّه)[١]، ولذا فلزومه دليل علىٰ حصافة عقل الإنسان، وحين طلب النعمان بن المنذر من أبيه أن يأمره بأمر جامعٍ، قال: (الزم الحزم والحياء)[٢]، ويرىٰ أكثم بن صيفي أنه (لا دواء لمن لا حياء له)[٣]. ويأتي تعبير مالك بن المنذر البجلي عن الحياء كما لو كان شيئًا ماديًّا ينبغي كسبه وجمعه، فيقول: (واقنوا حياءكم)[٤].

وإذا كان الحياء لباسًا يُبْقِي علىٰ الإنسان هيبتَه واحترامَه فإن أكثم بن صيفي ينبه ابنه علىٰ عدم تخريقه بالجدال العقيم، إذ يرىٰ (أن ترك المراء من الحياء)[٥].

وفي الإسلام يرىٰ علي بن أبي طالب ﷺ أن (من لم يكن له حياءٌ ولا سخاءٌ فالموت أولىٰ به)[٦]، ويزرع عتبة بن أبي سفيان في نفس ابنه أن الحياء قيمة يفترض ألا يتنازل عنها الإنسان، بل يلزمها علىٰ الدوام، فيقول: (الزم الحياء تكن من أهله، ولا تزايله فتبين منه)[٧]، وهو ما يتناقض مع ما أوصىٰ به طيئ بن أدد بنيه من ترك الحياء حين يكونون بعيدين عن أعين من يعرفونهم، ويكون ما يريدون الإقدام علىٰ فعله شيئًا ينفعهم: (فإنه إنما يستحي الإنسان حينئذ لغيره)[٨]!

---

(١) الوصية: ٦٠.
(٢) الوصية: ٥٩.
(٣) الوصية: ٤.
(٤) الوصية: ٥٦.
(٥) الوصية: ١٥.
(٦) الوصية: ٩٧.
(٧) الوصية: ٢٣٥.
(٨) الوصية: ٤٢.

وربما كانت وصية طيئ بن أدد متوجهة إلىٰ أن الإنسان قد يترك أشياء يمكن الانتفاع بها، لكن فعله لما تركه -في نظر العامة- إزراء بمكانته، وهو من جهة أخرىٰ يؤكد ارتباط الحياء بالحفاظ علىٰ السمعة في العصر الجاهلي.

وإذا كان المنتظر من الإنسان أن يرقىٰ في سلَّم الأخلاق يومًا بعد آخر[1]، فإن من الأهمية بمكان المحافظة علىٰ أخلاقه مما يخدشها، أو يؤثر فيها، ومن ثم يحرص علىٰ صيانتها.

وصيانة الأخلاق كانت حاضرة أيضًا في وصايا العصر الجاهلي، ويستخدم مالك بن عمرو الكلبي التعبير ذاته، وهو يوصي بنيه بصيانة أنفسهم؛ مرة بالأفعال الإيجابية، ومرة عن الأعمال السلبية[2].

كما يستخدم التعبير ذاته عبد الملك بن مروان، حين يقول: (أحسابكم، أحسابكم، صونوها ببذل أموالكم)[3].

وقد حرص الآباء علىٰ تحذير أبنائهم مما يؤثر في أخلاقهم سلبًا، فقتيبة بن مسلم يوصي بنيه بعدم دخول الأسواق والاختلاط بالعامة خشية أن تَدِقَّ أخلاقهم[4].

ويوجه المنصور ابنه المهدي إلىٰ أنه ينبغي لمن ينشد الحمد أن يبتعد عن سوء السيرة، وأن من أساءها استُذِم، ولا استُذِم أحدٌ إلا كُرِهَ[5].

---

(١) انظر: الوصية: ٧٧.

(٢) انظر: الوصية: ٥٥، وانظر: الوصية: ٢٦.

(٣) الوصية: ٢٢٤.

(٤) انظر: الوصية: ٢٦٨.

(٥) انظر: الوصية: ٤٣٤.

ويؤكد الشافعي -رحمه الله- ضرورة صيانة الأخلاق مهما لحق بالإنسان من جهد، حين يقول لابنه: (يا بني، لو علمت أن الماء البارد يثلم من مروءتي ما شربت إلا حارًّا)[1].

ويمكن إجمال ما يجب مراعاته في ذلك السياق -مما عرضت له الوصايا- بالحذر من السخرية بالآخرين خشية الابتلاء[2]، وأن يكرم الإنسان نفسه عن (كل) دنِيَّة قد تسوق إليها أطماع النفس[3]، والابتعاد عن المماطلة بعد الوعد[4]، وترك المراء بعامة؛ فمماراة العالم تجعله يَحُجُّ ويغلب، مما يضعف خصمه أمام الآخرين، وربما انعكس على منزلته عندهم، ومماراة الجاهل تجعله يَلِجُّ ويُغضِب، وفي الغضب يكون العطب[5]، والمراء والخصام قد يكون سببًا في ذهاب المروءة والأحلام[6]، وتنزيه السمع عن استماع الخنا كتنزيه اللسان عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل[7]، والارتفاع عن الحقد، إذ يؤدي إلى منع الرِّفْد[8]، وتأكيد أن (من أكثر من شيء عرف به)[9].

ولعل مما يدفع إلى تأكيد صيانة الأخلاق أن هناك من السلوكيات السيئة ما يكون سببًا في سقوط الإنسان في الجانب الأخلاقي حين يقارفها، فشرب الخمر مع شيوعه في العصر الجاهلي يأتي التأكيد في الوصايا لتأثيره في العقل، على

---

(١) االوصية: ٣٧٩.
(٢) انظر: الوصية: ٣٣.
(٣) انظر: الوصية: ٩٦.
(٤) انظر: الوصية: ٤٥٤.
(٥) انظر: الوصية: ١.
(٦) انظر: الوصية: ٣٥.
(٧) انظر: الوصية: ٢٣١.
(٨) انظر: الوصية: ٢٦.
(٩) الوصية: ٩٧.

الرغم من تحقيقه بعض النفع البدني، يقول أسلم بن أفصىٰ: (وإياكم وشرب الخمر، فإنها متلفة للمال، طلابة لما لا ينال، وإن كان فيها صلاح البدن، فإن فيها مفسدة للعقل)[1]، ويؤكد قصي بن كلاب ذلك بقوله: (وإياكم وشرب الخمر، فإنها إن أصلحت بدنًا أفسدت ذهنًا)[2]، وهو ما يؤكده كذلك النعمان بن ثواب، وهو يخاطب ابنه الذي كان ممعنًا في الشرب، محذرًا إياه من تلوُّث السمعة التي تمثل هاجسًا ضخمًا تعكس ضخامتَه كلماتُه، يقول: (واعلم أن الظمأ القامح خير من الري الفاضح)[3]، ثم يوجهه للإقلال من الشرب بقوله: (وعليك بالقصد فإن فيه بلاغًا).

وفي الإسلام يجعل عمر بن الخطاب ﷺ ترك الخمر إحدىٰ خصال الإيمان، ويعبر عنها بـ (ردغة الخبال)[4]! وينهىٰ الأشجُّ العبدي بنيه عن مزج بعض الأشربة خشية تحوُّلها، ووصولها إلىٰ حدِّ الإسكار[5]، وذلك لما يدركه -ومن قَبْلِه عمرُ- من الأثر السيئ للخمر، فـ(السكران شيطان، وكلامه هذيان)[6]، والاصطباح شؤم ونكد[7].

ويترتب علىٰ شرب الخمر مفاسد عظيمة في حق الإنسان، يوجزها الحكم بن هشام لابنه وهو ينهاه عن الخمر بقوله: (فإنه قيءٌ في شدقك، وسلحٌ علىٰ عقبك، وحدٌّ في ظهرك، وتكون ضحكة للصبيان، وأسيرًا للديان)[8].

---

(١) الوصية: ١.
(٢) الوصية: ٥٢.
(٣) الوصية: ٦٢.
(٤) انظر: الوصية: ١٢٣.
(٥) انظر: الوصية: ٦٤.
(٦) الوصية: ٣٦٣.
(٧) انظر: الوصية: ٣٣٢.
(٨) الوصية: ٣٥٨.

وحيث قد وجد الزنا في العصر الجاهلي، بل وكانت المومسات مشهورات معروفات البيوت، فقد كانت عبارات بعض الآباء في وصاياهم لبنيهم صارمةً تجاه هذا الأمر، وقد جاء حديثُهم أجمع عن ذلك الأمر، في سياق عرض سيرتهم لبنيهم، التي يشعرون بفخر وهم يروون نظافتها، وبعضهم جاء حديثه عنها في اللحظات الأخيرة من حياتهم حيث وداع الدنيا، وكأن الآباء يُشعرون أبناءهم أن النفس قد تتطلع بفعل الغريزة إلىٰ الزنا، لكن يفترض في الإنسان العاقل أن يكفَّها، ويكون معها صارمًا، وهو يستذكر سوء ما تدعوه إليه، حتىٰ تستقيم له، وتصبح تمقت ذلك الأمر وما يقرِّب إليه، فالحارث بن كعب يروي لبنيه أنه عبر عمره الطويل لم تدفعه نفسه إلىٰ إقامة علاقة غير نظيفة مع قريبة، أو زوجِ قريب، ولو باللهو المجرد، أما المومسة فلم تطرح عنده قناعَها، فضلًا عما هو أكثر من ذلك[1]! أما زرارة بن عدس فهو يقسم لبنيه أن نفسه لم تحدِّثْه قط بريبة، أو إتيان فاحشة، ولم يضمَّه وعاهرةً سقفُ بيت قط[2]، ويشير حاتم الطائي لابنه أنه لم يخالف لجادةٍ لسوءٍ قط[3].

هـ- الوصايا العلمية:

لم تكُن معطيات الحياة العربية تسمح بوجود مساحة لطلب العلم بمعناه الذي استوىٰ عليه بعد الإسلام. لقد كان لشيوع الأمية، وعدم الاستقرار السياسي، وشظف العيش، وسيطرة الخرافة أثرُها في إشغال العقل، وقلق الروح، وامتلاء الوقت بالعمل، ولم يكُن ذلك ليترك في النفس شعورًا بالحاجة إلىٰ العلم، فضلًا عن التفرُّغ له.

---

(١) انظر: الوصية: ٢٦.

(٢) انظر: الوصية: ٣٢.

(٣) انظر: الوصية: ٢٣.

لقد كانت العقلية الجماعية، المترتبة علىٰ نمط الحياة الاجتماعية، المتكئة علىٰ الارتباط القبلي، تجعل من زعيم القبيلة مصدرًا للمعرفة، وهي معرفة مرتبطة بالحاجات المادية القريبة غالبًا، وأولئك الزعماء غالبًا ما يكون زادهم المعرفي قد شكَّلته خبرتهم الحياتية، التي كان للعقل الحصيف حضورُه المستمرُّ فيها.

ولا يكاد الباحث يجد في وصايا الآباء في العصر الجاهلي -مما يتصل بالجانب العلمي- سوىٰ ما أكده أكثم بن صيفي من الانطلاق في أثناء الكلام -مع عدم العجلة- من معرفة واثقة، يقول لابنه: (لا تهرف بما لا تعرف)[1]، ويقول في وصية أخرىٰ -بوضوح أكثر-: (لا تتكلمنَّ فيما جهلت، ولا تعجل في الكلام بما علمت فتذِلَّ نفسك، فإن من إكرام المرء نفسه ألا يتكلم إلا بما أحاط به علمه)[2].

ويمكن عَدُّ وصية المنذر لابنه النعمان -إن صحَّت له- استثناءً يتفق مع وضعه كملكٍ يقصده شعراء العرب، وله صلات بملوك الفرس، وهو يهفو إلىٰ اطِّلاع ابنه علىٰ التجارب، واتصافه بحسن الخلق، وحسن خلافته حين يغيب، وهو يرىٰ في الأدب مادة ثَرَّةً تلبي حاجته في تلك الجوانب، ولكنه يشير علىٰ ابنه بضرورة التهيؤ النفسي والعقلي، لتكون الفائدة أكبر، يقول لابنه: (يا بني، أحبُّ لك النظرَ في الأدب بالليل، فإن القلب بالنهار طائر، وبالليل ساكن، فكلما أوعيت فيه شيئًا علقه)[3].

وفي العصور الإسلامية كان للعلم، والحثِّ علىٰ طلبه، حضور كبير في وصايا الآباء لأبنائهم، ولا غرو في ذلك، فالإسلام قامت أسسه علىٰ العلم والمعرفة، وكَشْفِ عوارِ الخرافة، ومحاربتها، وفتح الآفاق أمام تساؤلات العقل، ثم إن الإسلام

---

(١) الوصية: ١١.

(٢) الوصية: ١٦.

(٣) الوصية: ٦١. والوصية: تنسبها أكثر المصادر إلىٰ منذر بن الجارود، وهي به أليق.

دينٌ سماوي، جاء بمنهج متكامل، يشمل جوانب الحياة المختلفة، دستوره القرآن، وما ورد عن النبي ﷺ مما يعدُّ توضيحًا لما أجمل، وتفصيلًا لما أُوجز، وبيانًا لما ورد في القرآن الكريم.

ومن الجوانب المهمة التي أولاها الإسلام عنايةَ العلمُ، إذ دعا إليه، ورغَّب فيه، وأعلىٰ مكانة أهله، يقول تعالىٰ: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[1].

ولقد تنوعت عبارات الآباء في الحث علىٰ طلب العلم، لكن أكثرها ورودًا في وصاياهم (تعلَّم -تعلموا -العلم)[2]، وورد عند بعضهم (اطلب -اطلبوا -العلم)[3]، وجاء التعبير عن ذلك في الوصية المنسوبة لعلي ﷺ: (وتفقَّه في الدين)[4].

وقد جَهِدَ الآباء في إغراء أبنائهم في طلب العلم، محاولين حفزهم بما يجنونه من ثمرات في ذلك؛ سواء ما يتصل بالمنزلة في الدنيا، والنظر إلىٰ الإنسان فيها، أو ما يتصل بالآخرة من الثواب الجزيل، فالمال يفنىٰ والعلم يبقىٰ، كما يقول سليمان التيمي[5]، وبالعلم والدين تنتظم للأبناء الدنيا[6]، والعلم سبب لسيادة القوم[7]، كما يؤكد عروة بن الزبير لبنيه، وعروة ينطلق في وصيته من وعيٍ لمعطيات عصره، ويختصر ابنه هشام أهداف طلب العلم في عصره في قوله: (العلم لواحدٍ من ثلاثة؛ لذي حسب يزينه به، أو ذي دين يسوس به دينه، أو مختبطٍ سلطانًا يتحفه بعلمه، ولا

(١) سورة المجادلة، آية ١١.

(٢) انظر: الوصايا: ٨٤، ١٦٦، ٢٣٧، ٢٩٠، ٣٤٦، ٣٩٣، ٥٠١.

(٣) انظر: الوصايا: ٩٧، ١٢٦، ١٩١.

(٤) الوصية: ٩٦.

(٥) انظر: الوصية: ٣٧٦.

(٦) انظر: الوصية: ٢٣٣.

(٧) انظر: الوصية: ٢٣٧.

أعلم أحدًا أشرط لهذه الخلال من عروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وكلاهما حسيب ديِّن من السلطان تأرَّىٰ)[1].

لقد كانت العراقة في النسب -في العصر الجاهلي- تتمدد علىٰ رقعة الشرف والوجاهة حتىٰ تكاد تأتي عليها، ولكن الأمر بدأ بالتغيُّر مع استقرار دولة الإسلام، إذ أصبح الدين يرتكز علىٰ العلم[2]، وحينئذ أصبح (العالم) أكثر الناس فهمًا للدين، ومن ثم أرفعهم قامة في ميدان الشرف، حتىٰ بات من أراد من الوجهاء أن تبقىٰ له وجاهته يأخذ من العلم بسبب، فرسول الله ﷺ يقول: (خيارهم في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا)[3].

في ظل ذلك الواقع ليس غريبًا أن يحسَّ الخليفة سليمان بن عبد الملك، الذي تَضْرِبُ شجرةُ نسبِه بعمقٍ في تُرْبَةِ بني أمية، بالمهانة، بل بالذل، وهو يأخذ مكانه في صفِّ المستفتين بين يدي عطاء بن أبي رباح. وتزداد المرارة في فم الخليفة -ومعه ابناه- حين يكون عطاءٌ هذا ابنَ نوبيٍّ كان يعمل المكاتل، كما أن عطاءً كان أعور أشلَّ أفطس أعرج أسود اللون[4]، ولكن كل تلك العيوب تتوارىٰ أمام كونه أعلمَ أهل زمانه بمناسك الحج، وكون فتوىٰ أهل مكة قد انتهت إليه، وإلىٰ مجاهد بن جبر المكي[5]. ويمثِّل ذلك الموقف غصَّةً في حلق سليمان، وهو يجعل منه عند ابنيه دافعًا إلىٰ الجد في طلب العلم، حين يقول: (يا ابني، لا تَنِيا في طلب العلم،

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٩. مختبط: من قولهم: اختبط فلانًا، سأله معروفه من غير معرفة، ولا وسيلة، ولا قرابة، والمعنىٰ: يرتاد السلطان فيستعطيه بعلمه. وتأرىٰ: تمكَّن.

(٢) ورد في صحيح البخاري رحمه الله: باب، العلم قبل القول والعمل، لقول تعالىٰ: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك). انظر: فتح الباري ١/ ١٥٩.

(٣) رواه مسلم ٤/ ٢٠٣١، ح٢٦٣٨. وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/ ٤٥١- ٤٥٢.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٠.

(٥) انظر: المصدر السابق ٥/ ٨١.

فإني لا أنسىٰ ذلّنا بين يدي هذا العبد الأسود)[1]، وهو يدرك أن العرف الاجتماعي جعل للعالم منزلة إن لم تفُق منزلة الخليفة فهي لا تَقِلُّ عنها، ولقد كان الخلفاء نتيجة لذلك يحاولون تقريب العلماء، ودعوتهم إلىٰ مجالسهم، ليكتسبوا شرعية أكثر. ويحاولون تبعًا لذلك إغراءهم بالعطاء.

إن الخليفة المنصور -وله تجربة كبيرة في ذلك- يدفع ابنه إلىٰ اجتذاب العلماء وتقريبهم، وجعلهم داخل دائرته، وهو يوصيه ألَّا يجلس مجلسًا إلا ومعه من (أهل العلم) من يحدِّثه، محاولًا تعميق أثرِ كلامه في نفسه بما ينقله له عن الزهري من أن (الحديث ذَكَرٌ، ولا يحبّه إلا ذكور الرجال، ولا يبغضه إلا مؤنثوهم)[2]! ولا يكتفي المنصور بما تبعثه هذه الكلمة من إيحاءٍ يدفع ابنه إلىٰ الهرب من سيماء التأنث باجتلاب أهل العلم للمحادثة، ولكنه يؤكد ذلك بحزمٍ، وهو يختم وصيته بقوله: (وصدق أخو زهرة)! وهنا لا يكون كلام مصعب بن الزبير غريبًا وهو يقول لابنه: (تعلَّم العلم، فإن لم يكن لك جمالٌ كان لك جمالًا، وإن لم يكن لك مالٌ كان لك مالًا)[3]، وهو ما يؤكده أيضًا عمرو بن العاص في قوله: (اطلبوا العلم، فإن استغنيتم كان جمالًا، وإن افتقرتم كان مالًا)[4]، فالعلم للأشراف جمال، وللسوقة مال، ومن هذا المنطلق لا غرو أن يجعل عبد الله بن مصعب الزبيري -في وصيته لابنه- أوَّلَ ما يحققه العلمُ للإنسان مجالسةَ الكرام[5]، ولا ريب أن كلمة (الكرام) -بإيحائها الرائع- تعني أشرافًا أثَّرَ العلمُ في أخلاقهم، أو سوقةً أعلىٰ من شأنهم تحصيلُهم العلمَ، وتمثُّلُه في سلوكهم، كما تشير إلىٰ ذلك وصية خالد بن صفوان[6].

(١) الوصية: ١٩١.
(٢) الوصية: ٤٢٧.
(٣) الوصية: ٢٩٠.
(٤) الوصية: ١٢٦.
(٥) انظر: الوصية: ٣٩٣.
(٦) انظر: الوصية: ٣٥٩.

حتىٰ المرأة -ممثلة بأمِّ الأوقص المخزومي- العاقلة -كما يصفها ابنها- تدرك كيف يغطِّي العلم العيوبَ الخَلْقِية، ويرفع قامة الإنسان الاجتماعية، تقول أم الأوقص في وصيتها له: (إنك خلقت خِلْقَةً لا تصلح معها لمجامعة الفتيان في بيوت القيان، إنك لا تكون مع أحد إلا تخطتك إليه العيون، فعليك بالدين (العلم)، فإن الله يرفع به الخسيسة، ويتمُّ النقيصة)[1]. ويشهد الأوقص -بتجربته- علىٰ ثاقب نظر أمه، فيقول: (فنفعني الله بما قالت، وتعلَّمت العلم حتىٰ وليت القضاء).

وعروة بن الزبير -رحمه الله- الذي وصفه ابنه بأنه -مع عمر بن عبد العزيز رحمه الله- قد جمع مسوغاتِ طلب العلم في عصره، يحاول نقل أولاده من اللحظة الحاضرة، التي يرون أنفسهم فيها صغارًا لا يؤبه لهم، إلىٰ المستقبل حيث سيكونون هم الكبار، وحولهم من يسألهم، (فما أشدَّ علىٰ امرئ أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله!)[2]، ويحكي عروة لبنيه تجربته: (إني كنت صغيرًا لا يُنظر إليَّ، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني)، وذلك الأمر يؤكده الحسن بن علي ﷺ في وصيته لبنيه وبني أخيه، والحسَنُ في حديثه معهم يلحُّ علىٰ ضرورة ارتباطهم بالعلم بأيِّ صورة، فإن لم تكُن عندهم (مهارة) الحفظ -وهي إحدىٰ متطلبات العلم الأساسية في زمنه- فليكتبوا ما يسمعونه من العلماء، وليبقوه في بيوتهم قريب التناول تحسبًا للسؤال، وهربًا من الوَصْمِ بالجهل، يقول الحسن ﷺ: (يا بني وبني أخي، إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلَّموا العلم، فمن لم يستطِع منكم أن يروِيَه -أو قال: يحفظه- فليكتبه، وليضعه في بيته)[3].

وفي الوقت الذي يدل فيه كلامُ الحسنِ علىٰ بداية متقدِّمة في تأسيس المكتبات المنزلية الخاصة، فإنه يؤكد -مع كلام عروة بن الزبير- علىٰ شيءٍ من الأعراف

(١) الوصية: ٥٢٦.
(٢) الوصية: ٢٣٨.
(٣) الوصية: ١٦٦.

الاجتماعية الجديدة التي لم يعد (شرفُ النسب) -وحده- هو عنوانَ الوجاهة فيها، وإنما أصبح العلم جزءًا أساسًا من نسيج التشكيل الوجاهي فيها، كما يدلان علىٰ أسلوب جد رائع في إغراء الأبناء بطلب العلم، وحفزهم علىٰ تحصيله، سواء بالإشارة إلىٰ مكانتهم وسؤال الناس لهم تبعًا لذلك، أو بتكريس كراهية الجهل، والأنفة من الوصم بها، أو بتعميق الشعور بالفرق بين من يَسأل ومن يُسأل، كما أن في وصية الحسن تهيئةً للجو العلمي الذي يزرع -مع مرور الوقت- الرغبةَ في طلب العلم في نفسية الابن، ويسهِّل عليه الرجوع إليه.

وفي مجال المحفِّزات لطلب العلم يدعو ابن المقفع ابنه إلىٰ الارتباط بالعلم، والتعلُّق به، حتىٰ يجد من نفسه طموحًا إليه، ليكون هو -من بعد- ما تجد فيه نفسُه راحتَها ولذَّتَها، يقول ابن المقفع: (يا بني، حبِّب إلىٰ نفسك العلم حتىٰ ترأمه، ويكون لهوتَك وسلوتَك)[1]. ويوجه حبيب بن الشهيد ابنه إلىٰ أن يصحب العلماء والفقهاء[2]، إذ سينطبع بسلوكهم في الرغبة العلمية والانضباط السلوكي.

ويلفت عبد الملك بن صالح نظر ابنه -ضمن وصيته إياه- إلىٰ أن دراسةَ العلم لقاحُ المعرفة[3]. وقد سبقت إشارة خالد بن صفوان -في وصيته ابنه- إلىٰ أن العلم هو (السلَّم) الذي يمكن به الوصولُ إلىٰ ما يحبُّ ويرغب، وما أغرىٰ به عبد الله بن مصعب الزبيري ابنه في كون العلم هو الطريق الموصل إلىٰ مجالسة الكرام. وهذه المجالسة والخلطة تؤثر إيجابيًّا في نظرة أفراد المجتمع إلىٰ الإنسان، فهم في الوقت الذي تقتحم أعينُهم من يجالس السفهاء، يحيطون من يجالس العلماء بهالة من التقدير، وهو ما أكده جعفر الصادق في إحدىٰ وصاياه[4].

(١) الوصية: ٤١٨.

(٢) انظر: الوصية: ٣٥٦.

(٣) انظر: الوصية: ٣٩٦.

(٤) انظر: الوصية: ٣٥٢.

وتختلف أساليب الآباء في تأكيد طلب العلم لدىٰ أبنائهم، وإذ قد مضىٰ طرفٌ من ذلك يمثله نوعٌ من الآباء، الذين أسعفهم واقعُهم في التسابق إلىٰ طلب العلم، وتقدير العلماء، فإن المجهود يكون أكبر وأشقُّ حين يغلب علىٰ المجتمع التكاسل، ويشيع الجهل، وتخبو جذوةُ طلب العلم، فأحد العلماء -ممن يبدو أنه عايش مثل تلك الأجواء- يجهد في إقناع أبنائه بالجدِّ في طلب العلم، وعدم التأثر بواقع الناس من غلبة الجهل، وإيثار الدعة، والجري وراء الرغائب، يقول: (يا بني، تعلموا العلم وإن لم تنالوا به حظًّا من الدنيا، فلأن يُذمَّ الزمانُ لكم أحب إليَّ من أن يُذم الزمانُ بكم!)[1]، وأحد الفلاسفة يستخدم الأسلوب المنطقي في تأكيد قيمة العلم لدىٰ بنيه، فيقول: (لا تتَّكِلوا علىٰ البخت، فإنه ربما لم يكُن، وربما كان وذهب، فأما الحسب فرأيته بلاءً علىٰ أهله؛ فإنه يقال للناقص: هذا ابن فلان، فيتضاعف غمُّه وعاره، ولو لم يكُن في العلم إلا أن العالِمَ يُكرَم وإن لم يكسب لكفاه)[2].

والآباء، في غمرة توصية أبنائهم بطلب العلم، لا يغفلون عن تحذيرهم من المنزلقات التي تعترضهم في طريقهم ذاك، كأن يُتَّخذ العلم سلَّمًا للمباهاة، أو سلاحًا للجدل العقيم، كما في وصية زيد بن أسلم لبنيه التي جاءت متكئة علىٰ حديثٍ شريفٍ عن النبي ﷺ[3]، أو أن يَخُبَّ الإنسان في ثياب من العُجْب، فإن ذلك صارف للازدياد من العلم[4].

كما نجد الآباء يؤكدون ضرورة ظهورِ أثرِ العلم في طالبِه، ممثلًا بالخشية والتقوىٰ من جهة، وبالعمل والتطبيق من جهة أخرىٰ؛ فعمار بن زريق، الذي رأىٰ

(١) الوصية: ٥٠١.

(٢) الوصية: ٥٠٢.

(٣) انظر: الوصية: ٣٦٩، وانظر: أيضًا: الوصية: ٨٤.

(٤) انظر: الوصية: ٥١٩.

ابنه مندفعًا في طلب الحديث، وضع بين يديه هذا المعْلَم بقوله: (يا بني، اعمل بقليله تزهد في كثيره!)[1]، فالغاية من طلب العلم ليس التكثُّر، وإنما ظهور ذلك في سلوك الطالب، وحبيب بن الشهيد يلقي في مسمع ولده أن التردد علىٰ العلماء ليس ينتهي عند مجرد تلقِّي ما يلقونه من العلم، وإنما ثمة أمر لا يقلُّ أهمية عن ذلك، وهو مراقبة سلوكهم، ومحاولة تَمَثُّلِه؛ لأن سلوك العلماء العاملين هو ثمرةُ علمِهم، يقول حبيب: (يا بني، اصحب الفقهاء والعلماء، وتعلَّم منهم، وخذ من أدبهم فإن ذلك أحب إليَّ من كثير من الحديث)[2]، وحين تتحمس أمُّ سفيان الثوري لطلبه العلم، وتُفرِّغه لذلك، وتظل هي تعمل بمغزلها لتنفق عليه[3]، فإنها تحذره ألاَّ يطلب العلم إلا إذا نوىٰ العملَ به، وإلا فإنه سيكون وبالًا عليه يوم القيامة[4]، بل حددت له أنه إذا كتب عشرةَ أحاديث ولم يرَ في نفسه زيادة في الحلم والخشية والوقار، فليدرك أن ذلك يضرُّه ولا ينفعه[5]. ولا شك في أن ذلك التوجيه، المصاحب لدفعه إلىٰ طلب العلم، سيجعل الابن واعيًا الهدف من طلب العلم منذ البداية، متهيئًا نفسيًّا للتأثر بسمت طالب العلم.

ولعل مما يتصل بذلك ما ورد في وصية علي ﷺ: (يا بني، رأس العلم الرفق، وآفته الخرق)[6]، وهي تبيِّن بوضوح أن العلم حين يتولىٰ صناعة سلوكِ طالبِه يصل به إلىٰ تلك المنزلة، وحين يكون مجرد روايات لا تغادر الذاكرة يظل سلوك الإنسان بمنأىٰ عنها، ولعل المفارقة بين سلوك طالب العلم وعلمه تُبرِز عمقَ حمقِه في

(١) الوصية: ٤٠٢.
(٢) الوصية: ٣٥٦. وانظر: الوصية: ١٠٥.
(٣) انظر: الوصية: ٥٣٣.
(٤) انظر: الوصية: ٥٣١.
(٥) انظر: الوصية: ٥٣٢.
(٦) الوصية: ٩٧.

أعين الآخرين، وعليٌّ ﷺ في ذات الوصية يرسم الأثر الذي يتركه -أو ينبغي أن يتركَه- العلمُ في نفس طالبه، حين يريد الفوز، فيقول: (بخٍ بخٍ لعالم عَلِمَ فكفَّ، وعمل فجدَّ، وخاف الثبات فأعدَّ واستعدَّ، إن سُئِل أفصح، وإن تُرِك سكت، وكلامه صواب، وصمته في غير عيٍّ عن الجواب).

ويبرز عند إسحاق بن إبراهيم بن شيبان مصطلح الورع الذي يفترض أن يصطحبَه ابنُه في رحلة طلب العلم، فيتعلَّم العلم لآداب الظاهر، ويستعمل الورع لآداب الباطن[1].

وجلُّ ما مضىٰ في هذا الموضوع يعكس واقع البيئة العلمية، ولا سيَّما في العصر العباسي حيث نضجُ العلم، وتنوُّعُ الثقافات.

وعند طلب العلم قد يوجِّه الأبُ ابنَه في أخذ العلم عن عالم بعينه، لاعتبارات معينة؛ سواء أكانت متصلة بسعة العلم، ومتانة الحفظ، كما في وصية طاوس ابنه بلزوم عمرو بن دينار، لأن أذنيه -كما يقول- كانتا قُمْعًا للعلماء![2]، أو لخصالٍ سلوكية مهمة، يأمل الأب أن تترك أثرًا في ولده، كما أوصىٰ بسطام التيمي ابنه بلزوم عبد الملك بن أبجر، الذي لم يعلم -كما يقول- بالكوفة أشدَّ تحفظًا للسانه منه[3].

وأدب الصمت والمحادثة جزءٌ أساسٌ من آداب التعلم ومجالسة العلماء، وبذا يرسم الحسن البصري حدود ذلك لابنه حين يوصيه: (يا بني، إذا جالست العلماء فكُن علىٰ أن تسمع أحرص منك علىٰ أن تقول، وتعلَّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع علىٰ أحد حديثًا -وإن طال- حتىٰ يمسك[4].

(١) انظر: الوصية: ٣٤٦.
(٢) انظر: الوصية: ١٩٦.
(٣) انظر: الوصية: ٣٤٧.
(٤) الوصية: ١٦٨.

وإذا كان الاستحياء أحيانًا قد يعوق عن طلب العلم كليَّةً[1]، فإنه أيضًا عندما يمنع طالب العلم عن السؤال عما يشكل سيكون سببًا في ضعفه العلمي، وهو ما دعا سلم بن قتيبة أن يحذر ابنه سعيدًا منه، فيقول: (لا تستحي من المسألة فيما جهلت، فإن من رقَّ وجهه رقَّ علمه)[2]، ويدفع وهب بن منبه -في وصية له- ابنه إلىٰ كيفية التشكُّل العلمي والقيمي، مؤكدًا أهمية السؤال في ذلك[3]، لكنه في وصية أخرىٰ، يشير إلىٰ أن السؤالَ شيءٌ والمماراةَ شيءٌ آخر، ويحذر ابنه من ذلك، مبينًا أنه مما يباعد بين الطالب والعالم، وربما يكون سببًا في حرمان الطالب من العلم[4].

ويوجِّه الأب أبناءه -في سبيل ضبطٍ أكثرَ للعلم- أن يقيِّدوا العلم بالكتابة[5]، وليس مجرد الكتابة وإنما الوصول بها إلىٰ غاية الإتقان والضبط[6].

أما من حيث التكوين العلمي فلا نكاد نجده سوىٰ في وصية المهلب بن أبي صفرة الذي يرسم لبنيه -في وصيته- برنامجًا يوميًّا، يوجههم فيه لطلب العلم، مبتدئين صباحهم به، محددًا لهم ذلك العلم في (تعلُّم القرآن والسنن والفرائض)[7].

وفي عصر صدر الإسلام والعصر الأموي تحمل الوصايا توجيهاتٍ نحو جوانب من العلم متصلة باهتمامات الآباء، أو بما يرونه يسدُّ خللًا لدىٰ أبنائهم أو أحدهم، فعمر بن الخطاب يوصي ابنه بتعلُّم نسبه ليصل رحمه، وبتعلُّمِ الشعر ليحقق قدرًا أكبر من السلوك الجميل[8]، وأبجر بن جابر العجلي، يرىٰ في ابنه طموحًا نحو

(١) انظر: الوصيتين: ٨٤، ٣٦٩.

(٢) الوصية: ٣٧٢.

(٣) انظر: الوصية: ٣٣٩.

(٤) انظر: الوصية: ٣٣٧.

(٥) انظر: الوصية: ٦٧.

(٦) انظر: الوصية: ١٩٧.

(٧) الوصية: ٣٢٠.

(٨) انظر: الوصية: ١٢١.

الوجاهة، ومسارعة في طريقها، فيلفت نظره إلىٰ ما في الكلام المرتجل من مزالق، ولا سيَّما حين يحتشد أمامه الناسُ، ويرىٰ الإعجابَ يملأ العيون، فيقول لولده: (وإياك والخطب، فإنها مشوار كثير العثار)[1].

لكن عبد الله بن الأهتم الذي تمرس ذووه في الخطابة وتوارثوها، وشهروا بها، وتمكنوا منها، يوصي ولده بالإفادة مما توفَّر له فيها من الموهبة والبيئة، مؤكدًا أن الخطابة -مع ما يصاحبها من امتلاك ناصية البيان- تحقق له كل ما يروم الوصول إليه، مؤكدًا ذلك بالتجربة الأسرية[2].

أما الخليفة هشام بن عبد الملك، فإنه يوصي ابنه بتعلُّم القرآن، ويقرن تعلُّمه بتعلُّم النحو، إذ يرىٰ (أن القرآن بلا نحو كالجسد بلا رأس)[3]. وإذا كان هشام ينتهي -في تأكيد قيمة النحو- عند ضبط القرآن، فإن جرير بن حازم -وهو من جِلَّة أهل البصرة، حيث أحدُ مواطنِ النحو الرئيسة- يدفع ابنه، في وصيته، إلىٰ تعلُّم النحو، مؤكدًا مفهومًا جديدًا يراه مرتبطًا بتعلم النحو، يقول: (فإنك لن تعلَّمَ منه بابًا إلا تدرَّعت من الجمال سربالًا)[4]. ووصيته تعكس المنزلة التي بدأ النحو يحتلها من العناية، وموقعه من الخريطة العلمية في العصر العباسي، إذ راجت صناعته، ونفقت سوقه، وبرز له أعلام، وأُديرت حول مسائله المناظرات.

والنحو أحد الميادين التي غزاها المنطق، وأسهم في صياغة قواعده، وربما كان هذا أحد أسرار الولع بدراسته، والإقبال عليه، إذ كان للمنطق سوق رائجة، فقد ترجمت الكتب، وتمازجت الثقافات، وكانت تلك العناية بالمنطق أثرًا من

(١) الوصية: ١٤٢.
(٢) انظر: الوصية: ٢٠٠.
(٣) الوصية: ٣٣١.
(٤) الوصية: ٣٥١.

آثار ذلك، ولكنه أثر بعيد الأثر! وتوضح وصية الحسن بن سهل مدىٰ رواج سوق المنطق، فهو يعده السُّلَّم الأسرع في معراج الإنسانية[١].

وإذا كان النحو والمنطق قد أصبحا ميدانين يتمددان علىٰ رقعة كبيرة من الاهتمام في العصر العباسي، فإن الثقافة الموسوعية حينذاك كانت مطلبًا مهمًّا، إذ أصبحت شبكة شبه مضمونة لاصطياد إعجاب الخلفاء والأمراء، ولا سيَّما في العصور العباسية الأولىٰ، فأصحابها يحطون رحالهم بغير ما عناء في باحات أولئك موظفين وقصَّادًا، وهذا ما يدفع يحيىٰ بن خالد البرمكي لتأكيد أهمية الثقافة الموسوعية[٢]. ولكن لأن الإحاطة مستحيلة مع تعدد العلوم وتنوع المعارف، فليس ثمة حلٌّ سوىٰ الانتقاء، وهو ما روي عن جملة من الآباء[٣].

وفي غمرة الأمر بطلب العلم، والحث عليه، يبرز لنا إلىٰ جواره أحيانًا -في الوصايا- الحديثُ عن الأدب؛ سواء من حيث التوجيه إلىٰ طلبه، أو الحديث عن أثره، يقول ابن المقفع في وصيته لابنه: (والعلم علمان؛ علمٌ يدعوك إلىٰ آخرتك فآثره علىٰ ما سواه، وعلمٌ لتذكية القلوب، وهو جلاؤها، وهو علم الأدب، فخذ بحظك منه)[٤].

وعند التأمل يبدو للباحث أنه يعني بالعلم ما يتصل بالجوانب الشرعية، وأنه يعني بالأدب ما يتصل بالشعر والنثر الأدبي والأخبار وخلافها مما يماثلها، مما يحمل تجارب ثرة، تضيف لمتلقيها خبرة معرفية وعقلية، وتجارب إنسانية.

---

(١) انظر: الوصية: ٣٥٧.

(٢) انظر: الوصية: ٣٦٢.

(٣) انظر: الوصايا: ٣٥٤، ٤١٠، ٤٤٣.

(٤) الوصية: ٤١٨. وقد ورد هذا التقسيم -بصورة غير مباشرة- لدىٰ ابن عباس ﵄، في قوله: (كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله، ومن علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل). البيان والتبيين ١/ ٨٦.

والأدب أو الثقافة الأدبية -فوق كونها تمثل جانبًا من الثقافة اللغوية التي يُحتاج لها في معرفة كلام الله- لها أثرها الكبير في نفس الإنسان، خاصة الشعر، وثمة أقوال تمثل الاحتفاء بالشعر، وتؤكِّد أثره الإيجابي في النفس، في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي[1]، كما امتدَّ الاحتفاء به -بسبب أثره الأخلاقي والسلوكي- إلىٰ العصور العباسية[2].

وقد أصبحت الثقافة الأدبية -بما فيها الشعر- طريقًا يورد أصحابه حياض الأمراء والسلاطين، ليرجعوا منها (بجر الحقائب)! غير كونها تصبغ صاحبَها بالأدب السلوكي، الذي يرفع من مكانته بين الناس، وهذا ما جعل خالد بن صفوان ينبه ابنه علىٰ قيمة الأدب وما يضفيه علىٰ صاحبه، فيقول له: (يا بني، الأدب بهاء الملوك، ورياش السوقة، والناس بين هاتين المنزلتين)[3].

والكتَّاب -خاصة في العصر العباسي- يتجسد في سلوكهم أثرُ ثقافتِهم الأدبية، يشهد لهم بذلك أبو السمراء، ذو الثقافة الأدبية واللغوية، والمطَّلع علىٰ أحوالهم من

(١) كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري: مرْ من قِبَلَك بتعلم الشعر، فإنه يدل علىٰ معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب. (العمدة لابن رشيق ١/ ٨٨). وقال عمر ﷺ: الشعر يُسَكِّن به الغيظ، وتُطفأ به النائرة، ويتبلَّغ القوم، ويُعطىٰ السائل، (محاضرات الأدباء ١/ ٨٠). وقال عبد الملك بن مروان: تعلموا الشعر، ففيه محاسن تُبتغىٰ، ومساوئ تُتقىٰ، (المصدر السابق).

(٢) قال دعبل في كتابه الموضوع في مدح الشعراء: ... أن الرجل، الملك أو السوقة، إذا صيَّر ابنه في الكتاب أمر معلِّمه أن يعلِّمه القرآن والشعر، فيقرنه بالقرآن ليس لأن الشعر كهو ولا كرامة للشعر، ولكنه من أفضل الآداب، فيأمره بتعليمه إياه لأنه توصل به المجالس، وتضرب فيه الأميال، وتعرف به محاسن الأخلاق ومشاينها، فتذم وتحمد، وتهجىٰ وتمدح، وأيُّ شرف يبقىٰ من شرف يبقىٰ بالشعر، (اللطائف والظرائف: ٤٦).

(٣) الوصية: ٣٥٩. (قال الأصمعي: قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب. قال: نعم الشيء، فعليك به، فإنه ينزل المملوك في حدِّ الملوك). معجم الأدباء ١/ ٢٢.

كتب، بسبب اختلاطه بالأمراء، ويوجه بنيه بتمثُّل سلوك الكتاب، فيقول: (يا بني، تزيوا بزيٍّ الكتاب، فإن فيهم أدب الملوك، وتواضع السوقة)[1].

وحين تتحقق الثقافة الأدبية للأمير أو السلطان، فإنها تمنحه أُفقًا أوسع، وعقلًا أتمَّ، وسرعة بديهة، وإدراكًا لمداخل الأمور ومخارجها، غير ما يرجع به منها من فصاحة لسان، وجمال بيان، قال معاوية ﷺ: (يجب علىٰ الرجل تأديب ولده، والشعر أعلىٰ مراتب الأدب)[2]. ولعل هذا ما دعا عروة بن الزبير إلىٰ أن يدعو بنيه إلىٰ تعلُّم الشعر، وربما أنشد الأبيات ثم يعرضها عليهم[3]. والخطاب بن المعلىٰ يؤكد -في وصيته لابنه- عميق أثر الشعر، فيقول: (والشعر من السحر!)[4]. وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم -وكان علىٰ البصرة زمن المأمون، كما كان شاعرًا أديبًا ظريفًا- يؤكد لابنه السيرَ علىٰ سنَنِ آبائه، في جودة قرض الشعر، فيقول: (يا بني، أنا شاعر، وأبي شاعر، وجدي شاعر، وجدُّ أبي شاعر، لا ينقطع بك الحبل!)[5]. ولكن الشعر، من حيث قرضه، لا يجد ترحيبًا من لدن الملوك والخلفاء، فالرشيد يرىٰ أن الخليفة، ومن هو في مقامه، لا يحتاج إلىٰ أن يضيع وقته في تعلُّم الشعر، (لا سماعَه وروايتَه)، إذ الشعر بالنسبة له لا يضيف له شيئًا، مثلما يفعل بالنسبة لذوي المنازل الصغيرة، فحينما كتب إليه ابنه المأمون بشعرٍ قال له: (يا بني، ما أنت والشعر؟! أما علمت أن الشعر أرفعُ حالات الدنيء، وأقلُّ حالات السني)[6]، وكأن الرشيد ينطلق في رؤيته

---

(١) الوصية: ٣٨٦.
(٢) العمدة لابن رشيق ١/ ٨٨.
(٣) انظر: الوصية: ٢٣٩.
(٤) الوصية: ٣٦٣.
(٥) الوصية: ٣٩٧.
(٦) الوصية: ٣٦٧.

لقرض الشعر من واقع الشعر في عصره، إذ جعل منه معظم الشعراء (دلاءً) يستقون بها من (آبار) الخلفاء والأمراء، وحينذاك يندفعون للمبالغة والكذب بغية إرضاء أولئك، وتحقيق مطامعهم فيما عندهم، وهذا الأمر هو ما صرح به حجر بن عمرو الكندي لابنه امرئ القيس، فقال له: (يا بني، أحسن الشعر أكذبه، ولا يحسن الكذب بالملوك!)[1].

وإزاء الرؤيتين السابقتين للشعر ثمة رؤية أخرىٰ يمثلها عقبة بن عامر، فهو لا ينهىٰ بنيه عن قرض الشعر فحسب، ولكنه ينهاهم عن الانشغال بكتابته، حتىٰ لا يشغلهم عن القرآن![2].

وثمة استخدام آخر لمصطلح (الأدب) يرد في بعض الوصايا، ولكنه يتوجه إلىٰ السلوك والجوانب التربوية، وقد عرضت له فيما سبق، في الوصايا الخلقية، ولكن يلاحظ أن له صلة بالأدب بمعناه المشار إليه آنفًا، كما تشير إلىٰ ذلك وصية عمر ﷺ في قوله: (واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك... ومن لم يعرف الشعر لم يؤدِّ حقًّا، ولم يقترف أدبًا)[3]. كما يلحظ في حضِّ سعيد بن العاص بنيه علىٰ تعلم الشعر[4]، خاصة وقد اشتهر سعيدٌ بالكرم في أجلىٰ صوره وأروعِها. وقد أوصىٰ وهب بن منبه ابنه بلزوم الحكمة، مؤكدًا أن الخير كله فيها، وأنها (تشرِّف الصغير علىٰ الكبير، والعبد علىٰ الحر، وتزيد السيدَ سؤددًا، وتُجْلِس الفقيرَ مجالس الملوك)[5]، ولعله ساق الحكمة هنا مساق الأدب بمعناه السلوكي، وجعل لفظها مرادفًا للفظه.

---

(١) الوصية: ٢٧.
(٢) انظر: الوصية: ٩٥.
(٣) الوصية: ١٢١.
(٤) انظر: الوصية: ١٨٩.
(٥) الوصية: ٣٣٨.

و - الوصايا الاقتصادية:

تكاد وصيةُ قيس بن معدي كرب الكندي تكون أبرز وصية عُنيت بالجانب الاقتصادي -ممثلًا بالمال-، أو خلصت له؛ لا في وصايا العصر الجاهلي، وإنما في جملة الوصايا. وقيسٌ فيها يغري بنيه بطلب المال، ولكنه يؤكد لهم أن يكون ذلك بأجمل الطرق، وبعد طلبه لا نجد وصيةً بجمعِه، ولكننا نجد أمرًا بصرفه، إذ الغاية من وجود المال هو صرفُه ولكن في أجمل المذاهب، ويختصر تلك المذاهب في ثلاثة، يوضِّحها بقوله: (فصلوا منه الأرحام، واصطنعوا منه الأقوام، واجعلوه جُنَّة لأعراضكم، تحسن في الناس قالتكم)[1]، وبذلك يمكن امتلاك قلوب الأقرباء، ممثلين بذوي الأرحام، والعقلاء ممثلين بالأشراف، والتخلص من الحمقىٰ ممثلين بالسوقة، الذين لا يكاد يسلم من لذع سياط ألسنتهم من لم يملأ أفواههم! ثم يؤكد لهم قيمة الإنفاق وأثره البعيد حين يقول: (فإن بذله تمام الشرف، وثبات المروءة، وإنه ليسوِّد غير السيد، ويؤيد غير الأيِّد، حتىٰ يكون عند الناس نبيلًا نبيهًا، وفي أعينهم مهيبًا). وفي مقابل هذا يذَكِّرهم بعاقبة الغَنِيِّ الممسِك، عارضًا لبنيه في وصيته (صورة واقعية) مما يتخذه الناس حيال ذلك النوع من الرجال، فيقول: (ومن اكتسب مالًا فلم يصل به رحمًا، ولم يعطِ منه سائلًا، ولم يصنْ به عرضًا بحث الناس عن أصله، فإن كان مدخولًا هرتوه وهتكوه، وإن لم يكُن مدخولًا ألزموه دَنِيَّة، وأكسبوه عرقًا لئيمًا حتىٰ يهجِّنوه به).

وقيسٌ في وصيته ينطلق من واقعه، فمن يملك المال ويمنعه أو يبخل به فسيلحَقُه الذمُّ، وهذا ما أكَّده أكثم بن صيفي، في من يتخذ البخل منهجًا، في قوله لبنيه: (ومن جعل ماله دون عرضه استهدف للذم)[2]، وإذا كان قيس في وصيته يمثل

(١) الوصية: ٥٤.

(٢) الوصية: ٣.

نموذجًا جميلًا في التفكير والسلوك فإن تميم بن مر يمثل نموذجًا مقابلًا له، يجسد الذاتية المقيتة، التي تجعل الإنسان يغلق باب العطاء أمام الآخرين، بل يبادر إلىٰ المسألة وإظهار الحاجة، لكيلا يُطمع فيما عنده، وليأخذ ما أُعطي مهما قلَّ فسوف يجتمع في النهاية ليكون كثيرًا، يقول تميم لبنيه: (يا بني، عليكم بلا فإنها تدفع الحين، وإياكم ونعم، فإنها رجًا للمين، وعليكم بالمسألة... ولا تحقروا اليسير أن تأخذوه، فإن اليسير إلىٰ اليسير كثير، واستعيروا ولا تعيروا، وأظهروا للناس الحاجة لكي لا تسألوا فتمنعوا)[1].

ويبدو أن المنهج الذي يمثِّله النموذجُ الأول هو المنهج السائد في ذلك العصر، وإذا كانت عبارة قيسٍ هناك عن المال (اصرفوه)، فقد جاءت عبارة أسلم بن أفصىٰ عن ذلك أبلغ وهو يقول: (يا بني، جودوا بالنوال، وكفوا عن السؤال)[2]، وهو يؤكد لهم -في الوصية ذاتها- الإكثارَ في أثناء العطاء، وعدم التفتيش عن السائل، إن كان محتاجًا أم لا، ما دام قد تقدَّم بالسؤال، إذ إنه من اختار لنفسه ذلك السبيل، وسيرجع ذلك عليه سلبًا إن كان حالُه بخلاف ما يظهر، وبالتعبير ذاته جاءت وصية أكثم بن صيفي لبنيه، موضحًا أثر الكرم في علاقتهم بالآخرين، والأثر السلبي الذي يرجعون به من البخل، إذ يقول: (وصِلُوا من رغب إليكم، وتحلَّوا بالجود يكسبكم المحبة، ولا تقتعدوا البخل فتتعجلوا الفقر)[3]، وعبَّر ذو الإصبع العدواني عن ذلك بالسماح بالمال، علىٰ أنه ضمن الصفات التي يتمُّ بها سؤدد الإنسان[4]، ويؤكد ذلك في بيتين من الشعر يوصي فيهما ابنه بالجود، ناعيًا علىٰ البخيل سذاجته بإمساك المال، يقول:

---

(١) الوصية: ٢١.
(٢) الوصية: ١.
(٣) الوصية: ٦.
(٤) انظر: الوصية: ٣٠.

أَأَسيدُ إنْ مالًا مَلَكْـ ـتَ فَسِرْ به سيرًا جميلا

أبني إن المالَ لا يبكي إذا فَقَد البخيلا

والنعمان بن ثواب العبدي يحث ابنه علىٰ الاستمرار في العطاء ما دام في حوزته شيءٌ، فيقول: (يا بني، لا يبخل الجواد، فابذل الطارف والتلاد)[1]، وقد أشار سعد العشيرة في وصيته لبنيه إلىٰ أن الجود بالأموال سبب لنموِّها[2]، وهو معنىٰ أكده أسلم بن أفصىٰ، الذي أشار إلىٰ أن الإنسان سيتأثر ما يُعطاه أو يرزقه بما يعطيه، قلّةً أو كثرة[3]، ويوصي رياح بن ربيعة بنيه بالجود علىٰ قومهم، محذرًا من البخل، واصفًا إياه بأنه داء، وواصفًا السخاء بأنه نعم الدواء، مؤكدًا أن المنَّ يهدم الصنيعة[4]، ولا يلزم أن يكون ما يُنْفَق -ليرجع بالحمد- كثيرًا، إذ لا يتوفر هذا دائمًا، والناس وهم يَسألون أو يتعرضون للعطاء يدركون حال الإنسان، وهم يرمون بالبخل مَنْ يعتذر مع وَجْدِه، يقول أكثم بن صيفي لبنيه: (وكلُّ ما يُبْذَل يحمد، وإنما يُمَسِّك من استمسك)[5]. وبهذا الفهم يوصي حصن بن حذيفة بنيه بأن يعطوا علىٰ حسب المال[6]، وهو ربما كان أرضىٰ لنفوس الأبناء، وأرضىٰ للسائلين، ويوصي طيئ بن أدد بنيه بألَّا يستحيوا -حين لا يكون عندهم ما يعطونه- من جَبْهِ السائل المُلحِّ بالرد، فهو لم يستحيِ من المسألة، فلا يستحيوا هم من المنع[7]، ويحاول عامر بن صعصعة إقناع بنيه بألَّا يؤثر فيهم لوم من يلوم حين يمنعون من يسألهم،

(١) الوصية: ٦٢.

(٢) انظر: الوصية: ٣٥.

(٣) انظر: الوصية: ١.

(٤) انظر: الوصية: ٣١.

(٥) الوصية: ٤.

(٦) انظر: الوصية: ٢٨.

(٧) انظر: الوصية: ٤٢.

فالمال مالهم، وهم أكثر ملكًا للعذر ممن يتجنىٰ عليهم ظلمًا لعدم إعطائه منه[1].

وإذا كان ما مضىٰ متوجهًا لما يُعْطَىٰ فإن عبقر بن أنمار البجلي يوصي بنيه بإباحة ما يؤكل، عادًّا منعَ ما يؤكل ألأم اللؤم[2]. ولكن صعبَ بن سعد يدعو بنيه إلىٰ ألَّا ينتظروا الضيوف حتىٰ يقدموا عليهم، وعليهم أن يسعوا بحثًا عنهم، وأفضل ذلك أن يحلُّوا الأماكن العالية لتُرىٰ نيرانُهم فتقصَد، داعيًا بنيه إلىٰ أن تكون هممُهم عالية، تدفعهم لطلب الشرف، الذي يمثل الكرمُ ذروتَه[3]، إذ هو -مع عِفَّةِ النفس- أبرز مقومات السيادة، يقول قس بن ساعدة لابنه: (كن عفَّ العَيلَة، مشترك الغنىٰ، تَسُدْ قومك)[4].

وفي سبيل جمع المال ينبغي أن يعفَّ الإنسان عن الدناءة[5]، وأن يتجنب سوء التعامل، إذ قد يكون ذلك سببًا في قطع المنفعة[6]، وحين يضيع علىٰ الإنسان مالٌ -ولو كثيرًا- فإنه إذا رجع من ضياعه بعبرة تبقىٰ معه طول حياته، أو تجعله حذرًا في مثل الأجواء التي ضاع فيها، أو تجعله يقظًا في التعامل المستقبلي بعامة، فإن ذلك المال لا يعدُّ ضائعًا حسب رأي أكثم بن صيفي[7]، الذي ينبه بنيه حين الرخاء علىٰ ضرورة التزام الأخلاق الفاضلة، وألَّا يدعوهم ذلك إلىٰ الاستعلاء والكبر، فالمال غادٍ ورائح، يقول أكثم: (والبطر عند الرخاء حمق). وإذا كان ذو الإصبع

---

(١) انظر: الوصية: ٤٣.
(٢) انظر: الوصية: ٤٧، وانظر: الوصيتين: ٤٢، ٤٣.
(٣) انظر: الوصية: ٣٩.
(٤) الوصية: ٥١.
(٥) انظر: الوصية: ٥٦.
(٦) انظر: الوصية: ٢٦.
(٧) انظر: ٧.

العدواني -مثل كثيرين- ينهىٰ ابنه في وصيته عن مسألة أحدٍ شيئًا[١]، فإن مالك بن عمرو الكلبي يحذر بنيه من القعود عن طلب المعاش بسبب استيلاء اليأس عليهم، مما لعلَّه يكون سببًا في ذلِّهم للآخرين، ويكشف لهم أن ذلك اليأس ربما ولج إلىٰ نفوسهم بسبب اعتمادهم طريقًا واحدًا في طلب الرزق، علىٰ أن الحقيقة في المعاش -كما يرىٰ- (أن أبوابه أكثر من أن يبلغها الظان)[٢]، ويوصي بنيه أن يستكثروا من الإبل ليكثرَ تبعُهم، وتوظيف الجانب الاقتصادي لتكثير التبع ليس غريبًا في مجتمعٍ الأسلوبُ الأمثلُ فيه للحماية من المخاطر هو القوةُ والكثرةُ، واختار الإبل لأنها أبرز رمزٍ للغنىٰ عند العربي آنذاك تبعًا لمكانتها.

وأشرقت شمس الإسلام، وانقشع ليل الجاهلية، واتضحت المعالم، وعرف الناسُ الآخرةَ ومكانتها، ومكانة الدنيا منها. وقد التبس الفهم عند بعض الناس، فظنوا أن الاهتمام بالآخرة يعني هَجْرَ الدنيا، وكان من هؤلاء عبد الله بن الزبير الذي أوصاه والده بشراء أرضٍ، وإن بلغت ثلاثين ألفًا، وإذا هو يعجب ويقول: ما هذا إلا تكاثر الناس وفخرهم! لكن والده الزبير يصحِّح فهمه -مع نوع من العتاب- بالإشارة إلىٰ قيمة الدنيا، وكون العمل فيها، ومنه الصدقة، وسيلةً مهمةً في التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ[٣].

ويحث عليٌّ ﷺ ابنه علىٰ الاستغناء عن الناس بحفظ ما في يديه[٤]، ويرىٰ أن (من الفساد إضاعة الزاد)، وهو لا يخفي عن ابنه خوفَه عليه من الفقر، وهو يدعوه تبعًا لذلك إلىٰ الاستعاذة بالله منه، (فإنه منقصةٌ للدين، مدهشةٌ للعقل، داعيةٌ للمقت)[٥]، لكنه في الوقت نفسه يبدو كما لو كان يدفع ابنه عن الغنىٰ، ويدعوه

(١) انظر: الوصية: ٣٠.
(٢) الوصية: ٥٥.
(٣) انظر: الوصية: ٧٢.
(٤) انظر: الوصية: ٩٦.
(٥) الوصية: ١٠٧.

إلىٰ الكفاف، فهو يقول: (الحرفة مع العفَّة خيرٌ من الغنىٰ مع الفجور)[١]، ويؤكد أن (التاجر مخاطر، ورُبَّ يسيرٍ أنمىٰ من كثير)، ويصور لابنه الغنىٰ والفقر بصورة غير مألوفة، ولكنها الحق، فيقول: (لا مال أعود من العقل، ولا فقر أشد من الجهل)، ويؤكد ذلك في وصية أخرىٰ فيقول: (إن أغنىٰ الغنىٰ العقل، وأكبر الحمق الفقر)[٢]، ولكن ذلك لا يعني البطالة والاتكال علىٰ المنىٰ، فإن المنىٰ بضائع الحمقىٰ.

والمالُ ينبغي تثميره طلبًا لزيادته، وهو ما أشار إليه عثمان بن أبي العاص الثقفي في وصيته لبنيه، وهو يذكر لهم حرصَه علىٰ تحقيق الشرف لهم، باجتهاده في اختيار أمهاتهم، وتثمير أموالهم، طالبًا منهم إكمال المسيرة بحسن اختيار الأزواج[٣]، وربما يدخل في التثمير الإقراضُ، فمع ما فيه من الأجر، فإن الإنسان يقرض وقت غناه، ليجعل قضاءه يوم عسرته[٤]، وعمر ﷺ يدعو للاقتصاد، فلا (مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له)[٥]، ويؤكد ذلك المعنىٰ، عمرو بن العاص، حتىٰ لو وصل الإنسان إلىٰ درجة الغنىٰ، فالإكثار (شين العاقل، وحَيْنُ الجاهل)[٦]. ولأن الدَّين سببٌ في الذل فإن عقبة بن عامر ينهىٰ بنيه عن الدين ولو اضطروا للبس الغليظ والخشن من الثياب[٧].

ويقرر عليٌّ ﷺ أن الجود يكسب الحمد، وأن البخل يكسب الذَّمَّ، ويرىٰ (أن أفضل المال ما أكسب حمدًا، وأعقب أجرًا)[٨]، وتبعًا لذلك ففي رأيه أن (من لم

---

(١) الوصية: ٩٦.
(٢) الوصية: ١١٤.
(٣) انظر: الوصية: ٩٤.
(٤) انظر: الوصية: ٩٦.
(٥) الوصية: ١١٩.
(٦) الوصية: ١٢٧.
(٧) انظر: الوصية: ٩٥.
(٨) الوصية: ١٠٠.

يكُن له حياءٌ ولا سخاءٌ فالموت أولىٰ به من الحياة)[١]، ولعل هذا ما دعاه إلىٰ أن ينهىٰ ابنه عن أن يخلِّف شيئًا من الدنيا بعد موته، معللًا ذلك بقوله: (لا تخلِّفن وراءك شيئًا من الدنيا، فإنك تخلِّفه لأحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسَعِدَ بما شقيت به، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، فكنت عونًا له علىٰ معصيته، وليس أحد هذين حقيقًا أن تؤثره علىٰ نفسك)[٢].

وفي العصر الأموي يبيِّن قيسُ بن عاصم قيمةَ المال، وهو يطالب بنيه بأهمية إصلاحه وتثميره، فيقول: (فإنه منبهةٌ للكريم، ويستغنىٰ به عن اللئيم)[٣]، ولعل ما يصور نظرةَ عامةِ الناس لصاحب المال ما ورد في وصية يزيد بن عمر الأسيَّدي لبنيه: (اعلموا أنه إن كان عند أحدكم مئة ألف لهو أعظم في عيون بني تميم منه لو قسمها فيهم)[٤]، وقد وردت رواية أخرىٰ لكلمة (منبهة) في وصية قيس بن عاصم السابقة هي (مأبهة)، وهي تعني الأبهة، وهي العظمة، وثمة أمر آخر يشير إليه الأشعث بن قيس، في بيان قيمة المال، وربما كان مستوحًىٰ من معطيات واقع العصر الأموي، يوضحه بقوله: (وأصلحوا أموالكم لجفوة السلطان، وتغيُّر الزمان)[٥]، ويرىٰ أحد الحكماء -في وصيته لابنه- أنه لو لم يكُن في المال إلا أنه عزٌّ في قلب صاحبه، وذلٌّ في قلب عدوِّه لكفىٰ[٦]. وعمر بن عبد العزيز، الذي ترك الدِّينُ في حياته أثرًا عميقًا، اختلف بسببه عن الكثيرين من البيت الأموي، يرىٰ في الغنىٰ ابتلاءً، ويوصي ابنه بالاقتصاد فيه، والتواضع لله، ويحذره أن يخالجه شعور أنه رُزق ما رزقه لمنزلة

---

(١) الوصية: ٩٧.

(٢) الوصية: ١٠٢.

(٣) الوصية: ٢٧٠.

(٤) الوصية: ٣٤١.

(٥) الوصية: ١٦٢.

(٦) انظر: الوصية: ٥٠٨.

له عند الله، ويدعوه إلىٰ الشكر، ويحذره من طغيان الغنىٰ، فيكون ممن تعجل طيباته في الحياة الدنيا[1].

وحين يفقد الإنسانُ المالَ فليسارع إلىٰ طلبه، ولا يدع الحيلة دون تحصيله، ولا يمدَّ يدَه إلىٰ الآخرين، (فإن الكريم يحتال، والدنيء عيال)[2]، وحين يبذل مجهودًا فلن يرجع بالخيبة، (ومن سار في البلاد ثمَّر المراد)، وحين لا يخالط طلَبه طمعٌ، ويشتمل بالقناعة، (يعيش حميدًا، ويموت فقيدًا)، بل إن عبد الله بن شداد في هذه الوصية يؤكد لابنه أن يسترَ فقرَه، ويحاول الظهورَ بأحسن حال، فيقول: (وكُن أحسن ما تكون في الظاهر حالًا أقلَّ ما تكون في الباطن مالًا)، ويعلل ذلك بقوله: (فإن الكريم من كرمت طبيعتُه، وظهرت عند الإنفاد نعمتُه). أما ذلك الإنسان الذي يظل يشكو فقره لكل من لقيه، ويلوم الآخرين ألَّا يساعدوه ويعودوا عليه بالمال، فَسوف يَمَلُّه صديقه، ويتحاماه الأقربون، ويشمت به الشامتون، ويضع عبد الله بن شداد بين يدي ابنه أبياتًا رائعة في هذا المعنىٰ للنابغة الذبياني يقول فيها:

إذا المرء لم يطلبْ معاشًا لنفسه ... شكا الفقر، أو لامَ الصديق فأكثرا
وصار علىٰ الأدْنَيْن كلًا وأوشكت ... صلاتُ ذوي القربىٰ له أن تنكَّرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنىٰ ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
وما طالب الحاجات في كلِّ وجهة ... من الناس، إلَّا من أجَدَّ وشَمَّرا
ولا ترضَ من عيشٍ بدونٍ ولا تَنَمْ ... وكيف ينام الليل من بات مُعسرًا؟

ويحذر جملة من الآباء أبناءهم من المسألة، ويَعُدُّ قيس بن عاصم مسألة الرجال آخر كسب الرجل[3]، كأنه يلجأ إليها لجوءًا في أشد حالاته ضرورة،

(١) انظر: الوصية: ٢٥٠.
(٢) الوصية: ٢٠٤.
(٣) انظر: الوصية: ٢٧٠.

وثمة رواية أخرىٰ ربما كانت أولىٰ، وهي (أخسُّ مكسبة الرجل)، ويرىٰ البكريُّ أن الروايةَ الصحيحةَ هي (أَخِـر)، بمعنىٰ أبعده عن الخير وأرذلـه، ويقول: (ولا يحسن هنا أن يقال: آخر كسب المرء، بالمد الذي هو نقيض أول، لأن ذلك إباحة للمسألة، وأن تكون من آخر ما يتكسب به المرء، والمسألة مكروهة، منهيٌّ عنها في الجاهلية والإسلام)[1]، وثمة زيادة في بعض مصادر الوصية جاء فيها: (فإن أحدًا لم يسأل إلا ترك كسبه)، وهو تعليل واضح الدلالة، والأشعث بن قيس ينهىٰ بنيه عن المسألة حتىٰ عند الحاجة، وهو يأمرهم أن يبذلوا جهدهم، ويتلطفوا في طلب الرزق، وسوف يأتيهم متىٰ وافق الرزق قدرًا[2]. وتبقىٰ وصية زياد بن أبي سفيان في هذا الصدد أكثر إحاطة وشمولًا وتعليلًا، فهو يقول: (لا تدنسنَّ عِرضك، ولا تبذلنَّ وجهك، ولا تخلقنَّ جدتك بالطلب إلىٰ من إن ردَّك كان ردُّه عليك عيبًا، وإن قضىٰ حاجتك جعلها عليك منًّا، واحتمل الفقر بالتنزُّه عما في أيدي الناس، والزم القناعة بما قُسِمَ لك، فإن سوء حمل الفقر يضع الشرف، ويُخْمِلُ الذكرَ، ويوجب الحرمان)[3]. ويقف عبد الله بن الأهتم من المسألة موقفًا مختلفًا، فهو يرىٰ أن سلوك الإنسان في السؤال هو الذي يحدد إعطاءه أو حرمانه، فيقول: (يا بني، لا تطلب الحاجة إلىٰ غير أهلها، ولا تطلبها إلَّا في حينها، ولا تطلب ما لست له مستحقًّا، فإنك إن فعلت ذلك كنت حقيقًا بالحرمان)[4]. ولكي يرتفع الإنسان عن الحاجة، ومن ثم المسألة، فلا بدَّ له من سياسة اقتصادية، عمادُها حسنُ تدبير المال، فإذا كثر المال في يد الإنسان فليوسع علىٰ نفسه، وإذا قلَّ فليقتصد[5]، وقد يغري

---

(١) فصل المقال ٤٠٧.

(٢) انظر: الوصية: ١٦٢.

(٣) الوصية: ١٧١.

(٤) الوصية: ٢٠٠.

(٥) انظر: الوصية: ١٥٧.

وجودُ المال الإنسانَ علىٰ أن يبالغ في التوسعة علىٰ نفسه، لكن النهاية تكون مؤلمة حين يطلب المال في وقتٍ يحتاج إليه فلا يجده[(١)]، ويؤكد عبد العزيز بن مروان أنه (لا مال لمن لا تدبيرَ لـه)[(٢)]، موصيًا ابنه بحسن تدبير المال، ومُلِمًّا بأمرٍ مهمٍّ في هذا الجانب، وهو أهمية وجود الكتابة حين الإقراض، فهو يرىٰ أنه (لا دَين لمن لا دفتـرَ لـه)، وهو ينبه ابنه علىٰ الحذر من الاسترسال مع شهوات النفس، إذ قد يفضي به ذلك إلىٰ الغرق في الدَّين، والإنسان لن يعيش مرتاحًا وهو يشعر أنه يحمل همَّ الدين، ولذا قال أبو الأسود الدؤلي لبنيه، وهو يذكر لهم حرصه علىٰ توفير السعادة لهم: (وحفظي إياكم بعد مولدكم أني لم أخلِّف عليكم دَيْنًا)[(٣)]، وقد سبقت وصيتا قيس بن عاصم والأشعث بن قيس اللتان أكدا فيهما ضرورة إصلاح المال. ويحسم معاوية بن أبي سفيان الموقف بين الإسراف والبخل بقوله: (يا بني، كن مقدِّرًا ولا تكن مقتِّرًا)[(٤)].

والإسلام يأمر بحلِّ اللقمة، ويشدِّدُ في موضوع المال من حيث الحِلِّ، وقد جاء في الحديث: (لحمٌ نبت من سُحْتٍ، النار أولىٰ به)[(٥)]، ولكن مراعاة الناس لهذا الأمر ترجع إلىٰ مدىٰ تمسكهم بالدين، ومراعاتهم لليوم الآخر، فالأشعث بن قيس يوصي بنيه أن تخفَّ بطونهم من أموال الناس، وظهورهم من دمائهم، فإن لكل أمر تَبِعَة[(٦)]، وفي مقابل استحضار الجزاء الأخروي عند الأشعث تبدو اللامبالاة والجفاء عند وكيع بن أبي سود في قوله لبنيه، وهو يكاد يلفظ أنفاسه: (قد جمعت

---

(١) انظر: الوصية: ١٥٥.
(٢) الوصية: ١٩٩.
(٣) الوصية: ١٥٧.
(٤) الوصية: ٣٠٤.
(٥) مسند أحمد ٢٢/ ٣٣٢.
(٦) انظر: الوصية: ١٦٢.

لكم هذا المال الذي ترون من حِلِّه وحرامه؛ وإياكم إذا أنا متُّ أن تأتيكم هذه الباعة من أهل الأسواق فيقولون: لنا علىٰ أبيكم دين. يا بني، إن كان اللَّه -تعالىٰ- يريد أن يغفر لي فوالله ما دَيْني في ذنوبي إلَّا كشعرة بيضاء في ثورٍ أسود، وإن كان لا يريد أن يغفر لي، فوالله ما دَيْني في تلك الذنوب إلَّا كحصاة رُمي بها في بحر. شُدُّوا أيديكم علىٰ مالكم واحفظوه ولا تقضوا عني شيئًا)[١].

وينبه محمد بن علي بن الحسين ابنه أنه: (ما من عبدٍ يمتنع من حقٍّ إلا فتح اللهُ عليه بابَ باطلٍ، فأنفق فيه أمثاله)[٢]، ناهيًا إياه عن الكسل والضجر، فإنه إنْ كسل لم يؤدِّ حقًّا، وإن ضجر لم يصبر علىٰ حقٍّ.

والحقوق قد تكون أمورًا واجبة علىٰ الإنسان، سواء أكانت لله كالزكاة، أو للآدميين كالديون، ولكن ثمة حقوق يستشعرها بعض الناس بسبب جاهِهِ أو منصبِه، فخالدٌ القسري ينبه بنيه علىٰ أنهم أصبحوا أشرافًا، وحَرِيٌّ أن تطلب منهم الحوائج، وينبغي لمن ضمن حاجة مسلم منهم أن يعدَّها أمانة[٣]، وسعيد بن العاص يقول لابنه عمرو: (يا بني إن الولايات مِحَنُ الرجال تبدي محاسنهم ومساوئهم، فإن وليت فاستطعت أن تكون ذكرًا حسنًا فافعل)[٤]، ويؤكد سعيد لبنيه أن من أتاهم في مجالسهم فقد وجب حقُّه عليهم، ومن قصدهم في حاجة ألَّا يدخروه شيئًا، بل إن مِنَّته عليهم أعظم إذ رآهم موضعًا وأهلًا لحاجته[٥]، وسعيد يؤكد لبنيه أن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقهم إليها اللئام، ولكنها مُرَّةٌ كريهة، لا يصبر عليها إلا من

(١) الوصية: ٣٣٤.
(٢) الوصية: ٢٧٧.
(٣) انظر: الوصية: ١٦٩.
(٤) الوصية: ١٨٧.
(٥) انظر: الوصية: ١٨٦.

عرف فضلها، ورجا ثوابها[1]، وقد وصف سعيد بالكرم حتىٰ قال معاوية ﷺ: (لكل قوم كريم، وكريمنا سعيد بن العاص)[2]. وتَجَسَّد ذلك في حياته بصورة عجيبة، حتىٰ قيل: إنه -حين كان واليًا علىٰ المدينة من قبل معاوية- (أطعم الناس في قحط حتىٰ نفد ما في بيت المال، وادَّان، فعزله معاوية!)[3]، وقد مات وعليه ثمانون ألف دينار دينًا[4]، ولذا فليس غريبًا أن نجده يحاول أن يمدَّ حَبْلَ صلتِه لإخوانه وأصحابه حتىٰ بعد موته، مع المحافظة الشديدة علىٰ كرامتهم، أن يظهروا بمظهر السائل الذي يعتري وجهَه الذُّلُ، مصورًا ما يعتري صاحب الحاجة حين التقدُّم بها، موضحًا أنه لا يرىٰ قضاء حاجةِ رجلٍ قصده عوضًا من بذل وجهه[5]، وإذا كان سعيدٌ مثلاً رائعًا للكرم والجود، فإنه لم يكُن النموذجَ الوحيدَ وإن كان هو الأبرز، فالمهلب بن أبي صفرة هو الآخر الحريص علىٰ حفظ كرامة المحتاجين، إذ يرىٰ أنه يكفي في الإسراع في قضاء حاجتهم لَمْحُ ما يدل عليها، يقول لبنيه: (إذا غدا عليكم الرجل وراح فكفىٰ بذلك مسألة، وتذكرة بنفسه)[6]، إن مجرد تكرُّرِ حضوره وانصرافه دليل علىٰ أن في نفسه حاجةً لم يستطِع البوح بها، وهو يغرس في نفوس بنيه حبَّ الجودِ حين يقول لهم: (يا بني، ثيابكم علىٰ غيركم أجمل منها عليكم، ودوابكم تحت غيركم أجمل منها تحتكم)، مؤكدًا أن ذلك لن يتحقق حتىٰ يؤثروا الجود علىٰ البخل. ويوصي عبد الله بن شداد ابنه أن يكون جوادًا بالمال في موضع الحقِّ، مبيِّنًا أن (أحمد جود المرء ما كان في وجه البر)[7]، ولكنه يوصيه بأن يخصَّ بالصنائع الكرامَ ذوي

(١) انظر: الوصية: ١٨٥.
(٢) تهذيب الكمال ٣/ ١٧٤.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٧.
(٤) انظر: الوصية: ١٨٠.
(٥) انظر: الوصية: ١٨٢.
(٦) الوصية: ٣٢٠.
(٧) الوصية: ٢٠٤.

الأحساب، ولا يضعنَّ معروفه عند اللئام فيضيع، معللًا ذلك بقوله: (فإن الكريم يشكرك ويرصدك بالمكافأة، وإن اللئيم يحسب ذلك حتمًا، ويؤول أمرك معه إلىٰ المذلَّة)، ثم يبدو كما لو كان قد مرَّ بتجربة مع بعض اللؤماء، فهو يختار لتأكيد كلامه قول الشاعر:

إذا أوليت معروفًا لئيمًا ... فعَدَّك قد قتلت له قتيلا

فَعُذْ من ذاك معتذرًا إليه ... وقلْ: إني أتيتك مستقيلا

فإن تغفر فمُجترمٌ عظيمٌ ... وإن عاقبت لم تظلم فتيلا

وإن أوليتَ ذلك ذا وفاءٍ ... فقد أودعته شكرًا طويلا

وفي العصر العباسي يجعل خالد بن صفوان المالَ -ممثلًا بالدرهم- والدِّينَ، الجناحين اللذين ينبغي أن يحتفظ بهما الإنسان ليظل بخير[1]، فالدين يضمن المتمسكُ به سعادتَه الأخروية، والاحتفاظ بالدرهم يجعل صاحبه عزيزَ النفس، وينطلق الخطاب بن المعلىٰ من واقعه الاجتماعي، وهو يصور لابنه أن (من أيسر أُكبِر، ومن افتقر أُحتقر... وأن أيسر منفعة إيسار في دَعَةٍ)[2]، وهنا تبرز قيمة كلمة خالد بن صفوان السابقة، ويبدو أن الخطاب بن المعلىٰ يوسع دائرة تلك النظرة لتشمل زوجةَ الإنسان وولدَه، فيقول لابنه: (ولا تُعلم أهلك وولدك -فضلًا عن غيرِهم- عددَ مالك، فإنهم إن رأوه قليلًا هُنتَ عليهم، وإن كان كثيرًا لم تبلغ به رضاهم)، ولكي يظل الإنسان محافظًا علىٰ احترامه أمام الآخرين فلا بد أن يستغني بماله وإن قل، حتىٰ يتيسَّر له ما هو أكثر منه[3]، وعليه أن يحسن التدبير فيه، وأن يتعمَّد الاقتصاد ليرجع بالخير علىٰ نفسه، يقول عبد الملك بن صالح لابنه: (حسن

(١) انظر: الوصية: ٣٦١.

(٢) الوصية: ٣٦٣.

(٣) انظر: الوصية: ٣٩٨.

التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الإسراف، والاقتصاد يثمِّر القليل، والإسراف يتبِّر الكثير)[١]، ويدعو عبد الله بن مصعب الزبيري ابنه إلىٰ إصلاح ماله، والإقلال من مجالسة الناس، مؤكدًا له أن (من استغنىٰ عن الناس احتاجوا إليه)[٢]، مؤيدًا وصيته لابنه بما رآه بعينه: (فإني قد رأيت رجالًا يقتبس منهم، ولا جاه يدفعون به عنهم، ولا جود يفضلون به عليهم، استغنوا بأموالهم، وجلسوا، فأتاهم الناس). ويؤكد هذا المعنىٰ الخطاب بن المعلىٰ لابنه بقوله: (واستغنِ عن الناس يحتاجوا إليك)[٣]. وهو يذكِّر بنيه أن (التعففَ مالٌ جسيم، وخلقٌ كريم).

ويؤكد شبيبُ بن شيبة -الذي وُصف بأنه مع شرفه ملجأُ أهلِ البصرة في حوائجهم- لبنيه إن كانوا يحبون المروءة والفُتُوَّة أن يصلحوا أموالهم[٤]، ويوجِّه الخطاب ابنه إلىٰ بعض مجالات العمل واستثمار المال، مفاضلًا بينها، فيقول: (وعليك بالعمارة فإنها أنفع تجارة، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع). ويفاضل بعض الهالبيين بين السلع المشتراة، فيقول: (لا تشتروا الغنم فإنها مال الرقة، ولا تشتروا البقر فإنها مال الذلة، واشتروا الإبل واقتنوها فإنها رَقُوءُ الدم، وصدقات الحرائر، وسفن البر، وفيها قضاء الحقوق)[٥]، ويحرص عبد الملك بن صالح في إبعاد ابنه عن الحرام، ويعدد آثاره السيئة بقوله: (سوءُ الطُّعمةِ يفسد العرض، ويخلِق الوجه، ويمحَق الدين)[٦]. وينبه أحد الحكماء في هذا الصدد -إلىٰ أن المال الحرام يدخل صاحبَه النارَ، وهو ربما مات وتركه، علىٰ حين يكون سببًا لدخول من يرثه

(١) الوصية: ٣٩٦.
(٢) الوصية: ٣٩٤.
(٣) الوصية: ٣٦٣.
(٤) انظر: الوصية: ٣٨٠.
(٥) الوصية: ٥٠٤.
(٦) الوصية: ٣٩٦.

الجنة، لعمله فيه بطاعة الله[١].

ويتكرر في بعض الوصايا النهي عن التبذير مقرونًا بالنهي عن الإمساك والتقتير، فالمنصور يحذر ابنه من الأثرة والتبذير لأموال الرعية[٢]، وطاهر بن الحسين يطالب ابنه بالتوسط، فيقول: (فاتق التبذير، وإياك والتقتير)[٣]، ويكرر الخطاب بن المعلىٰ المعنىٰ نفسه لكن بعبارة أكثر دلالة علىٰ فساد الطريقتين، وأفَنِ عقول أصحابهما، فيقول: (ولا تمسك إمساك المثبور، ولا تبذر تبذير السفيه المغرور)[٤]، وهو ينهاه أيضًا عن الجشع لأنه يلصق بالإنسان سمعةً سيئةً، وعن الشح لأنه شقاءٌ علىٰ صاحبه. وهذا الأمر مع صحته لا يراه البخلاء، بل هم يرون راحتهم النفسية في زيادة الحرص، يقول الكندي لابنه: (قول لا، يصرف البلا؛ وقول نعم، يزيل النعم!)[٥]، ويدفعه إلىٰ التمحور حول الذات، وسوء الظن بالآخرين، بمن فيهم القريبون منه سوىٰ والدِه الذي يملي عليه هذه الأفكار التي يحمل لواء فلسفتِها، فيقول: (يا بني، الأبُ ربٌّ، والأخ فخ، والعم غم، والخال وبال، والولد كمد، والأقارب عقارب)، ويحذر ابنه من كل ما يمكن أن يوصله إلىٰ الأريحية والعطاء، فيقول في وصيته: (وسماع الغناء، برسام حاد، لأن الإنسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت)، ويوصيه في وصية أخرىٰ بأن يتحفظ علىٰ ماله، ويسدَّ كلَّ طريق يمكن أن يثلمه، في الوقت الذي يحثه علىٰ أن يتحصل علىٰ مال الآخرين، ويحاول نقل فلسفته في البخل إلىٰ ولده بصورة مقنعة، مستخدمًا فيها التشبيه وألفاظ التوكيد، فيقول: (يا بني، أما بعد فكُن مع الناس كلاعب الشطرنج، تحفظ شاهك وتأخذ شاههم، فإن

(١) انظر: الوصية: ٥٠٩.
(٢) انظر: الوصية: ٤٢١.
(٣) الوصية: ٣٨٣.
(٤) الوصية: ٣٦٣.
(٥) الوصية: ٤٥٧.

مالك إذا خرج عن يدك لم يَعُدْ إليك، واعلم أن الدينار محموم فإذا صرفته مات، واعلم أنه ليس شيءٌ أسرع فناء من الدينار إذا كسر، والقرطاس إذا نشر، والجلد إذا قشر، والثوب إذا قُصِر، ومثل الدرهم مثل الطير الذي هو لك ما دام في يدك)[1].

وفي مقابل هذا النموذج الموغل في البخل يأتي يحيىٰ بن خالد البرمكي نموذجًا بديعًا في الكرم، فهو يحث ابنه علىٰ الجود ما أمكنه ذلك، فيقول: (يا بني، ما دام قلمك يرعُف فأمطره معروفًا)[2]، بل يأمر بنيه بالإنفاق في حالي إقبال الدنيا وإدبارها، فهي إذا أقبلت لا تفنىٰ، وإذا أدبرت لا تبقىٰ[3]، ويلفت يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني نظر أولاده إلىٰ أمرٍ مهمٍّ، حين يطلب منهم عدمَ التكلُّفِ للأضياف، وإطعامهم مما حضر، معللًا ذلك بقوله: (فإنكم إذا تكلفتم لهم ثقلوا عليكم)[4].

وحين التأمل لا يكاد الباحث يجد في وصايا العصر الأموي أمرًا بالبخل، علىٰ حين تكثر الوصايا التي تتضمن الأمر بالجود والبذل، وبمقابل ذلك يجد الحديث عن التقتير له حضوره في العصر العباسي مما يشي بوجوده، وربما بوضوح، ولعلَّ لدخولِ العناصر الفارسية أثرًا في تسويق فلسفة البخل!

ز - الوصايا الإدارية والعسكرية:

في العصر الجاهلي القائم علىٰ التكتلات القبلية كانت القبيلة تحتاج إلىٰ أمرين مهمين؛ الالتحام والتماسك بين الأفراد، والقيادة الحازمة المطاعة.

وقد مضىٰ في موضوع الوصايا الأسرية الحديث عن التماسك والالتحام، وتأكيد الآباء له، أما موضوع السيادة فأحيانًا يتولىٰ الأب -الذي يرأس القبيلة-

(١) الوصية: ٤٥٨.
(٢) الوصية: ٤٤٤.
(٣) انظر: الوصية: ٤٥٦.
(٤) الوصية: ٤٥٦.

تعيين الابن رئيسًا أو قائدًا بعده، كما عند زرارة بن عدس، في قوله لبنيه، وهو يودع الدنيا: (ولولا عجلة لقيط إلىٰ الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث، لشرَّفته عليكم، وهو بعد فارس مضر، وعليكم بحاجب)(١).

وربما طلب الأب من بنيه أن يسوِّدوا واحدًا منهم، مكتفيًا بتزويدهم بالمواصفات المهمة للرئيس(٢). وأحيانًا يلاحظ أن الأب -وهو في أوج السيادة- لا يتولىٰ تعيين ابنه رئيسًا، وإنما يكتفي بإغرائه بالرئاسة، فيدعوه ليَقْفُوَ أثره لتتحقق له مكانته، وربما كان الأب -في الحالة الأولىٰ والثانية- يرأس تكتلًا قبليًّا يمثله أبناؤه وأبناؤهم، وفي الحالة الثانية ينضوي تحت التكتل القبلي عددٌ من القبائل لا يستطيع معه الأب أن يفرض ابنه علىٰ القبيلة، وإنما يفرض الابنَ ما يشتمل عليه من صفات، وهي صفات ليس بمقدور كل أحد أن يصل إليها، ولو وصل إليها أن يثبت عليها، لأنها تُخرِج الإنسان من همومه الخاصة إلىٰ الهموم العامة، ويصور ذلك بدقة تعبير قس بن ساعدة الإيادي في وصيته لولده: (وكن عفَّ العيلة، مشترك الغنىٰ تسُدْ قومك)(٣). كما لا يقلُّ عن ذلك تعبير ذي الإصبع العدواني في قوله: (ولا تستأثر عليهم بشيء يسوِّدوك)(٤)، ومن هنا فالسيادة في حقيقتها تكليف لا تشريف، أو هي تشريف يتطلب استعدادات خلقية ونفسية خاصة، ولذا لا غرو أن يقول رياح بن ربيعة لبنيه: (واعلموا أن سَيِّدَ القوم أشقاهم)(٥).

والصفات التي يجب أن تتوفَّر في الرئيس أو السيد صفاتٌ تجعل حتىٰ مَنْ هم خارج نطاق القبيلة، بمن فيهم الملوك، ينظرون له باحترام، يقول زرارة بن عدس

(١) انظر: الوصية: ٣٢.
(٢) الوصية: ٣١.
(٣) الوصية: ٥١.
(٤) الوصية: ٣٠.
(٥) الوصية: ٣١.

لبنيه: (يا بني، ما هجمت علىٰ قوم قط من العرب لا يعرفونني إلا أجلُّوني... ولا وفدت إلىٰ ملك إلا آثرني وشفَّعني)[1].

وأهم الصفات في الرئيس العقل، فإليه يُرجع في حل المشكلات والخصومات، وكل أفراد القبيلة يلمُّون بمجلسه، علىٰ تفاوت عقولهم، وتباين تصرفاتهم، وما لم يكُن ذا عقل راجح فلن يتحمل ما يجري منهم، ثم إن له الكلمة الفصل في القضايا المصيرية، وما لم ينبنِ رأيه علىٰ العقل الحصيف أودىٰ بقومه، يقول رياح بن ربيعة: (يا بني، سوِّدوا أعقلكم، فإن أمير القوم إذا لم يكُن عاقلًا كان آفة لمن دونه)[2]، وهذه الصفة لها أهميتها الكبرىٰ في كل من له مرجعية في القبيلة، سواء أكان الرئيسَ أم من حوله من أعلام القبيلة، يقول عمرو بن يزيد الكلبي: (ولتكُن أعلامكم ذوي الرأي منكم)[3]، ولهذا يوجه مالك بن عمرو الكلبي بنيه ألا يبرموا الأمور دون أمرائهم، فإنهم إن يشاركوهم فيها يكمل رأيهم[4]. وإذا كان الرئيس ذا عقل فإنه يمضي قدمًا في اكتساب الصفات النبيلة، بحسب ما يرىٰ أنه يقرِّبه من الرعية، ويعلي قدره في نفوسهم، يقول المنذر بن المنذر لابنه النعمان: (إن لك عقلًا ولسانًا وجمالًا، فاكتسِ من ثناء الناس ما يؤيد جمالك... وليكُن لك من عقلك خبيء تدخره ليوم حاجتك)[5].

كما أن من المهم أن يكون الرئيس صائنًا خلقَه عما يدنِّسه، ناشرًا تعاملَه الكريم علىٰ من حوله، دونما تفريق، وألا يشوب تعاملَه معهم تعالٍ أو بغيٌ، فقد ينقلب به الحال، ويؤول أمره إلىٰ الهلاك، يقول قصي بن كلاب لبنيه: (يا بني، إنكم أصبحتم من

(١) الوصية: ٣٢.
(٢) الوصية: ٣١.
(٣) الوصية: ٤٩.
(٤) انظر: الوصية: ٥٥.
(٥) الوصية: ٥٩.

قومكم موضع الخرزة من القلادة، فأكرموا أنفسكم تكرمْكم قومُكم، ولا تبغوا عليهم فتبوروا)[١]. بل يحاول أن يعامل قومه أرقَّ معاملة وأطيبَها، ولو اضطره ذلك إلىٰ أن يتنازل عن رأيه الذي يراهم يجمعون علىٰ خلافه، إذ إن كثرة الخلاف تحطُّ من قدره، وتهوِّن من شأنه، يقول حصن بن حذيفة الفزاري لبنيه: (واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم، ولا تخالفوهم فيما اجتمعوا عليه، فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع)[٢].

ويجمع ذو الإصبع العدواني في وصيته لابنه ما يرىٰ أنه تمام السؤدد، وهي عصارة تجربة طويلة جدًّا، فيقول: (إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتىٰ سئم العيش)، كما أنها من رجل عُرف بالشعر، واشتهر بالفروسية، وكان معدودًا في الحكماء، يقول ذو الإصبع: (إني موصيك بما إن حفظته عني بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: أَلِنْ جانبَك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهَك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوِّدوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمْك كبارُهم، ويكبر علىٰ مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحمِ حريمك، واعزز جارك، وأعِنْ من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فإن لك أجلًا لا يعدوك، وصُنْ وجهَك عن المسألة، فبذلك يتمُّ سؤددُك)[٣].

ووصية ذي الإصبع ترسم -بصورة رائعة- كيفيةَ سياسة الناس، والتعاملَ الأمثلَ معهم، وتؤكد جاذبية الرئيس أو القائد العاقل، الذي يظل مفتوح الباب، وضاح الجبين، بسام الثغر، سخي اليد، سريع الإجابة لمن استغاث به أو طلب رفده.

---

(١) الوصية: ٥٢.

(٢) الوصية: ٢٨.

(٣) الوصية: ٣٠.

وينقل المنذر بن المنذر لابنه النعمان وصيةَ والده له، وكأنه -في إثر التجربة- يعدُّها جزءًا من مواصفات الملك، فيقول: (آمرك بما أمرني به أبي، وأنهاك عما نهاني عنه؛ آمرك بالشح في عرضك، والانخداع في مالك، وأنهاك عن ملاحاة الرجال -ولا سيَّما الملوك-، وعن ممازحة السفهاء)[1].

ويؤكد قس بن ساعدة جانبين مهمين فيمن يتطلع للرئاسة، وهما الإنصاف واستشعار القدوة، فيقول لابنه: (ومتىٰ عدلت علىٰ نفسك، وعلىٰ من دونك، عدل عليك من فوقك، وإذا نهيت عن شيء فانْهَ نفسَك)[2]، وينهىٰ حجرُ بنُ عمرو الكندي ابنَه عن قول الشعر، إذ إن (أحسن الشعر أكذبُه، ولا يحسن الكذب بالملوك)[3].

والقادة والرؤساء -لتنجح مهمتهم، وليؤدوا دورهم- لا بدَّ من طاعتهم، وعدم المضي في الأمور دونهم، يقول مالك بن عمرو الكلبي لبنيه: (ولا تقصروا عن طاعة أمرائكم، ولا توجهوا الأمور دونهم، فإنهم إن يشاركوكم فيها يكمل رأيكم)[4]. والطاعة والانقياد لا تكون للقادة والرؤساء فحسب، ولكن تكون لكل ذي شأن في القبيلة؛ سواءٌ أكان تميُّزه بالسلوك، أم بالرأي، أم بالتجربة، يقول مالك بن المنذر البجلي لبنيه: (واقنوا أخياركم، وأطيعوا ذوي الرأي منكم، وأجلُّوا ذوي أسنانكم)[5].

وحين يجمع الإنسان العقلَ والشفقةَ، فينبغي أن يُرفع قدرُه، ويُرجعَ في الأمور إليه، ويُصدرَ عنه، ويُوضعَ في منزلة الأب في المتابعة، يقول عمرو بن يزيد الكلبي لبنيه: (ولتكُن أعلامكم ذوي الرأي منكم، وأنزلوهم منزلة الآباء في التقليد والإنفاذ

(١) الوصية: ٥٩.

(٢) الوصية: ٥١.

(٣) الوصية: ٢٧.

(٤) الوصية: ٥٥.

(٥) الوصية: ٥٦. اقنوا: الزموا.

لأمرهم، فإن أعظم مصائب القوم خلاف الشفيق المصيب، وطاعة المصيب ظفر، واتباعه يُمْنٌ)[١].

وإذا كانت طاعةُ الرؤساء لازمةً في حال اليسر والرخاء فإن اتباعهم وطاعتهم في العسر والحروب ألزم وأولىٰ، فـ(نفاذ الرأي في الحرب أنفذ من الطعن والضرب)[٢]، ومن هنا فليس من الحكمة أن يُعترض رأي الرئيس بتخوفاتٍ قد تكون نسبةُ تحققِها ضئيلة، فتلحق ضررًا، ولا تجلب نفعًا، وربما رجعت علىٰ القوم بالخذلان، يقول مالك بن المنذر البجلي: (ولا تفيِّلوا الرأي بالظن فيبدع بكم)[٣].

والبيئة العربية قائمة علىٰ الصراع القبلي، الذي تنفع فيه القوة، وتَحسِم الموقفَ فيه الكثرةُ، ويحكم فيه السيفُ في كثير من الأحيان، وهذه الأجواء تستلزم جملةً من المهارات التي تجعل القبيلة تأخذ بزمام المبادرة، وتحقق لأفرادها العيشَ الكريم الذي يتطلب الوصولَ إليه الكثيرُ من التضحيات، وهو ما يفترض أن يكون كل فرد من أفرادها مستعدًّا له.

وليس من اللائق أن يتكل الإنسان علىٰ مجد من سبقه، (فإن الذي يدرك به الأول حجة علىٰ الآخر)[٤]، وعليه أن يحرص علىٰ تحصيل الشرف، وإنما (يدرك الرجل الشرفَ بفعله)[٥]، كما ينبغي للإنسان أن يلتمس المحامد في مظانها[٦].

وليس لفرد أو أفراد من القبيلة أن ينتظروا من غيرهم القيامَ بمهامها دونهم، خاصة ما يتصل بمستقبل القبيلة، وردِّ العاديات عنها، ولا أن يقعدوا عن نصرة

---

(١) الوصية: ٤٩.

(٢) الوصية: ٣.

(٣) الوصية: ٥٦.

(٤) الوصية: ٢٨.

(٥) الوصية السابقة.

(٦) انظر: الوصية: ٥٥.

إخوانهم حين يستصرخونهم، إذ سيكون لذلك أثرُه السيئُ في الجميع، يقول جابر بن مالك الكلبي لبنيه: (ولا تواكلوا النصر فتنكبوا، ولا تخاذلوا فتذلوا)[١]. ويمدُّ مالك بن المنذر البجلي رواق نهيه لبنيه عن التواكل، فيشمل به النهي عن التواكل في ميداني الإعانة والشرف[٢]، وإذا كان التواكل مذمومًا بعامة، فإنه أشد ما يكون ذمًّا عند النوائب، إذ هو، مع الخور عند المصائب، (داعيةٌ للغمِّ، وشماتةٌ للعدوِّ، وسوءُ ظن بالرب)[٣].

ويدعو جابر بن مالك بنيه إلىٰ تحمُّل التعب في سبيل الوصول إلىٰ الراحة، وعدم الركون إلىٰ الترف خشية ألَّا تطيقَ نفوسُهم ساعاتِ الشدة، يقول: (وأجهدوا أبدانكم اليوم لراحتها غدًا، ولا تكنُّوها بالدعة فتحسر عند الاجتهاد)[٤].

وينبه أكثم بن صيفي بنيه ورهطه علىٰ خطر الانسياق وراء العواطف، والجري وراء الشهوات، وقد يلج الإنسان ذلك الباب دون أن ينتبه لذلك، فيلحقه الخسران، يقول: (إن الهوىٰ يقظان، والعقل راكد، والشهوات مطلقة، والحزم معقول، والنفس مهملة، والرويَّة مقيدة، ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم)[٥].

ويدعو طيئ بن أدد بنيه إلىٰ معرفة قدراتهم وإمكاناتهم، والتصرفِ مع الآخرين وفقها، مقربًا لهم الحال بصورٍ من البيئة، فيقول: (يا بني، إنكم حللتم محلًّا تخرجون منه، ولا يُدخل عليكم فيه، فارعوا مرعىٰ الضب الأعور، يرىٰ جحره، ويعرف قدره، ولا تكونوا كالجراد يأكل ما وجد ويأكله ما وجده)[٦]. ويلفت الآباء نظر أبنائهم إلىٰ

(١) الوصية: ٢٢.
(٢) انظر: الوصية: ٥٦.
(٣) الوصية: ٣٣.
(٤) الوصية: ٢٢.
(٥) الوصية: ٣.
(٦) الوصية: ٤٢.

أن للجانب النفسي أثرًا في تحقيق النصر، والنكاية في العدو، يقول هبيرة بن صخر الكلبي لبنيه: (غيظوا العدو بإظهار السرور، وإبداع الأمور)[١]. ويوصيهم -في الساعات الحرجة- بتذكر ما سيقال عنهم في المجامع والمواسم فسيكون ذلك حافزًا لهم علىٰ الصبر وثبات القلوب، ولا سيَّما والنصر صبرُ ساعة. ويؤكد ذلك عمرو بن كلثوم بقوله لبنيه: (واستعينوا علىٰ محاربة عدوِّكم بذكر المعاير، والهرب منها كرم، والتخوف لها جهاد)[٢].

وفي السياق ذاته تأتي جملة من التوجيهات، من ضرورة الأخذ بزمام المبادرة في الأمور حتىٰ لا يرجع الإنسان علىٰ نفسه باللوم، فثمة فرق بعيد بين الوقوف علىٰ الأمر من بدايته أو إدراكه عند ذنبه[٣]! وحين يفوت الأمر فلن ينفع إضاعة الوقت في التأسف. وإعادة رسم رأيٍ -وإنْ محكمًا- لأمرٍ قد ولَّىٰ مدعاةٌ للتلاوم والفشل[٤]، وحين يحضر أمران فليؤخذ بخيرهما رجوعًا علىٰ القوم[٥]، ولاغتنام الفرصة والتعجيل أثرُهما في الظفر وحمد العاقبة[٦]، وبالتزام الصبر تدفع العظائم[٧]، وحين يصبر الإنسان (فإن في الصبر النجاةَ، والدركَ للترات)[٨]. و(الحيطة غاية الحفظ)[٩]، وحراسة الرباط، والقيام عليه، سببٌ مهمٌّ لعدم انهدام الحصن[١٠].

---

(١) الوصية: ٦٣.
(٢) الوصية: ٤٩.
(٣) انظر: الوصية: ٧.
(٤) انظر: الوصيتين: ١٧، ٥٦.
(٥) انظر: الوصية: ٢٨.
(٦) انظر: الوصية: ٥٦.
(٧) انظر: الوصية: ٢٢.
(٨) الوصية: ٥٥.
(٩) الوصية: ٢٥.
(١٠) انظر: الوصية: ٥٥.

وتعطي وصايا الآباء الملوكَ نوعًا من الهيبة، ليأتي سلوكُ الإنسان معهم نابعًا من ذلك، فلا يفكر في الجرأة عليهم، سواء أكانت جرأةً في الكلام، أم في دخول حدود مملكتهم دون إذن، يقول حصن بن حذيفة لبنيه: (ولا تجترئوا علىٰ الملوك، فإن أيديهم أطول من أيديكم)[1]، ويحذر المنذر بن المنذر -وهو الملكُ- ابنَه من ملاحاة الملوك[2]!

ويرسم الآباء في وصاياهم لبنيهم سياسةَ الحرب، وأول ما يمكن الإشارة إليه من ذلك وصيةُ حصن بن حذيفة الفزاري، الذي يوجه بنيه إلىٰ أن يحققوا بطولاتٍ مشرِّفةً في الحرب، لتكون مجالًا لفخرهم بأنفسهم في المجامع والنوادي، حتىٰ لا يضطروا، في مضمار الفخر، للكذب الذي يحذرهم منه، يقول: (وإذا حاربتم فأوقعوا، ثم قولوا واصدقوا، فإنه لا خير في الكذب)[3]. ويشير مالك بن المنذر إلىٰ أن الأخذ بالثأر أحدُ دوافع الاستعداد للحرب وخوضها[4]. ويدفع عمرو بن كلثوم بنيه إلىٰ الشجاعة، والإقدام في الحرب، وهو يقول لهم: (واعلموا أن أشجع القوم العطوف، كما أن أكرم الحتوف قتل بالسيوف)[5].

ويجري الحديث في الوصايا عن وسائل القتال وأدواته، وأسباب النصر، فحصن بن حذيفة يدعو بنيه إلىٰ العناية بالخيول، وعدمِ إهمالها، لما لها من أثر في المعركة، كما يؤكد أهمية إطالة الرماح لأنها الواقيةُ للخيل، التي هي بدورها تمثل الحماية للفرسان، ويؤكد ضرورة مقابلة العدو بعدد أفراده، يقول: (وصونوا الخيول، فإنها حصون الرجال، وأطيلوا الرماح، فإنها قرون الخيل، واغزوا الكثير

(١) الوصية: ٢٨.
(٢) انظر: الوصية: ٦٠.
(٣) الوصية: ٢٨.
(٤) انظر: الوصية: ٥٦.
(٥) الوصية: ٤٩.

بالكثير، فإني بذلك كنت أغلب الناس)[1]. ولكي يتحقق هذا الأمر بصورة جيدة يوضح دويد بن زيد لبنيه كيفيتَه، مع بيان كيفية مقارعة الأعداء في ساح المعركة، ومتىٰ يكون الفرار غيرَ عار، بقوله: (قصِّروا الأعنة، وطوِّلوا الأسنة، واطعنوا شزرًا، واضربوا هبرًا، وإذا أردتم المحاجزة فقبل المناجزة)[2].

وينبه حصن بن حذيفة بنيه علىٰ أهمية معرفة واقع العدو، والطريق إليه، قبل المسير وفي أثنائه، وضرورة أخذ الحيطة، فيقول: (ولا تغزوا إلا بالعيون، ولا تسرحوا حتىٰ تأمنوا الصباح)[3].

ويتحدث عمرو بن يزيد الكلبي لبنيه عن ضرورة التأمل والبحث عن الفرصة في العدو قبل الهجوم عليه، وأفضل الأوقات للهجوم، وأهمية إتاحة الفرصة أمامهم للهرب إذا همُّوا به، فيقول: (وإذا حاربتم قومًا فأطيلوا مواقفتهم، وتأملوا فيهم الفرصة، وإن أمكنكم البيات ففيه الظفر بعدوكم، وإن منحوكم أكتافهم فوسعوا عليهم المسرب، ونهنهوا عن لجم المذاكي، وعند ذلك فأحبوا فراقهم، فإن العافية لمن اعتصم بها)[4].

وإذا كان دويد بن زيد يوصي بنيه إن أرادوا الانسحاب عن قتال العدو بأن يكون ذلك قبل مناجزته، والالتحام معه، فإن النعمان بن ثواب العبدي لا يرىٰ لابنه بأسًا -حين يرىٰ أماراتِ الهزيمة- أن ينجو بنفسه، خاصة حين لا تكون دوافع القتال متصلةً بموضوع الثأر[5].

---

(١) الوصية: ٢٨.

(٢) الوصية: ٢٩.

(٣) الوصية: ٢٨.

(٤) الوصية: ٤٩.

(٥) انظر: الوصية: ٦٢.

ويوصي رياح بن ربيعة بنيه بالاستعانة علىٰ من لا يقوون عليه بالاجتماع عليه مع غيرهم[١]. ويوجه مالك بن المنذر البجلي بنيه إلىٰ أن يقيموا الأحلاف مع القبائل القوية الكثيرة العدد، وأن يكون ذلك الحلف واضحًا معلنًا[٢].

ومن المهم أن تبقىٰ راية العزة ترفرف علىٰ سماء القبيلة، وأن يتنسم أفرادُها عبيرَ الحرية، فـ(موت عاجلٌ خير من ضنًىٰ آجل)[٣]، ومن ثم فإن مالك بن المنذر يوصي بنيه بألَّا يعطوا الدنية، (وإن كان الصبر علىٰ خطة الضيم أبقىٰ لهم)[٤]. وهو في الوقت نفسه يوصيهم بالوفاء بالعهد، واتقاء الغدر[٥].

وحين جاء الإسلام بنىٰ علىٰ أنقاض القبائل دولة موحدة، عليها والٍ واحدٌ، يختاره أهل الحل والعقد، ثم شدد الإسلام بعد هذا في أمر الخروج عليه.

وقد شدد الإسلام بتشريعاته في الحديث علىٰ مسؤولية الحاكم، موجبًا عليه العدل، مطالبًا إياه بالرفق في سياسة الرعية، لكنه في الوقت نفسه أمر الرعية بطاعته بالمعروف، والصبر علىٰ ما لعله يحدث منه من حيف -أحيانًا- علىٰ آحاد الرعية، لما يترتب علىٰ الثورة أو الخروج عليه من مفاسد عامة. ويستعرض عمرو بن العاص هذا الأمر، موازنًا بين المصالح والمفاسد، مشيرًا في البداية إلىٰ أهمية الولاية، فيقول: (والٍ عادلٌ خير من مطر وابل، وأسد حطوم خير من والٍ ظلوم، ووالٍ ظلوم خير من فتنة تدوم)[٦]. ويعبِّر علي بن أبي طالب عن أثر السلطان في

---

(١) انظر: الوصية: ٣١.
(٢) انظر: الوصية: ٥٦.
(٣) الوصية: ٤٨.
(٤) الوصية: ٥٦.
(٥) سبقت الإشارة إلىٰ هذا الموضوع بتوسع علىٰ أنه من أسباب بقاء الدولة في موضوع الوصايا الخلقية.
(٦) الوصية: ١٢٤.

الأرض بقوله: (إذا تغير السلطان تغير الزمان)[1].

ومع أنه ورد لثلاثة من الخلفاء الراشدين (أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم) وصايا -ضمن من وردت لهم وصايا في عصر النبوة والخلفاء الراشدين- إلا أن وصاياهم لم تتضمن شيئًا مما يتصل بسياسة الدولة أو إدارتها، ولعل مردَّ ذلك إلىٰ أن الملك الوراثي لم يعرف بعدُ.

ومن وصيةٍ للعباس بن عبد المطلب تبدو مواصفاتُ الجليس، أو المستشار، الذي يقىٰ استمساك الخليفة به، وثقته به، وتقريبه له، فقد لاحظ العباس أن عمر بن الخطاب يقرب ابنه عبد الله ويستشيره فأوصاه بقوله: (لا تفشينَّ له سرًّا، ولا يجربنَّ عليك كذبًا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تطوِ عنه نصيحة)[2]. ويبدو أن عبد الله الذي منحه والده هذه الوصية شابًّا يافعًا أدرك -بَعْدُ- مدىٰ قيمة هذه التوجيهات، إذ (قال الشعبي: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف! قال: إي والله ومن عشرة آلاف).

ويبين عمرو بن العاص لابنه -الذي ولي ولايةً- أهميةَ اختيار الحاجب، مؤكدًا كلامه من تجربته الخاصة، فيقول: (انظر حاجبك فإنه لحمُك ودمُك، فلقد رأيتنا بصفين، وقد أشرع قوم رماحهم في وجوهنا، ما لنا ذنب إليهم إلا الحجاب)[3]!

وعلىٰ المستوىٰ الشخصي يوجه علي ﷺ ابنه إلىٰ أهمية النظر في الأمور قبل الإقدام عليها، فإن (من استقبل وجوه العمل والآراء عرف مواقع الخطأ)[4]، كما يوجهه إلىٰ ضرورة تقسيم العمل بين مَنْ تحته من خَدَمِه، ومحاسبة كلٍّ منهم عما تحته من عمل، حتىٰ لا يتواكلوا في خدمته[5]!

(١) الوصية: ٩٦.
(٢) الوصية: ٨٣.
(٣) الوصية: ١٢٥.
(٤) الوصية: ٩٧.
(٥) انظر: الوصية: ٩٦.

وحين أعطىٰ ابنه ابن الحنفية الراية يوم الجمل وضع بين يديه كيف يمضي في المعركة، بقوله: (عضَّ علىٰ ناجذك، أَعِرِ اللهَ جمجمتَك، تِدْ في الأرض قدمَك، ارمِ ببصرك أقصىٰ القوم، وغضَّ بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه)[1].

ويجمع سعد بن أبي وقاص لبنيه بين الترفيه، وإذكاء التنافس، والاستعداد للمنافحة عن الدين، حين يوصيهم بتعلُّم الرمي، مؤكدًا لهم أنه خيرُ لعبِهم[2].

وفي العصر الأموي تحولت الخلافة إلىٰ ملك، وكان ذلك عقب فتنة عصفت بالمسلمين، وأبقت في بعض النفوس إحَنًا، وتباينت الأهواء السياسية، وكثرت الولايات، وكان الاعتماد فيها في جملته علىٰ العرب، وكثر المال بأيدي السلطان، وكان لذلك أثره في الوصايا.

وقد انتهىٰ الأمر إلىٰ معاوية بن أبي سفيان ﷺ بعد الفتنة، وأصبح هو الخليفة، وهو معدود من دهاة الناس، فاستطاع بسيرته أن يوطِّئ الأمور، وكان لحلمه أثره الكبير في سلِّ السخائم، بل حين تمكن من الأمر أطلق للناس ألسنتهم، فحين أغلظ له رجل الكلام فحلم عنه، قيل له: أتحلم عن هذا؟ فقال مقولته المشهورة: (لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم، ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا)[3]. وكان لذلك -مع حلمه- أثر بعيد في إخراج ما في النفوس، كما آزر ذلك كرمُه وكثرةُ عطاياه، وربما كان يختار من يفيض لهم العطاء بعناية، ويتحدث الذهبي -رحمه الله- عن سيرة معاوية، فيقول: (فهذا الرجل ساد، وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه... وكان محببًا إلىٰ رعيته)[4]، ويقول عن أثر تلك السياسة:

---

(١) الوصية: ١١٥.
(٢) انظر: الوصية: ٧٩.
(٣) عيون الأخبار ١/ ٩، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٢٦.
(٤) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٣٣.

(وخَلْفُ معاويةَ خلقٌ كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضِّلونه، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد وُلدوا بالشام علىٰ حبِّه، وتربىٰ أولادهم علىٰ ذلك)[1].

ويتحدث معاوية عن تجربته تلك لابنه فيقول: (وقد وليتك أمرًا عظيمًا من أمر الأمة، وليس حيٌّ من أحياء العرب إلا وله عندي تِرَةٌ، قد كنت أشغله عنها بحسن الوفادة، وجزيل الرفد، حتىٰ تركت قلوبهم كالطينة المؤتثة، فلا تخالفن فعلي فيهم)[2].

وعندما أورث معاوية ابنه يزيد الملك جاءت وصاياه له ناظرة إلىٰ الواقع، مراعية معطياته، مستفيدًا بها معاوية من تجربته الطويلة في الولاية؛ عشرين سنة أميرًا، وعشرين سنة خليفة، فقد أكد معاوية في وصاياه حسنَ التعامل مع الرعية، وإلانةَ الجانب لها، والتغاضي عما يمكن أن يصدر من الناس، ومحاولة تناسيه، لتستقيمَ له الرعية، ويصفوَ له العيش. يقول لابنه يزيد: (فارفق بالناس، وأغمض عما بلغك من قول تؤذىٰ به وتنتقص به، وطأ عليه يهنِك عيشُك، وتصلح لك رعيتك، وإياك والمناقشة وحمل الغضب، فإنك تهلك نفسك ورعيتك)[3]، ثم يوجهه إلىٰ العناية بأهل الوجاهة والشرف، والحذر من إيغار صدورهم، أو استثارتهم فيجرؤون عليه، فيقول: (وإياك وجبْهَ أهل الشرف واستهانتهم، والتكبر عليهم، لِنْ لهم لينًا بحيث لا يرون منك ضعفًا ولا خورًا، وأوطئهم فراشك، وقربهم إليك، وأدنهم منك، فإنهم يعلمون لك حقك، ولا تهنهم ولا تستخفَّ بحقهم فيهينوك ويستخفوا بحقك، ويقعوا فيك)، ولا ينسىٰ معاوية أن يؤكد موضوع السمعة الشخصية، والابتعاد عن كل ما يدنِّس ثوب الإنسان، ويحط -من ثم- من قدره عند الناس، أو يتخذون من

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١٢٨.

(٢) الوصية: ٣١٥.

(٣) الوصية: ٢٩٤.

ذلك ذريعة إلىٰ تسويغ فاسدِ سلوكهم، يقول: (وأصلح نفسك يصلح لك الناس، ولا تدع لهم فيك مقالًا، فإن الناس نزاع إلىٰ الشر!)، وينبهه علىٰ ضرورة الاستشارة، وعدم الاستبداد بالرأي، والأخذ برأي المشيرين، وكتمان الأمر بعد ذلك عن النساء والخدم! ويحدد له سماتِ من يطلب منه دعوتهم للاستشارة، بأنهم (أهل السن والتجربة من أهل الخير، من المشايخ وأهل التقوىٰ). ويدعوه إلىٰ الجدية في الأمر، وتعاهد الجند، وحضور الصلاة، ويضع بين يدي ولده النتيجة المترتبة علىٰ أخذه بما مضىٰ بقوله: (فإنك إذا فعلت ما أوصيك به عرف الناس لك حقك، وعظمت مملكتك، وعظمت في أعين الناس). ثم يؤكد حديثه عن حسن التعامل مع الرعية مفصِّلًا، بقوله: (واعرف شرف أهل المدينة ومكة؛ فإنهم أصلك وعشيرتك، واحفظ لأهل الشام شرفهم؛ فإنهم أنصارك وحماتك وجندك الذين بهم تصول وتنتصر علىٰ أعدائك، وتصل إلىٰ أهل طاعتك، واكتب إلىٰ أهل الأمصار بكتاب تعدهم فيه منك المعروف؛ فإن ذلك ينشط آمالهم، وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم وأكرمهم؛ فإنهم لمن وراءهم). ويختم وصيته له بالحذر من السعاة، فيقول: (ولا تسمعنَّ قول قاذف ولا ماحل؛ فإني رأيتهم وزراء سوء!).

ويوصي معاوية ابنه بكثرة العطاء خاصة مع وجهاء الناس، ويحذره من المنع، موضحًا له أثر هذا وذاك[1]. ويأمره أن ينظر وجهاء الناس -من كل جنس- وأن يقابلهم، ويقربهم، ويحسن إليهم، (فإنهم أشكر الناس إن أعطوا، وأصبرهم إن جُفوا)[2]. ويبين له العقابَ المناسبَ لمثل هذه الشريحة حين الاضطرار، محذرًا إياه من خسرانهم، فيقول: (لا تشتمن له عرضًا، ولا تضربن له ظهرًا؛ فإن الحرَّ لا يرىٰ الدنيا عوضًا من هذين، ولكن خذْ ماله، ومتىٰ شئت أن تصلحه فمال بمال)[3].

(١) انظر: الوصية: ٢٩٧.

(٢) الوصية: ٣٠٥.

(٣) الوصية: ٣١١.

ويوصيه أن يعطي من أتاه صادقًا بما يكره، كما يعطي من أتاه بما يحب، لأن الأمير إذا أعطىٰ علىٰ الهوىٰ فسد ملكه[1].. ويرىٰ أن بسط الخير يعفّي علىٰ العيب، ويحذر من القتل[2]. وفي وصية أخرىٰ يحذره من القتل مبينًا له أنه يبلغ بالوعيد ما لا يبلغ بالإيقاع[3]. ويوصيه بأن يتدرع بالحلم والاحتمال حتىٰ تمكنه الفرصة، فإذا أمكنته فليلزم الصفح، (فإنه يدفع عنك معضلات الأمور، ويقيك مصارع المحذور)[4]. ويعدد معاوية لابنه الأشخاص الذين يخشىٰ علىٰ ملكه منهم، ويضع بين يديه كيفية التعامل معهم، بحسب قراءته لشخصية كلٍّ منهم[5].

ويضع معاوية بين يدي ابنه أحوال أقطار الخلافة، موضحًا له المناطق التي يمكن أن يأتي منها التهديد، وكيفية تلافي ذلك، وعلىٰ من يعتمد في الأزمات[6]. مؤكدًا جعل أهل الشام -بحكم ولائهم- بطانتَه وعيبتَه، وضرورة عزل عسكر الشام عن غيرهم حتىٰ لا يتأثروا فيتغيروا، ويكون ذلك بإرجاعهم سريعًا إلىٰ بلادهم، عقب انتهاء المهمة القتالية!

ومروان بن الحكم قد وُصِفَ بأنه ذو شجاعة ومكر ودهاء[7]، واستنقذ الخلافة بعد أن تطلعت إليها العيون، وكادت تفلت من بني أمية، وخاض من أجل ذلك حروبًا، وكان واقعه يشبه من بعض الوجوه واقع معاوية ﷺ، وهو ينطلق، في جملة من وصاياه لبنيه، من معطيات ذلك الواقع، ومن هنا لا يُستغرب تأكيدُه، بل تشديدُه،

---

(١) انظر: الوصية: ٣٠٠.

(٢) انظر: الوصيتين: ٢٩٨ و٢٩٩.

(٣) انظر: الوصية: ٣٠٦.

(٤) الوصية: ٣١٣.

(٥) الوصية: ٣١٦.

(٦) الوصية: ٣١٨.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٧٧.

علىٰ أن يبدوَ ابنُه، الحاكمُ الجديدُ، بصورة وضيئة أمام الناس -تجسِّدها سرعةُ استجابته لداعي الله- لتتعلق به العيون، وأن يحرص علىٰ حسن التعامل، وعدم العجلة بالعقاب لتتعلق به القلوب، ومن ثم تأخذ محبتُه طريقَها إلىٰ أفئدة الناس، خاصة والناس ينظرون بحذر إلىٰ الحاكم الجديد، لا يدرون ما يفجؤهم به.

وعندما ولَّىٰ مروان بن الحكم ابنه عبد العزيز علىٰ مصر أوصاه بخمسة أمور، كأنه يجعلها ضمانةَ النجاحِ في الولاية، وهي تشمل ضرورة تمتين العلاقة بولاته علىٰ الأمصار، بتفقدهم من حيث عدم تأخير حقوقهم ولو غدوة أو عشية، ليضمن بذلك ولاءهم وطاعتهم، وفي سبيل إقامة علاقة متينة بالرعية أكد أهمية امتلاك قلوب العامة بثقتهم بالوالي، فأمر ابنه في وصيته له أن يحذر من أن يَظهَر لرعيته منه كذبٌ (فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق)[1].

كما نبهه علىٰ ضرورة استشارة جلسائه، ومَنْ حوله من أهل العلم، وعندما لا ينتهي من مشورتهم إلىٰ شيء أن يكتب إليه في ذلك الأمر، ليوافيَه برأيه فيه، كما نهاه -حين يكون به غضبٌ علىٰ واحد من رعيته- أن يؤاخذه به عند سَورة الغضب، وإنما يحبسه حتىٰ تنطفئ جمرةُ غضبِه ثم يكون منه ما يكون، ثم أمره باتخاذ الجلساء، محددًا له سمات أولئك، راسمًا له سياسة التعامل معهم بقوله: (ثم انظر إلىٰ أهل الحسب والدين والمروءة، فليكونوا أصحابك وجلساءك، ثم اعرف منازلهم منك من غير استرسال ولا انقباض).

وفي وصية أخرىٰ يؤكد مروان لابنه بصورة حاسمة التزام الصدق، ربما حتىٰ لا يسقط من أعين رعيته، (وإذا وعدت ميعادًا فانزل عنده ولو ضربت به علىٰ حد السيف)[2]! ويبين له من جهة ثانية السر في دفعه إلىٰ استشارة أهل مودته (جلسائه)

---

(١) الوصية: ٢٨٣.

(٢) انظر: الوصية: ٢٨٤.

وأهل العلم، (فأما أهل العلم فيهديهم الله عز وجلَّ إن شاء، وأما أهل مودتك فلا يألونك نصيحة). ويضيف في هذه الوصية -إلىٰ ما سبق- ضرورة المبادرة إلىٰ الصلاة عند سماع المؤذن.

وفي وصية ثالثة لمروان يوصي ابنه -بعد تقوىٰ الله- بضرورة إجابة داعي الله، (فإن المؤذنين يدعون إلىٰ فريضة افترضها الله عليك)[1]، مؤكدًا مرة ثالثة موضوع الصدق (وإن حملت علىٰ الأسنة)، ومؤكدًا أيضًا موضوع الاستشارة، بألَّا يعجل في شيء حتىٰ يستشير، (فإن الله عز وجل لو أغنىٰ أحدًا عن ذلك لأغنىٰ نبيه محمدًا ﷺ عن ذلك بالوحي الذي يأتيه).

وحين يريد مروان مغادرة مصر وترك ابنه عبد العزيز عليها، يلتفت عبد العزيز فلا يرىٰ حوله أحدًا من أقاربه يؤنس وحشته، فيبوح بذلك لأبيه: (يا أمير المؤمنين، كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي؟)، وهنا يرسم له أبوه سياسة التعامل مع الناس، سوقتهم وأشرافهم، التي تجعلهم يكونون له مكان الأهل، مذكرًا إياه بأنه ترك معه مستشارًا ومعينًا، محاولًا رفع همته[2].

ويؤكد -في وصية أخرىٰ- علىٰ العدل، عادًّا إياه حصنًا للمملكة، (فإنه سورها المنيع الذي لا يغرقه ماء، ولا تحرقه نار، ولا يهدمه منجنيق)[3].

ويكرر علىٰ مسمع ابنه -في وصية أخرىٰ- عدم التعجُّل بالعقوبة، إذا أشكل عليه الأمر، (فإنك علىٰ العقوبة -إذا أردتها- أقدرُ منك علىٰ ارتجاعها إذا أمضيتها)[4]. مؤكدًا، كما سبق في وصية سابقة، أهمية إيناس من يدخل عليه بالحديث لينبسط إليه.

(١) انظر: الوصية: ٢٨٥.
(٢) انظر: الوصية: ٢٨٦.
(٣) الوصية: ٢٨٧.
(٤) الوصية: ٢٨٨.

وإذا كان مروان بن الحكم لم يعِشْ بعد استقرار الحكم له في الشام ومصر سوىٰ تسعة أشهر، ومات وعاصفة الفتن لا تزال تهب، فإن ابنه عبد الملك بن مروان استطاع بالشجاعة والحزم أن يخمد نيران الفتن، وأن يقارع خصومه بقوة وحزم، وأن يفتش حوله ليكتشف الطاقات ويوظفها لمصلحته، كما يبيِّن ذلك قولُ الحجاج: (وإن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها...)[1]، وهو بذلك يعد المؤسس الثاني للدولة الأموية، وقد وصفه الذهبي بقوله: (كان من رجال الدهر، ودهاة الرجال)[2]، ووصفه ابن كثير بقوله: (وكان حازمًا، فَهِمًا، فطِنًا، سائسًا لأمور الدنيا)[3]، وقد انطبعت جملة وصاياه بتجربته الحياتية، وإذا كان قد خلَّف أربعة أبناء مهيئين لتولي الخلافة[4]، فقد كان حريصًا علىٰ تعميق الألفة بينهم، وتحذيرهم من الفرقة[5]. وهو يؤكد لهم أنه وإن تجافت الخلافة عن مسلمة -لاعتبارات تقليدية-، فإنه يجب أن تبقىٰ له مكانته الاعتبارية، فهو الأكبر، مع ما اشتمل عليه من صفات تجعله في مصاف كبار الرجال: (انظروا مسلمة واصدروا عن رأيه، فإنه مجنُّكم الذي به تستجنُّون، ونابكم الذي عنه تفترُّون)، ويؤكد هذا المعنىٰ في وصية أخرىٰ بصورة أوضح، فيقول: (... فاقبلوا قوله، واصدروا عن رأيه، وأسندوا جسيمَ أمرِكم إليه)[6]، ثم إن عبد الملك ربما تخوف أن يكون لتلك الاعتبارات التي أبعدت مسلمةَ عن الخلافة، أو شعورِ الأبناء الأربعة أن مسلمة أخٌ ليس شقيقًا ربما دفعهم

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٤٩٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٩.

(٣) البداية والنهاية ١٢/ ٣٨١.

(٤) ورد في شذرات الذهب ١/ ٩٧: (ومن المشهور أن عبد الملك رأىٰ كأنه بال في زوايا المسجد الأربع أو في المحراب، أربع مرات، فوجه إلىٰ سعيد بن المسيب من يسأله، فقال: من ولده لصلبه أربعة تلي).

(٥) انظر: الوصية: ٢١٣.

(٦) الوصية: ٢١٤.

إلىٰ الابتعاد عنه ولو نفسيًّا، فإذا هو يقول في الوصية السابقة: (وكونوا بني أمٍّ بررة، ولا تُدنوا العقارب منكم). وفي الأخير يحذر بنيه من مخالفة وصيته، وينشدهم أبياتًا يأمرهم بتمثُّلها، تحث علىٰ ضرورة نفي الضغائن والتخاذل بين الإخوة، وأن طول بقائهم مرهون بصلاح ذات البين، وأن قوتهم في اجتماعهم.

ولأن الكلام السابق كان لعامة أولاده فقد خص ابنه الوليد الذي سيعقبه في الخلافة بتوجيهات يتصل بعضها بالإبقاء علىٰ بعض أفراد الأسرة في مناصبهم، والإحسان إلىٰ بعضٍ مَنْ انقطع بمودته وهواه إلىٰ الأسرة المروانية دون غيرها، ومعرفة مكانة الحجاجِ، أبرزِ معاوني عبد الملك، الذي وصفه بأنه هو الذي وطأ لهم المنابر، آمرًا بإكرامه، وعدم سماع الكلام فيه، ومشيرًا إلىٰ أن حاجة الوليد إليه أكثر من حاجته إلىٰ الوليد، موصيًا بجعله (الشعارَ دون الدثار).

ويبدو أن عبد الملك خشي أن يترك رحيلُه فراغًا قد يدفع من لا يزال في نفوسهم شيءٌ علىٰ بني أمية للوثوب، فأوصىٰ الوليد بالحجاج علىٰ نحو ما مضىٰ. ولعل مما يدفع إلىٰ ذلك الظن أن عبد الملك أكد لابنه ضرورة الاعتصام بالشدة والحزم من أول الأمر بقوله: (لا ألفينك إذا أنا مت تعصر عينيك، وتحنُّ كما تحنُّ الأَمَةُ، شمِّر واتزر والبس جلد النمر، وضعني في حفرتي، وخلني وشأني، وعليك بشأنك، وخذ سيفي هذا، فإنه السيف الذي قتلت به عمرو بن سعيد، وادع الناس إلىٰ البيعة، فمن قال بسيفه هكذا فقل بسيفك هكذا).

ويبدو أن عبد الملك كان يحاول بناء جانب الحزم عند الوليد في أثناء حياته إعدادًا له حين يخلفه بعد مماته، فقد قال له: (يا بني، اعلم أنه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه الرعية إلا حرفان؛ حزمٌ أو توانٍ)[1].

(١) الوصية: ٢١٦.

وفي سبيل تحقيق ذلك، لدىٰ القريب والبعيد، يؤكد عبد الملك لابنه أن يعنىٰ بانتقاء من حوله ممن يعطون ذلك الانطباع، وهم الكاتب والحاجب والجليس، ويعلل له ذلك بقوله: (فالغائب عنك يخبره كاتبُك، والوافد عليك يعرفك بحاجبك، والخارج من عندك يعرفك بجليسك)[1]. وقد أكد عبد الملك -أيضًا- هذا المعنىٰ في وصية أخرىٰ، فقال: (وإذا كتبت كتابًا فأكثر النظر فيه، فإن الكتابَ موضعُ عقل الرجل، ورسولَه موضعُ عقله)[2].

وحين يسأل الوليد أباه عن السياسة يبادره بقوله: (هي هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بإنصافها، واحتمال هفوات الصنائع)[3].

ويوصي عبد الملك ابنه بتولية أهلِ الفضل دونَ أهل الهوىٰ، وألا يعزلَ إلا عن عجز أو خيانة، ويؤكد له أن يكون جلساؤه غيرَ أسنانِه، فإن الشباب شعبة من جنون[4].

وثمة تقارب بين شخصيتي معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان، إذ يقف الباحث أحيانًا علىٰ مقارنة بينهما، تحتفظ بها المصادر، من جنس ما رواه المدائني عن عبد الله بن فائد قال: (كان يقال: معاوية أحلم، وعبد الملك أحزم)[5]. وما روي من قول المنصور: (معاوية للحلم والأناة، وعبد الملك للإقدام والإحجام)[6]. ويبدو أن عبد الملك كان معجبًا بسيرة معاوية وشخصيته، فقد روىٰ المدائني قال: (مرَّ عبد الملك علىٰ قبر معاوية، فقال: هذا قبرُ رجلٍ كان يسكته الحلم، وينطقه العلم)[7]،

(١) الوصية: ٢١٥.
(٢) الوصية: ٢١٨.
(٣) الوصية: ٢١٩.
(٤) انظر: الوصية: ٢١٨.
(٥) جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢٦٧ والعقد الفريد ٤/ ٣٦٦.
(٦) جمل من أنساب الأشراف ٤/ ٢٥٥.
(٧) جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢٤٣.

وأوضح من ذلك ما روي أن عبد الملك: (دعا مؤدب ولده، فقال له: روِّ ولدي ما في هذا القرطاس، وإذا فيه وصية معاوية...)[1]. وإذا كان قد مرَّ تصريح معاوية بعدم مبالاته بالكلام ما لم يرتبط بالفعل، فيبدو أن عبد الملك نهج النهج نفسه، إذ رُوي أنه خطب الناس في مكة في أثناء حجِّه، فقال: (أيها الناس، إنا نحتمل لكم كل اللغوبة، ما لم يكُن عقد راية، أو وثوب علىٰ منبر)[2]، وفي رواية أخرىٰ: (إنه ليس من لعبة إلا ونحن نحتملها، ما لم تبلغ أن تكون صعود منبر، أو نصب راية)[3]. كما يلحظ التقاء عبد الملك مع معاوية في تحذير ابنه من أعراض الأحرار، إذ إن الحر لا يرضيه من عرضه عوض، وأمره إياه باجتناب العقوبة في الأبشار، إذ إنه وتر مطلوب، وعار باقٍ[4]. وكذا التحذير من القتل[5] والتدرع بالحلم[6] وبذل المعروف[7].

لكن عبد الملك يختلف عن معاوية أنه أميل إلىٰ الحزم منه إلىٰ الحلم، الذي اشتهر به معاوية، ويبدو أن ذلك كان أمرًا متعارفًا عليه -كما مرَّ فيما سبق-، وهو ما لحظه أبو جعفر المنصور حين قال -وذكر ملوك بني أمية-: (كان عبد الملك أشدَّهم شكيمة، وأمضاهم عزيمة)[8]. ولعلَّ السبب في كون معاويةَ آثر الحلم هو أن رعيته كان بينهم الصحابة وبنوهم والتابعون، كما أنه استطاع أن يدرك بالحلم ما يدركه غيره بالشدة[9]. كما أن عبد الملك كانت شدته أوضح في أول الأمر حين

---

(١) جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢٠٧.

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٣٨٣. اللغوبة: الحمق، واللغوب: الأحمق.

(٣) جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢١٣.

(٤) انظر: الوصية: ٢١٨، وشبيه بذلك ما ورد في وصية يزيد بن المهلب: ٣٤٢.

(٥) انظر: وصيتي معاوية ٢٩٨، ٢٩٩، ووصية عبد الملك: ٢٢٠.

(٦) انظر: وصية معاوية: ٣١٣، ووصية عبد الملك: ٢٢١.

(٧) انظر: ما سبق من وصايا معاوية، ووصية عبد الملك: ٢٢١.

(٨) جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢٠٩.

(٩) انظر: مناسبة الوصية: ٣١٤.

تثبيت دعائم الحكم بعد تزلزلها، وإلا فهو يقول: (الحلم يحيا بحياة السؤدد)[1]. كما أنه يوصي ولده إن كان في نفسه حقد علىٰ الحجاج ألا يؤاخذه به، فيقول: (إن الإحنة ليست من الخلافة في شيء)[2]، والحزم لا يعني الشدة، فعبد الملك -في كلمة له- يكشف عن بعض مفهوم الحزم لديه بقوله: (إن من وثائق الحزم أن تحمل الناس بالمال فإنهم أتباعه)[3].

ويبدو أن عبد الملك ما كان ليخفىٰ عليه أثر الشعر، كيف وهو الكثير الإنشاد له، والاستشهاد به، ويدرك كيف أصبح الشعراء ألسنة للقبائل، وفيها من كان ولاؤهم لخصوم عبد الملك بالأمس، لذا لا غرو أن يبين لبنيه أثر الشعر[4]، وأن يوصيهم بإكرام الشعراء[5]. وهو أمر يتوجه إلىٰ صيانة السيرة، وتسويق السمعة الطيبة.

والشدة في الحاكم مطلب، ولكنها علىٰ المريب، أما المحسن فله اللين وخفض الجناح، كما أوضح ذلك المهلب في وصيته لابنه[6].

وإذا كان عبد الملك قد أكَّد ضرورة العناية بالكاتب لأهمية الكتب، وبالكتب لأن في لغتها دلالة علىٰ سياسة الحاكم، فإن الوالي والقائد المشهور يزيد بن المهلب يؤكد هذا تأكيدًا بالغًا، قارنًا معه ضرورة حسن اختيار الرسول، يقول في وصيته لابنه: (وإذا كتبت كتابًا فأكثر النظر فيه، وليكن رسولك فيما بيني وبينك من

(١) جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢٤٩.
(٢) الوصية: ٢١٣.
(٣) جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢٤٩.
(٤) انظر: الوصية: ٢٢٤.
(٥) انظر: الوصية: ٢٢٥.
(٦))) انظر: الوصيتين: ٣٢٢، ٣٢٣.

يفقه عني وعنك، فإن كاتبَ الرجل موضعُ عقله، ورسولَه موضعُ سرِّه)[١].

ولأن ثمة عناية باللغة، وأن الإيجاز في الإعجاز، وأن من كثر كلامه كثر سقطه، فإن يزيد بن المهلب يوصي ابنه قائلًا في الوصية ذاتها: (وما خفَّ من المنطق، وقلَّ من الخطبة أحب إلىٰ أبيك)، وربما كان تأكيد يزيد للكاتب صدىٰ لوصية والده له حين عدَّ كاتبَ الرجل لسانَه[٢]. وقد أوصىٰ المهلبُ، ومن بعده ابنُه يزيد، بتأكيد صفة الظرف لدىٰ الكاتب[٣]، (والظرف في اللسان البلاغة، وفي الوجه الحسن، وفي القلب الذكاء)[٤]، وهي صفات مهمة لمن هو بتلك المنزلة من الحاكم.

ولا يقلُّ الحاجب أهمية عن الكاتب، بل ربما كان أكثر أهمية باعتبار أنه ينبىء عن مستوىٰ اختيار الحاكم، وقد مضت وصية عبد الملك لابنه بضرورة تفقُّد الحاجب، لأن الوافدين إليه يعرفونه من حاجبه، ولعل هذا ما دعا المهلب -ومن بعده ابنُه يزيد- إلىٰ الوصاة بتأكيد العقل عند اختيار الحاجب[٥]. وثمة وظيفة مهمة للحاجب يؤكدها زياد بن أبي سفيان، وهي أن وجوده يزيد في مهابة الحاكم، فالحاكم حين يظل بابه مفتوحًا يأذن لكل من وفد عليه، وفي كل حين، ربما خفَّ وزنه عند الدهماء، ومن ثم كانوا عليه أكثر جرأة، ويدلل علىٰ ذلك بأنه (إنما تجرأت الرعاة علىٰ السباع بكثرة نظرهم إليها)[٦]. ولذلك يطلب مروان من ابنه أن يأمر حاجبه أن يخبره بمن يحضر بابه كل يوم، فيأذن أو يمنع[٧]!

---

(١) الوصية: ٣٤٢.

(٢) انظر: الوصية: ٣٢١.

(٣) انظر: الوصيتين ٣٢١، ٣٤٣.

(٤) لسان العرب ٩/ ٢٢٩ (ظرف).

(٥) انظر: الوصيتين: ٣٢١، ٣٤٣.

(٦) الوصية: ١٧٣.

(٧) انظر: الوصية: ٢٨٨.

ويلاحظ في العصر الأموي أن الحاكم يوجه عنايته أكثرَ لأنصاره، وربما كان ذلك تحسبًا للأزمات، إذ يلاحظ كثرة الثورات علىٰ المسرح الأموي، وقد ارتبط معاوية بأهل الشام الذين استطاع -في أثناء ولايته- أن يستميلَهم إليه، وهو يوصي ابنه بالإحسان إليهم، وحفظ ولائهم أن يناله تأثر، كما مرَّ.

والمهلب بن أبي صفرة، في مشرق الدولة الإسلامية حيث تدور رحىٰ الحروب مع العجم علىٰ يده، يوصي ولده بالتقرب إلىٰ العرب، الذين يشكلون معظم جيشه، فيقول: (واصطنعوا العرب وأكرموهم، فإن العربي تعده العِدة فيموت دونك، ويشكر لك، فكيف بالصنيعة إذا وصلت إليه، في احتمالها وشكرها، والوفاء منه لصاحبها؟)[1]. ولكن ابنه يزيد بن المهلب يضع بين يدي ابنه مخلد خريطة يقسم فيها المنضوين تحت ولايته حسب علاقتهم التاريخية والحاضرة مع قومه، مبينًا له السياسة التعاملية مع كل فريق، وهي نظرة تشوبها صبغة العصبية التي ذرَّ قرنها في العصر الأموي[2].

ويشير سعيد بن العاص -في وصيته لابنه عمرو- إلىٰ أن الكريم يتخذ الولاية، التي يقدر له توليها، فرصة لمساعدة الناس، وسدِّ خللهم، بخلاف اللئيم الذي يتخذها فرصة لاكتناز المال، وبسط شهوات النفس، فالناس سوف يلحقون الأول بالمدح، ويتبعون الآخر بالذم، وهو ما يبقىٰ علىٰ حين تزول الولاية[3].

وما مضىٰ يمثل صفات الوالي أو الحاكم، والسياسة المثلىٰ في معاملته الرعية، ويبقىٰ التساؤل عن الصفات التي يجب أن يتصف بها جليس الوالي أو من يَقْدُم عليه.

---

(١) الوصية: ٣٢٠.

(٢) انظر: الوصية: ٣٤٢.

(٣) انظر: الوصية: ١٨٧.

يرسم أبجر بن جابر العجلي لابنه -بذكاء صقلته التجربة- الأسلوب الأمثل في مقابلة الحاكم ومجالسته، ابتداءً من التهيئة بتكوين الصداقات في البلد الذي يقدم عليه الإنسان، إن كان من بلد آخر، ومرورًا بكيفية التعامل مع البواب، وانتهاء بمكان الجلوس عند الخليفة، وموضوعات الحديث[1]. ويرتاد زياد بن أبي سفيان في وصيته لابنه موضوعات أكثر تحديدًا حين يقول: (إذا دخلت علىٰ أمير المؤمنين فادعُ له، ثم اصفح صفحًا جميلًا، ولا يرينَّ منك تهالكًا عليه ولا انقباضًا عنه)[2]. وزياد، وهو يرسم لابنه هذا السلوك حين أراد بعثه لمعاوية، كان يرمي إلىٰ أن يعطي ابنُه لمعاوية انطباعًا جيدًا عن نفسه، كي يرشحه لولايةٍ، أو يعدَّه للولاية بعد أبيه.

ويعالج قيس بن عاصم -في وصيته لابنه- موضوع زيارة الحاكم، وضرورة التوسط فيها، ومكان الجلوس الأمثل حين الزيارة[3]. ويعدُّ زياد بن أبي سفيان صدر المجلس (مجلس قُلْعَة)[4]، لأن الجالس فيه يضطر إلىٰ التحول عنه لغيره مرة بعد أخرىٰ. ويعطي الحكام الكبارُ أولادَهم فرصًا تدريبية، حتىٰ تتكون لديهم التجارب التي تمثل أرضية لهم حين تولي السلطة، ويظلون هم يرعون تلك التجربة ويقوِّمونها، وقد سبقت وصية مروان بن محمد لابنه حين ولاه مصر أن يستشير من حوله، وعندما لا ينتهي من مشورتهم إلىٰ شيء أن يكتب إليه، كما سبقت الإشارة إلىٰ توصية عبد الملك لابنه الوليد حين ولاه دمشق أن يختار حين الكتابة إلىٰ والده رسولًا مناسبًا لحمل الرسالة[5]. وحين ولىٰ المهلب ابنه يزيد كرمان، أوصاه بوصية

(١) انظر: الوصية: ١٤٢.
(٢) الوصية: ١٧٢.
(٣) انظر: الوصية: ٢٧٤.
(٤) الوصية: ١٧٤.
(٥) انظر: الوصية: ٢١٨.

جاء فيها: (وإن أنكرت من إنسان شيئًا فوجهه إلي)[1]. وهو -في وصية أخرىٰ- ينهىٰ بنيه أن يتكلوا علىٰ فعل غيرِهم، وأن يفعلوا ما ينسب إليهم[2].

وقد تكون أعمال الحاكم كثيرة جدًّا، لكن هذا ينبغي ألَّا يدفعه لإنهاك قواه بالانهماك في العمل، وهو معنىٰ لفت عمر بن عبد العزيز إليه نظر ابنه عبد الملك؛ ذلك أن عمر -رحمه الله- ورث تركة من المظالم، وسلسلة من التجاوزات بادر العمل بمعالجتها، وشرع في ذلك، وحين أدركته القائلةُ، وقد أخذ منه التعب مأخذه، أراد أن يقيل، ولكن ابنه الصالح أنكر عليه، مظهرًا تخوُّفه علىٰ والده أن يدركه الموت في قيلولته تلك، وهو لم يقضِ ما عليه من ردِّ المظالم، وشدد عليه في ذلك، ثم من الغد أعاد علىٰ والده ما كان قاله أمس، فقال له أبوه: (يا بني، إن نفسي مطيتي وإن لم أرفق بها لم تبلِّغني، يا بني لو شاء الله -عز وجل- أن ينزل القرآن جملة واحدة لفعل، ... يا بني إني لم أجد الحقحقة تردُّ إلىٰ خير)[3]. وفي رواية أخرىٰ: (يا بني، إنما أنا أروض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحيي الأمر من العدل فأؤخره حتىٰ أخرجَ معه طمعًا من طمع الدنيا، فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه). وفلسفة عمر في التغيير فلسفة غاية في الروعة، لمراعاتها طبيعة النفس الإنسانية.

وبالنسبة للسياسة القتالية فلعل أكثر من تحدث عنها في وصايا العصر الأموي هو المهلب بن أبي صفرة. والمهلب قائد شجاع، اشتهر بكثرة حروبه، وقمعه ثورات الخوارج، وهم المشهورون بالشجاعة، الذين يحملون أرواحهم علىٰ أكفهم، حتىٰ نال بذلك احترام الحجاج[4]، (وروىٰ الحسنُ بن عمارة عن أبي إسحاق، قال: ما

(١) الوصية: ٣٢٧.
(٢) انظر: الوصية: ٣٣٠.
(٣) الوصية: ٢٥٨.
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٤.

رأيت أميرًا قط أفضل ولا أسخىٰ ولا أشجع من المهلب، ولا أبعد مما يُكره، ولا أقرب مما يُحَب... وروىٰ روحُ بن قبيصة عن أبيه قال: قال المهلب: ما شيء أبقىٰ للملك من العفو، خير مناقب الملك العفو)[1]. والمهلب بذلك يدرك ما يُبقي الملك وما يسارع في هدمه، وسوف يأتي نهيُه بنيه عن البغي، وقد اتصف بذلك في سلوكه وأقواله، إذ قال عنه ابن كثير: (أحد أشراف أهل البصرة ووجوههم ودهاتهم وأجوادهم وكرمائهم)[2]، ونقل عنه قوله: (نعم الخصلة السخاء، تستر عورةَ الشريف، وتلحق خسيسة الوضيع، وتحبب المزهود فيه).

ولقد تمثلت صفات المهلب في بنيه، فعرفوا مثله بالشجاعة، وكان يستعين بهم في ولاياته وحروبه، ولعل هذا ما طبع فيهم تلك الصفات، وبالنظر في وصايا المهلب نجده يعلق هِمَمَ أولاده منذ الصغر بالعلم والبطولة والقتال، يقول لبنيه: (إياكم أن تروا في الأسواق، فإن كنتم لا بد فاعلين، ففي سوق الدواب والسلاح، فإنها صناعة الفرسان)[3]. ويقول لهم في وصية أخرىٰ: (يا بني، لا تقوموا في الأسواق إلا علىٰ زراد أو وراق)[4].

ويضع المهلب بين يدي بنيه أسباب النصر علىٰ العدو، مؤكدًا لهم أن الشجاعة لا تكون دائمًا في المقام الأول، بل ثمة أمور قد تكون أكثر أهمية، يوضحها بقوله: (وعليكم في الحرب بالأناة والتؤدة في اللقاء، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعدوكم، وإياكم والنزقَ والعجلةَ، فإن المكيدة والأناة والخديعة أنفعُ من الشجاعة)[5]. والمهلب، الذي حلب الدهر أشطره، كان يدرك أن الباغي

(١) المصدر السابق.
(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٣٢٢.
(٣) الوصية: ٣٢٤.
(٤) الوصية: ٣٢٥.
(٥) الوصية: ٣٢٠.

مخذول، ولو بدا له انتصارٌ ظاهر، ولذا فهو ينهىٰ بنيه عن أن يبدؤوا الخوارج بقتال حتىٰ يبدؤوهم، مؤكدًا أن الابتداء بالاعتداء في حقهم بغي، والباغي مهزوم أمام خصمه[١].

وحين بعث عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة إلىٰ حرب الروم، أوصاه بوصية تناسب المقام، من التزام الرفق بمن معه، وتعيين بعض الأبطال -الذين سماهم له وذكر خصائصهم- علىٰ قيادة مفاصل الجيش، ورسم له خطة الهجوم علىٰ العدو، واضعًا بين يديه إمكانات العدو الضخمة حتىٰ لا يفاجأ بها، منبهًا إياه علىٰ الاجتهاد في التأثير النفسي عليهم، محذرًا إياه في النهاية -بشدة- من النكوص والتراجع، مؤكدًا -بذكاء- تقصده في اختياره لقيادة الجيش، وأن بلاءه في ذلك السبيل سيكون له ذكرًا وأجرًا[٢].

وفي العصر العباسي يلخص المأمون لبنيه مهمة الحاكم في المنافسة بالخير (مما يبقىٰ ذكره، ويُحَبُّ أجرُه... وأن يجعل همته في عدل ينشره، أو جور يدفنه، أو سنة صالحة يحييها، أو بدعة يميتها، أو مكرمة يعتقدها، أو صنيعة يسديها، أو يدٍ يودعها ويوليها، أو أثرٍ محمودٍ يتبعه)[٣]. ويوضح لابنه أن الحاكم إنما (كَبُرَ قدرُه بصغار عظَّموه، وقويت قوته بضعاف أطاعوه، وشرفت منزلته بعوامٍ اتضعوا له، فلا يدعونَّ تفخيم المفخم منهم إلىٰ تصغير أمره وتذليله، ولا يستأثرن بفائدة وبرفق دونه)[٤]. وإذا كان معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان أبرز شخصيتين أفاضتا -بحكم معطيات المرحلة، والمواصفات الشخصية- في الوصايا السياسية لأبنائهما، فإن أبا جعفر المنصور يمثل أبرز مرتادي ذلك الجانب من الوصايا في

---

(١) انظر: الوصية: ٣٢٩.
(٢) انظر: الوصية: ٢١١.
(٣) الوصية: ٤٠٣.
(٤) الوصية: ٤٠٥.

العصر العباسي، وثمة تشابه في الظروف التي تولىٰ فيها الثلاثة الحكم، ويمكن -من بعض كلام أبي جعفر- الخروج بنتيجة مؤداها إعجابُ المنصورِ بشخصية عبد الملك -أو قل بفلسفته في الحكم-، ولعل من ذلك ما نقل من قول أبي جعفر: (وشاركت عبد الملك في قول كثير:

يصدُّ ويغضي وهو ليث عرينةٍ وإن أمكنته فرصةٌ لا يقيلها)[1]

كما تقدمت شهادته له بأنه أقوىٰ ملوك بني أمية شكيمة، وأمضاهم عزيمة. وقد روي عنه قوله: (الملوك أربعة: معاوية، وعبد الملك، وهشام، وأنا)[2].

ويرىٰ أبو جعفر أن (السلطان حبل الله المتين، وعروته الوثقىٰ، ودين الله القيِّم)[3]، ولذا يشدد علىٰ ابنه بحفظه وحياطته وتحصينه، والذب عنه، والإيقاع بالملحدين، وقمع المارقين، وقتل الخارجين. وهذا الرأي يصور بوضوح شخصية أبي جعفر، الذي وُصِف بأن أمره كان جدًّا كله[4].

ويُعَدُّ أبو جعفر المنصور موطِّدَ حكم بني العباس، فـ(هو الذي أصَّل الدولة، وضبط المملكة، ورتب القواعد)[5]، وأخوه أبو العباس السفاح لم يلبث سوىٰ سنتين ثم توفي، لِيَلِي الأمر بعده أبو جعفر الذي كان مرافقًا لأخيه منذ البداية، ثم إن أبا جعفر حاول أن يَسُدَّ كل سبيل يمكن أن يُنال به من حكم بني العباس، ومن هنا كان تعامله الحازم -إن لم أقُلْ القاسي- مع مثل عمِّه عبدِ الله بن علي، وقائدِه أبي مسلم الخراساني، الذي حمل راية الثورة العباسية من خراسان، ولم يضعها حتىٰ

(١) جمل من أنساب الأشراف ٤/ ٢٥٥.
(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٤٦١.
(٣) الوصية: ٤٢١.
(٤) انظر: جمل من أنساب الأشراف ٤/ ٣٥٣.
(٥) الفخري في الآداب السلطانية ١٦٠.

أوصل العباسيين إلىٰ سدة الخلافة، ومحمدِ بن عبد الله العلوي، المسمىٰ بالنفس الزكية، وأخيه إبراهيم، وقضائه علىٰ الراوندية. ويلحظ في وصاياه تأكيد صيانة السلطان -أو الملك- بعمل كل ما يقتضي ذلك، فهو يقول لابنه: (واحكم بالعدل ولا تشطط؛ فإن ذلك أقطع للشغب، وأحسم للعدو، وأنجع في الدواء. وعفَّ عن الفيء... وإياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية، واشحن الثغور، واضبط الأطراف، وأمِّن السبل، وخُصَّ الواسطة، ووسع المعاش، وسكِّن العامة، وأدخل المرافق عليهم، واصرف المكاره عنهم... وأعدَّ الرجال والكراع والجند ما استطعت. وإياك وتأخير عمل اليوم إلىٰ غد فتتدارك عليك الأمور وتضيع. جدَّ في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولًا فأولًا، واجتهد وشمِّر فيها، وأعدد رجالًا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالًا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل، وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل، واستعمل حسن الظن بربك، وأسئ الظن بعمالك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقظ، وتفقد من يبيت علىٰ بابك، وسهِّل إذنك للناس، وانظر في أمر النزَّاع إليك، ووكِّل بهم عينًا غير نائمة، ونفسًا غير لاهية، لا تنَمْ فإنَّ أباك لم ينَمْ منذ ولي الخلافة، ولا دخل عينه غمضٌ إلا وقلبه مستيقظ، هذه وصيتي إليك، والله خليفتي عليك)[1]. وهو لا يني يكرر تلك المعاني في أكثر من وصية[2].

ويشوب وصايا أبي جعفر في هذا الصدد غيرُ قليل من الانفعال النفسي، ينمُّ عنه مدىٰ استحضاره واستيعابه لكل ما يُحفظ به الملك، في الداخل أو الخارج، مع الرعية أو الأعداء، مع اللصيقين بالخليفة والبعيدين عنه، والتعبير بدقة عن ذلك.

ولعل مما يكشف أيضًا عن ذلك الانفعال استفزازَ أبي جعفر ابنه بإبداء توقُّعه أنه لن يأخذ بشيء من وصاياه، ربما ليأخذ ابنه الأمر بجدية أكثر، ويبدو أن الوصية

---

(١) الوصية: ٤٢١.

(٢) انظر: الوصية: ٤٢٢.

التي تضمنت ذلك الاستفزاز متأخرة، فهو يقول: (إني لم أدع شيئًا إلا تقدمت إليك فيه، وسأوصيك بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها)[1]! وفي هذه الوصية أمره بجملة أمور يختم كل واحدة منها بقوله: (وما أظنك تفعل)، ونهاه عن جملة أمور ختم كلًّا منها بقوله: (وأظنك ستفعل).

وفي سبيل حياطة الملك يوصي أبو جعفر ابنه -في الوصية السابقة- بأن يُظهر كرامة أهل بيته ويقدِّمهم، ويعظِّم أمرهم، ويوطئ الناس أعقابهم، ويوليهم المنابر، فإن عزَّهم وذكرَهم له.

كما يوصيه أن ينظر مواليَه، ويحسن إليهم ويقرِّبهم ويستكثرَ منهم، فإنهم مادة لشدةٍ إن نزلت به.

ويوصيه بأهل خراسان خيرًا، فإنهم أنصاره وشيعته الذين بذلوا أموالهم في دولته، ودماءَهم دونها، ومن لا تخرج محبتُه من قلوبهم، ويأمره أن يحسن إليهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ويكافئهم علىٰ ما كان منهم، ويخلف من مات منهم في أهله وولده[2].

---

(١) الوصية: ٤١٩.

(٢) هناك من يرىٰ في رسالة الصحابة لابن المقفع نقدًا للواقع السياسي والاجتماعي في بداية دولة بني العباس، ودعوة للإصلاح، وطرح مقترحات لتنفيذه.
وحيث إن الرسالة كتبت ووجهت لخليفة عباسي، (أهلك -الله- عدوه، وشفىٰ غليله، ومكَّن له في الأرض، وآتاه ملكها وخزائنها) ص١٨٩، فإن أحمد أمين يميل إلىٰ أن الخليفة هو أبو جعفر المنصور، ويرىٰ من جهة أخرىٰ أن المنصور قد يكون أخذ -في بعض الجوانب- ببعض ما أشار به ابن المقفع. ويهمني في هذا الشأن الإشارة إلىٰ ما جاء في رسالة الصحابة من تذكير الخليفة بأمر الجند من أهل خراسان، الذين وصفهم بأنهم جند لم يدرك مثلهم في الإسلام، ثم عدد مناقب لهم، لكونهم أهل (بصر) بالطاعة، وفضل عند الناس، وعفاف نفوس وفروج، وكفٌّ عن الفساد، وذلٌّ للولاة. ثم أشار إلىٰ أن (هذه حال لا يعلمها تُوجد عند أحد غيرهم). ص١٩٤، فهل يمكن القول إن المنصور وقع تحت تأثير هذا القول في توصيته ابنه بأهل خراسان؟! أما أنا فلا أظن ذلك، وإن كنت أرىٰ أنه يمكن القول إن له صلة بوصية=

وفي وصية أخرىٰ يوصي بإكرام أهل بيته، لكنه يخصص، فيقول: (لا سيَّما من استقامت طريقتُه، وطهرت سيرتُه، وحسنت مودتُه منهم)، ويعلل ذلك بقوله: (فإن أقرب الوسائل المودة، وأبعد النسب البغضة)، ويجعل من ينبغي تشريفُه منهم، وإيطاءُ الرجال عقبَه، من كان من أهل الجزالة والفضل والعقل، معللًا ذلك بقوله: (فإنه لا يزال لأمر القوم نظام ما كانت لهم أعلام)، ويأمر بإدرار الأرزاق عليهم (فإن أكثر الناس مؤونة أعظمهم مروءة)[1].

=المهدي لابنه، تلك الوصية التي تظللها غيوم الشك!

وثمة توصية بالعامة، وتذكير بفتيان أهل بيت الخليفة وبني أبيه وبني العباس، الذين يصفهم ابن المقفع بأنهم (لو متعوا بجسام الأمور والأعمال سدُّوا وجوهًا، وكانوا عُدَّة لأخرىٰ). ص٢١٨، ويمكن أن يقال فيها ما يقال في التوصية بأهل خراسان. وقد سبق الحديث عن أبي جعفر في تيقُّظه، وبعد نظره، وثقافته، ونظرته للآخرين ما يجعله يملك رؤية مستقلة في الإصلاح، لا يحتاج معها لابن المقفع، الذي انتهت حياته -علىٰ ما قيل- بأمر من المنصور، وإن لم يمنع ذلك من استفادته منه! وربما عزز كلامي ما رواه جعفر بن سليمان عن المهدي أنه قال: (ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع). (أمالي الشريف المرتضىٰ ١/ ١٣٤-١٣٥)، فهل يخفىٰ علىٰ أبي جعفر ما ظهر لابنه؟! بغض النظر عن مدىٰ دقة ذلك الكلام عن ابن المقفع.

انظر: الكتب الآتية:

- الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة، دراسة وتحليل، يوسف أبو حلقة، منشورات مكتبة البيان، ودار القاموس الحديث، بيروت، ط٣، ١٩٦٤ م، ص١٤-٢٠، ٢١٨، ٢٢٢.
- ضحىٰ الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان، ط١٠، ج ١ ص٢٠٥-٢١٦.
- عبد الله بن المقفع، محمد غفراني الخراساني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون ط. ص١٦٦-١٦٨.
- دولة بني العباس، د/ شاكر مصطفىٰ، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٣ م، ج١ ص٥٠٢-٥٠٧.

(١) الوصية: ٤٢٠.

وتشكل الثورة، أو الشدة حسب تعبيره، هاجسًا ملحًا في وصايا أبي جعفر، فهو يوصي ابنه بـ(أخذ أهبة الأمر قبل حلوله، فإن ثمرة التواني الإضاعة)، ويأمره أن يكون عند رأس الأمر لا عند ذنبه، (فإن المستقبل لأمره سابق، والمستدبر له مسبوق). وهو يوصي ابنه بالتعامل بحزم عند مجرد شمِّه رائحةَ عدم الإخلاص فيقول: (وإذا اطَّلعت من خاصتك، وأهل نعمتك، علىٰ هوىً مفسد لنصيحتك فلا تُقِلْهُ عثرة، ولا ترعَ له حرمة، ودع الاغترار به، فإنك إذا اغتررت به كنت كمُدخِل الحية دون شعاره).

ويقرر المنصور أنه لا أمثلَ في الاحتياطِ من نقل الأخبار[1]. وهو يؤكد لابنه أهمية (ضبط الأطـراف)[2]، ويأمره بتفقد جيوشه (ليلَه ونهارَه)، وأن يكون علىٰ دراية مسبقة بـ(مراكزِ خيلِه، ومواطنِ رجِلِه)[3]. ويصرح المنصور لابنه بمخاوفه، بعد أن يضع بين يديه ما خلَّفه له من الاستعدادات الضخمة، فيقول: (يا بني، إني قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفةٌ قبلي، وجمعت لك من الموالي ما لم يجمعه خليفةٌ قبلي، وبنيت لك مدينة لم يكُن في الإسلام مدينةٌ مثلُها، ولست أخاف عليك إلا أحدَ رجلين: عيسىٰ بنَ موسىٰ، وعيسىٰ بنَ زيد؛ فأما عيسىٰ بن موسىٰ فقد أعطاني من العهود والمواثيق ما قبلته، والله لو لم يكُن إلا أن يقول قولًا لما خفته عليك، فأخرجْه من قلبك. وأما عيسىٰ بن زيد فأنفق هذه الأموال، واقتل هؤلاء الموالي، واهدم هذه المدينةَ حتىٰ تظفرَ به، ثم لا ألومُك)[4]! وهو في هذا السياق ينبهه للتعامل مع بعض الشخصيات، ويكيِّف له الموقفَ منها، حسب سماتها الشخصية، يقول: (أشبع العباسَ بنَ محمد، فإنك إن لم تشبعْه أكلك، وأما

(١) انظر: الوصية: ٤٢٨.

(٢) انظر: الوصية: ٤٢١.

(٣) انظر: الوصية: ٤٢٢.

(٤) الوصية: ٤٣٣.

محمدُ بنُ إبراهيم فإنه إذا قدر علىٰ فرج امرأته لم يفارقه، وإياك أن تولي محمدَ بن سليمان صعودَ المنبر فإنه إن صعده همَّ بالخلافة)[1]!

ثم إن المنصور يؤكد لابنه العناية بأمر العامة، ويكفي دلالة علىٰ ذلك تعبيره السابق عنهم: (وسكِّن الرعية)! وكأنهم قابلون للاضطراب، ولكنه يفسر له تسكينَهم بإدخال المرافق عليهم، وصرفِ المكاره عنهم. وهو في وصيةٍ أخرىٰ يوصي ابنه أن يستصلح الناسَ بـ(السيرة الحسنة، والسياسة الجميلة)[2]. وهو -وإن كان يرىٰ رضا الناس غايةً لا تدرك- يوصي ابنه بالتحبُّبِ إليهم، وأن يبذل في ذلك جهدَه، وأن يفضل عليهم، ويقصد بأفضالِه موضعَ الحاجة منهم، ويتفقد أمورهم، وأن يتفقَّد الصغيرَ تفقُّدَه الكبيرَ[3]. ولأن الصبرَ علىٰ سياسة الناس -حسب ما رسم المنصورُ لابنه- متعبٌ، لكنه هو سبيلُ النُّجْحِ، فإنه يوصي ابنه بقوله: (وعوِّد نفسك الصبر علىٰ التعب في إصلاح الرعية، وترك الهوينىٰ والدعة)[4].

والمنصور يرىٰ أنه (لا تدوم نعمةُ السلطانِ وطاعتُه إلا بالمال)[5]، ولعل هذا ما دعاه إلىٰ أن يجمع لابنه من بعده من الأموال ما إن مُنِعَ عنه الخراجُ عشر سنين -كما يقول- كان عنده كفايةٌ لأرزاق الجند والنفقاتِ وعطاءِ الذرية ومصلحةِ الثغور، ثم أمر ابنه بالاحتفاظ بها، مؤكدًا له أنه لا يزال عزيزًا ما دام بيتُ مالِه عامرًا[6]. ثم يؤكد له أن الأموالَ (عُدَّةُ الملوك، وبهاءُ السلطان، ونظامُ التدبير)، ويوصيه بتوفيرها، وأن ذلك يكون (بولايةِ أهلِ العفافِ عنها، والحيطةِ عليها)، ويأمره ألا يبتذلَها (إلا في

(١) الوصية: ٤٣٥.
(٢) الوصية: ٤٢٢.
(٣) انظر: الوصية: ٤٢٠.
(٤) الوصية: ٤٢٠.
(٥) الوصية: ٤٢٨.
(٦) انظر: الوصية: ٤١٩.

إصلاحِ أمورِ السلطان والرعية، وثوابِ أهلِ الطاعة والنصيحة)[١]، محذرًا من إعطاء (عطيةٍ تبطرُ الخاصَّ، وتؤسفُ العامَّ). وينبهه -في وصية أخرىٰ- علىٰ ضرورة إعداد الأموال وخزنها، ويحذره من التبذير، معللًا بـ(أن النوائب غير مأمونة، والحوادث غير مضمونة، وهي من شيمِ الزمان)[٢]. وفي وصية أخرىٰ يحذره من الاستئثار بالأموال وتبذيرها، وهو يعبر عن الأموال في ذلك السياق بأموال الرعية[٣]. وكان أبو جعفر يعيب علىٰ متأخري خلفاء بني أمية اطراحَهم صيانةَ الخلافة، خلافًا لأوائلهم الذين كانوا ضابطين لما مُهِّدَ لهم من السلطان، يحوطونه ويحفظونه[٤].

وللتخطيط المبني علىٰ التأمل والتفكير مكانةٌ مهمة عند المنصور، ويختزل ذلك في جملتين يطالب ابنه بهما، فيقول: (يا بني، خذ عني ثنتين: لا تقل بغير تفكير، ولا تعمل بغير تدبير)[٥]. ويقرر بحزم أنه (ليس العاقلُ الذي يحتال للأمر الذي وقعَ فيه حتىٰ يخرجَ منه، ولكنه الذي يحتالُ للأمر الذي غشيه حتىٰ لا يقعَ فيه)[٦]. وينبهه علىٰ أن إعمالَ الفكر في العملِ قبل الشروع فيه يكشف للإنسان محاسنَه ومساوئَه[٧].

والمشاورةُ هي (مادة الرأي) عند المنصور، ويوصِّف من ينبغي اختيارُهم للمشاورة، بأنهم (أهلُ اللب والرأي والصدق وكتمان السر)[٨].

(١) الوصية: ٤٢٠.
(٢) الوصية: ٤٢١.
(٣) انظر: الوصية: ٤٢١.
(٤) انظر: مروج الذهب ٣/ ٢٨٤.
(٥) الوصية: ٤٢٥.
(٦) الوصية: ٤٢٦.
(٧) انظر: الوصية: ٤٣٠.
(٨) الوصية: ٤٢٠.

وفيما يتعلقُ بمحاسبةِ المسيءِ وعقابِه فإن المنصورَ يرغِّبُ ابنَه في العفو، فـ(لذةُ العفوِ أطيبُ من لذةِ التشفِّي)[1]، (وأولىٰ الناسِ بالعفو أقدرُهم علىٰ العقوبة)[2]، بل إن (أقدرَ الناسِ علىٰ العفوِ أقدرُهم علىٰ العقوبة)[3]، وبالعفو تكون استدامةُ القدرة[4]، ويوصي المنصور ابنه بالمكافأة بالحسنة، والتجاوزِ عن السيئةِ (ما لم يكُن في ذلك ثلمُ دينٍ، ولا وَهَنُ سلطانٍ)، وأن يعاقبَ علىٰ قدرِ الذنبِ، وأن يعفوَ عن الخطأ، وأن يقيلَ العثراتِ (من أهلِ الحرمةِ والبلاءِ)، وأن يتركَ الانتقامَ (فإنه أسوأُ أفعالِ القادرِ، وقد استغنىٰ عن الحقدِ مَنْ عَظُمَ عن المجازات)[5].

ويضعُ المنصورُ نصْبَ عيني ابنه الأمورَ التي تؤدي إلىٰ زوال الملك، والأمورَ التي تؤدي إلىٰ ثباته، فيقول: (واعلم أن ذهابَ السلطانِ يُؤتىٰ من ثلاثة أمور: قلةِ الحزم، وضعفِ العزم، وفقدِ صالحي الأعوان، وأن ثباتَه بأربع خلال: المعرفةِ، وحسنِ التخير، وإمضاءِ الاختيار، وتنكبِ أهل الحرص، فإن الحريصَ يبيعك باليسير من حظِّه، وشَرَهُ الوزراءِ أضرُّ الأعداء، ومن خانك كذبك، ومن كذبك غشَّك)[6].

ولا يمكن إسدالُ الستار علىٰ وصايا المنصور، في الجانب السياسي والإداري، دون استعراض مواصفاتِ الحاجبِ في رأيه، ويختلف المنصورُ عن غيره في هذا الجانب، إذ لا يعرض الصفاتِ المطلوبةَ في الحاجب، وإنما يعرض الصفاتِ التي ينبغي أن تخلوَ ساحته منها، وهو لا يكتفي بعرض الصفات دون أن يتبعها بالتعليل[7].

---

(١) الوصية: ٤٢٤.
(٢) الوصية: ٤٢٩.
(٣) الوصية: ٤٣٢.
(٤) انظر: الوصية: ٤٣١.
(٥) الوصية: ٤٢٠.
(٦) الوصية: ٤٢٠.
(٧) انظر: الوصية: ٤٢٣.

والمهديُّ يوصي ابنه بضرورة مراعاة حاله بعد الخلافة، وأنها ليست كما هي قبلها، فعيون الناس ممدودةٌ إليه ترقب حاله، وأي خطأ يُرىٰ منه سينتشر، وربما ضُخِّم، ويؤكد له العناية بأهل خراسان، وهو أمر سبق أن أوصاه به والدُه، لكن ما يلفت النظر أن حاجةَ المهدي إليهم أقلُّ من حاجة والده، لاستقرار الأمور، ومع ذلك تعطيهم الوصيةُ بعدًا دينيًا، إذ إن لله في كل زمان عترةً من رسله، وبقايا من صفوة خلقه، وخبايا لنصرة حقِّه، يجدِّد حبلَ الإسلام بدعواهم، ويتخذهم لأولياء دينه أنصارًا، وهو ما ينطبق علىٰ أهل خراسان حسبما ورد في الوصية، التي جاء سياقها يفخِّم دورهم بصورة لافتة للنظر، وإن كانت الوصية ترجع لتربطَ مواطنَهم الصالحات، ووقائعَهم الصادقات، بجريهم مع رياحِ دولةِ بني العباس، التي أعز الله بها ذلَّتهم، وجعلهم أربابًا في أقطار الأرضين، بعد لباسِ الذُّل[1]، ثم يوصيه باستدعاء رضا العامة بالعدل، ويطرح عليه، في هذا الصدد، مقترحًا إداريًّا، يقول فيه: (أن تأمر قاضيَ كلِّ بلدٍ، وخيارَ أهلِ كلِّ مصرٍ، أن يختاروا لأنفسهم رجلًا تولِّيه أمرَهم، وتجعل العدل حاكمًا بينه وبينهم، فإن أحسنت حُمدت، وإن أسأت عُذرت)[2]، ويرىٰ أن ذلك سببٌ لانعقاد ألسنةِ المرجفين، وكَبْتٌ لقلوب الحاسدين، وإطفاءٌ لنيران الحروب. ثم يوصي ابنَه بتقريب نوعين من الرجال؛ أحدِهما كريم شريف من رجالات العرب، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح. والآخر له دين غير مغموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، يضع آدابًا نافعة، وآثارًا باقية من تجميل محاسن الخليفة، ويكون مستشارًا له في حروبه، ويدخله في أموره.

---

(١) أشرت في التعليق علىٰ الوصية إلىٰ ما يعتريها من شك.

(٢) الوصية: ٤٣٧.

وقد اشتهر المهدي إبان خلافته بالإمعان في مطاردة الزنادقة، والجِدِّ في طلبهم، واستمر علىٰ ذلك خوفًا من انتشار مبادئهم الهدامة، وخطرها الجسيم علىٰ العقيدة والدولة والأخلاق[1]، ولا شك أن الغفلة عن مثل هذه الحركات والعقائد أو التباطؤَ في قمعها له أثره الخطر علىٰ الوضع العقدي والسياسي، ولذا فحين قُدِّم بين يدي المهدي زنديق ضَرَبَ عنقَه، وراح يستثمر الحدث، ليؤكد لابنه الذي سيخلفه مدىٰ خطر الزنادقة، فيقول: (يا بني، إن صار لك هذا الأمر فتجرَّد لهذه العصابة... فارفع فيها الخشب، وجرِّد فيها السيف)[2].

ويوصي المأمون أبناءه بتقريب الثقات، وتكليفِهم بالأمور[3]. ويضرب لهم المثلَ بعلوِّ الهمَّة بمن حوله من وزرائه وخاصته، إذ لم يبلغوا مراتبَهم عنده إلا بأنفسهم، ويدعوهم إلىٰ الترفعِ عن دناءة الهمة، والتفرغِ لجلائل الأمور والتدبير، مؤكدًا لهم أن أقدامَهم إن لم تُقَدِّمهم فإن قائدَهم لا يستطيع ذلك! وأنَّ من يواليهم لا يغني عنهم شيئًا ما لم يعطوه حقَّه.

وحين توسعت الإدارةُ العباسية، وأُوسِع فيها للعناصر الفارسية، حدث صراعٌ بين العرب والفرس، بل هو بين العناصر الفارسية نفسِها أظهر، إذ كثرت الدسائسُ والمكايدُ والمؤامراتُ بين الوزراء والكبراء، للظفر ببعض المناصب التي تمنحُ الواحدَ منهم سلطاتٍ تجعل الناسَ يجتهدون في نيل رضاه، طمعًا بما تحت يده من مال أو منصب. ونتيجة لتلك الصراعات والدسائس أُريقت دماءٌ، وذهبت أنفسٌ بريئةٌ بتُهَمٍ هي أبعدُ ما تكون منها، وهنا نجد المأمون يجعل قبولَ

---

(١) انظر: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، د. علي عبد الرحمن العمرو، مطابع الدجوي، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ. ص٤٢٦-٤٢٧.

(٢) الوصية: ٤٣٦.

(٣) انظر: الوصية: ٤٠٨.

كلامِ الوشاة دنسًا ينبغي أن يطهِّرَ بنوه أحسابَهم منه، مؤكدًا أن (الثِّقةَ) لا يبلِّغ، ولا يشينُ بالوشاية قدرَه، أما المتَّهَمُ (فأهل أن يُتَّهم صدقُه، ويردَّ باطلُه)[1]، مبينًا لهم نظرتَه للوشاة، بأنه ما سعىٰ إليه رجلٌ برجلٍ قطُّ إلا انحطَّ من قدرِه عنده ما لا يتلافاه أبدًا. ولكنه مع ذلك يدعوهم إلىٰ ألَّا يَدَعُوا التحرِّيَ عما يُلقىٰ إليهم، مما يخشون رجوعَ ضررِه عليهم. وقد جاءت وصيةُ طاهر بن الحسين، صارمةً في التعامل مع النمامين، إذ يقول فيها: (وأقصِ أهلَ النميمة فإنَّ أولَ فسادِ أمرك، في عاجل الأمور وآجلِها، تقريبُ الكذَبَةِ وأهلِ الجرأةِ علىٰ الكذب، لأنَّ الكذبَ رأسُ المآثمِ والزورِ، والنميمةَ خاتمتُها، لأنَّ صاحبَ النميمةِ لا يسلمُ له صاحبٌ، ولا يستقيمُ لمطيعه أمرٌ)[2].

وثمة أمر يسترعي الانتباه هو التحذير من مجالسة السلطان، والهربِ منه، والتوفُّزِ الكاملِ في أثناء الجلوسِ علىٰ بساطِه، وهو أمرٌ قد يكون مردُّه النظرةَ الفارسيةَ للملوك، تلك النظرة التي انتقلت ثقافيًّا مع ما تُرجم عن الفارسية، وسلوكيًّا مع استئثار الفرس بالوزارة غالبًا، ولا سيَّما وقد غَلَبَ علىٰ الثقافة الفارسية العنايةُ بالسِّيَرِ وتدبير الممالك[3]. ومن يقرأ كتاب التاج المنسوب للجاحظ[4] يدرك التحوُّل الذي طرأ علىٰ النظرة إلىٰ الملوك، وكونها ثقافةً مستوردةً، وإن حاولتْ أن تؤكد ذاتَها عربيًّا في نُتَفٍ من أخبار الأمراء والملوك قبل العصر العباسي.

---

(١) الوصية: ٤٠٧. وانظر: الوصية: ٤٠٦.

(٢) الوصية: ٣٨٢.

(٣) انظر: كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص٢٠٩.

(٤) كتاب التاج في أخلاق الملوك، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق د. عبد الله الطباع، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون ط.

فالرشيد -وهو الخليفة- يوصي بنيه بقوله: (وتحاموا الأُنْسَ بالسلطان، وكلما رفع دونكم سترًا من الحشمة فاحتجبوا عنه بسترٍ من الإعظام، وكونوا أشدَّ ما يكون لكم بسطًا أشدَّ ما تكونون له هيبة)[١]. ومعنىٰ هذا أن تبقىٰ العلاقةُ مع الخليفة رسميةً جدًّا، وكأنَّ الخليفةَ حين يقترب من أحدٍ أو يبسُطُ له وجهَه إنما يريد اختبارَه. ونجاحُه في الاختبار حين يمعن في التهيُّب. وبهذا المفهوم لا غروَ أن يوصي ابنُ المقفع ابنَه بالاستغناء عن السلطان واعتزالِه في كل الحالات[٢]، (فإنه من يأخذه السلطان بحقه يَحُلْ بينه وبين لذة الدنيا، ومن لا يأخذه بحقه يكسبه الفضيحةَ في الدنيا، والوزرَ في الآخرة)[٣]. ويوصي الخطابُ بن المعلىٰ ابنه إنْ قرَّبه سلطانٌ أن يكونَ منه علىٰ حدِّ السنان! وإن استرسل إليه ألَّا يأْمَنَ من انقلابه عليه، وأن يرفق به رفقَه بالصبي! وأن يكلمه بما يشتهي، ويحذر الخطاب ابنه أن يدفعه ما يراه من إلطافِ السلطانِ إلىٰ أن يدخلَ بينه وبين أحد من أهله وحشمه، وإن كان لذلك منه مستمعًا، وللقول منه مطيعًا، (فإن صَرعةَ الداخل بين الملك وأهله صرعةٌ لا تنهض، وزلَّة لا تقال)[٤]، ويوجهه للتأدُّبِ بين يدي مائدة الملك، بما في ذلك عدمُ كثرةِ طلبِ الماءِ! ويبين لابنه أن مراجعةَ الملك خُرْقٌ، وإن كان يرىٰ أنَّ قُرْبَ ملكٍ جوادٍ خيرٌ من مجاورة بحرٍ طرَّاد.

(١) الوصية: ٣٦٥.

(٢) جاء الباب الرابع والأربعون من كتاب سراج الملوك للطرطوشي بعنوان: في التحذير من صحبة السلطان. وقال في أوله: (اتفقت حكماء العرب والعجم ووصاياهم علىٰ النهي عن صحبة السلطان). ثم نقل نقولات عن الفريقين، لكن المتأمل يجد ما نقل عن العرب من ذلك إما يتجه إلىٰ النهي عن الجرأة عليه وتعمُّد إغضابه، وإما تورعًا عن أن تؤدي صحبته إلىٰ مجاملته، وعدم إنكار ما يمكن أن يقع فيه من منكر. وللتأكد من ذلك يرجع إلىٰ كتاب الجليس الصالح والأنيس الناصح لسبط بن الجوزي، تحقيق د. فواز صالح فواز، رياض الريس للكتب والنشر، لندن. الباب العاشر في ذكر مواعظ السلف للولاة، ومن قبل أموالهم ومن لم يقبل.

(٣) الوصية: ٤١٧.

(٤) الوصية: ٣٦٣.

ولا يكاد الباحثُ يجدُ في وصايا ذلك العصر حديثًا عن آدابِ الدخولِ على الخلفاءِ ولقائهم بما يشعر كونه عادةً سائرةً، ولعل الوزراءَ الكبارَ من الفرس، الذين استوزرهم الخلفاءُ العباسيون، ووكلوا إليهم الأمورَ، هم من كان يحظى بتردُّدِ الناسِ عليهم، وربما إنهم، من طَرْفٍ خفي، كانوا يحجبون الناس عن لقاء الخلفاء، ولعل من أبرز أسباب نكبة البرامكة من قِبَلِ الرشيد، وقتلِ الفضلِ بن سهل من قِبَلِ المأمونِ هو شعورهما بتضاؤل دورِهما في مقابل تضخُّمِ دورِ أولئك، الذين باتوا يمثِّلون دورَ الخليفةِ الحقيقي[1].

ويشير يحيى بنُ خالدٍ البرمكي في حديثه مع بنيه -الذين تسنَّموا ذرا مناصبَ كبيرةٍ بتأثير نفوذ والدهم- إلى أنه لا بدَّ لهم من كتابٍ وعمالٍ وأعوانٍ، ثم يحدِّد لهم من يراه أهلًا لذلك، فيقول: (فاستعينوا بالأشراف، وإياكم وسفلة الناس)[2]، ويعلل ذلك بقوله: (فإن النعمة على الأشراف أبقى، وهي بهم أحسن، والمعروف عندهم أشهر، والشكر منهم أكثر).

وثمة توجيه لطيف من يحيى لابنه الفضل في أثناء ولايته خراسان، إذ قال له: (يا بني، لا تغفل نصيبك من الكسل)[3]، وقد علق ابنُ عبد ربه على ذلك بقوله: (وهذا حرفٌ جامعٌ... لأنَّ بالكسل تكون الراحة، وبالراحة يثوب النشاط، وبالنشاط يصفو الذهن، ويصدق الحس، ويكثر الصواب)[4]!

وثمة توجيهاتٌ إداريةٌ هي ألصق بإدارة الذات وترويضها منها بإدارة العمل، يمثِّلها ما ورد في وصية الخطاب بن المعلى من قوله لابنه: (العجلة شؤم، وسوء

---

(١) انظر: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول. ص٢٨٥، ٣٣٢.

(٢) الوصية: ٤٥٣.

(٣) الوصية: ٤٥١.

(٤) العقد الفريد ٦/ ٤٠٤.

التدبير وهن، ... وكن متقربًا، متعززًا، منتهزًا في فرصتك، رفيقًا في حاجتك، متثبتًا في حملتك، والبس لكل دهر ثيابه، ومع كل قوم شكلهم، ... ولا تعجل في أمر حتىٰ تنظر في عاقبته، ولا ترد حتىٰ ترىٰ وجهَ المصدر، ... وطولُ السفرِ ملالةٌ، وكثرةُ المنىٰ ضلالة)[١]، ومما يماثل هذه التوجيهات أيضًا ما ورد في وصية عبد الملك بن صالح لابنه من قوله: (من الفقه كتمان السر... وطولُ التجاربِ زيادةٌ في العقل... ومن شمَّر في الأمور ركبَ البحورَ... من أسرف في الأمور انتشرت عليه، ومن اقتصد اجتمعت له، ... البلادةُ في الرجلِ هُجْنَةٌ، قلَّ مالكٌ إلا استأثر، وقلَّ عاجزٌ إلا تأخر، الإحجامُ عن الأمور يورث العجزَ، والإقدامُ عليها يورث اجتلابَ الحظِّ.... الهيبةُ قرينُ الحرمانِ، والجسارةُ قرينُ الظَّفَرِ... اتباعُ الشهوةِ يورث الندامةَ، وفوتُ الفرصةِ يورث الحسرةَ)[٢].

وتأتي وصية طاهرِ بن الحسين التي كان الهدفُ منها (رسم المثل الأعلىٰ للحاكم العباسي المسلم. هي تصوير لما يجب أن يكون وليس لما هو كائن)[٣]. وقد كتبها لابنه بمناسبة تعيينِه واليًا علىٰ الرقة ومصر، وكأنها خطةُ عملٍ متكاملةٌ، ومنهجٌ مرسومٌ يمكِّنه من النجاح في ولايته بالتزام السير عليه، وقد وقعت الوصية بيدِ المأمون فأعجبَ بها كثيرًا، وعمَّمها علىٰ ولاتِه في الآفاق. وتشمل الوصيةُ الطويلةُ مفاصلَ الحكمِ كلَّها؛ فابتدأت بالإشارة إلىٰ لزوم التقوىٰ، والإشارةِ إلىٰ حفظِ الرعية كجزء من ذلك، فإذْ قلَّده اللهُ أمرَهم فهو مطالبٌ بفعل ما يصلح أحوالَهم، ومحاسبٌ عن التقصير في ذلك في الآخرة، وفي ذلك ما يبرز البعدَ الدينيَّ للولاية، ثم يتحدث عن أهمية التزام شعائر الدين في حياة الإنسان، وضرورةِ الحرص علىٰ أدائها علىٰ الوجه الأكمل، واستشعارِ القدوةِ في ذلك باعتبار المكانة، والاحتكامِ إلىٰ الكتاب

(١) الوصية: ٣٦٣.
(٢) الوصية: ٣٩٦.
(٣) دولة بني العباس، د. شاكر مصطفىٰ. ١/ ٥٠٣.

والسنة في كل ما يردُ من أمرٍ. والتزامُ ما مضىٰ مؤدٍّ إلىٰ رضوان الله تعالىٰ، ومدعاةٌ إلىٰ توقير الرعية للحاكم، والهيبةِ لسلطانه.

ثم يدعوه إلىٰ التزام الاقتصاد في الأمور كلِّها، فالقصدُ في شأن الدنيا يورثُ العزَّ، ولن يُصلِحَ أمورَه بأفضلَ منه، وأخذُه به يصلحُ خاصَّتَه وعامَّتَه.

ويؤكد حسنَ العلاقةِ بمن يعملون تحت يدِه، ويساعدونه في عملِه، وذلك بإحسانِ الظن بهم، مما يعينُ علىٰ اصطناعهم ورياضتِهم، وحسن الظن لا يمنع من التحري والبحثِ فيما يقومون به من عمل، والمحاسبةِ حرصًا علىٰ الوفاء بحاجات الناسِ التي يجب أن يكونَ قضاؤها آثرَ ما عند الوالي.

ثم يؤكد أهميةَ المسارعةِ إلىٰ إقامةِ الحدودِ علىٰ أصحابِ الجرائمِ، وخطرَ التواني في ذلك، وأهميةَ إقامةِ العدل، والحذرَ من الاغترارِ بقوةِ الولاية، والتسلطِ علىٰ الناس.

ثم يتحدثُ عن الجانبِ المالي، وأنَّ نماءَ الأموالِ الحقيقيَّ يكونُ في بذلِها لإصلاح واقعِ الرعية، مع التوفيرِ منها علىٰ أولياء أميرِ المؤمنين قِبَلَه، ويحثُّه علىٰ الجودِ الذي يراه أفضلَ أعمال العباد، ويدفعُه للتخلُّق به، ويحذِّره من البخل، فليس أسرع فسادًا من التعامل مع الرعية بالشحِّ، إذ يدفع ذلك إلىٰ كثرة الأخذ منهم، ومن ثم لا يستقيم له أمرٌ، لأن الرعية إنما تتعمق محبتُه في قلوبهم بالكفِّ عن أموالهم، وتركِ الجورِ عليهم.

ويتحدث عن مكانةِ القضاء، وأنه ميزانُ الله الذي تعتدل به أحوالُ الناس، وأن بإقامةِ العدلِ فيه تصلح الرعيةُ، وتأمنُ السبلُ، وينتصفُ المظلومُ. ويؤكد له إنصافَ الخصم، والوقوفَ عند الشبهة، ويحذره من المحاباة، ويذكِّره بأهمية التثبتِ والتأني والمراقبةِ والنظرِ والتدبرِ والتفكرِ والاعتبار، ويحذره من الإسراع في إراقةِ الدماء.

ثم يعرض لأمرِ الجندِ وضرورةِ تفقد دواوينهم، والتوسيعِ عليهم في معايشهم، لتزدادَ طاعتُهم.

ويوصيه بالعناية بأمرِ الخراج، الذي جعله الله عزًّا ورفعة للإسلام وأهله، وتوزيعِه بين أصحابه بالحق والعدل، والتسويةِ فيه بين الناس، فلا يُرفعُ عن شريفٍ لشرفه، أو غنيٍّ لغناه، أو أحدٍ من خاصة الأمير، ولا يُؤخذُ من أحدٍ فوقَ الاحتمال.

ولأن المهمةَ الرئيسةَ للحاكم هي القيامُ علىٰ مصالحِ الناس، فهم إنما سمُّوا رعيَّتَه لأنه راعيهم وقيِّمُهم، فيجب عليه أن يستعملَ عليهم في ولايته ذوي الرأي والتدبير والتجربة، والخبرةِ بالعمل، والعلمِ بالسياسة، والعفافِ. وينبهه علىٰ ضرورة التوسعةِ عليهم في الرزق.

ويُعَرِّج علىٰ أهميةِ نيةِ الإصلاحِ التي متىٰ توفَّرت درَّت الخيراتُ، وفشت العمارةُ، وظهر الخصبُ، وعاد ذلك علىٰ قوة علاقة الأمير بالجند والعامة، بإقامة العطاء فيهم.

ويؤكد ضرورة تعيين المراقبين الأمناء، في كل ناحية تابعة لولايته، ليوافوه بسِيَرِ عمالِه حتىٰ كأنه معهم، وحين يهمُّ باتخاذ قرارٍ فعليه بإطالة النظرِ فيه، وألا يكونَ ما يميل إليه مشوبٌ بهواه، وليراجعَ أهلَ العلمِ والبصرِ به، وليستعمل الحزمَ في كل ما أراد.

ويوجهه إلىٰ أن يكون جلساؤه ورجالُ حاشيتِه أحرارَ الناس وذوي الشرف منهم، بعد استيقان صفاءِ طويتهم، واصطفائهم، والإحسانِ إليهم، حاثًّا إياه علىٰ أن يجعلَ أكرمَ دخلائه وخاصَّته مَنْ إذا رأىٰ فيه عيبًا لم تمنعْه هيبتُه من إنهائه إليه في سرٍّ، فإن أولئك أنصحُ الأولياء. كما يؤكد له كثرةَ مجالسةِ العلماءِ ومشاورتهم.

ويوصيه بالعناية بحاجاتِ الطبقاتِ الفقيرةِ، من النظر في أمور الفقراء والمساكين، وتعاهد ذوي البأساء واليتامىٰ والأرامل والأضرَّاء، وتخصيصِ أرزاقٍ لهم من بيتِ المال، وتقديمِ حفظةِ القرآن منهم في ذلك علىٰ غيرهم، وبناءِ دورٍ لإيواء المرضىٰ، وتوفير ممرضين للقيام عليهم، وأطباء لعلاجهم.

ويوصيه بالتماس الأجر في الصبر علىٰ ما يناله من تعبٍ وضجرٍ بسبب كثرة ما يَرِدُ عليه مما يرفعه الناسُ إليه، ممن قد أعطوا حقوقَهم، لكنهم لا تطيبُ أنفسُهم دون رفعِها إلىٰ ولاتهم طمعًا في المزيد، وليكثر الإذن للناس، وليبرُز لهم، وليظهرْ لهم البشرَ واللين، وليجُدْ عليهم بسماحةٍ ودونَ منٍّ.

ويختم وصيَّته بضرورة المحاسبةِ والحزمِ مع عمَّالِه وكتَّابِه الذين بحضرته؛ فيخصص لكل رجل منهم وقتًا ليعرضَ عليه كتبَه ومؤامراتِه، وما عنده من حوائجِ العمالِ ومطالبِ أهالي المدن والقرىٰ، وأن يُفَرِّغ لما يورده عليه من ذلك سمعَه وبصرَه وفهمَه وعقلَه، فما كان موافقًا للحزم أمضاه، وما كان مخالفًا لذلك صرفه إلىٰ التثبُّتِ فيه، والمسألة عنه.

وتتكرر في ثنايا الوصية ثلاثةُ توجيهاتٍ، هي الحرصُ علىٰ العمل الصالح المقرِّب إلىٰ الله، والعنايةُ التامةُ بصيانة السيرة الشخصية، والاجتهادُ في تيسير أمورِ الرعية[1].

وفي وصايا العصر العباسي تردُ ثلاثُ وصايا لها صلةٌ بالجانب العسكري، وليس من بينها واحدةٌ لخليفة، ربما لأن المهامَّ القتاليةَ بعدَ استقرارِ الملك يندرُ أن يقومَ بها الخليفةُ أو أحدُ بنيه، كما كان يجري أحيانًا في العصر الأموي، وإنما هي من مسؤوليةِ القائدِ الأعلىٰ للجيش.

---

(١) انظر: الوصية: ٣٨٢.

وتمرُّ إحدىٰ هذه الوصايا علىٰ موضوعِ القتال مرورًا عارضًا، باعتبار الخطَّاب ابنِ العلىٰ صاحبِها يعالج -في وصيته لابنه- مختلفَ الجوانبِ الحياتيةِ، والقتالُ واحدٌ منها، ولذا فهو يوجزُ الحديثَ في جملتين قصيرتين، تحملان معنيين عميقين، يقول فيهما: (والفرارُ عارٌ، والتَّقدُّمُ مخاطرةٌ)[1]. وتؤكد الوصيتان الأخريان المكيدةَ في الحرب، يقول أبو السرايا لابنه: (يا بني، كن بحيلتك أوثقَ منك بشدتك، وبحذرك أوثقَ منك بشجاعتك، فإنَّ الحربَ حربُ المتهوِّرِ، وغنيمةُ الحذرِ)[2]. ويذكِّر عبد الملك بن صالح ابنه، الذي يقودُ سريَّةً لقتال الروم، بأنَّ أرواحَ المسلمين أمانةٌ معه، وأنه يتاجر بها، وينبغي أن يكون ذكيًّا في تجارته، فإن وجدَ رِبحًا مضىٰ، وإلا احتفظَ برأسِ المالِ، ثم يوصيه أن يكونَ من احتيالِه علىٰ عدوِّه أشدَّ خوفًا وحذَرًا من احتيالِ عدوِّه عليه[3].

---

(١) الوصية: ٣٦٣.

(٢) الوصية: ٣٧٠.

(٣) انظر: الوصية: ٣٩٥.

الجمع والتوثيق

وصايا العصر الجاهلي

[١] أوصى أسلم بن أفصى الخزاعي[١] فقال:

(يا بني، اتقوا ربكم في الليل إذا دَجا[٢]، وفي النهار إذا أضاء[٣]، يكفكم كلَّ ما تخافون[٤] ويُتقىٰ، وإياكم ومعصيتَه، فإنه ليس لكم وراءه وَزَرٌ[٥]، ولا لكم دونه محتَضَر[٦]، يا بني، جودوا بالنوال[٧]، وكفوا عن السؤال، يا بني، إنكم إن وهبتم قليلًا فسيعود لكم نُحْلًا[٨]، فلا تمنعُنَّ سائلاً محقًّا كان أو مبطلاً، فإن كان محقًّا فلا تحرموه [وإن كان في حال عِلَّةٍ فإنها تسد منه خَلَّةً][٩]، وإن كان مُبْطِلاً فقد أذهب[١٠] خَفَرَه[١١]، وصَرَّح[١٢] الحياءُ عن بصره فأعطوه، ولا تماروا[١٣] عالمًا ولا جاهلًا؛

(١) **صاحب الوصية**: أسلم بن أفصىٰ بن حارثة (أو عامر) بن قمعة بن إلياس بن مضر، جدٌّ جاهلي، انخزع (تخلَّف) بعض بنيه مع خزاعة. انظر: نسب معد واليمن الكبير ٢/٤٥٦، والاشتقاق ٤٧٧، ونهاية الأرب ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) دجا: أظلم.

(٣) في أنس المحزون: أضحىٰ، وهما بمعنىٰ.

(٤) في التذكرة الحمدونية وأنس المحزون: يخاف. ولعله أولىٰ.

(٥) ضبطها محقق نثر الدر: وِزْر. والوِزْرُ: الذنب. والأولىٰ وَزَر، وهو ما ضبطها به محققا التذكرة الحمدونية وأنس المحزون. والوَزَرُ: الملجأ والمعتصم.

(٦) في التذكرة الحمدونية: معتصر. وفي أنس المحزون: ولا دونه معتصم. المعتصر: الملجأ والملاذ، من عاصر فلان فلانًا: لجأ إليه ولاذ به. والمحتضر: لعله المهرب، من احتضر الفرس إذا عدا.

(٧) النوال: العطاء.

(٨) النحل: العطاء.

(٩) زيادة من التذكرة الحمدونية يقتضيها السياق. والخلة: الحاجة.

(١٠) في التذكرة الحمدونية: ذهب.

(١١) الخَفَرُ -بالتحريك-: شدة الحياء.

(١٢) صرَّح: انكشف.

(١٣) تماروا: تناظروا وتجادلوا.

فإن العالم يحجُّكم[١] فيغلبَكم، وإن الجاهل يلجُّكم[٢] فيغضبَكم، فإذا جاء الغضبُ كان فيه العَطَبُ[٣]، وإياكم والفجورَ بِحُرَم الأقوام، فإنه قلما انتهك رجلٌ حرمةً[٤] إلا ابتُلي في حرمته. وإياكم وشربَ الخمر، فإنها متلفةٌ للمال، طَلَّابة لما لا يُنال، وإن كان فيها صلاحُ البدن فإن فيها مفسدةً للعقل. وإياكم والاختلاف، فإنه ليس معه ائتلاف، ولا يكوننَّ لكم جارُ السوء جارًا، ولا خِدْنُ[٥] السوء زوّارًا، وعليكم بصلة الرحم تكثرْ أموالُكم، ولا تقطعوها فتعفوَ[٦] من دياركم آثارُكم، وإياكم والعجزَ والتواني[٧]، فإنهما يورثان الندامةَ، ويكثران الملامةَ، يا بني، أنتم مثل شجرة ثابتة[٨] الأركان، ملتفَّة الأغصان، ولا تختلفوا فتذبلَ[٩] الأغصان، وتجفَّ[١٠] الشجرة، فتكونوا أشلاءً[١١] بكلِّ مكان. يا بني، قد أتت عليَّ مائتا[١٢] سنة ما شَتَمْتُ ولا شُتِمْتُ، ولا قُلت من لومٍ: ماذا صنعت؟ خذوا بوصيتي تسلموا، ولا تخالفوا فتندموا)[١٣].

---

(١) يحجُّكم: يغلبكم بالحجة. والحجة: البرهان.

(٢) في نثر الدر: يلحكم. ولا معنىً لها. ويلجُّكم: يتمادىٰ في الجدل معكم.

(٣) العطب: الهلاك.

(٤) انتهك حرمته: تناولها بما لا يحل. والمراد: فعل الفاحشة.

(٥) في التذكرة الحمدونية: خدين. والخدن والخدين: الصديق.

(٦) في نثر الدر: ولا تقطعوا فتعْفُ. ولا وجه لجزم الفعل. وتعفو: تزول وتمَّحي. وفي التذكرة الحمدونية: فتعفو من دياركم وآثاركم.

(٧) التواني: التقصير والفتور.

(٨) في نثر الدر: نابتة. ولا وجه لها، ولعله تصحيف.

(٩) لعلها: فلا تختلفوا. وفي التذكرة الحمدونية: فاجتمعوا ولا تفرقوا فيطمع الناس فيكم فتفرق الأغصان.

(١٠) في التذكرة الحمدونية: فتعجف. وعجف: هزل ورقَّ.

(١١) في التذكرة الحمدونية: مثلًا. وأشلاءً: متفرقين.

(١٢) في نثر الدر: مائتي سنة!

(١٣) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٤٠٣، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٥-٣٤٦. كما ورد جزء من أولها: (يا بني... معتصم) في أنس المحزون، ص٢٣٣.

[٢] قال أُسيِّد بن أوس التميمي[(١)] يوصي بنيه:

(يا بني إني رأيت مطَّلعًا[(٢)] تزايلتْ حجارتُه، وقد رأيته أملسَ ليس فيه صَدْعٌ[(٣)]، وأريت الدهر فَلَّ[(٤)] الصخور، فليقتربْ بعضُكم من بعضٍ في المودة، ولا تتكلوا علىٰ القرابة، فإن القريبَ من قرَّب نفسَه، والأمور بَدَوَات[(٥)])[(٦)].

[٣] وصَّى أكثم بن صيفي[(٧)] بنيه ورهطه فقال[(٨)]:

(يا بني تميم، لا يفوتنَّكم وعظي إن فاتكم الدهرُ بنفسي، إن بين حيزومي[(٩)]

---

(١) **صاحب الوصية**: أسيِّد بن أوس التميمي، جاهلي معمَّر، قاد قومه في حجة الغدر عام قاتلوا أبا كرب بن زيد بن حسان بن تبع. انظر: المعمرون ص٧٤.

(٢) المطَّلع: مكان الاطلاع (المكان المشرف -المرتفع -الذي يطَّلع منه)، وفي وصية أكثم بن صيفي: ولقد رأيت جبلًا مطلًا. وتزايلت: تفرقت.

(٣) أملس: ناعم الملمس خالٍ مما يستمسك به. صدع: شق.

(٤) فلَّ: ثلم وكسر.

(٥) البدوات: جمع بداة، الرأي يسنح.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في المعمرون ص٧٤. وقد ورد منها قوله: (إني رأيت... صدع) ضمن وصية (٧) لأكثم بن صيفي، كما أن قوله: (فليقترب... المودة) قريب جدًا من وصية (٩) لأكثم أيضًا.

(٧) **صاحب الوصية**: أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي، من أبرز حكماء العرب في الجاهلية، عُمِّر طويلًا، وقد روي أنه خرج في نفر من قومه يريد القدوم علىٰ النبي ﷺ فمات في الطريق. ويقال: إن قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] نزلت فيه. أُثِرَ عنه جملة كبيرة من الحكم والوصايا.
انظر: الوصايا ١٤-٢٤، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٣٨-٣٣٩، وسرح العيون ٣١-٣٤، والإصابة ١/ ٢٠٩- ٢١٤، وجمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٨٦.

(٨) انفرد بهذه المقدمة شرح نهج البلاغة.

(٩) الحيزوم: الصدر أو وسطه.

لبحرًا من الكَلِمِ[1]، فتلقَّوها[2] بأسماعٍ مصغيةٍ، وقلوبٍ واعيةٍ تحمدوا عواقبَها[3]: إن الهوىٰ يقظان، والعقلَ راكد[4]، والشهواتِ مطلقةٌ، والحزمَ معقولٌ، والنفسَ مهملةٌ، والرَّوية[5] مُقَيَّدَةٌ، ومن جهة التواني وتركِ الرويَّةِ يتلفُ الحزمُ[6]، ولن يَعْدَمَ المشاورُ مرشدًا، والمستبدُّ برأيه موقوفٌ علىٰ مداحضِ الزللِ[7]، ومن سَمَّعَ سُمِّعَ به[8]، ومصارع الألباب تحت ظلال الطمع[9]، ولو اعتُبِرتْ[10] مواقع المحن ما وُجدت إلا في مقاتل[11] الكرام، وعلىٰ الاعتبار[12] طريقُ الرشاد، ومن سلك الجَدَدَ أمن العِثار[13]، ولن يَعَدَمَ الحسودُ أن يُزعِجِ قلبَه[14]، ويَشْغَلَ فكرَه، ويُـورثَ[15] غيظه، ولا يجاوز ضرُّه نفسَه[16]. يا بني تميم، الصبر علىٰ تجرُّع

(١) في سائر المصادر: إن بين حيزومي وصدري. وبعدها فيها: لا أجد له مواقع إلا أسماعكم، ولا مقارًّ إلا قلوبكم.، وفي الأخير: لكلامًا.

(٢) في شرح النهج: فتلقَّوه. وفي البصائر والذخائر ونثر الدر والتذكرة الحمدونية: صاغية.

(٣) في شرح النهج: مغبته. وهي بمعنىٰ: عاقبته وآخره.

(٤) في شرح النهج: راقد.

(٥) الروية: النظر والتفكير في الأمور.

(٦) في نثر الدر: ومن يجهل التواني ويترك الرويَّة يُتلِف الحزم.

(٧) المداحض جمع مدحضة: المزلقة. والزلل: الخطأ.

(٨) سمع: اسمع غيره القبيح وشتمه، أو أذاع عنه عيبًا وشهره وفضحه.

(٩) في شرح النهج: مصارع الألباب تحت بروق.

(١٠) اعتبرت: بحث عنها (المعتبر: المستدل بالشيء علىٰ الشيء).

(١١) مقاتل: أماكن القتل.

(١٢) الاعتبار: التدبر والاتعاظ.

(١٣) الجَدَد: الأرض المستوية. والعثار: السقوط.

(١٤) في سائر المصادر: أن يتعب. وزاد سرح العيون: والسكوت عن الأحمق جوابه. ويزعج: يقلق.

(١٥) في التذكرة الحمدونية: ويُؤرِّث. ويورَث بفتح الراء: يُترَك: أي يترك غيظُه له ولا يتعدىٰ غيره. وبكسر الراء: أي يورِّثه أبناءه فتستمر الحسرة! وفي البصائر والذخائر: ويوري. وفي نثر الدر: ويثير غيظه.

(١٦) في شرح النهج: ولا تجاوز مضرته.

الحلم أعذب من جَنْي[1] ثمر الندم، ومن جعل عرضَه دون مالِه استهدف[2] للذم، وكَلْمُ اللسانِ أنكأ[3] من كَلْمِ الحسام[4]، والكلمة مربوبة[5]، ما لم تَنْجُمْ[6] من الفم، فإذا نجمت فهي سَبُعٌ مُحَرَّب[7]، ونارٌ تَلَهَّب، ولكل خافيةٍ مُخْتَفٍ[8]، ورأيُ الناصح اللبيب دليلٌ لا يجور، ونفاذ الرأي في الحرب أنفذ[9] من الطعن والضرب)[10].

---

(١) في البصائر والذخائر والتذكرة الحمدونية: جُرَع، وفي نثر الدر: جَرْع، وفي البصائر: ثمرة، وفي شرح النهج: الندامة. تجرَّع: بلع، ويقال: جرع الغيظ: كظمه. الجني: القطف والتناول من الشجر.

(٢) استهدف للذم: أصبح هدفًا له.

(٣) في سائر المصادر: أنكىٰ. ونكىٰ العدو، وفيه: أوقع به، وهزمه وغلبه. وأنكأ: أشد نكاية. ونكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ فنديت، ونكأ العدو: جرحه وقتله. الكلم: الجرح.

(٤) في شرح النهج: السنان. والحسام: السيف القاطع. والسنان: حديدة الرمح.

(٥) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية: مزمومة، وفي شرح النهج: مرهونة. ومربوبة: مملوكة، من ربَّ الشيء: ملكه. ومرهونة: محبوسة مكفوفة، من قولهم: رهنت لساني: كففته وحبسته. مزمومة: زمَّ الشيء شدَّه، والزمام: ما زُمَّ به، وزممت البعير: علقت عليه الزمام، أي قد وُضع عليها ما يمنع خروجها.

(٦) تنجم: تظهر.

(٧) سبع مُحَرَّب [هكذا ضبطها محقق التذكرة الحمدونية، وهو الأولىٰ في المعنىٰ وفي اتفاقها مع ما بعدها إيقاع]: شديد الغضب كأن بينه وبين من لقيه عداوة وحربًا. وسبع مِحْرَب: [وكذا ضبطها محققا جمهرة الأمثال ونثر الدر]، يقال: رجل حَرْب ومِحْرَب ومحراب: شديد الحرب شجاع. وفي البصائر والذخائر: حَرِب.

(٨) لعله يعني أن كل كلمة، وإن أخفيت وظن صاحبها بشدة إخفائها أنها لا تعلم، فإن هناك من يعلمها، وهو الله ﷻ.

(٩) في شرح النهج: أجدىٰ. أي: أنفع. وأنفذ: أمضىٰ.

(١٠) التوثيق: وردت الوصية في جمهرة الأمثال ٢/ ٢٥٦-٢٥٧، كما وردت في البصائر والذخائر ١/ ١٥٤-١٥٥، ونثر الدر ٦/ ٣٩١-٣٩٢، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٣، وشرح نهج البلاغة ١٧/ ١٢٠-١٢١. ووردت -باختصار- في سرح العيون ٣٣، وفيه: (ومما صحَّ من أمثاله -علىٰ ما رواه ابن دريد عن أبي حاتم- قوله: ...).

[٤] وقال أكثم:

(يا بني، لا حِكمةَ إلا بعصمة[1]، ولا تكونوا كالكلب، أحبُّ أهلِه إليه الظاعنُ[2]، أرىٰ الكَيْسَ[3] نصفَ العيش، ولا تعنفوا برفقة طلبًا لِرَزْقَةٍ[4]، ولا دواءَ لمن لا حياء له، وفي كل صَباحٍ صَبُوحٌ[5]، واذلل للحق تعززْ[6]، ولا تَجْرِ فيما لا تدري[7]، وفي الاعتبار غنىٰ من الاختبار[8]، وكل ما يُبذَل يحْمَدُ، وإنما يُمَسَّكُ من استمسك[9]، وكاد ذو الغربة يكون في كُرْبَةٍ[10]، والمنية تأتي علىٰ البقية، واستر سوءةً[11] لما

---

(١) لعل المراد لا حكمة مطلقة إلا لشخص معصوم، وهو ما لا يتوفر للبشر سوىٰ الأنبياء. وقد يكون مراده بالعصمة الامتناع، ويأتي علىٰ معنىٰ ملْك زمام النفس، أو من عصام القربة والدلو والإداوة، وهو الحبل الذي تشدُّ به، ويكون علىٰ معنىٰ الارتباط بالآخرين، والتواصل معهم. أو يكون المراد التميُّز، كما يطلق علىٰ البياض في ذراع الوعل عصمة.

(٢) الكلب أحبُّ أهله إليه الظاعن، مثل قال عنه أبو هلال، في جمهرة الأمثال ١/ ١٦٥: (يضرب مثلًا للرجل يحب الشخوص، ولا يكاد يستقر، والكلب إذا خفَّ أهلُه هشَّ وتبع الظاعن منهم). وفي مجمع الأمثال ١/ ٣٦٥: (وذلك أنه إذا سافر ربما عطبت راحلته فصارت طعامًا للكلب، يضرب للقليل الحفاظ كالكلب يخرج مع كل ظاعن ثم يرجع). وفي المستقصىٰ ١/ ٩٥ قريب من ذلك، وبعده: (يضرب في الطماع).

(٣) الكيس: العقل والفطنة.

(٤) الرَّزْقة: الرزق.

(٥) الصَّبُوح: شراب الصباح، وما يؤكل أو يشرب في الصباح، وهو خلاف الغبوق.

(٦) تعزز: تصبح قويًا عزيزًا.

(٧) لا تجر: لا تندفع وتسارع. تدري: تعلم.

(٨) الاعتبار: الاتعاظ (أخذ العبرة من الغير). الاختبار: التجربة.

(٩) أي: إنما يُرمىٰ بالبخل (الاستمساك) من منع ما عنده، ولو قليلاً.

(١٠) ذو الغربة: البعيد عن وطنه. الكربة: الحزن والغم المستوليان علىٰ النفس.

(١١) السوءة: العيب. أي: لا تنظر في عيوب الناس وتذيعها ففيك عيوب سيلتفتون إليها ويعيِّرونك بها.

تعرف فيك، والذئب مغبوط بذي بَطْنِه[1])[2].

[٥] دعا أكثم بن صيفي أولاده عند موته:

(فاستدعىٰ بضِمَامَةٍ[3] من السهام، وتقدَّم إلىٰ كل واحد أن يكسرَها، فلم يقدرْ أحدٌ علىٰ كسرها، ثم بدَّدَها[4]، وتقدم إليهم أن يكسروها، فاستسهلوا كَسْرَها، فقال: كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم)[5].

[٦] وقال أكثم بن صيفي لولده[6]:

(ذلِّلوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلىٰ المحامدِ، وعلِّموها المكارمَ، ولا تُقِيموا[7] علىٰ خُلُقٍ تذمُّونه من غيركم، وصِلُوا من رَغِبَ إليكم، وتَحَلَّوا بالجود يكسبْكم[8] المحبةَ، ولا تقتعدوا[9] البخلَ فتتعجلوا[10] الفقرَ)[11].

---

(١) هذا مثل. وذو بطنه: ما في بطنه. وذلك أن الذئب ليس يُظَنُّ به الجوع أبدًا، إنما يُظَنُّ به البِطْنَة؛ لأنه يعدو علىٰ الناس والماشية، أو لأنه عظيم البطن أبدًا، لا يبين عليه الضمور، وإن جهده الجوع. (انظر: مجمع الأمثال ٢/ ٨).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المعمرون (١٨).

(٣) الضِّمامة: الحزمة.

(٤) بددها: فرَّقها.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في محاضرات الأدباء ١/ ٣٥٧، وقريب من ذلك ما نسب إلىٰ قيس بن عاصم المنقري (انظر وصيته).

(٦) لولده: انفرد بها غرر الخصائص الواضحة.

(٧) في نهاية الأرب: ولا تقيموها.

(٨) في غرر الخصائص: وتخلقوا... يلبسكم.

(٩) في المصدرين السابقين: تعتقدوا. وتقتعدوا البخل: أي تتخذوه مطية.

(١٠) في نهاية الأرب: تتعجلوا.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ١/ ٢٤٣-٢٤٤، ونهاية الأرب ٣/ ٢٠٥، وغرر الخصائص الواضحة ١٤.

[٧] قالوا: وجمع أكثم بن صيفي بنيه[١]، فقال:

(يا بني، قد أتت عليَّ مائتا سنة، وإني مزوِّدُكم من نفسي[٢]؛ عليكم[٣] بالبر فإنه يُنْمي[٤] العددَ، وكفُّوا ألسنتكم فإن مقتلَ الرجلِ بين فكيه، إن قولَ الحقِّ لم يَدَعْ لي صديقًا، [الصدقُ منجاةٌ][٥]، وإنه لا ينفع من الجزعِ التَّبَكِّي[٦]، ولا مما هو واقع التوقِّي[٧]، وفي طلبِ المعالي يكون الغَرَرُ (ويقال: يكون العَوَرُ)[٨]، الاقتصادُ في السعي أبقىٰ للجِمال[٩]، ومن لا يأسىٰ علىٰ ما فاته وَدَّعَ بَدَنَه[١٠]، ومن قنع بما

---

(١) **مناسبة الوصية:** (لما حضرت أكثم بن صيفي الوفاة جمع بنيه وقال: ....). كتاب الفاضل ١٤٦.

(٢) جاءت مقدمة الوصية في كتاب الفاضل: (يا بني إن الدهر قد أدبني، وقد أحببت أن أؤدبكم وأزودكم أمرًا يكون لكم بعدي معقلًا).

(٣) في سائر المصادر: تبارُّوا فإن البر.

(٤) في كتاب الفاضل: ينسئ في الأجل، ويكثر عليه العدد. وفي مجمع الأمثال: يبقي. ينسىء: يؤخر. وينمي: يزيد.

(٥) زيادة في سائر المصادر.

(٦) هذه الجملة ساقطة من سائر المصادر. وقد أوردها أحمد زكي صفوت: لا ينفع مع الجزع التبقي.

(٧) التوقي: الحذر والتجنب.

(٨) في الفاخر والفاضل: الغنىٰ، وفي مجمع الأمثال [وهو ناقل عن الفاخر]: العناء. أي التعب. والعَوَر: الشين والقبيح، ولعل المراد أن طالب المعالي سيواجه الشين والقبيح كمصاعب في طريق طلبها. وربما إن العور من عاره أي: أتلفه وأهلكه، أي أن المعالي تحتاج إلىٰ المخاطرة. وربما كان من أعور الفارس: بدا فيه موضع خلل للضرب والطعن، ومعناه غير بعيد عن سابقه. والغرر: الخطر والتعرض للهلكة.

(٩) في الفاخر ومجمع الأمثال: للجمام. وفي الفاضل: والاقتصار [لعله تصحيف عن الاقتصاد] في السفر أكفأ! والجمام: القوَّة.

(١٠) يأسي: يحزن، وَدَّعَ بَدَنَه: من الدعة، وهي الراحة، أي أراح بدنه. انظر: جمهرة الأمثال ٢/٢٤٩.

هو فيه قرَّتْ عينُه[1]، التقدمُ قبل التَّنَدُّمِ[2]، أن أصبحَ عند رأسِ الأمر أحبُّ إليَّ من أن أصبح عند ذنبِه[3]، لم يهلكْ من مالك ما وعظك، ويلٌ لعالم أمرٍ من جاهلِه[4]، الوحشةُ ذهابُ الأعلام (أي: العظماء)، ويتشابه الأمرُ إذا أقبل، فإذا أدبر عرفه الأحمقُ والكيِّسُ[5]، البَطَرُ عند الرخاء حُمْقٌ[6]، والجزع عند النازلة آفةُ التجمُّل[7]، ولا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثيرَ[8]، ولا تجيبوا فيما لا تسألون عنه، ولا تضحكوا مما لا يُضْحَك منه، تناءوا[9] في الديار لا تباغضوا، فإنَّ من يجتمع يتقعقعُ عَمَدُه[10] (أو عُمُدُه، يقالان جميعًا).

ولقد رأيت جبلًا مُطِلًّا تزايلُه[11] حجارتُه، ولقد رأيته أملس ما فيه صَدْعٌ[12]،

---

(١) قرَّت عينه: سُرَّ ورضي.

(٢) في الفاضل: والتندم قبل التقدم!

(٣) في الفاخر: رأس أمرٍ... ذنبٍ.

(٤) في الفاضل: ويل للعالم من الجاهل.

(٥) في الفاضل: عرفه العالم والجاهل. والكيِّس: العاقل الفطن.

(٦) في الفاضل تصحفت إلىٰ: النظر عند الرجاء حمق! والبطر: الاستخفاف بالنعمة وكفرها.

(٧) في الفاخر ومجمع الأمثال: والعجز عند البلاء أفن. والأفن: نقص العقل. وفي الفاضل: والعجز عند البلاء آفة التحمل. وتصحُّفُ الكلمةِ الأخيرةِ ظاهرٌ.

(٨) في الفاضل: لا تقصروا من اليسير فإنه يحسن الكثير. والتحريف فيها ظاهرٌ.

(٩) تناءوا: تباعدوا.

(١٠) في مجمع الأمثال: يقعقع عنده. يقال: قعقعت عمد القوم: أي ارتحلوا، والقعقعة: إحداث صوت عند التحريك أو التحرك. ويقال فلان لا يقعقع له بالشنان: أي لا يخدع ولا يُرَوَّع. والعَمَد أو العُمُد جمع عمود. وعمود الأمر: قوامه الذي لا يستقيم إلا به. ويقال: استقاموا علىٰ عمود رأيهم: أي علىٰ وجهٍ يعتمدون عليه.

(١١) مطل: مشرف عالٍ مرتفع. تزايله: تفارقه.

(١٢) أملس: ناعم الملمس، خالٍ مما يستمسك به. صدع: شق.

ألزموا النساءَ المَهَانَةَ(١)، ولنعم لهوُ الحرَّةِ المغزلُ(٢)، وأحمقُ الحمقِ الفجورُ، وحيلةُ من لا حيلةَ له الصبرُ، إن كنتَ نافعي فَوَرِّ(٣) عني عينَك، إن تعشْ ترَ ما لم ترَ، قد أقرَّ صامتٌ، المكثارُ(٤) كحاطب الليل، ومن أَكْثَرَ أسقَطَ(٥)، والسَّرْوُ الظاهرُ الرياشُ(٦). لا تبولوا علىٰ أَكَمَةٍ(٧)، ولا تفشوا(٨) سرًّا(٩) إلىٰ أَمَةٍ(١٠). من لم يرجُ إلا

(١) في الفاضل: المهابة. والمهانة: الذل. والمهابة: الهيبة. وعدَّ أحمد زكي صفوت (المهانة) تصحيفًا! وصححها بـ(المهابة)، وفسرها: أي يهبنكم ويوقرنكم. وقد ورد في نثر الدر (المهنة) وعدَّها المحقق تحريفًا متابعة -كما يبدو- لأحمد زكي صفوت! وقد ورد في جمهرة الأمثال ٢/ ٣٧٨ (المهنة). وفي اللسان: (مهن): (المهنة بالفتح: الخدمة... وأمة حسنة المِهنَة، والمهنَة: أي الحلب... وقامت المرأة بمهنة بيتها، أي بإصلاحه، وكذلك الرجل). ولعل الجملة الآتية: (ونعم لهو الحرة (الغرة) المغزل)، يجعل هذا المعنىٰ سائغًا جدًّا. وربما قوَّىٰ هذا قول العرب: (الفراغ للرجل غفلة، وللمرأة غلمة)! وهو مبدأ رائع في استثمار الوقت المفيد هربًا من وحش الفراغ!

(٢) في مجمع الأمثال: الغِرَّة. والحرَّة: خلاف الأمة. والغرة: الجارية الحديثة السن التي لم تجرب الأمور، وضبطها أحمد زكي صفوت في جمهرة خطب العرب ١/ ١٣١ (الغُرَّة) وفسرها بالشريفة! وورد في جمهرة الأمثال ٢/ ٣٧٨: نعم لهو المرأة. وقد جاء في الفاضل زيادة: (وأكرموا الإبل فإن فيها رقوء الدم). والرقوء، علىٰ وزن فُعُول، الدواء الذي يوضع علىٰ الدم ليرقئه فيسكن، ورقأ ما بينهم يرقأ إذا صلح، وكذلك رفأ بالفاء. والمراد: أن الإبل تُدْفَعُ دياتٍ، فتحقن بها الدماء.

(٣) ورِّ: أخفِ.

(٤) المكثار: كثير الكلام.

(٥) في الفاضل: سقط. وأسقط: كثرت سقطاته (زلاته وعثراته).

(٦) السرو: المروءة والشرف. الرياش: الخصب والمعاش والمال والأثاث واللباس الحسن الفاخر، وفي جمهرة الأمثال ٢/ ١٧٨: (الشرف الظاهر الرياش الفاخر).

(٧) الأكمة: ما ارتفع من الأرض عما حوله. وفي فصل المقال ص٥٦: (والنهي عن البول علىٰ الأكمة لئلا يرجعَ بولُه عليه لانصبابها). انصبابها: انحدارها.

(٨) في الفاخر والفاضل ومجمع الأمثال: لا تجعلوا.

(٩) في الفاضل: سركم.

(١٠) قال الميداني ٣/ ١٥٦: (وإنما قرن بينهما لأنهما ليسا بمحلٍّ لما يودَعَانِ؛ أي لا تجعل الأمة لسِرِّك محلًّا، كما لا تجعل الأكمةَ لبولِك موضعًا). وفي المستقصىٰ ٢/ ٢٥٧-٢٥٨:=

ما هو مستوجِبٌ له[1] كان قَمِنًا[2] أن يدركَ حاجتَه، لا تمنعنكم مساوئُ رجلٍ من ذِكْرِ محاسنه[3])[4].

[٨] قال أكثم بن صيفي لولده:

(يا بني، لا يغلبنكم جمالُ النساء عن صراحةِ[5] النسبِ، فإن المناكح الكريمة مدرجةٌ للشرف[6])[7].

=(لا تفاكهن أمة ولا تبُل على أكمة: ويروى: لا تفشِ سرَّك إلى أمة، أي إنها تفضحك وتستهزئ بك، فتكون بمنزلة من بال على عالٍ فرآه كلُّ أحد. يضرب في النهي عن مباسطة اللئيم).

(١) استوجب: استحق.

(٢) قمن: جدير وخليق.

(٣) ختمت الوصية في الفاضل بـ: (ثم هلك)!

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٤-١٥، وقد وردت في الفاخر ٢٦٣-٢٦٤ (وعنه في مجمع الأمثال ٣/ ٢٤٥-٢٤٦)، وكتاب الفاضل للوشاء ١٤٦.

وقد أورد أحمد زكي صفوت هذه الوصية في جمهرة خطب العرب ١/ ١٣٠-١٣٣ ضمن وصية طويلة لأكثم ردًّ بها على رسالة من النعمان بن حميضة يطلب بها الوصية منه، وأشار صفوت إلى أن مصدريه فيها جمهرة الأمثال ومجمع الأمثال. وجملتها وردت في جمهرة الأمثال ١/ ٤٩٣-٤٩٥ مع زيادات، ولعله مزج بين ما ورد في المصدرين. وقد ورد جزء من الوصية مع زيادات يسيرة في جمهرة الأمثال ٢/ ٣٧٨ على أنها جزء من وصية لحصين بن حذيفة، ويبدو أن هناك خطأ ما، وأن المراد أكثم بن صيفي، إذ قال أبو هلال في إثرها: (في كلامٍ أوردنا بعضه فيما تقدم، فتركناه ههُنا). ولم يتقدم في كتابه ذكر وصية أو حِكَم لحصين بن حذيفة، على حين نجد ذلك المنسوب له جزءًا من وصية أكثم في الموضع السابق من جمهرة الأمثال. وقد وردت ثلاث جمل منها مع رابعة هي: (وأكرموا الخيل)، لأكثم في نثر الدر ٦/ ٣٩٩. وانظر وصية أسيِّد بن أوس التميمي.

(٥) صراحة النسب: خلوصه مما يشوبه، والصراح: المحض الخالص من كل شيء.

(٦) مدرجة للشرف: طريق يتوصل به إليه.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٥، كما وردت في جمهرة الأمثال ١/ ١٨، وأدب الدنيا والدين ٢٥٣، وبهجة المجالس ٣/ ٣٥، وتحفة العروس ٥٨. ووردت باختلاف يسير ضمن وصية عوف بن كنانة الكلبي.

[٩] وقال أكثم بن صيفي لولده:

(يا بني، تقاربوا في المودة، ولا تتَّكِلوا علىٰ القرابة)[١].

[١٠] قال أكثم بن صيفي فيما وصى به أهله:

(تناءوا في الديار، وتواصلوا في المزار)[٢].

[١١] وقال أكثم لابنه:

(لا تَهْرِفْ بما لا تعرف)[٣].

[١٢] وقال أكثم بن صيفي لابنه:

(يا بني، لا تكذبن هازلًا فتُكْذَبَ جادًّا)[٤].

[١٣] عن أكثم أنه قال لابنه:

(غُمَّ[٥] علىٰ الحسود أمرَك، واكتمه سرَّك، ولا تستشره فيفسدَ عليك ويغشَّك، فإنه يظهر لك خيرًا، ويُضْمِرُ لك شرًّا، ويلقاك بالمكاشَرَةِ[٦]، وَيَخْلُفُكَ[٧] بالغَيبَةِ)[٨].

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٣٩٩، والحكمة الخالدة ١٦٠، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٣٧٥، وتمثال الأمثال ١/ ٣٠٠. ووردت باختلاف يسير ضمن وصية أسيِّد بن أوس التميمي.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في التذكرة الحمدونية ١/ ٣٦١.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٦٩، وفي سرح العيون ٣٤ صُدِّرت بـ: (ومن أمثاله...) أي: أكثم بن صيفي.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧١.

(٥) **غُمَّ**: استر واحجب.

(٦) **المكاشرة**: الابتسام.

(٧) **يخلفك بالغيبة**: يذكرك حال غيابك بسوء.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٥.

[١٤] قال أكثم:

(إياك ومشاورةَ النساء، فإن رأيَهنَّ إلىٰ أَفَنٍ[١]، وتجربتَهن[٢] إلىٰ وَهَنٍ[٣]، ولا تُمَلِّكْ امرأة [من][٤] أمرها[٥] ما جاوَزَ نفسَها)[٦].

[١٥] قال أكثم لابنه:

([يا بني][٧]، لا تُمَارِيَنَّ[٨] شريفًا[٩]، ولا تُجارينَّ لجوجًا[١٠]، ولا تعاشرنَّ[١١] ظالمًا[١٢]، واعلم أن ترك المِراء[١٣] من الحياء)[١٤].

---

(١) الأفن: النقص والفساد.
(٢) في الحكمة الخالدة: وعزمهن.
(٣) يقال: رجل مجرَّب: جُرِّب في الأمور وعُرف ما عنده. والوهن: الضعف.
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) في الحكمة الخالدة: ولا تملكن امرأة من الأمر.
(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٦، ووردت في صدر وصية طويلة نسبيًا في الحكمة الخالدة ١٧٧، وفيه: وصَّىٰ رجل ابنه فقال. كما وردت باختلاف يسير ضمن الوصية ٩٦ المنسوبة لعليٍّ ﷺ.
(٧) زيادة من الأمالي.
(٨) تمارين: تناظر وتجادل.
(٩) في الأمالي: ولا تلاحينَّ حكيمًا.
(١٠) تجارينَّ: تجري معه (في المناظرة والجدال). واللجوج: المتمادي في الخصومة.
(١١) تعاشرن: تخالطن وتصاحبن.
(١٢) في الأمالي: ظلومًا. وثمة جملة لم ترد هنا وهي: ولا تؤاخين متهمًا. ولم ترد فيه الجملة اللاحقة.
(١٣) المراء: الجدال.
(١٤) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٧، ووردت باختلاف يسير في الأمالي ٢/ ١٨٨، وفيه: قال رجل لابنه.

[١٦] قال أكثم بن صيفي لابنه:

(لا تتكلمنَّ فيما جهلتَ، ولا تعجل في الكلام بما عَلِمْتَ، فتذلَّ نفسك، فإن من إكرام المرءِ نفسَه ألا يتكلمَ إلا بما أحاط به علمُه)[١].

[١٧] وقال أكثم بن صيفي لبنيه:

(يا بني، لا تتدبروا أعجازَ أمورٍ قد ولَّتْ صدورُها[٢])[٣].

[١٨] وجمع أودُ بن صعب بن سعد[٤] بنيه فقال:

(يا بني، أخيفوا الناس ولا تخافوهم، واستخبروهم[٥] ولا تُخبروهم، وبئس موضعُ السرِّ المرأةُ، وكونوا من الموتورين[٦] علىٰ حذر، وإذا دُفِعتم عن حقِّكم فاطلبوا أكثرَ منه، وإذا بُخِعَ[٧] لكم فاقتصروا عليه)[٨].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٧.

(٢) التدبير: أن يتدبر الرجل أمره، أي ينظر في عواقبه. والأعجاز: أواخر الأمور. والصدور: أوائلها.

وجاء في تهذيب اللغة: يقول: إذا فاتكم الأمر لم ينفعكم الرأي وإن كان محكمًا.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ١١٢ (دبر).

(٤) **صاحب الوصية**: أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك (وهو مذحج) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان.

انظر: نسب معد واليمن الكبير ١/ ١٣٣، ١٩٨، ٣٢١، وتصحف (صعب) في نثر الدر إلىٰ (صفر)!

(٥) استخبروهم: اسألوهم لتعرفوا أخبارهم.

(٦) الموتورون: جمع موتور، وهو من قُتِل له قتيلٌ فلم يدرك بدمه.

(٧) بخع لكم: أُقِرَّ لكم به.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٦، وورد صدرها: (يا بني... تخافوهم) في نثر الدر ٦/ ٤٠٢.

[١٩] قال أوس بن بن حارثة[١] لابنه مالك[٢]:

(يا مالك، المنيَّةُ ولا الدنِيَّةُ[٣]، والعتابُ قبل العقاب، والتجَلُّدُ لا التبَلُّد[٤]، واعلم أن القبر خيرٌ من الفقر[٥]، وشَرُّ شاربِ المُشتفُّ[٦]، وذهاب البصر خيرٌ من كثيرٍ من النظر، ومِنْ كَرَمِ الكريم الدفاعُ[٧] عن الحريم[٨]، ومَنْ قَلَّ ذَلَّ، ومن أَمِرَ فَلَّ[٩]، وخير

---

(١) **صاحب الوصية**: هو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، أخو الخزرج، وإليهما ينتهي نسب الأنصار. انظر: نسب معد واليمن الكبير ١/ ٣٦٤، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٢، والاستبصار ٢٠٤.

(٢) **مناسبة الوصية**: (عاش الأوس بن حارثة دهرًا وليس له ولد إلا مالك، وكان لأخيه الخزرج خمسة: عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب، فلما حضره الموت قال له قومه: قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك فلم تزوَّج حتىٰ حضرك الموت [وليس لك ولد إلا مالك]؛ فقال الأوس: لم يهلكْ هالكٌ ترك مثل مالك؛ وإن كان الخزرج ذا عدد، وليس لمالك ولد، فلعل الذي استخرج العِذْقَ من الْجَرِيمة، والنار من الوثِيمة، أن يجعل لمالك نسلًا، ورجالًا بُسلًا يا مالك: ... فنشر الله من مالك بعدد بني الخزرج أو نحوهم). الأمالي، وانظر المصادر اللاحقة واللسان (وَثَمَ)، وما بين المعقوفين من نثر الدر. والعذق: النخلة. والجريمة: النواة. والوثيمة: الحجارة وحجر القدَّاحة. والبسل: الشجعان، واحدهم باسل.

(٣) الدنية: الذلة والنقيصة.

(٤) التجلد: إظهار الجلد وتكلُّفُه، وهو الصبر علىٰ المكروه، والتبلُّد: الاستكانة وقبول الضيم.

(٥) زاد في جمهرة الأمثال ونثر الدر وشرح نهج البلاغة: ومن لم يُعْطَ قائمًا لم يُعْطَ قاعدًا.

(٦) في شرح النهج: وشر الشرب الاشتفاف، وشر الطُّعْم الاقتفاف (والمشتف: المستقصِي، يقال: اشتفَّ ما في إنائه واشتف، إذا شرب الشُّفَافة، وهي البقية تبقىٰ في الإناء. والمُقتَفّ: الآخذ بعجلة) الأمالي.

(٧) في جمهرة الأمثال وشرح النهج: الدفع. والدفع: الرد. والدفاع: المحاماة والانتصار.

(٨) حريم الرجل وحَرَمه: ما يقاتل عنه ويحميه. وحُرَم الرجل: عياله ونساؤه وما يحمي.

(٩) أمر: كثر عدده. فلَّ: غلب مناوئه.

الغنىٰ القناعة[١]، وشر الفقر الضراعة[٢]، والدهر[٣] يومان، فيومٌ لك ويومٌ عليك؛ فإذا كان لك فلا تبطر[٤]، وإذا كان عليك فاصبر[٥]، فكلاهما سينحسر[٦]، فإنما تَعُزُّ من ترىٰ، وَيَعُزُّكَ من لا ترىٰ[٧]، ولو كان الموت يُشترىٰ لسلم منه أهل الدنيا، ولكن الناسَ فيه مستوون: الشريف الأبلج، واللئيم المُعَلْهَج[٨]، والموت المُفِيتُ[٩] خيرٌ من أن يقال لك: هَبيت[١٠]، وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة، وشرٌّ من المصيبة سوءُ الْخَلَفِ، وكل مجموعٍ إلىٰ تَلَفٍ، حيَّاك إلهك)[١١].

(١) في الأمثال لأبي عبيد وإصلاح المال وجمهرة الأمثال: القنوع.

(٢) في الأمثال لأبي عبيد وإصلاح المال وجمهرة الأمثال ونثر الدر ومجمع الأمثال وشرح نهج البلاغة: الخضوع.

وقد علق البكري في فصل المقال علىٰ رواية أبي عبيد لهذه الجملة والتي قبلها قائلًا: (الخضوع: التذلل للمسؤول، وهو ضد المعنىٰ الذي أراد أبو عبيد، والقنوع: ضد القناعة... وإنما قال أوس لابنه: شر الفقر الضراعة، وخير الغنىٰ القناعة).

(٣) في نثر الدر وشرح النهج: (الدهر صرفان: صرف رخاء، وصرف بلاء، واليوم يومان...). وبهذه الرواية وردت هذه الفقرة ضمن الوصية (٢٦) للحارث بن كعب.

(٤) تبطر: تغلو في المرح والفخر وتستخف بالنعمة.

(٥) في جمهرة الأمثال: فلا تضجر. وفي إصلاح المال وشرح النهج: فاصطبر.

(٦) سينحسر: سينكشف.

(٧) تعز: تغلب. (يعني أنك تغلب من تراه، ويغلبك الله جل جلاله) مجمع الأمثال ١/ ٩٧.

(٨) الأبلج: من بلج وجهه بلجًا تنضَّر سرورًا. والمعلهج: المتناهي في الدناءة واللؤم.

(٩) في جمهرة الأمثال: يمينك المقيت، وفي نثر الدر: يميتك المقيت. ولعل الروايتين لا تخلوان من تصحيف. والمفيت: المذهب. والمقيت: الممقوت، المبغض المكروه.

(١٠) الهبيت: الجبان الذاهب العقل.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في الأمالي١/ ١٠٢، وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٣٥-٢٣٦، ونثر الدر ٦/ ٤٠٣-٤٠٥، وشرح نهج البلاغة ١٧/ ١١٨-١١٩ مع نقص يسير في بعضها، ووردت فقرات منها في الأمثال لأبي عبيد ٩٤، ١٠٩، ١١٣، ١٢٣، ١٨٣، ١٩٧، ٣٢٧، وعيون الأخبار ٣/ ٣٠، وإصلاح المال ٣٦١، وبهجة المجالس ٣/ ٣٠٢، وفصل المقال ٢٤٣، ومجمع الأمثال ١/ ٢٤٥، ٤٣١-٢/ ١١٢، وربيع الأبرار ٢/ ٨٤٨، والمستقصىٰ ١/ ٣٠٦، ٣٣٣-٢/ ٣٥١، ٣٥٨، واللسان ٩/ ١٨٠وفيه: (قال بعض العرب لابنه في وصاته...)، ويبدو أنَّ في جمهرة الأمثال سقطًا يسيرًا ذهب معه قوله: (يا مالك)، ما أوجد في الوصية نوعًا من الاضطراب.

[٢٠] قال بلعاء بن قيس[١] لولده:

(يا بني لا تفشِ سرَّ صديقٍ أو عدوٍّ، فإن السرَّ أمانةٌ عند الكريم؛ وإن غُلِبَ صاحبٌ عن إخفائه فلا تُغلب عن هَتْكِ ستره فيه)[٢].

[٢١] أوصى تميم بن مرٍّ[٣] فقال:

(يا بنيَّ عليكم بلا، فإنها ترفعُ للحَين[٤]، وإياكم ونعم، فإنها رجًا للمَين[٥]، وعليكم بالمسألة، فإنَّ[٦] است المسؤول أضيق[٧]، ولا تحقروا اليسير أن تأخذوه، فإن اليسيرَ إلىٰ اليسيرِ كثيرٌ، واستعيروا ولا تعيروا[٨]، وأظهروا للناس الحاجةَ لكي لا تُسألوا فتمنعوا فتكونَ استاهُكم[٩] هي الضَّيِّقةَ، وإن وعدتم الناس شيئًا

(١) **صاحب الوصية**: بلعاء بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن الشداخ الكناني، كان سيدًا فارسًا شاعرًا، قاد بني عبد مناة يوم نكيف، ويوم المشلَّل، ويوم الفجار، واعتراه البرص بعد ما أسَنَّ.
انظر: جمهرة النسب ١٣٩، والمحبر ٢٤٦، والبرصان والعرجان ٤٧، والاشتقاق ١٧١.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نشوة الطرب ١/ ٣٨٠.

(٣) **صاحب الوصية**: تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد. انظر: جمهرة النسب ١٨٩، ١٩١.

(٤) هكذا في الأصل ولعلها مصحفة عن: تدفع الحين. والحين: الهلاك. وفي التذكرة الحمدونية: ترفع اللحيين. واللحيان: واحدهما اللحْيُ، وهو منبت اللحية من الإنسان وغيره، وهما لحيان، واللحيان أيضًا العظمان اللذان فيهما الأسنان. ولعله كناية عن بقاء المال عند الإنسان، وشعوره لذلك بالعزة، والاستغناء عن الناس.

(٥) في التذكرة الحمدونية: ترخي اللحيين. يقال: رَجِي رجًا: انقطع عن الكلام. والرجا: الناحية. والمين الكذب. ولعل المراد: أنها تدفع بكم في طريق الكذب بعدم قدرتكم علىٰ الوفاء.

(٦) في نثر الدر: فإنه. ولعله خطأ مطبعي.

(٧) (لأن العيب يرجع إليه) مجمع الأمثال ٢/ ١٢٠. والمراد: وقوع المسؤول في الحرج إن هو منع السائل.

(٨) استعار الشيء منه: طلب أن يعطيه إياه عارية. وأعاره إياه: أعطاه إياه عارية. والعارية: ما تعطيه غيرك للاستفادة منه مؤقتًا علىٰ أن يعيده إليك فيما بعد.

(٩) في نثر الدر: استاهم. ولعله خطأ مطبعي.

فأكرموهم[1] وامطلوهم[2]، فإن الذي يصدق في الموعد[3] وإن مَطَلَ وهو مُقِلٌّ يكون حَرِيًّا بالنُّجْحِ في الموعد إذا أمكنته المقدرة. وابدؤوا الناس بالشر يُرَدُّ عنكم الشر، وإياكم والوهَنَ فيجرؤوا[4] عليكم، ولا تشتطوا[5] في مهور النساء، فإن ذلك أَكْسَدُ[6] لأياماكم[7]، جمع الله لكم أمركم)[8].

[٢٢] وأوصى جابر بن مالك الكلبي[9] بنيه وقومه، فقال:

(يا معشر العَمائر[10] المنتظرةِ للفناء، والمنقطعةِ من الأصل، أوصيكم بِرَهْبَةِ الله[11]، وصلةِ الرحم، والحفظِ للعهد، والمباعدةِ لأهل الغدر وأهلِ الذكرِ

(١) في التذكرة الحمدونية: فاكذبوهم!

(٢) مطل فلانًا حقه: أجَّلَ موعدَ الوفاء به مرة بعد الأخرىٰ.

(٣) في التذكرة الحمدونية: الوعد.

(٤) في التذكرة الحمدونية: فيُجتَرأ. والوهن: الضعف.

(٥) تشتطوا: تبالغوا وتجاوزوا الحد.

(٦) في التذكرة الحمدونية: آكد! يقال: كسد الشيء لم يَرُجْ ولم يَنْفَقْ لقلة الرغبة فيه.

(٧) الأيامىٰ: جمع أيم، وهو العزب رجلاً كان أو امرأة، تَزَوَّج من قبلُ أو لم يتزوج.

(٨) **التوثيق**: وردت هذه الوصية في نثر الدر ٦/ ٤١٠، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٧٢-٣٧٣، وفي مجمع الأمثال ٢/ ١٢٠ عند المثل (است المسؤول أضيق): (قاله أسد بن خزيمة في وصيته لبنيه عند وفاته قال: يا بني، اسألوا فإن است المسؤول أضيق).

(٩) **صاحب الوصية**: جابر -الملقب بالشُّليل- بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم البجلي، ينتهي نسبه إلىٰ أراش بن عبقر بن أنمار، وهو جدُّ الصحابي المشهور جرير بن عبد الله البجلي ﷺ. وبنو كلب بطن من بجيلة من أنمار بن أراش. انظر: الاشتقاق ٥١٦، وجمهرة أنساب العرب ٣٨٧، ونهاية الأرب ٤٠٧.

(١٠) العمائر: جمع عمارة، شعبة من القبيلة.

(١١) رهبة الله: خشيته وخوفه.

للمعاير[١]، وعليكم بإحياء المناقب[٢]، قد تَرَون المنايا تتبعُها الرزايا[٣]، لا تَوَاكَلُوا النصرَ فتُنكبوا[٤]، ولا تخاذلوا فتذِلُّوا، وأَجْهِدوا أبدانكم اليوم لراحتها غدًا، ولا تُكِنُّوها بالدَّعَة فتحسرَ عند الاجتهاد[٥]، ولا تختلفوا فيخسرَ كيدُكم[٦]، واحجُبوا الكرائمَ[٧]، وتجنبوا الملاومَ[٨]، وكلُّ ما يعتذر منه خطيئةٌ، ولْتَطِبْ[٩] أنفسُكم عن الدنيا، وبالصبر تدفعُ العظائم[١٠]، ليُحيِّكم المُدِيل[١١] للأمم)[١٢].

[٢٣] قال حاتم الطائي[١٣] لابنه عدي[١٤]:

---

(١) المعاير: المعايب.

(٢) المناقب جمع منقبة: الفعل الكريم والمفخرة.

(٣) الرزايا جمع رزية: المصيبة والنازلة.

(٤) تواكلوا: يتكل بعضكم علىٰ بعض. وتنكبوا: تصيبكم نكبة وهي المصيبة.

(٥) تكنوها: تستروها وتحيطوها. الدعة: الخفض والسعة في العيش. تحسر: تتعب، من حسر الدابة: أتعبها حتىٰ هزلت. الاجتهاد: بذل ما في الوسع. ولعله يعني عند الشدة.

(٦) يخسر: ينقص. الكيد: التدبير.

(٧) احجبوا: استروا وامنعوا. الكرائم: جمع كريمة وهي المرأة.

(٨) الملاوم: جمع ملام وملامة: اللوم.

(٩) طابت نفسه عن الشيء: تركه.

(١٠) العظائم: جمع عظيمة، النازلة الشديدة.

(١١) دال الثوب: بلي، والمديل للأمم هو الله ﷻ.

(١٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٧-١٢٨.

(١٣) **صاحب الوصية**: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم -واسمه هزومة- بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ. كان جوادًا شاعرًا جيد الشعر، ضرب به المثل في جوده وسخائه.

انظر: الشعر والشعراء ١/ ٢٤١، والأغاني ١٧/ ٢٧٨، وخزانة الأدب ٣/ ١٢٧.

وابنه عدي، كنيته أبو طريف، كان في الجاهلية رئيسًا معظمًا، كان نصرانيًا فأسلم سنة تسع أو عشر من الهجرة، وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة، وكان جوادًا، مات سنة ٦٨ وهو ابن مئة وعشرين سنة. انظر: المعارف ٣١٣، والاستيعاب ٣/ ١٠٧٥، والإصابة ٤/ ٤٦٩.

(١٤) **مناسبة الوصية**: (قال عدي بن حاتم: شهدت حاتمًا وهو يجود بنفسه فقال لي: يا بني...).

(يا بني، أُعْهِدَكَ[1] من نفسي ثلاثًا: ما خالفتُ[2] إلىٰ جادةٍ لسوءٍ قطُّ، ولا اؤتمنتُ علىٰ أمانةٍ قطُّ إلا أدَّيْتُها، ولا أتىٰ أحدًا من قبلي سوءٌ)[3].

[٢٤] قال حاتم طيئ لعدي ابنه:

(أي بني، إن رأيتَ[4] أنَّ الشرَّ يتركُكَ إنْ تركتَه فاتركْه)[5].

[٢٥] أوصى الحارثُ بن الحكم[6] -آكلُ الذراع- بنيه، فقال:

(يا بني لا تتَّكلوا[7] علىٰ الزمان، فإنه لم يزدد رجلٌ[8] علىٰ السِّنِّ من أهله قربًا إلا ازدادوا منه بعدًا، استأنوا العشيرةَ[9]، ولا تمشوا بينهم بالنميمة، واتَّبعوا قومَكم فيما أحبُّوا[10]، وإياكم والخلافَ عليهم، فإنه نقضٌ[11]، واجتنبوا[12] البغيَ،

(١) أعهدك: ألقي إليك وأُعَرِّفك وأوصيك بحفظه.
(٢) خالفت: قصدت وسرت. الجادة: الطريق.
(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في ذيل الأمالي ٢٧.
(٤) في نثر الدر: إني رأيت.
(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٢/ ١٤٥ كما وردت في نثر الدر ٤/ ١٩٩، وجاء في جمهرة الأمثال ١/ ١٧٣: (والمثل للقمان بن عاد، قاله لابنه: اترك الشر كما يتركك، أي كيما يتركك، وكما: لغة في كيما). وفي مجمع الأمثال ١/ ٢٤٣: (اترك الشر يتركك، أي إنما يصيب الشر من تعرض له، زعموا أن لقمان الحكيم قال لابنه: اترك الشر كما يتركك، أراد كيما يتركك، فحذف الياء وأعملها).
(٦) **صاحب الوصية**: الحارث بن الحكم آكل الذراع: لم أقف له علىٰ ترجمة.
(٧) في الوصايا: لا تبكوا.
(٨) في الوصايا: لا يزداد رجل علىٰ السن.
(٩) استأنوا العشيرة: تأنوهم ولا تعجلوهم. وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون وقبيلته.
(١٠) في الوصايا: وكونوا لقومكم أتباعًا.
(١١) النقض: الإفساد والهدم.
(١٢) في الوصايا: وإياكم والبغي.

فإنه آخرُ مدةِ القومِ[١]، وجازوا بالحسنة، ولا تكافئوا بالسيئة، ولا تردوا الكرامةَ[٢]، ولا تتَّبعوا الملامةَ[٣]، واعلموا إنما يُوثَق في الشدة بالقرابة، ويُرْكَن إلىٰ أهل الوفاء، خيرُ السجيةِ[٤] ما لم يُتكَلَّفْ، ومن خبَّب دَقَّ[٥]، ومن أنجد[٦] أدَّىٰ ما عليه من حقٍّ، الحيطةُ[٧] غايةُ الحفظ، والعفو منتهىٰ البر، والصدقُ تمامُ المروءةِ، والكذبُ يهدم الفعالَ[٨]، وبالقربىٰ يعيش الرجالُ، وخيرُ السيرةِ في العدو، والعفو[٩] وتركُ العقوبة يَسُلُّ السخيمة[١٠])[١١].

(١) آخر مدة القوم: إذا مارسوه سارع في هلاكم. وهو كقول قصي بن كلاب: (ولا تبغوا عليهم فتبوروا)، وقول مالك بن عمرو الكلبي: (واهجروا البغي فإنه مثبور).

(٢) الكرامة: العمل الكريم.

(٣) الملامة: اللوم (العذل).

(٤) السجية: الطبيعة والخلق.

(٥) خبب: خدع وغش وأفسد. دق: صار خسيسًا حقيرًا.

(٦) أنجد: أعان ونصر.

(٧) الحيطة: الأخذ في الأمور بأوثق الوجوه.

(٨) الفعال: العمل الحميد والكرم.

(٩) علق محقق جزء من أمالي ابن دريد عند هذه الكلمة قائلاً: (كذا بالأصل، وله وجهٌ، وأخشىٰ أن تكون العبارة: (وخير السيرة في العدو العفو، وترك العقوبة يسلُّ السخيمة). يسلُّ: ينتزع ويخرج برفق. والسخيمة: الحقد والضغينة.

(١٠) زاد في الوصايا: غنيتم وبقيتم.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في جزء من أمالي ابن دريد ١٩٠ (عن أبي عبيدة)، وباختصار في الوصايا ١٣٤.

النبي ﷺ[1]، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمة[2]، وتميم بن مُر[3]، فاحفظوا وصيتي، وموتوا علىٰ شريعتي[4]، إلهَكم فاتقوه يكفِكم المهمَّ من أمورِكم[5]، ويصلح لكم أعمالكم[6]، وإياكم ومعصيتَه[7]، لا يحلُّ[8] بكم الدمارُ، وتُوحِشُ منكم الديار.

يا بني، كونوا جميعًا، ولا تفرقوا، فتكونوا شِيَعًا[9]، فإن موتًا في عزٍّ[10] خير من حياة في ذُلٍّ وعجز، وكل ما هو كائنٌ كائنٌ، وكلُّ جمعٍ إلىٰ تَبَاين[11]، الدهر صَرْفان[12]:

(١) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: ولا بقي علىٰ دين عيسىٰ بن مريم أحد. وفي شرح النهج (وقد رُوي علىٰ دين شعيب)، وفي التذكرة الحمدونية: (في بعض الروايات: شعيب النبي ﷺ وهو الأولىٰ، فإن النصارىٰ في العرب كثير، وبنو الحارث بن كعب كلهم نصارىٰ).

(٢) في شرح النهج: وغير تميم بن مرٍّ بن أسد بن خزيمة! وهو خطأ فادح (لم ينبه عليه المحقق الفاضل). وأسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. (انظر: جمهرة النسب ٢٠-٢١).

(٣) في نثر الدر وأمالي المرتضىٰ: مرة. وهو خطأ، إذ هو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: جمهرة النسب ١٨٩-١٩٠.

(٤) في نثر الدر وشرح النهج: فموتوا... واحفظوا. الشريعة: الطريقة.

(٥) في شرح النهج: يكفكم ما أهمكم.

(٦) في نثر الدر وشرح النهج: حالكم.

(٧) في نثر الدر: والمعصية.

(٨) في نثر الدر: يحلُّ (دون: لا)، وفي شرح النهج: فيحلُّ... ويوحش.

(٩) في مروج الذهب: ولا تكونوا شتىٰ فتفرقوا. وجاء بعدها فيه (وبزُّوا قبل أن تبزُّوا)، وجاءت هذه الزيادة في نثر الدر وشرح النهج: (بزوا قبل أن تُبزُّوا، فموت...). وبزَّ: سلب. تبزوا: تسلبوا. وشيع: فرق وجماعات.

(١٠) في مروج الذهب: في قوة وعز.

(١١) في التذكرة الحمدونية: تباب. التباين: التفرق. التباب: الهلاك.

(١٢) في التذكرة الحمدونية: (ضربان فضرب رخاء وضرب...)، وتصاريف الأمور: اختلافها. وتصريف الرياح: تغيُّر اتجاهها من جهة إلىٰ أخرىٰ. والصرف: حدثان الدهر، اسم له لأنه يصرف الأشياء عن وجوهها. والصرف: التقلب والحيلة. والضرب: المثل والشكل والصنف والنوع.

فصرفٌ رخاءٌ، وصرفٌ بلاءٌ، واليوم يومان: فيومٌ حَبْرَة، ويوم عَبْرَة[1]، والناس رجلان: فرجلٌ معك[2]، ورجلٌ عليك، وزوجوا [النساء][3] الأكفاءَ، وليستعملن في طيبهن[4] الماء، وتجنَّبوا الحمقاء[5]، فإن ولدها إلىٰ أَفَنٍ ما يكون[6]، إنَّه[7] لا راحةَ لقاطع [القرابة][8]. وإذا اختلفَ القومُ أَمكنوا[9] عدوَّهم، وآفةُ العدد[10] اختلافُ الكلمة، التفضُّلُ بالحسنة يقي[11] السيئةَ، والمكافأة بالسيئة الدخولُ فيها[12]، العمل بالسوء[13] يزيل النعماء[14]، وقطيعة الرحم تُورِثُ إلمَامَ الهمِّ[15]، وانتهاك الحُرْمَةِ يزيل النعمةَ، عقوق الوالدين يُعْقِبُ النَّكَدَ[16]، وَيَمْحَقُ العددَ، ويخرِب البلد، النصيحةُ لا تهجُمُ علىٰ

(١) الحبرة: السرور. والعبرة: الدمعة، وهو كناية عن الحزن.

(٢) في شرح النهج: لك.

(٣) زيادة من نثر الدر وشرح النهج، وزادا بعد تمام الجملة: وإلا فانتظروا بهن القضاء. وفي التذكرة الحمدونية: (النساء من...)، وفي أمالي المرتضىٰ: تزوجوا الأكفاء. والأكفاء: جمع كفء وهو المماثل. والقضاء: الموت.

(٤) في نثر الدر وشرح النهج: وليكن طيبهن.

(٥) في المصدرين السابقين: (وإياكم والورهاء، فإنها أدوأ الداء وإن....)، وهذه الفقرة -بهذه الرواية- وردت ضمن وصية سعد العشيرة. والورهاء: الحمقاء.

(٦) في شرح النهج (... أفن يكون). وسقطت الجملة من نثر الدر. والأفن: نقص العقل وفساده.

(٧) في أمالي المرتضىٰ: إلا أنه. وفي التذكرة الحمدونية: ألا إنه. وفي شرح النهج: لا راحة.

(٨) في الأصل: يعني القرابة. وما أثبته من سائر المصادر.

(٩) أمكنوا عدوهم: هيؤوا له الغلبة عليهم، وجعلوا له عليهم سلطانًا وقدرة.

(١٠) الآفة: كل ما يصيب شيئًا فيفسده. والعدد: الكثرة.

(١١) يقي: يمنع ويحجز.

(١٢) في شرح النهج: دخول.

(١٣) في أمالي المرتضىٰ: والعمل السوء، وفي شرح النهج: وعمل السوء.

(١٤) النعماء: المعروف والإحسان والصنيعة.

(١٥) في سائر المصادر: تورث الهمَّ. إلمام الهمِّ: قربه واجتماعه.

(١٦) النكد: كل شيء جرَّ علىٰ صاحبه شرًّا. والنكد: الشؤم وقلة الخير.

الفضيحةِ[1]، احتمالُ الحقدِ يمنعُ الرِّفْدَ[2]، لزوم الخطيَّة [3] يعقب البَلِيَّةَ، سوء الرِّعَة[4] يقطع أسباب المنفعة، الضغائن تدعو إلىٰ التباين[5][6].

ثم قال: (المتقارب)

أكلتُ شبابي فأفنيته	وأمضيت[7] بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم	فبادوا وأصبحت شيخًا كبيرا
قليل الطعام، عسير القيا	م، قد ترك الدهر قيدي قصيرا[8]
أبيتُ أراعي[9] نجوم السما	ءِ، أُقلِّب أمري، بطونًا ظهورا)[10]

(١) في أمالي المرتضىٰ والتذكرة الحمدونية: (والنصيحة تجر...)، وفي شرح النهج: (والإسراف في النصيحة، هو...)، وقد ورد في مجمع الأمثال ٣/ ٩٦ ضمن وصية كتب بها أكثم بن صيفي إلىٰ طيئ: كثير التنصُّح يهجم علىٰ كثير الظنة، وورد فيه ٢/ ١٢٢، والمستقصىٰ ٢/ ١١٩: قيل يقول: سقطت به النصيحة علىٰ الظنة. يضرب لمن يفرط في النصيحة حتىٰ يُتَّهم.

(٢) في شرح النهج: منع الرفد. والرفد: العطاء والصلة والمعونة. احتماله: حمله وإضماره في القلب.

(٣) في أمالي المرتضىٰ وشرح النهج: الخطيئة. (والخطيئة علىٰ فعيلة: الذنب، ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واو ساكنة قبلها ضمة، وهما زائدتان للمد لا للإلحاق، ولا هما من نفس الكلمة، فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوًا وبعد الياء ياءً وتدغم). اللسان (خطا). والبلية: البلاء.

(٤) في شرح النهج: وسوء الدعة! ولعله تصحيف. والرِّعة: الطريقة.

(٥) الضغائن: جمع ضغينة، وهي الحقد الشديد. والتباين: التباعد. وقد وردت الجملة ضمن وصية سعد العشيرة.

(٦) زاد في نثر الدر وشرح النهج: يا بني، إني قد أكلت مع أقوام وشربت، فذهبوا وغبرت، وكأني بهم قد لحقت. وغبرت: بقيت.

(٧) في التذكرة الحمدونية: وأنضيت. يقال: أنضىٰ فلان ثوبه: أبلاه.

(٨) في التذكرة الحمدونية: حسيرًا. يقال: حَسُر البعير والبصر حسارة: كلٌّ فهو حسير. وفي سائر المصادر: خطوي.

(٩) أراعي: أراقب وألاحظ

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٣-١٢٤. كما وردت في أمالي المرتضىٰ ١/ ٢٣٢-٢٣٣،=

[٢٧] قال حجر بن عمرو الكندي[1] لابنه امرئ القيس[2]:

=ونثر الدر ٦/ ٣٨٧-٣٨٨، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤١-٣٤٢، وشرح نهج لبلاغة ١٧/ ١١٩-١٢٠ مع نقص وزيادة في آخرها، ووردت فقرات يسيرة جدًّا منها في مروج الذهب ٣/ ١٧٩. وفي مكتبة الحرم النبوي الشريف مخطوطة من سبع ورقات مقاس الورقة ٢٠×١٥ مفهرسة في قسم المخطوطات تحت الرقم العام (٥٣٥)، وتحت الرقم ٦/ ٨٠ (٧) في قائمة الوعظ وفضائل الأعمال، وهذه المخطوطة تتضمن وصية الحارث بن كعب وهي الوصية التي سبقت، وقد زيد فيها زيادات مفرطة، وأُنشِد -فيها علىٰ لسان الحارث بن كعب- أشعارٌ لجملة قائلين، مع تباينٍ واضح في الأسلوب، ولم تخلُ بعض أبياتها من خلل في الوزن، كما لم تخلُ بعض كلماتها من اللحن. وقد عُدَّ الحارث بن كعب فيها مسلمًا لم يضيِّع فريضة ولا سنة! ولا يجد مطالعها صعوبة في إدراك الهدف من هذه الخلطة! الشاملة لموضوعات متباينة حين يقرأ في نهايتها علىٰ لسان الحارث بن كعب: (يا بني، قد جمعت لكم في هذه الوصية) أمثال وحكم وأنوار (هكذا) فخذها (قال في أول النص: اعلموا يا أولادي!) ونبه بها أبناء عصرك). وقد جاء في الإصابة ٢/ ١٩٧: (الحارث بن كعب جاهلي، ذكره عبدان، وقال: سمعت أحمد بن سيار يقول: هو جاهلي. حكىٰ عن نفسه أنه عاش مئة وستين سنة، وذكر أنه أوصىٰ بنيه خصالًا حسنة تدل علىٰ أنه كان مسلمًا).

قلت: لا يلزم من ذلك إسلامه، فجملة الوصايا الجاهلية تشتمل علىٰ خصال حسنة، خاصة مع توفر المصادر التي تشير إلىٰ جاهليته.

(١) **صاحب الوصية**: حجر بن عمرو (أو الحارث) بن معاوية بن الحارث الكندي، جعله أبوه ملكًا علىٰ بني أسد، وتأبَّوا، بعد حين، من دفع إتاوة سنوية فرضها عليهم فأوقع بهم، ثم قتلوه، وابنه امرؤ القيس الشاعر المشهور، كان يعيش بعيدًا عن أبيه ومعه أخلاط من شذاذ العرب، يضيعون الوقت في الشرب والصيد وسماع الغناء، فلما انتهىٰ إليه نبأُ مقتلِ والده، خرج للأخذ بثأره، وبعد أن خذله كثيرون اتجه إلىٰ قيصر، ومات في طريق عودته منه.

انظر: الشعر والشعراء ١/ ١٠٥، والأغاني ٩/ ٧٦، وجمهرة أنساب العرب ٤٢٧.

(٢) **مناسبة الوصية**: ليس ثمة مناسبة واضحة، لكن جاء في الأغاني ٩/ ٨٦ عن ابن الكلبي (أن حجرًا كان طرد امرأ القيس، وآلىٰ ألا يقيم معه أنفةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك)! وانظر: الشعر والشعراء ١/ ١٠٧. وقد عَدَّ ابن رشيق (العمدة ١/ ١١٣) طرد امرئ القيس من قبل والده ليس من جهة الشعر، ولكن من جهة الغي والبطالة، ورأىٰ أن هذه العلَّة قد جازت كثيرًا من الناس، ومرَّت عليهم صفحًا!

(يا بني، أحسنُ الشعر أكذبُه، ولا يَحْسُنُ الكذبُ بالملوك)[١].

[٢٨] أوصى حصن بن حذيفة الفزاري[٢] بنيه وقومه فقال[٣]:

(لا يتكلْ آخرُكم علىٰ أوَّلِكم؛ فإنما يُدرك الآخِرُ ما أدركه الأول[٤]، وَأَنْكِحُوا الكفءَ الغريبَ[٥]؛ فإنه عزٌّ حادثٌ، وإذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صَدَرًا[٦]؛ فإن كلَّ موردٍ معروفٌ، واصحبوا قومَكم بأجملِ أخلاقكم،

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الإعجاز والإيجاز ٦٢، كما وردت في ربيع الأبرار ٤/ ٢٦٧ وفيه: (يا بني، إن أحسن).

(٢) **صاحب الوصية**: حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية الفزاري. كان في قومه مُنَزَّلاً منزلة الملوك، وأبوه حذيفة الذي دارت عليه حرب داحس. خرج حصن يسير لأمر من أموره فلما كان بالحاجر لقيه غزاةُ بني عامر فاقتتلوا فطعنه كرز العقيلي فمات من أثر تلك الطعنة. انظر: جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ١٧١، وجمهرة أنساب العرب ٢٥٦، ونشوة الطرب ٢/ ٥٥٣.

(٣) **مناسبة الوصية**: لما اشتدَّ بحصن بن حذيفة بن بدر وَجَعُه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال: إن الموت أهون مما أجد، فأيكم يطيعني؟ فقالوا: كلنا نطيعك؛ فبدأ بأكبرهم فقال: قم فخذ سيفي واطعن به حيث آمرك، ولا تعجل، فقال: يا أبتاه، أيقتل المرء أباه؟! فأتىٰ علىٰ القوم كلهم، فأجابوه جواب الأول، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ عيينة فقال: يا أبتاه، أليس لك فيما تأمرني به راحة، ولي بذلك طاعة، وهو هواك؟ قال: بلىٰ، قال: فمرني كيف أصنع. قال: قم فخذ سيفي فضعه حيث آمرك، ولا تعجل، فقام فأخذ سيفه، ووضعه علىٰ قلبه، ثم قال: يا أبتاه كيف أصنع؟ قال: ألق السيف، إنما أردت أن أعلم: أيكم أمضىٰ لما آمر به، فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي. فقال القوم: إنه سيقول فيما كان بيتًا فاحضروه، فلما أمسىٰ قال (ذكر أحد عشر بيتًا من الشعر). ثم أصبح ودعا بني بدر، فقال: لوائي ورياستي لعيينة، واسمعوا مني ما أوصيكم به: ...). أمالي المرتضىٰ.

(٤) في جمل من أنساب الأشراف: فإنما يدرك الرجل الشرف بفعله. وفي الوصايا: فإن الذي يدرك به الأول حجة علىٰ الآخر.

(٥) في جمل من أنساب الأشراف: وأنكحوا الغريب. وفي الوصايا: الكفيء من العرب. والكُفْءُ والكَفِيء: المماثل والمساوي في الشرف.

(٦) هكذا ضبطه أحمد زكي صفوت: صَدَرا. وفسره بالرجوع.

ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه؛ فإن الخلافَ يـزري[١] بالرئيس المطاع[٢]، وإذا حاربتم فأوقعوا[٣]، ثم قولوا صِدْقًا[٤] فإنه لا خيرَ في الكذب، وصونوا[٥] الخيول[٦] فإنها حصونُ الرجال، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل[٧]، وأغـزوا[٨] الكثير بالكثير[٩] فإني بذلك كنت أغلب الناس، ولا تغزوا إلا بالعيون[١٠]، ولا تَسْرَحوا حتىٰ تأمنوا الصباح[١١]، وأعطوا علىٰ حسب المال، وأعجلوا الضيفَ بالقرىٰ[١٢] فإن خيرَه أعجَلُه[١٣]، واتقوا فضحاتِ[١٤] البغيِ[١٥]،

(١) يزري بالرئيس: يعيبه ويُهوِّن من شأنه، وينقص من قدره.

(٢) قوله: (وإذا حضركم... المطاع) انفرد به الأصل.

(٣) أوقعوا: بالغوا في قتالهم.

(٤) في الوصايا وجمل من أنساب الأشراف: ثم قولوا واصدقوا.

(٥) صونوا الخيول: احفظوها وقوموا عليها.

(٦) في المصدرين السابقين: الخيل.

(٧) أي: تدفع عنها، فهي بمنزلة القرون لها.

(٨) وقد أثبت أحمد زكي صفوت في جمهرة خطب العرب ١/ ١٢٩ -نقلاً عن أمالي المرتضىٰ!-: أعزوا الكبير بالكبر، وفسره: أي أجلُّوه وأكرموه بسبب كبره.

(٩) في الأصل: أعزوا الكبير بالكبير! والتصحيح من المصدرين السابقين. وقد أشار محقق الأصل إلىٰ أنه في نسخة (س) عند: اغزوا. وأثبت ما في المصدرين السابقين لأنه أكثر اتساقًا مع سياق النص.

(١٠) فسره أبو حاتم السجستاني بالأشراف.

(١١) تسرحوا: تخرجوا بالغداة. الصباح: الغارة.

(١٢) القرىٰ: ما يقدم إلىٰ الضيف.

(١٣) زاد المصدران السابقان بعده: ولا تحسدوا من ليس مثلكم، فإنما يحسد القوم أمثالهم. (في جمل من أنساب الأشراف: المرء أمثاله) وزاد: علىٰ أنه لا خير في الحسد.

(١٤) فضحات البغي: عيوب الاعتداء.

(١٥) في الوصايا: ولا تأمنوا صرعات البغي ونضحات (لعله تصحيف: فضحات) الغدر. وفي جمل من أنساب الأشراف: وإياكم وصرعات البغي وفضحات الغدر. وفي نثر الدر: وإياكم وصرعات البغي وفضحات المزاح. وفي نشوة الطرب (نقلًا عن نثر الدر!): إياكم وصرعات البغي وفضحات الغدر.

وفلتاتِ[1] المزاح، ولا تجترئوا[2] علىٰ الملوك فإن أيديَهم أطولُ من أيديكم، واقتلوا كرزَ بن عامر)[3].

[٢٩] قال دويد بن زيد[4] لبنيه[5]:

(أوصيكم[6] بالناس شرًّا[7]، لا ترحموا لهم عَبْرَةً[8]، [ولا تقبلوا

(١) الفلتات: جمع فلتة، الأمر يحدث من غير روية وإحكام، والهفوة غير المقصودة.

(٢) في الوصايا: ولا تحكِروا! وفي جمل من أنساب الأشراف: ولا تجسروا.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في أمالي المرتضىٰ ١/ ٥٣١، كما وردت في الوصايا ١٣٢- ١٣٣، وجمل من أنساب الأشراف ١٣/ ١٧٥، ووردت جملتان منها في نثر الدر ٦/ ٣٥، وثلاث في نشوة الطرب ٢/ ٥٥٣ (نقلًا عن نثر الدر!).

قلت: وقد أورد صاحب جمهرة خطب العرب ١/ ١٢٩ الوصية اعتمادًا علىٰ أمالي السيد المرتضىٰ، وجاءت عنده روايات -في بعض كلماتها- مختلفة، علىٰ النحو الآتي: (فإن كل مورد معروف... وإذا حادثتم فاربعوا (أي: إذا حادثتم فتأنوا وتمهلوا، أو فأحكموا القول -من شرح المؤلف) وأعزوا الكبير بالكبر، واتقوا فضيحات البغي... ولا تجيروا علىٰ الملوك.

(٤) **صاحب الوصية**: دويد (ذويد) بن زيد بن نهد بن زيد بن حوتكة [بن سود] بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. (في الروض الأنف: «ذويد واسمه زيد بن نهد»، وفي معجم ما استعجم: «الذويد» واسمه جذيمة بن صبح بن زيد)، عاش زمنًا طويلًا لا تذكر العرب من طول عمر أحد ما تذكر من طول عمره، زعموا أنه عاش أربعمئة سنة. وكان له آثار في العرب ووقائع وغارات». انظر: الاشتقاق ٥٤٨، والمؤتلف والمختلف ١١٤، ومعجم ما استعجم ١/ ٣٤، والروض الأنف ١/ ٣٧٩.

(٥) **مناسبة الوصية**: لما حضرته الوفاة.

(٦) قبلها في المعمرون والمحاسن والمساوئ ونثر الدر ومحاضرات الأدباء: يا بني.

(٧) جاء بعدها في المحاسن والمساوئ: لا تتَّبعوا لهم خيرًا. وجاء بعدها في عيون الأخبار والمحاسن والمساوئ ونثر الدر ومحاضرات الأدباء: كلموهم نزرًا. يقال: نزر فلانًا: احتقره واستقلَّه. وجاء بعدها في معجم ما استعجم: شرًّا، ضربًا أزًّا، وطعنًا وخزًا. وفي محاضرات الأدباء (في نسبتها إلىٰ دريد بن الصمة): ... شرًّا، طعنًا لزًّا، وضربًا أزًّا! ولزَّ فلانًا بالرمح: طعنه. وأزًّا: شديدًا.

(٨) عبرة: دمعة.

لهم معذرة][1]، ولا تقيلوا لهم عَثْرَةً[2]، قصِّروا الأَعِنَّةَ[3]، وطَوِّلوا[4] الأسنةَ، واطعنوا[5] شزرًا، واضربوا هَبْرًا[6]، وإذا أردتم المحاجزةَ فقبل المناجزة[7]، والمرءُ يعجز لا المَحَالَة[8]، بالجدِّ لا بالكدِّ[9]، التجلُّد ولا التبلُّد[10]،

(١) زيادة في سائر المصادر سوىٰ التذكرة الحمدونية. وفي بعضها: عذرًا.

(٢) لا تقيلوا لهم: لا تتجاوزوا لهم عن خطأ.

(٣) الأعنة: جمع عنان، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(٤) في المعمرون: وأشرعوا الأسنة. أشرع نحوه الرمح: سدده، والأسنة جمع سنان، وهو نصل الرمح.

وفي عيون الأخبار ونثر الدر ومحاضرات الأدباء: واشحذوا الأسنة. شحذ السيف ونحوه: أَحَدَّ سنانه. وبعدها في المعمرون (في رواية نسبتها إلىٰ نهد بن زيد) وعيون الأخبار: تأكلوا [بذلك] القريب ويرهبكم البعيد. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء: وكلوا القريب يرهبكم البعيد. وبعده في المعمرون [في نسبتها إلىٰ نهد بن زيد]: وإياكم والوهن فيطمع فيكم الناس. وهو نهايتها. وفي المعمرون [في رواية نسبتها إلىٰ دويد بن نهد]: وأشرعوا الأسنة، وارعوا الكلأ وإن كان علىٰ الصفا، وما احتجتم إليه فصونوه، وما استغنيتم عنه فأفسدوه علىٰ من سواكم، فإن غش الناس يدعو إلىٰ سوء الظن، وسوء الظن يدعو إلىٰ الاحتراس! وفي معجم ما استعجم: اقصروا الأعنة، وطرِّروا الأسنة. وزاد: وارعوا الغيث حيث كان. طرِّروا: أحِدُّوها (اجعلوها حادة)، سنان طرير ومطرور: محدد.

(٥) في المعمرون ومحاضرات الأدباء: واطعنوهم شزرًا. وفي عيون الأخبار: وانظروا إليهم شزرًا. وفي نثر الدر: واظعنوهم شذرًا. وهو تصحيف. وفي معجم ما استعجم: كلموهم نزرًا، وانظروهم شزرًا، واطعنوهم دسرًا. الطعن الشزر: علىٰ أحد الجانبين. والنظر الشزر بمؤخر العين، وأكثر ما يكون في حال الإعراض أو الغضب. الدسر: من دسره بالرمح: طعنه به طعنًا شديدًا.

(٦) هَبَرَ اللحمَ: قَطَّعَه قِطَعًا كبارًا، وهبره بالسيف قطعه به.

(٧) (يضرب مثلاً في تعجيل الفرار ممن لا طاقة لك به. والمحاجزة: من قولهم: حجزت بين الشيئين، والمناجزة: سرعة القتال) جمهرة الأمثال.

(٨) المحالة: الحيلة. والمعنىٰ (المرء يضجر من طلب الحاجة ويتركها، ولو استمر علىٰ طلبها والاحتيال لها أدركها فإن الحيلة واسعة، فهي ممكنة غير معجزة) جمهرة الأمثال ٢/ ٢٧٥.

(٩) الجد: الحظ. الكد: شدة العمل.

(١٠) التجلد: إظهار الجلد وتكلفه. التبلد: الاستكانة والتحيُّر والعجز.

والمنيةُ ولا الدَّنيةُ[1]، لا تأسوا على فائتٍ وإن عزَّ فقدُه[2]، ولا تَحِنُّوا إلىٰ ظاعنٍ[3] وإن أُلِفَ قربُه، ولا تطمعوا فتَطْبَعُوا[4]، ولا تَهِنُوا فتَخْرَعُوا[5]، ولا يكون لكم المثلُ السوءُ، إن الموصَّين بنو سهوان[6]، وإذا مِتُّ فأَرْحِبُوا خَطَّ مضجعي[7]، ولا تضُنُّوا[8] عليَّ برُحْبِ الأرض، وما ذلك بِمُؤَدٍّ[9] إليَّ روحًا؛ ولكن راحةُ نفسٍ خامَرَها الإشفاق)[10]، ثم مات![11].

---

(١) الدنية: الذل والنقص.

(٢) تأسَوا: تحزنوا. فائت: ذاهب وماض. عزَّ: عظم. فقده: ذهابه ضياعه.

(٣) ظاعن: راحل.

(٤) تطبعوا: طَبِع طبعًا: دَنِس وعِيْبَ في جسم أو خلق.

(٥) تهنوا: تضعفوا. تخرعوا: تلينوا.

(٦) الموصَّون جمع موصًّىٰ، وبنو سهوان ضربه مثلاً، أي: لا تكونوا ممن تُقُدِّم إليهم فسهوا وأعرضوا عن الوصية، أمالي المرتضىٰ ١/ ٢٣٨.

(٧) ارحبوا: أوسعوا. مضجعي: قبري.

(٨) في التذكرة الحمدونية: ولا تصبوا. ويبدو أنه تصحيف. وتضنوا: تبخلوا. ورحب: واسع.

(٩) بمؤدٍّ: بمرجع أو رادٍّ.

(١٠) خامرها: خالطها. الإشفاق: الخوف.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في أمالي المرتضىٰ ١/ ٢٣٦، والتذكرة الحمدونية ٦/ ٣٣ (كلاهما عن ابن دريد)، كما وردت في جمهرة الأمثال ١/ ٨٢-٨٣ دون الجزء الأخير: (إذا مت... الإشفاق)، ووردت كذلك في معجم ما استعجم ١/ ٣٢، كما وردت باختصار شديد وتقديم وتأخير في طبقات فحول الشعراء ١/ ٣٢-٣٣، وفي المعمرون ٢٦ وردت في روايتين تتقاربان جدًّا في نصفهما الأول وتختلفان في نصفهما الآخر، نسبت الأولىٰ لدويد بن نهد، ونسبت الثانية لنهد بن زيد، وفي عيون الأخبار ٢/ ٦١ وردت باختصار منسوبة لسعد بن زيد، وفي الاشتقاق ٥٤٨ منسوبة لدويد بن زيد بن نهد، وفي المحاسن والمساوئ ٢٦٨ لدريد بن الصمة بن غزية، وفي المؤتلف والمختلف ١١٥ (باختصار شديد) لدويد بن زيد بن نهد، ونثر الدر ٦/ ٣٩٨ لسعد بن زياد مناة، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٤٩٦ بروايتين تكادان تتفقان في نصفهما الأول وتختلفان في نصفهما الآخر، نسبت الأولىٰ لسعد بن زياد! ونسبت الثانية، لدريد بن الصمة، ويبدو أن دريد مصحفة عن دويد (أشار محقق التذكرة الحمدونية إلىٰ أنه ورد في أصله مكان دويد دريد)، فجاء بعض النساخ وصحح مجتهدًا: دريد بن زيد إلىٰ دريد بن الصمة! وبذلك سار الاختلاف في الاسم الآخر (تبعًا -فيما يبدو- لاجتهادات النساخ)=

[٣٠] دعا (ذو الإصبع العدواني)[١] ابنه أسيدًا[٢] فقال له:

(يا بني، إن أباك قد فَنِيَ وهو حيٌّ، وعاش حتىٰ سَئِمَ العيشَ، وإني موصيك بما إن حفظتَه بلغتَ في قومك ما بلغتُه، فاحفظ عني: أَلِنْ جانبَك لقومك يحبُّوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسُطْ لهم وجهَك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيءٍ[٣] يسوِّدوك؛ وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمْك كبارُهم[٤] ويكبر علىٰ مودتك صغارُهم، واسمح[٥] بمالك، واحمِ حريمَك، وأعزز[٦] جارك، وأعِن من استعان بك، وأكرم ضيفَك، وأسرع النهضَةَ في الصَّرِيخِ[٧]، فإن لك أجلاً لا يعدوك، وصُنْ وجهَك عن مسألة أحدٍ شيئًا، فبذلك يتمُّ سؤددُك[٨]. ثم أنشأ يقول[٩]: (مجزوء الكامل)

أأُسيد إن مالاً ملكـ ... ـت فَسِرْ به سيرًا جميلا

=من سعد بن زيد في عيون الأخبار إلىٰ سعد بن زيد مناة في نثر الدر إلىٰ سعد بن زياد في محاضرات الأدباء! وقد ورد قوله فيها: (التجلد لا التبلد، والمنية ولا الدنيَّة) ضمن وصية أوس بن حارثة.

(١) **صاحب الوصية:** حُرثان بن محرث بن الحارث بن شباه بن ربيعة العدواني، سمي ذا الإصبع لأن حية نهشته في أصبعه فيبست، أحد الحكماء، وشاعر من قدماء الشعراء في الجاهلية، وفارس له غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة، عُمِّر دهرًا.
انظر: جمهرة النسب ٤٧٣، والأغاني ٣/ ٨٥، والاشتقاق ٢٦٨، والمؤتلف والمختلف ١١٨. وابنه أسيد لم أقف له علىٰ ترجمة.

(٢) **مناسبة الوصية:** عند الاحتضار.

(٣) في التذكرة الحمدونية: عنهم حتىٰ. وربما كانت (حتىٰ) مصحفة عن (شيء). وتستأثر: تخص نفسك.

(٤) يكرمك كبارهم: ساقطة من التذكرة الحمدونية.

(٥) اسمح: ابذل في اليسر والعسر عن كرم وسخاء.

(٦) أعز جارك: قوِّه وامنعه واجعله عزيزًا.

(٧) النهضة: القيام والتحرك. والصريخ: الاستغاثة وصوت المستغيث.

(٨) السؤدد: السيادة والمجد والشرف.

(٩) الأبيات ليست في التذكرة الحمدونية.

آخِ الكرامَ إن استطعـ ت إلىٰ إخائهم سبيلا
واشربْ بكأسِهِمُ وإن شربوا به السمَّ الثمِيلا[1]
أَهِنِ اللئامَ ولا تكُن لإخائهم جَمَلًا ذلولا
إن الكرامَ إذا تُؤا خِيهم وجدتَ لهم فضولا[2]
ودَعِ الذي يَعِدُ العشيـ رةَ أن يسيلَ ولن يسيلا
أبنيَّ إن المالَ لا يبكي إذا فقدَ البخيلا[3]

[٣١] أوصى رياح بن ربيعة[4] بنيه[5] فقال:

(يا بني، سَوِّدُوا أعقلَكم، فإنَّ أميرَ القوم إذا لم يكُن عاقلًا كان آفةً لمن دونه، وجودوا

(١) قال محققو الأغاني (طبعة دار الثقافة) ٣/ ٩٥ هامش (١) و(مصورة طبعة دار الكتب) ٣/ ٩٩ هامش (٢): (الظاهر أن الثميل هنا الناقع، ولكنا لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا الثميل بهذا المعنىٰ، وإنما الوارد الثمال بضم أوله، والثميل هو السم المنقع، أي الذي أنقع فبقي وثبت).

(٢) تؤاخيهم: تصاحبهم. الفضول: جمع فضل.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الأغاني ٣/ ٩٤-٩٥ عن أبي عمرو الشيباني، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٤٠. وقد وردت الأبيات منسوبة لشريح بن عمران اليهودي في طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٨٤، وورد البيتان الأولان منها منسوبين إليه في حماسة البحتري ١/ ١٧١، وربيع الأبرار ١/ ٤٣٢.

(٤) صاحب النص: لم أقف له علىٰ ترجمة. وقد ورد في الوصايا لأبي حاتم ١٥-١٦، وجمهرة الأمثال ٢/ ٩١ خبر لرياح بن ربيعة ذي ذراريح التميمي مع أكثم، إذ أخذ رياحٌ عبدًا وأمة وإبلًا لابن أخي أكثم، فبعث إليه أكثم مالك بن نويرة، وهو ختن رياح علىٰ ابنته، فدفعها إليه، فردها إلىٰ أكثم، فقال أكثم المثل المشهور: (فتىٰ ولا كمالك)، مع عدد من الأمثال. كما ذكر ابن قتيبة في المعاني الكبير ١/ ٥٦٧ بيت شعر لخداش بن زهير يهجو به رياح بن ربيعة العقيلي. كما قدَّم ابن الشجري في أماليه ٥٤٠ بين يدي قصيدة للحطيئة بقوله: (يمدح بني رياح بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس). ولا أدري إن كان صاحب الوصية أحد هؤلاء، وإن يكُن ذلك فالعبسي -في ظني- أقرب إلىٰ أن يكون هو.

(٥) **مناسبة الوصية**: عند موته.

علىٰ قومكم، وإياكم والبخلَ، فإنه داءٌ، ونعم الدواءُ السخاءُ، والتغافلُ فعلُ الكرامِ، والصمتُ جِمَاعُ الحِلم، والصدقُ في بعضِ المواطن عَجْزٌ، واستعينوا علىٰ من لا تقوون عليه بالجموع، واعلموا أن سيِّدَ القوم أشقاهُم، وإياكم والمَنَّ[1]، فإنه مَهْدَمَةٌ للصنيعة[2])[3].

[٣٢] جمع زرارة بن عُدَس[4] بنيه وبني بنيه[5] فقال:

(يا بني، إنكم قد أصبحتم بيتَ تميمٍ[6]، بل بيتَ مضر[7]، يا بني، ما هَجَمْتُ[8] علىٰ

---

(١) يقال: منَّ عليه: فخر بنعمته عليه حتىٰ كدرها.

(٢) مهدمة: هدم. الصنيعة: كل ما عمل من خير أو إحسان.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٣٠.

(٤) **صاحب الوصية**: زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، كان سيدًا في قومه، وكان رئيس تميم يوم شويحط.
انظر: جمهرة النسب ١٩٤-١٩٧، والاشتقاق ٢٣٥، ونشوة الطرب ١/ ٤٥٠.

(٥) في نثر الدر: (جمع زرارة بن عدس التميمي بنيه وهم يومئذ عشرة: حاجب ولقيط ومعبد ومالك ولبيد وعلقمة وخزيمة وسعد ومناة وعمرو [والمنذر]، فقال: ...).
قلت: نص في جمهرة أنساب العرب ٢٣٢ علىٰ أنهم عشرة، وذكر الأسماء السبعة الأولىٰ وعمرًا وذكر عبد مناة ويبدو أنه صُحِّف في نثر الدر إلىٰ: سعد ومناة. و(المنذر) أضافه محقق نثر الدر، وأشار في الهامش إلىٰ أنه ساقط من الأصل، والأسماء المذكورة في النص -بالتصحيف المشار إليه وزيادة المحقق- تصبح أحد عشر اسمًا! ولا أدري علىٰ أي مصدر اعتمد المحقق في ذكر (المنذر)، فقد ذُكر العاشر في جمهرة أنساب العرب باسم (الحارث)، وفي جمهرة النسب ١٩٧ سماه: أبا الحارث.

(٦) (تميم بن مر: قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلىٰ مرِّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كانت منازلهم بأرض نجد، دائرة من هنالك علىٰ البصرة واليمامة حتىٰ يتصلوا بالبحرين... تمتاز بتاريخها الحربي في الجاهلية والإسلام) معجم قبائل العرب ١/ ١٢٦-١٢٧.

(٧) (مضر بن نزار: قبيلة عظيمة من العدنانية كانت ديارهم حيِّز الحرم إلىٰ السروات، وما دونها من الغور، وما والاها من البلاد... وكانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان، كانت لهم رياسة مكة) المصدر السابق ٣/ ١١٠٧.

(٨) هجم: دخل عليه (انتهىٰ إليه) فجأة.

قومٍ قطُّ من العرب لا يعرفونني إلا أَحَلُّوني[١]، فإذا نسبوني[٢] ازددت عندهم شرفًا، وفي أعينهم عِظَمًا، ولا وفدت إلىٰ ملكٍ[٣] إلا آثرني وشفَّعني[٤]، [يا بني][٥]، خذوا من أدبي[٦]، واثبتوا[٧] عند أمري، واحفظوا وصيتي[٨]. إياكم أن تدخلوا عليَّ في قبري[٩] حَوْبَة[١٠] أُسَبُّ بها، فوالله ما شايعتني نفسي قط علىٰ إتيانِ رِيبةٍ[١١]، ولا عملٍ بفاحشةٍ، ولا ضمني وعاهرةً سقفُ بيتٍ قط، ولا حسَّنَتْ لي نفسي[١٢] الغدرَ منذ شَدَّتْ يداي مئزري[١٣]، ولا فارقني جارٌ علىٰ قِلًى[١٤]، ولا حملني هواي علىٰ

---

(١) في نثر الدر: أَجَلُّوني، ولعلها أولىٰ، ولعل ما في الأصل تصحيف. أحلوني: أنزلوني. وأجلوني: عظموني.

(٢) في نثر الدر: عرفوني. ونسبوني: عرفوا نسبي.

(٣) في نثر الدر: (إلىٰ ملك عربي قط ولا أعجمي إلا...). ووفدت: قدمت أو بعثت رسولاً.

(٤) آثرني: قدمني علىٰ غيري. وشفعني: قبل شفاعتي.

(٥) زيادة من نثر الدر، يستقيم بها السياق.

(٦) في نثر الدر: آدابي. والآداب: محاسن الأخلاق والعادات.

(٧) في نثر الدر: وقفوا.

(٨) زاد في نثر الدر: (وموتوا علىٰ شريعتي...). وقد وردت هذه الجملة في وصية الحارث بن كعب.

(٩) في نثر الدر: تدخلوا قبري.

(١٠) في نثر الدر: حوية! ولعله تصحيف. وجاء بعد هذه الجملة في الوصايا -ولعله من أبي روق الراوي عن أبي حاتم- (كذا قال أبو حاتم، حَوْبَة، وليس لها ههُنا معنىٰ، وينبغي أن تكون خَزْبة، وهي المنقصة، أو خزية، والحوبة الخالة، وقال قوم: هي الأم)!

(١١) في نثر الدر: إتيان دنية. (والدنية كغنيَّة: الخصلة المذمومة، والأصل فيه الهمز ولكنه يخفَّف). تاج العروس (دنا) ١٠/ ١٣٢.

(١٢) في نثر الدر: ولا حسَّنْتُ لنفسي.

(١٣) في نثر الدر: إزاري. والإزار والمئزر بمعنىٰ. وهو ثوب يحيط النصف الأسفل من البدن. ويعنىٰ منذ بلغت وأدركت، شدَّت: عقدت.

(١٤) في نثر الدر: جارٌ لي عن قلىٰ: والقلىٰ: الكره والبغض.

أمرٍ يعيبني في مضر. يا بني، إن القالَةَ[1] إليكم سريعةٌ[2]، فاتقوا الله في الليل إذا أظلم، وفي النهار إذا انتشر يكفكم ما أهمَّكم، وإياكم وشربَ الخمر، فإنها مُفسدةٌ للعقول والأجساد، ذهَّابة بالطريف[3] والتلاد. يا بني، زوجوا النساء الأكفاءَ، وإلا فانتظروا بهن القضاء[4].

يا بني، قد أدركت سفيان بن مجاشع بن دارم[5] شيخًا كبيرًا محجوبًا، فأخبرني أنه قد حان خروجُ نبيٍّ بمكةَ من مضر، يقال له أحمد ﷺ، يدعو إلىٰ عبادة الله[6]، فإن أدركتموه فاتَّبعوه، تزدادوا بذلك شرفًا إلىٰ شرفكم، وعزًّا إلىٰ عزكم[7]، إنه ليس فيكم سَقَطُ[8] رَجُلٍ واحد، ولا تَمَنَّيْتُكم[9] أني بُذِّلْتُكم بعدَّتكم من العرب، ولولا عجلةُ لقيطٍ[10] إلىٰ الحرب -والحربُ لا

(١) القالة: اسم للقول الفاشي في الناس، خيرًا كان أو شرًّا.

(٢) بعدها في نثر الدر: والآذان سميعة.

(٣) في نثر الدر: الطارف. وهما بمعنىٰ. وهو المستفاد من المال حديثًا، ويقابله التليد أو التالد، وهو المال القديم.

(٤) وردت الجملتان في وصية الحارث بن كعب. وقد جاء بعدهما في نثر الدر: واذكروا قومكم إذا غابوا عنكم بمثل الذي تحبون أن تذكروا به، يا بني: انشروا الخير تنشروا، واستروا الشرَّ تستروا.

(٥) سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، أحد أجداد الفرزدق، كان رئيس بني مالك بن حنظلة يوم الكلاب الأولىٰ.

انظر: جمهرة النسب ١٩٤-١٩٥، والنقائض ١/ ٤٥٢، ومحجوب: له حاجب (بواب).

(٦) في نثر الدر: يدعو إلىٰ البر والإحسان، ومحاسن الأخلاق.

(٧) زاد في نثر الدر: يا بني، وما بقي علىٰ دين عيسىٰ بن مريم غيري وغير أسد بن خزيمة. وهذه الجملة مقحمة علىٰ الوصية، وهي ضمن وصية الحارث بن كعب. وقد حلَّت هذه الجملة في نثر الدر مكان الجملة اللاحقة: إنه ليس.. من العرب.

(٨) السقط: الساقط من كل شيء. وأسقاط الناس: أوباشهم وأسافلهم.

(٩) هكذا، والأولىٰ: ولا تمنيت.

(١٠) هو لقيط بن زرارة... كان سيدًا شريفًا وشاعرًا فارسًا، قتل يوم (شعب جبلة) -عام مولد النبي ﷺ- بنجد. وكان رئيس تميم فيه.

انظر: الشعر والشعراء ٢/ ٧١٠، والمؤتلف والمختلف ١٧٥، ومعجم ما استعجم ١/ ٣٦٥.

يصلحها إلا الرجلُ المَكِيثُ[١]- لشرَّفته عليكم[٢]، وهو بَعْدُ فارسُ مضر، وعليكم بحاجب[٣]، فإنه حليمٌ عند الغضب، فَرَّاجٌ للكرب، يجود إذا طُلِبَ إليه[٤]، ذو رأيٍ لا يُنْكَش، وَزَمَّاع لا يَفْحُشُ[٥]، فاسمعوا له وأطيعوا أمرَه، جنبكم الله الرَّدىٰ)[٦].

[٣٣] وأوصى زهير بن جناب[٧] فقال:

---

(١) المكيث: الرزين المتأني.

(٢) في نثر الدر: لقدمته أمامكم.

(٣) حاجب بن زرارة... الدارمي، أحد حكماء العرب، كان شريفًا رئيسًا في بني تميم، اشتهر برهن قوسه عند كسرىٰ ضمانًا لأحداث قومه الراغبين المقام في أرياف الحيرة فرارًا من القحط، ثم استرجعها ابنه عطارد بعد موته. وقد نقل ابن حجر [الإصابة ٣/ ٤٣٢] خبرًا عن أبي حاتم في المعمرين [ليس هو في المطبوع منه] يدل علىٰ إسلام حاجب. وقد شكك الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام تشكيكًا كبيرًا في إسلامه، مسوِّغًا شكه، وعقَّب الزركليُّ [الأعلام ٢/ ١٥٣] علىٰ ذلك الشك بأنه جدير بالنظر!
انظر: أنساب الأشراف ١٢/ ١٩-٢٢، ومجمع الأمثال ١/ ٦٤، ونشوة الطرب ١/ ٤٥٠.

(٤) في نثر الدر: جواد عند المطَّلَب.

(٥) جاء عقب الوصية في أصل الوصايا -تعليقًا علىٰ بعض ما فيها-: (لا ينكش: لا يستقصىٰ ما فيه، يقال: نكشت البئر أي أخرجت ما فيها، والزمَّاع: العَزِم، لا يفحش: أي لا ينتقص). وعلق محقق الكتاب علىٰ الكلمة الأخيرة بقوله: (كذا في الأصل، ولعله: لا ينقض، حتىٰ يستقيم الكلام). والزماع: هو الشجاع يزمع (يسرع) بالأمر ثم لا ينثني عنه.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٠-١٢١، كما وردت في نثر الدر ٦/ ٤٠٥-٤٠٦، وثمة عبارات محدودة متداخلة بينها وبين وصية الحارث بن كعب.

(٧) **صاحب الوصية**: زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة، ينتهي إلىٰ قضاعة، عمَّر طويلاً حتىٰ أهتر، كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكان من رجال العرب لسانًا ورأيًا ووفادة علىٰ الملوك، ولما قدمت الحبشة تريد هدم البيت خرج زهير فلقي ملكهم فأكرمه ملكُهم وفضله علىٰ من أتاه من العرب، وهو أحد من ملَّ عمره فشرب الخمر صرفًا حتىٰ قتلته!
انظر: نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٥٦٠، المعمرون ٣١، الشعر والشعراء ١٠/ ٣٧٩، الأغاني ١٨/ ٣٠١.

(يا بني، قد كَبِرَت سِنِّي، وبلغت حَرْسًا [من دهري][1]، وأحكمتني[2] التجارِبُ، والأمور تجربةٌ واختبارٌ[3]، فاحفظوا عني ما أقول، وعُوه[4]، إياكم والخَوَرَ[5] عند المصائبِ، والتواكلَ عند النوائبِ[6]، فإن ذلك داعيةٌ للغَمِّ[7]، وشماتةٌ للعدوِّ[8]، وسوءُ الظنِّ[9] بالربِّ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين[10]، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنه -والله- ما سَخِرَ امرؤٌ قطُّ إلا ابتلي[11]، ولكن استعفوا منها[12]، وتوقعوها[13]؛ فإنما الإنسان في الدنيا غَرَضٌ تعَاوَرَه الرماةُ[14]، فمقصِّرٌ دونه، ومجاوزٌ

---

(١) زيادة من أمالي المرتضىٰ والتذكرة الحمدونية. وفسَّر أبو حاتم (حَرْسًا) بقوله: (يعني دهرًا من عمري) وفسره المرتضىٰ: (يريد طويلًا منه، والحرس من الدهر: الطويل).

(٢) في المصدرين السابقين: فأحكمتني. وأحكمته التجارب: جعلته حكيمًا.

(٣) في أمالي المرتضىٰ: والأمور تجربة واحتيال. وفي التذكرة الحمدونية فأحكمتني التجارب والأمور تجربةً واختبارًا.

(٤) عوه: احفظوه وافهموه واقبلوه.

(٥) في العقد وعين الأدب والسياسة: يا بني إياكم والجزع. الخور: الضعف والانكسار.

(٦) التواكل: أن يتَّكِل بعض القوم علىٰ بعض. والنوائب: جمع نائبة وهي ما ينزل بالمرء من الكوارث والحوادث المؤلمة.

(٧) في العقد وعين الأدب والسياسة: فإنه مجلبة للهمِّ. الغم: الحزن.

(٨) في التذكرة الحمدونية: وشماتة العدو. وشَمِتَ به: فرح بمكروه أصابه.

(٩) في العقد وأمالي المرتضىٰ وعين الأدب والسياسة: وسوء ظن بالرب. وزاد في المصدر الأول والأخير: وشماتة للعدو.

(١٠) الأحداث: جمع حدث. وحدث الدهر: نائبته. قال الأزهري: الحدث من أحداث الدهر: شبه النازلة). ومغترين: مخدوعين.

(١١) في العقد وعين الأدب والسياسة: فإني والله ما سخرت من شيء إلا نزل بي مثلُه. وفي أمالي المرتضىٰ والتذكرة الحمدونية: فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا. وابتلي: امتحن واختبر.

(١٢) في العقد وعين الأدب والسياسة: فاحذروها. استعفوا منها: اسألوا الله أن يهب لكم العافية منها.

(١٣) في المصدرين السابقين: ولكن توقعوها... وتوقعوها: ارتقبوا وقوعها.

(١٤) في العقد وعين الأدب والسياسة: تتعاوره السهام. الغرض: كل ما نصبته للرمي. وتعاوره الرماة: تداولوه وتناوبوا عليه أيهم يصيبه. والرماة: جمع رامٍ.

لموضعه[1]، وواقعٌ[2] عن يمينه وشماله، ثم لا بُدَّ أنه[3] مصيبُه)[4].

[٣٤] أوصى زهير بن جناب ولده فقال:

(يا بني عليكم باصطناعِ المعروفِ[5]، واكتسابِه. وتلذَّذوا[6] بمودات صدورِ الرجالِ[7]. ورُبَّ رجلٍ صَفِرَ[8] من ماله فعاش بذلك هو وعقبُه[9] من بعده)[10].

---

(١) في العقد وعين الأدب والسياسة: فمجاوزٌ له، ومقصِّرٌ عنه. وفي التذكرة الحمدونية: ومجاوز موقعَه.

(٢) في عين الأدب والسياسة: وموقع.

(٣) في العقد وعين الأدب والسياسة: حتىٰ يصيبَه بعضُها. وزاد هذان المصدران: واعلموا أن لكل شيء جزاء، ولكل عمل ثوابًا. وقد قالوا: كما تدين تدان، ومن برَّ يومًا برَّ به. (في عين الأدب والسياسة: يبرُّ به). وكما تدين تدان مَثَلٌ معناه: كما تَفْعَلُ يُفْعَلُ بك. وهو -كما قال أبو هلال العسكري- ليزيد بن الصَّعِق، قاله لأحد ملوك غسان في خبرٍ. وقد ورد المثل في الكامل للمبرد ١/ ٤٢٦، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٦٨، ومجمع الأمثال ٣/ ٤٣، والمستقصىٰ ٢/ ٢٣١، وتمثال الأمثال ٢/ ٥٢٨. وفي العقد الفريد ٢/ ١٥٩: (وتقول العرب في أمثالها: ملكت فأسجح، وارحم ترحم، وكما تدين تدان، ومن بَرَّ يومًا بُرَّ به).

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٩، كما وردت في أمالي المرتضىٰ ١/ ٢٣٨-٢٣٩، والتذكرة الحمدونية ٦/ ٣٦، ووردت دون المقدمة (يا بني إياكم والجزع...) في العقد الفريد ٣/ ١٤٨ وفيه: وقال حكيم لبنيه. وعين الأدب والسياسة ٢٦٠ وفيه: وأوصىٰ رجل من الحكماء بنيه.

(٥) اصطناع المعروف: إسداؤه وفعله.

(٦) تلذذ الشيء وبه: وجده لذيذًا. والمودات: جمع مودة وهي المحبة. وزاد مختصر تاريخ دمشق: وتلذذوا بطيب نسيمه، وارضوا بمودات.

(٧) زاد مختصر تاريخ دمشق: من أيمانه.

(٨) في مختصر تاريخ دمشق: قد صفر. صَفِر: خلا. يقال: صفرت يده من المال أي خلت. وقد تصحَّفت الكلمة في الطبعة الهندية من الجامع لشعب الإيمان إلىٰ: صغر.

(٩) في المصدر السابق: فعاش به هو وعقبه. العقب: الولد وولد الولد الباقون بعده.

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في شعب الإيمان للبيهقي ٢٠/ ٣٧ رواية عن الأصمعي. ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ٦٠.

[٣٥] أوصى سعد العشيرة[١] بنيه، فقال[٢]:

(يا بني، اتقوا إلهكم بالليل والنهار، وإياكم[٣] وما يدعو إلىٰ الاعتذار، ودعوا قَفْوَ المحصناتِ[٤] تسلمْ[٥] لكم الأمهاتُ، وإياكم والبغيَ علىٰ قومكم تَعْمُرْ لكم الساحات[٦]، ودعوا المِرَاءَ والخصامَ تَسلمْ لكم المروءةُ والأحلامُ[٧]، تحبَّبُوا إلىٰ العشائرِ[٨] تَهبكُم العمائرُ[٩]، وجودوا بالنوال[١٠] تَنْمُ لكم الأموال[١١]، وإياكم ونكاحَ الورهاءِ[١٢]، فإنها أدوأُ الداءِ، وأبعدوا من جارِ السوءِ دارَكم، ومن قرينِ الغيِّ مزارَكم[١٣]، ودعوا الضغائنَ فإنها تدعو إلىٰ التباين[١٤]، ولا تكونوا لآبائكم ضُرَّارًا[١٥]،

---

(١) صاحب الوصية: سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. سمِّي بسعد العشيرة لأنه طال عمره فكان ولده وولد ولده ثلاثمئة رجل، فكان يركب فيهم فيقال: من هؤلاء معك؟ فيقول: عشيرتي مخافة العين! انظر: نسب معد واليمن الكبير ١/ ٢٦٧، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٥.

(٢) مناسبة الوصية: لما حضرته الوفاة.

(٣) هنا بداية الوصية في نثر الدر ٦/ ٣٩٠، والتذكرة الحمدونية.

(٤) قفو المحصنات: رمي النساء المتزوجات بالقبيح.

(٥) في المصدرين السابقين: قذف.. لتسلم..

(٦) تعمر لكم الساحات: يبارك في عمركم ويكثر عددكم. والساحات جمع ساحة: الناحية.

(٧) المراء: الجدال. الأحلام: العقول.

(٨) العشائر جمع عشيرة، وعشيرة الرجل، بنو أبيه الأقربون وقبيلته. والعمائر جمع عمارة، شعبة من القبيلة.

(٩) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية: ودعوا المراء والخصام تهبكم العشائر!

(١٠) النوال: العطاء، وتنمو: تزيد.

(١١) في نثر الدر ٦/ ٤٠١ تثمر لكم. وفي التذكرة الحمدونية: وجودوا بالأموال تنمُ أموالكم.

(١٢) الورهاء: الحمقاء.

(١٣) القرين: المقارن والمصاحب. الغي: الإمعان في الضلال. مزاركم: زيارتكم.

(١٤) في نثر الدر ٦/ ٣٩٠ والتذكرة الحمدونية: التقاطع. الضغائن: جمع ضغن، الحقد الشديد. التباين: الفراق والتهاجر. وقد وردت الجملة -باختصار- ضمن وصية الحارث بن كعب.

(١٥) في نثر الدر ٦/ ٤٠١: عاقين. وضرارًا: مخالفين.

حياكم ربُّكم وسدد أمرَكم)[1].

[٣٦] قال أبو سلمى لزهير[2] ابنه:

(يا بني، إن المزاحَ سبابُ الرضا[3]، ويوشك أن يكون غَضَبًا، فلا تمزح فيستخفَّ بك، أو تكتسبَ عداوةَ صديقِك، وعليك بأوساط الأمور؛ فإن أطرافَها متفاوتة)[4].

[٣٧] وقال شراحيل بن كعب جدُّ زيد بن حارثة[5] لبنيه:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٢، كما وردت في نثر الدر ٦/ ٣٩٠ وباختصار فيه ٦/ ٤٠١، وفي التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٢ (ويبدو أن مصدرهما فيها واحد).

(٢) **صاحب الوصية**: هو أبو سلمىٰ ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن ثعلبة المزني (نسبة إلىٰ مزينة بنت كلب بن وبرة، وكانت أم عثمان وأوس ابني عمرو بن أد، وبعثمان يتصل نسب أبي سلمىٰ)، وكان أبو سلمىٰ شاعرًا. انظر: جمهرة النسب ٢٨٧، والشعر والشعراء ١/ ١٤٣.

(٣) هكذا وردت، وقد ورد في جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٢٨٢: (وكان خالد بن صفوان يقول: المزاح سباب النوكي، ولا بأس بالفكاهة يَتَطَلَّقُ بها وجهُ الرجل في مجلسه، وتخرجه من حال العبوس). وقد ورد (المزاح سباب النوكي) مثلًا في كتاب الأمثال لأبي عبيدة ٨٥، والمستقصىٰ ١/ ٣٤٦ -ونسب فيهما لخالد بن صفوان- ومجمع الأمثال ٣/ ٢٨٦. والنوكىٰ: جمع أنوك، وهو الأحمق. والسباب: المسابة. وورد المثل في كتاب الآداب لابن شمس الخلافة ٩٠: المزاح سباب الحمقىٰ.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١١/ ٣٢٨.

(٥) **صاحب الوصية**: شراحيل بن كعب بن عبد العزىٰ بن امرئ القيس بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة. جد زيد بن حارثة الذي خرجت به أمُّه صغيرًا تزور قومها بني معن، فأغارت عليهم خيل بني القين ابن جسر فأخذوا زيدًا، فقدموا سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، التي وهبته للنبي ﷺ بعد زواجه بها، وكان أبوه وعمه قد قدما باحثين عنه -بعد تطواف طويل- فطلبا من النبي ﷺ مفاداتَه بمال، فعرض ﷺ عليهما أن يجعل له الخيار -دونما مال- بين البقاء عنده أو الانصراف معهما، فاختار البقاء، فطابت أنفسهما عنه. أسلم مبكرًا، وكان أثيرًا عند النبي ﷺ، حتىٰ قيل له: حِبُّ رسول الله ﷺ، أمَّره النبي ﷺ علىٰ جيش مؤتة فقتل فيها في أرض الشام، في جمادىٰ من سنة ثمانٍ من الهجرة، وكان جدُّه شراحيل قد وَجَدَ لفقده وَجْدًا شديدًا، فقال فيه:

بكيت علىٰ زيد ولم أدر ما فعلْ ... أحيٌّ يرجَّىٰ أم أتىٰ دونه الأجلْ =

(اتقوا الله إلهَكم، ولا تستثيروا السباعَ من[1] مرابضِها[2] فتندموا، وداروا الناس بالكفِّ[3] عنهم تسلموا[4]، وخُفُّوا عن السؤال ولا تتثاقلوا[5])[6].

[٣٨] قال صخر بن نهشل بن دارم[7] لابنه[8]:

(اسكتْ يا بني، فإن الصمتَ سَتْرُ العيِّ، كما أن الكلامَ سَتْرُ البيان)[9].

[٣٩] وجمع صعب بن سعد[10] بنيه[11]، فقال[12]:

=انظر: نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٦٢٧، والسيرة النبوية ١/ ٢٤٧-٢٤٨، وأسد الغابة ٢/ ١٢٩-١٣١ والإصابة ٢/ ٥٩٨-٦٠١.

(١) في محاضرات الأدباء: في.

(٢) تستثيروا: تهيجوا. السباع: جمع سبع، وهو كل ضارٍ له ناب يعدو على الناس والدواب فيفترسها كالأسد والذئب والنمر. مرابضها: أماكنها وما تأوي إليه.

(٣) داروا الناس: لاطفوهم ولاينوهم وارفقوا بهم. الكف: الامتناع.

(٤) في محاضرات الأدباء: ... الناس في جميع الأحوال تسلموا.

(٥) خفوا عن. هكذا، ولعل صحته: عند. خفوا: أسرعوا. تتثاقلوا: تتباطؤوا.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٤٠١، كما وردت في محاضرات الأدباء ٢/ ١٧٦ مصدرة بـ(قال زيد بن حارثة)! ولعلَّ (جد) ساقطة. وقد وردت -باختلاف يسير- ضمن وصية عوف بن كنانة الكلبي.

(٧) **صاحب الوصية**: صخر بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، كان مزامنًا للحارث بن عمرو بن آكل المرار الكندي، وله قال الحارث: أنجز حرٌّ ما وَعَدَ. انظر: جمهرة أنساب العرب ٢٢٩-٢٣٠، والفاخر ٦١.

(٨) **مناسبة الوصية**: حين تكلم ابنه بمحضرٍ فأساء.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في نشوة الطرب ١/ ٤٥٣، كما وردت في نثر الدر ٦/ ٦٠ وهي فيه لأعرابي يقوله لابنه. وروايتها فيه: (فإن الصمت صون اللسان، وستر العي).

(١٠) **صاحب الوصية**: صعب (أو الصعب) بن سعد العشيرة (انظر بقية نسبه عند ترجمة والده). ابنته بجيلة زوجة أنمار بن إراش (انظر بقية نسبه في ترجمة ولده عبقر) وإليها نسب أولاده البجليون. انظر جمهرة أنساب العرب ٣٨٧، ٤٠٧.

(١١) **مناسبة الوصية**: عند موته.

(١٢) جاء في الوصايا عقب إيراد الوصية: (قال أبو حاتم، يقول: إذا احتبىٰ أحدكم فليوسِع=

(يا بني، أوسعوا الحُبَا، وحُلُّوا الرُّبا، وكونوا أُسًىٰ تكون حِمىٰ)[1].

[٤٠] قال صيفي بن رياح التميمي[2] لبنيه:

(يا بني اعلموا أن أسرعَ الجُرْمِ عقوبةً البغيُ، وشرَّ النُّصْرَةِ التعدي، وأَلْأَمَ الأخلاقِ الضيقُ، وأسوأَ الأدبِ كثرةُ العتاب)[3].

=الحبوة ولا ينقبض، أراد لتعظم همَّةُ أحدكم ولا تصغر، وقوله: وحلوا الربا، يعني انزلوا المرتفعات من الأرض لتُرَىٰ نيرانكم فتقصدكم الأضياف، وقوله: وكونوا أسىٰ، أي لتكن كلمتكم واحدة، وهو من الأسوة، أي لا تختلفوا، فيطمع فيكم أعداؤكم، ولكن كونوا أسوة بعضكم بعضًا، تكونوا حمىٰ، أي حِرزًا، لا يطمع فيكم). والأُسىٰ والإسىٰ جمع أسوة.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٦، وقد نسبت الوصية إلىٰ مصعب بن يشكر.

(٢) **صاحب الوصية**: صيفي بن رباح (في جمهرة النسب ٢٧٠، وجمهرة أنساب العرب ٢١٠: رياح) بن الحارث بن مخاشن التميمي، أبو أكثم الحكيم المشهور. نقل ابن حجر (الإصابة ١/ ٢١٢) عن أبي حاتم -وليس هو في المطبوع من المعمرون- أنه كان من المعمرين، وأنه عاش مائتين وسبعين سنة. يقال له -كما في القاموس المحيط (حكم) ٤/ ١٠٠- أبو الحكم (بضمتين)، وأشار ابن قتيبة (المعارف٥٥٣) إلىٰ أن أحد الأقوال في المراد بقول المتلمس:

لذي الحكم قبل اليوم ما تقرع العصا   وما علِّم الإنسان إلا ليعلما

هو صيفي، أبو أكثم.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب ذم البغي لابن أبي الدنيا ٧٣، بسنده إلىٰ شرقي بن القطامي. وتحت عنوان: وصية صيفي بن رباح جاء في المعمرون ١٤٦: (ذكروا أن صيفي بن رباح أبا أكثم بن صيفي قال: سلطانك علىٰ أخيك علىٰ كل حال، فإذا أخذ السيف فلا سلطان لك عليه، وكفىٰ بالمشرفية واعظًا، وترك الفخر أبقىٰ للثناء، وأسرع الجرم... أضيقها، ومن سوء الأدب كثرة العتاب، وأقرع الأرض بالعصا. فذهبت مثلًا).

[٤١] قال ضرار بن عمرو الضبي[١] لابنته[٢]:

(يا بنية[٣]، أمسكي عليك الفضلين. قالت: وما الفضلان[٤]؟ قال: فضلُ[٥] الغِلْمَةِ وفضلُ الكلام)[٦].

---

(١) **صاحب الوصية**: ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبة بن أد، سيد بني ضبة، وطالت رئاسته لهم، شهد يوم القرنتين، ومعه ثمانية عشر ذكرًا من ولده. انظر: جمل من أنساب الأشراف ١١/ ٣٦٣، وجمهرة أنساب العرب ٢٠٣. وقد تحرَّف اسم ابنته في جمل من أنساب الأشراف ١١/ ٣٨٤: إلىٰ معازة.

وقد نقل البغدادي (خزانة الأدب ٢/ ٢٥) من رسالة لأبي رياش أبياتًا لمالك بن نويرة قالها في الأقرع بن حابس وضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة جاء فيها:

تمشَّىٰ يا بن عوذةَ في تميمٍ وصاحبَك الأقيرع تلحياني

وجاء عقيبها: (وعوذة أم ضرار بن القعقاع، وهي معاذة بنت ضرار بن عمرو الضبي). والخطأ -فيما نقله البغدادي - ظاهر، وأم ضرار بن القعقاع كما في جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٤٢ -عميرة بنت عطارد بن حاجب بن زرارة. إلا أن يكون أراد جدَّتَه أمَّ أبيه.

(٢) **مناسبة الوصية**: الوصية: (أنكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته معبد بن زرارة، فلما أخرجها إليه، قال لها: ...) انظر مصادر الوصية.

ومعبد بن زرارة (انظر بقية نسبه في ترجمة والده) الدارمي أبو القعقاع، كان من سادات قومه، أُسِر يوم رحرحان، وطلب آسروه الكلابيون في فكاكه دية ملك، ألف بعير، فأبىٰ أخوه لقيط أن يدفع لهم أكثر من مائتي بعير، تنفيذًا لوصية والده في فداء من يؤسر منهم، تاركًا توسلات أخيه معبد تذهب أدراج الرياح. وقد مات معبد بعد ذلك عند آسريه.

انظر: النقائض ١/ ٢٢٧، وجمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٣٩.

(٣) ورد في جمل من أنساب الأشراف: يا بثينة! ولعله تصحيف.

(٤) في عيون الأخبار وجمل من أنساب الأشراف ونثر الدر: الفضلين فضل... وفي شرح النهج: وما هما؟...

(٥) الفضل: الزيادة علىٰ الاقتصاد (الاعتدال). والغلمة: شدة الشهوة للجماع.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ١/ ١٩٣ (وعنه في تحفة العروس ١٥٧)، كما وردت في عيون الأخبار ١/ ٣٣٠، وجمل من أنساب الأشراف١١/ ٣٦٣، ونثر الدر ٦/ ٣٨٨-٣٨٩، وشرح نهج البلاغة ٧/ ٩٠.

[٤٢] قال طيئ بن أُدَدٍ[١] يوصي بنيه[٢]:

(يا بنيَّ[٣]، إنكم قد حللتم محلاً تخرجون منه[٤]، ولا يُدخل عليكم فيه، فارعوا مرعىٰ الضَّبِّ الأعورِ يرىٰ جُحْرَه ويعرف قدرَه[٥]، ولا تكونوا كالجراد[٦] يأكل ما وَجَدَ ويأكلُه ما وجدَه[٧]؛ وإياكم والبغيَ، فإن الله إذا أراد هلاكَ النملةِ جعل لها

---

(١) **صاحب الوصية:** طيئ بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ القحطاني (انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٩٨)، وقد نسبت الوصية في الوصايا إلىٰ عمرو بن الغوث بن طيئ... وجاء فيه: (وأوصىٰ عمرو بن الغوث بن طيئ ولده، وهم ثعل ونبهان وبنوهم. وكان عمرو قد عاش حتىٰ كبر ولده فقال...)، ولكن سائر المصادر نسبتها إلىٰ طيئ بن أدد. وثمة أمران يرجحان نسبة الوصية إلىٰ طيئ بن أدد أولهما: أن مقدمة نثر الدر (انظر مناسبة الوصية) هي الأكثر انسجامًا مع مضمون النص حيث تأكيد الكثرة. وثانيهما: ما دللت عليه في أكثر من موضع في البحث من وجود خلل في أوراق مخطوط كتاب الوصايا تسبب في إسناد الوصايا إلىٰ غير أصحابها. ويهتدي الباحث إلىٰ أسماء أصحابها الحقيقيين من إجماع المصادر الأخرىٰ عليهم، والتي يكون منها أحيانًا ما يصرح صاحبه بنقله عن كتاب الوصايا! (انظر مثلًا وصية الحارث بن كعب).

(٢) **مناسبة الوصية:** (قيل بلغ ولد طيئ بن أدد وولد ولده وهو حي خمسمئة رجل، فجمعهم حين حضرت الوفاة فقال...) نثر الدر.

(٣) في سوائر الأمثال: يا معشر طيئ.

(٤) في سوائر الأمثال ومجمع الأمثال: إنكم قد نزلتم منزلاً لا تخرجون منه. وفي نثر الدر: نزلتم منزلًا لا تدخلون فيه...!

(٥) في سوائر الأمثال ومجمع الأمثال: أبصر جحره وعرف قدره. وفي نثر الدر: يعرف قدره ويبصر جحره.

(٦) زاد في سوائر الأمثال ومجمع الأمثال: «رعىٰ واديًا وأنقف واديًا» أنقف واديًا: شق وكسر بيضه فيه. وفي نثر الدر: كالجراد لقف واديًا وترك واديًا. ولقف الشيء: تناوله بسرعة. والوادي: كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام، سمي بذلك لسيلانه، ويكون مسلكًا للسيل ومنفذًا.

(٧) في سوائر الأمثال ومجمع الأمثال: أكل ما وجد وأكله من (ما) وجده.

جناحين[1]، يا بني، لا تستحيوا من مَنْعِ من لا يستحيي من المسألةِ، وكلوا من الطعامِ وأطعموه، ولا يستحي أحدُكم أن يفعلَ شيئًا ينتفع به إذا لم يُعرَف، فإنه إنما يستحيي حينئذٍ لغيره، وابدؤوا الناسَ بالشرِّ فإنه أشكرُ لخيركم[2] وإن كان قليلاً، ولا تمنعْكم الكثرةُ أن تَربَعُوا[3] علىٰ أقداركم، والله يحوطكم[4])[5].

[٤٣] جمع عامر بن صعصة[6] بنيه عند موته ليوصيهم[7] فمكث طويلًا لا يتكلم، فاستحثه بعضهم فقال: إليك يساق الحديث. ثم قال:

---

(١) جاء في الحيوان ٤/ ٣٥: (من أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له. وقد قال الشاعر [أبو العتاهية]:

وإذا استوت للنمل أجنحة　　حتىٰ يطير فقد دنا عطبه

وإذا صار النمل كذلك أخصبت العصافير، لأنها تصطادها في حال طيرانها)، وانظر أيضًا: ثمار القلوب ٤٣٦. وكأن النملة بظهور الجناحين، سَمَتْ إلىٰ ما ليس لها في الأصل فكان فيه هلاكها. وكذا الباغي الذي يتجاوز ما هو له إلىٰ ما ليس له ويعتدي عليه يسارع إليه العطب. (وكان الرشيد كثيرًا ما ينشد ذلك [البيت] عند نكبة البرامكة) حياة الحيوان الكبرىٰ ٢/ ٣٧٤. وجعل الميداني (مجمع الأمثال ١/ ١٥٢) هذا المثل من أمثال المولدين!

(٢) أشكر: أنمىٰ له (أشكر الضرع: امتلأ لبنًا وأشكر القوم: شكرت إبلهم... وقيل: الشكور من الدواب الذي يَسْمَنُ علىٰ قلَّةَ العلف كأنه يشكر وإن كان ذلك الإحسان قليلًا، وشُكْرُه ظهور نمائه وظهور العلف فيه). اللسان (شكر).

(٣) تربعوا: تقيموا. يقال: أربعوا أي أقاموا في المربع عن الارتياد والنجعة، والمربع: الموضع الذي يقام فيه [زمن الربيع خاصة]. والأقدار: جمع قدر وهو الحرمة والوقار.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٥، وقد ورد صدرها (يا بني... وما وجده) في سوائر الأمثال ٢٨٨ مصدرًا بقوله: وفي وصية طيئ بنيه. (وعنه -فيما يبدو- في مجمع الأمثال ٢/ ٤٦١). وقد ورد الجزء الأول منها (يا بني... جناحيه) في نثر الدر ٦/ ٤٠١. وقد ورد في البصائر والذخائر ٣/ ١٧٨: (عن إسحاق الموصلي قال: أوصىٰ بعض العرب ابنه فقال: يا بني كن كالضب ولا تكن كالجراد، فإن الضب يلتزم جحره فلا يفارقه، وإن الجراد يسرح فيأكله كل شيء).

(٥) يحوطكم: يحفظكم.

(٦) **صاحب الوصية**: عامر بن صعصة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر. انظر: جمهرة النسب ٣١١-٣١٣، وجمهرة أنساب العرب ٢٧٢.

(٧) **مناسبة الوصية**: قالها لأبنائه عند موته.

(يا بني جُودوا ولا تَسألوا[1] الناسَ، واعلموا أن الشحيحَ أعذرُ من الظالمِ[2]، وأطعموا الطعامَ، ولا يُسْتَذَلَنَّ لكم جارٌ[3][4]).

[٤٤] قال عامر بن الظرب العدواني[5] لزوجته[6]:

---

(١) في نثر الدر: جودوا على الناس ولا تسألوهم. وزاد: وتهضَّموا عدوكم. يقال: هضم الشيء: كسره. وتهضموا مبالغة!

(٢) قال أبو عبيد (الأمثال ١٩١): (هذا مثل مبتذل عند العوام، وإنما نراهم جعلوا له عذرًا إذا كان استبقاؤه ماله يصون به وجهه وعرضه عن مسألة الناس، يقولون: فهذا ليس بمليم، إنما هو تارك للتفضل، ولا عيب عليه في حفظ شيئه، إنما يَلزم اللائمةَ الآخذُ مالَ غيره...) ونقل الميداني (مجمع الأمثال ٢/ ١٦٣) عن أبي عمرو في معنى المثل: (أي من بخل عليك بماله فشتمته فقد ظلمته).

(٣) في نثر الدر: ولا تستذلن جاركم.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاخر ٢٤٥-٢٤٦ كما وردت في نثر الدر ٦/ ٤١١ (باختصار)، ومجمع الأمثال ٢/ ١٦٣.

(٥) **صاحب الوصية**: عامر بن ظرب بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، كان من حكماء العرب في الجاهلية، تحاكموا إليه حتى خرف، وهو الذي قرعت له العصا -في قولٍ- عمَّر طويلًا، وهو ممن حَرَّم في الجاهلية الخمر والأزلام.
انظر: جمرة النسب ٤٧١-٤٧٢، والمحبر ٢٣٦، والمعمرون ٥٦-٦٤، والاشتقاق ٢٦٨.

(٦) **مناسبة الوصية**: وكان من حديث عامر بن الظرب العدواني لزوجته أنه زوج ابنته فعمة، ابنة عامر، ابنَ أخيه عامر بن الحارث بن ظرب، وقال لأمها، وهي ماوية بنت عوف بن فهر حين أراد البناء بها... وثمة تكملة للخبر يجمل أن تورد، وذلك أنه حين [أدخلت الجارية عليه نفرت منه ولم ترده]. فأتى إلى عامرٍ ابنُ أخيه، فشكا ذلك إليه، فقال له عامر: (يا ابن أخي، إنها وإن كانت ابنتي فإن لك نصيبًا مني [أو قال، فإن نصيبك الأوفر مني] فاصدقني، فإنه لا رأي لمكذوب، فإن صدقتني صدقتك، إن كنتَ نَفَّرْتها فذعرتها، فاخفض عصاك عن بكرتك تسكن، وإن كانت نفرت منك من غير إنفار فذلك الداء الذي ليس له دواء، وإلا يكن وِمَاقٌ ففراق، وأجمل القبيح الطلاق، ولم نَتِرْك أهلَك ومالك، وقد خلعتها منك بما أعطيتها، وهي فعلت ذلك بنفسها). فزعمت علماء العرب أن هذا أول خلع كان في العرب وثبت في الإسلام. كتاب المعمرون ٦٠-٦١، وفي عيون الأخبار ٤/ ٧٦، ونثر الدر ٦/ ٣٩٨ (فلم تلبث إلا شهرًا حتى جاءته مشجوجة، فقال لابن أخيه: يا بني ارفع عصاك...).

(يا هذه، مُرِي ابنتَك فلا تنزلَنَّ فلاةً[١] إلا معها ماءٌ، وأن تكثر استعمال الماء فلا طيبَ أطيب منه، وإن الماء جُعل للأعلىٰ[٢] جِلاءً وللأسفل نَقَاءً[٣]، وإياك أن تميلي إلىٰ هواك ورأيك فإنه لا رأيَ للمرأة، وإياي ووصيَّتَك، فإنه لا وصيةَ لك، أخبري ابنتك، أن العشقَ[٤] حلوٌ، وأن الكرامة المواتاة[٥]، فلا تستكرهنَّ زوجَها من نفسها، ولا تمنعْه عند شهوته[٦]، فإن الرضا الإتيانُ عند اللذة، ولا تكثر مضاجعتَه[٧] فإن الجسد إذا مَلَّ مَلَّ القلب[٨]، ومريها فلا تمزحنَّ معه بنفسه[٩]، فإن ذلك يكون منه الانقباضُ[١٠]، ومريها فلتخبأ سوءتها[١١] منه، فإنه، وإن كان لا بُدَّ من أن يراها، فإن كثرةَ النظرِ إليها استهانةٌ[١٢] وخِفَّة)[١٣].

---

(١) في عيون الأخبار ونثر الدر: ألاَّ تنزل مفازة. والفلاة: الأرض الواسعة المقفرة. والمفازة: الصحراء المهلكة.

(٢) في عيون الأخبار ونثر الدر وتحفة العروس: إلا معها ماء فإنه للأعلىٰ.

(٣) جلاء: جلا الصيقلُ السيفَ والمرآةَ ونحوها: كشف صدأها وصقلها. والماء يجلو (يزيل) عن الوجه الأوضار كما يُجلىٰ الصدأ عما ذكر. نقاء: نظافة.

(٤) العشق: فرط الحب، والعاشق يتودد للمعشوق، ويرق في حديثه معه، ولعل المراد: أن تكون المرأة لزوجها كذلك.

(٥) المؤاتاة: المطاوعة.

(٦) في المصادر السابقة: ولا تمنعنه شهوته.

(٧) مضاجعته: الاضطجاع معه.

(٨) في المصادر السابقة: فإنه إذا ملَّ البدن ملَّ القلب.

(٩) أي لا يكون زوجها -أو شيء منه- هو موضوعَ المزاح.

(١٠) الانقباض: الضيق والاشمئزاز والانعزال.

(١١) تخبأ: تستر. السوءة: الفرج.

(١٢) استهانة: احتقار. خفة: جهل.

(١٣) التوثيق: وردت الوصية في المعمرون ٦٠، وباختصار في عيون الأخبار ٤/ ٧٦، ونثر الدر ٦/ ٣٩٨ (وعنه في نشوة الطرب ٢/ ٥٩٢)، وتحفة العروس ١٥٤ (وهي فيه عن كتاب الجماهر لأبي الريحان).

[٤٥] وقال عامر بن الظرب العدواني في وصيته:

(إني وجدتُ صِدْقَ الحديثِ طَرَفًا من الغيب فاصدقوا[١])[٢].

[٤٦] جمع عبد المطلب بن هاشم[٣] بنيه[٤] -وكانوا عشرةً- وامرهم ونهاهم وقال:

(إياكم والبغيَ، فوالله ما خلقَ الله ﷻ شيئًا أعجلَ عقوبةً من البغي، ولا رأيت أحدًا بقي علىٰ البغي إلا إخوتُكم[٥] من بني عبد شمس)[٦].

[٤٧] واوصى عَبْقر بن انمار البَجَلي بنيه[٧] فقال:

(١) (يعني من لزم الصدق وعَوَّدَه لسانه وُفِّقَ، فلا يكاد ينطق بشيء يظنه إلا جاء علىٰ ظنه) عن المستطرف.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نهاية الأرب ٣/ ٢٣٨، والمستطرف ٣٩١.

(٣) **صاحب الوصية**: عبد المطلب (واسمه شيبة) بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي، جدُّ النبي ﷺ، كان سيدً قريش حتىٰ هلك، لم يبقَ لهاشمٍ عَقِبٌ إلا منه.

انظر: جمهرة النسب ص٢٧، وجمهرة أنساب العرب ص١٤. وذكر الكلبي أسماء اثني عشر ولدًا له هم: الحارث (أكبرهم وبه كان يكنىٰ)، وعبد الله، وعبد مناف (أبو طالب)، والزبير، والعباس، وضرار، وحمزة، والمقوم، وحجل (المغيرة)، والعوام، وعبد العزىٰ (أبو لهب)، وقثم وقد مات صغيرًا. انظر: جمهرة النسب ص٢٨.

(٤) **مناسبة الوصية**: عند وفاته.

(٥) في نسخة من مخطوطات تاريخ دمشق: من إخوتكم.

(٦) **التوثيق**: الوصية في كتاب ذم البغي لابن أبي الدنيا ص٥٦ بسنده إلىٰ عبد الله بن معاوية الهاشمي، كما وردت في تاريخ دمشق لابن عساكر (قسم عبد الله بن مسعود -عبد الحميد بن بكار) ١٥٩، بسنده إلىٰ ابن أبي الدنيا.

(٧) **صاحب الوصية**: عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، أحد أجداد بني بجيلة، أمه بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، وإليها ينسب أولاده وأولاد إخوته. انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٨٧، ونهاية الأرب ١٧١، وصبح الأعشىٰ ١/ ٣٢٩.

(يا بني، إذا غدوتم فَبَكِّروا[١]، وإذا رُحْتم فهجِّروا[٢]، وإذا أكلتم فأوتروا[٣]، وإذا شربتم فأنْبِروا[٤]، وأبيحوا[٥] ما يؤكلُ فإنَّ منْعَه ألأمُ اللُّؤم)[٦].

[٤٨] وأوصى عمرو بن كلثوم[٧] التغلبي [بنيه][٨] فقال:

(يا بني، إني قد بلغتُ من الهَرَمَ[٩] ما لم يبلغْه أحدٌ من آبائي وأجدادي[١٠]، ولا بدَّ

---

(١) غدوتم: ذهبتم غدوة، وهو ما بين الفجر وطلوع الشمس، ويستعمل الغدوَّ للمسير في أي وقت من ليل أو نهار. وبكِّروا: اخرجوا أول النهار قبل طلوع الشمس.

(٢) رحتم: رجعتم بعد الغروب، ويستعمل الرواح للمسير في أي وقت من ليل أو نهار. وهجروا: بادروا.

(٣) جاء بعدها في نثر الدر: (أوتروا، أي كلوا بثلاث أصابع)! ولم أقف علىٰ هذا الإطلاق. وقد جاء في كتاب الوفا بأحوال المصطفىٰ لابن الجوزي ٢/ ٦٠٦ عن فطر النبي ﷺ: «... وعلىٰ التمر إذا لم يكُن رطب، ويجعلهن وترًا ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا».

(٤) في نثر الدر: فأسئروا. وفي الزاهر ٢/ ٢٠٣: (جاء في الحديث: «إذا أكلتم فأسئروا» أي أفضلوا فضله). وورد مثله في النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٢٧ وفيه: إذا شربتم. وجاء في الوصايا عقب النص: قال أبو حاتم: النبر الهمز، وإنما شبهه بالصوت الذي تسمعه من الحلق إذا جرىٰ الماء فيه».

(٥) أبيحوا: اجعلوه مباحًا للناس ولا تمنعوهم منه.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٦ كما وردت -دون الجملة الأخيرة- في نثر الدر ٦/ ٤٠٨. نسبت الوصية فيه إلىٰ عمر بن يشكر البجلي، ولعل عمر محرفة عن عمرو، ويكون المراد عمرو بن يشكر بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر به أنمار. انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٨٨.

(٧) **صاحب الوصية**: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، جاهلي قديم، قتل عمرو بن هند ملك الحيرة وصَوَّر طرفًا من ذلك في معلقته المشهورة، وهي من جيد شعر العرب القديم، ساد مبكرًا، وعمَّر طويلًا. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥١، والشعر والشعراء ١/ ٢٣٤، والأغاني ١١/ ٤٦.

(٨) **مناسبة الوصية**: (لما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة، وقد أتت عليه خمسون ومئة سنة، جمع بنيه فقال: ....) الأغاني ١١/ ٥٣.

(٩) في الأغاني وشرح النهج: العمر.

(١٠) في الأصل: من آبائي إلا جدي: ذلك الرجل كان ملك جده فسمي «الرجل» لكماله! وهو كلام لم أستطِع استيضاحه.. وما أثبته من الأغاني وشرح نهج البلاغة.

من أمرٍ مُقْتَبَلٍ[1]، وأن ينزلَ بي ما نزل بالآباء والأجداد والأمهات والأولاد[2]، وإني -والله- ما عيَّرت رجلًا[3] قط بشيء[4] إلا وعيَّرني بمثله[5]، إن [كان][6] حقًّا فحقًّا وإن كان باطلًا فباطلًا، ومن سَبَّ يُسَبُّ، فكفوا عن الشتم، فإنه أسلمُ لأعراضكم[7]، وصلوا أرحامكم تعمرْ دارُكم، وأكرموا جارَكم يحسن ثناؤكم[8]، وزوِّجوا بناتِ العمِّ بني العمِّ، فإن تعديتم[9] بهن إلىٰ الغرباء فلا تألوا بهن عن الأكفاء، وأبعدوا بيوتَ الرجالِ عن النساء[10]، فإنه أغضُّ للبصر، وأعفُّ للذكر، فإذا[11] كانت المعاينةُ[12] واللقاء، ففي ذلك داءٌ من الأدواءِ، ولا خيرَ فيمن لا يغارُ لغيره[13]، كما يغار لنفسه، وقَلَّ من انتهك حرمةً لغيره[14] إلا انتُهكَت منه حرمتُه[15]، وامنعوا ضيمَ[16] الغريب

(١) مقتبل: منتظر (غير بعيد)، رجل مقتبل الشباب: مستقبل الشباب.
(٢) زاد بعده في شرح النهج: فاحفظوا عني ما أوصيكم به.
(٣) في الأغاني والفاضل: أحدًا.
(٤) في شرح النهج: أمرًا إلا عيرني مثله.
(٥) في الأغاني والفاضل: إلا عُيرت بمثله.
(٦) زيادة من الأغاني.
(٧) في الأغاني: أسلم لكم. وفي الفاضل: للأعراض.
(٨) في الأغاني والفاضل: أحسنوا جواركم. وفي الفاضل وشرح النهج... بحسن ثنائكم.
(٩) تعديتم: تجاوزتم. الغرباء: جمع غريب، الرجل ليس من القوم. تألوا: تقصروا. الأكفاء: المماثلون.
(١٠) في شرح النهج: من بيوت النساء.
(١١) في شرح النهج: فمتىٰ.
(١٢) المعاينة: الرؤية بالعين.
(١٣) غار الرجل علىٰ المرأة: ثارت نفسه من نظر الآخرين إليها، أو إيذائهم لها، حماية لها وحفظًا.
(١٤) انتهك حرمة: تناولها بما لا يحل. والحرمة: المرأة وما لا يحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة أو نحو ذلك.
(١٥) في شرح النهج: إلا انتهكت حرمته.
(١٦) ضيم: ظلم وإذلال.

من القريب[١]، فإنك تُذِلُّ[٢] علىٰ قريبك ولا يجمل بك ذُلُّ غريبِك، فإذا[٣] تنازعتم في الدماءِ فلا يكوننَّ حقُّكم اللقاء[٤]، ورُبَّ رجلٍ خيرٌ من ألفٍ، ووِدٌّ[٥] خير من خلفٍ، وإذا حُدِّثتم فعُوا[٦]، وإذا حَدثتم فأوجزوا، فإن مع الإكثارِ يكون الإهـذارُ[٧]، وموتٌ عاجلٌ خير من ضنًى[٨] آجلٍ، وما بكيت من زمانٍ إلا دهاني[٩] بعده زمانٌ، وربما شجاني من لم يكُن أمرُه عناني[١٠]، ولا عجبتُ من أحدوثةٍ[١١] إلا رأيت بعدها أعجوبةً، واعلموا أن أشجع القوم العَطُوفُ[١٢]، كما أن أكرمَ الحتوفِ قتلٌ بالسيوف[١٣]، ولا خير

---

(١) في الأغاني: وامنعوا من ضيم الغريب. وفي الفاضل: وامنعوا ضيم الغريب والقريب. وفي شرح النهج: وامنعوا القريب من ظلم الغريب.

(٢) في شرح النهج: تدل. ولعل ما ورد في الأصل والفاضل تصحيف. وتدل: تجترئ بسبب المعاشرة والصحبة.

(٣) في شرح النهج: وإذا.

(٤) في شرح النهج: الكفاء.

(٥) في الأغاني: وَرَدٌّ. والود: الصديق المحبُّ. وخَلَف: ولد صالح. وردٌّ: عدم إعطاء. خُلْف: إخلاف الوعد. والمعنيان مستقيمان. وإن كانت رواية الأغاني أقرب إيقاعًا!

(٦) عوا: احفظوا وافهموا.

(٧) في الأغاني: ... تكون الأهذار. والأهذار: جمع هَذَر، وهو سقط الكلام، وأهذر في كلامه إهذارًا، أكثر فيه من الهذيان.

(٨) الضنىٰ: المرض أو الهزال الشديد. آجل: متأخر.

(٩) دهاني: أصابني بداهية، الأمر المنكر العظيم، ودواهي الدهر: ما يصيب الناس من عظيم نوبه.

(١٠) شجاني: أحزنني. عناني: أهمني.

(١١) أحدوثة: ما يتحدث به، والحديث المضحك أو الخرافة.

(١٢) في الأغاني: العطوف بعد الكر! والعطوف من الرجال الذي يحمي المنهزمين. وكرَّ علىٰ العدو: حمل، وعنه: رجع.

(١٣) في الأغاني: كما أن أكرم المنايا القتل. وفي شرح النهج: وخير الموت تحت ظلال السيوف. والحتوف جمع حتف، وهو الهلاك.

فيمن لا رَوِيَّةَ له[١] عند الغضبِ، ولا من[٢] إذا عوتب لم يُعْتِبْ[٣]، ومن الناس من لا يُرجىٰ خيرُه، ولا يخاف شرُّه[٤]، فبُكْؤه خير من دَرِّهِ[٥]، وعقوقُه خير من بِرِّه، ولا تبرَّحوا[٦] في حبِّكم، فإنه من بَرَّح[٧] في حبٍّ آل ذلك إلىٰ قبيحِ البغض، وكم مَنْ قد[٨] زارني وزرتُه، فانقلب الدهر بنا فبُرْتُه[٩]، وقلَّ ما رأيت غضبًا إلا فتْرَتُه أكتسب بغضًا[١٠]، واعلموا أن الحليمَ سليمٌ، وأن السَّفيهَ كليمٌ، إني لم أمُتْ ولكني هَرِمْتُ، ودخلتني ذِلَّةٌ فسَكَنتْ[١١]، وضَعُفَ قلبي فأَهْتَرْتُ[١٢]، سلَّمَكم ربُّكم وحياكم)[١٣].

(١) الروية: النظر والتفكير في الأمور.
(٢) في الفاضل وشرح النهج: ولا فيمن.
(٣) عوتب: استرضي بعد عتبه. يعتب: يرضىٰ، ويقبل عذر المعتذر.
(٤) في الفاضل: وشر الناس من لا يرجىٰ خيره، ولا يتقىٰ ضرُّه (ضيره). وضره: أذاه، وضيره: إضراره.
(٥) بكأت الناقة: قل لبنها، والبئر قل ماؤها، والمراد: مَنْعُهُ خير من إعطائه.
(٦) في الأغاني: ولا تتزوجوا في حبِّكم فإنه يؤدي إلىٰ قبيح البغض.
(٧) برَّح به الحب: أجهده. ولا تبرِّحوا في حبكم: لا تبالغوا فيه.
(٨) في شرح النهج: وكم قد زارني!
(٩) في شرح النهج: فقبرته. وبار الشيء بورًا: هلك. وبرت الشيء: اختبرته، وبار العمل: لم يحقق المقصود منه. ولعل المعنىٰ: أني حين احتجته لم أجده كما أردته.
(١٠) هكذا في الأصل، وتفرد بها، ولعل صحة الجملة: وقلَّ ما رأيت غضبًا إلا [بعد] فَتْرته أكسب بغضًا. فترته: سكونه بعد شدته.
(١١) في شرح النهج: فسكت.
(١٢) أهترت: يقال: أهتر فلانًا الكبر: أفقده عقله وصيره خَرِفًا.
(١٣) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٤٠٨-٤١٠، وهي -باختصار يسير جدًا- في شرح نهج البلاغة ١٧/ ١٢٣-١٢٤. وقد وردت باختصار في الأغاني ١١/ ٥٣-٥٤، وباختصار شديد في الفاضل للوشاء ١٥٥. وقد ورد منها قوله: (كفوا عن الشتم... لم يعتب)، باختصار وزيادة في أولها، لحكيم يوصي ابنه في عين الأدب والسياسة ٢٥٢.

[٤٩] أوصى عمرو بن يزيد الكلبي[١] بنيه:

(أوصيكم بتقوىٰ الله، وبرِّ الرحمِ، والحفظِ للعيال، والإحـرازِ للحُرَم[٢]، ولا تحاسدوا فتَذِلُّوا، ولا تواكَلوا فتفشَلوا[٣]، تعاطفوا يَصْلُبْ عودُكم[٤]، وتقاربوا وتحابوا يظهرْ حزمُكم، وأقلُّوا المنطقَ تُرهبوا، وتساخوا الفعالَ[٥]، وأميتوا الضغائن[٦] تحمدوا العواقبَ، واستعينوا علىٰ محاربةِ عدوِّكم بذكر المعاير[٧]، والهربُ منها كرمٌ، والتخوُّفُ لها جهادٌ، أزيلوا عنكم نيةَ البغي، وألزموا قلوبَكم الإنصافَ وعزيمةَ العفو تنصروا، ولتكُن أعلامُكم[٨] ذوي الرأي منكم، وأنزلوهم منزلةَ الآباء في التقليد والإنفاذِ لأمرهم، فإن أعظمَ مصائبِ القومِ خلافُ الشفيقِ المصيبِ، وطاعة المصيب ظَفَرٌ، واتباعُه يُمْنٌ[٩]، وإذا حاربتم قومًا فأطيلوا مواقَفَتَهم[١٠]، وتأمَّلوا[١١] فيهم الفرصةَ، وإن أمكنكم البياتُ[١٢] ففيه الظَّفَرُ بعدوِّكم، وإن منحوكم أكتافَهُم[١٣] فوسِّعوا عليهم المَسْرَبَ[١٤]، وَنَهْنِهُوا عن لَجْمِ المذاكي[١٥]، وعند تلك فأحبُّوا

---

(١) صاحب النص: عمرو بن يزيد الكلبي لم أقف له علىٰ ترجمة.
(٢) الإحراز: المنع والصون. وحرم الرجل: عياله ونساؤه وما يحمىٰ.
(٣) لا تواكلوا: لا يتكل بعضكم علىٰ بعض في أموركم. تفشلوا: تتراخوا وتجبنوا.
(٤) تعاطفوا: تراحموا وليشفق بعضكم علىٰ بعض. يصلب عودكم: تصبحون أكثر قوة.
(٥) تساخوا الفعال: تنافسوا في الكرم والأفعال الحميدة، سخو سخاوة: صار جوادًا كريمًا.
(٦) الضغائن: جمع ضغينة، الحقد الشديد.
(٧) المعاير: المعايب.
(٨) الأعلام: جمع علم، وهو سيد القوم.
(٩) اليمن: البركة.
(١٠) مواقفتهم: الوقوف أمامهم، أي لا تتسرعوا في الهجوم عليهم.
(١١) تأملوا: انتظروا.
(١٢) البيات: المفاجأة في جوف الليل.
(١٣) منحوكم أكتافهم: انهزموا أمامكم ولاذوا بالفرار.
(١٤) المسرب: المسلك والمنفذ.
(١٥) نهنهوا: كفوا. لجم: كفَّ، لجم فلانًا عن حاجته كفه. المذاكي: جمع مُذَكٍّ، وهو من الخيل ما بلغ سبع سنوات (المسن).

فراقَهم، فإن العافيةَ لمن اعتصم بها، لِيَرْعَكم ربُكم)[1].

[٥٠] قال غراب بن ظالم[2] لولده:

(لا تأمنَنَّ صدرَ امرأةٍ، ولو كانت أمَّك، ولا تأمننَّ علىٰ سرِّك غيرَك)[3].

[٥١] أوصى قُسُّ بن ساعدة[4] ولده فقال[5]:

(إن المَعَا[6] تكفيه البقلةُ، وتُرويه المذقةُ[7]، ومن عَيَّرك شيئًا ففيه مثلُه، ومن ظلمك وجد من يظلمه، ومتىٰ عَدَلْتَ[8] علىٰ نفسك[9] عدل عليك من فوقك، وإذا نهيت عن شيءٍ فابْدَ نفسَك[10]، ولا تجمعْ ما لا تأكل، ولا تأكل ما لا تحتاج إليه[11]،

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) **صاحب الوصية**: غراب بن ظالم بن فزارة بن ذبيان، يقال لولده بنو غراب بالشام، منهم أناس بالبادية وبدمشق دون الشام. انظر: جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ١٨٦، وجمهرة النسب ٤٣٩.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٢٣٧ وجاء فيه (حدثني الأثرم قال: قال سلم بن قتيبة بلغني أن غراب... وأنا أقول...) انظر وصايا سلم.

(٤) **صاحب الوصية**: قس بن ساعدة بن عمرو [بن شمر أو عمرو] بن عدي بن مالك بن أيدعان بن النمر ابن وائلة بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفصىٰ بن دعمي بن إياد، أحد حكماء العرب وخطبائهم وحنفائهم، عمَّر طويلًا، رآه النبي ﷺ قبل النبوة بعكاظ، فكان يأثر كلامًا سمعه منه. انظر: جمهرة النسب ٦٠٨، والمعمرون ٨٧، والأغاني ١٥/ ١٩٢.

(٥) في الأصل: جمع قس ولده، وهو ما لا يتفق مع سياق النص الموجه لمخاطب واحد، وفي الأوائل: (...ولده، فذكر الله ثم قال: أما بعد: -وهو أول من قالها- فإن...)، وفي الحكمة الخالدة: (وصية قس بن ساعدة لابنه: اعلم يا بني...).

(٦) المعا: المصير، واحد الأمعاء.

(٧) في الأمثال: المرقة، وهو تصحيف. المذقة: الشربة من اللبن.

(٨) في الأمثال: يجد... وإن عدلت.

(٩) زاد بعده في الحكمة الخالدة: وعلىٰ من دونك عدل...

(١٠) في الأوائل والحكمة الخالدة: فابدأ بنفسك.

(١١) زاد بعده في الحكمة الخالدة: فيتويك. ومعنىٰ يتويك: يهلكك.

وإذا ادَّخرتَ فلا يكوننَّ كنزُك إلا فعلَك[١]، وكن عَفَّ العَيْلَةِ[٢] مُشْتَرَكَ الغنىٰ تَسُدْ قومَك، ولا تشاورنَّ مشغولًا وإن كان حازمًا[٣]، ولا جائعًا وإن كان فَهِمًا[٤]، ولا مذعورًا وإن كان ناصحًا[٥]، ولا تضعنَّ في عنقِك طَوقًا لا يمكنك نزعُه[٦] إلا بشقِّ نفسِك[٧]، وإذا خاصمتَ فاعدل، وإذا قلتَ فاقتصد[٨]، ولا تستودعنَّ أحدًا دينَك[٩] وإن قَرُبَتْ قرابتُه، فإنك إذا فعلت ذلك لم تزَلْ وَجِلًا[١٠]، وكان المستودعُ بالخيار في الوفاء والغدر، وكنت له عبدًا ما بقيت[١١]، وإن[١٢] جَنَىٰ عليك كنت أولىٰ بذلك، وإن وفىٰ كان الممدوحَ دونك)[١٣].

---

(١) في الحكمة الخالدة: إلا العمل الصالح.

(٢) أي عند العيلة، والعيلة: الفقر؛ يقال: هم أعفة الفقر: إذا افتقروا لا يسألون. مشترك الغنىٰ: إذا اغتنىٰ أشرك غيره معه بالإعطاء والإطعام.

(٣) في الحكمة الخالدة: وإن كان حازمًا لبيبًا. والحازم: الضابط المتقن. اللبيب: ذو اللب (العقل).

(٤) في الحكمة الخالدة: كان فهمًا عليمًا. وفي محاضرات الأدباء: فهيمًا.

(٥) المذعور: الخائف. وفي محاضرات الأدباء: فهيمًا. وزاد بعده في محاضرات الأدباء ونهاية الأرب: (ولا مهمومًا وإن كان فطنًا (في نهاية الأرب: عاقلًا)، فالهَمُّ يَعْقِلُ العقلَ فلا يتولَّد منه رأيٌ ولا تصدُق (منه) به رَوِيَّة. والرأي: التدبير، والروية: النظر والتفكير في الأمور. وهو ضد البديهة.

(٦) في الأوائل: ولا تدع. الطوق: كل ما أحاط بشيء خِلْقَةً، كطوق الحمام، أو صنعةً كطوق الذهب والفضة يحيط بالعنق، ولعله استعير هنا للعِدَةِ، أو طلب المعونة من غير أهلها. نزعه: خلعه.

(٧) في الحكمة الخالدة: إلا بشقٍّ منك. والشق: المشقة.

(٨) في الحكمة الخالدة: فاقصد، واقتصد واقصد: اعتدل.

(٩) في الأمثال: ولا تستودعن سرَّك أحدًا، فإنك إن فعلت. وفي الحكمة الخالدة: ولا تستودعن دمك أحدًا. ولعل المراد بذلك السِّرُّ، فقد قال أكثم بن صيفي: (سرُّك دمك فلا تضعه إلا عند ثقتك) جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٧.

(١٠) في الحكمة الخالدة: رجلًا! وأشار المحقق إلىٰ أنه ورد في نسخة ط عنده (وكيلًا). وأحسبها (وَكِلًا). ووكلًا: ضعيفًا.

(١١) في الحكمة الخالدة: وبقيت! وفي الأوائل: بالخيار، إن جنىٰ.

(١٢) في الحكمة الخالدة: فإن...

(١٣) **التوثيق**: وردت الوصية في المصون ١٧٥، كما وردت في الأوائل لأبي هلال العسكري ٤٦، والحكمة الخالدة ١٥٥-١٥٦، وورد منها -قوله: (لا تشاورنَّ ناصحًا) مع زيادة- في محاضرات الأدباء ١/ ٢٩ وفيه: قال قيس لابنه. وهو تحريف. ونهاية الأرب ٦/ ٧٦.

[٥٢] أوصى قصيُّ بن كلاب[١] بنيه، وهم يومئذ جماعة، فقال:

(يا بني، إنكم أصبحتم من قومكم موضعَ الخَرَزَةِ من القلادة، يا بني، فأكرموا أنفسَكم تكرمْكم قومُكم، ولا تبغوا عليهم فتبوروا[٢]، وإياكم والغدرَ فإنه حُوبٌ[٣] عند الله عظيم، وعارٌ في الدنيا لازمٌ مقيمٌ، وإياكم وشربَ الخمرِ فإنها إن أصلحت بدنًا أفسدت ذهنًا، وذَكَرَ الوصيةَ بطولها)[٤].

[٥٣] قال قيس بن خالد الشيباني[٥] لابنته قَذُوَر[٦]:

---

(١) **صاحب الوصية**: قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر -وهو قريش- بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وبنوه: عبد مناف وعبد الدار وعبد العزىٰ وعبد! انظر: جمهرة النسب ٢٠-٢٥، ونسب قريش ٥-١٤، والتبيين ٢٦-٢١٢.

(٢) تبوروا: تهلكوا.

(٣) حُوب: إثم.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في المزهر ١/ ١٦٣-١٦٤، وصدَّرها بقوله: (وقال ابن دريد في أماليه: أجاز لي عمي سنة ستين ومائتين قال: حدثني أبي عن هشام بن محمد بن السائب قال: حدثني ثابت بن الوليد الزهري عن أبيه عن ثابت بن عبد الله بن سباع قال: حدثني قيس بن مخرمة قال: ...).

(٥) **صاحب الوصية**: قيس بن خالد (زادت بعض المصادر: بن عبد الله) بن عمرو بن الحارث بن همام الشيباني، كان سيد ربيعة وأحد حكام العرب. انظر: نسب معد واليمن الكبير ١/ ٣٥ ونقائض جرير والفرزدق ٣/ ٩١٤ والمحبر ١٣٦، والأغاني ٢٢/ ١٩٥، واسم بنت قيس فيه: القدور، وهو خلاف معظم المصادر التي أوردت اسمها المرتبط بالمثل: ماء ولا كصَدَّاء. وسمُيِّتْ في معجم البلدان ٣/ ٤٤٩ مقذفة. وفي جمهرة اللغة لابن دريد ٢/ ٦٩٤: (ناقة قذور: عزيزة النفس لا ترعىٰ مع الإبل ولا تبرك معها لعزة نفسها، وبه سميت المرأة قذور). وفي لسان العرب (قذر): (والقَذُور من النساء: المتنحية من الرجال، والقذور من النساء التي تتنزه عن الأقذار).

(٦) **مناسبة الوصية**: قال المفضل الضبي في أمثال العرب ٧٢-٧٣:

(زعموا أن زرارة بن عدي بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك رأىٰ يومًا ابنه لقيطًا مختالًا وهو شاب فقال: والله إنك لتختال كأنما أصبت بنت قيس بن مسعود بن خالد=

(يا بُنَيَّة[1]، كوني له[2] أمة، يكُن لك عبدًا، وليكن أطيبُ رِيحك[3] الماءَ حتىٰ يكون ريحُك ريحَ شنٍّ غبٍّ[4]، وإنَّ زوجَك فارسٌ من فرسان مضر[5]، وإنه يوشك

=ومئة من هجائن المنذر بن ماء السماء، قال: فإن لله عليَّ لا مسَّ رأسي غسلٌ ولا أشرب خمرًا حتىٰ آتيك بابنة قيس ومئة من هجائن المنذر أو أبلي في ذلك عذرًا، فسار لقيط حتىٰ أتىٰ قيس بن مسعود بن قيس بن خالد، وكان سيد ربيعة وبيتهم، وكان عليه يمين ألا يخطب إليه إنسان علانية إلا ناله بشرٍّ، وسمع به، فأتاه لقيط وهو جالس في القوم، فسلم عليه ثم طلب إليه علانية، فقال له قيس: ومن أنت؟ قال: أنا لقيط بن زرارة، قال: فما حملك علىٰ أن تخطب إليَّ علانية؟ قال: لأني قد عرفت أني إن أعالنك لا أشنك، وإن أناجك لا أخدعك، قال قيس: كفؤ كريم، لا جرم والله لا تبيت عندي عزبًا ولا محرومًا، ثم أرسل إلىٰ أم الجارية: إني قد زوجت لقيطًا القذور بنت قيس فاصنعيها حتىٰ يبتني بها، وساق عنه قيس، فابتنىٰ بها لقيط وأقام معهم ما شاء الله أن يقيم، ثم احتمل بأهله حتىٰ أتىٰ المنذر بن ماء السماء فأخبره بما قال أبوه، فأعطاه مئة من هجائنه، ثم انصرف إلىٰ أبيه ومعه بنت قيس ومئة من هجائن المنذر.

وزعموا أن لقيطًا لما أراد أن يرتحل بابنة قيس إلىٰ أهله قالت له: أريد أن ألقىٰ أبي فأسلِّم عليه وأُوَدِّعه ويوصيني، ففعلت، فأوصاها وقال: ... فلما أصيب لقيط احتملت إلىٰ قومها وقالت: يا بني عبد الله أوصيكم بالغرائب شرًّا فوالله ما رأيت مثل لقيط لم يُخمش عليه وجهٌ ولم يُحلق عليه رأسٌ، ولولا أني غريبة لخمشت وحلقت...) وقد توسع أبو الفرج في عرض هذا الحديث مع قوله في أوله: حدثني الكلبي عن المفضل الضبي!

(١) في الزاهر: أي بنية.

(٢) في الأغاني: لزوجك.

(٣) في الزاهر وجمهرة الأمثال والممتع: طيبك. وفي الأغاني: أكثر طيبك.

(٤) انفرد الأصل بهذه الجملة. وجاء مكانها في الأغاني: فإنك إنما يذهب بك إلىٰ الأعداء، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظًا طويلًا. وريح شنٍّ غِبٍّ: قربة قديمة خَلِقَة (راجع في ذات التعبير والتعليق عليه وصية الفرافصة الكلبي لابنته). الغيظ: تغيُّر يلحق بالإنسان من مكروهٍ يصيبه.

(٥) في الأغاني: واعلمي أن زوجك فارس مضر. وفي جمهرة الأمثال: وإنه فارس مضر. وفي الممتع: وإني قد زوجتك فارسًا من.

أن يُقتَل أو يموت[1]، فإن كان ذلك فلا تخمشي وجهًا ولا تحلقي شعرًا[2])[3].

[٥٤] أوصى قيس بن معدي كرب الكندي[4] بنيه فقال[5]:

(يا بني عليكم بهذا المالِ فاطلبوه[6] أجملَ الطلَبِ، ثم اصرفوه في أجملِ مذهبٍ[7]، فصِلوا به[8] الأرحامَ، واصطنعوا[9] منه[10] الأقوامَ، واجعلوه جُنَّةً[11]

---

(١) في جمهرة الأمثال: ويوشك أن يقتل.

(٢) في الزاهر: فإذا كان ذلك فلا تخمشي وجهك ولا تحلقي شعرك. وفي الأغاني: تخمشي عليه.. ولا تحلقي عليه.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في أمثال العرب للضبي ٧٣، كما وردت في الزاهر لأبي بكر الأنباري ٢/ ٢٩٠ (عن الضبي) والأغاني ٢٢/ ١٩٧ (عن الكلبي عن الضبي) وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٤١، والممتع للنهشلي ١٢٢. والجملتان الأوليان فيهما وردتا ضمن وصايا نسبت إلىٰ عبد الله بن جعفر وأبي الأسود الدؤلي وأسماء بن خارجة في وصاياهم لبناتهم. كما وردتا ضمن وصية أمامة بنت الحارث لابنتها.

(٤) **صاحب الوصية**: قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة الكندي. يقال له: الأشج، لأنه شجَّ في بعض أيامهم. من رؤساء كندة، له عدة أولاد، أكبرهم حجية وبه كُني زمانًا، ثم كُني بولده الأشعث. الصحابي المشهور.

انظر: نسب معد واليمن الكبير ١/ ١٣٩، والمحبر ٢٥١، وذيل الأمالي ١٤٦، ونشوة الطرب ١/ ٢٦٤، وخزانة الأدب ٣/ ٢٣٩.

(٥) **مناسبة الوصية**: (أوصىٰ قيس بن معدي كرب الكندي أولاده حين بلغوا فقال: ...) نثر الدر، (وكان له أحد عشر ذكرًا) روضة العقلاء.

(٦) في روضة العقلاء: يا بني، اطلبوا هذا المال...

(٧) مذهب: طريق.

(٨) في نثر الدر: منه.

(٩) اصطنعوا الأقوام: أحسنوا إليهم لتجعلوا لكم عندهم صنيعًا، وهو كل ما صنع من خير ونحوه.

(١٠) في روضة العقلاء: به.

(١١) جنة: ستر ووقاية.

لأعراضكم تحسُن في الناس قالتُكم[١]، فإنَّ بذلَه تَمَامُ[٢] الشرف وثباتُ المروءة، وإنه[٣] لَيُسَوِّد غيرَ السيِّدِ، ويؤيِّد[٤] غيرَ الأيِّدِ[٥] حتىٰ يكون[٦] عند الناس نبيلًا نبيهًا[٧]، وفي أعينهم مهيبًا[٨]، ومن اكتسب[٩] مالًا فلم يَصِلْ به رحمًا، ولم يُعْطِ منه سائلًا، ولم يَصُنْ به عِرْضًا، بحث الناس عن أصلِه، فإن كان مدخولًا[١٠] هَرَتُوه وهتكوه[١١]، وإن لم يكُن مدخولًا[١٢] ألزموه دَنِيَّةً[١٣]، وأكسبوه عِرْقًا لئيمًا[١٤] حتىٰ يُهَجِّنُوهُ به[١٥])[١٦].

---

(١) في نثر الدر: يحسن في الناس مقالكم. وفي التذكرة الحمدونية: يحسن في الدنيا مقالكم، والمقالة: اسم للقول الفاشي في الناس، خيرًا كان أو شرًّا.

(٢) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية: كمال. وفي روضة العقلاء: فإن جمعه كمال الأدب، وبذله كمال المروءة.

(٣) في روضة العقلاء ونثر الدر: حتىٰ إنه.

(٤) في المصادر الثلاثة السابقة: ويقوي. وهما بمعنىٰ.

(٥) الأيد: القوي الشديد.

(٦) في روضة العقلاء: وحتىٰ إنه ليكون.

(٧) النبيل: الشريف. والنبيه: المشهور ذو الذكر الحسن.

(٨) المهيب: المجلُّ المعظَّم.

(٩) في روضة العقلاء: جمع. وفي نثر الدر والتذكرة الحمدونية: كسب.

(١٠) في التذكرة الحمدونية: ناقصًا. والمدخول: من كان في حسبه دَخَل (عيب).

(١١) هرتوه: يقال هرت عرضه: طعن فيه. هتكوه: فضحوه.

(١٢) في روضة العقلاء ونثر الدر والتذكرة الحمدونية: وإن كان صحيحًا.

(١٣) ألزموه دنية: ألصقوا به خصلة مذمومة.

(١٤) العرق: الأصل. اللئيم: ضد الكريم.

(١٥) في روضة العقلاء: نسبوه إما إلىٰ عرض دنية، وإما إلىٰ لوص(!) لئيم حتىٰ يهجنوه. وفي نثر الدر: كسروه إما دنية أو
عرقًا لئيمًا حتىٰ يهجنوه. وأشارت محققته إلىٰ أنه كان عندها في الأصل: كرولها دينه. ورأت أنها تحريف، وأثبتت عنها ما سبق. وفي التذكرة الحمدونية: كسبوه إما دنية أو عرقًا لئيمًا حتىٰ يمتحنوه(!). وواضح أن (كسبوه) هي التي تحوَّلت عند محققة نثر الدر إلىٰ (كسروه)!

(١٦) التوثيق: وردت الوصية في الوصايا (١٢٢)، ونسبها أبو حاتم إلىٰ الحارث بن كعب،=

[٥٥] أوصى مالك بن عمرو الكلبي[١] فقال:

(يا بني، عليكم بتقوى الله، وصلةِ الرحمِ، وأداءِ الأمانةِ، ورعايةِ الحقِّ، والوفاء بالعهد، وإياكم ومعصيةَ الله وقطيعةَ الرحم، فإنه لا يَسلم على الضغائن الكبيرُ، ولا يَصلُحُ عليها الصغيرُ، وصونوا أنفسَكم بالدَّعَة[٢] وبذلِ المعروف، وكُفُّوها عن سوء الرِّعَة[٣] في الأمور، وإن أقبح ذلك ما كان في المَطْمَعِ[٤]، واهجروا البغي فإنه مثبُور[٥]، وتجنبوا العُجْب فإنه مَمْقَتة[٦]، ولا تُقَصِّروا عن طاعة أمرائكم، ولا توجِّهوا[٧] الأمورَ دونهم، فإنهم إن يشاركوكم فيها يَكْمُلْ رأيُكم، والتمسوا المحامدَ في مظانِّها، ولا يمنعكم من طلب المعاش اليأسُ، فإن أبوابَه أكثرُ من أن يبلغَها الظَّانُّ، استكثروا من الإبلِ يكثرْ تَبَعُكم[٨]، ولا تُضَيِّعوا رباطَكم[٩] فيُهدَم حصنُكم،

=ويفضح عوار هذه النسبة ما جاء عقب الوصية مباشرة من قوله: (وقال لابنه أشعث وهو يوصيه: ...) ثم أورد ثلاثة أبيات من الشعر. وليس للحارث بن كعب ابن يعرف بالأشعث، على حين أن الأشعث بن قيس بن معدي كرب هو الصحابي المعروف. ومرد هذا الخطأ خلل في ترتيب أوراق مخطوط كتاب الوصايا. (انظر: التعليق على وصيتي الحارث بن كعب والمنذر بن مالك البجلي)، كما وردت في روضة العقلاء ٢٢٧ وفيه: أوصى أبو قيس بن معدي كرب. وأبو هنا مقحمة. وفي نثر الدر ٦/ ٤٠١-٤٠٢، والتذكرة الحمدونية ٨/ ٨٨-٨٩.

(١) **صاحب الوصية**: مالك بن عمرو الكلبي... لم أقف له على ترجمة.

(٢) الدَّعة: الوقار.

(٣) الرعة: الطريقة.

(٤) المطمع: الطمع.

(٥) مثبور: الثبر الهلاك.

(٦) ممقتة: داعية للمقت، والمقت أشد البغض.

(٧) توجهوا الأمور: تتصرفوا بها (تميلوا بها جهة ما).

(٨) تبعكم: أتباعكم.

(٩) رباطكم: موضع المرابطة. والمراد الحث على أخذ الحيطة والحذر من تسلل الأعداء على غرَّة.

وإذا لقيتم العدوَّ فاصبروا، فإن في الصبرِ النجاةَ والدَّرَكَ للترات[١]، وألزموا النساء البيوتَ، وخافوهن علىٰ أسراركم، واجتمعوا ولا تفرقوا، واحذروا الغَدْرَ فإنه نِقْمةٌ، وليحيّكم ربُّكم)[٢].

[٥٦] وأوصى مالك بن المنذر بن مالك البجلي[٣] بنيه[٤] فقال:

(باسمك اللهم، يا بني، احفظوا أدبي يَكْفِكم، وابتغوا[٥] وصاتي تلحقوا بصالحِ قومِكم، فإني لم أَكِلْكُم إلىٰ أديبٍ حَيٍّ[٦]، والمعنيُّ بكم غائبٌ عنكم[٧]، آثروا[٨] ما يجمُل، واقنوا أخيارَكم[٩]، وأطيعوا ذوي الرأي منكم، وأَجِلُّوا ذوي أسنانِكم[١٠]،

---

(١) الدرك: الإدراك. الترات: جمع ترة وهي الثأر.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٢٧ .

(٣) **صاحب الوصية**: مالك بن المنذر بن مالك البجلي. لم أقف له علىٰ ترجمة.

(٤) **مناسبة الوصية**: (كان المنذر قد أصاب دماء في قومه فلحق ببني هلال بن عامر، فلما حضره الموت جمع بنيه) فأوصاهم. انظر: مصدر الوصية.

(٥) في الوصايا: واتبعوا... قومكم، ويستَعْلِ أمركم.

(٦) في الوصايا: إني أكلكم إلىٰ أدبي.

(٧) في الوصايا: وإنَّ... لغائب. وعلق عليها أبو حاتم قائلاً: (يعني نفسه).

(٨) في الوصايا: الزموا. وآثروا: فضلوا واختاروا. ما يجمل: ما يحسن (يكون جميلاً بكم).

(٩) في الوصايا: حياءكم. ولعله الأولىٰ لغلبة الاستعمال اللغوي عليه، جاء في لسان العرب (قنا): (قنيت الحياء... لزمته، قال حاتم:

إذا قلَّ مالـي أو نكـبت بنكبة ... قنيت حيائي عفة وتكـرما

وأنشد ابن بري:

فأقني حياءك لا أبا لك إنني في ... أرض فارس موثق أحـوالا

الكسائي: يقال: أقنىٰ واستقنىٰ وقنا وقنّىٰ: إذا حفظ حياءه ولزمه، ابن شميل: قناني الحياء أن أفعل كذا: أي ردني ووعظني، وهو يقنيني، وأنشد:

وإني ليقنينـي حيـاؤك كلما ... لقيتك يومًا أن أبـثك ما بيا

واقنوا: الزموا، وربما كانت (اقنوا) محرفة عن: (اقفوا)، أي اتبعوا وقلدوا. الأخيار: جمع خيِّر.

(١٠) أجلُّوا: عظموا. وذوو الأسنان: الأكابر والأشراف.

ولا تعطوا الدَّنيةَ[١]، وإن كان الصبرُ علىٰ خُطَّةِ الضيمِ[٢] أبقىٰ لكم، وتناصروا تكونوا حِمًىٰ[٣]، وإذا قدمتم علىٰ قومكم فلتكُن خُلَّتُكم واحدةً[٤]، ولا تستثيروا[٥] دفينَ داءٍ لم يدركْ[٦] مثله يقطعوا عنكم النار[٧]، وتعدموا بقومكم غيرهم[٨]، ولا تَدَبَّرُوا أعجازَ ما قد أَوْدَتْ[٩] صدورُه فتفشلوا، وعُفُّوا عن الدناءة[١٠]، وَوَقِّروا[١١] أهلَ الكفايةِ، ولا تواكلوا الرِّفْدَ والنجدةَ فتُجْدي عظتُكم[١٢]، واتخذوا لأسراركم

(١) الدَّنية: الذل والخضوع.

(٢) الخطة: الأمر والحالة. الضيم: الذل والغبن.

(٣) تناصروا: لينصر بعضكم بعضًا. الحمىٰ: المكان الممنوع، أي تمتنعوا علىٰ عدوكم.

(٤) في الوصايا: وإذا نزلتم... محلَّتكم واحدة. والخلة: الصفة أو الطريقة. وربما كانت الكلمة محرفة عما في الوصايا. والمحلة: منزل القوم.

(٥) قوله: (ولا تستثيروا... غيرهم) جاء مكانه في الوصايا: (واهدروا الحسد يقطع عنكم النائرة، ودعوا المكافأة بالشر يحببكم الناس). واهدروا: أبطلوا (اتركوا). النائرة: العداوة والشحناء، ويقال: أطفأ نائرة الحرب، أي شرُّها وهيجها.

(٦) تستثيروا: تبحثوا وتستقصوا. دفين داء: داء (حقد، ثأر) دفين (مدفون، منسي). يدرك: يُبلغ وينال.

(٧) لعل المراد بالنار هنا -إن لم تكُن مصحفة- النصح والمشورة، من قولهم: استضاء بناره، استشاره وأخذ برأيه.

(٨) هكذا، ولعل المراد: أنكم تضطرون لمغادرة قومكم إلىٰ غيرهم، ولعله درس من تجربة الأب، كما مرَّ في مناسبة الوصية.

(٩) في الوصايا: أدبرت، ودون كلمة (تفشلوا). وقد جاء قريب من هذه العبارة في الوصية (١٧) لأكثم بن صيفي. وأودت: هلكت (ذهبت). وتفشلوا: تجبنوا وتتراخوا.

(١٠) عفوا: كفوا. الدناءة: النقيصة.

(١١) في الوصايا: وأكرموا... الكفاءة. ووقروا: عظموا وبجِّلوا. أهل الكفاءة: المقتدرون علىٰ العمل المحسنون تصريفه (القائمون بالأمر باقتدار).

(١٢) هكذا، ولعل الكلمتين الأخيرتين مصحفتان، إذ جاءت الجملة في الوصايا: ولا تواكلوا الترافد والرياسة فيحلَّ عطبُكم. تواكلوا: يتَّكِل بعضكم علىٰ بعض. الرفد والترافد: المعونة والتعاون (العطاء والصلة). النجدة: سرعة الإغاثة. والرياسة: الشرف. والعطب: الهلاك. تجدي: تنفع. عظتكم: أمركم بالطاعة ووصاتكم بها.

من علانيتكم حجازًا تُكْفَوها[١]، ولا تُفَيِّلُوا[٢] الرأيَ بالظن فيُبْدَعَ بكم، وأطيلوا الصمتَ إلا من حقٍّ تَسبِقوا[٣]، والزموا الأناةَ[٤] تَقِرَّ قدمُكم[٥]، واغتنموا الفرصةَ تظفروا[٦]، وعجِّلوا تُحمَدوا، ولا تأخذوا[٧] حبلًا[٨] من قليلٍ فإن القليل ذليل، وخذوا الحبلَ من ذي المِرَّةِ الكاثرِ[٩]، وشمِّر[وا][١٠] لدَرْكِ الثأرِ، ومَنَعَةِ الجارِ، واظعنوا في الشهر الأصمِّ تبلغوا دارَ قومِكم سالمين[١١]، وأوفوا بالعهد، واتقوا

(١) في الوصايا: ... علانيتكم حجابًا. وحجاب: ستار. وحجاز: حاجز (مانع). تكفوها: تستغنوا بذلك من لوم أنفسكم أو لوم غيركم علىٰ إفشائها.

(٢) في الوصايا: تقيِّلوا. تُفَيِّلوا: تضعِّفوا وتخطِّئوا. الظن: الشك. يبدع بكم: تخذلوا. تقيِّلوا: لعله من الإقالة. أي يترك كل منكم رأي الآخر، ويستقل برأيه، أو من المقايلة أي المعارضة (مثل المقايضة، وهي المبادلة)، أي يربط بعضكم قبول رأي الآخر بقبوله رأيه.

(٣) في الوصايا: وأطيلوا الصمت إلا فيما يعنيكم.

(٤) الأناة: الحلم والوقار.

(٥) في الوصايا: يَفُزْ قِدْحُكُم. وفي الفاضل: تفز قدحكم. والقدح: قطعة من الخشب تعرَض قليلًا وتسوَّىٰ، وتكون في طول الفِتْر (ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتهما)، وتُخَطُّ فيه حزوز (خطوط محفورة) يُميِّز كلَّ قدح بعدد من الحزوز، وكان يستعمل في الميسر. وهو هنا كناية عن الظفر. تقرُّ: تسكن وتطمئن.

(٦) في الفاضل: تدركوا طلبكم. والجملة -والجملةُ بعدها- ساقطتان من الوصايا.

(٧) في الوصايا: ولا تأخذوا ختلاً وخذوا صراحًا، فهناك عز القرار. والختل: الخداع والمغافلة. والصراح: الصريح الخالص مما يشوبه. القرار: الاستقرار والثبات.

(٨) الحبل: العهد والذمة والأمان.

(٩) المرة: القوة. الكاثر: الكثير.

(١٠) زيادة يستقيم بها السياق. شمِّروا: تهيؤوا. درك الثأر: إدراكه وتبعته. منعة الجار: حمايته وبقاؤه عزيزًا.

(١١) في الوصايا: واظعنوا في الأرض تبلغوا مأمنكم. واظعنوا: ارتحلوا وسافروا. والشهر الأصم: رجب. وكانوا لا يتصايحون فيه لحرب، وبذا سمِّي.

الغدرَ، فشؤمُ النساءِ والغدرُ أورثاني دارَ الغربة[1])[2].

[٥٧] قال مسعود بن قيس[3] بن مسعود بن خالد لابنته[4] يوصيها:

(١) في الوصايا: ولا تعرَّضوا لنمائم النساء، وإياكم والغدر، فإنه أحَلَّني دار الغربة، وزاد: واعتبروا. النمائم جمع نميمة الوشاية (نقل الكلام علىٰ وجه الإفساد). أحلني: أنزلني. وأورثاني: أعقباني (انتهيا بي).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٤٠٧-٤٠٨. وقد وردت باختصار يسير في الوصايا لأبي حاتم ١٢٥ منسوبة لقيس بن معدي كرب. وفي ص١٢٣ من كتاب الوصايا: (قالوا: وأوصىٰ مالك بن المنذر البجلي بنيه، وكان قد أصاب دمًا في قومه، فخرج هاربًا حتىٰ أتىٰ بهم بني هلال، فلما احتضر أوصىٰ بنيه، وأمرهم أن يعطوا قومه النصف من حدثه الذي أحدثه فيهم، وقال: ...). ثم أورد وصية الحارث بن كعب. وفي ص١٢٢ منه نسبت وصية قيس بن معدي كرب إلىٰ الحارث بن كعب، وهذا يظهر -دون ريب- وجود خلل في ترتيب أوراق مخطوط كتاب الوصايا (راجع التعليق علىٰ وصيتي الحارث بن كعب وقيس بن معدي كرب). وقد ورد من الوصية قوله: (يا بني الزموا الأناة... تظفروا) في المجالسة ٦/ ٣٠٦، وبالسند إلىٰ مؤلفه في تاريخ ابن عساكر ٤٦/ ٩٨ عن ابن شوذب، والفاضل للوشاء ١٥٥، وورد في نهايتها فيه: وأنشد:

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

وربما فات بعض القوم أمرهم   مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقد سيق علىٰ أنه جزء من الوصية! والبيتان للقطامي في ديوانه ص٢٥.

وصاحب الوصية -كما هو ظاهر- جاهلي! وفي المجالسة وتاريخ دمشق جاء البيتان بعدها، أكَّدَ بهما أحدُ رواة الوصية معناها.

وقد جاء اسم **صاحب الوصية** في نثر الدر: المنذر بن مالك، وفي الفاضل: منذر بن مالك، وجاء اسمه مالك بن المنذر في الوصايا (وإن ضل طريقه إلىٰ وصيته). وقد آثرت الاسم الأخير لاتفاقه مع ما ورد في كتاب المجالسة الذي روىٰ طرفًا من الوصية بسند، ثم أورد الاسم بصورة تتفق مع المصادر الأخرىٰ وتزيد عليها؛ مالك بن المنذر بن مالك. خاصة وهو يتفق في الاسمين الأولين مع ما ورد في الوصايا لأبي حاتم، الذي يميِّزه تقدُّمه الزمني، وكونه ثقة فيما ينقل.

(٣) **صاحب الوصية**: مسعود بن قيس بن مسعود بن خالد. لم أقف له علىٰ ترجمة. والذي أشارت المصادر إلىٰ أنه زوَّج ابنته لقيطَ بنَ زرارة هو قيسُ بن خالد الشيباني، وقد أوصىٰ ابنته بوصية لا تتفق مع هذه الوصية إلا بجملة واحدة.

(٤) **مناسبة الوصية**: زوَّج مسعود بن قيس... ابنته من لقيط بن زرارة بن عدس (انظر ترجمته في هوامش وصية والده) علىٰ مئة من الإبل ليس فيها ناب (ناقة مسنة) ولا مصرمة (التي أصيب ضرعها فَكُوِيَ بالنار لأجل ذلك) ولا مدابرة (المشقوقة الأذن من قبل القفا) ثم دخل علىٰ ابنته فقال لها: ...) مصدر الوصية. =

(أي بنية إني زوَّجتك غلامًا عزيزَ النفس فلا تدني منه كلَّ الدُّنُوِّ فيملَّك، ولا تبتعدي منه كلَّ البعدِ فينساك، واغلبي أحماءَكِ بالخيرِ ولا تغلبيهم بالشرِّ، وكوني له أمةً يكُن لك عبدًا، وتتبَّعي من الطيبِ مواقعَ أنفِه، واعلمي أن طيبَ النساءِ الماءُ)[1].

[٥٨] أوصى مصعب[2] بن يشكر فقال:

(يا بني، أوسعوا الحُبَا، وحُلُّوا الرُّبا، وكونوا أُسًىٰ، تكونوا حِمًىٰ)[3].

=وثمة بقية للخبر يقول: (ثم خرج وقال: جهزوها إلىٰ زوجها، فلما أهديت إليه قالت: مروا بي علىٰ أبي أسلِّم عليه، فمروا بها عليه فسلمت عليه وانصرفت، فقال لها: أي بنية، اذهبي فلا أيسرت ولا أذكرت! فقالت: أي أبت، أهنتني صغيرة، وغربتني كبيرة [و] وزودتني عند الفراق أسوأ زادٍ. فقال: إنك لتأتين البعداء، وتلدين الأعداء، وتذهبين بالقلاد (محرفة عن: التلاد)، وتحلين في غير الصديق، ثم ذهبت عنه.

(١) **التوثيق:** وردت الوصية في تحفة العروس ١٥٥ نقلاً عن الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار. وألحقها المحقق في قسم الضائع منه نقلًا عن تحفة العروس.

(٢) **صاحب الوصية:** هكذا ورد اسمه في مصدر الوصية. ولعل الصواب صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار، أبو شق الكاهن. انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٨٨.

(٣) **التوثيق:** وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٤٠٨. وقد نسبت الوصية إلىٰ صعب بن سعد (انظرها في موضعها، وانظر التعليق عليها).

[٥٩] قال المنذر[١] لابنه النعمان[٢]:

(يا بني، إنَّ لي فيك رأيًا دونَ غيرِك من ولدي، فإني آمرُك بما أمرني به والدي،

---

(١) **صاحب الوصية:** المنذر بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود اللخمي، أحد ملوك المناذرة، ملك الحيرة بعد أخيه قابوس أربع سنوات، ثم خرج للأخذ بثأر أبيه فقتله الحارث بن أبي شمر الغساني قاتل أبيه يوم حليمة، قبل مبعث النبي ﷺ بنحو ثلاث وعشرين سنة. وملك بعده ابنه أبو قابوس النعمان بن المنذر اثنين وعشرين سنة، وقتله أبرويز الملك الفارسي.
انظر: المحبر ٣٥٩-٣٦٠، ونشوة الطرب ١/ ٢٨٠، ٢٨٥، ونهاية الأرب ١٥/ ٣٢١.
وقد ورد في كتاب المجالسة: أوصىٰ المنذر بن ماء السماء ابنه النعمان بن المنذر، وهو كلام لا يستقيم، إذ ليس للمنذر المذكور ولد اسمه النعمان، ولعله سقط من المجالسة الاسم الأول (المنذر بن)، أو كان (بن ماء السماء) إضافة من بعض النساخ، ولا سيَّما قد جاء في البيان والتبيين (المنذر بن المنذر)، واكتفت المصادر الأخرىٰ بـ(المنذر)، وقد عرَّف محققا كتاب الإشراف في منازل الأشراف، وكتاب الإخوان، وكلاهما لابن أبي الدنيا، عرَّفا النعمان بأنه أبو الوزير الدمشقي المحدث، المتوفىٰ سنة ١٣٢هـ. وفي ظني أن ذلك بعيد جدًّا لعدة أمور:
الأول: أن البيان والتبيين، والمجالسة، وهما مصدران لهما قيمتهما، صرَّحا بأن المراد به ملك الحيرة.
الثاني: أن هناك بعدًا زمنيًا بين عبد الرحمن بن صالح (الذي روىٰ عنه ابن أبي الدنيا) المتوفىٰ سنة ٢٣٥هـ، وبين أبي الوزير الغساني المتوفىٰ سنة ١٣٢ هـ (علىٰ اعتبار أنه المراد بالنعمان)، ولا يكفي أن يسدَّ ذلك الزمن الطويل مجرد راوٍ واحد إلا في حالات قليلة جدًّا.
الثالث: أنه ورد اسم النعمان بن المنذر في كتاب الإشراف في موضع آخر، وإن كان مقرونًا باسم النابغة الذبياني ما منع المحقق من الخلط!
الرابع: أنه ورد في كتاب الإشراف علىٰ أنَّ النعمان هو الموصي، وفي كتاب الإخوان علىٰ أنه هو الموصَىٰ.
الخامس: أنَّ محقق كتاب الإشراف د. نجم عبد الرحمن خلف، وقع في تحقيقه لكتاب الصمت لابن أبي الدنيا، في جملة أخطاء في التراجم، سببها الوهم، كما نبَّه إلىٰ ذلك أبو إسحاق الحويني وهو يبيِّن سبب إقدامه علىٰ إعادة تحقيق كتاب الصمت.

(٢) **مناسبة الوصية:** دعا المنذر ابنه النعمان وهو شاب فأوصاه. وفي كتاب الإخوان: (لمَّا أراد النعمان بن المنذر أن يخرج إلىٰ الشام أوصاه أبوه).

وأنهاك عما نهاني عنه والدي، آمرك بالذلِّ في عرضك[١]، وذلك أن تكونَ ذلولاً بالمعروف، وعليك بالانخداع في مالك، وأُحِبُّ لك خَلْوَةَ الليلِ وطولَ السَّمَرِ، وأكره لك إخلافَ الصديق[٢]، واطِّرافَ المعرفة، وأنهاك عن مُلاحاة[٣] الحلماءِ ومزاحِ السفهاءِ، إنَّ لك عقلًا وجمالًا ولسانًا، فاكتسِ من ثناء الناس ما يؤيِّدُ جمالَك، ودعِ الكلامَ وأنت عليه قادرٌ، وليكُن لك من عقلك خَبِيْءٌ[٤] تدَّخِرُه أبدًا ليوم حاجتك[٥]. ثم قال:

---

(١) عرضك: نفسك. وفي الإخوان: بالبذل في عَرَضك. هكذا ضبطها المحقق. ولعل (البذل) محرَّفة عن (الذل)، ولا سيَّما قد جاءت الجملة في الوصية الآتية (فتواضع في نفسك). ويتراءىٰ لي أن الجملة (وذلك.. المعروف) بعدها قلقة. ولعل يدًا لم يستوعب صاحبُها المعنىٰ أقحمتها تفسيرًا لها، وانظر الوصية اللاحقة. كما ورد التعبير ذاته في وصية الأشعث بن قيس لبنيه: (يا بني ذلوا في أعراضكم، وانخدعوا في أموالكم...).

(٢) في الإشراف -تحقيق د. نجم خلف: وامتلاق! وأشار د. وليد قصاب في تحقيقه للكتاب إلىٰ أن الكلمة في أصله: أخلاق. وقد أصلحها بما في المجالسة. وفي كتاب الإخوان: يا بني أنهاك عن اثنتين، أولهما: أنهاك عن أخلاق الصديق. (لم يحدد الثانية فيما بعد!). وفي المصدرين: واستطراف. ويبدو لي أنَّ ما في المصدرين الأخيرين: أخلاق، صحيح، ولكنه بكسر الهمزة: إخلاق، من الخلق وهو الثوب البالي، أي جعل الصديق كالثوب، يبلىٰ مع الزمن ثم يستبدل. وإخلاق بهذا المعنىٰ أكثر تساوقًا مع (اطِّراف) التي تعني الجِدَّة. كما أن (إخلاف) يمكن أن تكون مقبولة، إذا اعتبرناها مأخوذة من قولهم: وأخلف فلان لنفسه، إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه شيئًا آخر، ومنه: أخلف الله عليك ولك خيرًا، والإخلاف: أن يُهلِكَ الرجل شيئًا لنفسه أو لغيره ثم يحدث مثله. انظر: لسان العرب (خلف)، وإن كانت الكلمة السابقة ومعناها أولىٰ. اطِّراف: من طَرُف صار طريفًا، والطريف: المستفاد من المال حديثًا، واطِّراف الإخوة: تجديدهم، واطراف واستطراف بمعنىٰ. المعرفة: التعرُّف علىٰ الناس.

(٣) ملاحاة: منازعة ومخاصمة.

(٤) خبيء: ما خُبِئَ (ستر).

(٥) في التذكرة الحمدونية: خبيء ترجع إليه أبدًا. فقال له النعمان: مرني بأمر جامع. قال: الزم الحزم والحياء.

إن ظنـي بمـن أمـرتُ بأمـري حسـنٌ إن أعانـت الأذنـانِ
باسـتماعٍ ومـا ظفـرت بشـيءٍ إن نبـا مِقْوَلـي[١] عـن النعمـانِ
قـد تفرَّسْـتُ في بَنِـيَّ وفيـه فـإذا الأمـر ليـس بالمتـداني[٢]
فلئـن تـمَّ مـا أؤمـل فيـه مـا لـه في بني الملـوك مـدَانِ[٣]
ولـه الحـظُّ في الجمـال وفي العقـلِ وحـظٌّ مـن مهلـة[٤] ولسـان[٥])

[٦٠] قال المنذر بن المنذر لابنه النعمان يوصيه[٦]:

(إياك واطراحَ[٧] الإخوان، واطِّرافَ المعرفة، وإياك وملاحاةَ الملوكِ، وممازحةَ السفيهِ، وعليك بطولِ الخلوة، والإكثارِ من السَّمَرِ، والبسْ من القِشْرِ[٨] ما يزينك في نفسِك ومروءتِك. واعلم أن جماعَ الخيرِ كلِّه الحياءُ فعليك به، فتواضعْ في نفسِك وانخدعْ في مالك[٩]، واعلم أن السكوتَ عن الأمرِ الذي يغنيك[١٠] خيرٌ من الكلامِ،

(١) نبا: لم يصب. مقولي: لساني.
(٢) تفرست: نظرت وتثبَّت، يقال: تفرس فيه الخير: رأىٰ فيه مخايل الخير. المتداني: المتقارب.
(٣) المداني: المقارب.
(٤) وردت الوصية في الوصايا ١٢٣، وورد منها قوله: (ودع الكلام... إلىٰ آخر الفقرة) في التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٧، وصدرها بقوله: (قال.. فيما أوصاه به). وانظر: توثيق الوصية الآتية.
(٥) مهلة: تؤدة ورفق.
(٦) مناسبة الوصية: لما حارب المنذر بن المنذر غسان الشام أوصىٰ ابنه النعمان بهذه الوصية.
(٧) اطراح: ترك.
(٨) في ربيع الأبرار: إن لك لسانًا وجمالاً، فالبس من القشر ما تزيد به من جمالك. القشر: كل ملبوس يغطىٰ الجسم.
(٩) انخدع: تظاهر أنك مخدوع وإن لم تكُن كذلك، وهي كناية عن التساهل في الإعطاء. وقد فسَّره الشيخ عبد السلام هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (الانخداع: الدخول، يقال: انخدع الضبُّ، إذا شمَّ ريح الإنسان فدخل جحره)!
(١٠) هكذا في الأصل. يغنيك: ينفعك. ولعلها مصحفة عن: لا يعنيك، أو لا يغنيك.

فإذا اضطررتَ إليه فتحرَّ[1] الصدقَ والإيجازَ تسلم إن شاء الله تعالىٰ)[2].

[٦١] قال المنذر للنعمان ابنه:

(يا بني، أحبُّ لك النظرَ في الأدبِ بالليلِ، فإن القلبَ بالنهارِ طائرٌ، وبالليلِ ساكنٌ، فكلما أوعَيْتَ فيه شيئًا عَلِقَهُ)[3].

[٦٢] كان للنعمانِ بنِ ثوابِ العبدي ثم الشنِّي[4] ثلاثةُ أبناءٍ[5] (سعد وسعيد

---

(١) تحرَّ: توخَّ (اجتهد في طلبه ودقق).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٤/ ٧٣ (عن المدائني)، وثَمَّ تداخل بينها وبين الوصية السابقة. وربما كانتا في الأصل وصية واحدة. وقد ورد في ربيع الأبرار ٤/ ١٧ جملة أولها في الوصية الأولىٰ وآخرها في الوصية الثانية!

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٦٥ للخطيب البغدادي، بسنده إلىٰ العتبي عن أبيه. وفي محاضرات الأدباء ١/ ٤٨: (قيل: انظروا في العلم بالليل، فالقلب بالنهار طائر، وبالليل ساكر، أي ساكن). وقد نسبت الوصية إلىٰ منذر بن الجارود.

(٤) **صاحب الوصية**: النعمان بن ثواب العبدي ثم الشني، لم أقف له علىٰ ترجمة سوىٰ ما أشير إليه في مناسبة النص.

(٥) **مناسبة الوصية**: كان النعمان بن ثواب العبدي ذا شرف وحكمة، وكان يوصي بنيه ويحملهم علىٰ أدبه، أما ابنه سعد فكان شجاعًا بطلًا من شياطين العرب لا يقام لسبيله، ولم تفته طلبتُه قط، ولم يَفِرَّ من قِرْنٍ، وأما سعيد فكان يشبه أباه في شرفه وسؤدده، أما ساعدة فكان صاحب شراب وندامىٰ، فلما رأىٰ الشيخ حال بنيه دعاهم فأوصاهم. انظر: مجمع الأمثال ١/ ١٢٥.
وثمة خبر يجمل ذكره، ورد في مصدر الوصية تاليًا لها جاء فيه: (ثم إن أباهم النعمان بن ثواب تُوفي، فقال ابنه سعيد وكان جوادًا سيدًا: لآخذنَّ بوصية أبي، ولأبلُوَنَّ إخواني وثقاتي في نفسي، فعمد إلىٰ كبش، فذبحه، ثم وضعه في ناحية خبائه، وغشّاه ثوبًا، ثم دعا بعض ثقاته فقال: يا فلان إن أخاك من وَفَىٰ لك بعهده، وحاطك برفده، ونصرك بودِّه، قال: صدقت، فهل حدث أمرٌ؟ قال: نعم، إني قتلت فلانًا، وهو الذي تراه في ناحية الخباء، ولا بدَّ من التعاون عليه حتىٰ يُوارىٰ، فما عندك؟ قال: يا لها سوءة وقعت فيها! قال: فإني أريد أن تعينني عليه حتىٰ أغيِّبه. قال: لست لك في هذا بصاحب فتركه وخرج. فبعث إلىٰ آخر من ثقاته فأخبره بذلك وسأله معونته، فرد عليه مثل ذلك، حتىٰ بعث إلىٰ عدد منهم، كلهم يرد عليه=

وساعدة)، وكانوا متفاوتي الأحوال مختلفي الاهتمامات، ف(دعا سعدًا -وكان صاحبَ حرب- فقال:

(يا بُني، إن الصارمَ يَنْبُو[١]، والجوادَ يَكْبُو[٢]، والأثرَ يَعْفُو[٣]، فإذا شهدت حربًا فرأيت نارًا تستَعِر[٤]، وبطلَها يَخْطُرُ، وبحرَها يزخُرُ[٥]، وضعيفَها يُنْصَرُ، وجبانَها يجسُر، فأقللِ المكثَ والانتظارَ، فإن الفرارَ غيرُ عارٍ، إذا لم تكُن طالبَ ثأرٍ، فإنما ينصرون هم، وإيَّاك أن تكون صَيدَ رماحِها، ونطيحَ نطاحِها[٦].

وقال لابنه سعيد -وكان جوادًا-: يا بني لا يبخلُ الجوادُ، فابذُل الطَّارفَ والتِّلاد[٧]، وأقلل التلاح[٨]، تُذكر عند السماحِ[٩]، وابلُ[١٠] إخوانَك، فإن وفيَّهم

=مثل جواب الأول، ثم بعث إلىٰ رجل من إخوانه يقال له خزيم بن نوفل، فلما أتاه قال له: يا خزيم ما لي عندك؟ قال: ما يسرك، وما ذاك؟ قال: إني قتلت فلانًا وهو الذي تراه مسجًّىٰ، قال: أيْسَرُ خَطْبٍ، فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تعينني حتىٰ أغيبه. قال: هان ما فزعت فيه إلىٰ أخيك -وغلامٌ لسعيدٍ قائمٌ معهما- فقال له خزيم: هل اطلع علىٰ هذا الأمر أحدٌ غير غلامك هذا؟ قال: لا. قال: انظر ما تقول. قال: ما قلت إلا حقًّا، فأهوىٰ خزيم إلىٰ غلامه فضربه بالسيف فقتله، وقال: «ليس عبدٌ بأخٍ لك» فأرسلها مثلًا. وارتاع سعيد وفزع لقتل غلامه، فقال: ويحك، ما صنعت، وجعل يلومه، فقال خزيم: «إن أخاك من آساك» فأرسلها مثلًا. قال سعيد: فإني أردت تجربتك، ثم كشف عن الكبش، وخبَّره بما لقي من إخوانه وثقاته، وما ردُّوا عليه، فقال خزيم: «سبق السيف العذل» فذهبت مثلًا).

(١) الصارم: السيف القاطع. ينبو: لا يقطع.
(٢) الجواد: النجيب من الخيل. يكبو: يعثر.
(٣) الأثر: بقية الشيء، وما يدل عليه بعد ذهابه. يعفو: يزول.
(٤) تستعر: تتقد.
(٥) يزخر: يفيض.
(٦) النطيح: المنطوح. نطاح الحرب: تناطح مقاتليها.
(٧) الطارف: المال الحديث. التلاد: المال القديم.
(٨) التلاح: النزاع والمخاصمة.
(٩) السماح: التسامح والتساهل.
(١٠) ابلُ: اختبر.

قليلٌ، واصنع المعروف عند محتمله.

وقال لابنه ساعدة -وكان صاحبَ شرابٍ-: يا بني إنَّ كثرةَ الشرابِ تفسدُ القلبَ، وتقلِّل الكسبَ، وتجدُّ اللعبَ[1]، فأبصرْ نديمَك[2]، واحْمِ حريمَك، وأَعِنْ غريمَك، واعلم أنَّ الظمَأَ القامِحَ[3] خيرٌ من الرِّي الفاضح، وعليك بالقصدِ فإن فيه بلاغًا[4])[5].

[٦٣] وأوصى هبيرة بن صخر الكلبي[6] ثم الغامدي، فقال:

(يا بني ويا عشيرتاه، أوصيكم بتقوىٰ الله والصبر علىٰ المَضَضِ[7]، ففيه الفوزُ، ولا فَوزَ القِسِيِّ[8]، حافظوا علىٰ الحُرَمِ[9]، فإن الهلاكَ في الغفلةِ عنها، والفشل[10] في التخاذلِ، غيظوا العدوَّ بإظهارِ السرورِ وإبداعِ الأمورِ، واذكروا المجامعَ

(١) تجد اللعب: تحوّله جدًّا بعد أن كان مزاحًا ولعبًا.

(٢) النديم: المصاحب المسامر علىٰ الشراب.

(٣) قال الأزهري: (قال الليث: المقامح والقامح من الإبل الذي قد اشتد عطشه حتىٰ فتر لذلك فتورًا شديدًا... قلت: كل ما قاله الليث في تفسير القامح والمقامح... فخطأ وأهل العربية والتفسير علىٰ غيره... وقال الليث: يقال في مَثَلٍ: «الظمأ القامح خير من الري الفاضح» قلت: وهذا خلاف ما سمعناه من العرب، والمسموع منهم: «الظمأ الفادح خير من الري الفاضح» ومعناه: العطش الشاق خير من ريٍّ يفضح صاحبه) تهذيب اللغة ٤/ ٨٠-٨٢.

(٤) القصد: الاعتدال والتوسط. بلاغ: كفاية.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في مجمع الأمثال ١/ ١٢٥.

(٦) **صاحب الوصية**: هبيرة بن صخر بن ربيعة الكلبي، من بني معاوية بن بكر بن عامر بن عوف. كان علىٰ بني عامر يوم سيف، يوم لقوا الأعاجم. وأظن أن (الغامدي) مقحمة.

انظر: نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٦١٨.

(٧) المضض: من مضَّه أي آلمه، يقال: مضه الهمُّ والحزن والقول: أي شق عليه.

(٨) القسي: جمع قوس، وهي ما يرمىٰ بها السهام.

(٩) الحُرَم: جمع حريم، وحريم الرجل عياله ونساؤه وما يحميه.

(١٠) الفشل: التراخي والجبن.

والمواسمَ يأمن سَرْبُكم[١]، فإن المحافظةَ[٢] أمنٌ، وإنما المعسكرُ[٣] لمن صبرَ، وليُحَيِّكم ربُّكم)[٤].

---

(١) المجامع: جمع مجمع، يطلق علىٰ مكان الاجتماع وعلىٰ المجتمعين. والمواسم: جمع موسم، وهو كل مجمع من الناس كثير. ويقال: فلان آمن السَّرب: لا يُغزىٰ ماله ونعمه؛ لعزَّة. وفلان آمن السِّرب: أي آمن القلب.

(٢) المحافظة: التيقظ والمراقبة وقلة الغفلة.

(٣) المعسكر: مكان اجتماع الجيش، والمراد الانتصار.

(٤) التوثيق: وردت الوصية في المعمرون ١٢٨.

وصايا عصر صدر الإسلام

[٦٤] في حديث الأشَجِّ العبدي[١] أنه قال لبنيه -أو غيرِهم-:

(لا تَبْسُرُوا[٢]، ولا تَثْجُروا[٣]، ولا تعاقِروا[٤] فتسكَروا)[٥].

[٦٥] كان انس بن مالك[٦] يقول لبنيه:

---

(١) **صاحب الوصية**: المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث العبدي (وفي اسمه ونسبه أقوال أخرىٰ)، وفد علىٰ النبي ﷺ سنة عشرٍ علىٰ رأس وفد بني عبد القيس، فقال له النبي ﷺ: إن فيك خصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة. كان سيِّدَ قومه. والأشج لقبٌ ذكرَ ابنُ عبد البرِّ أن النبي ﷺ لقَّبه به. انظر: الاستيعاب ٤/ ١٤٤٨، وأسد الغابة ١/ ١١٦، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠١.

(٢) لا تبسروا: يقول: لا تخلطوا البسر بالتمر، فتنبذوهما جميعًا.

(٣) ولا تثجروا: يقول: لا تجعلوا ثجير البسر مع التمر، وثجيره أن يُنْبَذَ البُسْرُ وحده (يترك عليه الماء ليصير نبيذًا، والنبيذ: ما يعمل من الأشربة من التمر، والزبيب، والعسل وغير ذلك، سواء كان مسكرًا أو غير مسكر)، ثم يؤخذ ثُفْلُه (خلاصته) فيلقىٰ مع التمر. وكره هذا مخافة الخليطين (لنهي النبي ﷺ، والبسر: ما لوّن ولم ينضج).

(٤) ولا تعاقروا: يقول لا تدمنوه فتسكروا (المعاني عن كتاب غريب الحديث سوىٰ ما بين قوسين).

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في غريب الحديث ٥/ ٣٢٥، والفائق ١/ ١٠٩، وفيه: الأشجع العبدي. وقد وردت الجملتان الأوليان في تهذيب اللغة ١٢/ ٤١٢ (وفيه: الأشجع العبدي)، والغريبين ١/ ١٧٥ (بسر)، والنهاية في غريب الحديث ١/ ١٢٦ (بسر).

(٦) **صاحب الوصية**: أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه، كانت إقامته بعد وفاة النبي ﷺ بالمدينة، ثم شهد الفتوح واستقر بالبصرة، ومات بها -وهو آخر الصحابة بها موتًا- سنة ٩٣. ولد له من صلبه ثمانون ذكرًا وابنتان، وكان رسول الله ﷺ دعا له بكثرة المال والولد.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ١٧، وأسد الغابة ١/ ١٥١، والإصابة ١/ ١٢٦.

(تباذلوا بينكم[١]، فإنه أودُّ لما بينكم[٢])[٣].

[٦٦] قال أنس بن مالك لبنيه[٤]:

(أي بني، إنه من يُكثِر يُهْجِر[٥])[٦].

[٦٧] قال [أنس بن مالك] لبنيه:

(قيِّدوا العلمَ بالكتابِ)[٧].

[٦٨] قال أنس بن مالك:

(يا بني، إياكم والسِّفْلَةَ! قالوا: وما السفلةُ؟ قال: الذي لا يخافُ الله ﷻ)[٨].

[٦٩] قال جرير بن عبد الله البجلي[٩] لبنيه:

---

(١) في كتاب الأشراف: فيما بينكم. وتباذلوا: ليُعْطِ أحدكم الآخر وليَجُدْ له عن طيب نفس.

(٢) في المصدر السابق: فإنه أودُّ لكم. المودة: المحبة.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب صحيح الأدب المفرد ٢٢٢ ح٤٦٣، كما وردت في كتاب الأشراف لابن أبي الدنيا ص١٣٣.

(٤) **مناسبة الوصية**: عن ثابت البناني: أن بني أنس قالوا: يا أبانا ألا تحدثنا كما تحدث غرباء الناس؟! فقال لهم ذلك.

(٥) **يهجر**: يأتي بالهُجْر وهو الفحش.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٢٢، والجامع لشعب الإيمان ٩/ ٢٧٧. وقد ورد في الأمثال لأبي عبيد ٤٣، ومجمع الأمثال ٣/ ٣٠٦، والمستقصىٰ ٢/ ٣٥٨٣: (ومن أمثالهم: من أكثر أهجر، يضرب في ذم المهذار).

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٢٢، وكتاب العلم لأبي خيثمة النسائي ٢٩، وسنن الدارمي ١/ ١٢٧، والمعجم الكبير للطبراني ١/ ٢٤٦، والمستدرك للحاكم ١/ ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله ١/ ٣١٦، وتقييد العلم للخطيب البغدادي ٩٦، والمقاصد الحسنة ٥٥.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الجامع لشعب الإيمان ٣/ ٦١.

(٩) **صاحب الوصية**: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي، من أعيان الصحابة، كان سيدًا في قومه، أسلم سنة عشر، قدَّمه عمر في حروب العراق علىٰ جموع بجيلة، وكان لهم أثر عظيم في معركة القادسية، قال عنه عمر: جرير يوسف هذه الأمة، لجماله وحسنه. مات سنة ٥١ أو ٥٤هـ. =

(يا بني إذا شربتم فأسئروا)[1].

[٧٠] كان الزبرقانُ بن بدر[2] إذا زوَّج ابنةَ له دنا من خِدْرِها[3] وقال:

(أتسمعين؟ لا أُعرَّفنَّ ما طلبت[4]، كوني له أمةً يكُن لك عبدًا[5]) [6].

[٧١] قال الزبيرُ بنُ العوامِ[7] لابنِه عبدِ الله[8]:

=انظر: مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٣٠، والإصابة ١/ ٤٧٥.

(١) **التوثيق**: وردت هذه الوصية في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ١٧٠، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٢٧ (سأر)، وفيه: أي أبقوا منه بقية.

(٢) **صاحب الوصية**: الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف التميمي السعدي. واسمه حصين والزبرقان لقبٌ عليه لجماله، كان سيدًا في الجاهلية عظيم القدر في الإسلام، أسلم في السنة التاسعة فولاه الرسول -ﷺ- صدقات قومه، وأقره أبو بكر وعمر. جعل الزركلي (الأعلام ٣/ ٤١) وفاته نحو سنة ٤٥ ورجح ذلك جامع ديوانه (ص٤٤) لأن زياد بن أبي سفيان عُيِّن -كما يقول- واليًا علىٰ البصرة والزبرقان وَفَدَ عليه وهو والٍ. ولكن ابن حجر نقل في الإصابة عن الكوكبي أنه وفد علىٰ عبد الملك وقاد إليه خمسة وعشرين فرسًا.. وإذا صح هذا فهو قد عُمِّر وأسن. انظر: المعارف ٣٠٢، وأسد الغابة ٢/ ٩٥، والإصابة ٢/ ٥٥٠.

(٣) الخدر: ستر يمدُّ للمرأة في ناحية الخباء.

(٤) هكذا في الأصل. وفي جمل من أنساب الأشراف: لا أُعلمن ما طلقتِ -ثلاثًا-. ولعل ما في الأصل تحريف. وأعلمن ما طلقت: أخبر بطلاقك.

(٥) في جمل من أنساب الأشراف: كوني أمة لزوجك.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٤/ ٧٧، كما وردت في جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٣٦٢.

(٧) **صاحب الوصية**: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، كان بطلًا شجاعًا يعدُّ بألف، لم يغب عن غزوة من غزوات النبي ﷺ. قتل بوادي السباع بعد اعتزاله الحرب مع علي ﷺ عام ٣٦.
انظر: المعارف ٢١٩، ونسب قريش ٢٣٥، والتبيين ٢٢٣.
وابنه عبد الله أول مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينة، كان شهمًا أيِّدًا شديد البأس فصيحًا، كما كان صوامًا قوامًا. انظر: المعارف ٢٢٤، ونسب قريش ٢٣٧، والتبيين ٢٢٥.

(٨) **مناسبة الوصية**: تكلم عبد الله بن الزبير، والزبير يسمع، فقال له: ...).

(أي بني، ما زلتَ تكلَّمُ بكلامِ أبي بكر حتىٰ ظننتُ أن أبا بكرٍ قائم. فانظر إلىٰ من تَزَوَّجُ؛ فإن المرأةَ من أخيها من أبيها)[1].

[٧٢] قال الزبيرُ بنُ العوامِ لابنه عبدِ الله[2]:

(إنَّهُ -والله- ما بالدنيا بأسٌ، ما تُدرك الآخرةُ إلا بالدنيا، فيها يُوصلُ الرحمُ، ويُفعلُ المعروفُ، وفيها يُتَقَرَّبُ إلىٰ الله ﷻ بالأعمالِ الصالحةِ، فإياك أن تذهبَ أنت وأصحابُك فتقعوا في معصيةِ الله ﷻ ثم تقولون: قبَّحَ الله الدنيا، ولا ذنبَ للدنيا)[3].

[٧٣] قال الزبير بن العوام لابنه عبد الله[4]:

(إن القرآن قد تأوَّلَه كلُّ قومٍ علىٰ رأيهم وحملوه عليه، ولعمرُ الله، إنَّ القرآن لمعتدلٌ مستقيمٌ، وما التقصيرُ إلا من قِبَلِهِم، ومَنْ طَعَنُوا عليه من الناس، فإنهم لا

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الأشراف ١٨٠.

(٢) **مناسبة الوصية**: (قال عبد الله بن الزبير: قال لي الزبير: اشترِ لي سرحَ بني فلان بالحيرة، وإن بلغ عشرة آلاف. فقلت: عشرة؟! فقال: وإن بلغ عشرين ألفًا. قلت: سبحان الله! قال: وإن بلغ ثلاثين ألفًا فاشتره، إني -والله- لأنْ أعطيَ مالي أحبُّ إليَّ من غصبةٍ أغصبها، فقلت: ما هذا إلا تكاثرُ الناس وفخرُهم! فقال: إنه والله...). والسرح: الماشية التي تغدو إلىٰ المرعىٰ وتروح منه، ويطلق علىٰ شجرٍ كبارٍ عظام طوال لا يُرعىٰ.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في إصلاح المال ١٩٢.

(٤) **مناسبة الوصية**: قال هشام بن عروة: قال عبد الله بن الزبير: لقيني ناس ممن كان يطعن علىٰ عثمان -ممن كان يرىٰ رأي الخوارج- فراجعوني في رأيهم، وحاجُّوني في القرآن، فوالله ما قمت معهم ولا قعدت! فرجعت إلىٰ الزبير منكسرًا، فذكرت ذلك له فقال: ... فكأنما أيقظني بذلك، فلقيتهم فحاججتهم بسنن أبي بكر، فلما أخذتهم بذلك قهرتهم، وضعف قولهم، حتىٰ كأنهم صبيان يمغثون سخبهم)! ويمغثون سخبهم: أي يعضونها ويمصونها. والسُّخب: قلائد الخرز، يعني أنهم بُهتوا وعَجزوا عن الجواب.

يطعنون في أبي بكر وعمر، فخذهم بسنَّتِهما وسيرَتِهما)[1].

[٧٤] قال سعد[2] بن عمارة[3] [سعد الخير][4] لابنه:

(أظهر اليأسَ فإنَّه الغنىٰ[5]، وإياكَ وطلبَ ما عند الناسِ فإنَّه الفقرُ الحاضر[6]، وإياك وما تَعْتَذِرُ منه[7]، وأسبغِ الوضوءَ، وصلِّ صلاة مودِّعٍ عسىٰ ألاَّ تصليَ صلاةً غيرَها، وإن استطعت أن تكونَ اليومَ خيرًا منك أمسِ، وغدًا خيرًا منك اليوم، فافعل)[8].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في نسب قريش ١٠٣. وقد جاء في لسان العرب (مغث): (قال الزبير لابنه: لا تخاصم الخوارج بالقرآن، خاصمهم بالسنة).

(٢) **صاحب الوصية**: سعد بن عمارة الثعلبي، أحد بني سعد بن بكر، له صحبة، استعمله خالد بن الوليد فيمن استعمل من شجعان الصحابة علىٰ غطفان. انظر: أسد الغابة ٢/ ٢١٠، والإصابة ٣/ ٩٦.

(٣) **مناسبة الوصية**: عند حضور الموت. انظر التاريخ الكبير للبخاري.

(٤) في التاريخ الكبير ورد الاسمان. وفي كتاب الزهد لأبي داود والزهد الكبير للبيهقي ورد: سعد الخير. وفي روضة العقلاء ورد: سعد بن عمارة.

(٥) في الزهد الكبير وروضة العقلاء: فإنه غنىٰ.

(٦) في الزهد الكبير: فإنه فقر حاضر. وفي روضة العقلاء: وإياك والطمع فإنه فقر حاضر.

(٧) في الزهد الكبير: يعتذر منه.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الزهد لأبي داود السجستاني ٣١٢-٣١٣، وكتاب الزهد الكبير للبيهقي ٨٦. وورد منها قوله: (أظهر اليأس... حاضر) في روضة العقلاء ١٤٢. ووردت جملة: (أسبغ الوضوء) في التاريخ الكبير ٤/ ٤٥. وفي أسد الغابة ٢/ ٢١٠: (وروي عن سليمان بن حبيب أن سعد بن عمارة لما حضرته الوفاة جمع بنيه وأوصاهم). وورد في المعجم الكبير للطبراني ٦/ ٤٤: (عن سعد بن عمارة أخي بني سعد -وكانت له صحبة- أن رجلًا قال له: عظني في نفسي يرحمك الله. قال: إذا أنت قمت إلىٰ الصلاة فأسبغ الوضوء، فإنه لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا إيمان لمن لا صلاة له. ثم قال: إذا أنت صليت فصلِّ صلاة مودع، واترك طلب كثير من الحاجات فإنه فقر حاضر، وأَجْمِع اليأس مما في أيدي الناس، فإنه هو الغنىٰ، وانظر إلىٰ ما تعتذر منه من القول والفعل فاجتنبه). وكذا ورد في أسد الغابة ٢/ ٢١٠. وانظر وصايا كل من سعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل وسعيد بن جبير وسعد

[٧٥] قال سعد[١] بن أبي وقاص ﷺ:

(يا بني[٢]، إذا طلبتَ الغنىٰ[٣] فاطلبه في القناعة[٤]، فإنها مالٌ لا يَنْفَدُ[٥]، وإياك والطمعَ، فإنه فقرٌ حاضرٌ، وعليك باليأس، فإنك لم تيأسْ من شيء إلا أغناك الله عنه)[٦].

[٧٦] قال سعدٌ لابنه:

القصير. وقد توسع في الحديث عن الوصية -لكونَها حديثًا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ- السخاويُ في المقاصد الحسنة ١٣٧-١٣٩، وقال في نهاية كلامه: (وقد روينا... عن سعد ابن عبادة أنه قال لابنه: إياك وما يعتذر منه... من حديث سعيد بن جبير أنه قال لابنه كذلك، بزيادة (فإنه لايعتذر من خير).

(١) **صاحب الوصية**: سعد بن مالك بن أهيب القرشي الزهري، أبو إسحاق أحد العشرة المبشرين بالجنة، روىٰ عن النبي ﷺ كثيرًا، كان أحد الفرسان. توفي ﷺ سنة ٥٦ علىٰ الأشهر.
انظر: جمهرة النسب ٧٧، وسير أعلام النبلاء ١/ ٩٢، والإصابة ٣/ ٧٣.

(٢) في عيون الأخبار: لابنه عمر. وفي البداية والنهاية: لابنه مصعب. وعمر هو عمر بن سعد بن أبي وقاص، كان ذا شجاعة وإقدام، سكن الكوفة، وهو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي ﷺ، قتله المختار الثقفي.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٢٩، والطبري ٥/ ٤٠٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٩.
ومصعب بن سعد أبو زرارة المدني، روىٰ الحديث عن أبيه وغيره، كان ثقة كثير الحديث، مات سنة ١٠٣هـ.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٥/ ١٦٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٦٠.

(٣) في المجالسة ٣/ ٤٩٨: شيئًا.

(٤) في سائر المصادر: بالقناعة.

(٥) في عيون الأخبار والمجالسة (٣/ ٤٩٨) ومختصر تاريخ دمشق: فإن لم تكُن لك قناعة فليس يغنيك مال. وفي المجالسة (٥/ ٤٦): فإنه من لم يكُن له قناعة لم يغنِه مال. ومثله في البداية والنهاية إلا أن فيه: فإنه من لا قناعة له.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في المستطرف ١٢٠. وقد وردت -باختصار- في عيون الأخبار ٣/ ١٨٥، والمجالسة ٣/ ٤٩٨ و٥/ ٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٧١، والبداية والنهاية ١١/ ٣٠١. وانظر وصايا سعد اللاحقة.

(يا بني، إياك أن[1] تلقىٰ بعدي أحدًا هو أنصحُ لك مني، إذا أردت أن تصليَ فأحسن الوضوء وصلِّ صلاةً لا ترىٰ أنك تصلي بعدها أبدًا، وإياك والطمعَ فإنه حاضرُ الفقرِ، وعليك بالإياس فإنه الغنىٰ، وإياك وما يُعتذَر منه من القولِ والعمل، وافعل ما بدا لك)[2].

[٧٧] قال سعد بن أبي وقاص لابنه[3]:

(يا بني[4]، احفظْ عني خصالاً خمسًا: أظهر اليأسَ مما في أيدي الناسِ فإنه غنًىٰ حسنٌ[5]، وإياك وطلبَ الحاجاتِ إليهم، فإنه[6] فقرٌ حاضرٌ، وإياك وما يُعتذر منه[7]. وكُن في اليوم الذي تستقبلُ خيرًا منك في اليوم الذي خلَّفت، وإذا قمت إلىٰ الصلاة فأحسن الوضوءَ، ثم صلِّ صلاةَ المودِّعِ، فإنه يوشك أن تصلي صلاةً لا تصلي[8] بعدها)[9].

[٧٨] وقال سعد بن أبي وقاص لابنه:

---

(١) هكذا وردت، ولعلها: إنك لن.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الزهد لأحمد ٢٦٧.

(٣) **مناسبة الوصية**: لما حضرت سعدًا الوفاة.

(٤) جاء في صدرها في مجمع الزوائد: يا بني إنك لن تلقىٰ أحدًا هو أنصح لك مني.

(٥) في مجمع الزوائد: وعليك بالإياس فإنه الغنىٰ.

(٦) في مجمع الزوائد: وإياك والطمع فإنه.

(٧) في مجمع الزوائد: إليه من العمل والقول، واعمل ما بدا لك.

(٨) في مجمع الزوائد: وإذا أردت أن تصلي فأحسن وضوءك، ثم صلِّ صلاة لا ترىٰ أنك تصلي بعدها.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٤-٣٣٥. كما وردت باختصار في مجمع الزوائد ٤/ ٢٢١ نقلًا عن الطبراني. وثمة تشابه كبير بينها وبين وصايا نسبت لمعاذ بن جبل وسعد بن عمارة وسعيد بن جبير وسعد القصير وأبي مسلم الخولاني. وانظر وصية سعد الأولىٰ. وقد ورد في الزهد والرقائق لابن المبارك ١/ ٥٠٧: (قال عمر بن الخطاب في خطبته: تعلمون أن الطمع فقر، وأن الإياس غنىٰ، وأنه من أيس مما عند الناس استغنىٰ عنهم).

(يا بني، إياكَ والكِبْرَ، وليكن فيما تستعينُ به علىٰ تركِهِ علمُكَ بالذي منه كنت، والذي إليه تصير، وكيف الكبرُ مع النطفةِ التي منها خُلِقْتَ، والرَّحمِ التي منها قُذِفْتَ، والغذاءِ الذي به غُذِيْتَ)[1].

[٧٩] عن مصعب بن سعدٍ عن سعدٍ قال:

(يا بني، تعلَّموا الرميَ، فإنه خيرُ لعبِكم)[2].

[٨٠] [كان أبو سعيد الخدري][3] يقول لبنيه:

(إذا طُفتُم بالبيت[4] فلا تُلْغُوا[5] ولا تَهجِروا[6]، ولا تَقاضَوا أحدًا ولا

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٢/ ٣٤٣. وقد ورد في شرح نهج البلاغة ٧/ ٩٠: (وقال سعد بن أبي وقاص لعمر ابنِهِ حين نطق مع القوم فَبَذَّهم (خصمهم وتفوَّق عليهم) وكان غضب عليه فكلموه في الرضا عنه: هذا الذي أغضبني عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقر بألسنتها»!

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٢١، وقد ورد في كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٢٧٩ عن سعد رفعه إلىٰ النبي ﷺ قال فيه: (عليكم بالرمي فإنه خير -أو من خير- لهوكم). وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٣٠٤ (ح٢٠٤٩) وروايته فيه: (فإنه خير لعبكم).

(٣) **صاحب الوصية**: أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري، مشهور بكنيته، من شباب الصحابة، حفظ عن رسول الله ﷺ سننًا كثيرة، وروىٰ عنه علمًا جمًّا، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، وتوفي سنة ٧٤هـ.

انظر: الاستيعاب ٢/ ٦٠٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٨، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/ ١١٠.

(٤) تحرفت الكلمة في تهذيب اللغة إلىٰ: الليل.

(٥) لغا في القول: أخطأ وقال باطلاً، ولغا: تكلم باللغو، وهو ما لا يعتدُّ به من الكلام، ولا يُحصَل منه علىٰ فائدة ولا نفع.

(٦) في غريب الحديث: (هكذا قال هشيم: تَهجِروا. قال أبو عبيد: ووجه الكلام عندي: تُهْجِروا في هذا الموضع؛ لأن الإهجار من سوء المنطق وهو الهُجْر. وأما الهَجْر في الكلام فإنه الهذيان مثل كلام المحموم والمبرسم). والمبرسم: من أصابه البرسام، وهو ذات الجنب، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.

تُكَلِّموه[(1)])[(2)].

[٨١] عن الوليد بن عبادة بن الصامت[(3)] قال[(4)]:

(قال [أبي]: يا بني[(5)] إنك لن تَطْعَمَ طَعْمَ الإيمان[(6)] ولن[(7)] تبلُغَ حقَّ حقيقةِ[(8)]

---

(١) قاضاه مقاضاة: حاكمه، وتقاضاه الدَّينَ: طلبه منه وقبضه منه، وفي الطبعة الهندية من غريب الحديث ٢/ ٦٤: (ولا تقاصُّوا أحدًا)، تقاصَّ القوم: إذا قاصَّ كلُّ واحدٍ منهم صاحبَه في حساب أو غيره، وقد قصَّه، وأقصَّ الأميرُ فلانًا من فلان، إذا اقتصَّ له منه فجرحه مثل جرحه أو قتله قودًا، واستقصه: سأله أن يقصه منه، ولعل أبا سعيد -وهو يدرك ما يحدث في الحج عادة من زحام قد يترتب عليه دفع وسقوط ومن ثم جرح أو كسر أو أقل من ذلك- أراد توجيه أبنائه إلىٰ عدم معاتبة من قد يفعل ذلك معهم فضلًا عن الاقتصاص منه، مراعاة لحرمة المكان، والتزامًا بالخلق، وطلبًا للأجر.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في غريب الحديث لأبي عبيد الهروي ٢/ ٤٣٦. وقد وردت مختصرة (إذا... تهجروا) في تهذيب اللغة ٦/ ٤١، والغريبين ٦/ ١٩١٢.

(٣) **صاحب الوصية**: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة مع الأنصار وكان أحد النقباء الاثني عشر فيها، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وجَّهه عمر إلىٰ الشام قاضيًا ومعلمًا، توفي بالشام سنة ٣٤هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.
انظر: كتاب الطبقات لخليفة ٩٩، والاستيعاب ٢/ ٨٠٧، والإصابة ٣/ ٢٠٤.
وابنه الوليد ولد في حياة النبي ﷺ، روىٰ عن أبيه، وروىٰ عنه ابنُه وغيره، وكان ثقة قليل الحديث، توفي بالشام في خلافة عبد الملك بن مروان.
انظر: كتاب الطبقات لخليفة ٢٣٨، والطبقات الكبرىٰ ٥/ ٨٠، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٣٧.

(٤) **مناسبة الوصية**: قال الوليد بن عبادة: (دخلت علىٰ عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني. [فأجلسوه]، قال: ...) المسند لأحمد.

(٥) جاء في وصايا العلماء: يا بني اتقِ الله، واعلم أنك لن تتقي الله ﷻ ولن تبلغ العلم حتىٰ تعبد الله ﷻ وحده، وتؤمن بالقدر...

(٦) في سنن أبي داود والسنن الكبرىٰ: إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان. وكذا في الحلية دون كلمة (طعم).

(٧) في الأصل: ولم. والتصحيح من تاريخ دمشق.

(٨) في تاريخ دمشق: تبلغ حقيقة المعرفة.

العلم بالله حتىٰ تؤمنَ بالقدر خيرِه وشرِّه. قلت: يا أبتاه، فكيف[1] لي أن أعلمَ ما خيرُ القدرِ وشرُّه[2]؟ قال: تعلَّمْ أن ما أخطأك لم يكُن ليصيبَك، وما أصابك لم يكُن ليُخْطِئَك، يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أوَّلَ ما خلق الله القلمَ، ثم قال: اكتبْ[3]. فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلىٰ يومِ القيامة، يا بني[4]، إنْ مِتَّ ولستَ علىٰ ذلك دخلتَ النار)[5].

[٨٢] قال العباس بن عبد المطلب[6] لابنه[7]:

(قُم لا أنامَ الله عينَك[8]، أتنامُ في ساعةٍ يقسم الله فيها الرزقَ بين عباده[9]؟ أوَما

(١) في تاريخ دمشق: وكيف.

(٢) في تاريخ دمشق: من شره.

(٣) بعده في وصايا العلماء: فقال: ما أكتب؟ فقال ﷻ: القدر فجرىٰ... إلىٰ الأبد. وفي سنن أبي داود وحلية الأولياء والسنن الكبرىٰ: قال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة.

(٤) في المصدرين السابقين: يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات علىٰ غير هذا فليس مني.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في مسند الإمام أحمد ٣٧/ ٣٧٨، ووصايا العلماء ٥٠، وتاريخ دمشق ٤١-٣٤٤-٣٤٥، كما وردت (باختصار) في سنن أبي داود ٥/ ٧٦، وحلية الأولياء ٥/ ٢٤٨، والسنن الكبرىٰ للبيهقي ١٠/ ٢٠٤.

(٦) **صاحب الوصية**: العباس بن عبد المطلب بن هشام، عم رسول الله ﷺ، كان شريفًا مهيبًا عاقلًا جميلًا من رؤساء قريش، قدم إلىٰ رسول الله ﷺ مهاجرًا قبيل فتح مكة، وقيل: إنه أسلم قديمًا بمكة وكتم إسلامه، كان النبي ﷺ يجلُّه ويعظمه. توفي -علىٰ الأكثر- بالمدينة سنة ٣٢هـ عن ثمانٍ وثمانين سنة، وترك عشرة من الولد.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٤/ ٥، والاستيعاب ٢/ ٥١٠، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٧٨.

(٧) **مناسبة الوصية**: مرَّ العباسُ بابنه يومًا وهو نائم نومةَ الضحىٰ، فوكزه (ضربه) برجله، وقال له ذلك.

(٨) في شرح المقامات: لا نامت عيناك. وفي المستطرف: ... عينيك.

(٩) في شرح المقامات: تنام في ساعة يقسم فيها الرزق. وفي المستطرف: بين العباد. وقد جاء في مشكاة المصابيح ٢/ ١١٤٤ (ح٣٩٠٨): عن صخر بن وداعة الغامدي قال:=

سمعت ما قالت العربُ: إنَّها مكسَلةٌ مهزَلَةٌ منساةٌ[1] للحاجة)[2].

[٨٣] عن الشعبي عن عبد الله بن عباس[3] قال: قال لي أبي:

=قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم أول النهار، وكان صخر تاجرًا، فكان يبعث تجارته أول النهار، فأثرىٰ وكثر ماله (رواه الترمذي وأبو داود والدارمي). وقد علق عليه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قائلًا: إسناده جيد.

(١) في المستطرف: منسية. وهما بمعنىٰ، أي داعية إلىٰ نسيان الحاجة.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٤/ ٣٣٣، والمستطرف ٢/ ٤٠٨. وورد منها قوله: (قم... الرزق) في شرح مقامات الحريري ٣/ ٣٧٩. وقد وصل بها محقق المصدر الأخير كلامًا ليس منها هو: (وإنما النوم علىٰ إحدىٰ خصال: خرق أو حمق أو خلق، فنومة الحمق بعد العصر، لا ينامها إلا سكران أو شيطان، ونومة الخرق نومة الصبح، ونومة الخلق نصف النهار). وقد أورد المصدران الأولان هذا الكلام -بمعناه- بتفصيل أكثر، وبمعزل عن الوصية. وفي المحاسن والمساوئ ٥٤٧: (قيل: نظر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ بعض ولده نائمًا بالغداة فركله برجله ثم قال: ...). وفي كتاب الإمتاع والمؤانسة ٢/ ٦٦: (نظر رجل من قريش إلىٰ صاحب له قد نام في غداة من غدوات الصيف طيبة النسيم، فركضه برجله وقال: مالك تنام عن الدنيا في أطيب وقتها؟! نَمْ عنها في أخبث حالاتها، نمْ في نصف النهار لبعدك عن الليلة الماضية والآتية، ولأنها راحة لما قبلها من التعب، وجمام لما بعدها من العمل، نمت في وقت الحوائج، وتنبهت في وقت رجوع الناس). وقد ورد في ربيع الأبرار في الموضع نفسه: ([قال] خوات بن جبير: نوم أول النهار خرق، وأوسطه خلق، وآخره حمق).

(٣) **صاحب الوصية** تقدم التعريف به. وابنه عبد الله ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ فقال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل). وكان يسمَّىٰ البحر لكثرة علمه. كان جميلًا مهيبًا وافر العقل. توفي بالطائف سنة ٦٨هـ وله ثنتان وسبعون سنة.

انظر: نسب قريش ٢٦، والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٢٨٦، وحلية الأولياء ١/ ٣٢٧.

وقد جاء في الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٣٦٩ -عن سعد بن أبي وقاص في حديثه عن ابن عباس-: (ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات)، وفيه عن طلحة بن عبيد الله في حديثه عن ابن عباس أيضًا: (ما كنت أرىٰ عمر بن الخطاب يقدم عليه أحدًا). وفي المنتظم ٤/ ٢٢٧: (وكان عمر يدنيه ويحضره مع شيوخ الصحابة وأهل بدر... وكان يستشيره ويقول: غص غوَّاص)! وانظر البداية والنهاية ١٢/ ٨١، ٨٨.

(يا بني[1]، إني أرىٰ أمير المؤمنين[2] يستخليك ويستشيرُك ويقدِّمُك[3] علىٰ الأكابرِ من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني أوصيك[4] بخلالٍ أربع[5]: لا تفشينَّ له

---

(١) جاء صدرها في من جمل من أنساب الأشراف (٤/ ٦٨): أنت أعلم مني ولكني أشد تجربة للأمور منك. وفي شرح النهج: يا بني أنت أفقه مني وأنا أعقل منك!

(٢) في جمل من أنساب الأشراف والعقد والمعرفة والتاريخ والكامل ونسب قريش والسنن الكبرىٰ وإحياء علوم الدين وربيع الأبرار وشرح النهج وتهذيب الرياسة ونهاية الأرب وعين الأدب والسياسة: أرىٰ هذا الرجل. وفي سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام والبداية والنهاية: إن عمر.

(٣) في نسب قريش: قد أدناك وأكرمك. وفي جمل من أنساب الأشراف: قد قربك وقدمك. وفي العقد: يستفهمك... وفي المعرفة والتاريخ والسنن الكبرىٰ: قد أكرمك، وأدنىٰ مجلسك، وألحقك بقوم لست مثلهم. وفي الكامل: قد اختصك دون أصحاب محمد ﷺ. وفي المعجم الكبير وحلية الأولياء: يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب. وفي نثر الدر وربيع الأبرار وأسرار الحكماء: قد اختصك دون من أرىٰ (ترىٰ) من المهاجرين والأنصار. وفي أدب الملوك: قد قربك واختارك علىٰ الكبراء من الصحابة وقدمك عليهم. وفي الإحياء: يقدمك علىٰ الأشياخ. وفي شرح النهج وتهذيب الرياسة وسير أعلام النبلاء: يدنيك. وفي لباب الآداب: يدنيك دون أصحاب محمد ﷺ. وفي نهاية الأرب: يستفهمك ويقدمك... وفي البداية والنهاية: يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة. وفي عين الأدب والسياسة: يدنيك ويستخليك دون الناس. واستخلاه: سأله أن يجتمع به في خلوة.

(٤) في العقد وتهذيب الرياسة: موصيك.

(٥) في نسب قريش وجمل من أنساب الأشراف (٤/ ١٢) والكامل والسنن الكبرىٰ وربيع الأبرار وشرح النهج ولباب الآداب وأسرار الحكماء وسير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام والبداية والنهاية وعين الأدب والسياسة: فاحفظ عنِّي ثلاثًا. وزاد في نثر الدر وأسرار الحكماء: ولا تجاوزهن. وفي المعرفة والتاريخ: فاحفظ عليَّ ثلاثًا. وفي المعجم الكبير وحلية الأولياء: فاحفظ عني ثلاث خصال. وفي آداب الملوك: فاحفظ عني في أمرهم ثلاث خصال. وفي سراج الملوك والمستطرف: وإني أوصيك بخلال ثلاث. وذكرت المصادر السابقة الخلال الأولىٰ في الوصية. وفي جمل من أنساب الأشراف (٤/ ٦٨) ذكر الخصلتين الأولىٰ والثالثة، وزاد عليهما: ولا تبتدئه الشيء حتىٰ يسألك عنه. وروايته فيه (٤/ ١٢): ولا تقولن شيئًا حتىٰ يسألك. وفي إحياء علوم الدين: فاحفظ عني خمسًا! وذكر الثلاث الخصال الآنفة الذكر وزاد: ولا تعصين له أمرًا، ولا يطلعن منك علىٰ خيانة. وفي تهذيب الرياسة: وإني موصيك بخلال. وذكر الثلاث السابقة وزاد: ولا تخونن له عهدًا.

سرًّا[1]، ولا يجربنَّ عليك كذبًا[2]، ولا تغتابنَّ[3] عنده أحدًا، ولا تطوِ عنه نصيحةً. قال الشعبي: قلتُ لابن عباس[4]: كلٌّ واحدةٍ خيرٌ من ألفٍ. قال: إيْ والله ومن عشرةِ آلاف[5])[6].

(١) زاد في جمل من أنساب الأشراف: فيزدريك. يزدريك: يحتقرك.

(٢) في جمل من أنساب الأشراف (٤/ ١٢): لا تكذبه فيطرحك. وفي المعجم الكبير وحلية الأولياء: اتق الله، لا يجربن عليك كذبة. وفي آداب الملوك وشرح النهج: لا يطلعنَّ منك علىٰ كذبة. ومثله في عين الأدب والسياسة، وفيه: كذب. وفي إحياء علوم الدين: لا يجرين عليك كذبًا! وهو تصحيف.

(٣) في جمل من أنساب الأشراف (٤/ ١٢): ولا تغتب عنده أحدًا فيمقتك. وفي جمل من أنساب الأشراف (٤/ ٦٨) والكامل: ولا تغتب عنده مسلمًا. وفي ربيع الأبرار: ولا تعب!

(٤) هذا ما أشارت إليه جملة المصادر، وهو الأولىٰ والأليق بالسياق. وفي المعجم الكبير وحلية الأولياء: قال عامر: فقلت لابن عباس. وعامر هو الشعبي. وفي نثر الدر ولباب الآداب: فقلت: يا أبا عباس، وهي كنية عبد الله بن عباس. وفي أسرار الحكماء: يا أبا العباس. وفي الكامل ١/ ٣٤٤: قال: فقلت: يا أبة، كل... وفيه ٢/ ٨٨٢: فقيل لابن عباس! وفي ربيع الأبرار: قال عكرمة: فقلت... فقال. وفسره المحقق بأنه عكرمة بن عبد الله البربري مولىٰ ابن عباس. والشعبي عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي الهمداني، عالم محدث قاضٍ ثقة، كان نحيفًا ضئيلًا مزاحًا. مات سنة ١٠٤هـ عن ثنتين وثمانين سنة. انظر: المعارف ٤٤٩، وأخبار القضاة ٢/ ٤١٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤.

(٥) في شرح النهج: قال عبد الله: فكانت هذه الثلاثة أحبَّ إليَّ من ثلاث بدراتٍ (جمع بِدْرَة: كيس مليء بالمال) ياقوتًا. وفي لباب الآداب: ألف دينار... آلاف دينار.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ١/ ١٩. كما وردت في العقد الفريد ١/ ٢٢-٢٣، ونهاية الأرب ٦/ ١٦. وقد وردت باختلاف يسير في إحياء علوم الدين ٢/ ١٧٩، وتهذيب الرياسة ١٥٧. كما وردت باختصار يسير في نسب قريش ٢٦، وجمل من أنساب الأشراف ٤/ ١٢، ٦٨، والمعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٣-٥٣٤، والكامل ١/ ٣٤٤، ٢/ ٨٨٢، والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٢٢، وحلية الأولياء ١/ ٣١٨، ونثر الدر ١/ ٤٠٤، وآداب الملوك ٢٣٤، وربيع الأبرار ٢/ ٤٩٦، وشرح نهج البلاغة ٦/ ٣٥٧-٣٥٨، وسراج الملوك ٢/ ٤٨٥، ولباب الآداب ١٥، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٥٤-٣٥٥، وأسرار الحكماء ٣٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام (أحداث ووفيات ٦٠-٨٠)، والبداية والنهاية ١٢/ ٨٩، والمستطرف ١/ ٢٩٠، وعين الأدب والسياسة ١٧٣-١٧٤.

[٨٤] وقال العباس لابنه:

(يا بني تعلَّم العلم، ولا تعلَّمْه لترائيَ به، ولا لتباهيَ به، ولا لتماريَ به(١)، ولا تَدَعْه رغبةً في الجهل، وزهادةً في العلم، واستحياءً من التعلُّم)(٢).

[٨٥] قال أبو بكر(٣) ﷺ لابنه عبدِ الرحمن(٤):

---

(١) في جامع بيان العلم: يا بني، لا تعلم العلم لثلاث خصال: لا ترائي به... ولا تدعه لثلاث خصال، وفي التذكرة الحمدونية: ولا تعلمه لتماري به ولا لتباهي به. وترائي من الرياء. وتباهي: تفاخر. وتماري: تجادل.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ١/ ٤٠٥، وجامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٥٩ (عن الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه)، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٠٤، وقد نسبت الوصية إلىٰ زيد بن أسلم يوصي بها بنيه في الأخبار الموفقيات ٣٣١، وإلىٰ لقمان -باختلاف يسير- ضمن وصية طويلة في الزهد والرقائق لابن المبارك ٢/ ٧٠٨، وسنن الدارمي ١/ ١٠٥، وجامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٣٩-٤٤٠، وقد ورد عن النبي ﷺ: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء...» انظر: صحيح الجامع الصغير ٦/ ١٦٣ (ح٧٢٤٧). وقد ورد في كتاب ألف باء للبلوي ١/ ٢٥: (وقال بعض الموفقين: اطلب العلم لتعمل به، ولا تطلبه لتباهي به العلماء، وتماري به السفهاء، وتأكل به مال الأغنياء، وتستخدم به الفقراء، فإنما لك من علمك ما عملت به، وعليك ما ضيعت منه).

(٣) **صاحب الوصية**: عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي القرشي. ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، صحب النبي ﷺ قبل البعثة، وأول المؤمنين به بعدها، استمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلىٰ أن مات، وصار خليفة في الأرض بعده، ولقَّبه المسلمون خليفة رسول الله، كان أعلم قريش بالأنساب، معروفًا بين قومه بحسن الخلق، كانت وفاته في جمادىٰ الأولىٰ من سنة ١٣هـ. انظر: جمل من أنساب الأشراف ١٠/ ٥١، وتاريخ الإسلام (عصر الخلفاء الراشدين) ٥١، والإصابة ٤/ ١٦٩.

وابنه عبد الرحمن أسنُّ أولاده، أسلم قبل الفتح، كان شجاعًا راميًا حسن الرمي، توفي بمكة سنة ٥٣.

انظر: الاستيعاب ٢/ ٨٢٥، وأسد الغابة ٣/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧١.

(٤) **مناسبة الوصية**: (مرَّ أبو بكر بعبد الرحمن ابنه وهو يماظ جارًا له فقال له ذلك)، وفي مكارم الأخلاق: (وهو يماري جارًا له في قسم). القسم: الرأي، والعطاء.

(لا تماظَّ[1] جارَك، فإنَّ هذا يبقىٰ[2] ويذهب الناس)[3].

[٨٦] قال أبو بكر لابنته أسماء[4]:

(يا بنية اصبري، فإن المرأةَ إذا كان لها زوجٌ صالحٌ ثم مات عنها، فلم تزوَّج بعده جُمِعَ بينهما في الجنة)[5].

[٨٧] قال أبو بكر لابنه:

(إذا حدث في الناس حدثٌ فأتِ الغارَ الذي اختبأتُ فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سيأتي رزقُك فيه بكرةً وعشيًّا)[6].

[٨٨] قال أبو بكر لابنته أسماء[7]:

---

(١) في مكارم الأخلاق: لا تمارِ، والمماراة: المجادلة. وفي غريب الحديث لأبي عبيد: (المماظة: المشارَّة والمشاقة وشدة المنازعة مع طول اللزوم). وفي الفائق: (أي ينازعه ويلازُّه [يضايقه]، وإن في فلانٍ لمظاظة وفظاظة، إذا كان شديد الخلق، وتماظ القوم تلاحوا وتعاضوا بألسنتهم).

(٢) في سائر المصادر -غير مكارم الأخلاق- فإنه يبقىٰ. ولعل المراد: إن مماظتك جارك تُحفظ عنك، وتبقىٰ عالقة بذكرك، علىٰ حين تمضي أنت وجارك بانقضاء دنياكما.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد والرقائق لابن المبارك ١/ ٥٥١، وفي غريب الحديث لأبي عبيد (بسنده عن ابن المبارك) ٤/ ٢٤، ومكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي ٤٧، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٧ (عن أبي عبيد)، والغريبين ٦/ ١٧٥٩، والفائق ٣/ ٣٧٢، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٣٦٣ (باختصار)، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٤٠.

(٤) **مناسبة الوصية**: (كانت أسماء تحت الزبير بن العوام -وكان شديدًا- فأتت أباها فشكت ذلك إليه فقال: ...).

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ دمشق (قسم النساء)/ ١٧.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في البداية والنهاية ٤/ ٤٥٢، وفيه ٤/ ٤٥٦: قال البزار: لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم.

(٧) **مناسبة الوصية**: مرَّ أبو بكر بأسماء ابنته وهي تقود فرسًا للزبير، إلىٰ الغابة تحتشُّ عليه (تجمع الحشيش/ الكلأ) وقد حملت ابنها عبد الله، فلما رأته استغاثت به، فقالت: أرسلني أحتشُّ=

(اتقي الله وأطيعي زوجَك -مرتين-)[1].

[٨٩] قال أبو موسى الأشعري[2] لبنيه[3]:

(أي بني، اذكروا صاحبَ الرغيف)[4].

=علىٰ فرسه، ويحمحم الفرس (يرتفع صهيله) فانسلَّ، فأخذني وضربني، فقال أبو بكر: ... حتىٰ لما أدركته رقةُ الولدِ حرَّك فرسه فولَّىٰ، وإني لأسمع نشيجَ بكائه (تردده في صدره دون انتحاب) رحمة الله عليه.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ دمشق (قسم النساء) ١٦.

(٢) **صاحب الوصية**: عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، صحابي، فقيه، مقرئ، ولي إمرة البصرة لعمر وإمرة الكوفة لعثمان، حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا. اختلف في وفاته، والأكثر أنها سنة ٤٢هـ. انظر: الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٣٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٠، والإصابة ٤/ ٢١١.

(٣) **مناسبة الوصية**: حين حضرته الوفاة.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في المجالسة ٥/ ٣٤٦. كما وردت في المصنف لابن أبي شيبة ١٣/ ١٨٤، وحلية الأولياء ١/ ٢٦٣، وكتاب البر والصلة لابن الجوزي ٢١٧، وكتاب التوابين لابن قدامة ٧٦. وفي المصادر السابقة روىٰ أبو موسىٰ ﷺ قصةَ صاحبِ الرغيف لأولاده علىٰ النحو الآتي:

(قال: كان رجل يتعبد في صومعة -قال بعض رواة الخبر: أراه قال: سبعين سنة- لا ينزل إلا في يوم واحد، قال: فشبَّه أو شبَّ الشيطان في عينه امرأة، فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال. قال: ثم كُشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبًا، فكان كلما خطا خطوة صلىٰ وسجد، فآواه الليل إلىٰ دكان كان عليه اثنا عشر مسكينًا، فأدركه العياء فرمىٰ بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة، فيعطي كل إنسان رغيفًا، فجاء صاحب الرغيف فأعطىٰ كل إنسان رغيفًا، ومرَّ علىٰ ذلك الرجل الذي خرج تائبًا فظن أنه مسكين فأعطاه رغيفًا، فقال المتروك لصاحب الرغيف: ما لك لم تعطني رغيفي، ما كان بك عنه غنًىٰ؟ فقال: أتراني أمسكته عنك. سلْ هل أعطيت أحدًا منكم رغيفين. قالوا: لا! قال: تراني أمسكته عنك والله لا أعطيك الليلة شيئًا. فعمد التائب إلىٰ الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلىٰ الرجل الذي ترك، فأصبح التائب ميتًا، قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت السبع الليالي، ثم وزنت الليالي بالرغيف فرجح الرغيف. فقال أبو موسىٰ: يا بني اذكروا صاحب الرغيف).

[٩٠] قال عبد الله بن مسعود[١] لابنه عبد الرحمن[٢]:

(يا بني لِيَسَعْكَ[٣] بَيْتُك، وامْلِكْ عليك لسانَك[٤]، وابْكِ من ذكرِ[٥] خطيئتك)[٦].

[٩١] أوصى [عبد الله] بن مسعود أبا عبيدة ابنَه بثلاث كلمات:

(أي بني، أوصيك بتقوىٰ الله، وليسعك بيتك، وابكِ علىٰ خطيئتك، وأمسكْ عليك لسانَك)[٧].

---

(١) **صاحب الوصية**: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أحد السابقين إلىٰ الإسلام من صحابة رسول الله ﷺ، عرف بالعلم والعبادة، بعثه عمر بن الخطاب إلىٰ أهل الكوفة ليعلمهم ويفقههم، مات بالمدينة سنة ٣٢هـ.
انظر: طبقات خليفة ١٦، وسير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١، والإصابة ٤/ ٢٣٣.
وابنه عبد الرحمن أكبر أبنائه وبه كان يُكنىٰ، كان ثقة قليل الحديث، مات سنة ٧٩.
انظر: طبقات خليفة ١٤١، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢١٥-٢١٦.

(٢) **مناسبة الوصية**: (لما حضر عبد الله بن مسعود الوفاة قال له ابنه عبد الرحمن: أوصني. قال: ...) تهذيب التهذيب.

(٣) في المعجم الكبير: أوصيك باتقاء الله، ليسعك.

(٤) في الزهد لأبي داود: واخزن لسانك. وفي الحلية: واكفف لسانك.

(٥) في الزهد لأبي داود: وابك خطيئتك. وفي الحلية: علىٰ ذكر. وفي تهذيب التهذيب: من خطيئتك.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد لوكيع ٢/ ٥١٩، والزهد لأحمد ٢٢٩، والمصنف لابن أبي شيبة ١٣/ ٢٨٩، والزهد لأبي داود السجستاني ١٥٤ (بتقديم وتأخير)، والمعجم الكبير للطبراني ٩/ ١٦٤ (بتقديم وتأخير)، وحلية الأولياء ١/ ١٣٥، والجامع لشعب الإيمان للبيهقي ٣/ ١٢٢، ووردت الجملة الأخيرة في تهذيب التهذيب ٦/ ٢١٦، وفي المعجم الكبير ١٠/ ٢١٠، والمعجم الأوسط للطبراني ٦/ ٦٢ (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ليسعك...). وفي مسند أحمد ٥/ ٢٥٩، وحلية الأولياء ٢/ ٩: أن عقبة بن عامر قال للنبي ﷺ: ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك...). وفي الزهد لوكيع ٢/ ٥١٩ (قال عيسىٰ بن مريم: طوبىٰ لمن خزن لسانه، ووسعه بيته، وبكىٰ من ذكر خطيئته).

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في المعجم الكبير للطبراني ٩/ ١٠٥، وهي تكاد تكون الوصية السابقة نفسها، ولكنها هنا موجهة إلىٰ ابنه أبي عبيدة، وهو عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلي=

[٩٢] كان [عبد الله بن مسعود] يقول:

(يا بني، قِيلُوا[١] فإن الشياطين لا تَقِيل)[٢].

[٩٣] قال عبد الله بن مسعود لابنه عبد الرحمن[٣]:

(يا عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، إني أوصيك بخمسٍ خصالٍ فاحفظهنَّ عني، أظهر اليأسَ للناس، فإن ذلك غنًىٰ فاضلٌ، ودعْ مطلبَ الحاجات إلىٰ الناس، فإن ذلك فقرٌ حاضرٌ، ودع ما تعتذر منه من الأمور، ولا تعمل به، وإن استطعت ألَّا يأتيَ عليك يومٌ إلا وأنت خيرٌ منك بالأمس فافعل، فإذا صليتَ صلاةً فصلِّ صلاةَ مودِّعٍ كأنك لا تصلي بعدها)[٤].

[٩٤] قال عثمان بن أبي العاص الثقفي[٥] لبنيه:

=الكوفي (ويقال: اسمه كنيته)، راوية ثقة مكثر، كان جميل الصورة. توفي سنة إحدىٰ أو اثنتين وثمانين.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٦/ ٢١٠، وتهذيب التهذيب ٥/ ٧٥. وقد وردت الوصية -باختصار واختلاف يسيرين علىٰ أن ابن مسعود أجاب بها رجلًا قال له: أوصني- في الزهد والرقائق لابن المبارك ١/ ١٨٨.

(١) قيلوا: فعل أمر من القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحرُّ، وإن لم يكُن مع ذلك نوم.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٥٨، والوصية في أصلها حديث ورد عن النبي ﷺ. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/ ٢٠٢ (ح١٦٤٧).

(٣) **مناسبة الوصية**: لما حضر عبد الله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال: ...).

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب وصايا العلماء عند حضور الموت ٥١، وقال مُخرِّج أحاديثه والمعلق عليها: (في سند هذه القصة ضعف وانقطاع). وقد نسبت الوصية -باختلاف يسير حينًا وكبير حينًا- إلىٰ سعد بن أبي وقاص وسعد بن عمارة وسعد القصير ومعاذ بن جبل، انظر التعليق علىٰ وصاياهم.

(٥) **صاحب الوصية**: أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص الثقفي، أسلم سنة تسع، وأمَّره النبي ﷺ علىٰ الطائف، وظل علىٰ ذلك زمن أبي بكر وبعض زمن عمر، ثم استعمله عمر علىٰ عمان=

(يا بني، إني قد أمجدتُكم[١] في أمهاتكم، وأحسنتُ في مَهَنَةِ[٢] أموالِكم، وإني ما جلست في ظلِّ رجلٍ من ثقيف أشتمُ عرضَه. والناكح مُغْتَرِسٌ[٣]، فلينظر امرؤٌ منكم حيث يَضَعُ غرسَه. والعِرْقُ السوءُ قلَّما يُنْجِبُ[٤]، ولو بعد حين[٥])[٦].

[٩٥] قال عقبة بن عامر[٧]:

(يا بني، إني أنهاكم عن ثلاثٍ فاحتفظوا بها: لا تقبلوا الحديث من رسول الله ﷺ إلا من ثقة، ولا تَدَيَّنُوا وإنْ لبستم العَبَاءَ[٨]، ولا تكتبوا شعرًا تشغلوا به قلوبَكم

=والبحرين، توفي سنة إحدىٰ وخمسين.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٥٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٧٤، والإصابة ٤/ ٤٥١.

(١) في تحفة العروس: اتخذتكم. ولعله تصحيف. وأمجدت أمهاتكم: اخترتهن معرقات في المجد، والمجد: نيل الشرف، وكرم الآباء.

(٢) مهنة: خدمة. أي تثميرها. ونسبها لهم باعتبار أنها تؤول إليهم.

(٣) في محاضرات الأدباء: المناكح مُغْتَرَس. ومُغْتَرَس: مكان الغرس، والمُغْتَرِس: الغارس.

(٤) في محاضرات الأدباء: فإن عرق السوء يعدي.

(٥) جاء بعدها في البيان والتبيين وتحفة العروس: (فقال ابن عباس [وكان حاضرًا الحديث]: يا غلام، اكتب لنا هذا الحديث).

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٢/ ٦٧، وقد وردت الوصية في محاضرات الأدباء ٢/ ٢٠٢، وتحفة العروس ٦١/ ٣٢ مبدوءة علىٰ النحو الآتي: (يا بني إن الناكح/ المناكح...). والجملتان الأوليان وردتا في صدر وصية غيلان بن سلمة الثقفي لبنيه، وهي أليق به؛ إذ أبناؤه من عدة نساء، فقد جمع عشر نسوة. فلعل الالتقاء في النسبة إلىٰ ثقيف أوجد هذا التداخل بين النصين.

(٧) **صاحب الوصية**: عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني، الصحابي المشهور. كان قارئًا عالمًا بالفرائض والفقه، فصيح اللسان شاعرًا (!) كاتبًا، وهو أحد من جمع القرآن، ولاه معاوية مصر مدة. توفي سنة ٥٨هـ.

انظر: كتاب الطبقات لخليفة ١٢١، وكتاب الولاة والقضاة ٣٦، والإصابة ٤/ ٥٢٠.

(٨) تديَّنوا: تقترضوا. العباء: جاء في تاج العروس ١/ ٩٤ (عبأ): (هو ضرب من الأكسية، كذا في لسان العرب. زاد الجوهري: فيه خطوط. وقيل: هو الجبَّة من الصوف). قلت: لم أقف علىٰ الزيادة التي أشار إليها الزبيدي في مادة (عبأ) من الصحاح، ويبدو أن المعنىٰ المراد في الوصية هو المعنىٰ الثاني.

عن القرآن)[1].

[٩٦] كتب علي بن أبي طالب[2] إلى ابنه الحسن رضي الله عنهما[3] موصيًا:

(من الوالد الفانِ[4]، المقرِّ للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدنيا[5]، الساكن مساكن الموتىٰ، الظاعن عنها غدًا.

إلىٰ المولود[6] المؤمل ما لا يدرك، السالكِ سبيلَ من قد هلك؛ غَـرَض[7]

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٢٦٨، وعنه في مجمع الزوائد ١/ ١٤٠. وقد نُسبت بنصها إلىٰ عقبة بن نافع.

(٢) **صاحب الوصية**: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، أبو الحسن، أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين، ورُبِّي في حجر النبي ﷺ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، اشتهر بالشجاعة والفروسية والعلم والزهد والعبادة، بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان ﷺ، وقضىٰ حياته فيها في حروب بين المسلمين عرفت بالفتنة، وانتهت بقتله سنة ٤٠هـ علىٰ يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم.
انظر: المعارف ٢٠٣، والطبقات الكبرىٰ ٢/ ٣٣٧، والإصابة ٤/ ٥٦٤.

(٣) **مناسبة الوصية**: في الأصل: (كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين)، وفي عين الأدب والسياسة أنه كتب بها إلىٰ ولده الحسين، وفي التذكرة الحمدونية وشرح المقامات: في وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
«وحاضرين» قال عنها محقق نهج البلاغة ٦٨٣ (اسم بلدة في نواحي صفين). ولم أقف علىٰ ذكر لها في المعاجم الجغرافية أو كتب التاريخ.

(٤) في العقد: المستسلم للحدثان، المدبر العمر، المؤمل ما لا يدرك. ولعل فيه سقطًا. وفي عين الأدب والسياسة: من عبد الله عليِّ أميرِ المؤمنين، الوالد... والمقر للزمان المعترف له بالشدة والغلبة.

(٥) في شرح نهج البلاغة: المستسلم للدهر، الذام للدنيا، وفي عين الأدب والسياسة: المستسلم للحدثان الذام للدنيا.

(٦) في عين الأدب والسياسة: إلىٰ الولد.

(٧) في المصدر السابق: عرضة. وجعله عرضة لكذا: نصبه له هدفًا. والغرض: الهدف الذي يرمىٰ إليه.

الأسقامِ، ورهينةِ الأيام، ورَمِيَّةِ المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم[١] المنايا، وأسير الموت، وحليف الهموم، وقرين الأحزان، ونُصْبِ الآفات[٢]، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات.

أما بعد؛ فإن فيما تبيَّنتُ[٣] من إدبار الدنيا عني، وجُمُوحِ[٤] الدهر عليَّ، وإقبال الآخرة إليَّ، ما يزعني عن ذكر من سواي، والاهتمام بما ورائي، غير أني[٥] حيث تَفَرَّدَ بي دون همومِ الناس همُّ نفسي -فصدفني[٦] رأيي، وصرفني عن هواي، وصرَّح لي محضُ أمري، فأفضىٰ بي إلىٰ جِدٍّ لا يكون فيه لعب[٧]، وصدقٍ لا يَشُوبُه[٨] كذب- ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلِّي[٩]، حتىٰ كأن شيئًا لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني[١٠] من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي، فكتبت إليك كتابي مستظهرًا به إنْ أنا بقيت لك أو فنيت[١١]، فإني أوصيك بتقوىٰ

(١) في العقد والمصدر السابق: وأسير المنايا وقرين الرزايا.
(٢) نصب الآفات: هدفها، والمنتصب لها. والآفات جمع آفة.
(٣) في المصدرين السابقين: يا بني فإن فيما تفكرت فيه.
(٤) أشار محققو العقد إلىٰ أن الكلمة في الأصل عندهم (حنو)، ورأوا أنها تحريف، واستبدلوا بها: (جموح) نقلًا عن شرح النهج. وأظن الكلمة مستقيمة، بمعنىٰ ميل الدهر عليه، من حنا الشيء حَنْوًا وحنيًا عطفه، وحنا يد الرجل حنوًا لواها، وحنو كل شيء اعوجاجه. وجموح الدهر: استعصاؤه.
وفي عين الأدب والسياسة: وصنو الدهر عليَّ. ولعله تصحيف. ويزعني: يكفُّني ويمنعني.
(٥) في المصدر السابق: أنه. وفي العقد: غير أنه حين تفرد بي همُّ نفسي دون همِّ الناس.
(٦) في شرح النهج: وصدَّقني. وفي عين الأدب والسياسة: وصدقني هواي صرَّح بي محض رأيي... ومحض: خالص. وصرَّح بي: انتهىٰ بي وأوصلني. وصدفني: صرفني.
(٧) في العقد وعين الأدب والسياسة: إلىٰ جدٍّ لا يزري به لعب. ويزري به: يعيبه وينقصه.
(٨) يشوبه: يخالطه.
(٩) في عين الأدب والسياسة: ووجدتك -يا بني- من بعضي، بل وجدتك من كلي.
(١٠) في العقد: فعند ذلك عناني. عناني: أهمني وشغلني.
(١١) في المصدر السابق: كتبت إليك كتابي هذا -يا بني- إن بقيت أو فنيت. ومستظهرًا: مستعينًا.

الله -أي بُنيَّ- ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله[١]، وأيُّ سببٍ أوثق من سببٍ بينك وبين الله إن أنت أخذت به!

أحْيِ قلبك بالموعظة، وَأَمِتْهُ بالزهادة[٢]، وقوِّه باليقين[٣]، ونوِّره بالحكمة، وذلله بذكر الموت[٤]، وقرِّره بالفناء، وبصِّرهُ فجائع الدنيا، وحذِّره صولة الدهر وفُحْشَ تقلبِ الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين[٥]، وذَكِّرْهُ بما أصاب من كان قبلك من الأولين. وسِرْ في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا[٦]، وعمَّا انتقلوا، وأين حلُّوا ونزلوا! فإنك تجدهم انتقلوا عن الأحبة، وحلُّوا دار الغربة[٧]، وكأنك عن قليلٍ[٨] قد صِرت كأحدهم.

فأصلح مثواك[٩]، ولا تَبِعْ آخرتَك بدنياك، ودع القولَ فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تُكَلَّف[١٠]، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالتَه، فإن الكفَّ عند حيرةِ

---

(١) زاد في العقد وعين الأدب والسياسة بعدها: فإن الله يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وأي سبب -يا بني- أوثق.

(٢) في المصدرين السابقين: وقوِّه بالزهد. قلت: أثبت محققو العقد (وأمِّنه)، وعلقوا في الهامش: (كذا في (أ) وشرح نهج البلاغة، والذي في سائر الأصول: وقوِّه)!

(٣) في العقد: وقوِّه بالغنىٰ عن الناس.

(٤) في المصدرين السابقين: وذلله بالموت.

(٥) تحرفت الكلمة عند محققي العقد إلىٰ: الصين! صولة الدهر: سطوته. فحش: عظم.

(٦) في العقد: فعلوه وأين حلوا. وفي عين الأدب: ما فعلوا وأين.

(٧) في المصدرين السابقين: انتقلوا من دار الغرور ونزلوا دار الغربة، وأثبت محققو العقد (الأحبة)، وعلقوا في الهامش: كذا في (أ) وشرح نهج البلاغة، والذي في سائر الأصول: الغرور.

(٨) في المصدرين السابقين: عن قليل -يا بني- قد.

(٩) في المصدرين السابقين جاء مكانها: فبع دنياك بآخرتك.

(١٠) في المصدرين السابقين: والأمر فيما لا تكلف.

الضلالِ خيرٌ من ركوبِ الأهوال، وأْمُرْ بالمعروف تكُنْ من أهله[١]، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وبَايِنْ[٢] من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومةُ لائم، وخُضِ الغمرات للحق[٣] حيث كان، وتفقَّه في الدين، وعوِّد نفسك التصبُّر[٤] علىٰ المكروه، ونعم الخُلُقُ التصبُّر في الحق!

وألجئْ نفسك في أمورك[٥] كلِّها إلىٰ إلهك، فإنك تلجئها إلىٰ كهفٍ حَرِيزٍ، ومانعٍ عزيزٍ[٦]. وأخلص في المسألة لربك، فإن بيده العطاءَ والحرمانَ، وأكثر الاستخارة[٧]، وتفَهَّمْ وصيتي[٨]، ولا تذهَبَنَّ عنك صَفْحًا[٩]، فإن خير القول ما نفع، واعلم أنه[١٠] لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحق تَعَلُّمُه.

أي بني، إني لمَّا رأيتني قد بلغت سنًّا، ورأيتني أزداد وَهْنًا[١١]، بادرت بوصيتي إليك، وأوردت خصالًا منها قبل أن يَعْجَلَ بي أجلي دون أنْ أُفْضي إليك[١٢] بما في نفسي، أو أن أُنْقَصَ في رأيي كما نُقصت في جسمي، أو يسبقني إليك بعضُ غَلَبَاتِ

(١) في المصدرين السابقين: ومر [في الأول: وأْمُرْ] بالمعروف بيدك ولسانك، وزاد عين الأدب والسياسة: وكُن من أهله.

(٢) باين: ابتعد عنه.

(٣) في شرح النهج وعين الأدب والسياسة: إلىٰ الحق. والغمرات: جمع غمرة وهي الشدة.

(٤) في التذكرة الحمدونية وشرح النهج: الصبر.

(٥) في ربيع الأبرار: وألجئ أمورك. وفي التذكرة الحمدونية: وكِلْ نفسك في أمورك كلها إلىٰ الله، فإنك تكلها إلىٰ كافٍ حريز ومانع عزيز.

(٦) حريز: منيع. وعزيز: قوي غالب.

(٧) زاد في التذكرة الحمدونية: لله والاستنجاد به.

(٨) في عين الأدب والسياسة: واحفظ وصيتي.

(٩) في المصدر السابق: ولا تذهب. صفحًا: إعراضًا، أي لا تردها.

(١٠) في المصدر السابق: فلا خير في.

(١١) بلغت سنًّا: كبرت وتقدم بي العمر. الوهن: الضعف.

(١٢) أُفضي إليك: أبوح لك بما في نفسي، وأبلغه إليك.

الهوىٰ وفتن الدنيا، فتكون كالصَّعْبِ النَّفُور[1].

وإنما قلب الحَدَثِ كالأرض الخالية ما أُلقِي فيها من شيء قَبِلَتْه؛ فبادرتُك بالأدب قبل أن يقسوَ قلبك، ويشتغلَ لبُّك، لتستقبلَ بِجِدِّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهلُ التجارب بغيتَه وتجربتَه، فتكون قد كُفيت مؤونةَ الطلب، وعُوفيت من علاج التجربة، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه، واستبانَ لك ما ربما أظلم علينا منه.

أي بني، إني وإن لم أكنْ عُمِّرت عُمْرَ من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم[2]، وفكَّرتُ في أخبارهم، وسِرْتُ في آثارهم[3]، حتىٰ عُدْتُ كأحدهم، بل كأني بما انتهىٰ إليَّ من أمورهم قد عُمِّرتُ مع أولهم إلىٰ آخرهم، فعرفت صفوَ ذلك من كَدَرِه، ونفعَه من ضَرَرِه، فاستخلصتُ لك من كلِّ أمرٍ نَخِيلَه[4]، وتَوَخَّيْتُ لك جميلَه وصرفت عنك مجهوله، ورأيت -حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك- أن يكون ذلك وأنت مُقبِلُ العمرِ ومُقتَبِلُ الدهرِ، ذو نِيَّةٍ سليمة، ونفسٍ صافية، وأن أبتدئَك بتعليم كتاب الله ﷻ وتأويلِه، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوزُ ذلك بك إلىٰ غيره. ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم، مثل الذي التبس عليهم، فكان إحكامُ ذلك -علىٰ ما كرهت من تنبيهك له- أحبَّ إليَّ من إسلامك إلىٰ أمرٍ لا آمنُ عليك به الهَلَكَةَ، ورجوت أن يوفِّقَك الله فيه لرشدك، وأن يهديك لقصدك، فعهدت إليك وصيتي هذه.

واعلم يا بني أن أحب ما أنت آخذٌ به إليَّ من وصيتي تقوىٰ الله والاقتصارُ علىٰ

(١) الصعب: غير المذلل. النفور: النافر الشرود، الذي يهرب من الناس ولا يأنس بهم.

(٢) في ربيع الأبرار: أعمارهم.

(٣) الآثار جمع أثر: وهو ما خلَّفه السابقون.

(٤) في شرح النهج: جليله. وجُلُّ كل شيء معظمه، والجِلُّ نقيض الدق. ونَخَلَ الشيء: غربله وصفاه، ونخل له النصيحة أخلصها، وانتخل الشيء اختار أجوده. وتوخَّىٰ: تحرىٰ.

ما فرضه الله عليك، والأخذُ بما مضىٰ عليه الأولون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنهم لم يَدَعُوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكَّروا كما أنت مُفَكِّرٌ، ثم ردَّهم آخرُ ذلك إلىٰ الأخذ بما عرفوا، والإمساكِ عما لم يكلَّفوا، فإن أَبَتْ نفسُك أن تقبل ذلك دون أن تعلمَ كما علموا؛ فليكُن طلبُك ذلك بِتَفَهُّمٍ وتَعَلُّمٍ، لا بتورُّطِ الشبهات، وعُلَق الخصومات[1].

وابدأ قبل نظرِك في ذلك بالاستعانة بإلهك، والرغبةِ إليه في توفيقك، وتركِ كلِّ شائبةٍ أَوْلَجَتْكَ في شبهة[2]، أو أسلمتك إلىٰ ضلالة، فإن أيقنت أن قد صفا قلبُك فخشع، وتمَّ رأيُك فاجتمع، وكان همُّك في ذلك همًّا واحدًا، فانظر فيما فَسَّرْتُ لك، وإن لم يجتمع لك ما تحبُّ من نفسك، وفراغ نظرك وفكرك، فاعلم أنك إنما تَخْبِطُ العَشْواءَ، وتتوَرَّطُ الظلماء[3]، وليس طالبُ الدِّين مَنْ خَبَطَ أو خَلَطَ، والإمساكُ عن ذلك أَمْثَلُ.

فتفهم يا بني وصيتي، واعلم أن مالكَ الموت هو مالكُ الحياة، وأن الخالقَ هو المميتُ، وأن المفنيَ هو المعيد، وأن المبتليَ هو المعافي، وأن الدنيا لم تكُن لتستقرَّ إلا علىٰ ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد، أو ما شاء مما لا تعلم، فإن أشكل عليك شيءٌ من ذلك فاحمله علىٰ جهالتك، فإنك أول ما خلقت به جاهلًا ثم عُلِّمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحيَّر فيه رأيُك، ويضل فيه بصرُك، ثم تبصره بعد ذلك! فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوَّاك، وليكُن له تَعَبُّدُك، وإليه رغبتُك، ومنه شفقتُك.

---

(١) علق الخصومات: ما يتعلق به منها ويتمسك.

(٢) الشائبة: الشيء الغريب يختلط بغيره، ويقال: ليس فيه شائبة، أي شبهة، ولعل المراد هنا ما يعرض لذهن الإنسان من شك أو سوء فهم. أولجتك: أدخلتك.

(٣) خبط العشواء: مشي الناقة الضعيفة البصر التي لا تهتدي للطريق بيسر. وتتورط الظلماء: تدخل فيها ثم لا تهتدي للخروج.

واعلم يا بني أن أحدًا لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول -صلىٰ الله عليه وآله- فارضَ به رائدًا، وإلىٰ النجاة قائدًا[1]، فإني لم آلُكَ نصيحةً[2]، وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت مبلَغَ نظري لك.

واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريكٌ لأتتك رسلُه، ولرأيتَ آثارَ ملكِه وسلطانِه، ولعرفتَ أفعالَه وصفاتِه، ولكنه إلهٌ واحدٌ كما وَصَفَ نفسه، لا يُضَادُّه في ملكه أحدٌ، ولا يزول أبدًا ولم يَزَلْ[3]، أَوَّلُ قبل الأشياءِ بلا أوليةٍ، وآخرُ بعد الأشياء بلا نهاية، عَظُمَ أن تُثْبَتَ ربوبيتُه بإحاطة قلبٍ أو بصرٍ.

فإذا عرفت ذلك فافعلْ كما ينبغي لمثلك أن يفعلَه في صِغَرِ خَطَرِه[4]، وَقِلَّةِ مقدرته، وكثرةِ عجزِه، وعظيمِ حاجتِه إلىٰ ربِّه، في طلب طاعته، والخشية من عقوبته، والشفقة من سَخَطه، فإنه لم يأمرْك إلا بِحَسَنٍ، ولم ينْهَك إلا عن قبيحٍ.

يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها، وزوالها وانتقالها، وأنبأتك عن الآخرة وما أُعِدَّ لأهلها فيها، وضربت لك فيها الأمثالَ، لتعتبر بها، وتَحْذُوَ عليها[5].

إنما مثلُ من خبر الدنيا كمثل قوم سَفْرٍ[6]، نَبَا بهم منزلٌ جَدِيبٌ[7]، فأَمُّوا منزلًا خصيبًا، وجَنابًا مَرِيعًا[8]، فاحتملوا وَعْثَاءَ الطريق[9]، وفراق الصديق، وخشونة

---

(١) راد الشيء: طلبه. والرائد: من يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث.

(٢) لم آلك نصيحة: لم أقصر معك فيها.

(٣) في ربيع الأبرار: ولا يزال أبدًا ولا يزول.

(٤) خطره: قدره وشأنه.

(٥) تحذو عليها: تسير في طريقها.

(٦) خبر الدنيا: عرفها علىٰ حقيقتها. سفر: مسافرون.

(٧) نبا بهم: لم تستقم لهم فيه الحياة. جديب: لا أثر فيه لعشب ولا حياة.

(٨) أمُّوا: قصدوا. خصيبًا: كثير الكلأ والعشب. الجناب: الناحية. المريع: الكثير الخصب.

(٩) وعثاء: مشقة.

السفر، وجُشُوبَةَ المطعم[1]؛ ليأتوا سعةَ دارهم، ومنزلَ قرارهم، فليس يجدون لشيء من ذلك ألمًا، ولا يرون نفقة فيه مغرمًا، ولا شيءَ أحبَّ إليهم مما قرَّبهم من منزلهم وأدناهم إلىٰ مَحَلَّتِهم.

ومثل من اغترَّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب، فنبا بهم إلىٰ منزلٍ جديبٍ، فليس شيء أكرهَ إليهم، ولا أفظعَ عندهم، من مفارقة ما كانوا فيه إلىٰ ما يهجمون عليه، ويصيرون إليه.

يا بني، اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبُّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحبُّ أن تُظْلَم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقُل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم، ولا تقُل ما لا تحب أن يقال لك.

واعلم أن الإعجابَ ضدُّ الصواب، وآفةُ الألباب؛ فاسعَ في كَدْحِك[2]، ولا تكن خازنًا لغيرك، وإذا أنت هُدِيت لقصدك، فكن أخشعَ ما تكون لربك.

واعلم أن أمامك طريقًا ذا مسافةٍ بعيدةٍ، ومشقةٍ شديدةٍ، وأنه لا غنىٰ بك فيه عن حسن الارتياد[3]، وقَدْرِ بلاغِك من الزاد[4]، مع خِفَّةِ الظهر، فلا تحملنَّ علىٰ ظهرك فوق طاقتك، فيكون ثِقَلُ ذلك وبالًا عليك، وإذا وجدت[5] من أهل الفاقة من يحمل

---

(١) جشوبة المطعم: غلظه وخشونته.

(٢) الإعجاب: الكِبْر والغرور والترفع علىٰ الآخرين. آفة: علة. الألباب: العقول. الكدح: السعي والكدُّ بمشقة.

(٣) في العقد: لا غنىٰ لك. الارتياد: الطلب.

(٤) في العقد وعين الأدب والسياسة: مع بلاغك. البلاغ: الكفاية.

(٥) في المصدرين السابقين: فإذا أصبت. الفاقة: الفقر وشدة الحاجة.

لك زادك إلىٰ يوم القيامة، فيوافيك به غدًا حيث تحتاج إليه[١]؛ فاغتنمه وحَمِّلْهُ إياه، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده.

واغتنم من استقرَضَك في حال غناك، ليجعل قضاءه لك في يوم عُسْرَتِك. واعلم أن أمامك عقبة كؤودًا[٢]، الْمُخِفُّ فيها أحسنُ حالاً من المُثْقِلِ، والمبطئ عليها أقبح حالًا من المسرع، وأن مهبطك بها لا محالة، إما علىٰ جنة وإما علىٰ نارٍ، فارتدْ لنفسك قبل نزولك، ووطِّئ المنزلَ قبلَ حلولِك، فليس بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ، ولا إلىٰ الدنيا مُنْصَرَفٌ[٣].

واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترْحِمَه ليَرْحَمَك، ولم يجعل بينه وبينك من يحجبك عنه، ولم يلجئْك إلىٰ من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة ولم يعيِّرك بالإنابة، ولم يفضحْك حيث الفضيحةُ بك أولىٰ[٤]، ولم يُشَدِّدْ عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشْك بالجريمة، ولم يُؤْيِسْك من الرحمة، بل جعل نزوعَك عن الذنب حسنةً، وحَسَبَ سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرًا، وفتح لك بابَ المتاب، وبابَ الاستعتاب؛ فإذا ناديته سمع نداك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضَيت إليه بحاجتك، وأَبْثَثْتَه ذات نفسك[٥]، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كُرُوبَك[٦]، واستعنته علىٰ أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر

---

(١) في المصدرين السابقين: فيوافيك به في معادك فاغتنمه.

(٢) في المصدرين السابقين: فإنَّ. وزادا بعده: لا يجاوزها إلا أخفُّ الناس حملاً. والكؤود: الصعبة المرتقىٰ. والمخفُّ: أي من الأوزار، والمثقل: منها.

(٣) وطأ المنزل: هيَّأه. والمستعتَب: طلب الإرضاء، أي لم يعد للتوبة والإنابة إلىٰ الله معنىٰ. ومنصرف: رجوع.

(٤) في شرح النهج: بالنقمة، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة. والنقمة: العقوبة.

(٥) أفضيت: ألقيت وبحت. وأبثثه ذات نفسك: أظهرت له حاجتك بتحزُّن.

(٦) استكشفته: طلبت منه أن يكشف. والكروب جمع كرب، وهو الشدة والمصيبة تلمُّ بالإنسان.

علىٰ إعطائه غيره، من زيادة الأعمار، وصحة الأبدان، وسعة الأرزاق.

ثم جعل في يدك مفاتيحَ خزائنِه، بما أذن لك فيه من مسألته؛ فمتىٰ شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيبَ رحمتِه، فلا يُقْنِطَنَّك إبطاءُ إجابتِه، فإن العطيةَ علىٰ قدر النية، وربما أُخِّرَتْ عنك الإجابةُ ليكون ذلك أعظمَ لأجر السائل، وأجزلَ لعطاء الآمل[١]. وربما سألت الشيء فلا تُؤْتَاهُ وأُوتِيتَ خيرًا منه عاجلًا أو آجلًا، أو صُرف عنك لما هو خير لك، فلربَّ أمرٍ قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيتَه، فلتكُن مسألتك فيما يبقىٰ لك جمالُه، ويُنفىٰ عنك وَبَالُه؛ فالمال لا يبقىٰ لك، ولا تبقىٰ له.

واعلم يا بني أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنك في منزل قُلْعَة، ودار بُلْغَة[٢]، وطريق إلىٰ الآخرة، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو هاربُه، ولا يفوته طالبه، ولا بد أنه مدركه، فكن منه علىٰ حذر أن يدركك وأنت علىٰ حال سيئة، قد كنت تُحَدِّثُ نفسك منها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسَك.

يا بني، أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجُم عليه، وتفضي بعد الموت إليه، حتىٰ يأتيك وقد أخذت منه حذرَك، وشددت له أَزْرَك، ولا يأتيك بغتةً فيَبْهَرَك[٣].

وإياك أن تغترَّ بما ترىٰ من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالُبِهم عليها[٤]، فقد نبَّأك الله عنها، ونَعتْ هي لك عن نفسها[٥]، وتكشَّفت لك عن مساويها، فإنما

(١) أجزل: أعظم. الآمل: الراجي، وهو بمعنىٰ المؤمل.
(٢) منزل قلعة: منزل تحوُّلٍ وارتحال. البُلْغَة: اليسير وما يتبلَّغ به حتىٰ الوصول إلىٰ المكان المقصود، وما يكفي لسد الحاجة فحسب.
(٣) الأزر: القوة. ويقال: شدَّ أزره: قوَّاه. يبهرك: يدهشك ويحيرك.
(٤) إخلادهم: اطمئنانهم إليها. تكالبهم: حرصهم وإقبالهم عليها.
(٥) في شرح النهج: ونعتت لك نفسها. نعتت: وصفت. ونعت: أخبرت وعابت. وهرَّ الكلب: نبح.

أهلها كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ ضارية يهرُّ بعضها علىٰ بعض[١]، ويأكل عزيزُها ذليلَها، ويقهر كبيرُها صغيرَها، نَعَمٌ مُعقَّلة، وأخرىٰ مُهمَلة، قد أضلَّت عقولها، وركبت مجهولها[٢]، سُرُوحُ عَاهةٍ بوادٍ وعْثٍ، ليس لها راعٍ يقيمها، ولا مُسِيمٌ يُسِيمُها[٣]، سلكت بهم الدنيا طريق العمىٰ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدىٰ، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها ربًّا، فلعبت بهم ولعبوا بها، ونسوا ما وراءها. رويدًا يسفر الظلام، كأن قد وردت الأظعان[٤]! يوشك من أسرع أن يلحق!

واعلم يا بني أن من كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يُسارُ به وإن كان واقفًا[٥]، ويقطع المسافة وإن كان مقيمًا وادِعًا.

واعلم يقينًا[٦] أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنك[٧] في سبيل من كان قبلك؛ فخفِّضْ[٨] في الطلب، وأجمل في المكتَسَب، فإنه رُبَّ طَلَبٍ قد جرَّ إلىٰ

---

(١) ضارية: مولعة بأكل اللحم.

(٢) النعم: الإبل. وعقل البعير: ضم رسغ يده إلىٰ عضده وربطهما معًا بالعقال ليبقىٰ باركًا، وأهمل الإبل: تركها بلا راعٍ. أضلت: أضاعت. مجهولها: طريقها المجهول لها.

(٣) السروح: جمع سرح، وهو ما يُغدىٰ به ويُراح من الماشية. عاهة: الآفة. وعث الطريق: تعسَّر سلوكه لوجود ما يعوق السير فيه من حجرٍ وغيره. يسيمها: يسوقها ويوجهها حيث الكلأ والعشب.

(٤) يسفر: ينكشف. الأظعان: جمع ظعينة، وهي الراحلة يرتحل عليها.

(٥) في التذكرة الحمدونية: وإن كان لا يسير. وزاد: وأن الله قد أبىٰ إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة، فإن تزهد فيها زهدك كلَّه فلعل ذلك يقيك. وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك فاعلم.

(٦) في ربيع الأبرار: واعلم علمًا يقينًا.

(٧) في التذكرة الحمدونية: فإنك في ديوان.

(٨) في ربيع الأبرار: فأحسن في الطلب. وفي العقد وعين الأدب والسياسة: وأجمل في الطلب وأحسن في المكتسب، فربَّ.

حَرَبٍ[١]؛ فليس[٢] كلُّ طالبٍ بمرزوق، ولا كلُّ مُجْمِلٍ بمحروم.

وأكرم نفسك عن كل دَنِيَّةٍ وإن ساقتك إلىٰ الرغائب[٣]، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عِوَضًا. ولا تكُن عبدَ غيرِك وقد جعلك الله حرًّا. وما خيرُ خيرٍ لا ينال إلا بشرٍّ، ويسرٍ لا ينال إلا بِعُسْرٍ.

وإياك أن تُوجِفَ بك مطايا الطمع، فتوردَك مناهل الهلكة[٤]. وإن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمةٍ فافعل، فإنك مدركٌ قَسْمَك، وآخذٌ سهمَك، وإن اليسير من الله سبحانه أكرمُ وأعظمُ من الكثير من خلقه وإن كان كلٌّ منه[٥].

وتلافيك ما فرط من صمتك أيسرُ من إدراكك ما فات[٦] من منطقك، وحفظ ما في الوعاء بشدِّ الوِكاءِ[٧]، وحفظ ما في يديك أحبُّ إليَّ من طلب ما في يدي غيرك، ومرارةُ اليأسِ خيرٌ من الطلب إلىٰ الناس، والحِرْفَةُ مع العِفَّةِ خير من الغنىٰ

---

(١) زاد في العقد وعين الأدب والسياسة: وإنما المحروب من حرب دينه، والمسلوب من سلب يقينه، واعلم أنه لا غنىٰ يعدل الجنة، ولا فقر يعدل النار، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وهو نهاية الوصية فيهما.

(٢) في شرح النهج: وليس. وأَجَمَلَ في الطلب: اتأد واعتدل.

(٣) في التذكرة الحمدونية: فأكرم... دنية، وإياك إن ساقتك إلىٰ رَغَبٍ فإنك لن تعتاض بما ابتذلت من نفسك! ولعل (إياك) زائدة. الدنية: النقيصة. الرغائب: جمع رغيبة، المرغوب فيه، والعطاء الكثير.

(٤) في التذكرة الحمدونية: الطمع وتقول: متىٰ ما أؤخره يذهب، فإنَّ هذا أهلك من كان قبلك، وأمسك عليك لسانك، فإن تلافيك... توجف: تسرع. مطايا: جمع مطية، وهي الراحلة. مناهل: جمع منهل، الماء المورود. الهلكة: الهلاك.

(٥) في أدب الدنيا والدين: من غيره وإن كان كلٌّ منه كثيرًا.

(٦) في التذكرة الحمدونية: من نطقك. تلافيك: تداركك. فرط: مضىٰ. إدراكك: لحاقك به لاسترجاعه. فات: مضىٰ.

(٧) في التذكرة الحمدونية: واحفظ. وزاد: فحُسْنُ التدبير مع الاقتصاد أكفىٰ لك من الكثير مع الغَنَاء. الوكاء: الخيط الذي تُشَدُّ به الصُّرة أو الكيس أو نحوهما.

مع الفجور[1]، والمرء أحفظ لسرِّه، وربَّ ساعٍ فيما يضرُّه، من أكثر أهجر[2]، ومن تفكَّر أبصر. قارنْ أهلَ الخير تكُن منهم، وباين أهل الشرِّ تَبِنْ عنهم[3]. بئس الطعام الحرام، وظلم الضعيف أفحش الظلم! إذا كان الرفق خُرْقًا كان الْخُرْقُ رفقًا[4].

ربما كان الدواء داءً، والداءُ دواءً، وربما نصح غير الناصح، وغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ[5].

وإياك والاتكالَ علىٰ المُنَىٰ! فإنها بضائعُ النَّوكَىٰ[6]، والعقلُ حفظُ التجارب، وخير ما جرَّبت ما وعظ.

بادر الفرصة قبل أن تكون غُصَّةً، ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يؤوب، ومن الفساد إضاعةُ الزاد، ومَفْسَدَةُ المعادِ. ولكل أمرٍ عاقبةٌ، سوف يأتيك ما قدِّر لك. التاجر مُخَاطِر، وربَّ يسير أَنْمَىٰ من كثير[7]! لا خير في مُعِينٍ مَهِينٍ، ولا في صديقٍ ظَنِينٍ[8].

---

(١) في التذكرة الحمدونية: والعفة مع الحرفة خير من السرور مع الفجور.

(٢) أهجر إهجارًا وهجرًا: هذىٰ في كلامه.

(٣) قارن: كن قرينًا لهم. وباين: باعد نفسك.

(٤) الرفق: التأني مع لين الجانب وحسن الصنيعة. والخرق: الجهل والحمق.

(٥) المستنصح: المعدود ناصحًا.

(٦) في التذكرة الحمدونية: علىٰ الأماني فإنها بضائع النوكىٰ. وزاد: وتثبيط عن الآخرة والأولىٰ، ومن خير حظٍّ قرين صالح... ولا يغلب عليك سوء الظن، فإنه لا يدع بينك وبين خليل صلحًا. أذك قلبك بالأدب كما تذكىٰ النار بالحطب، واعلم أن كفر النعمة لؤم، وصحبة الأحمق شؤم، ومن الكرم منع الحرم. ومن حلم ساد، ومن تفهم ازداد. المنىٰ: جمع منية، ما يتمناه الإنسان لنفسه. النوكىٰ: الحمقىٰ.

(٧) أنمىٰ: أكثر نموًّا وزيادة.

(٨) مهين ضبطها محقق نهج البلاغة (مَهِيْن)، ومعناه حقير، وضبطها محقق شرح النهج: مُهين. وهي اسم فاعل من أهان. والظنين: المتهم.

ساهِلِ الدهرَ ما ذلَّ لك قَعُودُه[١]، ولا تخاطر بشيء رجاءَ أكثرَ منه، وإياك أن تجمح بك مطيةُ اللَّجَاجِ[٢].

احمل نفسَك من أخيك عند صَرْمِهِ[٣] على الصلة، وعند صُدُودِهِ على اللطف والمقاربة، وعند جموده[٤] على البذل، وعند تباعده على الدُّنُوِّ، وعند شدَّته على اللين، وعند جُرْمِهِ على العذر، حتىٰ كأنك له عبد، وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله.

لا تتخذنَّ عدوَّ صديقِك صديقًا فتعادي صديقك، وامحض أخاك النصيحة؛ حسنةً كانت أو قبيحةً[٥]، وتجرَّع الغيظَ[٦] فإني لم أرَ جُرْعَةً أحلىٰ منها عاقبة؛ ولا ألذَّ مَغَبَّةً. ولِنْ لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوِّك بالفضل فإنه أحدُ الظَّفَرَينِ[٧]، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبقِ له من نفسك بقيةً يرجع إليها إن بدا له ذلك يومًا ما[٨]. ومن ظن بك خيرًا فصَدِّقْ ظنَّه، ولا تضيِّعَنَّ حقَّ أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخٍ من أضعتَ حقَّه. ولا يكُن أهلك أشقىٰ الخلق

---

(١) ساهل: لاين، وخذ بسهولة. القعود: البكر من الجمال إلىٰ أن يصير في السادسة، سمي بذلك لأن الراعي يقتعده للركوب. أي: خذ حظك من الدهر ما دام منقادًا لك.

(٢) جمح الفرس: عتا وخرج عن طوع راكبه، وجمح الرجل: تمادىٰ في غيه وهواه. اللجاج: من لجج تمادىٰ في الخصومة.

(٣) في ربيع الأبرار: صرامه. وصرمه: قطيعته.

(٤) في ربيع الأبرار: عند جحوده. والجمود الشح وانقباض اليد عن البذل.

(٥) زاد بعده في التذكرة الحمدونية: ولا تصرمه علىٰ ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، وليس جزاء من يسرك أن تسوءه.

(٦) الغيظ: الغضب الشديد. وتجرُّعه: كظمه وحبسه.

(٧) الفضل: الإحسان والتغاضي عن حق النفس، ويعني بالظفرين أنك إن لم تنتصر ظاهرًا فقد انتصرت علىٰ نفسك بلجمها عن الوقوع فيما وقع فيه، كما حققت لنفسك الأجر.

(٨) في ربيع الأبرار: ترجع إليها إن بدا لك ذلك. والمعنىٰ لا تقطع صلتك به نهائيًا، فربما بدا لك العَوْدُ إلىٰ صداقته، وصعب عليك ذلك لاستقصائك حين المقاطعة كل حق تراه لك.

بك. ولا ترغبنَّ فيمن زهد عنك، ولا يكوننَّ أخوك أقوىٰ علىٰ قطيعتك منك علىٰ صلته، ولا تكوننَّ[1] علىٰ الإساءة أقوىٰ منك علىٰ الإحسان. ولا يكبرنَّ عليك ظلمُ من ظلمك، فإنه يسعىٰ في مضرَّتِه ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه.

واعلم يا بني أن الرزق رزقان: رزقٌ تطلبه، ورزقٌ يطلبك، فإن أنت لم تأتِه أتاك. ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنىٰ. إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك[2]، وإن كنت جازعًا علىٰ ما تفلَّت[3] من يديك فاجزع علىٰ كل ما لم يصل إليك.

استدل علىٰ ما لم يكُن بما قد كان، فإن الأمور أشباه، ولا تكوننَّ ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلامه[4]، فإن العاقل يتعظ بالآداب، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب. اطَّرح عنك وارداتِ الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين.

من ترك القصدَ جـار[5]. والصاحبُ مناسب، والصديقُ من صَـدَقَ غَيْبُهُ، والهوىٰ[6] شريك العمىٰ، ورب بعيدٍ أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيدٍ، والغريب من لم يكُن له حبيب.

من تعدَّىٰ الحقَّ ضاق مذهبُه، ومن اقتصر علىٰ قدره كان أبقىٰ له، وأوثق سببٍ أخذتَ به سببٌ بينك وبين الله سبحانه. ومن لم يُبَالِكَ[7] فهو عدوُّك.

---

(١) في التذكرة الحمدونية: ولا تكونن علىٰ قطيعته أقوىٰ منك علىٰ صلته، وعلىٰ الإساءة.

(٢) في التذكرة الحمدونية: واعلم يا بني أن مالك من دنياك إلا ما أصلحت به مثواك، وبعده: فأنفق من خيرك، ولا تكن خازنًا لغيرك. مثواك: مكان إقامتك بين الناس.

(٣) جازعًا: غير صابر. تفلَّت من يديك: تفرق وفقدته.

(٤) في شرح النهج: لا تنفعه العظة إذا بالغت في إيلامه!

(٥) القصد: العدل. جار: اعتدىٰ ومال عن الصواب.

(٦) الغيب: ضد الحضور. أي من حفظك وأنت غائب عنه، والهوىٰ ميل النفس إلىٰ الشهوة.

(٧) لم يبالك: لم يهتم بك.

قد يكون اليأس إدراكًا[١]، إذا كان الطمع هلاكًا.

ليس كلُّ عورةٍ تَظهر، ولا كلُّ فرصةٍ تُصابُ، وربما أخطأ البصيرُ قصدَه، وأصاب الأعمىٰ رشدَه[٢].

أَخِّر الشرَّ فإنك إذا شئت تعجَّلْتَه، وقطيعةُ الجاهلِ تَعْدُلُ صلةَ العاقل.

من أَمِنَ الزمان خانه، ومن أعظمه أهانه، ليس كلُّ من رمىٰ أصاب، إذا تغيَّر السلطان تغيَّر الزمان، سَلْ عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار، إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكًا وإن حكيت ذلك عن غيرك.

وإياك ومشاورةَ النساء فإن رأيهن إلىٰ أَفَنٍ، وعَزْمَهن إلىٰ وَهَـنٍ[٣]، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن[٤]، فإن شدةَ الحجابِ أبقىٰ عليهن[٥]، وليس خروجهن بأشدَّ من إدخالِك[٦] من لا يوثَقُ به عليهن[٧]، وإن استطعت ألا يَعْرِفْنَ غيرَك فافعل، ولا تُمَلِّكِ المرأةَ من أمرها[٨] ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة،

---

(١) الإدراك: الوصول إلىٰ المقصود.

(٢) بعده في التذكرة الحمدونية: لم يهلك امرؤ اقتصد، ولم يفتقر من زهد، من ائتمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أهانه، ورأس الدين اليقين، وتمام الإخلاص اجتناب المعاصي، وخير المقال ما يصدقه الفَعَال، سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار، واحمل لصديقك عليك، واقبل من اعتذر إليك، وأخِّر الشر ما استطعت فإنك إذا شئت تعجلته.

(٣) الأفن: الفساد والنقص. الوهن: الضعف.

(٤) في ربيع الأبرار: واكفف أبصارهن بالحجاب.

(٥) في عيون الأخبار ونثر الدر وربيع الأبرار: خير لهن من الارتياب. وفي الحكمة الخالدة: فإن حجابهن خير من الارتياب.

(٦) في ربيع الأبرار: بأضرَّ من دخول.

(٧) في عيون الأخبار ونثر الدر والحكمة الخالدة: من دخول من لا تثق به عليهن.

(٨) في المصادر السابقة: ولا تملكن امرأة من الأمر. وزادت: فإنه أنعم لحالها، وأرخىٰ لبالها، وأدوم لجمالها. ورواية الحكمة الخالدة للزيادة: فإن ذلك أنعم لبالها وأدوم لحالها. وفي شرح التذكرة الحمدونية وشرح المقامات: لا تملكن المرأة من الأمر. والزيادة في التذكرة=

وليست بِقَهْرَمَانَةٍ. ولا تَعْدُ بكرامتها نفسَها، ولا تُطْمِعْها في أن تشفع لغيرها[1].

وإياك والتغايرَ في غير موضع غَيْرَةٍ! فإن ذلك يدعو الصحيحةَ[2] إلىٰ السقم، والبريئةَ إلىٰ الرِّيَب.

واجعل لكل إنسانٍ من خدمك عملًا تأخذه به، فإنه أحرىٰ ألا يتواكلوا في خدمتك.

وأكرم عشيرتَك، فإنهم جناحُك[3] الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تَصُولُ[4].

أستودع الله دينك ودنياك، وأسأله خير القضاء لك في العاجلة

=الحمدونية: فإن ذلك أصلح لحالها، واغضض بصرها بسترك، واكففها بحجابك. والزيادة في شرح المقامات: وإن ذلك أدوم لحالها وأرضىٰ لبالها.

(١) في عيون الأخبار ونثر الدر (٤/ ٢٠٧) وشرح نهج البلاغة (٢٠/ ٣١٣): ولا تعطها أن تشفع عندك لغيرها. وفي نثر الدر (٤/ ٢١٢): ولا تطمعها في الشفاعة لغيرها فيميل من شفعت له عليك معها. وفي الحكمة الخالدة: ولا تُجِزْ لها الشفاعة عندك لغيرك (لغيرها). وزاد عيون الأخبار ونثر الدر وشرح نهج البلاغة (٢٠/ ٣١٣): ولا تطل الخلوة مع النساء فيمللنك وتملَّهن، واستبقِ من نفسك بقية، فإن إمساكك عنهن وهن يردنك باقتدار خير من أن يهجمن عليك علىٰ انكسار. ورواية الزيادة في الحكمة الخالدة: ولا تُطِل الخلوة معهن فإنهن يملكنك.

(٢) في المصادر الثلاثة السابقة: الصحيحة منهن. وجاء في قوت القلوب ٢/ ٤٢٢: «وروينا عن علي ﷺ: لا تكثر الغيرة علىٰ أهلك فترمىٰ بالسوء من أجلك».

(٣) في ربيع الأبرار: جناحاك.

(٤) في ربيع الأبرار: وإنك بهم تصول. وزاد: وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم وعُدْ سقيمهم، وأشركهم في أمورك، ويَسِّرْ عن معسرهم. وفي التذكرة الحمدونية: وأكرم الذين بهم تصول فإذا تطاولت فبهم تطول.

والآجلة، والدنيا والآخرة[1].. والسلام)[2].

[٩٧] ومن بعضِ كلامِه للحسين[3]:

(يا بني، أوصيك بتقوى الله ﷻ في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في [الغضب][4]

(١) جاء ختام الرسالة في التذكرة الحمدونية: أسأل الله أن يلهمك الرشد، ويقويك على العمل بكل جميل، ويصرف عنك كل محذور برحمته، والسلام عليك.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نهج البلاغة ٣٩١-٤٠٦، وشرح نهج البلاغة ١٦/ ٩-١٢٢. ووردت أجزاء منها بزيادات واختصار وتقديم وتأخير يسير في التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٢٩-٣٣١، ووردت أجزاء منها في العقد الفريد ٣/ ١٥٠-١٥١، وعين الأدب والسياسة ٢٨٧-٢٨٨، وقد وردت فِقَرٌ منها متفرقة في: ربيع الأبرار ١/ ٤٣٦، ٢/ ٥٥، ٣/ ١٤٩، ٣/ ٥١٩، ٤/ ٣١٥، ٤/ ٣٧٦، وورد منها قوله: (وإن استطعت ألا يكون... كثيرًا) في أدب الدنيا والدين ٥٢١-٥٢٢، ، وقوله: (وألجِئ... عزيز) وقوله: (واعلم علمًا يقينًا... بمحروم)، ، وقوله: (وإياك ومشاورة النساء... السقم) في عيون الأخبار ٤/ ٧٨-٧٩، ونثر الدر ٤/ ٢٠٧-٢٠٨ (منسوبًا لابن المقفع) وشرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣١٣ (منسوبًا لعلي). وقوله: (إياك ومشاورة... السقم) باختصار في الحكمة الخالدة ١٧٧، وفيه: وصى رجل ابنه، وقوله: (إياك ومشاورة... إلى وهن) وقوله: (لا تملكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها) في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٧ منسوبًا إلى أكثم بن صيفي. وقوله: (لا تملكن المرأة... وأرضى لبالها) في شرح مقامات الحريري ٥/ ١١٠، وقوله: (إياك ومشاورة... إلى وهن)، في المحاسن والأضداد ٢٣ والمحاسن والمساوئ ٣٧٠ دون نسبة.

(٣) أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، ولد سنة ٤ من الهجرة. حين توفي معاوية ؓ لم يبايع الحسينُ ليزيد بن معاوية، وخرج من المدينة إلى مكة، وكاتبه أهل العراق بالخروج إليهم لمبايعته ونصرته، فأرسل والي العراق، من قبل يزيد، عبيدُ الله بن زياد جيشًا لملاقاته على رأسه عمر بن سعد بن أبي وقاص، فوقعت بينهما معركة غير متكافئة في كربلاء، قتل فيها الحسين ؓ وجملة ممن معه يوم عاشوراء سنة ٦١.
انظر: الاستيعاب ١/ ٣٩٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٨٠، والإصابة ٢/ ٧٦.

(٤) زيادة من المستطرف. وكذا جاءت -في حديث للنبي ﷺ- مع الجملة قبلها، والجملة بعدها. انظر: مسند أحمد ٤/ ٢٦٤.

والرضا، والقَصْدَ[١] في الغنىٰ والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله تعالىٰ في الشدة والرخاء.

يا بني، ما شرٌّ بعده الجنة بشرٍّ، ولا خير بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاءٍ دون النار عافية.

اعلم -يا بني- أن من أبصرَ عيبَ نفسِه شُغل عن [عيب] غيره[٢]. ومن رضي بقَسْمِ الله تعالىٰ لم يحزن علىٰ ما فاته، ومن سَلَّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر بئرًا لأخيه وقع فيها، ومن هتك حجابَ غيرِه انكشفت عوراتُ بيتِه[٣]، ومن نسيَ خطيِّتَه استعظم خطِيَّةَ غيرِه[٤]، ومن كابد الأمور عَطَبَ، ومن اقتحم البحر غرق، ومن أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنىٰ بعقله زلَّ، ومن تكبَّرعلىٰ الناس ذلَّ، ومن سَفِهَ عليهم شُتِمَ، ومن دخل مداخل السوءِ اتُّهم، ومن خالط الأنذالَ حُقِّر، ومن جالس العلماءَ وُقِّر[٥]، ومن مزح استُخفَّ به، ومن اعتزل سَلِمَ، ومن ترك الشهواتِ كان حرًّا، ومن ترك الحسد كان له المحبةُ من الناس.

يا بني، عزُّ المؤمنِ غناه عن الناس، والقناعة مالٌ لا ينفد، ومن أكثرَ ذِكْرَ الموتِ رضي من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قلَّ كلامُه إلا فيما ينفعه، العجب ممن خاف العقاب فلم يَكُفَّ، ورجا الثواب فلم يعمل، الذِّكرُ نورٌ، والغفلةُ ظلمةٌ، والجهالةُ ضلالةٌ، والسعيدُ من وُعظ بغيره، والأدبُ خيرُ ميراثٍ، وحسنُ الخلقِ خيرُ قرينٍ.

---

(١) القصد: الاعتدال.

(٢) الزيادة من سائر المصادر. وفي العقد: عمي. وفي المستطرف: اشتغل.

(٣) في سراج الملوك والمستطرف: ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه. وفي نهاية الأرب: انهتكت. هتك: مزَّق وأزال. والمراد: من تتبع عيوب الناس وتحدث بها كُشفت عيوبه ونشرت.

(٤) في العقد: زلته. في الموضعين. وفي التذكرة الحمدونية وسراج الملوك ونهاية الأرب والمستطرف: خطيئته... خطيئة. (الخِطْءُ: الذنب... والاسم الخطيئة، علىٰ فعيلة. ولك أن تشدد الياء...وتدغم) الصحاح (خطأ).

(٥) في التذكرة الحمدونية ونهاية الأرب: ومن خالط. وُقِّر: عُظِّم وبُجِّل.

يا بني، ليس مع قطيعةِ الرَّحمِ نماءٌ، ولا مع الفجورِ غنًىٰ.

يا بني، العافية عشرةُ أجزاءٍ: تسعةٌ منها في الصمت إلا بذكر الله تعالىٰ، وواحدٌ في تركِ مجالسةِ السفهاءِ، ومن تزيَّن بمعاصي الله ﷻ في المجالس ورَّثه ذلًّا، من طلب العلمَ عَلِمَ.

يا بني، رأسُ العلمِ الرفقُ، وآفته الخُرْقُ، ومن كنوز الإيمان الصبرُ علىٰ المصائب، العفافُ زينةُ الفقرِ، والشكرُ زينةُ الغنىٰ[1]، ومن أكثر من شيءٍ عُرف به، ومن كَثُرَ كلامُه كَثُرَ خطؤه، ومن كثر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

يا بني، لا تُؤْيِسَنَّ مذنبًا فكم من عاكفٍ علىٰ ذنبه خُتم له بالخير، ومن مُقْبِلٍ علىٰ عمله مفسدٍ له في آخر عمره صار إلىٰ النار، ومن تحرَّىٰ[2] القَصْدَ خَفَّتْ عليه الأمور.

يا بني، كثرة الزيارة تورث الملالة.

يا بني، الطمأنينةُ قبل الخِبْرَةِ ضدُّ الحزم[3]، إعجابُ المرءِ بنفسه دليلٌ علىٰ ضعفِ عقلِه.

يا بني، كم من نظرةٍ جلبتْ حسرةً، كم من كلمةٍ جلبت نعمةً، لا شَرَفَ أعلىٰ من الإسلام، ولا كَرَمَ أعلىٰ من التقوىٰ، ولا مَعْقِلَ أحرزَ من الورع[4]، ولا شفيعَ أنجح من التوبة، ولا لباسَ أجمل من العافية، ولا مالَ أذهب للفاقة[5] من الرضا بالقوت، ومن اقتصر علىٰ بُلْغَةِ الكفاف تعجل الراحةَ وتبوَّأَ حفظ الدَّعَة[6]، الحرصُ مفتاحُ

---

(١) في سراج الملوك والمستطرف: يا بني، زينة الفقر الصبر، وزينة الغنىٰ الشكر.

(٢) تحرىٰ: طلب وتوخىٰ. القصد: الاعتدال.

(٣) اطمأن إليه: ارتاح وأنس. والخبرة: التجربة والاختبار. والحزم: الضبط والإتقان.

(٤) معقل: ملجأ وملاذ. أحرز: أمنع. الورع: التوقي عن المحارم والبعد عن المشتبهات.

(٥) الفاقة: الفقر.

(٦) هكذا. البلغة: القليل من الزاد الذي يتبلغ (يتوصل) به. الكفاف: مقدار الحاجة دون زيادة أو نقصان. تبوأ المكان: نزله وأقام به، ولعلها هنا: حقق لنفسه. الدعة: خفض العيش والسعة فيه.

التعبِ[1]، ومطيةُ النَّصَبِ، وداعٍ إلىٰ التَّقَحُّم في الذنوب، والشرُّ جامعٌ لمساوئ العيوب، وكفىٰ أدبًا لنفسك ما كرهته من غيرك، لأخيك عليك مثلُ الذي عليك لك، ومن تَوَرَّط في الأمور من غير نظرٍ في الصواب فقد تعرَّض لمفاجأة النوائب[2]، التدبير قبل العمل يؤمِّنك الندم، من استقبل وجوهَ العملِ والآراءِ[3] عرف مواقعَ الخطأ، الصبر جُنَّةٌ من الفاقة، في خلاف النفس رشدُها، الساعات تنقص الأعمار، ربك للباغين من أحكم الحاكمين، وعالم بضمير المضمرين، بئس الزاد للمعاد العدوان علىٰ العباد، في كل جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وفي كل أكلة غَصَصٌ[4]، لا تنال نعمة إلا بفراق أخرىٰ، ما أقرب الراحة من التعب، والبؤس من النعيم، والموت من الحياة، فطوبىٰ لمن أخلص لله تعالىٰ علمه وعمله، وحُبَّه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته.

وبخٍ بخٍ[5] لعالمٍ عَلِمَ فكَفَّ، وعمل فجدَّ، وخاف الثبات، فأعدَّ واستعدَّ، إن سُئِل أفصح، وإن تُرِكَ سكت، كلامه صواب، وصمته من غير عِيٍّ[6] عن الجواب، والويل كل الويل لمن بُلي بحرمان وخذلان وعصيان، واستحسن لنفسه ما يكرهه لغيره، من لانت كلمتُه وجبتْ محبتُه، من لم يكُن له حياءٌ ولا سخاءٌ فالموت أولىٰ به من الحياة، لا تتمُّ مروءة الرجل حتىٰ لا يبالي أيَّ ثوبيه لبس، ولا أيَّ طعاميه أكل)[7].

(١) في سراج الملوك: المقت. والمقت: أشد البغض.

(٢) تورط في الأمور: دخل في العسير المشكل منها. النوائب: جمع نائبة، وهي المصيبة.

(٣) استقبل وجوه العمل والآراء: تأملها واعتبر بها.

(٤) شرق فلان بالماء غص، أي وقف في حلقة فلم يكد يسيغه. والغصص: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب.

(٥) بخٍ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح. وكفَّ: امتنع.

(٦) العَي: العجز.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبي ٤١-٤٣. ووردت -باختصار شديد- في التذكرة الحمدونية ١/ ٢٧٢-٢٧٣، وورد منها قوله: (يا بني من أبصر... بعينه) في نهج البلاغة ٥٣٦ باختصار شديد. وورد منها قوله: (من أبصر... وقِر) في العقد ٢/ ٤١١=

[٩٨] قال عليٌّ ﷺ لابنه الحسين:

(كنْ في الدنيا ببدنِك، وفي الآخرةِ بقلبِك)[١].

[٩٩] قال عليٌّ ﷺ لولده:

(يا بني، إياك والغيرةَ في غير موضعِها! فإنها تدعو الصَّحة[٢] إلىٰ السَّقَمِ، ولكن أَحْكِمْ أمرَهن، فإن رأيت ذنبًا فاجعل النَّكِيرَ علىٰ الكبيرِ والصغيرِ، وإياك أن تُعيِّرَهن الذنبَ[٣] فيهونَ عليهن العيبُ)[٤].

=ضمن كلام لعلي ﷺ، وورد منها قوله: (إن من أبصر... تورث الملالة) في التذكرة الحمدونية باختصار شديد، ونهاية الأرب ٨/ ١٨٦ باختصار شديد في جزئها الأخير. كما ورد قوله: (من نظر عيب... دخل النار) في التذكرة الحمدونية ١/ ٢٥٣-٢٥٤ باختصار شديد، مع كلام آخر قبله، وقد ورد قوله: (من سلَّ... بيته)، (ومن دخل... حُقِّر) ضمن وصية جعفر الصادق. وقد ورد قوله: (من سل سيف البغي قتل به) منسوبًا لفيروز بن يزدجرد ضمن كلام له في الإعجاز والإيجاز ٦٣. وعدَّه الميداني -مجمع الأمثال ٣/ ٣٦١- من أمثال المولدين. وقد ورد قوله: (من كثر كلامه... دخل النار) -باختلاف يسير- منسوبًا إلىٰ النبي ﷺ، رواه الطبراني وأبو نعيم والعسكري، ولكن ذلك لا يصح... والصواب أنه من كلام عمر. انظر: كشف الخفا ٢/ ٢٧٤-٢٧٥، والعلل المتناهية ٢/ ٢١٨، وقد جاء هذا الكلام منسوبًا إلىٰ عمر ﷺ في مختصر تاريخ دمشق ١١/ ١٤٠، ١٨/ ١٥٧، وورد قوله: (أوصيكم بتقوىٰ الله... وكلامه وصمته) -باختصار يسير- في سراج الملوك ١/ ١٠٨-١٠٩، كما ورد قوله: (أوصيكم بتقوىٰ الله... أنجح من التوبة) -باختصار شديد- في آخرها في المستطرف ١/ ٢٥٨ - ٢٥٩. وعدها الطرطوشي والأبشيهي استكمالًا لوصية علي ﷺ لأولاده الحسن والحسين وابن الحنفية عندما طعنه ابن ملجم. ولذا وردت عندهما في أولها بصيغة الجمع: أوصيكم. وقد ورد في ربيع الأبرار ١/ ٧٧٣: (وهيب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، والعاشر عزلة الناس).

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٢/ ٣٧.

(٢) هكذا. ولعلها: الصحيحة، أي السليمة البريئة.

(٣) تعيِّرهن: تنسبهن إلىٰ العار، يقال: عيَّره الجهل وبالجهل.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في تحفة العروس ٣٦٠، نقلاً عن الزبير بن بكار في الأخبار الموفقيات. وليس هو في المطبوع منه. وقد ورد جزؤُها الأول ضمن وصية عليّ ﷺ الأولىٰ.

[١٠٠] أوصى علي بن أبي طالب الحسن والحسين فقال:

(تنافسوا في المعالي، وسارعوا إلىٰ المكارم، واكتسبوا الحمدَ بالجود، ولا تكتسبوا بالبخل ذمًّا، ولا تَعُدُّوا معروفًا لم تعجِّلوه. ومهما تكن لأحدكم عند أحدٍ نعمةٌ لم يبلغْ شكرَها، فالله أحسنُ لردِّها أجرًا، وأجزلُ عليها حظًّا. واعلموا أن أفضلَ المال ما أكسب حمدًا وأعقب أجرًا، وقد سمعت رسولَ الله ﷺ يقول[١]: **«ما عظمت نعمة الله تعالىٰ عند أحدٍ إلا كثرت حوائجُ الناس إليه، فمن ملَّ تلك الحوائجَ فقد عرَّض تلك النعمةَ للزوال»**)[٢].

[١٠١] قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته لولده الحسن رضي الله عنه:

(يا بني إن الدنيا تقبل إقبالَ الطالب، وتدبر إدبارَ الهاربِ، وتُواصل وِصَالَ الخائف العجول، وتفارق فراقَ القالي الملول[٣]، فخيرها يسير، وعيشها قصير، وإقبالها خديعةٌ، وإدبارها فجيعةٌ[٤]، ولذاتها فانيةٌ، وتَبِعَاتها باقيةٌ[٥]، فاغتنم غفوةَ الزمانِ، وانتهز فرصةَ الإمكانِ، وخذ من نفسك، وتزوَّد من يومك لغدك وأمسك، قبل انقضاء المدة، ونفادِ العِدَّة، وزوالِ القدرةِ، وانكشاف السِّترة، فلكل امرئ من دنياه ما أنفقه علىٰ عمارة أخراه، ومن مكرها أنها لا تُبقي علىٰ حالة، ولا تخلو من استحالة[٦]، تصلح جانبًا بفساد جانب، وتسرُّ صاحبًا بمساءةِ صاحب، السكون فيها خطر، والثقة بها غَرَرٌ، والإخلاد إليها محال، والاعتماد عليها ضلال.

(١) الحديث موضوع. انظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٥/ ٢١٦٤ (ح٣٤١٣)، وأورده البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ١٣/ ٣٤٢ وعقب عليه بقوله: (وهذا الكلام مشهور عن الفضيل بن عياض).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ٢٦٢.

(٣) القالي: التارك المبغض.

(٤) الفجيعة المصيبة المؤلمة توجع الإنسان بفقد ما يعز عليه من مال أو حميم.

(٥) التبعات جمع تبعة، تبعة الشيء عاقبته، وتستعمل غالبًا فيما لا تحمد عقباه.

(٦) استحالة: تحوُّل وتبدُّل.

يا بني، كفَّ عن الأذىٰ، وعدِّ عن الخنا، وأعرض عن اللَّجاجة، ولا تكدح[1] في غيرِ حاجةٍ، فأنت حكيم دهرك، وقريع عصرك[2]، لا تقضِ عمرك في الملاهي، ولا تصرف مالك في المعاصي، فتخرج من دنياك بلا عمل، وتقدم علىٰ ربك بلا أمل، إذا أحسنت القول فأحسن الفعل، فتجمع بين مَزِيَّةِ اللسان، وثمرةِ الإحسان، ولا تقُل ما لا تفعله فإنك لا تخلو من ذمٍّ تكسبه، رأسُ الشرِّ حبُّ الغنىٰ والطمع، وحسن التقىٰ يورث الورعَ، الهوىٰ مطية كل محنة، والدنيا دار كل فتنة، فانزل عن الهوىٰ تسلم، واهجر الدنيا تغنم، ولا يغرك هواك بطيب العيش والملاهي، ولا تفسد دنياك بحسن العواري[3]، فمدة اللهو تنقطع، وعارية الدهر تُرتجع، ويبقىٰ لك [أو][4] عليك ما اكتسبته من المكارم، واجتنبته من المحارم والمآثم.

الدنيا ظِلُّ الغمام، وحُلْمُ المنام، وعسلٌ مشوبٌ[5] بالسُّمِّ، وفرح موصول بالغمِّ، فلا تغرَّنَّك بنزهتها، ولا تخدعنَّك بزينتها، فإنها سلَّابة للنعمِ[6]، أكَّالة للأمم، تعطي وترتجع، وتنقاد وتمتنع)[7].

[١٠٢] وقال لابنه الحسن رضي الله عنهما:

(لا تخلِّفنَّ وراءك شيئًا من الدنيا، فإنك تخلِّفه لأحدِ رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسَعِد بما شقيت به، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت

(١) عدَّ: ابتعد. الخنا: الفساد. اللجاجة: التمادي في الخصومة. والكدح: السعي في طلب الرزق وعشقه.
(٢) قريع عصرك: سيد عصرك.
(٣) العواري: جمع عارية، وهو ما يعار ويرد، ويريد بها زينة الحياة الدنيا.
(٤) زيادة يستقيم بها الكلام.
(٥) مشوب: ممزوج.
(٦) سلب الشيء: انتزعه قهرًا.
(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في أحسن المحاسن لأبي الحسين الرخجي ١٥٢.

له، فكنت عونًا له علىٰ معصيته، وليس أحدُ هذين حقيقًا أن تُؤثِرَه علىٰ نفسك)[1].

[١٠٣] وقال للحسن[2] ابنه:

(لا تبدأ بدعاءٍ[3] إلىٰ مبارزةٍ، وإن دُعيتَ إليها فأجبْ[4]، فإن طالبَها[5] باغٍ، والباغي مصروع)[6].

[١٠٤] وقال علي بن أبي طالب ﷺ لابنه الحسين:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في نهج البلاغة ٥٤٩ وفيه بعدها: (قال الرضي: ويروىٰ هذا الكلام علىٰ وجه آخر وهو: أما بعد فإن الذي في يدك من الدنيا قد كان له أهلٌ قبلَك، وهو صائر إلىٰ أهل بعدك، وإنما أنت جامع لأحد رجلين: رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله فسعد بما شقيت به؛ أو رجل عمل فيه بمعصية الله، فشقيت بما جمعت له، وليس أحد هذين أهلًا أن تؤثره علىٰ نفسك، ولا أن تحمل له علىٰ ظهرك، فارجُ لمن مضىٰ رحمة الله، ولمن بقىٰ رزق الله). كما وردت في التذكرة الحمدونية ١/ ٦٥ -وباختصار واختلاف يسيرين- في لباب الآداب ١٢٣. وقد نسبت الوصية إلىٰ الحسن بن علي (انظرها في موضعها) كما نسبت بالرواية الثانية إلىٰ أبي الدرداء كتبها إلىٰ رجل من إخوانه خاف عليه حبَّ ولده في مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٠.

(٢) في محاضرات الأدباء: لبعض بنيه.

(٣) في عيون الأخبار: يا بني. وفيه وفي نهج البلاغة ومحاضرات الأدباء: لا تدعون. زاد الأخيران: أحدًا.

(٤) في المصدرين السابقين: ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبته.

(٥) في عيون الأخبار: فإنه بغي. وفي نهج البلاغة ومحاضرات الأدباء: فإن الداعي إليها باغ. والباغي: المعتدي المتجاوز الحد. مصروع: مغلوب مطروح.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٦٨. كما وردت في عيون الأخبار ١/ ١٢٨ (باختصار) ونهج البلاغة ٥٠٩، ونثر الدر ١/ ٢٩٩، وبهجة المجالس ٢/ ٥٣٥، ومحاضرات الأدباء ٢/ ١٣٥. وفي الكامل للمبرد ٣/ ١٣٢٢: (وكان المهلب يقول لبنيه: لا تبدؤوهم [الخوارج] بقتال حتىٰ يبدؤوكم فيبغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا نصرتم عليهم).

(ابذلْ لصديقك كلَّ مودةٍ[1]، ولا تطمئنَّ إليه[2] كلَّ الطمأنينة، وأعطه كلَّ[3] المواساة، ولا تُفْضِ إليه كلَّ الأسرار)[4].

[١٠٥] وقال علي ﷺ للحسين:

(يا بني، جالس العلماء، فإن أصبت حمدوك، وإن جهلت علَّموك، وإن أخطأت لم يعنِّفوك. ولا تجالس السفهاءَ، فإنهم خلافُ ذلك)[5].

[١٠٦] قال علي ﷺ لابنه الحسن:

(يا بني، خفِ الله خوفًا ترىٰ أنك لو أتيته بحسنات الأرض لم يقبلْها منك، وارجُ الله رجاءً ترىٰ أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك)[6].

[١٠٧] قال علي ﷺ لابن الحنفية[7]:

(يا بني، إني أخاف عليك الفقرَ، فاستعذ بالله منه، فإنَّ الفقرَ منقصةٌ للدين،

(١) في المحاسن والمساوئ ومحاضرة الأبرار ونشوة الطرب: المودة.
(٢) في نثر الدر: ولا تبذل له كل.
(٣) في نثر الدر ونشوة الطرب: وأعطه من نفسك كل.
(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والأضداد ٣٧، والمحاسن والمساوئ ٥٦٥-٥٦٦، كما وردت في نثر الدر ٦/ ٦٠ منسوبة لأعرابي، وفي نشوة الطرب ٦/ ٦٠ لأعرابي يوصي ولده.
(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٣/ ٢٩٣.
(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٢/ ٧٨٥.
(٧) محمد بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، نُسب إلىٰ أمِّه التي كانت من بني حنيفة أصلاً أو ولاء، روىٰ عن أبيه، وحمل رايته يوم صفين، كان ورعًا كثير العلم، شديد القوة، يُروىٰ له في ذلك أخبار عجيبة، مات بالمدينة سنة ٨١هـ. انظر: الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٩١، ووفيات الأعيان ٤/ ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١١٠.

مَدْهَشَةٌ للعقل، داعيةٌ للمقت)[1].

[١٠٨] قال علي بن أبي طالب لابنه:

(لا مالَ أعوذُ من العقلِ، ولا فقرَ أشدُّ من الجهلِ، ولا وَحْدَةَ أوحَشُ من العُجْبِ، ولا مُظاهرةَ كالمشاورة، ولا حَسَبَ كحسنِ الخلق)[2].

[١٠٩] وقال علي ﷺ لابنه الحسن:

(يا بني، الغريب من ليس له حبيبٌ)[3].

[١١٠] مما أوصى به أمير المؤمنين ﷺ أولاده:

(يا بني، عاشروا الناسَ معاشرةً[4] إن غِبتم[5] حَنُّوا إليكم[6]، وإن فقدتم[7] بكوا عليكم، يا بني، إن القلوب جنودٌ مجندةٌ، تتلاحظ بالمودة، وتتناحىٰ بها[8]، وكذلك هي في البغض، فإذا أحببتم الرجل من غيرِ خيرٍ سبقَ منه إليكم فارجوه، وإذا أبغضتم

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٤/ ١٥٠.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٢/ ٥٣٥، وورد قوله فيها: (لا فقر.. العجب) في ربيع الأبرار ٣/ ٤١٢ لعلي يوصي علي بن الحسين(!) ورواية الجملة الثانية فيه: (ولا وحشية [لعلها: وحشة] أشد من العجب). وفي هذا تخليط، إذ إن عليًّا ﷺ استشهد سنة ٤٠ وعلي بن الحسين ولد سنة ٣٨! وترددت جمل الوصية دون (لا مظاهرة كالمشاورة) -باختلاف يسير- في وصية علي لابنه الحسن رقم (١١٤).

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في أدب الدنيا والدين ٢٦٠.

(٤) في شرح النهج: خالطوا الناس مخالطة.

(٥) في سائر المصادر: عشتم.

(٦) في ربيع الأبرار: خنوا إليكم. وفي شرح النهج كالرواية المثبتة. وبعدها: (وقد روي: خنوا، بالخاء المعجمة، من الخنين وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء، وإلىٰ تتعلق بمحذوف، أي حنوا شوقًا إليكم).

(٧) في سائر المصادر: متم.

(٨) أي يميل بعضها إلىٰ بعض. نحا إلىٰ الشيء: مال إليه وقصده.

الرجلَ من غيرِ سوءٍ سبق إليكم فاحذروه)[1].

[١١١] قال علي بن أبي طالب ﷺ لابنه الحسن[2]:

(يا بني، نزِّه سمعَك عنه، فإنه نظر إلىٰ أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك)[3].

[١١٢] وقال علي بن أبي طالب:

(يا بني، إن الشرَّ تاركك إن تركته)[4].

[١١٣] قال علي للحسن رضي الله عنهما[5]:

(يا بني، لا تستخفنَّ برجلٍ تراه أبدًا، فإن كان أكبرَ منك فَعُدَّ أنه أبوك، وإن كان في مثلِ عمرِك فهو أخوك، وإن كان أصغرَ منك فاحسب أنَّه ابنك)[6].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الكشكول للعاملي ٢/ ٥٧، وقد ورد منها قوله: (يا بني عاشروا... بكوا عليكم) في المحاسن والأضداد ٣٦ دون نسبة، وفي آداب الصحبة للسلمي ٩٧ لبعض الحكماء من السلف، وفي العقد ٣/ ٤٤٤ (احتضر أعرابي فقال له بنوه عظنا يا أبانا، فقال: ...)، وفي ربيع الأبرار ١/ ٤٦٦ لأعرابي يوصي بنيه، وفي محاضر الأبرار ٢/ ٦ لعيسىٰ ﷺ. وفي شرح النهج ١٨/ ١٠٧ لعليٍّ، دون تصريح بأنها وصية لأولاده، وقد نسبت لأكثم بن صيفي يقولها لقومه في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٨ عن ابن الكلبي. وقد نسبت الوصية لعلي بن أصمع -جدِّ الأصمعي- انظرها -مع تخريجها- في موضعها.

(٢) **مناسبة الوصية**: نظر علي ﷺ إلىٰ رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٢٨١. وقد نسبت الوصية إلىٰ عتبة بن أبي سفيان -يوصي بها ابنه الوليد- في جملة من المصادر منها شرح نهج البلاغة نفسه ١٧/ ٣٧! انظرها في موضعها.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٢٨٥. وفي مجمع الأمثال ١/ ٢٤٣: (زعموا أن لقمان الحكيم قال لابنه: اترك الشر كما يتركك، أراد كيما يتركك)، وفي كتاب الأشراف ٧٩: (قال لقمان لابنه: اعتزل الشر يعتزلك الشر، فإن الشر للشر خلق).

(٥) **مناسبة الوصية**: سأل علي ابنه الحسن ﷺ عن أشياء من المروءة وهو يجيبه عن كل واحد منها. وحين انتهىٰ روىٰ له حديثًا عن النبي، ﷺ، ثم أوصاه بما ذكر.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٦٨ (ح٢٦٨٨). كما وردت في=

[١١٤] قال علي بن أبي طالب لابنه الحسن[١]:

(يا بني، احفظ عني أربعًا وأربعًا، لا يضرُّك ما عملتَ معهن، قال: وما هنَّ يا أبتِ؟ قال: إن أغنىٰ الغنىٰ العقلُ. وأكبرَ[٢] الفقرِ الحُمْقُ، وأوحشَ الوحشةِ العجبُ، وأكرم الحَسَبِ حسنُ الخلق. قال: يا أبتِ هذا الأربع، فأعطني الأربعَ الأخر. قال: إياك ومصادقةَ[٣] الأحمق، فإنه[٤] يريد أن ينفعَك فيضرَّك، وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه يقرِّب إليك[٥] البعيد، ويبعِّد عليك القريب. وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعُدُ عنك أحوجَ ما تكون إليه، وإياك ومصادقةَ الفاجر، فإنه يبيعُك بالتافِه[٦])[٧].

=الجليس الناصح الكافي للمعافىٰ بن زكريا ٣/ ٣٢٢، وعنه في مختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٢، والبداية والنهاية ١١/ ٢٠٢. وقال ابن كثير بعدها: (قلت: ولكن إسناد هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف). ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٨٣ وقال: (فيه أبو رجاء الحبطي واسمه محمد بن عبد الله وهو كذاب)!

(١) **مناسبة الوصية**: لما ضرب ابن ملجم عليًّا ﷺ دخل عليه الحسن، وهو باكٍ، فقال له: ما يبكيك يا بني؟ فقال: مالي لا أبكي، وأنت في أول يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدنيا؟ فقال: ...).

(٢) في التذكرة الحمدونية: وأفقر الفقر الحمق.

(٣) في التذكرة الحمدونية ولطائف الأخبار: مصاحبة. وكذا في المواضع الأخرىٰ المماثلة في الوصية.

(٤) في الأصل: فإنه لا (!) يريد.

(٥) قبلها في نهج البلاغة وربيع الأبرار والتذكرة الحمدونية: فإنه كالسراب يقرِّب.

(٦) في لطائف الأخبار: بالتافه الحقير.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في المجتنىٰ ٤١. كما وردت في نهج البلاغة ٤٧٥، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٦١-٣٦٢، ولباب الآداب ١١، ولطائف الأخبار ١٦٠-١٦١، وتاريخ الخلفاء ١٨٤. وورد النصف الثاني منها في ربيع الأبرار ١/ ٤٩٣، وقد ورد عن علي ﷺ النهيُ عن مؤاخاة الفاجر والأحمق والكذاب، وتعليل ذلك -بأوسع مما هنا- في التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٦١. وورد قوله: (إياك ومصاحبة الأحمق فإنه ربما أراد أن ينفعك فضرك) منسوبًا إلىٰ عبد الملك بن الحجاج في البيان والتبيين ٢/ ١٠٣. وورد الكلام نفسه فيه ٤/ ٩٦ برواية: ومؤاخاة -منسوبًا إلىٰ عمر بن الخطاب ﷺ-. وقد نسبت الوصية إلىٰ علي بن الحسين (انظرها في وصاياه). كما نسبت وصية شبيهة بها لمحمد بن علي الباقر، انظرها في وصاياه، وانظر التعليق عليها.

[١١٥] قال علي ﷺ[١] لابنه محمد بن الحنفية:

(تزولُ الجبالُ ولا تَزُلْ[٢]! عضَّ علىٰ ناجِذِك[٣]، أَعِرِ الله جُمْجُمَتَك[٤]، تِدْ[٥] في الأرض قدمَك، ارْمِ ببصرك أقصىٰ القوم[٦]، وغُضَّ بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه)[٧].

[١١٦] قال علي ﷺ للحسن والحسين[٨]:

(أوصيكما بتقوىٰ الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما[٩]، ولا تبكيا علىٰ شيء زُويَ عنكما[١٠]، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف[١١]، واصنعا

---

(١) **مناسبة الوصية**: لما أعطاه الراية يوم الجمل.

(٢) في ربيع الأبرار: تزول.

(٣) الناجذ: الضرس، وعضَّ علىٰ ناجذه: صبر علىٰ صعاب الأمور.

(٤) أعِر: أمر من أعار. أي جاهد وابذل نفسك في سبيل الله.

(٥) تد: ثبت. أمر من وَتَدَ يَتِدُ.

(٦) ارم ببصرك أقصىٰ القوم: أحطْ بجميع حركاتهم. وغضَّ بصرك: كفَّه، والمراد لا يهولنَّك الجمع.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في نهج البلاغة ٥٥ وربيع الأبرار ٣/ ٣١٢.

(٨) **مناسبة الوصية**: في الطبري والكامل في التاريخ: (دخل جندب بن عبد الله علىٰ علي ﷺ بعد أن ضربه ابن ملجم فقال: إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما: ...). وفي الكامل في اللغة والأدب وسراج الملوك والمستطرف: (أن عليًّا لما ضُرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق، فدعا الحسن والحسين فقال: ...).

(٩) في الكامل للمبرد وسراج الملوك والمستطرف: بتقوىٰ الله والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا.

(١٠) في المصادر السابقة: ولا تأسفا علىٰ شيء فاتكما منها. وزوي: طوي وأخفي.

(١١) في التعازي والمراثي: الضالع (وأشار المحقق في الحاشية إلىٰ ورود (الصانع) في نسخة من نسخه). والمراد الضعيف. يقال: أضلعَ الحملُ الدابةَ: أثقلها. وفي أمالي الزجاجي وأخباره: وأعينا الصانع، وفي كامل ابن الأثير: الضائع، وقد يكون المراد التائه عن الطريق أو أنها مصحفة عن الضالع. الملهوف: المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر.

للآخرة[١]، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم ناصرًا[٢]، واعملا بما في الكتاب[٣]، ولا تأخذكما في الله لومةُ لائمٍ.

ثم نظر[٤] إلىٰ محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظتَ ما أوصيتُ به أخويك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثلِه، وأوصيك بتوقِير أخويك، لعظيمِ حقِّهما عليك، فاتَّبِعْ أمرَهما[٥]، ولا تقطع أمرًا دونهما.

ثم قال[٦]: أوصيكما به، فإنه شقيقُكما[٧]، وابنُ أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبُّه[٨].

وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوىٰ الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلِّها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تُقْبَلُ صلاةٌ من مانع زكاة،

---

(١) في أمالي الزجاجي ونسخة من كامل ابن الأثير: الأخرق. وقد ورد في صحيح مسلم ١/ ٨٩ (١٣٦) من حديث أبي ذر: «... تعين صانعًا أو تصنع لأخرق».

(٢) في كامل المبرد والتعازي والمراثي وأمالي الزجاجي وأخباره وسراج الملوك والمستطرف: وللمظلوم عونًا.

(٣) في كامل المبرد وسراج الملوك والمستطرف: اعملا الخير، وفي كامل ابن الأثير: بما في كتاب الله.

(٤) في كامل المبرد وسراج الملوك والمستطرف: ثم دعا محمدًا.

(٥) في المصادر السابقة: أما سمعت... قال: بلىٰ. قال فإني أوصيك به، وعليك ببرِّ أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما. وفي أمالي الزجاجي وأخباره: فقال: أسمعت ما وصَّيتهما به؟ قال: نعم. قال: وأوصيك بمثله، وبتزيين أمر أخويك... وفي التعازي والمراثي: فهمت ما أوصيت به أخويك... بتوقير أخويك وتزيين أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما.

(٦) في المصادر السابقة: ثم أقبل عليهما فقال: ... وفيها: أوصيكما به خيرًا.

(٧) أشار محقق كامل المبرد إلىٰ أنه ورد بهامش أصله ما نصه: (قال أبو مروان: يقال للأخ من الأب شقيق لأنه شق ظهر أبيه، قال: وفي الجمهرة: وشقيق الرجل أخوه كأنه شق نسبه من نسبه). انظر: جمهرة اللغة ١/ ١٣٩.

(٨) في المصادر السابقة: وأنتما تعلمان... وزادت هي وأمالي الزجاجي وأخباره: فأحباه.

وأوصيك بغَفْرِ الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحِلم عند الجهل[1]، والتفقُّه في الدين، والتثبُّتِ في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش)[2].

[١١٧] أوصى علي بن أبي طالب ﷺ[3] الحسن والحسين:

(أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما[4]، وقولا بالحق، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا.

أوصيكما -وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي- بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بَيْنِكم، فإني سمعت جدَّكما ﷺ يقول: صلاح ذاتِ البَينِ أفضل من عامة الصلاة والصيام[5].

الله الله في الأيتام، فلا تُغِبُّوا أفواهَهم[6]، ولا يضيعوا بحضرتكم.

---

(١) في كامل ابن الأثير: عن الجاهل.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٥/ ١٤٧، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٣٩١-٣٩٢، كما وردت -دون (وقال للحسن) إلى نهاية الوصية- باختصار يسير، في الكامل في اللغة والأدب ٣/ ١١٦٨-١١٦٩، والتعازي والمراثي للمبرد ١١٨، وأمالي الزجاجي ١٧٦، وأخبار أبي القاسم الزجاجي ١٨٤، وسراج الملوك ١/ ١٠٧-١٠٨، والمستطرف ١٣٦. وقد وَصَلَ بها المصدران الأخيران وصية سابقة فصلا بينهما بـ(ثم قال) وكأنها من وحي المناسبة. كما أن الوصية تتفق في صدرها مع صدر الوصية الآتية.

(٣) **مناسبة الوصية**: لما ضربه ابن ملجم بالسيف الضربة التي مات على إثرها ﷺ.

(٤) زوي عنكما: طوي وأخفي.

(٥) ورد هذا الحديث بهذه الرواية عن علي في كتاب الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ٢/ ٥٥٥ (ح٣٥٨٦). وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة». انظر: صحيح الجامع الصغير ٢/ ٣٥٩ (ح٢٥٩٢).

(٦) **تغبُّوا أفواههم**: أي لا تجيعوهم بأن تطعموهم غبًّا. أي يومًا بعد يوم.

والله الله في جيرانكم، فإنهم وصيةُ نبيكم، ما زال يوصي بهم حتىٰ ظننا أنَّه سيورثهم(١).

والله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيرُكم(٢).

والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينِكم(٣).

والله الله في بيتِ ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن تُرِك لم تُناظروا.

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع(٤)، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيُوَلَّىٰ عليكم أشرارُكم، ثم تدعون فلا يستجاب

---

(١) أخرج البخاري (فتح الباري ١٠/ ٤٤١ ح٦٠١٤)، ومسلم ٤/ ٢٠٢٥ ح٢٦٢٤، ٢٦٢٥ وغيرهما قولَ النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه» ويورثه: يجعل له حظًا في الميراث.

(٢) قال ابن أبي الحديد: (قوله عليه السلام (!): الله الله في القرآن. أمرهما بالمسارعة إلىٰ العمل به، ونهاهما أن يسبقهما غيرُهما إلىٰ ذلك، ثم أمرهما بالصلاة والحج. وشدد الوصاة بالحج فقال [إن ترك لم تناظروا] أي يتعجل الانتقام منكم).

وفسَّر الدكتور صبحي الصالح رحمه الله في تحقيقه لنهج البلاغة -الجملة الأخيرة بقوله: (لم تناظروا -مبنىٰ للمجهول-: أي لم ينظر إليكم بالكرامة، لا من الله، ولا من الناس، لإهمالكم فرض دينكم).

(٣) أخرج أحمد في المسند ٥/ ٢٣١ والترمذي في سننه ٥/ ١١ (ح٢٦١٦)، وابن ماجه ٢/ ١٣١٤ (ح٣٩٧٣) حديثًا جاء فيه قول النبي ﷺ لمعاذ: «... ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟... وعموده الصلاة».

(٤) ورد عند أحمد في المسند ٢/ ٢٧٧ ومسلم ٤/ ١٩٨٦ (ح٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا...». وعليكم بالتواصل والتباذل: ليصل كل منكم الآخرَ، ويَجُدْ عليه بالمال والعطاء. والتدابر: أن يعادي كل منهم الآخر.

لكم[1])[2].

[١١٨] **وقال علي بن ابي طالب ﷺ:**

(هذا ما أوصىٰ به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أوصىٰ بأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، صلوات الله وبركاته عليه ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

أوصيك يا حسن[3] -وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي هذا- بتقوىٰ الله ربنا[4]، ولا تموتن وإلا أنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، فإني سمعت رسول الله[5] يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام[6]،

---

(١) ورد في سنن الترمذي ٤/ ٤٦٨ (ح٢١٦٩) عن حذيفة بن اليمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

وأخرج البزار (كشف الأستار ٤/ ١٠٦ ح٣٣٠٧) والطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٩٩ ح٣١٧٩ الحديث برواية: «أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»، وضعَّف العراقي الرواية الأخيرة. انظر: المغني عن حمل الأسفار (حاشية علىٰ إحياء علوم الدين ٢/ ٣٠٨).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نهج البلاغة ٤٢١-٤٢٢، وفي شرح نهج البلاغة ١٧/ ٥-٦.

(٣) في الوصايا: وإني أوصيك.

(٤) في المصدر السابق: ربكم. وفي شرح النهج: ربنا وربكم.

(٥) في المصدر السابق: حبيبي رسول الله.

(٦) في المصدر السابق: من عامِّ الصيام والصلاة. والجملة اللاحقة ليست فيه. وفي شرح النهج: وإن المبيرة حالقة الدين إفساد.

وإنَّ المبيدة الحالقة للدين فسادُ ذات البين[1]. ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

انظروا إلىٰ ذوي أرحامكم فصلوهم يهَوِّنِ الله عليكم الحساب.

الله الله في الأيتام فلا تغيَّرَنَّ أفواههم بجفوتكم[2].

والله الله في جيرانكم فإنهم وصية رسول الله ﷺ ما زال يوصينا بهم حتىٰ ظننا أنه سيورثهم.

والله الله في القرآن فلا يسبقنَّكم إلىٰ العمل به غيرُكم.

والله الله في الصلاة فإنها عماد[3] دينكم.

والله الله في بيت ربكم فلا يخلونَّ منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا وإنه إن خلا منكم لم تنظروا[4].

والله الله في صيام شهر رمضان فإنه جُنَّة من النار.

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم.

والله الله في زكاة أموالكم فإنها تطفئ غضبَ ربكم.

والله الله في أمة نبيِّكم[5] فلا يظلمُنَّ بين أظهركم.

والله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله - صلىٰ الله عليه وآله - أوصىٰ بهم.

---

(١) سبق تخريج الحديث في الوصية السابقة.

(٢) في المصدر السابق: بحضرتكم. قال ابن أبي الحديد -معلقًا علىٰ العبارة-: (يحتمل تفسيرين: أحدهما لا تجيعوهم؛ فإن الجائع يخلف فمه، وتتغير نكهته. والثاني: لا تحوجوهم إلىٰ تكرار الطلب والسؤال، فإن السائل ينضب ريقه، وتنشف لهواته، ويتغير ريح فمه).

(٣) في المصدر السابق: عمود.

(٤) في المصدر السابق: والله الله في الحج فإن بيت الله إذا خلا لم تناظروا.

(٥) في شرح النهج: في أهل بيت نبيكم!

والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم[١].

والله الله فيما ملكت أيمانُكم فإنها كانت آخر وصية رسول الله صلىٰ الله عليه وآله، إذ قال: أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم[٢].

ثم قال: الصلاةَ الصلاةَ! لا تخافوا في الله لومةَ لائم فإنه يكفكم من بَغَىٰ عليكم وأرادكم بسوء، قولوا للناس حسنًا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيُوَلِّي الأمر عنكم[٣] وتدعون فلا يستجاب لكم.

عليكم بالتواضع والتباذل والتَّبَارِّ[٤]، وإياكم والتقاطع والتفرق والتدابر ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيَّه[٥]، أستودعكم الله خير مستودَع، وأقرأ عليكم سلام الله ورحمته)[٦].

---

(١) في المصدر السابق: فشاركوهم في معايشكم وأموالكم.

(٢) عن علي ﷺ قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم». انظر: الحديث وتخريجه في مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٤. كما روي فيه عن أنس بن مالك ﷺ ١٩/ ٢٠٩. ونقل محققوه في الهامش قول السندي: (قوله: «وما ملكت أيمانكم»: الظاهر أن المراد به المماليك، أي احفظوا حقوقهم، والأموال مطلقًا، أي أدوا حقوق المال من الزكاة وغيرها).
وقال ابن أبي الحديد: (وقوله حكاية عن رسول الله ﷺ: «أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم» يعني به الحيوان الناطق والحيوان الأعجم)!

(٣) في شرح النهج فيتولىٰ ذلك غيركم.

(٤) في الوصايا: عليكم -يا بني- بالبر والتواصل والتبار.

(٥) في المصدر السابق: ﷺ. وهو نهاية الوصية فيه.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في مقاتل الطالبيين ٣٨-٤٠ وعنه في شرح نهج البلاغة ٦/ ١٢٠-١٢١ . كما وردت -باختصار يسير، وبعض تقديم وتأخير- في الوصايا لأبي حاتم السجستاني ١٥٠-١٥١.

[١١٩] وكتب عمر بن الخطاب[١] إلى ابنه عبد الله[٢]:

(يا بني، اتقِ الله، فإنه[٣] من اتقىٰ الله وَقَاه، ومن توكَّل عليه كَفَاه، ومن شكره زادَه[٤]، فلتكُن[٥] التقوىٰ عمادَ عينيك وجلاءَ قلبك[٦]، واعلم أنه لا عملَ لمن لا نيةَ له، ولا أجر لمن لا حِسْبَةَ له[٧]، ولا مالَ لمن لا رِفْقَ له[٨]، ولا جديدَ لمن لا خَلَقَ له[٩])[١٠].

---

(١) **صاحب الوصية:** عمر بن الخطاب القرشي العدوي، الفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين، اشتهر بالعلم والزهد، والشدة في الحق، وعظم الهيبة، أسلم في السنة السادسة، واستشهد ﷺ في آخر ذي الحجة من سنة ٢٣هـ.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٦٥، وجمل من أنساب الأشراف ١٠/ ٢٨٦، والإصابة ٤/ ٥٨٨.

(٢) **مناسبة الوصية:** كتب إليه بهذه الوصية في غيبة غابها. انظر العقد والأمالي.

(٣) في العقد والأمالي وزهر الآداب ونثر الدر: أما بعد فإنه [إنَّ] من اتقىٰ. وفي بهجة المجالس: أوصيك بتقوىٰ الله فإنه. وفي شرح النهج: يا بني اتقِ الله يقِك. وفي العقد وعين الأدب والسياسة: ومن اتكل. وفي بهجة المجالس: فإنه من اتقاه كفاه ووقاه.

(٤) في العقد وزهر الآداب: ومن شَكر له. وفي عين الأدب: ومن شكر الله. وفي شرح النهج: واشكره يزدك. وقبلها فيه: وأقرض الله يجزك. ووردت هذه الزيادة في سائر المصادر: ومن أقرضه جزاه.

(٥) في العقد والأمالي وزهر الآداب وبهجة المجالس وعين الأدب والسياسة: فاجعل. وفي نثر الدر: فعليك بتقوىٰ الله.

(٦) في العقد: عمارة قلبك وجلاء بصرك. ومثله في زهر الآداب وعين الأدب وفيهما: عماد. وفي الأمالي: جلاء بصرك، وعماد ظهرك. وفي بهجة المجالس: عماد بصرك، ونور قلبك.

(٧) في العقد وزهر الآداب وعين الأدب والسياسة: لا خشية له. وفي الأمالي: لا حسنة له. والحسبة: الاحتساب.

(٨) زاد قبله في بهجة المجالس: ولا إيمان لمن لا أمانة له. والرفق: إصلاح المال وحسن التدبير فيه.

(٩) الخلق من الثياب: القديم البالي.

(١٠) **التوثيق:** وردت الوصية في عيون الأخبار ١/ ٢٤٩. كما وردت في العقد ٣/ ١٥٠، والأمالي ٢/ ٥٥، وزهر الآداب ١/ ٣٤، ونثر الدر ٢/ ٣١ (باختصار يسير) وبهجة المجالس ٣/ ٢٤٧-٢٤٨، وشرح نهج البلاغة ١٢/ ٩، وعين الأدب والسياسة ٢٦٠-٢٦١، ووردت -باختصار شديد- في الحكمة الخالدة ١٦٩ وزاد فيها: ولا حرمة لمن لا دين له.

[١٢٠] كان عمر ﷺ يقول:

(يا بني لا تخرجْ من منزلِك حتىٰ تأخذَ حلمَك -يعني تتغَدَّىٰ-)[١].

[١٢١] قال عمر بن الخطاب لابنه عبد الرحمن[٢]:

(يا بني، انسبْ نفسَك وأمهاتك تصلْ رحمَك، واحفظْ محاسنَ الشعرِ يكثرْ أدبُك، فإن من لم يعرف نسبَه لم يصلْ رحمَه، ومن لم يعرف الشعر لم يؤدِّ حقًّا ولم يقترف أدبًا)[٣].

[١٢٢] قال عمر لبنيه:

(لا تديموا أكلَ اللحم، ولا تلِظُّوا[٤] بالماء العذب، ولا تديموا لُبْسَ

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٢/ ٧٣٧. وقد جاء في عيون الأخبار ٣/ ٢٢١: (عبد الملك بن عمير عن عمه عن الأصمعي: لا تخرج -يا بني-....). وفي شرح نهج البلاغة ١٩/ ١٨٦-١٨٧: (قال عبد الرحمن -ابن أخي الأصمعي-: كان عمي يقول لي: لا تخرج يا بني من منزلك حتىٰ تأخذ حلمك -يعني تتغذىٰ- فإذا أخذت حلمك فلا تزدد إليه حلمًا، فإن الكثرة تؤول إلىٰ قلة).

(٢) لعمر بن الخطاب ﷺ ثلاثة أبناء كلهم يسمىٰ عبد الرحمن: عبد الرحمن الأكبر، وأمه زينب بنت مظعون الجمحي، وعبد الرحمن الأوسط وأمه لهيَّة، أم ولد، ولقبه أبو المجبر، وعبد الرحمن الأصغر، وأمه أو ولد، وهو أبو شحمة، ولا عقب له. انظر: جمل من أنساب الأشراف ١٠/ ٢٩٤، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٣/ ٢٦٥-٢٦٦، ومناقب عمر ٢٦٤.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في جمهرة أشعار العرب ١/ ١٥٨، عن المفضل عن أبيه عن جده، وقد ورد في مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٢٢٠ قوله: (قال عمر: تعلموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم). وجاء في العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/ ٨٨: (كتب عمر إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري: مرْ مَنْ قِبَلَك بتعلُّم الشعر، فإنه يدل علىٰ معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب).

(٤) صححها المحقق: تلمظوا. وقال: في الأصل: لا تلظوا، وعلىٰ الصواب ما أثبتناه. وحين التأمل أجدني لا أميل إلىٰ ما ذهب إليه المحقق الفاضل، فلمظ تعني التذوق وأخذ ما يبقىٰ في الفم بعد الأكل باللسان، وسياق كلام عمر ﷺ هو البعد عن الترفُّهِ والتَّنَعُّمِ، بترك اعتياد الأشياء التي تذهب الخشونة. ولظ بالمكان: أقام به وألحَّ، وألظ بالكلمة: لزمها، فكأنه كما نهاهم عن إدامة اللحم نهاهم عن إدامة شرب الماء العذب.

القميص[1])[2].

[١٢٣] أوصى[3] عمر بن الخطاب ابنه عبد الله فقال:

(يا بني، عليك بخصال الإيمان. قال: وما هنَّ يا أبتِ؟ قال: الصوم في شدَّةِ أيامِ الصيف، وقتلُ الأعداءِ بالسيف، والصبرُ علىٰ المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي[4]، وتعجيلُ الصلاةِ في يوم الغيم، وترك رَدْغَةِ الخبال[5]، فقال: وما رَدْغَةُ الخبال؟ قال: شربُ الخمر)[6].

[١٢٤] قال عمرو بن العاص[7] لابنه[8]:

---

(١) القميص: اسم لما يلبس من المخيط الذي له كمان وجيب.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المصنف لابن أبي شيبة ٨/ ١٢٨.

(٣) **مناسبة الوصية**: (أوصىٰ ابنه عبد الله عند الموت) لباب الآداب.

(٤) إسباغ الوضوء: توفيةُ كلِّ عضوٍ حقَّه من الغسل. اليوم الشاتي: الشديد البرودة.

(٥) في جمل من أنساب الأشراف: ردعة (في الموضعين) تصحيف. قال الشيخ أحمد شاكر معلقًا عليها في تحقيقه لِلُباب الآداب: (الردغة -بفتح الراء وسكون الدال وفتحها-: الماء والطين والوحل الكثير. أي إن الله جعل في الخمر فساد الأمور واختلالها وخبالها).

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٥٩. كما وردت في جمل من أنساب الأشراف ١٠/ ٤٣٦-٤٣٧، ولباب الآداب ٢١.

(٧) **صاحب الوصية**: أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد السهمي القرشي، أحد الصحابة الكرام، كان من فرسان قريش، معروفًا بالفصاحة مشهورًا بالدهاء، فتح مصر زمن عمر ﷺ، وولاه معاوية ﷺ إياها، وتوفي وهو أمير عليها. اختلف في تاريخ وفاته اختلافًا بيِّنًا، وجعل ابنُ حجر الصحيحَ سنة ثلاث وأربعين، وعاش نحوًا من تسعين سنة.
انظر: المعارف ٢٨٥، والتبيين في أنساب القرشيين ٤١٣، والإصابة ٤/ ٦٥٠.

(٨) في مختصر تاريخ دمشق: لابنه عبد الله. وعبد الله أحد صحابة رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه، أسلم قبل أبيه، كان عالمًا عابدًا بكَّاءً، له مناقب وفضائل في العلم والعمل. انظر: الطبقات الكبرىٰ ٤/ ٢٦١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٧٩، والإصابة ٤/ ١٩٢.
وفي بهجة المجالس: اسمع عني ما أوصيك به.

(يا بني، والٍ عـادلٌ[1] خيرٌ من مطرٍ وابـلٍ[2]، وأسـدٌ حَطُومٌ خير من والٍ ظلوم[3]، ووالٍ ظلوم غَشُومٌ خير من فتنةٍ تَدُوم[4].

يا بني، عَثْرَةُ[5] الرِّجْلِ عَظْمٌ يُجْبَرُ، وعثرةُ اللسانِ لا تُبقي ولا تَذَرُ، وقد استراح من لا عقلَ له[6])[7].

---

(١) في اليعقوبي ونثر الدر والإعجاز والإيجاز ومحاضرات الأدباء ولباب الآداب ومختصر تاريخ دمشق: سلطان. وفي العقد الفريد والبصائر والذخائر: إمام.

(٢) في بهجة المجالس: ... عدل... وبل. والمطر الوابل والوبل: المتتابع المنهمر بغزارة.

(٣) جاء قبل هذه الجملة في محاضرات الأدباء: وعدل قائم أجدىٰ من عطاء دائم. وجاءت بقية الوصية بعدها: وسبع حطوم خير من والٍ غشوم، عدل السلطان خير من خصب الزمان. وأسد حطوم: يحطم كل شيء ويدقّه. (يسحقه ويكسره).

(٤) جاء بعدها في العقد الفريد: ولما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن. وهذه الجملة معروفة عن عثمان ﷺ. انظر: الكامل ١/ ٣٥٠، وزهر الآداب ١/ ٣٧، ونثر الدر ٢/ ٦٤، والإعجاز والإيجاز ٢٦.

(٥) في اليعقوبي والبصائر ونثر الدر ومختصر تاريخ دمشق: وزلة، (وكذا في الموضع الآتي)، وزاد في البصائر ونثر الدر: ولأن تمازح وأنت مجنون خير من أن يمازحك مجنون.

(٦) في اليعقوبي: واستراح، وفي مختصر تاريخ دمشق: استراح منِ لا عقل له، فأرسلها مثلاً. وقد ورد في جمهرة الأمثال: معناه: أن العاقل كثير الهموم والتفكّر في الأمور، ولا يكاد يتهنأ بشيء، والأحمق لا يفكر في شيء فيهتمُّ.. وقيل معنىٰ المثل: استراح الصبي الذي لا عقل له، فهو لا يفكر في شيء من مستقبل العيش.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاخر ٥٢، كما وردت في اليعقوبي ٢/ ٢٢٢ دون نسبة، والعقد ١/ ٢٠ (باختصار وزيادة) وفيه: وقالت الحكماء، وجمهرة الأمثال ١/ ١٤٧، والبصائر والذخائر ٥/ ٩٩: (وفيه جعلت الجملة الأخيرة وصية مستقلة)، ونثر الدر ٢/ ٨٤، والإعجاز والإيجاز ٥٨، ونسبه لأردشير ابن بابك أول الأكاسرة. وآداب الملوك ٥٤ (باختصار) دون نسبة، ومجمع الأمثال ٢/ ٤٤، ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٥١، وبهجة المجالس ١/ ٣٣٣، وربيع الأبرار ٤/ ٢٤٩ (باختصار)، ومحاضرات الأدباء ١/ ١٦٩ (بزيادة ونقص واختلاف)، ولباب الآداب ٣٤٦ (باختصار). ونسب منها قوله: (والٍ عادل... تدوم) لعلي ﷺ في سراج الملوك ١/ ٢١٥.

[١٢٥] وقال عمرو بن العاص لابنه[١]:

(انظر حاجبَك فإنَّه لحمُك ودمُك، فلقد رأيتنا[٢] بصفين وقد أَشْرَعَ قومٌ رماحَهم في وجوهنا[٣]، ما لنا ذنبٌ إليهم إلا الحجاب)[٤].

[١٢٦] وقال عمرو بن العاص لبنيه:

(اطلبوا العلم، فإن استغنيتم كان جمالًا، وإن افتقرتم كان مالًا)[٥].

[١٢٧] وقال عمرو بن العاص لولده:

(قصِّر إذا قلت، واقتصر إذا طُلْتَ[٦]، وإياك والإكثار! فإنه شَينُ العاقل وحَيْنُه[٧]

---

(١) **مناسبة الوصية**: قال ذلك لابنه حين وُلِّيَ ولاية.

(٢) في الأصل: رأينا. وأثبتُ ما في نهاية الأرب. وصفين: موضع بقرب الرقة علىٰ شاطئ الفرات من الجانب الغربي، وكانت فيه وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما غرة صفر من سنة ٣٧. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٧١. وكان عمرو بن العاص في صف معاوية.

(٣) زاد في نهاية الأرب: يريدون نفوسنا. أشرع: سدَّد. الحجاب: منع الدخول علىٰ الوالي بوضع حاجب (بواب) علىٰ الباب، وإذا كان الحاجب أريبًا عاقلًا عرف منازل الناس فأنزلهم إياها، وأحسن التصرف معهم، فصدر الناس راضين. وإذا كان الحاجب أحمق أرعن أساء التصرف مع القادمين علىٰ الوالي، ومنعهم الدخول، ولم يحسن صرفهم، ولم يعرف لذوي المنازل منازلهم، فصدر الناس محفظين علىٰ الوالي نفسه، حاملين عليه، وثمة أكثر من وصية بحسن اختيار الحاجب، لعظم مهمَّته ودقة موقعه.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٢/ ٨٢، كما وردت في نهاية الأرب ٦/ ٩١.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٢/ ٨٤. وقد نسبت -باختلاف يسير- إلىٰ عبد الملك بن مروان، كما نسبت في بعض المصادر إلىٰ مصعب بن الزبير.

(٦) قصِّر: أوجز. اقتصر علىٰ الشيء: اكتفىٰ به ولم يجاوزه ولعل الكلمة: اقتصد. والاقتصاد الاعتدال. طال طَولًا: أفضل وأنعم. والطول: الفضل والغنىٰ واليسر. والمراد: الاقتصاد في إنفاق المال وحسن تدبيره، وعدم الإسراف ولو كان المال كثيرًا.

(٧) الحَيْن: الهلاك.

الجاهل)[1].

[١٢٨] قال[2] أبو الدرداء[3]:

(يا بني، لا تتبعْ بصرَكَ كلَّ ما ترىٰ في الناس، فإنه من يتبع بصره كل ما يرىٰ في الناس يَطُل تَحَزُّنُه[4]، ولا يشفِ غيظَه، ومن لا يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه أو مشربه فقد قلَّ علمُه[5]، وحضر عذابُه، ومن لا يكن غنيًّا من الدنيا فلا دنيا له)[6].

[١٢٩] عن بلال بن أبي الدرداء قال:

(قال أبي: إذا رأيت الشرَّ فدعْهُ وأهلَه)[7].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في غرر الخصائص الواضحة ١٨٠.

(٢) **صاحب الوصية**: عويمر -وقيل عامر- بن يزيد بن قيس بن عبسة الأنصاري الخزرجي. وفي اسم أبيه وسلسلة نسبه اختلاف كبير، أسلم يوم بدر، وقال عنه ﷺ: حكيم أمتي. بعثه عمر لتعليم أهل الشام وتفقيههم، ومات هناك سنة ٣٢هـ.

انظر: الطبقات لخليفة ٩٥، والمعارف ٢٦٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٢، والإصابة ٤/ ٧٤٧.

(٣) زاد في كتاب الزهد لأبي داود: لابنه.

(٤) في المصدر السابق: فإن كل من تبع... يطول حزنه.

(٥) في المصدر السابق، فقد قصر عمله.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد لأحمد ١٩٦، كما وردت -دون الجملة الأخيرة- في كتاب الزهد لأبي داود السجستاني ٢٠٤. كما ورد قوله: (من يتبع نفسه... غيظه) -دون تصريح بأنها وصية- في المصنف لابن أبي شيبة ١٤/ ٣٩، والجامع لشعب الإيمان ١٤/ ٤٣٨، كما ورد قوله: (من لم يعرف نعمة... فلا دنيا له) في الحلية ١/ ٢١٠، وورد قوله: (من لم يعرف... عذابه) في مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٠.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد لأحمد ٤٤٥. وبلال بن أبي الدرداء، من أهل دمشق، كان يخلف عبد الملك بن مروان علىٰ دمشق، وولىٰ القضاء بعد النعمان بن بشير ثم عزل بأبي إدريس الخولاني، حدث عن أبيه وتوفي سنة ٩٣هـ. انظر: أخبار القضاة ٣/ ٢٠١، ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٥.

[١٣٠] قال أبو الدرداء لابنه:

(يا بني، ليكنْ المسجدُ بيتَك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: المساجدُ بيوتُ المتقين، فمن يكنِ المسجدُ بيتَه يُضمَن له الرَّوحُ والرحمةُ والجوازُ علىٰ الصراط إلىٰ الجنة)[١].

[١٣١] قال غيلان بن سلمة[٢]:

(يا بني[٣]، قد أحسنتُ خدمةَ أموالِكم، وأمجدتُ أمهاتِكم، فلن تزالوا بخيرٍ ما

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المصنف لابن أبي شيبة ١٣/ ٣١٧. وقد ورد في كشف الخفا ٢/ ٢٩٧: «المساجد بيوت المتقين» رواه البخاري في الأدب المفرد عن أنس، وزاد: وقد ضمن الله لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والراحة والجواز علىٰ الصراط، ورواه الطبراني والبزار وحسَّنه هو والمنذري عن أبي الدرداء بلفظ المسجد بيت كلِّ تقيٍّ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز علىٰ الصراط إلىٰ رضوان الله إلىٰ الجنة).
وورد في الدر المنثور ٣/ ٢١٦: «وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة والبزار وحسنه والطبراني والبيهقي عن أبي الدرداء ﷺ أنه كتب إلىٰ سلمان: يا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: المسجد بيت كل تقي، وقد ضمن الله لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والراحة والجواز إلىٰ الصراط إلىٰ رضوان الرب».
قلت: وقد وردت الوصية ضمن وصية مطوَّلة كتب بها أبو الدرداء إلىٰ سلمان رضي الله عنهما في مسند الشهاب١/ ٧٧ (ح٧٢)، والجامع في شعب الإيمان ١٩/ ٢٦٤، وحلية الأولياء ١/ ٢١٤، وصفة الصفوة١/ ٦٣١.

(٢) **صاحب الوصية**: غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفي، شريف، شاعر، أحد حكام قيس في الجاهلية، كانت له وفادة علىٰ كسرىٰ. أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، وكان تحته عشر نسوة فأمره النبي ﷺ أن يمسك أربعًا ويسرح باقيَهن. مات في آخر خلافة عمر.
انظر: الأغاني ١٣/ ٢٠١، وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨، والإصابة ٥/ ٣٣٠.

(٣) **مناسبة الوصية**: لما حضرته الوفاة، وكان أحصن عشرًا من نساء العرب في الجاهلية.

غذوتم من كريم وغذا[1] منكم، فعليكم ببيوتات[2] العرب، فإنها معارجُ[3] الكرم، وعليكم بكلِّ رَمْكَاءَ مَكِينَةٍ رَكِينَةٍ[4]، أو بيضاءَ رَزِينَةٍ[5]، في خِدْرِ[6] بيتٍ يُتْبَعُ، أو جَدٍّ[7] يُرْتَجىٰ، وإياكم والقصيرةَ الرَّطْلَةَ[8]! فإن أبغض الرجال إليَّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضلَ[9] عن حسبي، القصيرُ الرَّطْلُ. ثم أنشأ يقول: (الطويل)

وحـرَّةِ قـومٍ قـد تَنَـوَّقَ[10] فعلُهـا ... وزيَّنهـا أقوامُهـا فتزيَّنَـتْ

رحلـتُ إليهـا لا تُـردُّ وسـيلتي ... وحَمَّلْتُها من قومِها فَتَحَمَّلَتْ)[11]

[١٣٢] عن معاوية بن قرَّة أن أباه[12] كان يقول لبنيه إذا صلوا العشاء:

---

(١) غذا الطعامُ المولودَ غذاء: نفعه وكفاه وظهر عليه أثره. ومن المجاز: غذَي فلان بلبان الكرم.

(٢) بيوتات جمع الجمع لبيت. ويغلب علىٰ بيوت الشرف.

(٣) المعارج جمع معراج وهو المصعد والسلم. وفي أساس البلاغة (عرج): (وتقول: الشرف بعيد المدارج رفيع المعارج).

(٤) رمكاء: (الرمكاء السمراء، والرمكة لون الرماد) الأمالي ٢/ ٢٥٦، وفي اللسان (رمك): (قال ثعلب: قيل لامرأة: أي النساء أحب إليك؟ قالت: بيضاء وسيمة، أو رمكاء جسيمة، هؤلاء أمهات الرجال)، ومكينة: من مكن فلان عند الناس مكانة عظم عندهم. ركينة: رزينة وقورة.

(٥) الرزينة: الوقورة الحليمة.

(٦) الخدر: ستر يمدُّ للمرأة في ناحية البيت من الشَّعْر.

(٧) الجَدُّ: الغنىٰ.

(٨) الرطلة: الضعيفة الحمقاء.

(٩) يناضل: يدافع ويذود.

(١٠) تنوَّق فعلها: بالغت في تجويده وتجميله.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في الأغاني ١٣/ ٢٠٦. وقد وردت الجملتان الأوليان منها في صدر وصية عثمان ابن أبي العاص الثقفي.

(١٢) **صاحب الوصية**: قرة بن إياس بن هلال المزني، ويقال له: قرة بن الأغر، جدُّ إياس بن معاوية القاضي المشهور، شهد الخندق، وقتل في حروب الأزارقة سنة ٦٤هـ.
انظر: كتاب الطبقات لخليفة ٣٧، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٧٠، والإصابة ٥/ ٤٣٣.
وابنه: معاوية: إمام محدث ثقة زاهد عابد، مات سنة ١١٣هـ، عن ست وسبعين سنة.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٢٢١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٣، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢١٦.

(يا بني، ناموا لعل الله أن يرزقَكم من الليلِ خيرًا)[1].

[١٣٣] عن معاوية بن قرة قال: قال لي أبي:

(يا بني، إذا مرَّ بك الرجلُ فقال: السلام عليكم، فلا تقل: وعليك، كأنك تخصُّه بذلك وحده، فإنه ليس وحده، ولكن قل: السلام عليكم)[2].

[١٣٤] عن معاوية بن قرة قال لي أبي:

(يا بني، إذا كنت في مجلسٍ ترجو خيرَه، فعجلت بك حاجةٌ فقل: سلامٌ عليكم[3]، فإنك تشرَكُهم فيما أصابوا[4] في ذلك المجلس. وما من قومٍ يجلسون مجلسًا فيتفرقون عنه، لم يُذكر الله، إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار)[5].

[١٣٥] عن معاوية بن قرة قال: قال لي أبي:

(إذا مررت بالمجلس فسلِّم علىٰ أهله، فإن يكونوا في خيرٍ فأنت شريكُهم، وإن يكونوا في غير ذلك كان لك أجر. هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول)[6].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد لأحمد ٢٧٦، وحلية الأولياء ٢/ ٢٩٩.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في صحيح الأدب المفرد ٣٩٦ (ح٧٩١).

(٣) في المعجم الكبير وحلية الأولياء: فقلت: السلام عليكم. وفي مختصر تاريخ دمشق: فقل: السلام عليكم.

(٤) في حلية الأولياء ومختصر تاريخ دمشق: فأنت شريكهم فيما يصيبون، وفي المعجم الكبير: فإنك شريكهم فيما يغنمون.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في صحيح الأدب المفرد ٣٨٧ (ح٧٧١). كما ورد قوله: (يا بني... المجلس) في حلية الأولياء ٢/ ٣٠١ وفيه: (رواه جعفر بن سليمان عن بسطام عن معاوية أن لقمان قال لابنه مثله)، والمعجم الكبير ١٩/ ٢٥٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٥.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في المعجم الكبير للطبراني ١٩/ ٢٨. وقد ورد في الكامل للمبرد ١/ ٢٢٩، والعقد الفريد ١/ ١٤٧، ونثر الدر ٧/ ٣٨ قال لقمان لابنه: (إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام، ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجِلْ سهمَك مع سهامهم،=

[١٣٦] عن معاوية بن قرة قال: قال لي أبي:

(يا بني، إذا كنت في قوم يذكرون الله -تعالىٰ- فبدت لك حاجةٌ فسلِّم عليهم حين تقوم فإنك لا تزال لهم شريكًا ما داموا جلوسًا)(١).

[١٣٧] عن معاوية بن قرة [عن أبيه] أنه قال:

(يا بني، جالس الصالحين من عباد الله، فإنك ستصيب بمجالستهم خيرًا، ولعله يكون في آخر ذلك أن تنزل الرحمة عليهم وأنت فيهم فتصيبَك معهم)(٢).

[١٣٨] قال كعب الأحبار(٣):

(إن سرَّك أن يغبطك الصافُّون المسبِّحون(٤)، فحافظ علىٰ صلاة الضحىٰ؛ فإنها

=وإن أفاضوا في غيره فخلِّهم وانهض). وجاءت روايته في ربيع الأبرار ٢/ ٣٣٢: (يا بني إذا أتيت نادي القوم فارمهم بسهم الإسلام، ثم اجلس في ناحيتهم، فلا تنطق حتىٰ تراهم نطقوا، فإن رأيتهم قد نطقوا في ذكر الله فأجرِ سهمك معهم، وإلا فتحول من عندهم إلىٰ غيرهم)، وقد وردت فيه أيضًا -باختصار- ٢/ ٣١٣. وفي نثر الدر: يريد بسهم الإسلام السلام.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٢/ ٣٤.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الجامع لشعب الإيمان ١٦/ ٧٣ وفيه قال بسطام [بن مسلم الراوي عن معاوية]: فلا أدري عن أبيه أو عن لقمان.

(٣) **صاحب الوصية**: هو كعب بن ماتع الحميري اليماني، كان علىٰ دين اليهود، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة علىٰ عهد عمر ﵁، وسكن الشام في آخر عمره، كان عالمًا محدثًا، خبيرًا بالكتب الإسرائيلية محدثًا عنها، توفي بحمص سنة ٣٢هـ، وهو في طريقة إلىٰ الغزو.

انظر: المعارف ٤٣٠، والطبقات الكبرىٰ ٧/ ٤٤٥، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩.

(٤) ورد في سورة الصافات في الآيتين ١٦٥، ١٦٦قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦]. وجاء في الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٣٨: (وكان عمر يقول إذا قام للصلاة: أقيموا صفوفكم واستووا إنما يريد الله بكم هدي الملائكة عند ربها، ويقرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ تأخر يا فلان، تقدم يا فلان؛ ثم يتقدم ويكبر... وقيل: نحن الصافون حول العرش. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أي المصلون، قاله قتادة. وقيل: أي المنزَّهون الله عما أضافه إليه المشركون).

صلاة الأوابين[1]، وهم المسبحون)[2].

[١٣٩] قال معاذ بن جبل ﷺ[3][4]:

(يا بني، أظهروا اليأس مما عند الناس فإنه غنىً، وإياكم وطلبَ الحاجاتِ فإنه فقرٌ حاضرٌ، وإياكم وما يعتذرُ منه من القولِ والفعلِ، وإذا صليت -يا بني- فأسبغ الوضوء، وصلِّ صلاةَ مودِّعٍ يرىٰ أنه لن يؤوبَ إلىٰ أهلِه، فإن استطعت أن تكونَ اليوم خيرًا منك أمس، وغدًا خيرًا منك اليوم فافعل)[5].

---

(١) جاء في صحيح مسلم ١/ ٥١٦ ح١٤٣ (عن القاسم الشيباني أن زيد بن أرقم رأىٰ قومًا يصلون من الضحىٰ، فقال: أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال». الأوابون: جمع أواب، وهو المطيع. وقيل: الراجع إلىٰ الطاعة. ترمض الفصال. تحترق أخفاف الفصال (صغار أولاد الإبل)، وذلك من شدة الحر.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٥/ ٣٨٣.

(٣) **صاحب الوصية**: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي، بعثه النبي ﷺ إلىٰ اليمن قاضيًا ومعلمًا، وقال عنه: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ». توفي سنة ثماني عشرة، وهو ابن أربعة وثلاثين عامًا.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٣٤٧، وحلية الأولياء ١/ ٢٢٨، وسير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٣.

(٤) **مناسبة الوصية**: أوصىٰ ابنه عند موته، وقد ورد في صدر الوصية (أظهروا... وإياكم... وإياكم...) ثم عدل إلىٰ صيغة المفرد: (وإذا صليت... وصل...)! ومعاذ بن جبل ﷺ (قال علي بن محمد المدائني: لم يولد له قط) -سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٥- ولكن قال ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٥٨٣: (وكان لمعاذ من الولد أم عبد الله وهي من المبايعات... وكان له ابنان أحدهما عبد الرحمن ولم يسمَّ لنا الآخر). ولكن المصادر تشير إلىٰ أن عبد الرحمن (بِكْرَهُ الذي كان به يكنىٰ، وأحب الخلق إليه) -كما في الحلية ١/ ٢٤٠- مات في طاعون الشام قبل أبيه كما في مصادر ترجمة معاذ ﷺ.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٦٢ وجاء في صدرها: (قال أبو حاتم: وحدثونا عن أبي يعقوب عن ابن عمير -يعني عبد الملك- أن رجلًا من أهل الشام أوصىٰ ابنه عند موته، وذكر أنه بلغه أن معاذ بن جبل قال: ...). وقد ورد في إصلاح المال ٣٦٤ بسند ينتهي إلىٰ عبد الملك بن عمير -المشار إليه في سند الوصية السابقة-: (قال أبو مسلم الخولاني: أظهر=

[١٤٠] قال معاذ بن جبل لابنه:

(يا بني، إذا صليتَ صلاةً فصلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ، لا تظن أنك تعود إليها أبدًا، واعلم يا بني أن المؤمنَ يموتُ بين حسنتين: حسنةٍ قدَّمها، وحسنةٍ أخَّرَها)[١].

[١٤١] عن أبي هريرة[٢] أنه قال لابنته:

=اليأس مما في الناس (هكذا، وواضح أن كلمة (أيدي) ساقطة) فإنه فيه الغنىٰ، وأَقِلَّ طلبَ الحاجات إلىٰ الناس فإن فيه الفقر الحاضر، وإياك وما يعتذر منه من الكلام، وصلِّ صلاة من يظن أنه لا يعود، وإن استطعت أن تكون اليوم خيرًا منك أمس، وتكون غدًا خيرًا منك اليوم فافعل). وورد الكلام نفسه منسوبًا لأبي مسلم في مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٦٥ وفيه: (وصلِّ صلاة مودع يظن أن لن يعود). وقد وردت الوصية باختلافات يسيرة في المصنف لابن أبي شيبة ١٤/ ٢٦ (عن عبد الملك بن عمير قال: أوصىٰ رجل ابنه). كما وردت في الزهد لابن المبارك ٢/ ٦٤٢ وبالسند عنه في جمل من أنساب الأشراف ١١/ ٢٣٤ وفيهما: (أوصىٰ رجل ابنه).

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد لأحمد ٢٦٤، وحلية الأولياء ١/ ٢٣٤، وصفوة الصفوة ١/ ٤٩٦، وصدر هذه الوصية -مع وصية معاذ الأولىٰ- يتشابهان تشابهًا كبيرًا مع وصايا نسبت لسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبير وسعد القصير وسعد بن عمارة.. حتىٰ لكأنها وصية واحدة اختلف في نسبتها، ولعل مردَّ ذلك إلىٰ أن هناك حديثًا عن النبي ﷺ هو أصل هذه الوصايا؛ زاد بعضهم في وصيته عليه، واكتفىٰ بعضهم به. فقد ورد في المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم ٤/ ٣٢٦-٣٢٧ (عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز، فقال له رسول الله ﷺ: عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه)، وسعد راوي الحديث أحد من أوصىٰ ولده به. وانظر: التعليق علىٰ وصية سعد بن عمارة.

(٢) **صاحب الوصية**: عبد الرحمن بن صخر (علىٰ الأصح من ثلاثين قولاً! إذ اختلف في اسمه واسمه أبيه اختلافًا كبيرًا) الدوسي، أسلم عام خيبر، ولازم النبي ﷺ، وهو أكثر الصحابة حديثًا وأحفظهم، روىٰ عنه نحو من ثمانمئة رجل. توفي بالمدينة سنة ٥٧هـ.
انظر: الاستيعاب ٣/ ١٧٦٨، وأسد الغابة ٥/ ٣١٨، والإصابة ٧/ ٤٢٥. وابنته لم أقف علىٰ اسمها، لكن جاء في الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٣٨٠ في ترجمة سعيد بن المسيب: (وجلُّ روايته المسندة عن أبي هريرة، وكان زوج ابنته).

(يا بنية: لا تلبسي المذهب[1] إني أخاف عليك اللَّهَبَ[2]، ولا تلبسي الحرير إني أخشىٰ عليك الحريق)[3].

(١) في الجامع لشعب الإيمان: الثوب المذهب، وفي المصنف والحلية وتذكرة الحفاظ وسير أعلام النبلاء: لا تلبسي الذهب.

(٢) في المصنف: حرَّ اللهب.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد لأحمد بن حنبل ٢٢٤، كما وردت دون الجملة الأخيرة (ولا تلبسي) في المصنف لعبد الرزاق ١١/ ٧٠، وحلية الأولياء ١/ ٣٨٠، والجامع لشعب الإيمان ١١/ ١٧٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٦٢٢. وقد جاء في الحلية عن طاوس: (سمعت أبا هريرة يقول لابنته: قولي أبىٰ أبي أن يحليني الذهب، يخشىٰ عليَّ حرَّ اللهب)!

وعلق محقق سير أعلام النبلاء علىٰ ذلك بقوله: (وقوله هذا محمول علىٰ سبيل الورع، أو لدفع الخيلاء والفخر وغير ذلك، لأن النبي ﷺ أباح للنساء لبس أنواع الحلي من الذهب، كالطوق والخاتم والسوار والخلخال والدمالج والقلائد، وهو مما لا خلاف فيه بين المسلمين كما ذكر غير واحد من العلماء). وفي المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ١١/ ٧٠ رقم (١٩٩٣٥): عن طاوس (سمعت أبا هريرة يقول لابنته: قولي يا أبي إن تحلِّني الذهب تخشَ عليَّ حر اللهب).

وقال الذهبي في السير ٢/ ٦٢٩: (هذا صحيح عن أبي هريرة، وكأنه كان يذهب إلىٰ تحريم الذهب علىٰ النساء أيضًا، أو أن المرأة إذا كانت تختال في لبس الذهب وتفخر فإنه يحرم، كما فيمن جر ثوبه خيلاء).

وروىٰ ابن عساكر (١٩/ ١٢٤/ ٢) من طريقين آخرين أن ابنةً لأبي هريرة قالت له: إن الجواري يعيِّرنني يقلن: إن أباك لا يحلِّيك الذهب فقال: قولي لهن: إن أبي لا يحليني الذهب، يخشىٰ عليَّ من اللهب) آداب الزفاف ٢٤٤ للألباني.

وصايا العصر الأموي

[١٤٢] قال أبجرُ بن جابر العجلي[١] لابنه حجَّار[٢]:

(إياكَ أن تكونَ لك همَّةٌ دون الغايةِ القصوىٰ. وإياكَ والسآمةَ[٣]، فإنك إن سَئمتَ قذفتك الرجالُ خَلْفَ أعقابها. وإذا دخلت مصرًا فأكثر[٤] من الصديقِ فإنك علىٰ العدوِّ قادرٌ. وإذا حضرت بابَ السلطان فلا تنازعنَّ بوَّابَه علىٰ بابه، فإنَّ أيسرَ ما يلقاك منه أن يعلقَكَ[٥] اسمًا يسبُّك به الناس. فإذا وصلت إلىٰ أميرك فبوِّئ[٦] لنفسك منزلًا يجمُل بك، وإياك أن تجلس مجلسًا تُقام منه، أو أن تجلس مجلسًا يُقصِّر بك[٧]. فإن أنت جالست أميرك فلا تجالسْه بخلاف هواه، فإنك إن فعلت

(١) **صاحب الوصية**: هو أبجر بن جابر بن بجير العجلي، أبو حجار، شريف من أشراف عجل وأحد قادتها في حروبها، وكان من نصارىٰ بني عجل، ومات علىٰ نصرانيته عام ٤٠هـ. انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٥-٣٥٦، ٥/ ١٤٥-١٤٦، والتنبيه علىٰ أوهام أبي علي في أماليه ١٢٢، والكامل في التاريخ ١/ ٦٣٧. وابنه حجار كان نصرانيًّا فأسلم علىٰ يد عمر بن الخطاب ﷺ، كان من أشراف أهل الكوفة. وكان عظيم المنزلة عند بشر بن مروان في أثناء ولايته العراق. انظر: الاشتقاق ٣٤٥، والأغاني ١٤/ ٢٣٩.

(٢) **مناسبة الوصية**: كان حجار بن أبجر نصرانيًّا فرغب في الإسلام، فأتىٰ أباه فقال: يا أبه إني أرىٰ أقوامًا قد دخلوا في هذا الدين، ليس لهم مثلُ قِدَمي ولا مثل آبائي، فشرفوا، فأحب أن تأذن لي فيه. قال: يا بني إذا أزمعت علىٰ هذا فلا تعجل حتىٰ أقدم معك علىٰ عمر فأوصيه بك. وإن كنت لا بد فاعلًا فخذ مني ما أقول لك...) الفاخر ٢٤٧.

(٣) في الأمثال (٢٣٠) وربيع الأبرار: والسآمة في طلب الأمور فتقذفك. وفي ربيع الأبرار: في أعقابها. والأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم.

(٤) في المعمرون: فاستكثر. وفي عيون الأخبار ونثر الدر ٤/ ٢٠٥: فاستكثر من الصديق فأما العدو فلا يهمنك، وفي ٦/ ٤١٢ منه: واستكثر... فإن العدو كثير.

(٥) أعلق الشيء بالشيء: علَّقه، أي يلصق بك اسمًا يلازمك.

(٦) بوئ: هيئ واختر وانزل.

(٧) في مجمع الأمثال: وإياك أن تجلس مجلسًا يقصر بك.

ذلك لم آمن عليك إن لم يعجِّلْ عقوبتك أن يَنْفُرَ قلبُه عنك، فلا يزال منك منقبضًا[١].
وإياك والخطبَ فإنها مِشْوارٌ[٢] كثير العِثار[٣]. وإياك أن تكون[٤] حلوًا فتُزدردَ، ولا مرًّا فتلفَظَ[٥]. واعلم أن أَمْثَلَ القومِ بقيةً[٦] الصابرُ عند نزول الحقائق[٧]، الذائدُ عن الحُرَم[٨])[٩].

---

(١) منقبضًا: مبتعدًا مشمئزًا.
(٢) في المعمرون وبهجة المجالس ونثر الدر: نشوار. والنشوار: ما تبقيه الدابة من العلف، فارسي معرَّب (الصحاح: نشر). والمراد أن الخطب فيها فضل كلام لا يُؤْمَنُ الصوابُ فيه، فيعثر اللسان. (كذا فسره محقق الوصايا، ونقله عنه -دون إشارة- محقق نثر الدر). قلت: وقد يطلق النشوار علىٰ ما يظهر من كلام حَسَنٍ، يقال: إن لفلان نشوارًا حسنًا أي: كلامًا حسنًا، وقد ورد ذلك عن القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق التنوخي في حاشيةٍ علىٰ إحدىٰ نسخ نشوار المحاضرة، وقال عن أبي جعفر المذكور في الحاشية نفسها: وهو حجة في رواية اللغة. (انظر: نشوار المحاضرة ١/ ١٠ هامش [١]). والمشوار: المكان الذي تعرض فيه الدواب ليُعرَفَ سيرُها. والمشوار: المنظر الحسن، والمشوار: ما أبقت الدابة من علفها. وعقَّب الأزهري في تهذيب اللغة ١١/ ٤٠٥ علىٰ المعنىٰ الأخير بقوله: (قال الخليل سألت أبا الدقيش عنه، فقلت: نشوار أو مشوار؟ فقال: نشوار، وزعم أنه فارسي).
(٣) العثار: الزلل والسقوط.
(٤) في مجمع الأمثال: ولا تكن حلوًا. تزدرد: تبلع. والمعنىٰ: يهون أمرك.
(٥) هذا مثل ورد، باختلاف ألفاظ، في الأمثال لأبي عبيد ٢١٩، والبيان والتبيين ٣/ ٢٥٥، وفصل المقال ٣١٦، والمستقصىٰ ٢/ ٢٥٨، ومجمع الأمثال ٣/ ١٨٧. والمثل يضرب للتوسط في الأمور بين الغلو والتقصير. وجاء في كشف الخفا ٢/ ٣٧٧: (لا تكن حلوًا فتبلع، ولا مرًّا فتلفظ، هو من حكم لقمان، قاله لابنه. أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد، والبيهقي عن الحسن رضي الله تعالىٰ عنه).
(٦) في بعض نسخ الأمثال ومجمع الأمثال: أحسن القوم تقية. ولعل معنىٰ بقية بقاء ذكر. وتقية: اتقاء للمعايب.
(٧) الحقائق: جمع حقيقة، وهو ما يحق علىٰ الرجل أن يحميه، يقال: فلان حامي الحقيقة، وحقيقة الرجل: ما يلزمه حفظه ومنعه، ويحق عليه الدفاع عنه من أهل بيته. وحقَّ: وجب، ولعل المراد بنزول الحقائق: حلول الأمور الموجبة للدفاع عما ذُكر.
(٨) في الأمثال: الحرمة. وحرم الرجل: عياله ونساؤه وما يحميه.
(٩) التوثيق: وردت الوصية في الفاخر ٢٤٧ (عن ابن الكلبي) وعنه -فيما يبدو- في مجمع=

[١٤٣] قال الأحنف بن قيس لابنه[1]:

(يا بني، اتخذ الكذب كنزًا)[2].

[١٤٤] وقال الأحنف بن قيس لابنه:

(يا بني، يكفيك من شرف الصدق أن الصدوقَ[3] يُقبَل قولُه في عَدُوِّه، ومن

=الأمثال (عن الكلبي!) وورد في عيون الأخبار ٣/ ١: (حدثنا سهل بن محمد قال: حدثنا الأصمعي قال: أخبرنا العجلي (!) قال بعض الأدباء (!) لابنه: يا بني إذا دخلت... وإياك والخطب... العثار) ووردت فقرة منها في بهجة المجالس ١/ ٧٣ وفيه: (الحر بن جابر -وكان أحد حكماء العرب-) وهو تصحيف. ووردت منها فقرتان في نثر الدر ٦/ ٤١٢ وجاءت المقدمة فيه مختلفة مع زيادة علىٰ النحو الآتي: (وأوصىٰ أبجر بن جابر العجلي ابنه حجارًا حين أراد الإسلام فقال له: إن كان لا بد لك من الإسلام فاحفظ عني ثلاثًا: انزل من هذا السلطان بحيث أنزلك، فإنه إن يقال لك: تقدَّم قدامك خير من أن يقال لك: تأخر وراءك، واستكثر من الصديق، فإن العدو كثير، وإياك... العثار) وورد فيه جملة: واستكثر.... ٤/ ٢٠٥ وفيه الحر العقيلي، وهو تصحيف. وورد منها قوله: (يا بني إياك والسآمة.. أعقابها) في ربيع الأبرار ٣/ ٨٨. وفي مجمل اللغة لابن فارس (شور): ويقولون: إياك... والعثار. وكذا في اللسان (شور) وفيه: يقال.

(١) **صاحب الوصية**: الضحاك أو صخر بن قيس بن معاوية بن حصن التميمي، والأحنف لقب غلب عليه وعرف به، ضرب به المثل في الحلم، كان سيد قومه، فصيحًا موصوفًا بالعقل والدهاء مع دمامة فيه، توفي بالكوفة -علىٰ الأشهر- سنة سبع وستين.

انظر: **الطبقات** لخليفة ١٩٥، وجمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٣١٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٩. وكان للأحنف ولد يقال له بحر، وبه كني، وكان مضعوفًا. قيل له: مالك لا تكون مثل أبيك؟ قال: الكسل. انظر: البيان والتبيين ٢/ ٢٥٢، وجمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٣٤٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٠٦.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٢/ ٢٦ وفيه بعدها: (أي لا تخرجه)، كما وردت في جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٣٢٧، وفيه بعدها: (لا تنفقه) وتهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٢٢ وفيه: (أي لا تكذب أبدًا بل اجعل الكذب كنزًا فلا تظهره أبدًا).

(٣) في نهاية الأرب: الصادق.

دناءة الكذب أن الكذَّابَ لا يُقبل قولُه في صديقه ولا عدوِّه)[1].

[١٤٥] قال الأحنف لابنه:

(يا بني، إذا كنتَ قليلًا فلا تكُن خبيثًا)[2].

[١٤٦] وقال الأحنف لابنه -وكان دميمًا-:

(إنَّك قليلٌ فكُن فطنًا)[3].

[١٤٧] وقال الأحنف لابنه:

(يا بني، إذا أردت أن تؤاخيَ رجلًا فأغضبه، فإن أنصفَك وإلا فاحذره)[4].

[١٤٨] وقال الأحنف بن قيس لابنه:

(يا بني، تعلَّمِ الردَّ كما تُعَلَّمُ[5] الإعطاء، فلأن تعلم بنو تميم أن عندك مئة ألف خيرٌ لك من أن تعطيهم مئة ألف)[6].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في: ربيع الأبرار ٢/ ٥٩٠، كما وردت في: نهاية الأرب ٣/ ٢٣٨.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في: جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٣٣٨.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في: محاضرات الأدباء ١/ ٢٧٨.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في: سراج الملوك ١/ ٣٣٨، كما وردت في: المستطرف ٣٠٨، وفي المخلاة ١٨٢(دون تصريح بأنها وصية)، وقد نسبت إلىٰ لقمان في عيون الأخبار ١/ ٢٩٠ وفيه: (إن أردت... في غضبه وإلا فدعه)، وروضة العقلاء ٩١، ونثر الدر ٧/ ٣٧ وفيهما: (فإن أنصفك عند غضبه وإلا فدعه)، ومختار الحكم ٢٧٦ وفيه: (فإن أنصفك وهو مغضب)، ونسبت إلىٰ الحكيم في الحكمة الخالدة ١٨٠. ونسبت لعلي ﷺ في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣٢٥.

(٥) هكذا جاء في الأصل، ولعل الصواب: كما تتعلم.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في المخلاة ٣٥١، وقد وردت في عيون الأخبار ٣/ ١٣٨ منسوبة إلىٰ يزيد بن عمير الأسيِّدي، ولعلها به أليق.

[١٤٩] قال أسماء بن خارجة الفزاري[١] لابنته هند[٢]:

(يا بنية، إن الأمهاتِ يؤدِّبْنَ البنات، وإن أمَّك هلكتْ وأنت صغيرةٌ، فعليك بأطيبِ الطِّيبِ الماء، وأحسن الحسن الكحل[٣]، وإياك وكثرةَ المعاتبة فإنها مَقْطَعَةٌ للودِّ، وإياك والغيرة[٤] فإنها مفتاحُ الطلاق. وكوني لزوجِك أمة يكن لك عبدًا، واعلمي أني القائل لأمِّك حيث أقول: (الطويل)

خذي العفوَ منِّي تستديمي مودتي	ولا تغضبي في سورَتي حين أغضبُ
ولا تنقُرِيني نَقْرَكِ الدُّفَّ مرةً	فإنك لا تدرين كيف المُغَيَّبُ
فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذىٰ	إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ)[٥]

[١٥٠] وأوصى أسماء بن خارجة الفزاري -وكان من حكماء العرب- ابنته[٦]:

---

(١) **صاحب الوصية**: أبو حسان أسماء بن خارجة الفزاري، أحد الأجواد، من الطبقة الأولىٰ من التابعين من الكوفة، كان شريفًا سيدًا شاعرًا، ساد الناس بمكارم الأخلاق. توفي سنة ٦٦هـ وهو ابن ثمانين سنة. انظر: مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤٤، وفوات الوفيات ١/ ١٦٨، والوافي ٩/ ٥٩.

وهند بنت أسماء قال عنها العتبي: لم يكُن في زمانها امرأة تشبهها جمالًا وكمالًا وعقلًا وأدبًا، كانت زوج عبيد اللَّه بن زياد، وكانت لا تفارقه، وحين قتل حزنت عليه جدًّا، ثم تزوجت الحجاج ويبدو أنها لم تكُن معه علىٰ وفاق فطلقها.

انظر: تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٣٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٤.

(٢) **مناسبة الوصية**: (زوَّج أسماء بن خارجة الفزاري ابنته هندًا من الحجاج بن يوسف، فلما كانت ليلة البناء بها قال لها أسماء...) الأغاني والتذكرة الحمدونية.

(٣) في ربيع الأبرار: الكحل والحناء.

(٤) في ربيع الأبرار: والغيرة في غير موضعها.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في الأغاني ٢٠/ ٣٣٣ (بسند إلىٰ الزبير بن بكار). كما وردت في التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٩، وربيع الأبرار ٤/ ٢٨٢ (باختصار)، واختلطت ألفاظها بوصيتين لأبي الأسود ولعبد اللَّه ابن جعفر (وثمة تخريج الأبيات. وانظر الوصية اللاحقة وتاليتها).

(٦) **مناسبة الوصية**: ليلة زفافها.

فقال[1]: (يا بنية، قد كانت والدتُك أحقَّ بتأديبك مني لو كانت باقيةً، وأمَّا الآن فإني أحقُّ بتأديبك من غيري، افهمي عني ما أقول: إنك قد خرجت من العشِّ الذي فيه درجتِ وصرت إلىٰ فراشٍ لا تعرفينه[2]، وقرينٍ لم تألفيه[3]، كوني له أرضًا يكون لك سماء، وكوني له مهادًا يكون لك عمادًا[4]، فكوني له أمة يكون لك عبدًا، لا تلحفي به فيقلاك[5]، ولا تتباعدي[6] عنه فينساك، إذا دنا فاقربي منه وإن نَأَىٰ فأبعدي عنه، واحفظي أنفَه وسمعَه وعينَه، لا يشمُّ منك إلا طيبًا ولا يسمع إلَّا حسنًا ولا ينظر إلَّا جميلًا[7]، وأنا الذي أقول لأمك ليلة بنائي بها: (الطويل)

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب[8]

ولا تنقريني نقرك الدفَّ مرة ... فإنك لا تدرين ماذا المغيَّب[9]

(١) في إحياء علوم الدين: روي أن... قالت لابنتها (!) عند التزوج، ولكن جاء في تحفة العروس -وقد صرَّح بالنقل عنه-: زوج... ابنته، فلما أراد هداءها قال لها، وفي مختصر تاريخ دمشق: فلما أراد أن يهديها إلىٰ زوجها أتاها فقال.

(٢) في إحياء علوم الدين: لم تعرفيه.

(٣) في تحفة العروس: لا تألفينه! وفي الجمل الثلاث بعدها: (كوني ... يكون)، خروج عن القاعدة النحوية الأصلية، وهي جزم الفعل الأخير، جوابًا للطلب، وإن كان يمكن تأويلها علىٰ الاستئناف.

(٤) مهَّد الفراش: بسطه ووطأه، ومهَّد الأمر: وطَّأه وسهَّله. أي كوني له كما يحب، والعماد: خشبة تقوم عليها الخيمة، وكل ما رفع شيئًا وحمله، والمراد يكون لك كما تحبين، ومعينًا لك حين تحتاجين. والجملة بعدها (فكوني) هكذا وردت، والسياق يقتضي: وكوني.

(٥) تلحفي: تلحِّي عليه، بطلب شيء. يقلاك: يبغضك.

(٦) في إحياء علوم الدين: ولا تباعدي.

(٧) تنتهي الوصية في إحياء علوم الدين وتحفة العروس عند هذا، ولكن جاء بعدها في الأول: (وقال رجل لزوجته: ...) ثم أورد الأبيات الثلاثة ومعها رابع، جعله ثالثها، وهو:

ولا تكثري الشكوىٰ فتذهب بالهوىٰ ... ويأباك قلبي والقلوب تَقَلَّبُ

(٨) تستديمي مودتي: تدوم لك محبتي. سورة الغضب: شدته وحدته وهياجه.

(٩) المغيَّب: المخفىٰ والمستور.

فإني رأيت الحبَّ في القلب والأذىٰ ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب)[1]

[١٥١] قال أسماء بن خارجة الفزاري لابنته[2]:

(يا بنية كان النساء[3] أحقَّ بأدبك[4] مني، ولا بدَّ لي من تأديبك. يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبدًا، لا تدني منه فتُملِّيه[5]، ولا تباعدي عنه فتَثْقُلي[6] عليه ويثقلَ عليك. وكوني كما قلتُ لأمِّك: (الطويل)

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وإني[7] رأيت الحبَّ في الصدر والأذىٰ ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب[8])

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في قوت القلوب ٢/ ٤٢٥ وعنه -فيما يبدو- في إحياء علوم الدين ٢/ ٥٨ (إذ بُني إحياء علوم الدين علىٰ قوت القلوب)، ونقلها التجاني في تحفة العروس عن الإحياء ١٥٤ . وبعض جملها وردت ضمن وصية أمامة بنت الحارث التغلبية لابنتها أم إياس (راجع وصيتها في موضعها).

(٢) **مناسبة الوصية**: زوَّج أسماء ابنته، فلما أراد أن يهديها إلىٰ زوجها أتاها فقال: ...

(٣) الروايات: في بهجة المجالس: إن كان النساء.

(٤) في بهجة المجالس ومختصر تاريخ دمشق: بتأديبك.

(٥) في الأصل: لا تدنين منه فتملينه! وفي الجامع لشعب الإيمان: فيملك. وفي بهجة المجالس: ولا تقربي منه جدًّا فيملَّك أو تملِّيه.

(٦) في فوات الوفيات والوافي بالوفيات: ولا تباعدي عنه فيتغيَّر عليك.

(٧) في سائر المصادر: فإني. وقد ورد في بهجة المجالس بيت ثالث ورد ضمن الوصية في روايتها السابقة.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب العيال لابن أبي الدنيا ١/ ٢٨٨، كما وردت في بهجة المجالس ٣/ ٥٦، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٣٨٢، وقد وردت دون المقدمة (يا بنية كان... تأديبك) في الجامع لشعب الإيمان ١٥/ ٢٤٢، وفوات الوفيات ١/ ١٦٩، والوافي بالوفيات ٩/ ٦١ (وهي في الأخيرين عن ابن عساكر)، ورواية ابن أبي الدنيا وابن عساكر والبيهقي تنتهي بسند واحد، وجملة (كوني له أمة يكن لك عبدًا)، وردت ضمن وصية أمامة بنت الحارث التغلبية. وانظر نسبة الأبيات وتخريجها عند وصية أبي الأسود الدؤلي.

[١٥٢] قال إسماعيل بن عبيد الله لبنيه(١):

(يا بنيَّ، أكرمَوا من أكرمَكم وإن كان عبدًا حبشيًّا، وأهِينُوا من أهانكم وإن كان رجلًا قرشيًّا)(٢).

[١٥٣] أوصى أبو الأسود(٣) **ابنه فقال:**

(يا بُني، إذا جلست في قومٍ فلا تتكلَّمْ بما هو فوقك(٤) فيمقتوك(٥)، ولا بما

---

(١) **صاحب الوصية**: إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر -واسمه أقرم- المخزومي -ولاء- الدمشقي، أبو عبد الحميد، كان يؤدب وَلَدَ عبد الملك بن مروان، استعمله عمر بن عبد العزيز علىٰ إفريقية، كان محدثًا ثقة، توفي سنة ١٣١هـ.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٣٦٦، وتهذيب الكمال ٣/ ١٤٣، وتهذيب التهذيب ١/ ٣١٧.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في: تهذيب الكمال ٣/ ١٥٠، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٣٥٩، وبغية الطلب ٤/ ١٧٠٣، وورد في المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٠٥ (قال إسماعيل بن عبيد الله: إذا رأيت الرجل يكرمك فأكرمه).

(٣) **صاحب الوصية**: أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي -وفي اسمه ونسبته اختلاف كثير- كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علي بن أبي طالب ﷺ، وشهد معه صفين وجعله علىٰ قضاء البصرة، كان ذا رأي وعقل كما كان شاعرًا، عرف بأنه أول من عُني بالعربية ووضع مبادئ قواعدها، اشتهر بالبخل. توفي سنة ٦٩هـ عن خمس وثمانين سنة.
انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٢، والشعر والشعراء ٢/ ٧٢٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣٥.
ولأبي الأسود ولدان؛ عطاءٌ وأبو حرب؛ فأمَّا عطاء فقد عُني باللغة، واتفق هو ويحيىٰ بن يعمر بعد أبي الأسود علىٰ بسط النحو وتعيين أبوابه، والتوسع في مقاييسه، وأمَّا أبو حرب فقد كان محدثًا مشهورًا شجاعًا عاقلًا، وكلاهما أخذ عن أبيه، وتوفي أبو حرب سنة ١٠٩هـ.
انظر: جمهرة أشعار العرب ١٨٥، وإنباه الرواة ١/ ٥٦، ٢/ ٣٨٠.

(٤) في أدب الدنيا والدين: بكلام من هو فوقك. وفي محاضرات الأدباء: بكلام من لم يبلغه سنك.

(٥) في محاضرات الأدباء: فيستثقلوك. يمقتوك: يبغضوك.

هو دونك[1] فيزدروك، وإذا وسَّع الله عليك فابْسُط يدَك[2]، وإذا أمسك عليك فأمسك[3]، ولا تجاود الله، فإن الله أجود منك[4])[5].

[١٥٤] وقال أبو الأسود لأبنائه:

(لا تطيعوا المساكين في أموالكم، فإنهم لا يقنعون منكم حتىٰ يروكم مثلَهم)[6].

[١٥٥] قال أبو الأسود الدؤلي لولده:

(لا تجاودوا[7] الله فإنه أجود وأمجد، وإنه لو شاء أن يوسِّع علىٰ الناس[8] كلِّهم حتىٰ لا يكونَ[9] محتاجٌ[10] لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسعة فتهلكوا هَزْلًا[11])[12].

(١) في أدب الدنيا والدين: ولا بكلام من هو دونك.
(٢) في البخلاء وشرح مقامات الحريري: إذا بسط الله لك في الرزق فابسط، وفي إصلاح المال: فوسِّع. وفي التذكرة الحمدونية: فابسط يديك.
(٣) في البخلاء: وإذا قبض فاقبض، وفي شرح مقامات الحريري: وإن قبض فانقبض، وفي إصلاح المال: وإذا قتَّر عليك فاقتر. قتَّر: ضيق.
(٤) في إصلاح المال: فإنه أكرم وأقدر وأجود.
(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في: نثر الدر ٦/ ٣٩٠، كما وردت في التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٢، وقد ورد صدرها الأول (إذا... فيزدروك) في أدب الدنيا والدين ٤٤٨، ومحاضرات الأدباء ١/ ٦١، وربيع الأبرار ٢/ ٣٠٩، وورد جزؤها الآخر في البخلاء ١٦، وفي إصلاح المال ٢٣٧.
(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٦/ ٢٠٨.
(٧) في زهر الآداب: لا تجاود.
(٨) في زهر الآداب واللطائف والظرائف وشرح مقامات الحريري: خَلْقه.
(٩) في اللطائف والظرائف وشرح مقامات الحريري: لا يكون فيهم.
(١٠) في المحاسن والمساوئ: فقير.
(١١) في المعارف ووفيات الأعيان: هزالًا.
(١٢) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٣/ ٣٣٢، ٤/ ٣١، والمعارف ٤٣٥، كما وردت في الشعر والشعراء ٢/ ٧٢٩ (باختصار)، وفي المحاسن والمساوئ ٢٥٢، وزهر الآداب ٢/ ٨٣٢ (باختصار)، ومعجم الأدباء ٤/ ١٤٦٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣٩، واللطائف والظرائف ١٠١ (باختصار)، وشرح مقامات الحريري (باختصار) ٥/ ٣٤٩.

[١٥٦] قال أبو الأسود لابنته[١]:

(أكرمي عينيه وأنفَه وأذنيه)[٢].

[١٥٧] وقال أبو الأسود لولده:

(يا بني، إني قد حفظتُكم قبل أن تولدوا وبعد مولدِكم، فحفظي إياكم قبل أن تولدوا أني لم أضعْكم في أرحامٍ تُسَبُّون بها، وحفظي إياكم بعد مولدكم أني لم أخلِّفْ عليكم دينًا. فإذا وسَّع عليكم فوسِّعوا، وإذا أمسك عنكم فاقتصدوا، ولا تجاودوا الله فإنه لا يُجَاوَد)[٣].

[١٥٨] وقال أبو الأسود الدؤلي لأولاده:

(لا تجاودوا الله، فإنه لو شاء أن يغنيَ الناسَ كلَّهم لفعل، ولكنه علم أن قومًا لا يُصلِحُهم الغنىٰ ولا يَصلُح لهم إلَّا الفقرُ[٤]، وقومًا لا يُصلِحُهم الفقرُ ولا يَصلُح لهم إلَّا الغنىٰ[٥])[٦].

[١٥٩] وأوصى أبو الأسود الدؤلي[٧] ابنته فقال:

(يا بنية[٨]، كان النساء أحقَّ بأدبك مني[٩]، ولكن لا بدَّ لي منه[١٠]، يا بنية، إن

(١) **مناسبة الوصية:** (زوَّج أبو الأسود بنتًا له، فلما أراد إهداءها قالت له: أوصني، فقال: ...).

(٢) **التوثيق:** وردت الوصية في معجم الأدباء ٤/ ١٤٦٧.

(٣) **التوثيق:** وردت الوصية في معجم الأدباء ٤/ ١٤٦٧-١٤٦٨.

(٤) في نهاية الأرب: لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلاَّ الفقر.

(٥) في نهاية الأرب: لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلاَّ الغنىٰ.

(٦) **التوثيق:** وردت الوصية في العقد الفريد ٦/ ٢٠٨، كما وردت في نهاية الأرب ٣/ ٣١٤.

(٧) **مناسبة الوصية:** ليلة البناء بها.

(٨) في الأغاني: أي بنية.

(٩) في الأغاني: إن النساء كنَّ بوصيتك وتأديبك أحق مني.

(١٠) في الأغاني: مما لا بد منه.

أطيبَ الطيبِ الماءُ، وأحسنَ الحسنِ الدُّهْنُ[1]، وأحلىٰ الحلاوةِ الكُحْلُ[2]، يا بنية لا تكثري مباشرةَ زوجِك فيملَّك، ولا تباعدي عنه فيجفوَك، ويعتلَّ عليك، وكوني كما قلت لأمِّك: (الطويل)

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

فإني رأيت الحبَّ في الصدر والأذىٰ إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب[3])

[١٦٠] قال أبو الأسود لابنته:

(إياك والغيرةَ فإنها مفتاحُ الطلاق، وعليك بالزينة، وأزينُ الزينةِ الكُحْلُ، وعليك بالطيب، وأطيبُ الطيبِ إسباغُ الوضوء، وكوني كما قلت لأُمِّك في بعض الأحايين:

---

(١) في الأغاني: الكحل.

(٢) في الأغاني: الدهن.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٤٧، كما وردت في الأغاني ٢٠/ ٣٤١-٣٤٢، ومصارع العشاق ١/ ٨٣ (بسنده عن أبي الفرج).

والبيتان -مع بيت ثالث- قال عنهما أبو الفرج (الأغاني ٢٠/ ٣٣٢): (والشعر لأسماء بن خارجة الفزاري. وقد قيل: إنه لأبي الأسود الديلي، وليس ذلك بصحيح).

وقد نسب البيتان لأبي الأسود في الأشباه والنظائر للخالديين ٢/ ٢٧٤، وعلق الشيخ الميمني في الحاشية علىٰ ذلك: (إن لأبي الأسود قصيدة في الوزن والقافية يخاطب فيها زوجه، ولكن خلت عن الأبيات في طبعتي ديوانه). قلت: القصيدة المشار إليها في ديوانه ٧٤، وأولها:

ألا تلك عرسي أم سَكْنٍ تنكرت خلائقها لي والخطوب تقلب

ونسبت له (في إشارة عارضة للوصية نقلًا -فيما يبدو- عن الأغاني) في تزيين الأسواق ٢/ ١٣١، وانظر في نسبتها -أيضًا-: مصادر الوصية السابقة واللاحقة. ونسبت الأبيات لشريح في الوحشيات ١٨٥، وعيون الأخبار ٣/ ١١، ونسب البيت الثاني له فيه ٣/ ٣١، ونسبت لأسماء بن خارجة في الظرف والظرفاء ٢٢٧، وانظر في نسبتها لأسماء كذلك مصادر وصيته لابنته. ونسبت في حماسة ابن الشجري ٦٤، والحماسة البصرية ٢/ ٤١٧ لعامر بن عمرو من بني البكاء (في حماسة ابن الشجري البكاري ولعله تصحيف البكائي!).

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سَورتي حين أغضب
فإني وجدت الحبَّ في الصدر والأذىٰ إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب[٦])

[١٦١] قال أبو الأسود:

(لا تُعَرِّفوا عليكم فلانًا فإنه ضعيفٌ ما علمتُه، وعَرِّفوا عليكم فلانًا فإنه أَهْيَسُ أَلْيَسُ[٢])[٣].

[١٦٢] قال الأشعث بن قيس[٤] لبنيه:

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٤/ ٧٧، كما وردت في معجم الأدباء ٤/ ١٤٦٨، والوافي ١٦/ ٥٣٧، وقد نسبت الوصية -مع زيادة واختلاف يسيرين ودون بيتي الشعر- إلىٰ عبد الله بن جعفر (انظرها في موضعها). وفي محاضرات الأدباء ٢/ ٢١٢، جاءت الوصية، منسوبةً لأبي الأسود، مؤلفة من صدر هذه الوصية (إياك... الطلاق) ووصية: ضرار بن عمرو الضبي (!) وبيت أسماء بن خارجة! وفي الفاضل للوشاء ٢٢٤-٢٢٥ (قال أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ: زوَّجَتْ أعرابية ابنتها، فلما أرادت أن تهديها قالت: أي بنية، أوصيك فاحفظي وصيتي، وأنصحك فاقبلي نصيحتي، إياك والغيرة المفرطة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها تؤدي إلىٰ النفاق (!) وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء واستعمال الماء، وأستودعك الله).

(٢) (الأهيس: الذي يهوس، أي يدور، يعني أنه يدور في طلب ما يأكله، فإذا حصَّله جلس فلم يبرح، والأصل فيه الواو وإنما قيل بالياء ليزاوج أليس)، هكذا فسَّره صاحب لسان العرب (هيس) عقب الوصية. والأهيس: الشجاع. والأليس: الشجاع الذي لا يبالي الحرب. ويبدو أنه المراد؛ إذْ نهاهم عن التعرف علىٰ الضعيف.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في لسان العرب (هيس).

(٤) **صاحب الوصية**: أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، والأشعث لقب عليه؛ لأنه كان أبدًا أشعث الرأس واسمه معدي كرب. وفد علىٰ النَّبِيِّ ﷺ وأسلم، ثم ارتد بعد موته ﷺ، ثم أسلم وحسن إسلامه، اشتهر بالشجاعة والكرم وتوفي سنة ٤٠هـ.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٦/ ٢٢، وأسد الغابة ١/ ١١٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٧.

(يا بني، لا تَذِلُّوا[١] في أعراضِكم، وانخدعوا في أموالكم، ولتخِفَّ[٢] بطونُكم من أموال الناس، وظهورُكم من دمائهم، فإنَّ لكل امرئ[٣] تبِعَةٌ، وإياكم وما يُعتذر منه أو يستحىٰ، فإنما يعتذر من ذنب، ويستحىٰ من عيب[٤]؛ وأصلحوا المال[٥] لجفوة السلطان وتغيُّرِ الزمان[٦]، وكُفُّوا عند الحاجة عن المسألة[٧]، فإنه كفىٰ بالردِّ منعًا، وأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ حتىٰ يوافق الرزقُ[٨] قَدَرًا، وامنعوا النساء من غير الأكفاء[٩]، فإنكم أهلُ بيتٍ يتأسَّىٰ[١٠] بكم الكريم، ويَتَشَرَّف بكم اللئيم، وكونوا في عوامِّ الناس ما لم يضْطرب الحبل[١١]، فإذا اضطرب الحبل فالحقوا بعشائركم[١٢])[١٣].

---

(١) في نثر الدر وعين الأدب والسياسة: ذلُّوا... ولعله أولىٰ.

(٢) زاد في نثر الدر: فإن أباكم كذاك كان يفعل، لتخفَّ.

(٣) في نثر الدر: أمرٍ تبعة. وفي عين الأدب والسياسة: امرئ منكم. وتبعة الأمر: عاقبته وما يترتب عليه من أثر. ويقال: لي قِبل فلان تبعة: ظلامة.

(٤) في عين الأدب والسياسة: فإنما يعتذر من ذنب ويستحىٰ من قبيح.

(٥) في عين الأدب والسياسة: أموالكم... بخفوة السلطان. والكلمة الأخيرة تصحيف.

(٦) في إصلاح المال: وشؤم، وفي نثر الدر: ونبوة.

(٧) في نثر الدر: وكفوا عند أول مسألة. وفي عين الأدب والسياسة: وكفوا عند حاجة أو مسألة.

(٨) في نثر الدر: النجاح. وأجملوا في الطلب: ترفقوا في السعي في طلب حظكم من الرزق.

(٩) في نثر الدر: وامنعوا نساءكم إلاَّ من أكفائكم.

(١٠) أشار محقق العقد إلىٰ أن الكلمة في نسخة (أ) عنده: يستكفي. وفي نثر الدر: يكتفي. ويتأسىٰ: يقتدي.

(١١) في نثر الدر: حبل. وكذا في الموضع بعده.

(١٢) جاء بعده في نثر الدر: وعُودوا بفضلكم علىٰ قومكم، فإنه لم يزل رجل منكم يرجىٰ عذره وتعمَّر يده!

(١٣) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ١٤٩-١٥٠، كما وردت في نثر الدر ٦/ ٤٠٢، كما وردت (باختصار) في عين الأدب والسياسة ٢٦٣، ووردت فقرة منها (أصلحوا... الزمان) في إصلاح المال ٢٠٩.

[١٦٣] قال إياس بن معاوية[(١)] لبنيه:

(يا بنيّ، تثبَّتوا فيمن تُؤَاخُون[(٢)]، فإن كانت المحاسنُ أكثرَ من المقابح فتقدَّموا، وإن كانت المقابحُ أكثرَ من المحاسن فتأخروا، فإنَّ التَّحَوُّلَ[(٣)] عن الإخاء شديد، وليس الأخ كالثوب يَبْلَىٰ فيُطْرَح[(٤)]، ولا كالعِلْقِ[(٥)] يُزهد فيه فيُستبدَل به)[(٦)].

[١٦٤] عن عمارة بن عقيل أن جده جريرًا[(٧)] قال لبنيه:

(يا بنيَّ، إذا مَدَحتُم فلا تطيلوا المُمَادَحةَ، فإنه يُنْسَىٰ أولها، ولا يُحْفَظُ آخرها، وإذا هجوتم فخالفوا)[(٨)].

(١) **صاحب الوصية**: أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة المزني، قضىٰ في البصرة لعمر بن عبد العزيز، وكان فقيهًا عفيفًا، وكان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل، توفي بواسط سنة ١٢٢هـ.
انظر: مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٩٢، وتهذيب الكمال ٤/ ٤٠٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٥.
(٢) تثبَّت في الأمر: تأنىٰ فيه ولم يعجل. تؤاخون: تصاحبون وتصادقون.
(٣) التحوُّل عن الشيء: العدول عنه، والانصراف إلىٰ غيره.
(٤) يبلىٰ: يصبح باليًا (رثًا). يطرح: يلقىٰ.
(٥) العلق: النفيس من كل شيء يتعلَّق به القلب.
(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في: التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٧٥.
(٧) **صاحب الوصية**: جرير بن عطية بن حذيفة اليربوعي التميمي، من فحول شعراء الإسلام، أحد الثلاثي الأموي الذين دارت بينهم رحىٰ مناقضات حادة، قال عن نفسه: أنا مدينة الشعر. مات باليمامة سنة ١١٠هـ وعمره نيِّف وثمانون سنة.
انظر: الشعر والشعراء ١/ ٤٦٤، والأغاني ٨/ ٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠.
وعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، شاعر فصيح من أهل البصرة، كان واسع العلم غزير الأدب، قدم بغداد فأخذ عنه أهلُها، مدح المأمون ووجوهَ قواده.
انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز ٣١٦، ومعجم الشعراء ٧٨، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٨٢.
(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢/ ٧٧٢، وهي أيضًا فيه (باختصار) ٢/ ٨٤٩. كما وردت في كفاية الطالب لابن الأثير ٥٩.

[١٦٥] قال حبيب بن المهلب[1] لبنيه:

(لا يقعدنَّ أحدُكم في السوق، فإن كنتم لا بد فاعلين فإلىٰ زرَّادٍ أو سرَّاجٍ[2] أو ورَّاقٍ)[3].

[١٦٦] دعا الحسن بن علي[4] بنيه وبني أخيه فقال:

(يا بنيَّ وبني أخي، إنكم صغارُ قومٍ يوشك[5] أن تكونوا كبارَ آخرين[6]، فتعلَّموا العلم، فمن لم يستطِع منكم أن يرويَه -أو قال: يحفظَه- فليكتبْه، وليضعْه[7] في بيته)[8].

---

(١) **صاحب الوصية**: أبو بسطام حبيب بن المهلب بن أبي صفرة. أحد أبناء المهلب الشجعان، شارك والدَه في بعض حروبه. وحين ثار أخوه يزيدُ علىٰ يزيد بن عبد الملك قاتل معه حتىٰ قتل سنة ١٠٢هـ. انظر: الأغاني ١٤/ ٢٦٩، ١٥/ ٣١٠، البداية والنهاية ١٢/ ٢٥١، ٧٢٦.

(٢) **المعاني**: الزراد: صانع الدروع. السراج: صانع السروج (جمع سرج، رَحْلُ الدابة) وبائعها. والوراق: بائع الكتب وناسخها.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ١/ ١٩٩. وقد نسبت وصية قريبة جدًّا منها لأبيه المهلب. (انظرها في وصاياه).

(٤) **صاحب الوصية**: أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ريحانة رسول الله ﷺ، وسبطه، وشبيهه، وسيد شباب أهل الجنة. ولد سنة ثلاث. كان سيدًا عاقلًا جوادًا ورعًا كبير الشأن، بويع له يوم مات أبوه ﷺ، وتنازل لمعاوية ﷺ حقنًا لدماء المسلمين سنة٤١هـ توفي ﷺ بالمدينة سنة ٥٠.

انظر: نسب قريش ٤٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٦٥، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٥.

(٥) **في اليعقوبي**: وتوشكون. وفي البداية والنهاية: تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم.

(٦) **في اليعقوبي**: كبار قوم آخرين. وفي البداية والنهاية: وتكونون كبارهم غدًا.

(٧) **في اليعقوبي**: وليجعله. وفي البداية والنهاية: فمن لم يحفظ منكم فليكتب.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في سنن الدارمي ١/ ١٣٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٢٧، وتقييد العلم للخطيب البغدادي ٩١، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٩٩، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٣، والبداية والنهاية ١١/ ٢٠٣. وقد نسبت الوصية إلىٰ عليٍّ في ربيع الأبرار ٣/ ٢٢٦ يقولها لفتيان من قريش.

[١٦٧] وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما:

(يا بني، لا تخلِّفْ وراءك شيئًا[١]، فإنما تخلِّفُه لأحدِ رجلين: رجل عمل فيه بطاعة[٢] الله فيسْعَدُ بما شَقِيتَ به، ورجل عمل بمعصيته فكنت عونًا له[٣]، وليس أحدُ هذين حقيقًا[٤] علىٰ أن تؤثِرَه علىٰ نفسك)[٥].

[١٦٨] قال الحسن[٦] لابنه:

(يا بني، إذا جالستَ العلماءَ فكُن علىٰ أن تسمعَ أحرصَ منك علىٰ أن تقول[٧]، وتعلمْ حسنَ الاستماعِ كما تتعلمُ حسنَ الصمتِ[٨]، ولا تقطعْ علىٰ أحدٍ حديثًا -وإن طالَ- حتىٰ يُمْسِك)[٩].

---

(١) زاد في محاضرات الأدباء ١/ ٥٢٣: من الدنيا.

(٢) في المصدر السابق: عمل بطاعة الله تعالىٰ فسعد.

(٣) زاد المصدر السابق: علىٰ ذلك.

(٤) في المصدر السابق: وليس أحد بحقيق. حقيق: جدير.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في محاضرات الأدباء ١/ ٥٧١، ٥٢٣، وقد نسبت إلىٰ علي ﷺ وغيره. (انظر تخريجها في وصاياه).

(٦) **صاحب الوصية**: هكذا جاء الاسم مطلقًا، وغالبًا ما يراد به الحسن البصري، وهو أبو سعيد الحسن بن يسار أصله مولىٰ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ومات بالبصرة سنة ١١٠هـ كان سيد أهل زمانه علمًا وعملًا، كما كان فقيهًا مجتهدًا عابدًا فصيحًا ثقة حجة، رأسًا في جوانب كثيرة.
انظر: المعارف ٤٤٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣، والوافي ١٢/ ٣٠٦.

(٧) في العقد: وليعلم الناس أنك أحرص علىٰ أن تسمع منك علىٰ أن تقول.

(٨) في العقد: الحديث.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في الأمالي ٢/ ١٨٨، وفيه: (حدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت رجلًا في حلقة أبي عمرو بن العلا، يقول: ...)، وقد وردت في العقد الفريد ٤/ ٤١٩ -بتقديم وتأخير واختلاف يسير- منسوبة لبعض الحكماء وزاد فيها: (فاحذر أن تسرع في القول فيما تحب عنه الرجوع بالفعل، حتىٰ يعلم الناس أنك علىٰ فعل ما لا تقل (!) أقرب منك إلىٰ قول ما لا تفعل). ونسب القول إلىٰ الحسن في المنتقىٰ من مكارم الأخلاق للخرائطي ١٥٥.

[١٦٩] قال خالد بن عبد الله القسري[١] لبنيه:

(إنكم قد شرُفتم، وَقَمِنٌ[٢] أن تطلبَ إليكم الحوائج، فمن يضمنُ[٣] حاجةَ امرئٍ مسلمٍ، فليطلبها بأمانة الله ﷻ)[٤].

[١٧٠] عن عبد الرحمن بن زبيد[٥] قال:

(كان أبي يقول: يا بني، انْوِ في كل شيء تريده الخيرَ؛ حتىٰ خروجك إلىٰ الكُنَاسَةِ في حاجة)[٦].

---

(١) **صاحب الوصية**: خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي القسري. كان جوادًا مُمَدَّحًا معدودًا من جملة خطباء العرب، تولىٰ إمرة العراقين سنة ١٠٦هـ، مات قتيلًا بالحيرة سنة ١٢٥هـ.

انظر: تهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٧٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٢٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٢٥.

(٢) قمن: خليق وجدير. وقد صحفت الكلمة في كتاب قضاء الحوائج واصطناع المعروف إلىٰ (من).

(٣) في بغية الطلب ٧/ ٣٠٨٣ تضمَّن.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا ٦٤، واصطناع المعروف له ١٠١، وبغية الطلب ٤/ ١٦٦٦، ٧/ ٣٠٨٣.

(٥) **صاحب الوصية**: زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن عمرو اليامي الكوفي، أحد الأعلام، معدود في صغار التابعين، كان من العبَّاد مع التفقه في الدين ولزوم الورع، ثقة حافظ، توفي سنة ١٢٢هـ. انظر: حلية الأولياء ٥/ ٢٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٩٦، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣١٠.

وابنه عبد الرحمن روىٰ عن أبي العالية، وروىٰ عنه يحيىٰ بن عقبة بن أبي العيزار، وإن كان هذا الأخير منكر الحديث.

انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٢٨٦، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٦١.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في المجالسة ٨/ ٢٦٦، ومحاضرة الأبرار ٢/ ٢٩٣، كما وردت في جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٧٠ كوصية عامة نقلًا عن كتاب الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا. وقد سقطت من مطبوعته، واستدركها المحقق من جامع العلوم والحكم.

[١٧١] قال زياد(١) لابنه عبيد الله(٢):

(لا تدنسْ عِرضَك(٣)، ولا تبذلنَّ وجهَك، ولا تُخْلِقَنَّ جِدَّتَك(٤) بالطلب إلىٰ من إن ردَّك كان ردُّه عليك عيبًا، وإن قضىٰ حاجتك جعلها عليك مَنًّا(٥). واحتمل الفقرَ بالتَّنَزُّهِ عما في أيدي الناس(٦)، والزم القناعة بما قُسِمَ لك، فإن سوءَ حملِ الفقر يَضُعُ الشرفَ، ويُخْمِلُ الذكرَ، ويوجب الحرمان)(٧).

[١٧٢] وقال زياد لابنه:

(إذا دخلت(٨) علىٰ أمير المؤمنين(٩) فادعُ له، ثم اصفح(١٠) صفحًا جميلاً، ولا

(١) **صاحب الوصية**: زياد بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي، يقال له أحيانًا زياد بن أبيه وزياد بن سمية، استلحقه معاوية بن أبي سفيان بأنه أخوه بناء علىٰ إقرار أبيه أنه منه. وقد ولاه معاوية العراق، كان خطيبًا فصيحًا مهيبًا معدودًا من دهاة العرب، مات بالكوفة لثلاث مضت من رمضان سنة ٥٣هـ.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٩٩، ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ٧٢، والوافي ١٥/ ١١.
وابنه عبيد الله ولاه معاوية البصرة، ثم جمع له يزيد البصرة والكوفة. علىٰ يد جيشه وبأمره قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما. قال عنه الذهبي: جميل الصورة قبيح السريرة. قتل في واقعة بينه وبين الأشتر النخعي بالزاب يوم عاشوراء سنة ٦٧هـ.
انظر: المعارف ٣٤٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٥، والبداية والنهاية ١٢/ ٤٩.
(٢) **مناسبة الوصية**: عند موته.
(٣) في شرح النهج: تدنسنَّ.
(٤) تخلقن جدتك: خَلَقَ الشيء بلي، وشيء خلق بال. الجدَّة مصدر الجديد.
(٥) منَّ عليه: فخر بنعمته عليه حتىٰ كدَّرها.
(٦) تنزَّه عن الشيء: بعد عنه وترفَّع.
(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في: التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٦، كما وردت في نثر الدر ٥/ ٢٦-٢٧، وشرح نهج البلاغة ١٦/ ٩٦.
(٨) **مناسبة الوصية**: جاء في البداية والنهاية ١٢/ ٥٠ (أن معاوية كتب إلىٰ زياد أن أوفد إليَّ ابنك. فلما قدم عليه لم يسأله عن شيء إلَّا نفذ منه..) فلعلَّ هذا الطلب كان وراء **مناسبة الوصية**.
(٩) في نثر الدر: علىٰ السلطان. وفي أدب الملوك: علىٰ معاوية.
(١٠) اصفح: تباعد.

يَرَيَنَّ منك[١] تهالكًا عليه ولا انقباضًا عنه[٢])[٣].

[١٧٣] وقال [زياد] لابنه:

(عليك بالحجاب[٤]، فإنما تجرأت الرعاةُ علىٰ السباع[٥] بكثرة نظرها إليها)[٦].

[١٧٤] قال زياد لابنه:

(إياك وصدرَ المجالس[٧]، فإنه مجلس قلعة[٨])[٩].

(١) في نثر الدر: فيك. وفي بهجة المجالس: ولا تُرينَّ متهالكًا عليه. وتهالك علىٰ الشيء: أقبل عليه في حرص شديد.

(٢) في نثر الدر: منه. وفي بهجة المجالس: ولا منقبضًا عنه. والانقباض: الانكماش وعدم الانبساط.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ١/ ١٩، كما وردت في نثر الدر ٥/ ٢٦، وأدب الملوك ٢٣٤، وبهجة المجالس ١/ ٣٤٤، وقد ورد في نثر الدر ٥/ ٦٥: (وقال [الأحنف بن قيس]: لا تنقبضوا عن السلطان، ولا تتهالكوا عليه، فإنه من أشرف للسلطان ازدراه، ومن تفرغ له تخطاه).

(٤) حجب الشيء يحجبه حجبًا وحجابًا: ستره. وقد احتجب وتحجَّب: إذا اكتنَّ وراء حجاب، والحجابة ولاية الحاجب، وهو البوَّاب.

(٥) السباع جمع سبع، وهو كل ما له ناب مما يعدو علىٰ الناس والدواب فيفترسها كالأسد والذئب والنمر.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٧/ ١٣١، (وعقَّب عليها أبو حيان بقوله: (وهذا يخالف ما روي عن سعيد بن المسيب أنه قال: نعم الرجل عمر بن عبد العزيز لولا حجابه، إنَّ داود ابتلي بالخطأ لحجابه). ونثر الدر ٥/ ١١، وربيع الأبرار ٤/ ٢٤٥، والتذكرة الحمدونية ٨/ ١٩٨، وشرح نهج البلاغة ١٦/ ١٩٨، ونهاية الأرب ٦/ ٩٠.
وقد جاء في محاضرات الأدباء ١/ ٢٠٥: (قال أردشير: لا تمكن الناس من نفسك، فأجرأ الناس علىٰ السباع أكثرهم معاينة لها). وقد نسبت وصية مقاربة لعبد الله بن شبرمة.

(٧) صدر المجلس: مقدَّمه.

(٨) مجلس قُلْعَة: يضطر الجالس فيه إلىٰ التحوُّل عنه لغيره مرة بعد مرة.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في محاضرات الأدباء ١/ ٢٦٢، وقد جاء في شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٠٠: (وقال [زياد]: يعجبني من الرجل إذا أتىٰ مجلسًا أن يعلم أين مكانه منه،=

[١٧٥] أوصى زيد بن عليٍّ[(١)] ابنه يحيى:

(يا بني، إنَّ الله تعالىٰ لم يرضَك لي[(٢)] فأوصاك بي، ورضيني لك فحذَّرنيك[(٣)]؛ واعلم أن خيرَ[(٤)] الآباء للأبناء من لم تدْعُه المودةُ إلىٰ التفريط[(٥)]، وخير الأبناء للآباء من لم يدعُه التقصيرُ إلىٰ العقوق[(٦)])[(٧)].

=فلا يتعداه إلىٰ غيره، وإذا سيم خطة خسفٍ أن يقول: (لا) بملء فيه). وفي البيان والتبيين ٢/ ٢٠٠ (وكان يقال: إياك وصدر المجلس وإن صدَّرك صاحبُه؛ فإنه مجلس قلعة. وقال زياد: ما أتيت مجلسًا قط إلا تركت منه ما لو أخذته كان لي. وترك مالي، أحبُّ إليَّ من أخذ ما ليس لي). وقد وردت الجملة الأولىٰ (وكان يقال: ...) -دون: وإن صدرك صاحبه- في عيون الأخبار ١/ ٣٠٧، ومجمع الأمثال ٢/ ١٥٢ عند المثل: شرُّ المال القُلْعَة، وقال: (وروىٰ أبو زيد: القُلَعة -بتحريك اللام- يعني المال الذي لا يثبت مع صاحبه مثل العارية والمستأجر، من قولهم: مجلس قلعة إذا احتاج صاحبه كل ساعة أن يقوم وينتقل). وفي أمالي اليزيدي ٥٨: (ويقال مجلس قُلْعَة وقُلَعَة، وهو الذي يقوم عنه من جلس فيه).

(١) **صاحب الوصية**: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﵁، أخو الباقر، كان ذا عِلْمٍ وجلالة وصلاح، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك، بإغراء من أهل الكوفة، فالتقاه جيش يوسف بن عمر والي العراق، ودارت معركة قتل فيها. وفي تاريخ مقتله خلاف بين سنتي ١٢١-١٢٥هـ.
انظر: مقاتل الطالبيين ١٢٧، ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٩.
وابنه يحيىٰ كان قد خرج مع أبيه ثم فرَّ بعد مقتله إلىٰ خراسان، وجرت له حروب مع عسكر خراسان المبعوث من قبل نصر بن سيار، انتهت بمقتله في أواخر سنة ١٢٥هـ، وقيل في أول سنة ١٢٦هـ.
انظر: مقاتل الطالبيين ١٥٢، ومروج الذهب ٣/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١-١٤٠)/ ٣٠٠.

(٢) في محاضرات الأدباء: إن الله رضيني لك فأوصاك بي، وحذرني منك!

(٣) في عيون الأخبار: فلم يوصني بك. وفي الجامع لشعب الإيمان: فحذرني فتنتك.

(٤) في الجامع لشعب الإيمان: يا بني خير. وفي تهذيب تاريخ دمشق: يا بني إن.

(٥) في بهجة المجالس والجامع لشعب الإيمان وتهذيب تاريخ دمشق: الإفراط.

(٦) زاد نثر الدر: فاحفظ وصيتي.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٢/ ٤٣٣، كما وردت في نثر الدر ١/ ٣٥٠، والجامع لشعب الإيمان ١٥/ ١٧١، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣، وورد صدرها (يا بني.. فلم يوصني بك) في عيون الأخبار ٣/ ٩٢، ووردت -باختصار شديد واضطراب-=

[١٧٦] قال زيد بن علي لابنه:

(يا بني، اطلب ما يعنيك بترك ما لا يعنيك، فإنَّ في ترك ما لا يعنيك دَرَكًا لما يعنيك، واعلم أنك تَقْدُمُ علىٰ ما قدَّمت، ولست تقدم علىٰ ما أخَّرت، فآثِر ما تلقاه غدًا علىٰ ما لا تراه أبدًا)[1].

[١٧٧] وقال سعد القصير[2] لابنه:

(يا بنيَّ، أوصيك بوصيةٍ إن لم تحفظْها مني كنت جديرًا أن تحفظها من غيري، يا بني، أظهر اليأس فإنه غنىٰ، وإياك وطلبَ الحاجات فإنه فقرٌ حاضرٌ، وإذا صليت صلاة فصلِّ صلاة مودِّع، وأنت ترىٰ ألَّا تصليَ بعدها أبدًا، وإن استطعت أن تكون غدًا خيرًا منك اليوم، واليوم خيرًا منك أمسِ فافعل، وإياك وكلَّ شيء يعتذر منه، فإنه لا يعتذر إلَّا من شرٍّ، وإياك أن تحزن علىٰ شيء آتاك الله خيرًا منه)[3].

=في محاضرات الأدباء ١/ ٣٢٢. وجاءت منسوبة إلىٰ محمد بن عبد الله بن حسين في بهجة المجالس ٢/ ٧٦٦، ومنسوبة إلىٰ علي بن الحسين في العقد الفريد ٣/ ١٤٩، ومنسوبة إلىٰ لقمان في درة التنزيل المنسوب للفخر الرازي (عن تفسير التحرير والتنوير ٢١/ ١٧٢).

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت لابن البناء ٦٠، والإبانة لابن بطة ٤١٩/ ١.

(٢) **صاحب الوصية**: قال ابن قتيبة في المعارف ٥٣٨ عند ترجمة العتبي: (وأكثر أخباره عن بني أمية وأيامهم، يرويها عن سعد القصير، وسعد القصير مولاهم، وكان ابن الزبير قتله بمكة).
قلت: ذُكر أن وفاة العتبي سنة ٢٢٨هـ، وابن الزبير قتل سنة ٧٣هـ فكيف تمَّت تلك الرواية؟ لا أدري! وانظر التعليق علىٰ وصية عتبة بن أبي سفيان.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٥٤.
وثمة تساؤل يمكن طرحه وهو: هل يمكن أن نقول إن سعد القصير هنا هو سعد الخير (سعد بن عمارة) وأن هناك تصحيفًا؟ إن وجود تصحيفات في كتاب الفاضل -مع طول باع المحقق- بدت لي بصورة جلية في وصية أكثم بن صيفي يجعلني لا أستبعد التصحيف. واختلافها النسبي مع وصية سعد الخير يهزُّ من قناعتي.. لكن اتفاقها -أو قربها الشديد- من روايات الوصية الأخرىٰ في اختلاف نسبتها يجعلني أنساق أكثر مع ظني! وانظر الوصيتين اللاحقتين.

[١٧٨] وقال سعيد بن جبير[1] لابنه:

(يا بني، إني أوصيك بوصية إن لم تحفظها مني كنت جديرًا ألَّا تحفظها من غيري، يا بني، أظهر للناس الجميلَ، وإياك وطلبَ الحاجة فإنه فقر حاضر، وإذا صليت فصلِّ صلاة مودِّع، وأنت ترىٰ ألَّا تصلي بعدها أبدًا، وإن استطعت أن تكون غدًا خيرًا منك أمسِ فافعل. إياك أن تيأس عن شيء أتىٰ الله منه خيرًا)[2].

[١٧٩] قال عبد الملك بن سعيد بن جبير:

(قال أبي: أظهر اليأس مما في أيدي الناس فإنه عَنَاءٌ، وإياك وما يعتذر منه فإنه لا يعتذر من خير)[3].

---

(١) **صاحب الوصية**: أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام، مولىٰ بني والبة الأسديين، كان أحد الأعلام علمًا وعبادة، أخذ عن ابن عباس وغيره، كان محدثًا مقرئًا مفسرًا، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ لمشاركته في ثورة ابن الأشعث.

انظر: المعارف ٤٤٥، والطبقات الكبرىٰ ٦/ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ٢٥١.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الطبقات الكبرىٰ ٦/ ٢٦١-٢٦٢، وعبد الملك بن سعيد بن جبير، روىٰ عن أبيه وغيره، قال الدارقطني: عزيز الحديث ثقة، يقال: إنه عاش مئة سنة.

انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٤.

وقد ورد في الزهد لأحمد بن حنبل ٥٢٨ وأمالي اليزيدي ١٤٢، ونثر الدر ٦/ ٣٩٣-٣٩٤، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٤، وصية مشابهة لوصيتي سعيد بن جبير السابقتين جاء فيها: حضر رجلًا من الأنصار الموتُ، فدعا ابنه فقال: يا بني إني موصيك بوصية إن لم تحفظها عني كنت خليقًا ألَّا تحفظها عن غيري: اتقِ الله، وإن استطعت أن تكون اليوم خيرًا منك أمس، وغدًا خيرًا منك اليوم فافعل، وإذا عثر عاثر من بني آدم، فاحمد الله ألَّا تكونه، وإياك والطمع، فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس، فإنك لن تيأس من شيء إلَّا أغناك الله عنه، وإياك وما يعتذر منه، فإنه لا يعتذر من خير، وإذا قمت إلىٰ صلاتك فصلِّ صلاة مودع، وأنت لا ترىٰ أنك تصلي بعدها أبدًا.

كما وردت باختلاف يسير جدًّا في العقد الفريد ٣/ ١٤٨-١٤٩، وفيه: وقال حكيم لابنه، وشبيه بهذه الوصية وصايا نسبت إلىٰ سعد بن أبي وقاص وسعد القصير وسعد بن عمارة ومعاذ بن جبل. انظر وصاياهم.

[١٨٠] لما حضرت الوفاةُ سعيدَ بن العاص[(١)] قال:

يا بَنيَّ، أيكم يَكفُلُ عني دَيْني؟ قال عمرو بن سعيد: عليَّ دَينُك يا أبَهْ، كم هو؟ قال: ثمانون ألف دينار. قال: وفيمَ استدنتَها؟ قال: في كريمٍ سددتُ خَلله[(٢)]، أو لئيم اشتريت[(٣)] عرضي منه. ثم قال سعيد: هذه خَصلة، وبقيت خصلتان. قال: ما هما يا أبَهْ؟ قال: يا بني، لا تزوجنَّ بناتي إلَّا من الأكفاء ولو بِفِلَقِ خبز الشعير[(٤)]. قال: أفعل. قال: يا بني، ذهبت خصلتان وبقيت خصلة[(٥)]. قال: وما هي يا أبَهْ؟ قال: يا بني، إنْ فقد إخواني وجهي فلا يفقدوا معروفي[(٦)]. قال: أفعل يا أبه. قال: يا بني، ما

---

(١) **صاحب الوصية**: سعيد بن العاص بن أبي أحيحة القرشي الأموي، كان أميرًا شريفًا جوادًا حليمًا وقورًا ذا حزم وعقل، ولي إمرة المدينة غير مرة لمعاوية ﷺ، توفي بقصره بالعرصة علىٰ ثلاثة أميال من المدينة سنة ٥٩هـ وقيل: ٥٨هـ.
انظر: جمل من أنساب الأشراف ٦/ ٤٨، والطبقات الكبرىٰ ٥/ ٣٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٤، والبداية والنهاية ١١/ ٣١٧.
وابنه عمرو من سادة بني أمية، كان سخيًّا لسنًا، اشتهر بالأشدق، استخلفه عبد الملك بن مروان حين سار لمحاربة مصعب بن الزبير، فثار علىٰ عبد الملك وتحصن بدمشق، فعاد إليه عبد الملك وحاصره، ثم أعطاه أمانًا مؤكدًا، ولكنه غدر به بعد أيام فقتله سنة ٦٩هـ.
انظر: جمل من أنساب الأشراف ٦/ ٥٥، ونسب قريش ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٩.

(٢) في تهذيب تاريخ دمشق: في كريم سددت منه خلة، وزاد: وفي رجل أتاني في حاجة ودمه ينزو في وجهه من الحياء فبدأته بها قبل أن يسألني. وفي تهذيب الرياسة: سددت بها خلة كريم، وفي غرر الخصائص: سددت خلته.

(٣) في غرر الخصائص: وقيت.

(٤) في تهذيب الرياسة: ولو تعلق حبل من الشعير! وفي غرر الخصائص: ولو تقلقن من خبز الشعير! ولعلَّ الصحيح: تفلَّقن، أي اضطررن لأكل كسر خبز الشعير. والفِلَق: جمع فِلْقة، وهي الكسرة.

(٥) زاد في غرر الخصائص: وهي أشدهن عليَّ.

(٦) بعدها في غرر الخصائص، وهو نهاية الوصية: يا بني ثلاث ضقت بهن ذرعًا؛ رجل اغبرَّ وجهه في التردد للتسليم علي، ورجل ضاق مجلسي فتزحزح لي، ورجل نزل به مهمٌّ من الأمور فبات متململًا علىٰ فراشه يتقلب من أمره ظهرًا لبطن، فلما أصبح رآني موضعًا لحاجته، فلم أكافئه ولو خرجت من جميع ما أملك.

زلت أعرف الكرم في حَمَالِيقِ عينيك وأنت يُحرَّك بك في مهدك حتىٰ بلغتَ ما أرىٰ. يا بني، ما شاتمتُ رجلًا مذ كنتُ رجلًا، ولا زاحمتْ ركبتاي ركبتَه[1]، ولا كلَّفتُ من يرتجيني[2] أن يسألني فيبذلَ وجهَه ويرشحَ جبينُه رشحَ السِّقَاء، إذًا -والله- فما وصلته. يا بني، أخزىٰ الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً عن غير مسألة، فأمَّا إذا أتاك تكاد ترىٰ دمَه في وجهه مخاطرًا، لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع ما تملكه ما كافأته، ولا الذي بات يتململ علىٰ فراشه يعقِّب بين شفتيه أيجدني موضعًا لحاجته أم لا، لهوَ أعظمُ عليّ مِنَّةً مني عليه، إذا قضيتها له)[3].

[١٨١] قال سعيد بن العاص لبنيه[4]:

(أيُّكم يقبل وصيتي؟ فقال ابنه الأكبر: أنا يا أبَهْ. قال: فإنَّ فيها قضاءَ ديني! قال:

---

(١) في جمل من أنساب الأشراف: ولا زحمته بركبتي. وفي نثر الدر ٣/ ١٧٥ (وقال سعيد بن العاص: ما شاتمت رجلًا مذ كنت رجلًا، لأني لا أشاتم إلَّا أحد رجلين: إما كريم؛ فأنا أحق من احتمله، وإما لئيم؛ فأنا أولىٰ من رفع نفسه عنه).

(٢) في الحلم: وإذا أنا لم أصل زائري حتىٰ يرشح...

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في التعازي والمراثي ١٢٧-١٢٨، وتهذيب السياسة ٢٧٠-٢٧١، وورد صدرها في غرر الخصائص ٢٤٧، ووردت أكثر فقراتها في تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ١٤٥ (مجزأة دون ذكر مناسبتها)، ووردت فقرات منها في جمل من أنساب الأشراف ٦/ ٥١، ٥١-٥٢. والحلم لابن أبي الدنيا ٧٤، وورد منها قوله: (يا بني أخزىٰ... ما كافأته) في تهذيب الكمال ٣/ ١٧٥، وقد ورد في الفاضل للوشاء ١٤٤-١٤٥، مشهدُ وفاة سعيد بن العاص مختلفًا، بيَّن فيه أن الموت حوض مورود واستشهد لذلك بأبيات من الشعر (ثم قال: ليت شعري كيف أنتم بعدي فيمن أخلف من أقاربي وأسرتي؟ فبكىٰ بنوه ولم يرد أحد منهم جوابًا، غير أن قالوا: أماتنا الله قبلك، حتىٰ انتهىٰ القول إلىٰ عَنْبسة بن سعيد فقال له: يا أبتِ، إن تهلك فإني أخلفك في ثلاث، قال: وما هن يا بني؟ قال: اجعل صديقي دون صديقك، وأقضي دينك قبل ديني، وأزوج بناتك. فقال سعيد: لئن فعلت ما قلت لقد كنت خير أب، وكنت لي خير ولد، يا بني قد كنت لك في حياتي فكُن لي بعد وفاتي، ثم تمثل: ...) وذكر خمسة أبيات، ثم لبث ساعة فمات! وانظر: الوصايا التالية.

(٤) **مناسبة الوصية**: لما حضرته الوفاة.

وما دَيْنُك يا أبَهْ؟ قال: ثمانون ألف دينار. قال: يا أبَهْ وفيم أخذتَها؟! قال: يا بني في كريم سددتُ منه خَلَّةً[1]، وفي رجلٍ جاءني في حاجةٍ ودمُه يَنْزُو[2] في وجهه من الحياء، فبدأت بحاجته قبل أن يسألَنِيها)[3].

[١٨٢] قال سعيد بن العاص لبنيه[4]:

(يا بني، لا يفقدَنَّ إخواني[5] عندكم غيرَ وجهي. أَجْرُوا عليهم ما كنت أجري عليهم، واصنعوا بهم ما كنت أصنع[6]، ولا تلجئوهم إلىٰ[7] الطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانُه، وارتعدت فرائصُه[8]، وكلَّ لسانُه، ونَزَا الدَّمُ في وجهه، فاكفوهم مؤونَةَ الطلبِ بالعطية قبل المسألة، فإني لا أجد لوجه رجل بات[9] يتململ[10] علىٰ فراشه[11] رآكم موضعًا لحاجته، فغدا بها إليكم، لا أرىٰ قضاء حاجته عوضًا من بذل وجهه، فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبِقُوكم إليها بالمسألة)[12].

---

(١) خلَّة: حاجة شديدة.

(٢) ينزو: يثب ويتجمع. والمراد احمرار الوجه وانكماشه خجلاً.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٣١٥، وتهذيب الكمال ٣/ ١٧٥.

(٤) **مناسبة الوصية**: لما حضرته الوفاة.

(٥) في الإخوان: يابني، لاتُفقِدوا إخواني مني. وفي البداية والنهاية: أصحابي.

(٦) في البداية والنهاية: فصلوهم بما كنت أصلهم به.

(٧) في المنتظم والبداية والنهاية: واكفوهم مؤونة الطلب.

(٨) في المصدرين السابقين: مخافة أن يرد. وفي الإخوان: وكلَّ لسانه، وبدا الكلام!

(٩) في المصدرين السابقين: فوالله لرجل.

(١٠) في الأصل: تململ. والتصحيح من المصدرين السابقين.وفي الإخوان: يتقلقل... ذاكرًا... فعدا!

(١١) في المصدرين السابقين: .. فراشه يراكم موضعًا لحاجته أعظم عليكم منَّة منكم عليه بما تعطونه.

(١٢) **التوثيق**: وردت الوصية في البر والصلة لابن الجوزي ٢٤٤-٢٤٥، وكتاب الإخوان ٢١٩، ولم يبرأ من تحريف، كما وردت باختصار يسير في المنتظم ٤/ ١١٥، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢٥، وغرر الخصائص ٢٤٧.

[١٨٣] قال سعيد بن العاص لابنه عمرو[١]:

(إني قد رضيت غيبتَك وشهادتَك، فانظر ديني فاقضِهِ واكسرْ فيه أموالي، ولا يعطِهِ عني معاويةُ، وانظر بناتي فلتكُن قبورُهن بيوتَهنَّ إلَّا من الأكفاء، وانظر إخواني لا يفقدوني، احفظ منهم ما كنتُ أحفظ)[٢].

[١٨٤] قال سعيد بن العاص لابنه:

(اقتصد في مزاحك؛ فإن الإفراط فيه يذهبُ البهاءَ، ويجرئ عليك السفهاء، وإنَّ التقصيرَ فيه يَفضُّ[٣] عنك المؤانسين، ويُوحِشُ منك المصاحبين[٤])[٥].

[١٨٥] قال سعيد بن العاص:

(يا بني، إن المكارمَ لو كانت سهلةً يسيرةً لسابقكم إليها اللئام، ولكنَّها كريهةٌ مُرَّةٌ لا يصبر عليها إلَّا من عَرَفَ فضلَها، ورجا ثوابَها)[٦].

---

(١) **مناسبة الوصية:** (لما احتضر -سعيد- دعا ابنه عمرًا فقال: ....).

(٢) **التوثيق:** وردت الوصية في مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٣١٥، وقد جاء في البيان والتبيين ١/ ٣١٦ أن معاوية قال لعمرو بن سعيد: إلىٰ من أوصىٰ بك أبوك؟ قال: إن أبي أوصىٰ إليَّ ولم يوص بي. قال: وبأي شيء أوصاك؟ قال: بألَّا يفقد إخوانُه منه إلَّا شخصَه! والذي دعا سعيدًا إلىٰ رفض سداد ديونه من قِبَلِ معاوية ﷺ ما جاء في صدر الخبر: (كان سعيد بن العاص واليًا لمعاوية علىٰ المدينة، فأصابَ الناس سِنَةٌ فأقحموا (هبطوا من البادية إلىٰ المدينة هربًا من القحط) فأطعمهم سعيد حتىٰ أنفق ما في بيت المال، وادَّان، فكتب إلىٰ معاوية فغضب وقال: لم يرضَ أن أنفق مالنا حتىٰ ادَّان، فعزله)!

(٣) في محاضرات الأدباء: يقبض المؤانسين. وفي المراح في المزاح: يغض عنك، ولعله تصحيف.

(٤) في محاضرات الأدباء: ويوحش المخالطين.

(٥) **التوثيق:** وردت الوصية في أدب الدنيا والدين ٤٩١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٨٢، ونهاية الأرب ٤/ ٧٤ (باختصار) وغرر الخصائص ١٨٥ (باختصار) والمراح في المزاح للغزي ١٠.

(٦) **التوثيق:** وردت الوصية في مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ١٢، والجامع لشعب الإيمان ١٥/ ١٢، ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ٣١٥-٣١٦.

[١٨٦] وقال سعيد لولده:

(من أتاكم في مجالسِكم فقد وَجَبَ حقُّه عليكم، ومن أتاكم في منازلكم فقد وَجبَتْ حُرمتُه عليكم، ومن أتاكم في حاجته فلا تَدَّخِروه شيئًا، فَمِنَّته عليكم أعظمُ إذ رآكم موضعًا لحاجته)[١].

[١٨٧] قال سعيد بن العاص لابنه عمرو:

(يا بني، إن الولاياتِ مِحَنُ الرجال تُبْدِي محاسنَهم ومساوئَهم[٢]، فإن وَلِيتَ فاستطعت أن تكون ذكرًا حسنًا فافعل)[٣].

[١٨٨] قال سعيد بن العاص لابنه:

(يا بني، لا تمازحِ الشريفَ فيحقدَ عليك، ولا الدنيءَ فتهونَ عليه[٤])[٥].

[١٨٩] كان سعيد بن العاص يقول لبنيه:

(تعلَّمُوا الشعرَ)[٦].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في تهذيب الرياسة ٢٧٠.

(٢) الروايات: في نثر الدر: المحاسن والمساوئ.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٤/ ٢٤٩، كما ورد صدرها (باختصار) في نثر الدر ٣/ ١٧٥.

(٤) في بهجة المجالس ومجمع الأمثال وتمثال الأمثال: فيجترئ عليك. وأورد ابن كثير الوصية برواية الأصل، وأشار إلىٰ هذه الرواية.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في المجالسة ٣/ ٢٤٥، ونثر الدر ٣/ ١٦٢، بهجة المجالس ٢/ ٥٦٧، ومجمع الأمثال ٣/ ١٩٧، ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ٣١٦، وتهذيب الكمال ٣/ ١٧٥، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢٤.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ دمشق ١٥/ ٨٧، وبغية الطلب ٦/ ٢٨٩٥، وانظر وصايا عروة بن الزبير.

[١٩٠] قال سعيد بن مسعود لابنه قُمَيرٍ[١]:

(يا قميرُ[٢]، اصرزْ[٣] أذنيك[٤] إصرارَ الفرسِ الجموح، وعَضَّ علىٰ نواجذك[٥]،

---

(١) **صاحب الوصية ومناسبتها**: كان سعيد بن مسعود بن الحكم، من بني مالك بن عمرو بن تميم، شريفًا يكنىٰ أبا الزبير، وولَّاه عدي بن أرطاة الفزاري -والي عمر بن عبد العزيز علىٰ العراق- عمان، فضرب رجلًا من الأزد يقال له خليد بن سعوة، في ناقة كانت للأزدي، مئة سوط، فاستعداه الأزدي علىٰ عمر بن عبد العزيز، فكتب عمر إلىٰ عدي: «إن استعمالك سعيد بن مسعود قدر من الله قدره عليك، وبلية ابتلاك بها، فإذا أتاك كتابي فابعث إليه من يعزله، وابعث به إليَّ مشدودًا موثقًا». فعزله عدي وحمله إلىٰ عمر، فلما دخل عليه أعطىٰ عمر الأزديَّ سوطًا وقال: قم فاجلده كما جلدك. فقال ابنه قمير بن سعيد بن مسعود -وكان جَلْدًا-: أنا الذي ضربت الرجل، فضرب الرجل قميرًا مئة سوط فقال سعيد لابنه قمير... انظر: جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٣٢-١٣٣، ١٣/ ٤٣-٤٤. وقد ورد في البيان والتبيين: (لما أقاموا ابن قميئة بين العقابين قال له أبوه). وقد علق المحقق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلًا: (ابن قميئة هذا ليس هو عمرو بن قميئة، ولعل في اسمه تحريفًا)، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر دقة من محقق نثر الدر الذي جاء صدر النص عنده: (لما أقام (!) ابن قميئة...) وعرَّف به علىٰ أنه عمرو بن قميئة بن سعد... ولا شك في أن هذا وهمٌ كبير، فابن قميئة جاهلي، وصاحب الوصية واضح من سياق النص أنه مسلم. وفي محاضرات الأدباء: (وقال أعرابي لابنه وقد قدِّم للقتل)! والعقابان: خشبتان يمدُّ الرجل بينهما للجَلْدِ.

(٢) في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٤٣: فقال سعيد لابنه قمير -وكان يسمَّىٰ عبد العزيز-: يا عبد العزيز.

(٣) قبل هذا في البيان والتبيين: طِدْ رجليك بالأرض. وفي نثر الدر: أطرَّ. ولعله تصحيف -خاصة وروايته قريبة جدًّا من رواية البيان والتبيين فلعله أخذ عنه. يقال: وطد: رسا وثبت. ووطَّد الشيء: أثبته. وفي محاضرات الأدباء: اصفف قدميك.

(٤) في البيان والتبيين ونثر الدر: وأصرَّ إصرار الفرس. وصرَّ الفرس بأذنه وأصرَّ بها: سوَّاها ونصبها للاستماع، وأصرَّ الفرس: إذا جمع أذنيه وعزم علىٰ الشدِّ. وجاءت الخيل مصرَّة آذانها: أي محددة آذانها رافعة لها، وإنما تصرُّ آذانها إذا جدَّت في السير. والفرس الجموح: الذي عتا عن أمر صاحبه حتىٰ غلبه.

(٥) انفرد بها جمل من أنساب الأشراف وفي ١٣/ ٤٤ منه: ناجذك. والنواجذ: الأضراس.

واذكر أحاديثَ غدٍ[١]، وإياك وذكرَ الله فإنه مَعْجَزَةٌ[٢])[٣].

[١٩١] قال سليمان[٤] [بن عبد الملك] لابنيه[٥]:

(يا ابنيَّ، لا تَنِيَا[٦] في طلب العلم؛ فإني لا أنسىٰ ذلَّنا بين يدي هذا العبد الأسود[٧])[٨].

---

(١) أي تذكَّرْ أحاديثَ الناس عنك بعد الحدث -إيجابًا أو سلبًا- وهو ما يساعده في التحمل طلبًا للذكر الحسن.

(٢) في البيان والتبيين ونثر الدر: وإياك وذكر الله في هذا الموضع فإنه من الفشل. وفي محاضرات الأدباء: ودع... والمعجزة: العجز والضعف، والفشل: التراخي والجبن.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٣٣، وقد وردت فيه (باختصار) ١٣/ ٤٣-٤٤، وفي البيان والتبيين ٢/ ٢٨٦، ونثر الدر ٦/ ٣٨٩، ومحاضرات الأدباء ٢/ ١٤٤.

(٤) **صاحب الوصية**: سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي. بويع بالخلافة بعد أخيه الوليد سنة ٩٦هـ كان ديِّنًا فصيحًا جميل المذهب حسن السيرة، أطلق السجناء وقسم الأموال العظيمة في الناس، توفي سنة ٩٩هـ.
انظر: جمل من أنساب الأشراف ٨/ ٩٩، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١١.

(٥) **مناسبة الوصية**: (جاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلىٰ عطاء هو وابناه فجلسوا إليه، وهو يصلي، فلما صلىٰ انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوَّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قُوما فقاما، فقال: ....).

(٦) لا تنيا: لا تقصِّرا.

(٧) المراد به هو عطاء بن أبي رباح، وكان أبوه مولىٰ لامرأة من بني فهر، وانتهت فتوىٰ مكة إليه، كان أسود شديد السواد، أعور أفطس أشلَّ أعور، ثم عمي بعد ذلك، وكان فصيحًا إذ تكلم، وكان ثقة فقيهًا عالمًا كثير الحديث، توفي سنة ١١٥هـ، أو ١١٦هـ.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٤٦٧، وصفة الصفوة ٢/ ٢١١، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٦٥.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في صفة الصفوة ٢/ ٢١٢، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٦٧، والعقد الثمين ٦/ ٨٩-٩٠.

[١٩٢] هذه وصية سَمُرةَ[١] إلى بنيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، سلامٌ عليكم، فإني أحمدُ الله إليكم، الذي لا إله إلَّا هو، أمَّا بعد ذلكم فإني أوصيكم بتقوىٰ الله ﷻ، وأن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتجتنبوا التي حَرَّمَ الله ﷻ، وتسمعوا وتطيعوا الله ﷻ ورسوله ﷺ، وكتبه، والخليفة الذي يقوم علىٰ أمر الله ﷻ، وجميع المسلمين.

أمَّا بعد: فإن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن يصلي أحدُنا كلَّ ليلة بعد الصلاة المكتوبة ما قلَّ أو كَثُرَ من الصلاة، ونجعلها وترًا[٢]، وكان يأمر أن نصلي أيَّ ساعة شئنا من الليل والنهار، غير أنه أمرنا أن نجتنب طلوعَ الشمس وغروبها، وقال: إن الشيطان يغيب معها حين تغيب، ويطلع معها حين تطلع، وأمرنا أنا نحافظ علىٰ الصلوات كلِّهن، وأوصانا بالصلاة الوسطىٰ، ونبَّأنا أنها صلاة العصر[٣])[٤].

---

(١) **صاحب الوصية**: سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، كان من علماء الصحابة، وكان غلامًا زمن حياة النبي ﷺ، نزل البصرة، وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلىٰ الكوفة، مات سنة ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين.

انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٣، والوافي بالوفيات ١٥/ ٤٥٤، والإصابة ٣/ ١٧٨.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا» رواه البخاري (فتح الباري ٢/ ٤٨٨ ح٩٩٨).

(٣) قال رسول الله ﷺ: «صلاة الوسطىٰ صلاة العصر» رواه أحمد في مسنده ٣٣/ ٣١٣ ح٢٠١٢٩.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في وصايا العلماء عند حضور الموت ١٠٤-١٠٥، ويعتريها -كما هو واضح- بعض خلل، وقد وردت فقرات منها في المعجم الكبير للطبراني ٧/ ٢٤٦ (ح٧٠٠١)، ٧/ ٢٤٨ (ح٧٠٠٨)و(ح ٧٠١٠)، وقد جاء في الوافي بالوفيات ١٥/ ٤٥٤، والإصابة ٣/ ١٧٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٦-٢٣٧ (قال ابن سيرين: في رسالة سمرة إلىٰ بنيه علمٌ كثير).

[١٩٣] قال أبو سفيان[١] لابنه معاوية[٢]:

([يا بني][٣] إن هؤلاء الرَّهْطَ من المهاجرين سبقونا وتأخرنا[٤]، فرفعَهم سبقُهم[٥] وقصَّر بنا تخلُّفُنا[٦]. وصاروا قادةً وصرنا أتباعًا[٧]. وقد ولَّوكم[٨] جسيمًا من أمرهم، فلا تخالفوهم[٩]، فإنك تجري إلىٰ أمدٍ[١٠] لم تبلغْه، وستبلغه[١١])[١٢].

---

(١) **صاحب الوصية:** صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي، رأسُ قريش وقائدهم يوم أحد والخندق، أسلم عام الفتح، كان من دهاة العرب وأهل الرأي والشرف فيهم، مات بالمدينة سنة ٣١هـ (علىٰ خلاف).

انظر: كتاب الطبقات لخليفة ١٠، وسير أعلام النبلاء ٢/ ١٠٥، والإصابة ٣/ ٤١٢.

(٢) **مناسبة الوصية:** (لما ولَّىٰ عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان ما ولاه من الشام خرج إليه معاوية، فقال أبو سفيان لهندٍ: كيف ترين؟ صار ابنك تابعًا لابني! فقالت: إن اضطرب حبل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني. فمات يزيد بالشام، فولىٰ عمر معاوية موضعه)، فأوصته أمه وأوصاه أبوه. تاريخ دمشق والبداية والنهاية. وفي العقد ١/ ٢٥-٢٦: (لما قدم معاوية من الشام -وكان عمر قد استعمله عليها- دخل علىٰ أمه هند فقالت: [انظر وصيتها في موضعها] ثم دخل علىٰ أبيه أبي سفيان فقال: ... قال معاوية: فعجبت من اتفاقهما في المعنىٰ علىٰ اختلافهما في اللفظ.

(٣) زيادة من سائر المصادر.

(٤) زاد في العقد: عنهم.

(٥) زاد في بعض نسخ البداية والنهاية -كما نبَّه المحققون-: وقدَّمهم عند الله وعند رسوله.

(٦) في سائر المصادر: تأخرنا.

(٧) في بعض نسخ البداية والنهاية: قادة وسادة.

(٨) في العقد: ولَّوك. وفي تاريخ دمشق والبداية والنهاية: قلَّدوك.

(٩) في العقد: فلا تخالفنَّ أمرهم. وفي تاريخ دمشق والبداية والنهاية: من أمورهم فلا تخالفهم. وجسيمًا: عظيمًا.

(١٠) الأمد: الغاية والنهاية.

(١١) في العقد: ولو قد بلغته لنُوفِست فيه. وفي تاريخ دمشق: تنافس فيه، فإن بلغته أورثته عقبك. ومثله في البداية والنهاية إلَّا أن فيه: فنافس فيه.

(١٢) **التوثيق:** وردت الوصية في: جمل من أنساب الأشراف ٥/ ١٧ كما وردت في العقد ١/ ٢٦، وتاريخ دمشق (قسم النساء) ٤٥٩، والبداية والنهاية ١١/ ٣٩٩.

[١٩٤] قال أبو سفيان لابنه معاوية[١]:

(يا بني، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا فأساؤوا سبقَنا، فرفعوا وضيعَهم، ووضعوا رفيعَنا، وصرنا أذنابًا وصاروا رؤوسًا، وقد رأيتهم وَلَّوكَ جسيمًا من غير حاجة بهم إليك ولكنه جَدٌّ وقع، فاعمل بما وافقهم، إما لربك وإما لهم)[٢].

[١٩٥] قال عبد الله بن طاوس: قال لي أبي[٣]:

(يا بني، صاحبِ العقلاءَ تنسبْ إليهم وإن لم تكُن منهم، ولا تصاحب الجهالَ فتنسبْ إليهم وإن لم تكُن منهم، واعلم أن لكل شيء غايةً، وغاية المرءِ حسنُ خلقِه[٤])[٥].

---

(١) **مناسبة الوصية:** (قدم معاوية من ولاية -كان عمر ولاه إياها- فلما دخل عليه قال له: متىٰ قدمت؟ قال: الآن، وبدأت بك. قال: اذهب فابدأ بأبويك فإن حقنا لم يدخل علىٰ حقهما، وابدأ بأمك. قال: فخرجت من عنده ودخلت علىٰ أمي هند فقالت: ... قال: فخرجت من عندها فدخلت علىٰ أبي فقال: ....).

(٢) **التوثيق:** وردت الوصية في نثر الدر ٣/ ١٧-١٨، وواضحٌ أنها الوصية السابقة نفسها، لكن يبدو أن يد الصراع السياسي والمذهبي قد امتدت إليها في هذه الرواية! ولعل التقارب الشديد في رواية مناسبتها ووصية هند فيها مع رواية جمل من أنساب الأشراف يعزز هذا الظن.

(٣) **صاحب الوصية:** أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني، أحد سادات التابعين، كان من عبَّاد أهل اليمن، توفي حاجًّا في السابع من ذي الحجة سنة ١٠٦هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٢/ ٥٠٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨، وتهذيب التهذيب ٥/ ٨.
وابنه عبد الله راوية ثقة، كان من أعلم الناس بالعربية وأحسنهم خلقًا، مات سنة ١٣٢هـ.
انظر: الوافي ١٧/ ٢٢٤، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٦٧، وبغية الوعاة ٢/ ٤٦.

(٤) في وفيات الأعيان: عقله.

(٥) **التوثيق:** وردت الوصية في حلية الأولياء ٤/ ١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١١.

[١٩٦] عن ابن طاوس قال أبي:

(إذا[١] قدمتَ مكةَ فعليك بعمرو[٢] بن دينار، فإن أذنيه كانتا[٣] قِمْعًا للعلماء)[٤].

[١٩٧] قال طاوس لابنه:

(هل كتبت؟ قال: نعم. قال: أعَارَضْتَ؟[٥] قال: لا. قال: يا بني لَمْ تكتبْ! ثم قال: يا بنيَّ أعارضتَ؟ قال: نعم. قال: أعجمت؟[٦] قال: لا. قال: أعجم فإن العَجْمَ

---

(١) في المجالسة: يا بني.

(٢) في المجالسة وشذرات الذهب: فجالس عمرو. وعمرو بن دينار أحد الأعلام، إمام كبير حافظ ثقة كثير الحديث، أفتىٰ بمكة ثلاثين سنة، وتوفي سنة ١٢٥هـ أو ١٢٦هـ.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٤٧٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٠، وتهذيب التهذيب ٨/ ٢٨.

(٣) في المجالسة: فإن أذنه كانت. وفي شذرات الذهب: فإن أذنيه قمع العلم، والقِمع بكسر القاف: إناء واسع الأعلىٰ ضيق الأسفل يصب فيه الدهن وغيره. والمراد الثناء علىٰ دقة حفظه ووعيه لما يسمعه من العلماء.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٤٧٩، كما وردت في المجالسة للدينوري ٢/ ٣٤، وشذرات الذهب ١/ ١٧١.

(٥) المعارضة: المقابلة، والمراد بها مقابلة النسخة التي يكتبها الطالب لنفسه بأصل السماع، أي بأصل شيخه الذي سمع منه، أو نسخةٍ تحقَّق ووَثق بمقابلتها بالأصل. وكان العلماء يرون للمعارضة أهمية كبرىٰ في الضبط. حتىٰ قال الأوزاعي -أو يحيىٰ بن أبي كثير-: مثل الذي يكتب ولا يعارض مثل الذي يدخل الخلاء ولا يستنجي! انظر: الإلماع إلىٰ معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ١٦٠، وأدب الإملاء والاستملاء ٧٨.

(٦) الإعجام: وضع النقط. قال ابن الصلاح: (التقييد والإيضاح ٢٠٤): (ثم إن علىٰ كَتَبَةِ الحديث وطَلَبَتِهِ صرفَ الهمة إلىٰ ضبط ما يكتبونه أو يحصلونه بخط الغير من مروياتهم علىٰ الوجه الذي رووه شكلًا ونقطًا... وإعجام الكتاب يمنع من استعجامه، وشكله يمنع من إشكاله).
وقد نقل القلقشندي في صبح الأعشىٰ ٣/ ١٤٩ عن المدائني بسنده إلىٰ ابن عباس قوله: (لكل شيء نَوْرٌ ونَوْرُ الكتاب العَجْمُ). وفي الإلماع ١٤٩-١٥٠: (عن الأوزاعي قال: سمعت ثابت بن معبد يقول: العجم... وقد روي من قول الأوزاعي)، وعلق عليه.. في المحدث الفاصل: (هكذا لفظ الحديث، والصواب الإعجام، أعجمت الكتاب فهو معجم لا غير).

نَوْرُ الكتاب)[1].

[١٩٨] قال عامر[2] بن عبد الله بن الزبير لأحد أبنائه[3]:

(لا تنقَّصه[4] يا بني، فإن بني مروان[5] ما زالوا يشتمونه ستين سنة، فلم يزدْهُ الله[6] إلاَّ رفعةً، وإن الدين لم يَبْنِ شيئًا فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تَبْنِ شيئًا إلاَّ عادت[7] علىٰ ما بَنَتْ فهدمتْه)[8].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٣/ ٢٦٦، وقد ورد الحوار حتىٰ قوله: (لم تكتب يا بني) علىٰ أنه لعروة بن الزبير يقوله لابنه هشام في مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ١١١، والمحدث الفاصل ٥٤٤، والكفاية ٢٣٧، وجامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٣٦، والإلماع ١٦٠، وأدب الإملاء والاستملاء ٧٩.

(٢) **صاحب الوصية**: أبو الحارث عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام، كان أعبدَ أهلِ زمانه، حُمل عنه العلم، ورُوي عنه الحديث، كان كثير الصدقة علىٰ العباد. توفي سنة نيِّف وعشرين ومئة. (في الوافي ١٦/ ٥٨٩ توفي في حدود الثلاثين ومئة).

انظر: المعارف ٢٢٦، ونسب قريش ٢٤٣، والتبيين ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢١٩.

(٣) **مناسبة الوصية**: سمع عامر بن عبد الله بن الزبير ابنه يتنقَّصُ عليَّ بن أبي طالب ﷺ وينال منه. فقال...

(٤) قبلها في بهجة المجالس: مهلاً يا بني... وفي المحاسن والمساوئ: يا بني إياك وذكر علي ﷺ.

(٥) في المحاسن والمساوئ والجليس الصالح: فإن بني أمية تنقصته ستين عامًا (الجليس: ثمانين عامًا)... وفي بهجة المجالس: .. شتموه ستين...

(٦) في المحاسن والمساوئ: فما زاده الله بذلك. وفي الجليس الصالح: فلم يزده الله بذلك...

(٧) في الجليس الصالح: رجعت.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٢/ ١٨-١٩ (عن العتبي)، كما وردت في المحاسن والمساوئ ٥٥ (باختصار)، والجليس الصالح الكافي ٢/ ١١٣ (بسنده إلىٰ ابن دريد)، وبهجة المجالس ١/ ٤٠٣، وقد ورد في نسب قريش ٤٨: (وكان عامر يقول: إن الله لم يرفع شيئًا فاستطاع أحد خفضه. انظروا إلىٰ ما يصنع بنو أمية بالناس: يخفضون عليًّا، ويُغْرُون بشتمه! وما يزيده الله بذلك إلا رفعة!). وقد نسبت في بعض المصادر إلىٰ عبد الله بن عروة بن الزبير.

[١٩٩] أوصى عبد العزيز بن مروان[١] ابنه عمر فقال:

(اتق الله وأحسنْ نيتَك في عملِك كلِّه، فإنه لا دينَ لمن لا نيةَ له[٢]، وأحسن تدبير مالك، فإنه لا مالَ لمن لا تدبيرَ له[٣]، وارفق بمن تعامله، فإنه لا عيشَ لمن لا رِفْقَ له، وتجوَّزْ في شهواتك، فإنه لا عقلَ لمن لا يغلب هواه[٤])[٥].

[٢٠٠] وصَّى عبد الله بن الأهتم[٦] ابنه فقال:

---

(١) **صاحب الوصية**: عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، ولي مصر في عهد أبيه ثم في عهد أخيه عبد الملك، ودامت ولايته عليها عشرين عامًا إلىٰ حين وفاته، كان جوادًا حازمًا ممدحًا، توفي بحلوان في جمادىٰ الأولىٰ سنة ٨٥هـ.
انظر: كتاب الولاة للكندي ٤٨، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٦٣، والنجوم الزاهرة ١/ ١٧١.

(٢) في إصلاح المال: اعلم يا بني أنه لا دَيْنَ لمن لا دفتر له.

(٣) بعده في إصلاح المال -وهو نهاية الوصية فيه-: ولا مروءة لمن لا إخوان له. التدبير: حسن التصرف وسلوك الحكمة في الإنفاق.

(٤) جاء بعدها -في الحكمة الخالدة- كلام متصل بها هو: دارِ عدوَّك لأمرين: إما لصداقة تؤمِّنك وإما لفرصة تمكِّنك. وفي المثل القديم: قبِّل يدَ عدوِّك إذا لم يمكنك قطعَها. ويغلب علىٰ ظني أن هذا الكلام مقحم عليها؛ فجملها موصولة بحروف العطف، كما أن المثل لم أقف عليه فيما وقفت عليه من كتب الأمثال العربية، وقد وجدته منسوبًا لمحمد بن يزداد -أحد كتاب المأمون ووزرائه-، توفي سنة ٢٣٠هـ في عيون الأخبار ٣/ ١١٢، والتمثيل والمحاضرة ١٤٧، وتهذيب الرياسة ٢٣٠.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في الحكمة الخالدة ١٨٥، وقد وردت (باختصار) في إصلاح المال ٢٣٨، وفيه: كتب...

(٦) **صاحب الوصية**: عبد الله بن الأهتم بن سميٍّ بن سنان بن خالد المنقري، كان خطيبًا مشهورًا ذا مقاماتٍ ووفاداتٍ. انظر: البيان والتبيين ٢/ ٦٥، وجمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٢٧١، والفهرست ١٣٩. وقد عاصر زيادَ بنَ أبي سفيان، إذ كان له تعقيبٌ علىٰ خطبة زياد المسماة بالبتراء (البيان والتبيين ٢/ ٦٥)، وأشار الطبري (٦/ ١٦٥) إلىٰ أنه أصبح علىٰ شُرَطِ البصرة حين غلب عليها حمران بن أبان سنة ٧١هـ. كما أشار (٦/ ٤٥٤) إلىٰ أنه أصبح علىٰ خراج قتيبة بن مسلم في ولايته خراسان. كما ساق الطبري (٦/ ٥٢٤-٥٢٥) خبر بعثه من قبل يزيد بن المهلب إلىٰ سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧هـ. =

(إنَّا أهلُ بيتٍ يتوارثُ علمًا قلَّ ما طلبنا به حاجةً إلَّا أدركناها[1]، وأدبًا قلَّ ما أردنا به منزلةً إلَّا نلناها، يا بني لا تطلب الحاجة[2] إلىٰ غيرِ أهلِها، ولا تطلبها إلَّا في[3] حينِها، ولا تطلب ما لست له مستحقًّا، فإنك إن فعلتَ ذلك كنت حقيقًا بالحرمان)[4].

[٢٠١] قال عبد الله بن الأهتم لابنه:

(يا بني، توقَّ[5] نفسَك، فإن في خلافها رشدَك[6])[7].

=ووفد علىٰ عمر بن عبد العزيز إبان خلافته وخطب بين يديه (العقد الفريد ٤/ ٩١، والتذكرة الحمدونية ٦/ ٢٨٥، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١٦١). ويبدو أن اسمه اختلط باسم ابنه عبد الله بن عبد الله بن الأهتم إذ ذكرت بعض المصادر أن ابنه هو الذي عيَّنه قتيبة، وهو الذي خطب بين يدي عمر بن عبد العزيز.

(١) لعله يعني الخطابة التي اشتهرت بها أسرته.. ولعل من مواقفه ما ورد في العقد ١/ ١٦٤-١٦٥، من أنه حين فرَّ أميةُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد يوم مرداء هجر (موضع بهجر) من أبي فديك الخارجي، ودخل عليه أهل البصرة، لم يَدْرُوا كيف يكلِّمونه ولا ما يلقونه به من القول، أيهنئونه أم يعزُّونه حتىٰ دخل عليه عبد الله بن الأهتم فاستشرف الناس له، وقالوا: ما عسىٰ أن يقال للمنهزم؟! فسلَّم وتكلَّم بكلام قال أمية علىٰ إثره: ما وجدت أحدًا أخبر عن نفسي غيرَك!

(٢) في أدب الدنيا والدين: الحوائج.

(٣) في المصدر السابق: في غير حينها.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الممتع في صنعة الشعر ٢٤، وورد منها في أدب الدنيا والدين ٥٢٦ قوله: (يا بني لا تطلب الحوائج... الحرمان). وورد هذا الجزء منها منسوبًا إلىٰ خالد بن صفوان -باختلاف يسير وزيادة في بعض المصادر -في عيون الأخبار ٣/ ١١٩، وبهجة المجالس ١/ ٣٢٠، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢٣٦، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٦٥-.

(٥) توق: احذرها وتلافَ شرها.

(٦) رشدك: صلاحك.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في ذم الهوىٰ لابن الجوزي ٤٦.

[٢٠٢] وقال عبد اللّٰه بن جعفر[(١)] لابنته[(٢)]:

(يا بنية، إياك والغيرةَ فإنها مفتاحُ الطلاق، وإياك والمعاتبةَ فإنها تُورِث البِغْضَةَ، وعليك بالزينة والطيب، واعلمي أن أزينَ الزينةِ الكحلُ وأطيبَ الطيبِ الماءُ)[(٣)].

[٢٠٣] أوصى عبد الله بن خازم[(٤)] بنيه[(٥)]، فقال:

---

(١) **صاحب الوصية**: أبو جعفر عبد اللّٰه بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، يعد من صغار الصحابة، اشتهر بالجود والعطاء حتىٰ قال ابن قتيبة: (كان أجود العرب)، ولد في الحبشة وتوفي بالمدينة وقد كَبِرَ، اختلف في وفاته بين عامي ٨٠-٩٠هـ.
انظر: المعارف ٢٠٦، ونسب قريش ٨١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٥٦.

(٢) **مناسبة الوصية**: (قال عبد اللّٰه بن جعفر لابنته عند هدائها علىٰ زوجها...) تحفة العروس.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في: البيان والتبيين ٢/ ٩١، كما وردت في نثر الدر ١/ ٤٢٣، وتداخلت مع وصيتي سماء بن خارجة وأبي الأسود الدؤلي لابنتيهما (راجعهما)، وأورد التجاني في تحفة العروس ١٢٠، نصفها الآخر (عليك... الماء)، ثم عقَّب قائلًا: (وقال أيضًا أبو الأسود مثل ذلك لابنته. وقال مثله أسماء بن خارجة لابنته حين هدائها إلىٰ الحجاج؛ فاتفقوا جميعًا علىٰ توصيتهن بالزينة، وأكدوا منها في الكحل)!

(٤) **صاحب الوصية**: عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت السلمي، أمير خراسان لابن الزبير، أصله من البصرة، كان من أشجع الناس في زمانه، لما قتل مصعب بن الزبير غلب علىٰ خراسان، فأطمع عبد الملك والي مرو من قِبَلِ عبد الله بن الزبير بولاية خراسان، فثار علىٰ عبد الله بن خازم، وثار عليه أهل خراسان فقتلَه وكيعُ بن الدورقية سنة ٧١ أو ٧٢هـ.
انظر: مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ١٣٣، والكامل في التاريخ ٤/ ٣٤٥، والإصابة ٤/ ٦٩.
وقد ورد الاسم في تهذيب اللغة والغريبين والنهاية في غريب الحديث وتاج العروس: عبد الله بن حازم، ولم أقف علىٰ من يسمَّىٰ بهذا الاسم، وقد ورد في لسان العرب والتكملة للصاغاني: عبد الله بن خازم، وهو -في ظني- الصحيح، خاصة ومن يقرأ تفاصيل الأحداث التي خاضها عبد الله بن خازم في خراسان، وعلاقته بالولاة يدرك مدىٰ الصلة بينه وبين الوصية. وقد تحرَّف اسم أبيه (خازم) إلىٰ (حازم) في الأغاني (مصورة بولاق) ١٠/ ١٥١، كما أشار محقق جمهرة أنساب العرب ١١٨ إلىٰ أن ذلك التحريف وقع في جميع نسخ الكتاب سوىٰ نسخة واحدة!

(٥) **مناسبة الوصية**: عند موته!

(إذا[١] أصابتكم خطَّةُ ضَيْمٍ[٢] لا تقدرون علىٰ دَفْعِهِ[٣] فقَرْدِحُوا[٤] له، فإنَّ اضطرابَكم أشدُّ لرسوخِكم[٥] فيه)[٦].

[٢٠٤] قال عبد الله بن شداد بن الهادِ[٧] لابنه محمد[٨]:

---

(١) في اللسان وتاج العروس: يا بني إذا.

(٢) الخطة: الأمر أو الحالة. وفي الحديث: «إنه قد عُرض عليكم خطَّة رشد فاقبلوها» أي أمر واضح في الهدىٰ والاستقامة. ضيم: ذلٌّ، أو ظلم.

(٣) في اللسان: لا تطيقون دفعها. وفي تاج العروس: لا تطيقون وقعها. (ربما تصحيف).

(٤) في المصدرين السابقين: فقردحوا لها. والقردحة: القرار علىٰ الضيم. والصبر علىٰ الذل. يقول: لا تضطربوا فيه فإن ذلك يزيدكم خبالًا.

(٥) في المصدرين السابقين: اضطرابكم فيه. رسخ رسوخًا: ثبت في موضعه. ورسخ العلم في قلبه: تمكَّن فيه.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في تهذيب اللغة ٥/ ٣٠٠، وفيه (أخبرني به المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي)، والتكملة والذيل والصلة للصاغاني ٢/ ٨٦، ولسان العرب (قردح) وتاج العروس (قردح)، كما وردت -باختصار- في الغريبين لأبي عبيد الهروي ٥/ ١٥٢٢، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٢٣١ وفيه: أوصىٰ رجل بنيه، والنهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٧ وفيه: عبد الله بن حازم، وهو تصحيف.

وفي المحكم لابن سيده (٤/ ٣٦٤) -وعنه في اللسان (خطط)-: (والخَطيطة: الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين، وقيل: هي التي مُطِر بعضُها، وأمَّا ما حكاه ابن الأعرابي من قول بعض العرب لابنه: يا بني، الزم خطيطة الذل مخافة ما هو أشدُّ منه، فإنَّ أصل الخطيطة الأرض التي لم تمطر، فاستعارها للذل، لأن الخطيطة من الأرضين ذليلة بما بُخِسَتْهُ من حقها).

(٧) **صاحب الوصية**: عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي، ولد في زمن النَّبِيِّ ﷺ، كان ثقة قليل الحديث، من العلماء العبَّاد الزهاد، خرج مع ابن الأشعث وقتل سنة ٨٢هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٧٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٨، والبداية والنهاية ١٢/ ٣١٢.

ولم أقِفْ لابنه محمد علىٰ ترجمة.

(٨) **مناسبة الوصية**: لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة دعا ابنه محمدًا فقال له: ... الأمالي والأغاني ولباب الآداب.

(يا بني، إني أرىٰ داعيَ[1] الموتِ لا يقلعُ، وأرىٰ من مضىٰ لا يرجعُ[2]، ومن بقي فإليه ينزعُ[3]، وإني موصيك[4] بوصيةٍ فاحفظها، عليك بتقوىٰ الله العظيم، وليكن أولىٰ الأمور بك شكرَ الله[5] وحسنَ النية في السرِّ والعلانية، فإن الشكورَ يزداد، والتقوىٰ[6] خيرُ زاد، وكن كما قال الحطيئة[7]: (الوافر)

ولستُ أرىٰ السعادةَ جمعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوىٰ الله خيرُ الزاد ذخرًا وعند الله للأتقىٰ مزيدُ
وما لا بدَّ أن يأتي قريبٌ ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ[8]

ثم قال: أي بني[9]، لا تزهدنَّ[10] في معروفٍ، فإن الدهرَ ذو صروف؛ والأيامَ

---

(١) في نثر الدر ٧/ ١٢٧: دواعي.
(٢) في الأغاني: وبحقٍّ أن من مضىٰ. وفي لباب الآداب: ومن مضىٰ منا.
(٣) زاد بعدها في لباب الآداب: وليس عليه أحد بممتنع.
(٤) في المصدر السابق: وإني أوصيك -يا بني- بوصية.
(٥) في الأغاني: وليكن أولىٰ الأمور بك تقوىٰ الله في السر والعلانية، والشكر لله. وزاد بعدها: وصدق الحديث والنية.
(٦) في الأغاني: فإن للشكر مزيدًا. وفي لباب الآداب: واعلم بأن الشاكر مزاد. وفي عين الأدب والسياسة: واعلم يا بني أن الشكر مزاد.
(٧) هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، والحطيئة لقبٌ لقِّب به، شاعر مخضرم، كان راوية لزهير بن أبي سلمىٰ، وكان من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم، متصرِّف في فنون الشعر المختلفة، اشتهر بالهجاء.
انظر: طبقات فحول الشعراء ١٠/ ٩٧، والشعر والشعراء ١/ ٣٢٢، والأغاني ٢/ ١٣٠.
(٨) الأبيات وردت في صلة ديوان الحطيئة ٣٢٠ (تحقيق د. نعمان محمد طه)، وقد وردت الأبيات ضمن قصيدة طويلة -تقدم فيها البيت الثالث، وفصل بينه وبين البيتين الأخيرين بأبيات- في ديوان النابغة الشيباني (تحقيق د. عبد الكريم إبراهيم يعقوب) ٩٨-٩٩.
(٩) في ربيع الأبرار ٣/ ٦٧٥، ولباب الآداب والمستطرف: يا بني.
(١٠) في نثر الدر ٧/ ١٢٧: لا تزهدوا!

ذاتُ نوائبَ، علىٰ الشاهد والغائب، فكم[١] من راغبٍ قد كان مرغوبًا إليه، وطالبٍ أصبح[٢] مطلوبًا ما لديه[٣]؛ واعلم أن الزمان[٤] ذو ألوان، ومَنْ يصحب الزمان يرىٰ[٥] الهوانَ، وكُن -أي بني- كما قال أبو الأسود الدؤلي[٦]: (الطويل)

وعُدَّ من الرحمنِ فضلًا ونعمةً — عليك إذا ما جاء للعُرْفِ طالبُ[٧]

وإن امرأً لا يُرتجىٰ الخيرُ عنده — يكن هيِّنًا ثِقْلًا علىٰ مَنْ يصاحبُ

فلا تمنعنْ ذا حاجةٍ جاء طالبًا — فإنَّك لا تدري متىٰ أنت راغبُ[٨]

رأيت الْتِوَا هذا الزمانِ بأهله — وبينهم فيه تكون النوائبُ[٩]

---

(١) في البيان والتبيين ٢/ ١١٣: وكم. وفي نثر الدر ٧/ ١٢٧، وربيع الأبرار ٣/ ٦٧٥، ولباب الآداب (وأصلحها المحقق بما في الأمالي): كم.

(٢) في ربيع الأبرار ٣/ ٦٧٥ والمستطرف: وطالب كان مطلوبًا. وفي لباب الآداب: قد أصبح.

(٣) في البيان ٢/ ١١٣، ونثر الدر ٤، ٧: إليه. وفي شرح النهج جاء بدل الجملة: ومتبوعٍ أمسىٰ تابعًا.

(٤) في البيان والتبيين ونثر الدر، وشرح النهج: والزمان ذو ألوان. وفي لباب الآداب: واعلم بأن.

(٥) في نثر الدر: يرَ. ومع الرواية المثبتة في المتن تكون (مَنْ) موصولية. وفي هذه الرواية تكون شرطية، ويكون الفعل (يرَ) جواب الشرط.

(٦) في ربيع الأبرار ٣/ ٦٧٥: كما قال أخو بني الدِّيل. وفي لباب الآداب: أخو بني الدئل. وفي عين الأدب والسياسة: وكن كما قال الشاعر. وفي المستطرف: وكن كما قال القائل. وفي النسبة إلىٰ الديل والدئل انظر الأنساب للسمعاني ٥/ ٤٠٥، وأبو الأسود تقدمت ترجمته عند وصاياه.

(٧) في لباب الآداب: وعدِّدْ. وفي عين الأدب والسياسة: ومنَّة، وفي ربيع الأبرار ٣/ ٦٧٥، ولباب الآداب والمستطرف: للخير.

(٨) في ربيع الأبرار ٣/ ٦٧٥، وعين الأدب والسياسة والمستطرف: ولا تمنعن... راغبًا.

(٩) في لباب الآداب: رأيت تصاريف الزمان، وفي عِين الأدب والسياسة: تكون العجائب. والتواء الزمان: ميله وتعسُّره. وتصاريف الزمان: تقلُّبه واختلافه.

ثم قال: أي بنيَّ[١]، كنْ جوادًا بالمال في موضع الحقِّ، بخيلاً[٢] بالأسرار عن جميعِ الخلق، فإن أحمدَ جودِ المرءِ الإنفاقُ في وجهِ[٣] البرِّ، وإن أحمد بُخل الحُرِّ الضنُّ بمكتومِ السر[٤]، وكُنْ كما قال قيسُ بن الخطيم الأنصاري[٥]: (الطويل)

أَجُـودُ بمكنـونِ التِّـلادِ وإننـي ... بـسـرِّك عمَّـن سـالني لضنيـنُ[٦]

إذا جـاوز الاثنيـن سـرٌّ فإنـه ... بنَـثٍّ وتكثيـر الحديث قَمِيـنُ[٧]

وعنـدي لـه يومًا إذا مـا ائتمنتني ... مـكانٌ بسـوداء الفـؤاد مكيـنُ[٨]

---

(١) في أدب الدنيا والدين وسراج الملوك، ولباب الآداب: يا بني، وفي نثر الدر ٦/ ٣٩٣: وكن -يا بني- جوادًا.

(٢) في نثر الدر ٦/ ٣٩٣، وأدب الدنيا والدين وسراج الملوك والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٤: ضنينًا، وفي عين الأدب والسياسة: بخيلًا بالسر على جميع.

(٣) في لباب الآداب: جود الحر... وجوه البر.

(٤) في نثر الدر ٦/ ٣٩٣، وأدب الدنيا والدين وسراج الملوك والتذكرة الحمدونية: البر والبخل بمكتوم السر. ومثلها في لباب الآداب إلَّا أن فيه: والضن. وفي عين الأدب والسياسة: فإن من تمام كرم الحر القيام بالبر، والبخل...

(٥) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو الأوسي، شاعر فارس أدرك الإسلام ومات كافرًا، كان شاعرًا فحلًا مجيدًا، وله في وقعة بعاث بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعارٌ كثيرة، وكان هو شاعر الأوس.

انظر: الأغاني ٣/ ٣، ومعجم الشعراء ١٩٦، وخزانة الأدب ٧/ ٣٤.

(٦) في لباب الآداب: بمكنون. والتلاد: المال الأصلي القديم، وهو ضد الطارف. وضنين: بخيل.

(٧) نثّ الخبر: نشره وأذاعه. قمين: حريٌّ وخليق، وزاد في لباب الآداب بيتًا بعده هو:

وإن ضيّعَ الإخوان سرًّا فإنني ... كتـوم لأسـرار العشير أمين

وفي عين الأدب والسياسة جاءت رواية البيت:

أجـود بممنـوع البـلاد وإننـي ... كتـوم لأسـرار العشير أمين!

والبلاد تصحيف عن التلاد.

(٨) في لباب الآداب: ائتمنته. وسوداء الفؤاد: علقة سوداء تكون في جوفه. والمراد شدة الإخفاء. مكين: ثابت مستقر، وفي عين الأدب والسياسة -وهي رواية الديوان-: كنين: أي مكنون. والأبيات عدا الأول في ديوان قيس بن الخطيم ١٦٢-١٦٤، وقد استدركه المحقق من بعض المصادر.

ثم قال: أي بني، وإن غُلِبتَ يومًا على المال، فلا تدعِ الحيلة على حال[1]، فإن الكريم يحتال، والدَّنيّ عِيال[2]، وكن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالاً، أقلَّ ما تكون في الباطن مالًا[3]؛ فإن الكريم[4] من كرمت طبيعتُه، وظهرتْ عند الإنفاد[5] نعمته، وكن كما قال ابن خَذَّاق العبدي[6]: (الوافر)

---

(١) في البيان والتبيين ونثر الدر ٧/ ١٢٧: فلا تغلبنَّ على الحيلة على حال. ومثله في نثر الدر ٤/ ٢١٠ وشرح النهج وفيهما: على كل حال. وفي لباب الآداب: فلا تدع الحيلة بكل مكان.

(٢) في لباب الآداب: فإن الكريم محتال واللئيم مغتال. والدنيُّ: أصله الدنيء، فخففت همزته. وهو الخسيس الحقير. اللئيم: خلاف الكريم. عيال: من لا يستقلّ بأمره، ويكون عبئًا على غيره.

(٣) في نثر الدر ٧/ ١٢٧ ومحاضرات الأدباء وعين الأدب والسياسة: مآلا. ولعله تصحيف.

(٤) في محاضرات الأدباء: فالكريم من كرمت عند الخصاصة خَلَّته، واللئيم من لؤمت عند الحاجة طعمته. الخصاصة: شدة الحاجة. والخلَّة: الطبع. والطُّعمة: وجه الكسب. يقال: هو طيِّب الطعمة وعفيف الطعمة، إذا كان نقيَّ الكسب، وهو خبيث الطعمة إذا كان غير نقي الكسب. وفي لباب الآداب: واعلم أن الكريم. وفي عين الأدب والسياسة: واعلم أن الكريم قد (!) كرمت عند الحاجة طبيعته، وظهرت عند الافتقار نعمته.

(٥) الإنفاد: ذهاب المال وفناؤه.

(٦) هناك شاعران يطلق عليهما ابنا خذَّاق؛ هما: سويد ويزيد ابنا خذاق العبديان، شاعران جاهليان، كانا في زمن عمرو بن هند ملك الحيرة. وليزيد أول مرثية رثى بها شاعرٌ نفسه. انظر: الشعر والشعراء ١/ ٣٨٦-٣٨٧، والاشتقاق ٣٣١، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٩، ومعجم الشعراء ٤٨١. وقد أورد أبو علي القالي (الأمالي ٢/ ٢٠٧-٢٠٨) هذه الأبيات ضمن مقطوعة من أربعة عشر بيتًا ونسبها -نقلًا عن ابن دريد في قراءته على الرياشي- إلى الأعور الشنِّي. ثم قال أبو علي: (ويقال إنها لابن خذاق). وقد علَّق البكري (سمط اللالئ ٢/ ٨٢٧) على كلام القالي قائلًا: (قال أبو علي: ويقال إنَّ هذا الشعر لابن خذاق، وهو للأعور الشنِّي بلا امتراء إلَّا أبياتًا منه، وإنَّما التبس الأمر على من قال إنها لابن خذاق من أجل شعر ابن خذاق الذي على الوزن والروي، وقد مضت منه أبيات وهي مختلطة بهذا الشعر). ويبدو أن الأستاذ الميمني رحمه الله لم يتنبَّه للأبيات الأربعة -موضع الاستشهاد في الوصية- وأن المراد تقدُّمُها في الأمالي لا في السمط، فعلق على كلام البكري قائلًا: (هنا ابنا خذاق يزيد وسويد، ولم يمضِ أبياتٌ لاميةٌ لأحدهما ولا هي مما يأتي)! وقد وردت الأبيات -موضع الشاهد في الوصية (عدا الأول)- ضمن مقطوعة من أحد عشر بيتًا في الحماسة البصرية ٢/ ٩٣٠-٩٣١ منسوبة للأعور الشنِّي، وانظر تخريجها هناك.

وجـدتُ أبـي قـد أورثَـهُ أبـوه ... خِـلالًا قـد تُعـدُّ مـن المعالـي
فأكـرَمُ مـا تكـون علـيَّ نفـسي ... إذا مـا قـلَّ في الأزمـاتِ مالـي
فتَحسُنُ سيرتي وأصونُ عرضي ... ويجمُلُ عند أهل الرأي حالي
وإن نلـتُ الغنـىٰ لـم أغـل فيـه ... ولـم أَخْصُـصْ بجفوتـي الموالـي[1]

ثم قال: أي بني، وإن سمعتَ كلمةً من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد[2]؛ فإنك إن أمضيتَها حِيَالَها رجعَ العيبُ[3] علىٰ من قالها، وكان يقال[4]: الأريبُ العاقلُ، هو الفَطِن المتغافل، وكن كما قال حاتم الطائي[5]: (الوافر)

ومـا مـن شيمتي شَتْمُ ابنِ عَمِّي ... ومـا أنـا مخلِـفٌ مـن يرتجينـي
وكلمـةِ حاسـدٍ في غيـر جُـرْمٍ ... سـمعت فقلـت مُـرِّي فانفذينـي[6]
فعابوهـا علـيَّ ولـم تسـؤني ... ولـم يَعْـرَقْ لهـا يومًـا جبينـي[7]

---

(١) لم أُغْل: هكذا ضبطها محقق الأمالي. وضبطها محقق لباب الآداب: لم أَغْلُ. ومعناها: أرتفع وأتكبر. وعلىٰ الضبط الثاني يكون معناها: أتشدد في إمساكه. الجفوة: الهجر وسوء المعاشرة. الموالي: جمع مولىٰ: وهم الأقارب والأصحاب.

(٢) في ربيع الأبرار ٣/ ٥٢: يا بني... لست بشاهد. وفي عين الأدب والسياسة: يا بني... فكن كأنك غير شاهد.

(٣) في ربيع الأبرار ٣/ ٥٢: القول. وحيالها: جهتها، أي لم تعترض لها.

(٤) جاء في بهجة المجالس ٢/ ٧٢٦: قيل لبعض الأعراب: من الأديب (لعلها: الأريب) العاقل؟ قال: الفطن المتغافل. وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٥٦: وقال: (الشافعي): الكيِّس العاقل هو الفطن المتغافل.

(٥) تقدمت ترجمته. انظرها في وصيته لابنه.

(٦) في لباب الآداب: من غير. انفذيني: اجتازي وخلفيني. والمعنىٰ: لم أبالِ بها.

(٧) في المصدر السابق: فعابوها عليه ولم تعبني. ويعرق: يرشح بالعرق. والجبين: ما فوق الصُّدْغ (جانب الوجه من العين إلىٰ الأذن) عن يمين الجبهة أو شمالها، وهما جبينان، والمعنىٰ: لم أشعر يومًا بالخزي عند مقابلة الناس لأجلها.

وذو اللونين يلقاني طليقًا ... وليس إذا تغيبَ يأتليني[١]

سمعتُ بِعَيْبِهِ فصفحتُ عنه ... محافظةً علىٰ حسبي وديني[٢]

ثم قال: أي بُني[٣]، لا تواخِ امرأً[٤] حتىٰ تعاشرَه، وتتفقدَ مواردَه ومصادرَه[٥]، فإذا استطعتَ[٦] العشرةَ ورضيتَ الخبرةَ[٧] فواخِهِ[٨] علىٰ إقالةِ العثرةِ، والمواساةِ في

(١) في لباب الآداب: وذو الوجهين... ولست. وأصلحها المحقق بما في الأمالي. وقد جاء في ديوان حاتم: وذي وجهين. وجاء في الأمالي بعد البيت: (قال أبو علي: ما ألوت: ما قصّرت. وما ألوت: ما استطعت).

(٢) في لباب الآداب: بصرت بعيبه فكففت عنه، وجاء في الأمالي بعد البيت: (قال أبو علي: ويروىٰ: سمعت بغيبه). والأبيات في ديوان حاتم (دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال) ١٥٩-١٦٠.

(٣) في لباب الآداب: يا بني. وكذا في مواضعها من الوصية.

(٤) في الظرف والظرفاء وربيع الأبرار ١/ ٤٣٢، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٥: أحدًا. وفي لباب الآداب: أخًا.

(٥) في الظرف والظرفاء: حتىٰ تعرف موارد أموره ومصادرها، وفي ربيع الأبرار ١/ ٤٣٢ والتذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٥: وتتفقد موارد أمره ومصادره، وفي لباب الآداب: وتعرف أمره وتتفقد.

(٦) في الظرف والظرفاء: استنبطت الخبر! وفي ربيع الأبرار ١/ ٤٣٢، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٥، ولباب الآداب: استطبت.

(٧) في الظرف والظرفاء: ورضيت منه العشرة، وفي التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٦: بالخبرة. يقال: خبره خبرة (بتثليث الخاء): بلاه وامتحنه.

(٨) في المصادر الأربعة السابقة: فآخه. وقد جاء في تاج العروس (أخىٰ) ١٠/ ١١: (وآخاه مؤاخاة... وواخاه بالواو لغة ضعيفة. قيل هي لغة طيئ. قال ابن بري: وحكىٰ أبو عبيد في غريب (!) المصنف -ورواه عن اليزيدي-: آخيت وواخيت... ووجه ذلك من جهة القياس هو حمل الماضي علىٰ المستقبل؛ إذ كانوا يقولون: تواخىٰ بقلب الهمزة واوًا علىٰ التخفيف، وقيل: هي بدل).

العسرةِ[1]، وكن كما قال المقنعُ الكندي[2]: (الكامل)

أُبـلُ الرجـالَ إذا أردتَ إخاءَهـم ... وتوسَّـمنَّ فَعَالَهـم وتفقَّـدِ[2]

فـإذا ظفـرتَ بـذي اللبابـةِ والتقىٰ ... فَبِـهِ اليديـنِ قريـرَ عيـنٍ فاشْـدُدِ[3]

وإذا رأيـتَ ولا محالـةَ زلـةً ... فعلىٰ أخيك بفضل حلمك فاردد[4]

ثم قال: أي بني، إذا أحببت فلا تُفرطْ، وإذا أبغضتَ فلا تشططْ[6]؛ فإنه قد كان

---

(١) في الظرف والظرفاء: عند العسرة، وفي التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٦، ولباب الآداب (وأصلحها المؤلف بما في الأمالي): العشرة.

(٢) في ربيع الأبرار ١/ ٤٣٣: كما قال أبو يزيد العدوي. ومثله في التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٦ وبعده: ويروىٰ لعبد الله بن معاوية الجعفري. والأبيات في شعر المقنع الكندي (ضمن شعراء أمويون ٢٠٧، جمع د. نوري حمودي القيسي) وقد جاءت منسوبة للمقنع مع بيت رابع في روضة العقلاء ١٠٥، والبيتان الأول والثالث في شعر عبد الله بن معاوية ٤٣-٤٤ (جمع عبد الحميد الراضي)، وقد جاء البيتان الأول والثاني في الظرف والظرفاء ٦٥، وكتاب الإخوان ١١٥، وحلية الأولياء ٦/ ٣٧٦ مع ثالث هو في الظرف والظرفاء:

كم من صديق في الرخاء مساعد ... وإذا أردت حقيقة لم توجد

وهو في كتاب الإخوان وحلية الأولياء:

ودع التخشـع والتـذلل تبتغـي ... قرب امرئ إن تدنُ منه يبعد

مع اختلاف يسير في رواية الشطر الثاني من البيت الأول، والشطر الأول من البيت الثاني.

والمقنع هو محمد بن عمير (في الأغاني: بن ظفر بن عمير) الكندي، شاعر أموي مقلّ، كان ذا شرف في قبيلته، والمقنع لقب عليه لأنه كان يتقنع دهرَه خشية العين.

انظر: الشعر والشعراء ٢/ ٧٣٩، والأغاني ١٧/ ٦٠.

(٣) في المصدرين السابقين: وتوسمنَّ أمورهم. وفي لباب الآداب: إخاءهم (وأصلحها المحقق بما في الأمالي).

(٤) في المصدرين الأولين السابقين: بذي الديانة. وفي لباب الآداب: بذي الأمانة.

(٥) في ربيع الأبرار (١/ ٤٣٣): فإذا يزل. وفي التذكرة الحمدونية (٤/ ٣٥٦): ومتىٰ يزل. وجعلها محقق لباب الآداب: وإذا رأيت. وعلّق في الحاشية قائلًا: في الأصل: فمتىٰ تزل. وإن كان لهذه الرواية أصل فلعل صوابها: فمتىٰ يزل. بالياء.

(٦) في لباب الآداب: أحببت حبيبًا... أبغضت بغيضًا. وتشطط: تبالغ وتجاوز الحد.

يقال[١]: أحببْ حبيبَك هونًا ما[٢]، عسىٰ أن يكون بغيضَك يومًا ما، وأبغض بغيضَك هونًا ما، عسىٰ أن يكون حبيبَك يومًا ما، وكن كما قال هُدْبةُ بن الخَشْرَم العُذريُّ[٣]: (الطويل)

وكنْ معقلًا للحلمِ واصفحْ عن الخنا ... فإنك راءٍ ما حييتَ وسامعُ[٤]

وأَحبِبْ إذا أَحبَبْتَ حُبًّا مقاربًا ... فإنَّك لا تدري متىٰ أنتَ نازعُ[٥]

وأبْغِضْ إذا أبغضتَ بُغْضًا مقاربًا ... فإنَّك لا تدري متىٰ أنتَ راجعُ[٦]

وعليك بصحبةِ الأخيارِ وصدقِ الحديثِ، وإياك وصحبةَ الأشرار فإنَّه عارٌ، وكنْ كما قال الشاعر: (الرمل)

---

(١) في المصدر السابق: فإنه قد قال أمير المؤمنين رضوان الله عليه. قلت: قد روىٰ هذا الأثر مرفوعًا إلىٰ النَّبِيِّ ﷺ، كما روي موقوفًا علىٰ عليٍّ ﷺ. انظر: كشف الخفا ومزيل الالتباس ١/ ٥٣، وقد ورد منسوبًا لعليٍّ ﷺ في الظرف والظرفاء ٨٣.

(٢) الهون: الرفق والتؤدة. ويقال: علىٰ هونك: علىٰ رسلك.

(٣) هو هدبة بن الخشرم بن كرز العذري، شاعر فصيح متقدِّم، من بادية الحجاز، كثير الأمثال في شعره كان شاعرًا وراوية يروي للحطيئة، وهو أول من أقيد في الإسلام علىٰ زمن معاوية ﷺ. انظر: الشعر والشعراء ٢/ ٦٩١، والأغاني ٢١/ ٢٧٧، ومعجم الشعراء ٤٦٠.

(٤) في لباب الآداب: عن الأذىٰ... ما عملت. وقد أصلحها المحقق بما في الأمالي. وهي موافقة لرواية الأبيات في العقد الفريد ٢/ ٢٦٨.

(٥) نزع عن الشيء: كفَّ وانتهىٰ. نازع: مقلع.

(٦) في لباب الآداب: متىٰ الود. وقد وردت الأبيات في ملحق ديوان هدبة بن الخشرم في ما ينسب إلىٰ هدبة بن الخشرم وإلىٰ غيره من الشعراء ١٥١-١٥٢ (د. يحيىٰ الجبوري)، وقد وردت في روضة العقلاء ٩٦-٩٧ (بتقديم البيتين الأخيرين علىٰ الأول) منسوبة لأبي الأسود الدؤلي، وكذا في أدب الدنيا والدين ص٢٨٥-٢٨٦، وهي في ديوانه ٤٨، ووردت في الظرف والظرفاء ٨٤ مصدَّرة بقول المؤلف: (وأنشدني أحمد بن يحيىٰ للمقنع الكندي). وقد وردت الأبيات في كشف الخفا ١/ ٥٤ مصدرة بقول المؤلف: (وما أحسن ما أخرجه الرافعي عن أبي إسحاق السبيعي من أنه قال: كان علي بن أبي طالب يذاكر أصحابه وجلساءه في حسن الأدب بقوله: ....) ثم أورد الأبيات الثلاثة.

اصحبِ[1] الأخيارَ وارغبْ فيهم ... ربَّ من صاحبتَه مثلُ الْجرَبْ
ودعِ الناسَ لا تشتُمْهُمُ ... وإذا شاتمتَ فاشتمْ ذا سبَبْ
إنَّ مَنْ شاتمَ وَغْدًا كالذي ... يشتري الصُّفْرَ بأعْيَانِ الذهبْ[2]
واصدقِ الناسَ إذا حدثتَهم ... ودعِ الناسَ فمَنْ شاءَ كَذَبْ
ربَّ مهزولٍ سمينٌ عِرضه ... وسمينُ الجسمِ مهزولُ الحسبْ[3]

ثم قال: يا بني، وإذا آخيتَ فآخِ من يُعَدُّ لنوائب الزمان. وعليك بذوي الألباب الذين ثقَّفَتْهم الآدابُ، ووثَّقَتْهم الأحسابُ، فإنهم أطيبُ مُخْتَبرٍ، وأكرم محتضَرٍ، وأعذب معتصَرٍ[4]. واحذر إخاءَ كلِّ جهولٍ، وصحبةَ كلِّ عجولٍ؛ فإنه لا يغفر الزلةَ، وإن عَرَفَ العلةَ، سريعٌ غضبُه، عالٍ لَهَبُه، إن سأل ألحَفَ، وإن وعد

(١) في لباب الآداب: صاحب.

(٢) الوغد: السفيه الأحمق الدنيء الرذل. الصُّفْر: النحاس الأصفر.

(٣) ورد في لباب الآداب الأبيات الثلاثة؛ الأول والرابع والخامس، وفيه: وكن كما قال الدارمي. وقد وردت الأبيات الثلاثة منسوبة لمسكين الدارمي، وهي تمثل الأبيات الرابع والخامس والسادس من قصيدة له من عشرة أبيات. انظر: ديوان شعر مسكين الدارمي، تحقيق كارين صادر، مكتبة صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م، ١٩-٢٠.

وقد ورد البيتان الثاني والثالث منسوبين لحسان بن ثابت، برواية:

اتركِ الناس فلا تشتمهمُ إذا ... سابيت فاسبب ذا حسب
إنَّ من سبَّ لئيمًا كالذي ... يشتري الصفر بعقيان الذهب

كما وردت الأبيات الثلاثة الأولىٰ في بهجة المجالس ٢/ ٤٣٥ دون نسبة، ورواية الشطر الأول من البيت الأخير كالرواية السابقة.

وقد ورد الأول منها في الصداقة والصديق لأبي حيان ٣٥٢ دون نسبة.

(٤) احتضر المجلس: حضره. والمكان: نزل به. واعتصر الشيء: عصره، أي استخرج ما فيه من ماء أو دهن ونحوه. والمراد أن المذكورين خير من يُصطَفون للصحبة والمؤاخاة.

أخلفَ، يرىٰ ما يعطيك غُرْمًا، وما يأخذ منك غُنْمًا[1]، فهو يرضيك، ما طمع فيك، فإذا يئس من خيرِك مال إلىٰ غيرِك. وفي مثله يقول الشاعر[2]: (الرمل)

لا تواخِ - الدهرَ - جِبْسًا راضعًا ... مُلْهَبَ الشرِّ، قليلَ المنفعهْ

ما يَنَلْ منك فأحلىٰ مغنمٍ ... ويرىٰ ظُرْفًا به أن يمنعَهْ

يسألُ الناسَ ولا يعطيهمُ ... ثكلتهُ أمهُ، ما أطمَعَهْ[3]!

ثم قال: يا بنيَّ، من عَتَبَ علىٰ الزمان، وتتبع عثراتِ الإخوان، قطعه صديقُه، وملَّه رفيقُه، واحتماه الأهلون[4]، وظَفِرَ به الشامتون، ومن سار في البلاد ثَمَّر المُراد. وطالبُ الكفافِ -بالقناعةِ والعفافِ- يعيش حميدًا، ويموت فقيدًا، وقد قال النابغة[5]: (الطويل)

---

(١) الغرم: الخسارة. والغنم: الفوز بالشيء من غير مشقة.

(٢) هو أبو الأسود الدؤلي، وقد وردت الأبيات في ديوانه ٣٧ ضمن قصيدة طويلة.

(٣) رواية الديوان: هبلته أمه، ما أجشعه!

(٤) احتماه الأهلون: اتقوه وابتعدوا عنه.

(٥) هو النابغة الجعدي، وهو قيس بن عبد الله من جعدة بن كعب بن ربيعة، شاعر معمر، كان ممن اجتنب الأوثان وأنكر الخمر في الجاهلية، أسلم وأنشد النبي -ﷺ- شيئًا من شعره، فدعا له. مات بأصبهان.

انظر: الشعر والشعراء ١/ ٢٨٩، وأسد الغابة ٤/ ٥١٥، والإصابة ٦/ ٣٩١.

وعند إطلاق اسم النابغة ينصرف الذهن إلىٰ النابغة الذبياني، وهذا ما ضلل محقق ديوان ربيعة الرقي، الذي أشار إلىٰ عدم وجودها في طبعتين من ديوان النابغة الذبياني، وقف عليهما. وانظر -في المصدرين اللذين نسباها إلىٰ الجعدي- شعره، جمع وتحقيق عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٧٣.

وقد نسبت الأبيات الأربعة الأولىٰ لعروة بن الورد، انظر شعره، صنعة ابن السكيت، وتحقيق د. محمد فؤاد نعناع، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ. ٨٧-٨٨، وقد رجَّح المحقق أنها لعروة. وفاته في التخريج ورود البيتين الأولين لعروة، في بهجة المجالس ١/ ١٩٩.

كما نسبت الأبيات الأربعة الأولىٰ إلىٰ ربيعة الرقي في التذكرة السعدية ٢٢٦، انظر شعره، تحقيق الدكتور يوسف حسين بكار، دار الأندلس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ. ١٤٠-١٤١. =

إذا المرءُ لم يطلبْ معاشًا لنفسِه ... شكا الفقرَ، أو لامَ الصديقَ فأكثرا

وصار علىٰ الأدْنَيْن كلًّا[1]، وأوشكت ... صلاتُ ذوي القربىٰ له أن تَنَكَّرا

فسرْ في بلادِ الله والتمسِ الغنىٰ ... تعشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتعذرا

وما طالبُ الحاجاتِ في كلِّ وِجْهَةٍ ... من الناس، إلّا من أجَدَّ وشَمَّرا[2]

ولا ترضَ من عيشٍ بدونٍ، ولا تَنَمْ ... وكيف ينامُ الليلَ من باتَ مُعسرًا؟[3]

ثم قال: وليكن إخوانُك وأهلُ بطانتك أولي الدِّين والعفاف، والمروءات والأخلاق الجميلة؛ فإني رأيت إخوانَ المرءِ يدَه التي يبطش بها، ولسانَه الذي يصولُ به، وجناحَه الذي ينهض به، فاصحبْ هؤلاء تجدْهم إخوانًا، وعلىٰ الخير أعوانًا، واجتنب

=وجاءت الأبيات منسوبة إلىٰ أبي عطاء السندي في الأغاني ١٧/ ٢٤٤، ومجموعة المعاني ١/ ٥٩٥ (الأبيات الثلاثة الأولىٰ)، وقد وردت الأبيات -دون نسبة- في عيون الأخبار ١/ ٢٤٣، ووردت الأبيات الثلاثة الأولىٰ -دون نسبة- في البصائر والذخائر ٤/ ١٧٥. وفي التذكرة الحمدونية ٨/ ٩٨-٩٩ أن عروة بن الورد العبسي كتب (!) بها إلىٰ ابن عمه المعسر. وقال الحمدوني بين يدي الأبيات: (وتروىٰ الأبيات لأبي عطاء السندي). وقد وردت الأبيات في العقد ٣/ ٣٣-٣٤ منسوبة لربيعة بن الورد (!) يقولها لابن عمه الرماحس بن حفصة بن قيس. وقد خلت المصادر السابقة (خلا عيون الأخبار والعقد) من البيت الخامس. وقد ورد وحده -منسوبًا إلىٰ أبي عطاء السندي- في حماسة البحتري ١/ ٣٣٥.

(١) الأدنون: الأقربون. كلاًّ: الكلُّ: من يكون عبئًا علىٰ غيره.

(٢) أجدَّ الرجل: صار ذا جدٍّ واجتهاد. شمَّر: جدَّ وتهيأ وخفَّ ونهض.

(٣) الدون: الحقير. عند ترجمة كعب بن سعد الغنوي في معجم الشعراء ٢٢٩، قال المرزباني: (وله:

اعصِ العواذل وارم الليل عن عرض ... بذي سبيبٍ يقاسي ليله خببا

حتىٰ تموّل يومًا أو يقال فتىً ... لاقىٰ التي تشعب الفتيان فانشعبا

وهذان البيتان قد غرَّا خلقًا كثيرًا، يتمثل بهما الرجل ثم يمضي علىٰ وجهه، فيقتل ألفٌ قبل أن يتموَّل واحد)!

الصِّغار الأخطارِ، اللئامَ الأقدار[1]، الذين لا يُحامون علىٰ حَسَبٍ، ولا يرجعون إلىٰ نسبٍ، ولا يصبرون علىٰ نائبة، ولا ينظرون في عاقبة؛ فإنهم إن رأوك في رخاء سألوك، وإن رأوك في شدَّةٍ أسلموك[2]، ولعلهم أن يكونوا عليك مع بعض الأعداء.

واعلم بأن الرجل بلا خَدِينٍ[3] كذي الشمال بلا يمين. واخلط نفسك مع الأبرار، وطهِّرها من الفجّار، فالمرء يُعرف بقرينه، وقد قال الشاعر[4]: (الطويل)

وقارنْ - إذا قارنتَ - حرًّا؛ فإنما ... يزينُ ويُزري بالفتىٰ قُرَناؤهُ

ولن يهلكَ الإنسانُ إلّا إذا أتىٰ ... من الأمر [ما لم يرضَهُ نُصحاؤه]

إذا قلَّ ماءُ الوجه قلَّ حياؤه ... ولا خير في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه

---

(١) الأخطار جمع خطر، وخطر الرجل: قَدْرُه ومنزلته. والمراد: ذوو الأقدار المنحطة والمنازل الوضيعة.
والأقدار: جمع قدر، وهو المنزلة، اللئام: جمع لئيم، وهو ضد الكريم.

(٢) أسلموك: تركوك.

(٣) الخدين: الصديق.

(٤) علق محقق لباب الآداب الشيخ أحمد محمد شاكر قائلاً: (حقق أخي السيد محمود محمد شاكر أن هذه الأبيات لصالح بن عبد القدوس)، ثم علق علىٰ البيت الثاني مشيرًا إلىٰ أن ما وضعه بين معقوفين كان بياضًا بالأصل قائلًا: (وقد وجد أخي السيد محمود محمد شاكر تتمة البيت في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/ ٣٧٦، منسوبًا لصالح بن عبد القدوس. وفي كتاب (الأدب والمروءة) المطبوع في مجموعة (رسائل البلغاء) ص٣١٤، والكتاب منسوب لصالح بن جناح، وقد نسب مؤلفه البيت لنفسه، وهذا مما يؤيد ما يظنُّ بعض أهل العلم: أن صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس، ولعله أخفىٰ نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوف الطلب. والله أعلم). قلت: والأبيات -ضمن خمسة أبيات- في ديوان صالح بن عبد القدوس ١١٨، وثمة تخريجها، ويضاف إليه أن البيت الأول ورد منسوبًا لصالح بن جناح في بهجة المجالس ٢/ ٧٠٦، ورواية شطره الأول:
وصاحب إذا صاحبت حرًّا مبرزًا
كما ورد البيت الثالث فيه ٢/ ٥٩٣ منسوبًا له أيضًا. وقد نسبت الأبيات إلىٰ طرفة بن العبد ضمن قصيدة طويلة في ديوانه ١٥٨-١٥٩ (تحقيق د. علي الجندي).

ثم قال: يا بني، قد جمعتُ لك مصالح نفسك، فاستفتح الله بمسامع عقلك، وتفهَّمْ ما وصفت لك بالتجارب، تَحُزْ صلاح العواقب.

واعلم أن من حاسب نفسه تورَّع، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن فَهِمَ عَلِمَ، وفي التواني تكون الهلَكَةُ، وفي التأني[1] السلامة. وزارع البرِّ يحصد السرورَ، والقليل مع القناعة في القصد[2] خير من الكثير مع السَّرَفِ في المَذَلَّةِ. والتقوىٰ نجاة، والطاعة ملك، وحليف الصدق موفَّق، وصاحب الكذب مخذول، وصديق الجاهل تَعِبٌ، ونديم العاقل مغتبط. فإذا جهلت فسل، وإذا ندمت فأقلع، وإذا غضبت فأمسك. ومن لاقاك بالبشر فقد أدَّىٰ إليك الصَّنِيعةَ، ومن أقرضك الثناء فاقضِه الفضل[3].

وضَع -يا بني- الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعنَّ معروفك عند اللئام فتضيعَه، فإن الكريم يشكرك ويرصدك[4] بالمكافأة، وإن اللئيم يحسب ذلك حتمًا، ويؤول أمرك معه إلىٰ المذلة، وقد قال الشاعر[5]: (الوافر)

إذا أوليتَ معروفًا لئيمًا ... فعَدَّك قد قتلتَ له قتيلا
فَعُدْ -من ذاك- معتذرًا إليه ... وقلْ: «إني أتيتُك مستقيلا
فإن تغفرْ فمُجْتَرَمٌ عظيم ... وإن عاقبت لم تظلم فتيلا»[1]

(١) التواني: الفتور والتقصير. والتأني ضد العجلة.
(٢) القصد: الاعتدال في الإنفاق وحسن التدبير.
(٣) الصنيعة: العطية والكرامة والإحسان، وجمعها: صنائع. الفضل: الزيادة.
(٤) يرصدك: يتطلع ويتحرىٰ الفرصة لمكافأتك.
(٥) وردت الأبيات الثلاثة الأولىٰ في جمهرة الأمثال ٢/ ٤٠٥ منسوبة لصالح بن عبد القدوس، وقد أخلَّ بها ديوانه. كما وردت -دون نسبة، ومعها بيت رابع- في روضة العقلاء ٤١٤، وصدرها بقوله: وأنشدني الأبرش. والبيت الرابع هو:
ولست بعائد أبدًا إليه ... وقد حمَّلتني حملًا ثقيلا

وإن أوليت ذلك ذا وفاء   فقد أودعته شكرًا طويلا)[٢]

[٢٠٥] قال عبد الله بن عتبة[٣] لابنه عون[٤]:

---

(١) مجترم: ذنب وجريمة. والفتيل: الخيط الذي في شقِّ النواة. والمراد: لم تظلم شيئًا.

(٢) التوثيق: وردت الوصية في: لباب الآداب ٢٢-٢٨، كما ورد شطرها الأول إلىٰ قوله: (ودع الناس فمن شاء كذب) في الأمالي ٢/ ٢٠٢-٢٠٤. وقد اعتمدت رواية الأمالي، ثم استكملت الزيادة من لباب الآداب، لوجود عدة ثغرات فيه. كما وردت منها جمل متفرقة في بعض المصادر. فورد منها قوله: (أرىٰ داعي الموت... مالًا) -باختصار يسير ودون الشواهد الشعرية- في البيان والتبيين ٢/ ١١٣، ٢/ ٢٦٢، ونثر الدر ٤/ ٢١٠، ٧/ ١٢٧، وشرح نهج البلاغة ٢٠/ ٤١٣، ونسبها لعلي ﷺ، ووردت الجمل الثلاث الأولىٰ في العقد ٣/ ١٨١، وورد المقطع الأول من الوصية مع الأبيات في الأغاني ٢/ ١٤٦، وورد منها قوله: (لا تؤاخِ أحدًا... العسرة) في الظرف والظرفاء ٦٦ ونسبها إلىٰ رجل من عبد القيس، وورد منها قوله: (لا تزهدن في معروف... راغب) في ربيع الأبرار ٣/ ٦٧٥ والمستطرف ١/ ٤٩٨ -ونسباها لبعض العرب، كما وردت في شرح النهج ٢٠/ ٣١٤ منسوبة لعلي ﷺ! وورد منها قوله: (يا بني كن جوادًا... بمكتوم السرِّ) في نثر الدر ٦/ ٣٩٣، ونسبها لبعضهم (!)، وأدب الدنيا والدين ٤٨٣، ونسبها لبعض الحكماء، وسراج الملوك ٢/ ٤٢١ بالنسبة ذاتها، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٤، ونسبها لبعضهم. وورد منها قوله: (كن أحسن ما تكون... نعمة) في محاضرات الأدباء ٢/ ٣٦٥، ونسبها لبعض الحكماء. وورد منها قوله: (يا بني إن سمعت كلمة... وديني) في ديوان شعر حاتم الطائي ١٥٩ (تحقيق د. عادل سليمان جمال)، وورد المقطع ذاته إلىٰ قوله: (قالها) في ربيع الأبرار ٣/ ٥٢. وورد منها قوله: (يا بني لا تؤاخِ... فاردد) في ربيع الأبرار ١/ ٤٣٢-٤٣٣، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٥-٣٥٦. وفي عين الأدب والسياسة ٢٧١-٢٧١، وصية طويلة نسبت لبعض العلماء يوصي بها ابنه، اختلط بها أجزاء من وصية عبد الله بن شداد مع أجزاء من وصية الخطاب بن المعلىٰ، مع كلام آخر طويل. وقد نسبت جمل يسيرة منها إلىٰ خالد بن صفوان. انظرها في وصاياه لابنه.

(٣) صاحب الوصية: عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، من كبار التابعين، كان ثقة فقيهًا كثير الحديث والفتيا، وكان يؤم الناس في الكوفة، مات في ولاية بشر بن مروان سنة ٧٤هـ.
انظر: المعارف ٢٥٠، والاستيعاب ٣/ ٩٤٥، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣١١.
وترجمة ابنه عون عند وصيته لابنه.

(٤) مناسبة الوصية: قال عون بن عبد الله: «كساني أبي حُلَّةً، فخرجت فيها، فقال أصحابي: كساك هذه الأمير؟ فأحببت أن يروا أن الأمير كسانيها فقلت: جزىٰ الله الأمير خيرًا،=

(لا تكذبْ، ولا تَشَبَّهْ بالكذب[1])[2].

[٢٠٦] قال عبد الله[3] بن عروة بن الزبير لأحد أبنائه[4]:

(والله[5] ما بنىٰ الناسُ[6] شيئًا قطُّ إلَّا هدمه الدِّين، ولا[7] بنىٰ الدينُ شيئًا فاستطاعت الدنيا هدمَه، ألم[8] ترَ إلىٰ عليٍّ كيف يُظهِر[9] بنو مروان من عَيْبِه وذمِّه[10]، والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعًا إلىٰ السماء، وما ترىٰ[11] ما يندبون به

=كسا الله الأمير من كسوة الجنة، فذكرت ذلك لأبي فقال: ....». وقد ورد في إحياء علوم الدين: (روىٰ عبد الله بن عتبة قال: دخلت مع أبي علىٰ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فخرجت وعليَّ ثوب، فجعل الناس يقولون: هذا كساكه أمير المؤمنين؟ فكنت أقول: جزىٰ (الله) أمير المؤمنين خيرًا. فقال لي أبي: ....). وما ورد في الإحياء غير مستقيم، فعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولد سنة ٦٢هـ (انظر: الطبري ٦/ ٤٢٧) وعبد الله بن عون توفي سنة ٧٤هـ كما سبق، ولعله وهم.

(١) في إحياء علوم الدين: يا بني، اتقِ الكذب وما أشبهه.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الصمت لابن أبي الدنيا ٥٢٢، وذم الكذب وأهله له ٤١، كما وردت -باختلاف- في إحياء علوم الدين ٣/ ١٤٠.

(٣) **صاحب الوصية**: عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، كان خطيبًا بليغًا، كما كان كريمًا، أدرك عهد هشام بن عبد الملك، عمي قبل موته.
انظر: المعارف ٢٢٢، ونسب قريش ٢٤٦، والتبيين ٢٣١.

(٤) مناسبة النص: (تَنَقَّص ابنٌ لعبد الله بن عروة عليًّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له أبوه...) البيان والتبيين.

(٥) بداية الوصية في شرح النهج: يا بني عليك بالدين. وفي ربيع الأبرار والتذكرة الحمدونية: إنه والله.

(٦) في سائر المصادر: ما بنت الدنيا شيئًا.

(٧) في شرح النهج: وإذا... لم تستطِع..

(٨) في سائر المصادر: ألا ترىٰ.

(٩) في سائر المصادر: ما تقول/ يقول فيه خطباء بني أمية.

(١٠) زاد في شرح النهج: ذمه وعيبه وغيبته!

(١١) في ربيع الأبرار والتذكرة الحمدونية: أوَما رأيت. وفي شرح النهج: ألا تراهم.

موتاهم من التأبين والمديح[1]، والله لكأنما يكشفون عن الجِيَف[2])[3].

[٢٠٧] جمع عبد الله بن عروة بنيه ثم قال:

(يا بني، إن الله لم يَبْنِ شيئًا فهدمه، وإن الناس لم يبنوا شيئًا قط إلَّا هدموه، وإن بني أمية من عهدِ معاويةَ إلىٰ اليوم يهدمون شَرَفَ عليٍّ، فلا يزيدُه الله إلَّا شرفًا وفضلًا ومحبة في قلوب المؤمنين، يا بني فلا تشتموا عليًّا)[4].

[٢٠٨] قال عبد الله بن عمر[5] لابنه واقد:

---

(١) زاد بعده في شرح النهج: ويرثيهم شعراؤهم.

(٢) في ربيع الأبرار: والله لكأنما يندبون به جيف حمير. ومثله في شرح النهج وآخره: الحمر! وكذا التذكرة الحمدونية وآخره فيها: جيفًا.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٢/ ١٧٣-١٧٤، كما وردت في ربيع الأبرار ٢/ ١٦٨، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٥٦، وشرح نهج البلاغة ٩/ ٦٤. وقد وردت الوصية في بعض المصادر منسوبة إلىٰ عامر بن عبد الله بن الزبير (انظرها في موضعها) وقد ورد في التبيين ٢٣٢ أن عبد الله بن عبد الله بن عروة بن الزبير كان يجالس عامر بن عبد الله بن الزبير. فهل لهذا صلة في تردد نسبة الوصية بين والده وبين ابن عمه عامر! ولعل تردد نسبة الوصية بينهما هو ما جعل صاحب نثر الدر يصدرها بقوله: (وتنقص بعض آل الزبير عليًّا فقال له أبوه)! وانظر الوصية التالية.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في جمهرة نسب قريش ٢٦٩-٢٧٠.

(٥) **صاحب الوصية**: عبد الله بن عمر بن الخطاب الجمحي رضي الله عنهما، أسلم مع أبيه بمكة صغيرًا، وشهد الخندق وما بعدها. كان من أهل العلم والورع، شديد الاتباع لرسول الله ﷺ. أفتىٰ في الإسلام ستين سنة. مات بمكة عام ٧٤هـ وعمره أربع وثمانون سنة.
انظر: المعارف ١٨٥، وجمل من أنساب الأشراف ١٠/ ٤٤٨، والتبيين ٣٦٢.
وابنه واقد لم أقِف علىٰ خبرٍ له سوىٰ سقوطه من بعيره وهو محرم فهلك.
انظر: جمل من أنساب الأشراف ١٠/ ٤٥٧، والمعارف ١٨٧.

(يا بني[١]، إن من لم يعرفْ نسبَه لم يصل رحمًا ولم يقضِ حقًّا)[٢].

[٢٠٩] جمع[٣] ابن عمر حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ[٤] فقال:

(إني سمعت النبي ﷺ يقول: يُنْصَبُ لكل غادرٍ لواءٌ يوم القيامة[٥]، وإنَّا قد بايعنا هذا الرجلَ، على بيعِ[٦] الله ورسولِه، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يُبايَعَ رجلٌ[٧] على بيع الله ورسوله ثم ينصب[٨] له القتال، وإني لا أعلم أحدًا منكم خَلَعَهُ ولا بايع في هذا الأمرِ إلا كانت الفيصَلَ[٩] بيني وبينه)[١٠].

[٢١٠] قال عبد الله بن عمر لابنٍ له[١١]:

(اذهبْ فاقطعْه ثم صِلْهُ، فإنه سيكفيك، أما -والله- إني أرى ستجعلون ما رزقكم

---

(١) **مناسبة الوصية**: قال عبد الله بن عمر لابنه واقد: «انسب نفسك وأمهات أبيك، فلم يعرف ذلك. فقال: ....».

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٠/ ٤٥١.

(٣) **مناسبة الوصية**: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية.

(٤) في المسند: بنيه وأهله. وحشم الرجل: خاصته الذين يغضبون لغضبه ولما يصيبه من مكروه، من عبيدٍ أو أهلٍ أو جيرة.

(٥) زاد في المسند: يقال: هذه غدرة فلان.

(٦) في البيهقي: على بيعة.

(٧) في المسند: أن يبايع رجل رجلاً. وفي البيهقي: أن تبايع رجلاً.

(٨) في المسند: ثم ينكث بيعته، وفي البيهقي: ثم تنصب له القتل. وبعده في المسند: فلا يخلعن أحد منكم يزيد، ولا يشرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون صيلمٌ بيني وبينه. والصيلم: القطيعة.

(٩) **الفيصل**: القاطعة، من فصل الشيء إذا قطعه.

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في صحيح البخاري (فتح الباري ١٣/ ٦٨) كما وردت في مسند الإمام أحمد ٩/ ١٠٥ (تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة معه)، والسنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٦٠.

(١١) **مناسبة الوصية**: استكسى عبد الله بن عمر ابنٌ له إزارًا، وقال: قد تخرَّق إزاري. فقال له: اقطع إزارك ثم اكتسه، فكره الفتى ذلك. فقال له عبد الله ذلك. (حلية الأولياء).

محمد بن مروان[1]، وصيِّر علىٰ ميسرتك عبد الرحمن بن صعصعة[2]، وصيِّر علىٰ ساقتِك محمد بن عبد العزيز[3]، وكن أنت في القلب، وصيِّر علىٰ طلائعك البطَّال[4]، وأمره فليعسَّ بالليل[5] في العسكر، فإنه أمينٌ ثقةٌ مقدامٌ شجاعٌ.

فإذا أردتَ بلادَ الروم -إن شاء الله تعالىٰ- فاقحم[6] بالناس، وأقدم بهم إقدامًا واحدًا، حتىٰ ترعِبَ قلوبَهم، وتزلزل أقدامَهم، وتبدِّدَ جمعهم، وتهابك ملوكهم، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

واعلم أنهم سيلقونك بجَمْعٍ كثير وسلاح، فلا يُهْوِلَنَّك ذلك، فإن الله مخزيهم، وضاربٌ وجوهَهم.

واعلم يا بني إنَّما نَصَّبْتُك لهذا الوجه، وشرَّفتك بهذا الجيش، وصيَّرته لك

---

(١) ستأتي ترجمته.

(٢) لم أقف له علىٰ ذكر.

(٣) جاء في الرواية الثانية الآتية: ابن عمك محمد بن عبد العزيز. ولم أجد عنه كبير ذكر سوىٰ أنه شقيق الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز.
انظر: جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٢٦، وجمهرة أنساب العرب ١٠٥.

(٤) ورد في الكامل في التاريخ ٥/ ٢٤٨ في أحداث سنة ١٢٢: (في هذه السنة قُتل البطال، واسمه عبد الله أبو الحسين الأنطاكي، في جماعة من المسلمين ببلاد الروم، وقيل سنة ثلاث وعشرين، ، وكان كثير الغزاة إلىٰ بلاد الروم والإغارة علىٰ بلادهم، وله عندهم ذكر عظيم وخوف شديد... وسيَّره عبد الملك مع ابنه مسلمة إلىٰ بلاد الروم، وأمَّره علىٰ رؤساء أهل الجزيرة والشام، وأمر ابنه أن يجعله علىٰ مقدمته وطلائعه، وقال: إنه ثقة شجاع مقدام، فجعله مسلمة علىٰ عشرة آلاف فارس). فكان بينه وبين الروم. وأشار الطبري ٧/ ٩٠ في أحداث سنة ١١٤ أن عبد الله البطال التقىٰ وقسطنطين في جمع فهزمهم، وأسر قسطنطين. وأشار (٧/ ١٩١) إلىٰ أن وفاة البطال كانت سنة ١٢٢هـ.

(٥) يعس: يطوف بالليل ليكشف أهل الريبة.

(٦) قحم قحومًا: رمىٰ بنفسه في عظيمة. وقحم المنازل والمفاوز: طواها منزلاً بعد منزل فلم ينزل بها.

ذِكرًا وذخرًا تُذكر به أبدًا، فإياك أن تَنْكِصَ[١]، أو تُوَلِّيَ منهزمًا، فإنك إن فعلت ذلك استوجبت من الله المَقْتَ، ومن عباده البغضَ، ومن ملائكته اللعنةَ.

واعلم يا بني أنك إن نَكَّلْتَ[٢] وأَبلَيت وقَتلتَ ورَمَيتَ، والله[٣] الفاعل ذلك، والقاتل لهم، وهو رادُّهم علىٰ أعقابهم خاسئين)[٤].

[٢١٢] قال عبد الملك بن مروان لابنه مسلمة[٥]:

(يا بني، إني قد نَدَبْتُك لهذا الأمر وشرَّفتك بهذا الجيش، فجعلته لك شرفًا وذكرًا إلىٰ آخر الأبَدِ، فكن -يا بني- بالمسلمين بارًّا[٦] رحيمًا، وأميرًا حليمًا، ولا تكُن عنيدًا كفورًا، ولا مختالًا فخورًا.

واعلم يا بني أن الروم سيلقونك بجيش كثير، وجمع كبير، فثق بالله واستعِن به وتوكل عليه، فكفىٰ به وليًّا وناصرًا، وانظر يا بني، لا يهولنك ما ترىٰ من جمع الروم وكثرة عددهم، فإن الله -تبارك وتعالىٰ، بفضله ومنِّه- مهلكُهم، وضاربٌ وجوهَهم، ومرعبٌ قلوبهم، ومزلزل أقدامهم، ومعك يا بني -بحمد الله- خلق كثير.

فإذا عزمت علىٰ حرب عدوك فاجعل عمك محمد بن مروان علىٰ ميمنتك، واجعل ابن عمك محمد بن عبد العزيز علىٰ ميسرتك، واجعل محمد بن الأحنف بن قيس علىٰ طلائعك، وعبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان علىٰ جناحك، واعتمد في حربك علىٰ البطال بن عمر، فإنه بطل شجاع مقدام.

---

(١) تنكص: تتراجع. يقال: نكص علىٰ عقبيه: ارتدَّ ورجع عما كان قد عزم علىٰ فعله والمضي فيه.
(٢) نكَّلت: عاقبت العدو بما يردعه ويردع غيره عن إتيان مثل صنيعه.
(٣) لعله: فالله. حتىٰ يستقيم الكلام بوجود جواب الشرط.
(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في محاضرة الأبرار ٢/ ٣٨٩-٣٩٠. وانظر الوصية الآتية.
(٥) **مناسبة الوصية**: انظر: **مناسبة الوصية السابقة**.
(٦) هكذا. ولعلها محرفة عن الرواية الأخرىٰ: أبًا.

وانظر يا بني، لا تكسل ولا تفشل ولا تجزع ولا تهلع، فإنك إن لم تفعل ذلك وتعدَّيت ما أوصيتك به استوجبت من الله المقت ومن عباده البغض ومن ملائكته اللعن، فإنه تعالىٰ يقول:

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٢])[1].

[٢١٣] قال عبد الملك بن مروان لبنيه[2]:

(يا بني، أوصيكم بتقوىٰ الله فإنها أزينُ حُلَّةٍ[3]، وأَحْصَنُ كهف[4]، وأحرز جُنَّة[5]. وأن يعطفَ[6] الكبيرُ منكم علىٰ الصغير، وأن يعرِفَ[7] الصغيرُ منكم حقَّ الكبير[8].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الفتوح لابن أعثم ٧/ ١٦٨-١٦٩. والآية الأخيرة من سورة الأنفال، آية ١٦. وانظر الوصية السابقة.

(٢) **مناسبة الوصية**: لما اشتد مرض عبد الملك بن مروان، أيقن بفراق الدنيا والإفضاء إلىٰ الآخرة -وكان عنده بنوه: الوليد وسليمان ومسلمة وهشام ويزيد- أقبل عليهم فأوصاهم، ثم خصَّ الوليد لأنه سيلي الأمر من بعده.

(٣) في الوصايا والتعازي والمراثي والكامل في التاريخ وتاريخ ابن خلدون: حلية. والحُلَّة: الثوب الجيد الجديد. والحلية: ما يتزين به.

(٤) في محاضرات الراغب: (فقال مسلمة: وأقرب إلىٰ الصواب، وأنفع في المآب. فقال عبد الملك: هاتان لا الأوليان).

(٥) في التعازي والمراثي والجليس الصالح ومروج الذهب: أوصيكم بتقوىٰ الله، فإنها عصمة باقية، وجنة واقية، وزاد التعازي والمروج: والتقوىٰ (في المروج: فالتقوىٰ) خير زاد، وأفضل في المعاد. والجنَّة: ما تقي صاحبها، أي تحميه وتمنعه.

(٦) في التعازي وديوان المعاني والجليس الصالح ومروج الذهب والكامل في التاريخ وتاريخ ابن خلدون: وليعطف.

(٧) في الوصايا والتعازي والجليس الصالح ومروج الذهب والكامل في التاريخ: وليعرف. وفي ديوان المعاني: ولا يجهل.

(٨) زاد بعده في التعازي والجليس الصالح ومروج الذهب: مع سلامة الصدور، والأخذ بجميل الأمور. وزاد التعازي بعده: فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم للعزِّ خلقاء، وهابتكم الأعداء.

وإياكم والفرقةَ والاختلاف[١]، فإن بها هلك الأولـون، وذلَّ به ذو العزِّ[٢]. انظروا مسلمة واصـدروا عن رأيـه[٣]، فإنه مِجَنُّكم الذي به تَسْتَجِنُّون[٤]، ونابُكم الذي عنه تَفْتَرُّون[٥]، وكونوا بني أمٍّ بـررةٍ[٦]، ولا تدنوا العقاربَ منكم[٧]، وكونوا في الحرب أحرارًا، وللمعروف منارًا[٨]، فإن الحرب لن تُدني منيةً قبل وقتها[٩]، وإن المعروفَ

---

(١) في التعازي: وإياكم والتباغي والتحاسد فإن بهما. وفي ديوان المعاني: وعليكم بالتعاون والتظافر، وإياكم والتقاطع والتدابر. وفي مروج الذهب: وإياكم والبغي والتحاسد فبهما. وفي الجليس: وإياكم والفرقة والخلاف.

(٢) في الوصايا: الأولون قبلكم، وذلَّ ذوو العدد والكثرة. وفي التعازي والمروج: فبهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المتكبرون (في المروج: المكين). وفي الجليس: فبهما هلك الأولون، وذلَّ ذوو العزة المعظمون.

(٣) في الوصايا والتعازي والجليس والكامل في التاريخ وتاريخ ابن خلدون: فاصدروا. وفي ديوان المعاني: وأكرموا مسلمة بن عبد الملك. وفي المروج: يا بني، أخوكم مسلمة نابكم... أصدروا عن رأيه.

(٤) في الوصايا: فإنه جنتكم. وفي ديوان المعاني: الذي به تستجيرون! وفي الكامل في التاريخ: ومجنكم الذي عنه ترمون! وفي تاريخ الإسلام: تجتنُّون. وفي تاريخ ابن خلدون: ولحيكم الذي عنه ترمون. ولحيا الوادي: جانباه. والمجنُّ الترس (ما يتوقىٰ به في الحرب).

(٥) في الوصايا: فإنه نائبكم! وفي ديوان المعاني: الذي عنه تعبرون! والناب: السنُّ. وناب القوم: سيدهم وكبيرهم. وافترَّ فلان: ابتسم وبدت ثناياه. وزاد في ديوان المعاني: ولا تقطعوا من دونه رأيًا، ولا تعصوا له أمرًا.

(٦) تصحفت في الأصل إلىٰ: بني آدم بررة! وفي التعازي والمروج: وكونوا أولادًا أبرارًا. وتصحفت في الكامل في التاريخ: بني أم بردة! وفي البداية والنهاية: وكونوا أولاد أم واحدة!

(٧) في الجليس: وإلا دبَّت بينكم العقارب. وفي الكامل وابن خلدون: لا تدب. والعقارب: النمائم. ويقال للرجل الذي يقرض أعراض الناس: إنه لتدب عقاربه، قال ذو الإصبع العدواني:

تسـري عقاربه إلي يَّ ولا تدبُّ له عـقارب

أراد ولا تدبُّ إليه مني عقارب، ولعل ما في الأصل لا يخلو من تصحيف.

(٨) في الوصايا: وكونوا عند القتال... وعند المعروف. وفي المروج: الحروب، وتصحفت (أحرارًا) في الكامل إلىٰ: أمرارا!

(٩) في الكامل وابن خلدون: فإن القتال لا يقرِّب ميتة (في ابن خلدون: منية). وفي تاريخ الإسلام والبداية والنهاية: لم تدنِ.

يبقىٰ أجرُه[1] وذكرُه، واحلولوا في مرارةٍ، ولينوا في شدة، وضعوا الصنائع عند ذوي الأحساب والأخطار[2] فإنهم أصونُ لأحسابهم، وأشكر لما يؤتىٰ إليهم[3]، وإياكم أن تخالفوا وصيتي، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلىٰ الشيباني[4]: (الكامل)

---

(١) تصحفت في الأصل إلىٰ: آخره. وفي البداية والنهاية: وإن المعروف يشيِّد ذكر صاحبه، ويميل القلوب بالمحبة، ويذلل الألسنة بالذكر الجميل، وفي ابن خلدون: يبقىٰ أجره وذخره وذكره.

(٢) في الجليس: وضعوا الذخائر عند ذوي الأحساب والألباب، وفي الكامل وابن خلدون: وضعوا معروفكم.

(٣) في الجليس: لما يسدىٰ. وفي الكامل وابن خلدون: فإنه أصون له وأشكر لما يؤتىٰ إليهم منه. وزادا: وتعهدوا (في الكامل: تمغدوا!) ذنوب أهل الذنوب، فإن استقالوا فأقيلوا وإن عادوا فانتقموا.

(٤) هو عبد الله بن عبد الأعلىٰ بن أبي عمرة، مولىٰ بني شيبان، شعره كثير وعامته في الزهد، كثير الأمثال في شعره، كان متَّهمًا في دينه، يقال: إن سليمان بن عبد الملك ضمه إلىٰ ابنه أيوب فزندقه! فدس له سليمان سمًّا فقتله!

انظر: سمط اللآلىء ٣/ ٩٦٣، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٣٤.

والبيت الأول لم يرد في سائر المصادر. وقد وردت الأبيات الخمسة الأخيرة في الوصايا والتعازي والمراثي، مع زيادة بيتين -هما هناك الثالث والرابع- وهما:

ولمثل ريب الدهر ألف بينكم ... بتراحم وتواصل وتودد

حتىٰ تلين قلوبكم وجلودكم ... لمسوَّد منكم وغير مسوَّد

وفيهما: (فقال لبنيه: احفظوا هذه الأبيات!)، ومثل ذلك في مروج الذهب ٣/ ١٧٤ وقبلهما فيه: (وكان الوليد متحننًا علىٰ إخوته، مراعيًا لسائر ما أوصاه به عبد الملك، وكان كثير الإنشاد لأبيات قالها عبد الملك حين كتب (!) إليه بوصيته منها). وقد وضع المحقق (إليه والباء) بين معقوفين، ولعلها زيادة منه، أرىٰ أن الكلام يستقيم دونها. وكذا وردت الأبيات نفسها في الجليس مع زيادة بيت -هو الرابع فيها- وهو:

وانفوا الضغائن والتخاذل عنكم ... بتكرُّم وتوازر وتغمد

وقبلها: (فلما بايعه الناس (الوليد)، جلس مجلس عبد الملك، وجمع أهل بيته، ثم قال). وبزيادة البيت الأخير وردت الأبيات في لباب الآداب ٣١، وفيه: (قال الشاعر من وصية عبد الملك بن مروان لبنيه)، وكذا وردت في مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٣٤-٣٣٥ مع زيادة بيتٍ -جاء الخامس فيها- وهو: =

إني أُوَمِّلُ يا بني حرب الذرىٰ ... أن تخلدوا وجدودكم لم تخلد
فانفوا الضغائنَ والتخاذل عنكم ... عند المغيب وفي الحضور الشُّهَّد
بصلاح ذات البَيِن طولُ بقائكم ... إن مُدَّ في عمري، وإن لم يمدد
وتكون أيديكم معًا في عونكم ... ليس اليدان لذي التعاون كاليد
إن القِداحَ إذا اجتمعن فَرَامَها ... بالكسر ذو حَنَقٍ وبطش أَيِد[1]
عَزَّت فلم تُكسَر وإن هي بُدِّدت ... فالكسر والتوهين للمتبدِّد[2]

ثم أقبل علىٰ الوليد[3] فقال: يا وليد، اتقِ الله فيما أخلفُك فيه، واحفظ وصيتي،

= وتكون أيديكم معًا في أمركم ... ليس اليدان لذىٰ التعاون كاليد
وفيه: (وكونوا كما قال عبد الله بن عبد الأعلىٰ).
ووردت الأبيات ٣، ٥، ٦ في ديوان المعاني -مع البيت (حتىٰ تلين...)- منسوبة لقيس بن عاصم يوجهها لولده، ووردت الأبيات ٣، ٥، ٦ مع البيت (حتىٰ تلين) في جمهرة الأمثال منسوبة لقيس بن عاصم، ووردت الأبيات ٢، ٣، ٥، ٦ مع البيت (فلمثل...) في التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٥ وفيها: (أوصىٰ عبد الملك بن مروان بنيه وأنشدهم متمثلًا). وووردت الأبيات ٢، ٣، ٥، ٦ في شرح نهج البلاغة ١٧/ ٧ منسوبة لعبد الملك بن مروان. ووردت الأبيات ٢، ٣، ٤، ٥ والبيت (فبمثل) في الحماسة البصرية لعبد الله بن عبد الأعلىٰ القرشي. وورد البيتان ٥، ٦ في ربيع الأبرار ١/ ٤٥٧ وفيه (وتمثل بقول عبد الأعلىٰ (!) القرشي) وتاريخ الإسلام والبداية والنهاية (وفيه علىٰ لسان عبد الملك: ولله در القائل)، وتاريخ الخلفاء ٢٢٠.

(١) أيِّد: قوي.

(٢) في الوصايا والتعازي وديوان المعاني ومروج الذهب، والتذكرة الحمدونية: فالوهن والتكسير. الوهن: الضعف. والمتبدد: المتناثر المتفرق.

(٣) في الوصايا والتعازي: ثم رفع رأسه إلىٰ الوليد. وفي الجليس: ثم أقبل علىٰ ابنه الوليد. وفي المروج: وقيل إن عبد الملك نظر إلىٰ الوليد وهو يبكي عند رأسه فقال. وفي البداية والنهاية: وقيل إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكىٰ فقال.
والوليد بويع له بالخلافة بعد أبيه. وجرت في عهده فتوح علىٰ أكثر من وجه، وفرض للأيتام والمرضىٰ الأعطيات، مات سنة ٩٦هـ وله ثمانٍ وأربعون سنة.
انظر: المعارف ٣٥٩، وفوات الوفيات ٤/ ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٧.

وخذ بأمري، وانظر أخي معاوية، فإنه ابن أمي، وقد ابتلي في عقله بما قد علمت[١]، ولولا ذلك لآثرته بالخلافة عليك، فصلْ رَحِمَه واعرف حقَّه، واحفظني فيه، وانظر أخي محمد بن مروان فأقرِره[٢] علىٰ عمله بالجزيرة ولا تعزلْه عنه، وانظر أخاك عبد الله بن عبد الملك، ولا تؤاخذْه بشيء كان في نفسِك عليه، واقرِره علىٰ عملِه بمصر[٣]، وانظر ابنَ عمِّنا هذا علي بن عباس، فإنه قد انقطع إلينا بمودته وهواه ونصيحته، وله نسبٌ وحقٌّ، فصِلْ رحمَه، واعرفْ حقَّه، وأحسن صحبته وجواره[٤]،

(١) في جمل من أنساب الأشراف ٦/ ٣٠٨ (فأما معاوية بن مروان ويكنىٰ أبا المغيرة، فكان من أحمق الناس) ثم أورد البلاذري حكايات له تدل علىٰ ذلك. وانظر جمهرة أنساب العرب ٨٧ ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٦.

(٢) في البيان والتبيين: وانظر عمك... فأقرَّه علىٰ الجزيرة. وفي تاريخ الإسلام: فأقره. وفي البداية والنهاية: فأمِّرْه علىٰ الجزيرة ولا تعزله عنها. وأشار المحققون إلىٰ أنه جاء في نسخة: فأقره. ومحمد ابن مروان كان علىٰ الجزيرة من قبل عبد الملك، وإذا لم تكن هذه الكلمة (أمِّره) تصحيفًا فلعل المراد جدِّد ولايته عليها.

ومحمد بن مروان بن الحكم الأموي، والد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، كان مفرط القوة موصوفًا بالشجاعة، ولاه أخوه عبد الملك الجزيرة، له حروب ومواقف مشهودة مع الروم. توفي سنة ١٠١هـ.

انظر: المعارف ٣٥٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٨، ولسان الميزان ٥/ ٣٧٥.

(٣) في البيان والتبيين: لا تعزل أخاك عبد الله عن مصر. وفي التعازي: أوصيك بأخيك عبد الله بن عبد الملك وبعمر بن عبد العزيز خيرًا، لا تعزلهما، ولا تستبدل بهما.

وعبد الله بن عبد الملك، كان يوصف بحسن الوجه وحسن المذهب، ولي الغزو في خلافة أبيه، وهو الذي بنىٰ المصيصة، وولي مصر بعد عمه عبد العزيز، فتشاءم به أهلها، إذ غلا الطعام، مات في حدود المئة.

انظر: مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٢٢، والوافي ١٧/ ٣٠٠.

(٤) في المصدر السابق: وأوصيك بابن عمنا هذا خيرًا. وفي البيان والتبيين: وانظر علي بن عبد الله فاستوصِ به خيرًا.

وعلي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، كان عالمًا عاملًا جسيمًا وسيمًا، لقِّب بالسجاد لكثرة عبادته، وهو أبو خلفاء بني العباس. توفي سنة ١١٨هـ، وهو ابن ثمانين سنة.

انظر: المعارف ١٢٣، والتبيين في أنساب القرشيين ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٥٢٢.

وانظر الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي وَطَّأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد، ويدك علىٰ من ناوأك، فلا تَسمَعنَّ فيه قولَ أحد، واجعله الشعارَ دون الدثار، وإن كان في نفسك عليه إحْنَةٌ فلا تؤاخذه بها، فإن الإحْنَةَ ليست من الخلافة في شيء، وأنت إليه أحوج منه إليك[1].

ولا أُلفِيَنَّك إذا أنا متُّ تعصر عينيك، وتَحِنُّ كما تَحِنُّ الأَمَةُ[2]، شمِّرْ واتزرْ والبس جلدَ النَّمِر[3]، وضعني[4] في حفرتي، وخلِّني وشأني، وعليك بشأنك، وخذ سيفي هذا، فإنه السيف الذي قتلت به عمروَ بن سعيد[5]، وادعُ الناس إلىٰ البيعة،

---

(١) في التعازي: فأمَّا الحجاج فلستَ تستغني عنه. وبعده فيه: ثم دعا بقداح بعدَّة ولدِه، فأمر بها فجمعت ثم دفعها إلىٰ الوليد فقال: اكسرها، فلم يقدر علىٰ ذلك، ثم دفعت إلىٰ آخر، ثم آخر، حتىٰ استقراهم جميعًا، فأعياهم كسرُها، فأمر بها ففرِّقت، ثم دفع إلىٰ كلِّ واحد منهم قدحًا وأمره بكسره ففعل، فقال: هكذا أنتم بعدي، إن اجتمعتم لم يكسركم أحد، وإن تفرقتم كسرتم، وقال: احفظوا عني هذه الأبيات...). وراجع وصية قيس بن عاصم لبنيه.
وفي البداية والنهاية: وانظر إلىٰ الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهَّد لك البلاد، وقهر الأعداء، وأخلص لكم الملك، وشتت الخوارج. وفي الوصايا ورد الإيصاء بالحجاج ضمن وصيته لأولاده، وفيه: واكرموا الحجاج فإنه وطأ لكم المنابر. وكذا في الجليس وزاد: وأثبت لكم الملك. وفي ديوان المعاني: وأكرموا الحجاج بن يوسف فإنه هو الذي وطأ لكم المغابر (لعلها: المعابر) وذلَّل لكم قارب (هكذا وصحتها: رقاب) العرب. وفي المروج: وطأ لكم هذا الأمر. وفي الكامل وابن خلدون: فأكرموا... المنابر، ودوَّخ لكم البلاد، وأذل الأعداء (ابن خلدون: مغنىٰ الأعداء).

(٢) في الوصايا: يا وليد لا أعرفنك إذا وضعتني في حفرتي تمسح عينيك وتعصرهما فعل الأمة. وفي التعازي: تعصر عينيك كما تفعل الأمة. وفي الأخبار الطوال: أن تعصر عينيك كالأمة الورهاء. وفي الجليس: تجلس تعصر عينيك وتحن حنين الأمة. ومثله في ربيع الأبرار والتذكرة الحمدونية وفيهما: كما تحنُّ الأمة الوكعاء. (الورهاء والوكعاء: الحمقاء). وفي البداية والنهاية: فبكىٰ فقال له عبد الملك: ما هذا؟ أتحنُّ حنين الجارية والأمة؟

(٣) في الوصايا: ولكن إذا وضعتني في حفرتي فشمر.. ثم اصعد المنبر. وفي البداية والنهاية: النمر، وضع الأمور عند أقرانها، واحذر قريشًا.

(٤) في الجليس: ودلّني. دلِّني: أنزلني.

(٥) تقدمت ترجمته عند وصية والده له.

فمن قال بسيفه هكذا فقل بسيفك هكذا[1])[2].

[٢١٤] دعا [عبد الملك بن مروان] بنيه فقال لهم حين حضروا[3]:

(يا بني، أوصيكم بتقوىٰ الله فإنها عِصْمَةٌ باقية وجُنَّة واقية، وَقِّروا كبيرَكم وارحموا صغيركم، وابذلوا للناس معروفكم، وجنِّبوهم أذاكم، وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه سنُّكم الذي به تتزينون، ونابكم الذي عنه تَفْتَرُّون، وسيفكم الذي به تصولون، فاقبلوا قوله، واصدروا عن رأيه، وأسندوا جسيم أمركم إليه، وأكرموا الحجاج بن يوسف، فإنه وطَّأ لكم المنابر ودوَّخ لكم البلاد، قد عرفتم بلاءه في الملحد ابن الزبير، وفي طغاة أهل العراق، واجتهاده في طاعتنا، ومحاماته علينا. ولم يلبث أن مات، فصلىٰ عليه الوليد)[4].

---

(١) في الوصايا: فمن قال كذا فقل كذا. وفي الأخبار الطوال وتاريخ اليعقوبي: فمن قال برأسه هكذا، فقل بالسيف هكذا. ومثله في الجليس (دون: برأسه) وكذا في العقد وتاريخ الإسلام (وفيه: بسيفك). وفي ربيع الأبرار والتذكرة الحمدونية: فمن قال بوجهه هكذا، فقل بسيفك هكذا. وفي البداية والنهاية: فمن أبىٰ فالسيف. وزاد: وعليك بالإحسان إلىٰ أخواتك فأكرمهن، وأحبُّهنَّ إليَّ فاطمة، ثم قال: اللهمَّ احفظني فيها. فتزوجها عمر بن عبد العزيز!

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المنتظم لابن الجوزي ٤/٤٠٨-٤٠٩. كما وردت (باختصار) في الوصايا ١٦٠-١٦١، والتعازي والمراثي (باختصار يسير) ١٢٣-١٢٥، ومروج الذهب (باختصار) ٣/ ١٧٠، والجليس الناصح الكافي ٣/ ٨٢-٨٣، وتاريخ الإسلام (وفيات ٨١-١٠٠) ١٤٣ عن المدائني (باختصار) والبداية والنهاية ١٢/ ٣٩٢-٣٩٣ (باختصار) والكامل في التاريخ ٤/ ٥١٧-٥١٨ (باختصار) وتاريخ ابن خلدون ٥/ ١٢٨ (باختصار). وورد من الوصية حديثه إلىٰ الوليد (باختصار) في الأخبار الطوال ٣٢٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٨٠-٢٨١، وديوان المعاني ١٥١، والعقد الفريد ٤/ ٣٨٤، وربيع الأبرار ٤/ ٢٠١، والتذكرة الحمدونية ٩/ ٢٩٣، وقد ورد منها في البيان والتبيين ٣/ ٢٢٥، قوله: (لا تعزل أخاك... فاستوصِ به خيرًا)، وقال عقبها: (فضرب عليًا بالسياط، وعزل أخاه وعَمَّه)!

(٣) **مناسبة الوصية**: حين اشتدت به العلة التي مات منها.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢١٥.

[٢١٥] قال عبد الملك لابنه:

(تفقَّدْ كاتبَك وحاجبَك وجليسَك؛ فالغائب عنك يخبرُه كاتبُك، والوافد عليك يعرفُك بحاجبك، والخارجُ من عندك يَعْرِفُك بجليسك)[١].

[٢١٦] وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد -وكان وليَّ عهده-:

(يا بني، اعلمْ أنه ليس بين السلطانِ وبين أن يملكَ الرعيةَ أو تملكَه الرعية إلَّا حرفان: حزمٌ أو توانٍ)[٢].

[٢١٧] كتب عبد الملك بن مروان إلى بعض ولده[٣]:

(أمَّا بعد، فإني أمرتك بأمرٍ فأتيتَ غيرَه، ووصَّيتك بوصيةٍ فأبيت إلَّا عصيته[٤]، وخفتُ أنك بمنزلة الصَّبي الذي إذا أُمِرَ بشيء أباه، وإذا نُهي عن شيء أتاه؛ فيُحتال له فيما ينفعه بأن يُنهىٰ عنه، وفيما يضره بأن يؤمر به، ويا سوءَتي لمن هذه حاله، والسلام)[٥].

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب أسرار الحكماء ٣٧، وقد وردت -باختلاف يسير- علىٰ أنها لعبد الملك يوصي بها أخاه عبد العزيز عندما وجهه إلىٰ مصر في رسالة الحجاب للجاحظ (رسائل الجاحظ ٢/ ٤٠)، وعيون الأخبار ١/ ٤٤، ونثر الدر ٣/ ١٥، وآداب الملوك للثعالبي ٧٢، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٠٩، ومختصر تاريخ دمشق ١٥/ ١٥٥، وأسرار الحكماء ١٤٥، ومواسم الأدب ٢/ ١٦٥، وقد ورد في لباب الآداب ٥٥-٥٦ (وقال أردشير: حقيقٌ علىٰ كلِّ ملك أن يتفقد وزيره ونديمه وحاجبه وكاتبه؛ فإن وزيره قوام ملكه، ونديمه بيان معرفته، وكاتبه وكيل معرفته، وحاجبه برهان سياسته).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ١/ ٥٩، ونهاية الأرب ٦/ ٤٥، وقد نسبت -باختلاف يسير- إلىٰ معاوية يقولها لعمرو بن سعيد في نثر الدر ٣/ ٢٣، ولباب الآداب ٣٥.

(٣) **مناسبة الوصية**: حين خالفه في شيء أمره به.

(٤) هكذا وردت. ورأىٰ أحمد زكي صفوت في جمهرة رسائل العرب ٢/ ٢١١، أنها تحريف وصوابها: عصيانها.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب أدب الكتاب للصولي ٢٤٧.

[٢١٨] قال عبد الملك لابنه الوليد[1]:

(يا بني، لأبيك صنائعُ قد رسخت في المجد أصولُها، وأورقت في العلىٰ فروعُها، وانتشر عند الناس ذكرُها، فلا تهدمنَّ ما قد شرُفَ لك بناؤه، وأضاء لك ضياؤه، فكفىٰ من سوء رأي المرء وقبيحِ أثره وضَعَةِ نفسه، أن يهدم ما قد شُيِّد له من فضيلة البناء، ورفيع الثناء.

إياك وأعراضَ الأحرار، فإن الحرَّ لا يرضيه من عرضه عوضٌ، واجتنب العقوبة في الأبشار فإنه وِتْرٌ مطلوب[2]، وعار باقٍ، ولا يمنعك من ذي فضل سبقت إليه صنيعةُ غيرِك أن تصطنعَه، فإن صنيعة ذي الفضل شكرٌ تستوجبه، وكنزٌ تدَّخره، واستعمل أهل الفضل دون أهل الهُوْنِ[3]، ولا تعزل إلاَّ عن عجز أو خيانة، وليكُن جلساؤك غيرَ أسنانك، فإن الشباب شعبة من جنون، وإن نازعتك نفسك علىٰ أخذ شيء من المال، فلا يكُن خصمك إلَّا بيتَ المال، وليكُن رسولك فيما بيني وبينك من يفهم عني وعنك، وإذا كتبت كتابًا فأكثر النظر فيه فإن الكتاب موضعُ عقلِ الرجلِ، ورسولَه موضعُ عقلِه، وأستودعك الله العظيم)[4].

[٢١٩] قال عبد الملك لابنه الوليد[5]:

(احفظ عني يا بني، هي هيبةُ الخاصة مع صِدْقِ مودَّتها، واقتيادُ قلوبِ العامة

---

(١) مناسبة الوصية: (ذكروا أن عبد الملك بن مروان لما ولَّىٰ ابنه الوليد دمشق عهد إليه بما أحب، ثم قال له: ...).

(٢) الوِتْر: الثأر.

(٣) الهون: الخزي والهوان.

(٤) التوثيق: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ١٧٠. وفي بعضها شبه من وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد لما استخلفه علىٰ خراسان.

(٥) مناسبة الوصية: سأل الوليد بن عبد الملك بن مروان أباه عن السياسة ما هي؟ فقال: ...).

بإنصافها، واحتمالُ هفواتِ الصنائع)[1].

[٢٢٠] **قال عبد الملك بن مروان لبنيه:**

(إياكم ودماءَ آل أبي طالب، فإنَّ آلَ حَرْبٍ تَلَطَّخُوا بها فما نُوظروا)[2].

[٢٢١] **أوصى عبد الملك ولده وأهل بيته فقال:**

(يا بني مروان، ابذلوا معروفكم، وكفُّوا أذاكم[3]، واعفوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سُئلتم، ولا تلحفوا إذا سَألتم؛ فإنه من ضَيَّق ضُيِّق عليه[4]، ومن وَسَّع وُسِّع عليه[5])[6].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في آداب الملوك ٨٢، وقد وردت في نثر الدر ٣/ ٤٦، وبهجة المجالس ١/ ٣٣٥ (باختصار) والتذكرة الحمدونية ١/ ٢٩٩. وليس في هذه المصادر الثلاثة ما جاء في صدرها: (احفظ عني يا بني).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المراثي لليزيدي ١٧٩، وفسر المحقق قوله: فما نوظروا بقوله -اعتمادًا علىٰ اللسان-: (من التناظر، لم يكُن لهم نظير، أي مثيل وشبيه). ويبدو لي أن المعنىٰ: فما أمهلوا. يقال: نظر الدين، ونظر البيع، أخَّره وأمهله. ولعل ما يؤكد هذا المعنىٰ ما ورد في العقد الفريد ٤/ ٣٥٢: (وكتب [عبد الملك] إلىٰ الحجاج: جنبني دماء أهل هذا البيت فإني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا حسينًا). وورد ذلك أيضًا في نثر الدر ٣/ ٥٠، ومواسم الأدب ٢/ ١٦٥، وروايته فيه: (جنبني دماء آل أبي طالب... لما قتلوا حسينًا نزع الله الملك منهم).

(٣) في العقد الفريد: فقال: كفوا الأذىٰ، وابذلوا المعروف. وفي عين الأدب والسياسة: يا بني كفوا... وابذلوا.

(٤) في عين الأدب والسياسة: ضيق الله عليه.

(٥) في العقد: ومن أعطىٰ أخلف الله عليه، وفي عين الأدب والسياسة: أخلف الله له.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢١٢. كما وردت في العقد الفريد ٣/ ١٤٨، وعين الأدب والسياسة ٢٦١. وورد منها قوله: (لا تبخلوا... عليه) في ربيع الأبرار ٣/ ٧٠٥ لعبد الملك يوصي بني مروان.

وقد وردت الوصية في الأمالي ٢/ ٢٩ يوصي فيها عبد الملك بني مروان وزاد فيها: (سألتم، فإن خير المال ما أفاد حمدًا أو نفىٰ ذمًّا، ولا يقولنَّ أحدكم ابدأ بمن تعول؛ فإنما الناس عيال الله قد تكفَّل الله بأرزاقهم فمن وسع...). وورد منها (لا تلحفوا... سئلتم) في البصائر ٧/ ٢٧ ونثر الدر ٣/ ٤٩ لعبد الملك دون تصريحٍ بأنها وصية.

[٢٢٢] وقال عبد الملك بن مروان لبنيه:

(عليكم بطلبِ الأدبِ[١] فإنكم إن احتجتم[٢] إليه كان لكم مالًا، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالًا[٣])[٤].

[٢٢٣] قال عبد الملك للوليد:

(معرفتُك بفضلِ أهلِ الفضلِ فضيلةٌ يا بني)[٥].

[٢٢٤] قال عبد الملك لبنيه[٦]:

(يا بني عبد الملك، أحسابُكم أحسابُكم، صونوها ببذل أموالكم، فما يبالي رجلٌ منكم ما قيل فيه من الهَجْوِ بعد قول الأعشىٰ[٧]: (الطويل)

تبيتون في المشتي مِلاءً بطونُكم وجاراتُكم غَرْثَىٰ يبتن خَمَائصا[١]

---

(١) في جامع بيان العلم: يا بني تعلموا العلم.

(٢) في المصدر السابق: افتقرتم.

(٣) في المصدر السابق: كمالاً.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٢/ ٤١١. كما وردت في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٤٦، وشرح مقامات الحريري ٤/ ٢٨٧. ونسبت الوصية لمصعب بن الزبير (انظرها في موضعها).

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٢٥٩. وقد ورد في تمثال الأمثال ١/ ٢٥٦: قول الشاعر:

وما عبَّر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كلِّ فاضل

(٦) **مناسبة الوصية**: (كان عبد الملك مواظبًا علىٰ حث أولاده علىٰ اصطناع المعروف، وبعثهم علىٰ مكارم الأخلاق، وقال لهم: ...).

(٧) **الأعشىٰ** هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل من سعد بن ضبيعة بن قيس، يلقب صناجة العرب، وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية، وفحولهم، كان يفد علىٰ ملوك فارس.
انظر: الشعر والشعراء ١/ ٢٥٧، والأغاني ٩/ ١٠٤، ومعجم الشعراء ٣٢٥.

(١) لبيت في ديوانه ص١٩٩ (شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٣هـ)، وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة (في الاشتقاق=

وما يبالي قومٌ ما قيل فيهم من المدحِ بعد قول زهير(1): (الطويل)

علىٰ مكثريهم حقٌّ من يَعْتَرِيهمُ   وعند المقلِّين السماحةُ والبذلُ(1))(2)

[٢٢٥] قال عبد الملك بن مروان لولده(3):

(أوصيكم بحسنِ جوارِ(4) الشعراء، فإن للشعر مواسمَ لا تزدادُ علىٰ اختلاف الجديدين(5) إلاَّ جِدَّةً، وأيمُ الله ما أودُّ أني هُجيت بمثل قول الأعشىٰ: (الطويل)

فما ذَنْبُنا إن جاشَ بحرُ ابنِ عمِّكم   وبحرُك ساجٍ لا يُواري الدَّعامِصا(1)

تبيتون في المشتىٰ ملاءً بطونُكم   وجاراتكم غَرثىٰ يبتن خمائصا

=لابن دريد ٢٩٦ أنه يهجو الأحوص بن جعفر الكلابي). (قال الكلبي: ولم يُهجَ علقمةُ بشيء أشدَّ عليه من قوله: (تبيتون...) البيت. فرفع علقمة يديه وقال: لعنه الله! إن كان كاذبًا. أنحن نفعل هذا بجاراتنا؟!) الأغاني ٩/ ١١٧. المشتىٰ: مكان الجلوس في البيت وقت الشتاء أو زمن الشتاء. الغرثىٰ والخمائص: الجياع الضامرات البطون.

(١) سبقت ترجمته عند وصية والده له.

(١) البيت في شرح ديوانه ١١٤ (صنعة ثعلب طبع الهيئة المصرية للكتاب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٨٤هـ) ضمن قصيدة طويلة يمدح بها هرم بن سنان المري. ومكثريهم: أغنيائهم. يعتريهم: يقصدهم للقرىٰ، المقلون: الفقراء. يريد أن أغنياءهم يقومون بحق الضيوف، كما أن فقراءهم يبذلون بمقدار جهدهم، ويبدو علىٰ وجوههم البشر.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في مروج الذهب ٣/ ١٧٥. وقد وردت هذه الوصية باختلافات يسيرة في زهر الآداب ٢/ ١٠٨٨، ونهاية الأرب ٣/ ٢٧٥ علىٰ أن عبد الملك يخاطب بها بني أمية، كما وردت الوصية ضمن وصية رواها الوشاء في الفاضل ١٥٣ (عن هشام بن الكلبي)، وجهها عبد الملك لبني أمية تضمنت أيضًا معنىٰ الوصية السابقة.

(٣) **مناسبة الوصية**: حين حضرته الوفاة.

(٤) أشار محقق التذكرة الحمدونية أن إحدىٰ نسخ الكتاب عنده جاءت روايتها: جوائز.

(٥) مواسم جمع ميسم، وهو العلامة والأثر. والجديدان: الليل والنهار.

(١) رواية الديوان ص٢٠١: أتوعدني أن جاش. وجاش البحر: عظم ماؤه واضطربت أمواجه. وساجٍ: ساكن لقلة مائه. الدعامص: جمع دعموص، وهي دويبة صغيرة تغوص في الماء تعيش في المستنقعات.

وأني ازددت إلىٰ نعمتي أضعافَها، ولوددت أني مُدحت بهذه الأبيات من قول زهير: (البسيط)

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كَرَمٍ قومٌ بأوَّلِهم أو مجدِهم قَعدوا[1]

وأني زلت عن نعمتي كلِّها)[2].

[٢٢٦] قال عبد الملك لبنيه:

(إياكم والمزاحَ، فإنه يذهبُ البهاءَ، وإياكم والقهقهةَ، فإنها تذهبُ الهيبةَ)[3].

[٢٢٧] قال عبد الملك بن مروان لبنيه[4]:

(يا بني تعلَّموا العلمَ[5]؛ فإن كنتم سادةً فُقتم[6]، وإن كنتم وَسَطًا سُدتم[7]، وإن كنتم سُوقةً[8] عِشتم)[9].

---

(١) البيت في ديوانه ٢٨٢ ضمن قصيدة طويلة يمدح بها بني سنان.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في التذكرة الحمدونية ٥/ ٩٦ - ٩٧. وانظر التعليق علىٰ الوصية السابقة.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في المخلاة للعاملي ٣٤، وقد نسب قريب منها لسعيد بن العاص.

(٤) **مناسبة الوصية**: (قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعوِّلون عليه؟ فقال الوليد: أمَّا أنا ففارس حرب، وقال سليمان: أمَّا أنا فكاتب سلطان، وقال ليزيد: فأنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما تركا غاية لمختار، فقال عبد الملك: فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم؟ فقالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذلُّ الرغبة والرهبة، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية، قال: فعليكم...) بهجة المجالس وعين الأدب والسياسة.

(٥) في بهجة المجالس وعين الأدب والسياسة: عليكم بطلب الأدب.

(٦) في المصدرين السابقين: فإن كنتم ملوكًا سدتم.

(٧) في المصدرين السابقين: أوساطًا رأستم.

(٨) في المصدرين السابقين: وإن أعوزتكم المعيشة.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في أدب الدنيا والدين ٤٨، كما وردت الوصية في بهجة المجالس ١/ ١١٤، وعين الأدب والسياسة ١٢٥. وقد وردت الوصية منسوبة إلىٰ ابن المقفع في=

[٢٢٨] قال عبد الملك بن مروان لولده:

(اطلبوا معيشةً لا يقدرُ عليها سلطانٌ جائرٌ. قالوا: وما هي؟ قال: الأدب)[(١)].

[٢٢٩] وفي وصية عبد الملك لبنيه:

(لا تَعِدُوا الناسَ بما لا تنالُه أيديكم)[(٢)].

[٢٣٠] قال عبيدُ الله بن أبي المهاجر المخزومي[(٣)]:

(يا بنيَّ[(٤)]، عليكم بتقوىٰ الله، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه، وعليكم بالصدق

=البصائر ٧/ ٣٣، وجامع بيان العلم وفضله (باختصار يسير) ١/ ٢٦٤، وغرر الخصائص الواضحة ٨٩. ومنسوبة إلىٰ ابن القرية في بهجة المجالس ١/ ١١٢. وفيه: تأدبوا. ونسبت لعلي ﷺ في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣٠٤. وفي جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٣٣: (قال عمر بن عبد العزيز: تعلموا العلم فإنه زين للغني وعون للفقير، لا أقول إنه يَكسَب به ولكنه يدعوه إلىٰ القناعة).

وفي نصيحة الملوك للماوردي: (قال بعض الحكماء لولده: يا بني تأدبوا، فإنكم إن كنتم ملوكًا برزتم، وإن كنتم أوساطًا قُدِّمتم، وإن كنتم فقراء عشتم بفضل أدبكم. ثم أنشأ يقول:

ما يأكل الناس شيئًا من مآكلهم ... أحلىٰ وأطيب عقبانًا من الغضب!

وما تلحَّف إنسان بملحفة ... أبهىٰ وأزين من دين ومن أدب)

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ٦، وفيه: (قال الزهري: ما سمعت كلامًا أوجز من كلام عبد الملك...). كما وردت في مواسم الأدب ١/ ١٥ (نقلًا عن المحاسن والمساوئ) و٢/ ١٦٥، وفيه: لا يقدر السلطان علىٰ غصبها. ووردت -دون تصريح بأنها وصية- في التذكرة الحمدونية ١/ ٢٥٩.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الظرف والظرفاء ١٠٣.

(٣) **صاحب الوصية**: هو عبيد الله بن أبي المهاجر -واسمه أقرم- أبو الوليد المخزومي الدمشقي. انظر: مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٣٠٤.

(٤) **مناسبة الوصية**: (عن إسماعيل بن عبيد الله لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال: ...) وإسماعيل بن عبيد الله ستأتي ترجمته عند وصيته لبنيه. وعلق محقق ربيع الأبرار علىٰ الاسم قائلًا: لعله إسماعيل بن عبد الله بن أبي طالب الهاشمي. وقد جاء عنده: إسماعيل بن عبد الله.

حتىٰ لو قَتَلَ أحدُكم قتيلًا ثم سُئل عنه أقرَّ به. والله ما كذبت كِذْبَةً منذ[1] قرأتُ القرآن. يا بنيَّ، وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين؛ فوالله لقد رأيتني وإني لأخرج من بابي وما[2] ألقىٰ مسلمًا إلاَّ والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي، أفترون أني[3] أحبُّ لنفسي إلاَّ خيرًا)[4].

[٢٣١] قال عتبة بن أبي سفيان[5] لابنه[6] الوليد[7]:

(يا بني، نَزِّهْ نفسَك[8] عن استماع الخنا[9] كما تُنَزِّهُ لسانَك عن الكلام به[10]، فإن المستمعَ[11] شريكُ القائل، ولقد[12] نظر إلىٰ أخبثِ[13] ما في وعائه فأفرغَه في

(١) في المستطرف: ما كذبت قط مذ.

(٢) في مختصر تاريخ دمشق: فما.

(٣) في مختصر تاريخ دمشق: أفتروني.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٦/ ٨٦، ومختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٣٠٤، وقد ورد قوله منها: (يا بني.... قرأت القرآن) في ربيع الأبرار ٢/ ٥٨٩-٥٩٠، والمستطرف ٢/ ١٤٥.

(٥) **صاحب الوصية**: أبو الوليد عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي، ولد في عهد الرسول ﷺ، ولاه أخوه معاوية الطائف، ثم ولاه مصر بعد موت عمرو بن العاص، وتوفي بالإسكندرية في ذي الحجة سنة ٤٤هـ. كان خطيبًا فصيحًا حتىٰ ليقال: إنه لم يكُن في بني أمية أخطب منه. انظر: التبيين ١٧٨، والنجوم الزاهرة ١/ ١٢٢، والإصابة ٥/ ٦٠.
وابنه الوليد كان (رجل بني عتبة، ولاه معاوية المدينة، وكان حليمًا كريمًا) نسب قريش ١٣٣.

(٦) **مناسبة الوصية**: (قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: كنت أساير أبي ورجل [معنا] يقع في رجل، فالتفت إليَّ أبي فقال: ...) عيون الأخبار وشرح نهج البلاغة.

(٧) وكذا ورد في شرح النهج. وفي بهجة المجالس: لابنه عمرو.

(٨) في العقد: سمعك. وفي عين الأدب والسياسة: نفسك وسمعك.

(٩) الخنا: الفحش في الكلام.

(١٠) في بهجة المجالس: عن البذا. والبذا: الفحش في المنطق. وفي عين الأدب والسياسة: عن القول بالخنا.

(١١) في العقد: السامع. وفي عين الأدب والسياسة: السميع.

(١٢) في العقد: وإنه عمد. وفي شرح نهج البلاغة: إنما.

(١٣) في العقد وعين الأدب والسياسة: إلىٰ شر.

وعائك، ولو رُدَّت كلمةُ جاهلٍ[1] في فيه لسَعِد رادُّها كما شَقي قائلها)[2].

[٢٣٢] قال عتبة بن أبي سفيان لابنه الوليد:

(يا بني[3]، إنَّ من كَتَمَ سِرَّه[4] كان الخيارُ له، ومن أفشاه[5] كان الخيار عليه،

(١) في عين الأدب والسياسة: حاسد وناطق بالأذىٰ.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٢/ ١٤، كما وردت في بهجة المجالس ١/ ٤٠٠، وشرح نهج البلاغة ١٧/ ٣٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٦٤ (باختصار يسير)، وعين الأدب والسياسة ٢٥٢، وفيه (وأوصىٰ حكيم ابنه). وقد نسبت الوصية (باختصار) في نثر الدر ١/ ٢٨٩، وشرح نهج البلاغة إلىٰ علي يوصي ابنه الحسن رضي الله عنهما، وقد سمع (نظر) إلىٰ رجل يغتاب آخر عنده. وقد نسبت الوصية في البيان والتبيين ٢/ ٣٠١، ونثر الدر ٣/ ١٦٩ إلىٰ عمرو بن عتبة بن أبي سفيان وقد رأىٰ رجلًا يشتم رجلًا وآخر يستمع له فقالها للمستمع.. وقد نسبت في العقد ٢/ ٣٦٣ إلىٰ عمرو بن عتبة يقولها لسعد القصير، ورجل يشتم رجلًا بين يديه. وفي حلية الأولياء ٩/ ١٢٣، وشرح مقامات الحريري للشريشي ٤/ ٩٦ نسبت إلىٰ الشافعي رحمه الله، وقد سمع رجلًا يسفُّه علىٰ رجل من أهل العلم، فقالها لأصحابه، ولذا جاءت في المصدر المذكور بلفظ الجمع. وفي كتاب الصمت وآداب اللسان ٣٥٣، وكتاب ذم الغيبة والنميمة ١٦٣، وصفة الصفوة ٣/ ٦٩-٧٠: (عن شيخ من قريش قال: قال مولىٰ لعمرو بن عتبة (في كتاب الصمت: ابن أبي سفيان) رآني عمرو بن عتبة وأنا مع رجل، وهو يقع في آخر، فقال لي: ويلك -ولم يقُلها لي قبلها ولا بعدها- نزِّه سمعك...) والمولىٰ المذكور لعله سعد القصير المذكور سابقًا، فقد أشار ابن قتيبة (المعارف ٥٣٨) إلىٰ أنه مولىٰ لآل عتبة بن أبي سفيان، والغريب أن ابن الجوزي وَهِمَ فجعلها في ترجمة عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي! وكذا ترجم له محققا كتابي الصمت وذم الغيبة! -مع أنه صرَّح في كتاب الصمت بأنه عمرو بن عتبة ابن أبي سفيان!- ولعل ما يؤكد أن عمرو بن عتبة هو ابن أبي سفيان -غير ما أشارت إليه المصادر الأخرىٰ- أن فرقدًا توفي في غزاة أذربيجان (صفة الصفوة ٣/ ٧٢) وأن ابن أبي الدنيا روىٰ الخبر عن والده، ووالده مولىٰ بني أمية (تاريخ بغداد ٢/ ٣٧٠).

(٣) **مناسبة الوصية**: (قال الوليد بن عتبة لأبيه: إن أمير المؤمنين أسر إليَّ حديثًا. ولا أراه يطوي عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدثك به؟ قال: ...)، وجاء عقب الوصية: (فحدثت به معاوية فقال: يا وليد، أعتقك أخي من رِقِّ الخطأ). عيون الأخبار.

(٤) في نهاية الأرب وعين الأدب والسياسة: من كتم سرًّا.

(٥) في نهاية الأرب: ومن أظهره.

فلا تكوننَّ مملوكًا بعد أن كنت مالكًا. قال [الوليد]: وإن هذا ليجري[1] بين الرجل وأبيه[2]؟ قال: لا، ولكني[3] أكره أن تُذَلِّلَ لسانَك بأحاديث السِّر)[4].

[٢٣٣] وعن عمرو بن عتبة قال:

(قال لنا أبونا عتبة: يا بني، إنكم صغارُ قومٍ لا يُحتَاجُ إليكم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنىٰ عنكم، فعليكم بالعلم والدين تنتظم لكم الدنيا، واجعلوا أموالكم واقيةً لأديانكم يكن الله جارًا لكم، فإن الموتَ في طاعة الله حياةٌ، والفقرَ في رضوانه غنىٰ، واذكروا ما خلقتم له وخُلق لكم، فإنه لا ينساكم من وُكِّلَ بكم، وإياكم والعقوقَ، فإنه يثمر العقوبة)[5].

[٢٣٤] قال عتبة بن أبي سفيان لبنيه[6]:

(يا بني، تألَّفُوا[7] النعمَ بحسن مجاورتها، والتمسوا المزيدَ فيها بالشكر عليها،

(١) في الصمت: يا أبتي وإن هذا ليدخل. وفي عين الأدب والسياسة: إن هذا لا يدخل.

(٢) في عين الأدب والسياسة: وابنه.

(٣) في الصمت: لا والله يا بني ولكن أحب ألاَّ تذلل. وفي عين الأدب والسياسة: لا يا بني ولكن أكره.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ١/ ٤٠، كما وردت في كتاب الصمت ٤٥٢، والعقد ١/ ٨٥ (باختصار) ومختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٦٤(باختصار يسير)، ونهاية الأرب ٦/ ٨٢، وعين الأدب والسياسة ١٧٤. وقد نسبت في بعض المصادر إلىٰ عنبسة بن أبي سفيان وابنه عثمان.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ٢٥١، والراوي فيها عمر، وقد أصلحته إلىٰ عمرو. إذ عدَّدَ ابنُ حزم (جمهرة أنساب العرب ١١١-١١٢) لعتبة بن أبي سفيان ثمانية أبناء ليس من بينهم عمر. وقد نُسب صدرُ الوصية في بعض المصادر إلىٰ عروة بن الزبير، ولعلها أقرب إليه. وترجمة عمرو تأتي في وصيته.

(٦) **مناسبة الوصية**: في ربيع الأبرار عن عمرو بن عتبة: (كان أبونا لا يرفع المواعظ عن أسماعنا، فأراد سفرًا فقال: ...) وفي مختصر تاريخ دمشق: (كان أبونا... إذا أراد سفرًا فقال: ...).

(٧) في مختصر تاريخ دمشق: تلقَّوا. ومعنىٰ: تألفوا النعم بحسن مجاورتها: اعملوا علىٰ ما يجعل النعم يستمر تدفُّقها عليكم حتىٰ لكأنما استملتموها، وذلك بصرفها في سبيل الخير، وعدم الإسراف فيها.

واعلموا أن النفوسَ أقبلَ شيءٍ لما أعطيت، وأعطىٰ شيءٍ لما سئلت، فاحملوها علىٰ مطيةٍ لا تبطئ إذا رُكبت[١]، ولا تُسبق وإن تُقدِّمت، عليها نجا من هرب من النار، وأدرك من سَابَقَ إلىٰ الجنة[٢]. فقال الأصاغرُ من ولدِه: يا أبانا ما هذه المطيةُ؟ قال: التوبة)[٣].

[٢٣٥] قال عمرو بن عتبة[٤]:

(قال لي أبي[٥]: يا بني، قد تقطَّعت عنك شرائعُ[٦] الصِّبا، فالزم الحياء تكُن من أهله، ولا تزايلْه[٧] فتبينَ منه، ولا يغرَّنك من اغترَّ بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافَه من نفسك، فإنَّه من قال فيك من الخير ما لم يعلمْ إذا رضي، قال فيك من الشرِّ مثلَه

---

(١) في مختصر تاريخ دمشق: فاحملوها علىٰ مطاياها إذا ركبتم، لا تسبق.
(٢) في ربيع الأبرار: إلىٰ الخير.
(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٢/ ٣٥١، كما وردت في ربيع الأبرار ١/ ٧٤٠، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٩، ومختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٦٤. وقد جاء في ربيع الأبرار والتذكرة الحمدونية: (العتبي عن أبيه عمرو بن عتبة)! وفي عيون الأخبار: (العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة).
والعتبي هو محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة. وقد جعل محققو عيون الأخبار عنوان الوصية (موعظة لعمرو بن عتبة) وواضح أن الموعظة لأبيه لا له! وعرَّف محقق ربيع الأبرار عمرو بن عتبة بأنه عمرو بن عتبة بن واقد السلمي! ورواها ابن عساكر بسنده إلىٰ عتبة بن أبي سفيان وأثبتها في ترجمته من تاريخه. وهو الذي عُرف بوصاياه لأبنائه. وعمرو بن عتبة بن واقد زاهد متعبد شغلته العبادة عن الرواية! (انظر: حلية الأولياء ٤/ ١٥٥) ثم موقفه من أبيه الذي كان أميرًا علىٰ ماسباذان تجعل نسبة الوصية إليه مستبعدة.
(٤) **صاحب الوصية**: هكذا جاء في مصدر الوصية، ولعله عتبة بن أبي سفيان.
(٥) **مناسبة الوصية**: لما بلغ عمرو خمس عشرة سنة.
(٦) شرائع جمع شريعة، وهي الطريقة. والصبا: الصغر والحداثة.
(٧) لا تزايله: لا تفارقه.

إذا سخط. فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلمْ من غِبِّ[1] عواقبِهم)[2].

[٢٣٦] عن هشام بن عروة قال:

(أوصىٰ عروة[3] بنيه فقال: لا يهدينَّ أحدُكم إلىٰ ربِّه ما يستحي أن يهديَه إلىٰ كريمه[4]، فإن الله أكرمُ الأكرمين[5]، وأحقُّ من اختِيرَ له، يا بني، تعلَّموا أن[6] تكونوا

(١) الغبُّ من كلِّ شيء عاقبته وآخره.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ١٤٩. وقد نسبت (باختلاف يسير) في بعض المصادر إلىٰ أبي سفيان بن عيينة (انظرها في موضعها). كما نسبت في الجليس الصالح ٢/ ٢٤٤ (وغيره) بسند متصل إلىٰ سفيان بن عمرو بن عتبة (بن أبي سفيان) قال: قال لي أبي. وبذا فربما سقط اسم (سفيان) من العقد.

(٣) **صاحب الوصية**: في الفاضل وضع المحقق بين (أوصىٰ) و(بنيه) كلمة (رجل) وعلق في الهامش عليها بقوله: زيادة يقتضيها السياق! وقد وردت الوصية في الأمالي، وبعضها في المصون، بالسند نفسه [وإن تصحَّف عنده (ابن أبي الزناد) إلىٰ (ابن الزيادي)] وفيه: قال عروة لبنيه. كما سيأتي ذكر مصادر أخرىٰ نسبتها إلىٰ عروة في **التوثيق**.

وهو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، من أفاضل أهل المدينة وعقلائهم، كان ثقة كثير الحديث فقيهًا فاضلًا، كما كان أعلم الناس بحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكانت خالته. توفي بالمدينة سنة ٩٣هـ، وقيل ٩٤هـ وهو ابن سبع وستين سنة.

انظر: طبقات خليفة ٢٤١، والمعارف ٢٢٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١.

وابنه هشام أحد تابعي المدينة المشهورين، المكثرين في الحديث، المعدودين من أكابر العلماء، ولد سنة ٦١هـ وقدم علىٰ أبي جعفر المنصور في بغداد، وتوفي بها سنة ١٤٦هـ.

انظر: طبقات خليفة ٢٦٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٧، ووفيات الأعيان ٦/ ٨٠.

(٤) في الأمالي: إلىٰ حريمه، وفي الجامع لشعب الإيمان: يا بني لا يهدينَّ أحدكم لله شيئًا يستحي أن يهديه لكريمه. وكريمه: من يعظمه وينزِّهه. وحريم الرجل وحرمه: ما يقاتل عنه ويحميه. وربما كان المراد من يضمر له الاحترام.

(٥) في الأمالي والحلية والجامع لشعب الإيمان: أكرم الكرماء.

(٦) لعل المراد: وطِّنوا أنفسكم علىٰ طلب العلم تلاميذَ تتلقَّون، علَّكم أن تكونوا علماء يُتلقَّىٰ عنكم.

صغار قوم[١]، فعسىٰ أن تكونوا كبار آخرين[٢]، وإذا رأيتم من رجلٍ خَلَّةً رائعةً[٣] من خير فلا تقطعوا أملَكم منه[٤] وإن كان عند الناس رجلَ سوءٍ، فإن لها عنده أخواتٍ، وإذا رأيتم من رجل خَلَّةً رائعةً[٥] من شرٍّ فاحذروه وإن كان عند الناس رجلَ صدقٍ[٦]، فإن لها عنده أخواتٍ. ثم قال: إنَّ الناس بزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم)[٧].

---

(١) زاد في العقد: لا يحتاج إليكم.

(٢) في البيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد: كبار قوم آخرين. وزاد في العقد: لا يستغنىٰ عنكم. وفي الأمالي: تعلَّموا العلم، فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسىٰ أن تكونوا كبراءهم. ومثله في الحلية وفيه: صغراء. وزادا: واسوءتاه! ماذا أقبح من شيخ جاهل؟! وفي المصون مثل روايتهما إلَّا أن فيه: كبارهم، فيا سوءتاه من شيخ جاهل. ورواية سنن الدارمي: وما أقبح علىٰ شيخ يسأل ليس عنده علم. ورواية الزيادة في عيون الأخبار: فياسوءتاه! ماذا أقبح من جهلٍ بشيخ؟!

(٣) في جمل من أنساب الأشراف: خلَّة خير. وفي الحلية: خلَّة خير رائعة. خَلَّة: خصلة. رائعة: معجبة (نامية زائدة).

(٤) في جمل من أنساب الأشراف: وكان عندكم رجل سوء فلا تيْئَسوا منه. وفي الأمالي ومختصر تاريخ دمشق: إناتكم (في مختصر تاريخ دمشق: أناتكم. وفسرها المحقق بالحلم!). وفي الحلية: عنه إياسكم. إناتكم: رجاءكم.

(٥) في الحلية: خلة شرٍّ رائعة.

(٦) في جمل من أنساب الأشراف: خلة شر... وإن كان صالحًا. وفي مختصر تاريخ دمشق: حذق! ولعله تصحيف.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل للوشاء ١٥٤، كما وردت في البيان والتبيين ٢/ ٢٠٢ (باختصار) والأمالي ١/ ٢٤٠، وجعلها ثلاث وصايا. وكذا في حلية الأولياء ٢/ ١٧٧، وورد جزء منها (تعلموا... آخرين) في سنن الدارمي ١/ ١٣٨، وعيون الأخبار ٢/ ١٢٣، والعقد ١/ ١٨١، والمصون ١٣٤، وتاريخ دمشق ١٣/ ٩٢، وورد هذا الجزء منها، مع زيادة يسيرة -منسوبًا لعلي ﷺ- في ربيع الأبرار ٣/ ٢٢٦، يقوله لفتيان من قريش، ومنسوبًا للحسن في تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٢٧، وسنن الدارمي ١/ ١٣٠، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٩.
ورود جزء من الوصية (لا يهدينَّ... اختير له) في الجامع لشعب الإيمان ٧/ ٧٠، وورد من الوصية قوله: (إذا رأيتم من رجل... أخوات) في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٤٤٤، ومصنف ابن أبي شيبة، وروايتها فيه: (إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل علىٰ أختها، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات). وقد ورد هذا الجزء أيضًا في حلية الأولياء ٢/ ١٧٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ١٥ باختلاف يسير.

[٢٣٧] قال هشام:

(كان أبي عروةُ يقول لنا: إنا كنا أصاغرَ قومٍ، ثم نحن اليوم أكابر[١]، وإنكم اليوم أصاغرُ قومٍ وستكونون كبارًا، فتعلَّموا العلمَ تسودوا به قومَكم، ويحتاج[٢] إليكم[٣])[٤].

[٢٣٨] وكان عروة يقول لبنيه:

(يا بني، إن أزهدَ الناسِ في عالِمٍ أهلُه، هلمُّوا إليَّ فتعلَّموا[٥]، فإنه يوشك[٦] أن تكونوا كبارَ قوم، إني كنت صغيرًا لا يُنظر إليَّ، فلما أدركـتُ[٧] من السِّنِّ ما أدركت جعل الناسُ يسألونني، فما أشدَّ[٨] علىٰ امرئ أن يُسأل عن شيءٍ من أمرِ دينِه فيجهلَه)[٩].

(١) في مختصر تاريخ دمشق وتهذيب التهذيب: كبار.

(٢) في المصدرين السابقين: ويحتاجوا إليكم.

(٣) زاد المصدران السابقان: فوالله ما سألني الناس حتىٰ (لقد) نسيت.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٧٢، كما وردت في مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٨، وتهذيب التهذيب ٧/ ١٨٢. وفي تاريخ دمشق ٤٠/ ٢٥٥: (عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول لبنيه: عليكم بالسنن فإنا كنا غلمان قوم ونحن كبارهم، وأنتم اليوم غلمان قوم وسوف تكونون كبارهم).

(٥) في جامع بيان العلم وفضله: فهلمُّوا... مني، وفي مختصر تاريخ دمشق: يا بني هلمُّوا فتعلموا، فإن.

(٦) في جامع بيان العلم: فإنكم توشكون.

(٧) أدرك الصبي: بلغ الحلم.

(٨) في المصدر السابق: وما شيء أشد. وفي مختصر تاريخ دمشق: وما أشده علىٰ أمير (!) بأن يسأل عنه.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٣/ ١٨١-١٨٢. كما وردت في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٦٠، وباختصارٍ في مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٩.

[٢٣٩] كان [عروة] يقول:

(يا بنيَّ، تعلَّموا الشعرَ، [قال هشام بن عروة راوي الوصية:] وربما قال الأبيات ينشِئها من عنده ثم يعرِضُها علينا)[١].

[٢٤٠] وكان عروة بن الزبير يقول لولده:

(يا بني، العبوا فإن المروءةَ لا تكون إلَّا بعدَ[٢] اللعبِ)[٣].

[٢٤١] أوصى عقبة بن نافع[٤] ولدَه فقال:

(لا تقبلوا الحديثَ عن رسول الله ﷺ إلَّا عن ثقةٍ، ولا تَدَيَّنُوا[٥] وإن لبستم العباءَ[٦]، ولا تكتبوا ما يشغلكم عن القرآن)[٧].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٢٢٤. وقد نسبت الوصية في بعض المصادر إلىٰ سعيد بن العاص. انظر وصاياه.

(٢) في ربيع الأبرار: مع.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ١/ ٢٩٥، كما وردت في ربيع الأبرار ٤/ ٨٣، وشرح نهج البلاغة ١٨/ ١٢٩، وقد نسبت إلىٰ عمر بن عبد العزيز (!) انظرها في وصاياه.

(٤) **صاحب الوصية**: عقبة بن نافع الفهري القرشي، بعثه معاوية إلىٰ إفريقية، فافتتحها وأنشأ مدينة القيروان. وحين رجع ردَّه يزيد بن معاوية واليًا علىٰ المغرب، كان ذا شجاعة، وحزم وديانة، استشهد سنة ٦٣هـ.

انظر: العقد الثمين ٦/ ١١١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٢، والبداية والنهاية ١١/ ٦١٢.

(٥) تديَّنوا: تأخذوا دينًا. يقال: تديَّن وادَّان واستدان: أخذ دينًا.

(٦) العباء: جمع عباءة، وهو نوع من الأكسية، يلبس فوق الثياب ويكون من الصوف. ولعل المراد هنا اللباس الغليظ.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ دمشق ٤٠/ ٥٣٣. وقد نسبت في المعجم الكبير إلىٰ عقبة بن عامر، ومما يسترعي الانتباه أن السندين في المصدرين ينتهيان إلىٰ عبد الله بن لهيعة، ومنه يلتقيان عند عقبة بن عامر/ نافع! ويبدو أن تاريخ دمشق أقرب إلىٰ الصواب، فالطبراني -مع أنَّ مروياته في الموضع ذاته عن عقبة بن عامر- ألحق بعده (الجهني) فإنه لم يلحقها في هذا الموضع، علىٰ حين إن تاريخ دمشق جاء فيه: (عن عقبة بن نافع القرشي، وكان قد استشهد بإفريقيا).

[٢٤٢] قال علي بن أصمع[١] لبنيه[٢]:

(يا بنيَّ، عاشروا[٣] الناس معاشرة إن غبتم[٤] حنُّوا[٥] إليكم، وإن متم[٦] بكوا[٧] عليكم)[٨].

[٢٤٣] أوصى علي بن الحسين[٩] ابنه محمدَ بنَ عليٍّ فقال:

---

(١) **صاحب الوصية**: علي بن أصمع بن مظهر بن رياح الباهلي؛ ذكر ابن دريد أن عليًّا ﷺ ولاه موضعًا بالبصرة يقال له: البارجاه، فظهرت منه خيانة فقطع أصابع يده. ونقل ابن خلكان أن سبب قطعها سرقة رُفع فيها إلىٰ عليٍّ ﷺ. وقد أدرك علي بن أصمع الحجاج وولاه ولاية، كما كان يتولىٰ محو المصاحف المخالفة لمصحف عثمان من قِبَلِه.

انظر: الاشتقاق ٢٧٢، ومراتب النحويين ١٠٥، وجمهرة أنساب العرب ٢٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٤-١٧٥.

(٢) **مناسبة الوصية**: (قال الأصمعي: حضر جدي علي بن أصمع الوفاة، فجمع بنيه فقال: ...).

(٣) في نهج البلاغة والتذكرة الحمدونية: خالطوا الناس مخالطة. زاد الأخير: جميلة. والمعاشرة: المصاحبة والمخالطة.

(٤) في آداب الصحبة والتذكرة الحمدونية ومحاضرة الأبرار: إن عشتم. وفي الفاضل: غبتم عنهم.

(٥) في شرح النهج: وقد روي: خنُّوا، وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء. وحنوا: اشتاقوا.

(٦) في نهج البلاغة والتذكرة الحمدونية: متُّم معها.

(٧) في ربيع الأبرار: خنُّوا.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ١٠، والمجالسة للدينوري ٢/ ١٦٨. وقد نسبت -عن ابن الكلبي- إلىٰ أكثم بن صيفي يقولها لقومه في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٨. ونسبت لعلي ﷺ في نهج البلاغة ٤٧٠ (شرح نهج البلاغة ١٨/ ١٠٧)، والتذكرة الحمدونية ٢/ ١٧٨. والكشكول للعاملي ٢/ ٥٧، ونسبت في محاضرة الإبرار لعيسىٰ بن مريم ﷺ. ونسبت في آداب الصحبة للسلمي ٩٧ إلىٰ بعض حكماء السلف، وفي مختار الحكم ٣٢٣ إلىٰ بعض الحكماء، وفي الفاضل ١٥٦، وربيع الأبرار ١/ ٤٦٦ إلىٰ أعرابي يوصي بنيه. ووردت في المحاسن والأضداد ٣٦ دون نسبة.

(٩) **صاحب الوصية**: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، يعرف بزين العابدين، كان ثقة مأمونًا عاقلًا زاهدًا له جلالة وهيبة. توفي بالمدينة سنة ٩٢هـ.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢١١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(يا بنيّ، عليك بتجرُّع الغيظِ من الرجال؛ فإن أباك لا يسرُّه بنصيبِه مِن تجرُّع الغيظِ مِن الرجالِ حمرُ النَّعَمِ؛ والحِلْمُ أعزُّ ناصرًا، وأكثرُ عددًا)[1].

[٢٤٤] وقال علي بن الحسين لابنه:

(إياك ومعاداةَ الرجالِ، فإنَّه لن يعدَمَك مكرُ حليمٍ أومفاجأةُ لئيمٍ)[2].

[٢٤٥] وقال علي بن الحسين لابنه:

(يا بني، اصبرْ علىٰ النائبةِ[3]، ولا تتعرَّضْ للحقوقِ[4]، ولا تُجِبْ أخاك إلىٰ شيءٍ مضرتُه عليك أعظمُ[5] من منفعتِه له)[6].

[٢٤٦] قال علي بن الحسين لابنه:

(يا بني، إن الله لم يرضَك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذَّرني منك. واعلم

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ١٦/ ١٠٨، وقال قبلها: قال المبرد في الكامل. ولم أجدها في الكامل. وقد وضع المحقق في الحاشية الكامل ولم يضع له جزءًا ولا صفحة! وفي جمل من أنساب العرب ٤/ ١١١: (كان محمد بن علي يقول: لن يبلغ الرجل غاية الحلم حتىٰ يعدَّ ذليلًا). وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٥٦: (قال معاوية: ماشيء أحمد عاقبة من جرعة غيظ أتجرَّعها).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ١/ ٣٣٨. وقد وردت جزءًا من وصية لعبد الله بن الحسن بن الحسن. (انظر وصيته في موضعها).

(٣) في العقد وحلية الأولياء: النوائب.

(٤) في العقد: ولا تعرَّض للحتوف. والحتوف جمع حتف وهو الهلاك.

(٥) في العقد وحلية الأولياء: ولا تجب أخاك من الأمر إلىٰ ما [الحلية: إلىٰ الأمر الذي] مضرته عليك أكثر من منفعته لك [الحلية: له].

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٢/ ٧٦. كما وردت في العقد ٣/ ١٤٨، وحلية الأولياء ٣/ ١٣٨، وقد جاءت منسوبة إلىٰ محمد بن علي بن حسين في بهجة المجالس ٣/ ٢٥٢.

أن خير الآباء للأبناء من لم تدعُه المودة إلىٰ التفريط فيه، وخيرَ الأبناء للآباء من لم يدعُه التقصيرُ إلىٰ العقوق له)[1].

[٢٤٧] وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي:

(أدبني أبي بثلاث خصال، ونهاني عن ثلاث. قيل له: وما هنَّ يا بن رسولِ الله؟ فقال: من يصحبْ صاحبَ السوءِ لا يسلم، ومن يدخلْ مداخلَ السُّوءِ يُتَّهَمْ، ومن لا يملك لسانَه يندم. ثم أنشد: (البسيط)

عـوِّد لسـانَك قـولَ الخيـرِ تحـظَ بـه ... إن اللســانَ لمــا عـوَّدتَ معتـادُ

مـوكلٌ بتقاضـي مـا سَـنَنْتَ لـه ... في الخيرِ والشرِّ فانظرْ كيف ترتادُ[1]

قيل له: صدقَ ﷺ، فما الذي نهاك عنهنَّ؟ فقال: لا تعاشرْ حاسدَ نعمةٍ، أو شامتًا بمصيبة، أو حاملًا لنميمة. وأنشدني في ذلك: (الطويل)

يمـوت الفتـىٰ مـن عثـرةٍ بلسـانه ... وليس يموت المرءُ من عثرةِ الرجلِ

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد ٣/ ١٤٩. وقد نسبت إلىٰ محمد بن عبد الله بن حسن وإلىٰ زيد بن علي.

(١) تقاضي: طلب. سننت له: عوَّدته إياه. ترتاد: تطلب. والبيتان -دون نسبة- في أدب الدنيا والدين ٤١٥، وغررالخصائص الواضحة ٥٧. وورد البيت الأول في بهجة المجالس ١/ ٨٧، وروايته فيه -وفي المصدر السابق- قول الصدق. كما ورد في لباب الآداب ٣٢٦.

فعثرتــه مــن فِيْــهِ ترمــي برأســه وعثرتُه بالرجلِ تبرأ علىٰ مَهْلِ[1][2]

[٢٤٨] عن أبي جعفر محمد بن علي قال:

(أوصاني أبي قال: لا تصحبنَّ خمسةً ولا تحادثْهم ولا ترافقْهم[3] في طريق. قال: قلت: جُعلتُ فداءك يا أبَهْ، من هؤلاء الخمسة؟

قال: لا تصحبنَّ فاسقًا فإنه بايعُك[4] بأكلةٍ فما دُونها. قال: قلت: يا أبَهْ، وما

---

(١) ورد البيتان في المحاسن والأضداد ١٨، والمحاسن والمساوئ ٣٨٠، والتذكرة الحمدونية ٣ ١٦٢٢علىٰ أنهما للمعتز بالله بن المتوكل إبان إمارته وقد دخل عليه الزبير بن بكار -الذي رُوي عن طريقه الخبر- فأسرع إليه المعتز فعثر فقال البيتين. وورد الخبر والبيت الأول فقط في تاريخ بغداد ٢/ ١٢٥، والمحمدون من الشعراء ٢٥٣. وورد الخبر في ربيع الأبرار ١/ ٦٤٨-٦٤٩، وزاد علىٰ البيتين بيتًا ثالثًا جعله أولها، وهو:

وكم عثرة لي باللسان عثرتها تفرِّق من بعد اجتماع من الشمل

وجعل القائل عبد الله بن المعتز، وأشار المحقق أن في الأصل عنده: عبد الله بن المعمر، وأن الصواب ما ذكره! قلت: الصحيح، المعتز بن المتوكل، وقد توفي سنة ٢٥٥هـ، وعبد الله بن المعتز الشاعر ابنه، وقد توفي سنة ٢٩٦هـ.

وقد ورد في إنباه الرواة ٤/ ٦٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩، وشذرات الذهب ٢/ ١٠٦، أن المتوكل اختار يعقوب بن السكيت لتأديب ولده المعتز بالله، فلما اجتمع به أول مرة قام المعتز لينصرف فعثر، فأنشد ابن السكيت البيتين. وقد ورد البيتان في العقد الفريد ٢/ ٤٧٣-٤٧٤ منسوبين إلىٰ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين. كما وردا -دون نسبة- في عيون الأخبار ٢/ ١٨٠، والظرف والظرفاء ٤١، وأدب الخواص للوزير المغربي ٧٥، وبهجة المجالس ١/ ٨٨، ورواية البيت الأول في بعض المصادر السابقة: يصاب الفتىٰ... وليس يصاب. ورواية الثاني في بعضها: فعثرته في القول تُذهب رأسَه.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ٢٥٠، وقد ورد فيه: أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي. وهو خطأ.

(٣) في مختصر تاريخ دمشق: يا بني، انظر خمسة لا تحادثهم ولا تصاحبهم ولا تُرَ معهم.

(٤) في المصدر السابق: إياك ومصاحبة الفاسق. وفي صفة الصفوة: فإنه يبيعك. وفي البداية والنهاية -وهو أول الوصية فيها-: يا بني لا تصحب فاسقًا.

دُونها؟[١] قال: يطمعُ فيها ثم لا ينالها.

قال: قلت: يا أبَهْ، ومن الثاني؟ قال: لا تصحبنَّ البخيلَ[٢] فإنه يقطعُ بك[٣] في مالِه أحْوج ما كنتَ إليه.

قال: قلت: يا أبَهْ، ومن الثالث؟ قال: لا تصحبنَّ كذَّابًا[٤] فإنه بمنزلة السَّرابِ[٥] يُبعدُ منك القريبَ ويُقرِّبَ منك البعيدَ.

قال: قلت: يا أبَهْ، ومن الرابع؟ قال: لا تصحبنَّ أحمقَ[٦] فإنه[٧] يريد أن ينفعَك فيضرَّك.

قال: قلت: يا أبَهْ، ومن الخامس؟ قال: لا تصحبنَّ قاطعَ رحمٍ[٨] فإني وجدتُه ملعونًا في كتابِ الله في ثلاثةِ مواضع[٩])[١٠].

---

(١) في مختصر تاريخ دمشق: وأقلُّ منها. قلت: وما أقل منها؟ قال: الطمع.

(٢) في المصدر السابق: وإياك ومصاحبة البخيل. وفي البداية والنهاية: ولا بخيلاً.

(٣) في مختصر تاريخ دمشق: يخذلك.

(٤) في المصدر السابق: وإياك ومصاحبة الكذاب. وفي البداية والنهاية: ولا كذابًا.

(٥) في البداية والنهاية: كالسراب.

(٦) في مختصر تاريخ دمشق: وإياك ومصاحبة الأحمق. وفي البداية والنهاية: ولا أحمق.

(٧) زاد في مختصر تاريخ دمشق: فإنه يحضرك يريد.

(٨) في المصدر السابق: وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه. وفي البداية والنهاية: ولا قاطع رحم.

(٩) زاد في المصدر السابق: في الذين كفروا [سورة محمد]: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ إلىٰ آخر الآية [آيتا ٢٢-٢٣]، وفي الرعد: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ الآية [آية ٢٥]، وفي البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ إلىٰ آخر الآيتين [آيتا ٢٦، ٢٧]. وفي البداية والنهاية: ملعونًا في كتاب الله. ثم أورد الآيتين من سورة محمد.

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٣/ ١٨٣-١٨٤، وصفة الصفوة ٢/ ١٠١. كما وردت في مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٥٤-٢٥٥ و(باختصار يسير) في البداية والنهاية ١٢/ ٤٨٥. وثمة وصية بينها وبين هذه الوصية تشابه كبير -وإن كانت أوجز منها- منسوبة -مع زيادة في أولها- لعلي ﷺ (راجعها في وصاياه). كما نسبت وصية مشابهة جدًا لها، وفيها: ثلاثة -ليس فيها الفاسق ولا قاطع الرحم- لقتيبة بن مسلم (انظرها في وصاياه، وانظر تخريجًا واسعًا لها هناك).

[٢٤٩] عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

(لما حضرتِ الوفاةُ عليَّ بن الحسين عليه السلام أبي ضمَّنِي إلىٰ صدره، ثم قال: يا بنيَّ، أوصيك بما أوصاني به أبي يوم قُتِل، وبما ذَكَرَ لي أنَّ أباه عليًّا عليه السلام أوصاه به: يا بنيَّ، عليك ببَذْلِ نفسك، فإنه لا يسرُّ أباك بِذُلِّ نفسه حمرُ النعمِ)[١].

[٢٥٠] كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله[٢] إلى ابنه عبد الملك[٣]:

(أمَّا بعد: فإن أحقَّ من تعاهدتُ بالوصية[٤] والنصيحةِ بعد نفسي أنت، وإن أحقَّ من رَعَىٰ[٥] ذلك وحفظَه عني أنت، وإن الله تعالىٰ له الحمد قد أحسن إلينا إحسانًا كثيرًا بالغًا في لطيفِ أمرنا وعامَّتِه، وعلىٰ الله إتمامُ ما عبر[٦] من النعمة،

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ٧/ ١٠٨، وقال في صدرها: (وروىٰ صاحب الكامل) ولم أقِفْ عليه في الكامل للمبرد. ولا في كامل ابن الأثير. وقول ابن أبي الحديد عن جعفر الباقر: عليه السلام، هو تقليد شيعي يقولونه عقب ذكر عليٍّ وآله. والأولىٰ أن يقال عن عليٍّ: رضي الله عنه، وعن الواحد من آله: رحمه الله.

(٢) **صاحب الوصية**: عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، ولد سنة ٦٣هـ، تابعي جليل، كان ثقة مأمونًا، له فقه وعلم وورع، تولىٰ الخلافة سنة ٩٩هـ، واشتهر في خلافته بالعدل حتىٰ عُدَّ خامس الخلفاء الراشدين. وتوفي لخمسٍ بقين من رجب سنة ١٠١هـ بدير سمعان من أرض حمص.

انظر: حلية الأولياء ٥/ ٢٥٣، وصفة الصفوة ٢/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٦.

وابنه عبد الملك كان غاية في الزهد والعبادة، كثير التذكير لأبيه والحث له علىٰ رد المظالم وقضاء الحاجات، وكان أحبَّ أولاد عمر إليه لذلك، توفي شابًّا.

انظر: حلية الأولياء ٥/ ٣٥٣، وسيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابن رجب.

(٣) **مناسبة الوصية**: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ ابنه عبد الملك هذه الوصية في العام الذي استخلف فيه، وابنه إذْ ذاك في المدينة. انظر: حلية الأولياء.

(٤) تعاهدت بالوصية: جددتها عليه وردَّدتها علىٰ مسمعه.

(٥) في سيرة عمر بن عبد العزيز: وعىٰ. وكلاهما بمعنىٰ: حفظ.

(٦) في المصدر السابق: غبر. ولعلها أولىٰ. وغبر: مضىٰ.

وإياه نسأل العونَ علىٰ شكرها، فاذكرْ فضلَ الله علىٰ أبيك وعليك[1]، ثم أَعنْ أباك علىٰ ما قوي عليه وعلىٰ ما ظننتَ أن عنده منه[2] عجزًا عن العملِ فيما أنعم به عليه وعليك في ذلك، فراعِ نفسَك وشبابَك وصحتَك، وإن استطعت أن تكثرَ تحريكَ لسانك بذكر الله حمدًا[3] وتسبيحًا وتهليلاً فافعل، فإن أحسنَ ما وصلتَ به حديثًا حسنًا حمدُ الله وذكرُه[4]، وإن أحسنَ ما قطعت به حديثًا سيئًا حمدُ الله وذكرُه.

ولا تفتتنْ[5] فيما أنعم الله به عليك فيما عسيت أن تَقْرِظَ به[6] أباك فيما ليس فيه، إن أباك كان بين ظهراني[7] إخوته عند أبيه يُفضَّل عليه الكبيرُ، ويُدنىٰ دونه الصغير، وإن كان الله -وله الحمد- قد رزقني من والدي حسبًا جميلًا كنت به راضيًا أرىٰ أفضل الذي يبرُّه ولده عليَّ حقًّا[8]، حتىٰ وُلدتَ ووُلِدَ طائفةٌ من أخواتك[9]، ولا أخرج بكم من المنزل الذي أنا فيه، فمن كان راغبًا في الجنة وهاربًا من النار فالآن في هذه الحالةِ والتوبةُ[10] مقبولةٌ، والذنبُ مغفورٌ، قبل نفادِ الأجلِ، وانقضاءِ العملِ،

---

(١) في المصدر السابق: عليك وعلىٰ أبيك.

(٢) في المصدر السابق: فيه.

(٣) في المصدر السابق: تحميدًا.

(٤) في المصدر السابق: وشكره.

(٥) في المصدر السابق: فلا تفتتن.

(٦) تقرظ: تمدح وتطري.

(٧) في المصدر السابق: ظهري! وبين ظهراني إخوته: بينهم.

(٨) هكذا وردت الجملة ولم يتضح لي معناها. وفي المصدر السابق: أرىٰ أفضل ببره ولده عليَّ حقًّا!

وقد ورد في جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٤٤: (بلغ عمر عن ابنه عبد الملك أمرٌ كرهه فكتب إليه: «بلغني عنك بعضُ ما أكره، ولو كنت تقدمت إليك فيه لأتاك مني ما تكرهه، واذكر أن أباك كان عند أبيه مطَّرحًا، يُفضَّل عليه الكبير، ويؤثر فيه الصغير، واذكر أن أمك كانت أمة من الأعاجم وليست من خيارهم، فلئن عدتَ ليأتينك مني ما لا تحب إن شاء الله»!

(٩) هكذا. وفي المصدر السابق: حتىٰ ولدت وولدت طائفة من إخوتك.

(١٠) في المصدر السابق: فالآن التوبة مقبولة.

وفراغٍ من الله للثقلين[1] ليدينَهم بأعمالهم في موطنٍ[2] لا تُقبَل فيه الفديةُ، ولا تنفع فيه المعذرة، تبرز فيه الخفيات، وتبطل فيه الشفاعات، يرده الناس بأعمالهم، ويصدرون فيه[3] أشتاتًا إلىٰ منازلهم، فطوبىٰ يومئذٍ لمن أطاع الله، وويل يومئذٍ لمن عصىٰ الله.

فإن ابتلاك الله بغنًىٰ فاقتصد في غناك، وضع لله نفسك، وأدِّ إلىٰ الله فرائضَ حقِّه في مالك، وقلْ عند ذلك ما قال[4] العبدُ الصالح: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾[5] الآية.

وإياك أن تفخر بقولك، وأن تعجب بنفسك، أو يخيَّل إليك أن ما رُزقتَه لكرامة بك علىٰ ربك، وفضيلة علىٰ من لم يُرزَقْ مثلَ غناك.

فإذا أنت أخطأت باب الشكر، ونزلت منازل أهل الفقر، وكنت ممن طغىٰ للغنىٰ وتعجل طيباته في الحياة الدنيا، فإني لأعظك بهذا وإني لكثير الإسرافِ علىٰ نفسي، غير محكمٍ لكثير من أمري، ولو أن المرءَ لم يعظ أخاه حتىٰ يحكمَ نفسه[6]، ويكملَ[7] في الذي خُلِقَ له لعبادة[8] ربِّه، إذًا تواكلَ الناسُ الخيرَ، وإذًا يُرْفَعُ الأمرُ[9] بالمعروف والنهيُ عن المنكر، واستُحِلَّت المحارم، وقلَّ الواعظون، والساعون لله بالنصيحة في الأرض، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١) في المصدر السابق: للمنقلبين. ويدينهم: يحاسبهم.
(٢) في المصدر السابق: موضع.
(٣) في المصدر السابق: عنه. واشتاتًا: متفرقين.
(٤) في المصدر السابق: وقل كما قال.
(٥) النمل: ٤٠. وتكملة الآية: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾.
(٦) في المصدر السابق: أمر نفسه.
(٧) في المصدر السابق: ويعمل.
(٨) في المصدر السابق: من عبادة.
(٩) في المصدر السابق: إذًا لتواكل... وإذًا لرفع الأمر.

﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧])[١].

[٢٥١] كتب عمر بن عبد العزيز إلى ابنه عبد الملك:

(أمَّا بعد: فإنَّ أحقَّ من وَعَىٰ عَنِّي وفهم قولي أنت، وإنَّ الله -وله الحمد- قد أحسن إلينا في لطيف أمرنا وجليله، وعلىٰ الله -جلَّ وعزَّ- تمام النعمة، فاذكر يا بُنَيَّ فضلَ الله عليك وعلىٰ أبيك، فإنك إن استطعت أن تُصدِّق ذلك كلَّه بعملٍ تعمله وصلاةٍ أو صومٍ أو صدقةٍ قُبِلَ ذلك منك، وإياك والعزةَ والعظمةَ والكبرياءَ، فإنه من عمل الشيطان وهو عدوٌّ مضلٌّ مبين، وإن النفسَ لأمارة بالسوء إلَّا ما رحم ربي، إن ربي لغفور رحيم.

واعلم أن الشباب -إلَّا ما وقىٰ الله ودفع- عونٌ علىٰ أمورٍ كثيرةٍ من السوء، وفيه لعمري معونةٌ كثيرةٌ علىٰ الخير لمن رزقه الله، فاحذر شبابَك، وإياك أن تعلم في قلبِك زُهُوًّا أو كِبْرًا، فإنه ما لم يكُن من ذلك كان خيرًا، واحفظ لسانك ونفسَك حفظًا ترجو فيه رحمةَ الله -جلَّ وعزَّ- ومغفرتَه، واذكر صِغَرَ أمرِك وحقارةَ شأنِك، ولا تبغِ فيما أعجبك من نفسك، وفيما عسيتَ أن تُفَرِّطَ فيه[٢] مما ليس معه غيرُ الفكرةِ في أمرك وأمره.

وليس كتابي هذا لأن يكونَ بلغني عنك إلَّا خيرًا، غير أنَّه قد بلغني عنك شيءٌ من بعضِ إعجابِك بنفسك، ولو بلغني أن ذلك خرجَ عنك إلىٰ أمرٍ كرهته لبلغك عني أمرٌ يشتدُّ عليك كراهتُه، وعُرِّفت مع ذلك أن الشبابَ والحرصَ والنعمةَ يحمل ذلك كلُّه علىٰ أمرٍ شديدٍ إلَّا ما وقىٰ الله ودفع، فكن يا بني علىٰ حذر، فإن الشيطان قلَّ ما يصيب فرصتَه بمن احترسَ منه بدعاء الله -جل اسمُه- والتواضعِ له، وأكثرْ

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٥/ ٢٧٥-٢٧٧، كما وردت في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٩٨-٢٩٩، وهي فيهما بسند إلىٰ ليث بن رقية كاتب عمر في خلافته.

(٢) فيما عسيت أن تفرط فيه: فيما لعلك أن تقصِّر فيه.

تحريكَ لسانِك في ليلك ونهارك بذكرِ الله، فإن أحسنَ ما وَصَلْتَ به حديثًا حسنًا ذكرُ الله جل اسمه، وأحسنَ ما قطعت به حديثًا سيئًا ذكرُ الله تبارك وتعالىٰ، وأعنْ علىٰ نفسك بخير. نسأل الله لنا ولك حسنَ التوفيق، والسلام)[1].

[٢٥٢] عن عبد العزيز[2] بن عمر [بن عبد العزيز] قال:

(قال لي أبي: يا بني، إذا سمعتَ كلمةً من امرئٍ مسلمٍ فلا تحملْها[3] علىٰ شيءٍ من الشرِّ ما وجدتَ لها محملًا من الخير)[4].

[٢٥٣] قال عمر بن عبد العزيز لعبد الملك ابنه:

(يا بني، إن الشبابَ عونٌ علىٰ مساوئ الأخلاق، فاذكرْ فضلَ الله علينا، واغتنمْ فراغَ نفسِك، وإياك والغفلةَ عن أمرِ معادِك، فإن الله قد أحسن إلينا في اللطيفِ والجليل من أمرنا)[5].

[٢٥٤] وقال عمر بن عبد العزيز لابنه:

(بِثْ علىٰ بيانٍ من أمرِك، وليكُن لك مطوًىٰ من سرِّك)[6].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ٥٤٣-٥٤٤. وفي السطرين الأولين منها والسطرين الأخيرين شبه كبير بمثلهما من الوصية السابقة.

(٢) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، روىٰ الحديث عن أبيه وكان ثقة، ولي مكة والمدينة ليزيد بن الوليد وأقره عليهما مروان بن محمد من بعد، كان في صحابة أبي جعفر المنصور إبان خلافته.

انظر: جمهرة أنساب العرب ١٠٦، وتهذيب التهذيب ٦/ ٣٤٩.

(٣) حمل الشيء علىٰ الشيء: ألحقه به في حكمه.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٥/ ٢٧٨.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٧٥.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٢/ ١٢٨، ويقال: طوىٰ السرَّ: كتمه.

[٢٥٥] قال عمر بن عبد العزيز لولده:

(العبوا؛ فإن المروءةَ لا تكونُ إلَّا بعد اللعبِ)[١].

[٢٥٦] قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك[٢]:

(يا بني، التمسِ الرفعةَ بالتواضعِ، والشرفَ بالتقوىٰ[٣]، وإياك والخيلاءَ[٤] ولا تحقرنَّ أحدًا، فإنك لا تدري لعل بعضَ من تزدريه أكرمُ علىٰ الله منك[٥]، ولا تنسَ نصيبَك من الله[٦]، ونصيبَ[٧] الناسِ منك)[٨].

[٢٥٧] كتب عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك:

(إنه ليس من أحدٍ رشدُهُ[٩] وصلاحُهُ أحبُّ إليَّ من رشدِك وصلاحِك، إلاَّ أن يكونَ والي عصابةٍ[١٠] من المسلمين، أو من أهلِ العهدِ يكون لهم في صلاحِه ما لا

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٥/ ٥٧. وقد نسبت في مصادر أخرىٰ إلىٰ عروة بن الزبير. انظر وصاياه.

(٢) في نثر الدر وشرح النهج: لابنه عبد الله. وعبد الله أكبر أولاد عمر، أمُّه لميس بنت علي من بني الحارث بن كعب، كان شجاعًا جوادًا، ولي العراقين ليزيد بن الوليد.
انظر: جمل من أنساب الأشراف ٨/ ٢١٩، وجمهرة أنساب العرب ١٠٦.

(٣) في نثر الدر وشرح النهج: بالدين. وزاد بعده: والعفو من الله بالعفو عن الناس.

(٤) زاد بعدها في شرح النهج: فتضع من نفسك.

(٥) في جمل من أنساب الأشراف: تزدريه عينك. وفي شرح النهج: عيناك. وتزدريه: تحتقره.
وفيه وفي نثر الدر وشرح النهج: أقرب إلىٰ الله وسيلة منك. والوسيلة: المنزلة.

(٦) في نثر الدر: من الدنيا.

(٧) في نثر الدر: ولا تنسَ نصيب.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٨١، ونثر الدر ٢/ ١٢٥، وشرح نهج البلاغة ٧/ ١١١، وورد قوله منها: (لا تحقرن... وسيلة منك) في جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٧١.

(٩) رشده: صلاحه وهدايته.

(١٠) والي عصابة: قائم علىٰ جماعة من المسلمين.

يكونُ لهم في غيرِه، أو يكونُ عليهم من فسادِه ما لا يكونُ لهم من غيرِه)[١].

[٢٥٨] قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك[٢]:

(يا بني، إن نفسي مطيَّتي وإن لم أرفقْ بها لم تُبْلِغْني، يا بني لو شاء الله -عزوجل- أن ينزِّل القرآنَ جملةً واحدةً لفعلَ، نزَّل الآيةَ بعد الآيةِ، حتىٰ إبطاء ذلك في قلوبهم، يا بني، إني لم أجدِ الحقحقةَ[٣] تَرُدُّ إلىٰ خير)[٤].

[٢٥٩] عن سفيان بن عمرو بن عتبة[٥] قال:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٩٧.

(٢) **مناسبة الوصية**: (قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه -وقد دخل في القائلة- يا أبت علىٰ ما تقيل وقد تداركت عليك المظالم؟ لعل الموت يدركك في منامك وأنت لم تقضِ دأب نفسك مما ورد عليك، فشدد عليه، فلما كان في اليوم الثاني فعل به مثل ذلك فقال عمر: ...).

(٣) **الحقحقة**: أن يسار بالبعير ويحمل علىٰ ما يتعبه وما لا يطيقه، حتىٰ ينقطع بصاحبه.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الزهد لأحمد ٤١٣. وقد ورد فيه ٤٢٠ (أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال له: يا أبة: ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل فوالله ما كنت أبالي ولو غَلَتْ بي وبك القدور في ذلك؟ قال: يا بني إنَّما أنا أروض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحيي الأمر من العدل فأؤخره حتىٰ أخرج معه طمعًا من طمع الدنيا، فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه). وورد في جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٤٤ عن المدائني أن عبد الملك قال لعمر أبيه: يا أبه، لعله يمنعك أن تقوم بالحق مخافة هؤلاء -يعني بني مروان- فوالله لوددت أن القدور تغلىٰ بنا وبهم. فقال: يا بني صبرًا فإن الخمر كانت محرمة عند الله، فأنزل فيها آيتين قبل أن ينزل تحريمها)!

(٥) **صاحب الوصية**: عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الأموي القرشي، كان أحد رجالات قريش، سكن البصرة، وقتل مع ابن الأشعث، له عقب كثير، وعقبه في البصرة، منهم العتبي الشاعر والإخباري، وكان لعمرو بن عتبة من الولد معاوية وعتبة وسفيان.
انظر: المعارف ٣٤٥، وجمهرة أنساب العرب ١١٢، ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٦٩. وهزيمة ابن الأشعث أمام الحجاج كانت أول سنة ٨٣هـ. انظر: الطبري ٦/ ٣٥٧، وابنه سفيان لم أقف له علىٰ ذكر سوىٰ ما جاء في نسب قريش ١٣٣: (وأمُّهُ: أم عبد الله بن زياد بن أبي سفيان لأمّ ولد)! وهو -كما يبدو- كلام غير واضح المعنىٰ!

(قال لي أبي[1]: أي بني، قد انقطعتْ عنك شرائعُ الصِّبا، فاختلطْ بالخير[2] تكُن من أهلِه، ولا تزايلْه فتبينَ منه كلِّه[3]، ولا يغرنَّك من اغترَّ بالله فيك فمدحَك بما تعلم خلافَه من نفسك، واعلم أنه -يا بني- لا يقولُ أحدٌ في أحدٍ من الخيرِ ما لا يعلم إذا رضي إلَّا قال فيه مثلَه من الشرِّ مما ليس[4] فيه إذا سَخِطَ[5]؛ فاستأنس بالوحدة من جلساء[6] السوء تسلمْ من عواقبِهم، ولا تنقلْ حسنَ ظني بك إلىٰ غيره[7])[8].

[٢٦٠] قال عمرو بن عتبة لولده:

---

(١) **مناسبة الوصية**: جاء في كتاب العيال: (قال سفيان بن عمرو بن عتبة: أسلمني أبي إلىٰ المكتِّب [من يعلم الكتابة]. فلما بلغت خمس عشرة سنة دعاني فقال: ...). وفي مختصر تاريخ دمشق: (عن سفيان... قال لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي) وجاء بعد الوصية في المصدر الأول: (قال سفيان: فكان كلام أبي قِبْلَةً بين عيني أنتقل فيه ولا أنتقل عنه، وإنَّما يسعد بالعلماء من أطاعهم) وفي المصدر الثاني: (قال سفيان: فما زال كلام أبي لي قِبْلَةً أنتقل معها ولا أنتقل عنها؛ وما شيء أحمد مغبَّة (عاقبة) من قبولٍ من ناصح معروفٍ نصحُه).

(٢) في كتاب العيال: فالزم الخير.

(٣) في المصدر السابق: ولا تتركه كله وتدعنَّ منه.

(٤) في مختصر تاريخ دمشق: ما ليس. وهو تحريف.

(٥) في المصدر السابق: فيمدحك بما ليس فيك، فإنه كما يقول فيك من الخير إذا رضي، كذلك يقول فيك من الشر إذا غضب.

(٦) في المصدر السابق: قرناء.

(٧) في المصدر السابق: إلىٰ غيرك.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الجليس الصالح الكافي ٢/ ٢٤٤ بسند متصل إلىٰ عمرو بن عتبة، ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٧١. كما وردت (باختصار يسير) في كتاب العيال لابن أبي الدنيا ١/ ٥٣٥. وقد نسبت في بعض المصادر إلىٰ أبي سفيان بن عيينة، كما نسبت إلىٰ عتبة بن أبي سفيان، أبي عمرو الموصي هنا. (راجعها في مواضعها).

(إن[1] لقريشٍ دَرَجًا تزلقُ[2] عنها أقدامُ الرجال، وأفعالًا تخشعُ لها رقاب الأموال[3]، وألسنًا تَكِلُّ معها[4] الشِّفارُ المشحوذةُ، وغاياتٍ تقصر عنها الجيادُ المنسوبة[5]؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعةِ أحلامِهم، ولو احتفلتْ ما تزيَّنت إلَّا بهم. ثم إن ناسًا[6] منهم تخلَّقوا بأخلاقِ العوام، فصار لهم رِفْقٌ باللؤمِ وخُرق[7] في الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطيرَ أرزاقها؛ إن خافوا مكروهًا تعجَّلوا له الفقرَ[8]، وإن عُجِّلتْ لهم نعمةٌ[9] أخَّروا عليها الشكرَ، أولئك أنضاءُ فكرِ الفقرِ[10] وعجزةُ حملةِ الشكر)[11].

---

(١) **مناسبة الوصية:** «قال العتبي: وقع ميراث بين ناس من آل أبي سفيان وبني مروان، فتشاحوا (تنافسوا فيه، وظهر حرصهم في الغلبة به. وفي بعض المصادر: وتشاجروا وتضايقوا)، فلما انصرفوا أقبل عمرو بن عتبة على ولده فقال لهم: ...» عيون الأخبار.

(٢) في الأمالي ونثر الدر: تزلُّ. والدرج جمع درجة، وهي الرتبة. يقال: له عليه درجة: منزلة ورتبة في الشرف. وتزل وتزلق بمعنىٰ.

(٣) في العقد: تخضع... الأقوال. وفي نثر الدر: الرجال وتخشع. وفي محاضرات الأدباء: تخضع... الأموال.

(٤) في العقد: ألسنة. وفيه وفي المصادر الأخرىٰ: عنها. والشفار جمع شفرة، وهي آلة ذبح النَّعَمِ ونحوها. والمشحوذة: المسنونة، المرهفة الحد.

(٥) في الأمالي ومحاضرات الأدباء: المسوَّمة. وهي الموسومة بعلامات. والمنسوبة: الأصيلة.

(٦) في العقد: ثم إن قومًا. وفي الأمالي: ثم ليخيَّل إليَّ أن منهم ناسًا. وتخلَّقوا: اتخذوها أخلاقًا.

(٧) في الأمالي: وتخرُّق. رفق بالأمر: لطف. واللؤم: أن يجتمع في الإنسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء. والخرق: الحمق وعدم الرفق. والحرص: الجشع والطمع وقوة الرغبة في الشيء.

(٨) في نثر الدر: الغم. وهو الحزن، أي عندما يخافون شدةً يتكالب عليهم الهمُّ والحزن وإن لم يتحققوها. أو اشتد إمساكهم ما في أيديهم حتىٰ لكأنهم فقراء.

(٩) في العقد: النعم.

(١٠) في العقد: أنضاء فكرة. وفي الأمالي: أنضاء الفكر. وفي نثر الدر: أنضاء فكر العجز. أنضىٰ الدابة: هزلها وأتعبها. والفكر: التفكير. أي هم المهزولون بسبب التفكير خوفًا من الفقر. وعجزة جمع عاجز.

(١١) **التوثيق:** وردت الوصية في عيون الأخبار ٣/ ١٨٢، كما وردت في العقد ٣/ ٣٢١-٣٢٢، والأمالي ٢/ ٢٣٤، ونثر الدر ٣/ ١٧٣، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣٠٣ (باختصار).

[٢٦١] أوصى عمير بن حبيب[١] بنيه فقال:

(يا بني، إياكم[٢] ومجالسةَ السفهاءِ فإنَّ مجالستَهم داءٌ[٣]، إنَّه مَنْ يَحْلُمْ[٤] عن السفيهِ يُسَرَّ[٥] بحلمِه، [ومن يجبْه يندمْ]، ومن لا يقر بقليل ما يأتي به السفيه يقر[٦] بالكثير[٧]، ومن يصبرْ علىٰ ما يكره يدركْ ما يحبُّ، وإذا أراد أحدكم أن يأمرَ الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر فليوطِّنْ نفسه علىٰ الصبرِ[٨] علىٰ الأذىٰ، وليوقنْ[٩] بالثوابِ من الله، فإنه من يثقْ[١٠] بالثواب من الله لا يجدْ مسَّ الأذىٰ)[١١].

---

(١) **صاحب الوصية**: عمير بن حبيب بن خماشة (أو حباشة) الأنصاري الخطمي، أحد الصحابة الأطهار ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان.

انظر: الاستيعاب ٣/ ١٢١٣، وأسد الغابة ٣/ ٧٨٦، والإصابة ٤/ ٧١٤.

(٢) في المعجم الكبير: إياي.

(٣) في الحلم: دناءة. يقال: دنؤ دناءة: صار دنيًّا (خسيسًا) لا خير فيه، وسفل في فعله، ومجن.

(٤) في المعجم الكبير: تحلَّم. وتحلَّم: تكلَّف الحلم.

(٥) في الأصل: ليس ينظر بحلمه! وما بين المعقوفين بعدها من سائر المصادر.

(٦) في الأصل وأسد الغابة: ومن لا يفر.. يفر..! وفي مجمع الزوائد: ومن لا يرضىٰ... يرضىٰ. ويقرُّ: يسكن ويرضىٰ.

(٧) في الأصل: الكبير.

(٨) في الأمالي: فليوطن قبل ذلك علىٰ الأذىٰ. وفي المعجم الكبير: بالصبر.

(٩) في الحلم والمعجم الكبير: وليثق.

(١٠) في الأمالي وأسد الغابة: من يوقن.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد لأحمد بن حنبل ٢٧٤ (ولم تسلم طبعته من تحريفات كثيرة). كما وردت الوصية في الحلم لابن أبي الدنيا ٢٨، والأمالي ٢/ ٥٧، والمعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٥٠-٥١، ومجمع الزوائد ٨/ ٦٤. وورد منها قوله: (إذا أراد أحدكم... الأذىٰ) في إحياء علوم الدين ٢/ ٣٣٤ وفيه: أوصىٰ بعض السلف بنيه.

[٢٦٢] قال عنبسة بن أبي سفيان[١] لابنه عثمان[٢]:

(... إنه[٣] من كتمَ حديثَه كان الخيارُ إليه، ومن أظهرَه كان الخيارُ عليه[٤]، فلا تجعلْ نفسك مملوكًا بعد أن كنتَ مالكًا[٥][٦]).

---

(١) **صاحب الوصية**: عنبسة بن أبي سفيان بن حرب القرشي الأموي، أخو معاوية ﷺ. ولي مكة لأخيه معاوية، وحج بالناس سنتي ٤٦، ٤٧. رُوي عنه الحديث. مات قبل أخيه معاوية.
انظر: الإصابة ٥/ ٦٩، ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٣٤١، وتهذيب التهذيب ٨/ ١٥٩.
وابنه عثمان بن عنبسة، لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعته بنو أمية ليبايعوه بالخلافة فأبىٰ، ولحق بخاله عبد الله بن الزبير، وتوفي عنده. أمه زينب بنت الزبير بن العوام.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١١١، ومختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٢٧٩.
وفي نثر الدر جعل اسم ابنه الذي أوصاه عمرًا. وقد ذكر له ابن حزم من الأبناء عثمان وأبان. وكنته بعض الكتب التي ترجمت له أبا عثمان وأبا الوليد وأبا عامر. ولم أقف علىٰ مصدرٍ ذكر له ابنًا اسمه عمرو!

(٢) **مناسبة الوصية**: : (ذكر العتبي أنَّ معاوية بن أبي سفيان أسرَّ إلىٰ عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان حديثًا (في الفاضل: سرًّا). قال عثمان: فجئت إلىٰ أبي فقلت: إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثًا (في الفاضل: سرًّا)، أفأحدِّثك به؟ قال كلا إنه...) وجاء بعد الوصية: (فقلت: أو يدخل (في سراج الملوك: يا أبت، أفيدخل) هذا بين الرجل وأبيه؟ قال: لا (في الفاضل وسراج الملوك: لا يا بني ولكن)، ولكني أكره أن تذلِّلَ لسانك (تذلل لسانُه: أصبح إفشاء السر عليه سهلًا). بإفشاء السر. قال: فرجعت إلىٰ معاوية فذكرت ذلك له، فقال: أعتقك أخي من رِقِّ الخطأ).

(٣) **في الفاضل**: قال: لا. قال: ولم؟ قال: لأن الرجل إذا كتم سره كان الأمر إليه. وفي سراج الملوك: من كتم حديثًا كان الخيار له.

(٤) **في الفاضل**: وإذا أذاعه فالأمر عليه. وأذاعه: أفشاه ونشره.

(٥) **في الفاضل**: ولا تجعلن نفسك... حرًّا.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الكامل للمبرد ٢/ ٨٧٩، كما وردت في الفاضل المنسوب له ١٠١، ونثر الدر ٣/ ١٦٦، وفيه (أسرَّ معاوية إلىٰ عمرو بن عنبسة) وسراج الملوك ٢/ ٥١٦. وقد نسبتها بعض المصادر إلىٰ عتبة بن أبي سفيان وابنه الوليد.

[٢٦٣] عن عون بن عبد الله[١]، انه قال لابنه:

(يا بني، كنْ ممن نأيُه عمن نَأَىٰ عنه يقينٌ ونزاهةٌ[٢]، ودُنُوه ممن دنا منه لينٌ[٣] ورحمةٌ، ليس نأيُه بكبرٍ ولا بعظمةٍ[٤]، ولا دنوُّه خداع ولا خِلابة[٥]، يقتدي بمن قبلَه فهو إمامٌ لمن[٦] بعده، ولا يعزُبُ علمُه[٧]، ولا يحضر جهلُه، ولا يعجل فيما رابه[٨]، ويعفو فيما يتبيَّن له[٩]، يغمضُ[١٠] في الذي له، ويزيدُ في الحق الذي عليه.

والخيرُ منه مأمولٌ، والشرُّ منه مأمونٌ، إن كان مع الغافلين كُتب من الذاكرين، وإن كان مع الذاكرين لم يكتبْ من الغافلين[١١]. لا يغرُّه ثناءُ من جهلَه، ولا ينسىٰ

(١) صاحب الوصية: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أحد العلماء الزهاد. قال الأصمعي: كان من آدب أهل المدينة وأفقههم. وقال ابن قتيبة: له كلام كثير بليغ حسن. كان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة بضع ومئة.
انظر: المعارف ٢٥٠، وجمل من أنساب الأشراف ١١/ ٢٢٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٣.
مناسبة الوصية: في غريب الحديث لابن قتيبة: (قال في وصيته لابنه وذكر رجلًا بذمٍّ) وفي الفائق والنهاية في غريب الحديث: (وذَكَرَ رجلًا يُذَمُّ).

(٢) في عيون الأخبار: ممن نأىٰ به عمن نأىٰ عنه يقين ونزاهة. وفي جمل من أنساب الأشراف: كن ممن نُئي به عمن نئي عنه بغنىٰ ونزاهة. ونأىٰ: بعد. والنأي: البعد.

(٣) في من جمل أنساب الأشراف: بلين.

(٤) في عيون الأخبار: ليس نأيه تكبُّرًا ولا عظمة. وفي جمل من أنساب الأشراف: بكبر وعظمة.

(٥) في المصدرين السابقين: بخدع و[لا] خلابة. والخلابة: الخديعة والمكر.

(٦) في المصدرين السابقين: وهو إمام مَنْ بعده. الإمام: القدوة.

(٧) في جمل من أنساب الأشراف: يعزب حلمه. يعزب: يبعد ويغيب.

(٨) الجهل: ضد الحلم، وهو الحمق. رابَه: شك فيه.

(٩) في تاريخ دمشق: ويعفو إذا تبيَّن له.

(١٠) في عيون الأخبار: ينقص. ويغمض: يغض الطرف.

(١١) في تاريخ دمشق: كان في الغافلين... كان في الذاكرين. وزاد بعد الجملة: لأنه يذكر حين لا يذكرون، ولا يغفل حين يذكرون.

إحصاء ما قد علمه، إن زُكِّي[١] خاف ما يقولون، واستغفر لما لا يعلمون، يقول أنا أعلم بي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي، فهو يستبطئُ نفسَه في العمل، ويأتي ما يأتي من الأعمال الصالحةِ علىٰ وَجَلٍ[٢]، يظل يَذكرُ، ويمسي وهمُّه[٣] أن يُشْكرَ، يبيت حذرًا، ويصبح فرحًا، حذرًا لما حُذِّر من الغفلة، وفرحًا لما أصاب من الغنيمة والرحمة[٤]، إن عصتْه نفسُه فيما يكرهُ[٥] لم يطعْها فيما أحبَّت، فرغبتُه فيما يَخلُدُ، وزهادتُه فيما ينفَدُ، يمزج العلم بالحلم، ويصمت ليسلمَ، وينطق[٦] ليفهمَ، ويخلو ليغنمَ، ويخالق[٧] ليعلمَ، لا ينصت لخيرٍ[٨] -حين ينصتُ- وهو يسهُو، ولا يستمع له وهو يلغُو[٩]، لا يحدِّث أمانتَه الأصدقاءَ[١٠]، ولا يكتم شهادتَه الأعداءَ[١١]، ولا يعمل من الخير شيئًا رياءً[١٢]، ولا يترك[١٣] منه شيئًا حياءً، مجالسُ الذكرِ مع الفقراء أحبُّ إليه من مجالس اللهوِ[١٤] مع الأغنياء.

---

(١) في عيون الأخبار: إن رُجِيَ. ولعل الصواب: رُجِّيَ. أي ذكر له من طيب سيرته ما يُرجىٰ له معه الخير.

(٢) في المصدر السابق، وتاريخ دمشق: ويأتي ما أتىٰ. وفي الأول: من الصالحات. وَجَل: خوف.

(٣) في تاريخ دمشق: يبيت وهو يذكر، ويمسي وهمَّته.

(٤) في جمل من أنساب الأشراف، وتاريخ دمشق: أصاب من الفضل. الفضل: الزيادة.

(٥) في عيون الأخبار وتاريخ دمشق: فيما كرهت. ولعله أولىٰ.

(٦) في جمل من أنساب الأشراف: وينظر.

(٧) في عيون الأخبار وتاريخ دمشق: ويخالط. ولعله أولىٰ.

(٨) في تاريخ دمشق: للخير.

(٩) يلغو: يتكلم باللغو؛ واللغو: ما لا يعتدُّ به من الكلام، ولا يحصل منه علىٰ فائدة ولا نفع.

(١٠) في عيون الأخبار: ولا يحيف للأصدقاء. يحيف: يظلم ويجور.

(١١) في المصدر السابق: ولا يجنف علىٰ الأعداء. يجنف: يميل ويجور.

(١٢) في المصدر السابق: ولا يعمل الخير رياء.

(١٣) في تاريخ دمشق: ولا يدع.

(١٤) في المصدر السابق: اللغو.

ولا تكن يا بني ممن يعجبُ باليقين من نفسه فيما ذهبَ، وينسىٰ اليقين فيما رجا وطلبَ، يقول فيما ذهب: لو قُدِّرَ شيءٌ لكان، ويقول فيما بقىٰ: ابتغ[1] أيها الإنسان، شاخصًا[2] غير مطمئنٍ، ولا يثق من الرزق بما قد ضُمِنَ. تغلبُه[3] نفسه علىٰ ما يظنُّ[4]، ولا يغلبها علىٰ ما يستيقنُ، فهو من نفسه في شكٍّ، ومن ظنِّه إن لم يُرْحَمْ في هَلَكٍ[5]، إن سَقِمَ[6] ندمَ، وإن صحَّ أمنَ، وإن افتقر حزنَ، وإن استغنىٰ افتتنَ، وإن رغبَ كسلَ، وإن نشطَ زهدَ.

يرغبُ قبل أن ينصَبَ[7]، ولا ينصبُ فيما يرغبُ، يقول لِمَ أعملُ فأتعنَّىٰ[8]، بل أجلسُ فأتمنىٰ، يتمنىٰ المغفرةَ ويعمل بالمعصية، كان أولُ عمره غفلةً وغرَّةً، ثم أُبقي وأُقيلَ العثرةَ[9]، فإذا هو في آخره كسلٌ وفترة، طال عليه الأملُ فافتتن[10]، وطال عليه الأمدُ فاغترَّ[11]، وأُعذرَ إليه فيما عُمِّرَ، وليس فيما أُعمر بِمُعْذَرٍ[12]، عُمِّر

---

(١) في تاريخ دمشق: شيء كان... اتبع.

(٢) شاخصًا: فاتحًا عينيه لا يطرف بهما، متأملاً أو منزعجًا.

(٣) في الأصل: لا تغلبه، والتصحيح من عيون الأخبار، وجمهرة الأمثال، وتاريخ دمشق. وفي الأخير: بما قد يضمن له، تغلبه. واستبدل المحقق -من الحلية- بـ(له): لا!

(٤) في جمل من أنساب الأشراف: ما نظر. ولعله تصحيف.

(٥) هلك: هلاك.

(٦) سقم: مرض.

(٧) يرغب: يحرص علىٰ الشيء ويطمع فيه. ينصب: يتعب. ولعل المعنىٰ: يرغب عن العبادة وينصرف وإن لم يُحِسُّ بالتعب، ولا يتعب نفسه في الأشياء التي يُرغب فيها من الخير.

(٨) أتعنَّىٰ: أتعب وأتحمل المشقة.

(٩) في تاريخ دمشق: كان في أول عمره في... فإذا هو في. غرَّة: اغترار وانخداع. العثرة: السقطة والزلة.

(١٠) في عيون الأخبار: ففتر. والفترة: الضعف.

(١١) في تاريخ دمشق: الأبد. والأبد: الدهر. اغترَّ: غفل وانخدع.

(١٢) في تاريخ دمشق: واعتذر... فيما عمِّر. أعذر إليه: لم يترك له فرصة لإبداء عذر. عمِّر: مُدَّ في عمره. بمعذر: بثابت له عذر.

ما يتذكَّرُ فيه من تَذَكَّرَ، فهو من الذنبِ والنعمةِ مُوقَرٌ[1]، إن أعطىٰ مَنَّ لِيُشكَرَ[2]، أو إن مُنِعَ قال: لم يُقْدَرْ[3]، أساء العبدُ واستأثرَ[4].

يرجو النجاةَ ولم يحذرْ، ويبتغي الزيادة ولم يشكرْ حقَّ أن يشكرَ، وهو أحقُّ ألَّا يعذرَ، يَتكَلَّفُ[5] ما لم يؤمرْ، ويضيع ما هو أكثرُ، إنْ يسألْ أكثرَ، وإن أنفق قَتَّرَ[6]، يسأل الكثيرَ، وينفق اليسيرَ، قُدِّر له خيرٌ من قَدْره لنفسه، فوُسِّع له رزقُه، وخُفِّف حسابُه؛ فأُعطي ما يكفيه، ومُنع ما يلهيه، فليس يرىٰ شيئًا يغنيه، دون غنًىٰ يطغيه[7]، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، يستبطئُ نفسَه في شكرِ ما أُوتي، وينسىٰ ما عليه من الشكر فيما وُفِّي، يُنْهَىٰ فلا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي[8]، يهلكُ في بُغضِه، ويقصِّر في حبِّه، غرَّه من نفسه حبُّه ما ليس عنده، وبغضُه علىٰ ما عنده مثلُه، يحبُّ الصالحين فلا يعمل[9] أعمالهم، ويبغضُ المسيئين وهو أحدُهم، يرجو الآخرةَ[10] في البغض علىٰ ظنِّه، ولا يخشىٰ المقتَ[11] في اليقين من نفسه، لا يقدِرُ في الدنيا علىٰ ما يهوىٰ، ولا يَقبَلُ من الآخرة ما يبقىٰ، يبادر من الدنيا ما يفنىٰ، ويترك من الآخرة ما يبقىٰ. إن عُوفي حسب أنه قد تاب، وإن ابتُلي عاد.

---

(١) موقر: عليه حمل ثقيل.

(٢) في عيون الأخبار وجمل من أنساب الأشراف وتاريخ دمشق: إن أُعطي لم يشكر.

(٣) في عيون الأخبار: لم يعذر.

(٤) في تاريخ دمشق: واستكبر. استأثر بالشيء: خصَّ به نفسه.

(٥) في تاريخ دمشق: واستكبر، الله أحق أن يشكر، وهو أحق ألاَّ يعذر، يتكلف. يتكلف: يأتيه ويعمله علىٰ مشقة.

(٦) قتَّر: بخل وضيَّق.

(٧) في تاريخ دمشق: أعطي ما يكفي، ومنع ما يلهي، فليس يرىٰ شيئًا يغني إلا غَناء يطغي.

(٨) في تاريخ دمشق: ولا يأتي. يأتي: يفعل.

(٩) في عيون الأخبار وتاريخ دمشق: ولا. وهو أولىٰ. وفي تاريخ دمشق: عملهم.

(١٠) في المصدرين السابقين: الأجر. ولعله أولىٰ. والمعنىٰ: أنه يأمل الأجر في بغض من يتهمهم بممارسة المعاصي، ويأمن عقوبة الله وبغضه مع تلبسه بالذنوب والمعاصي.

(١١) في عيون الأخبار: ولا يخشىٰ اليقين. المقت: شدة البغض.

يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، يكره الموت لإساءته، ولا ينتهي عن الإساءة في حياته، يكره الموت لما لا يدع، ويحب الحياة لما لا يصنع، إن مُنع من الدنيا لم يقنع، وإن أُعطي منها لم يشبع، وإن عَرضتِ الشهوةُ قال: يكفيك العمل فواقع[1]، وإن عَرضَ له العملُ كسل وقال: يكفيك الورع.

لا تُذهب مخافتُه الكسلَ، ولا تبعثه رغبتُه علىٰ العمل. يرجو الأجرَ بغير عمل، ويؤخر التوبةَ لطول الأمل، ثم لا يسعىٰ فيما له خُلق، ورغبته فيما تُكفِّل له من الرزق، وزهادته فيما أُمر به من العمل، ويتفرغ لما فرِّغ له من الرزق، يخشىٰ الخلق في ربه، ولا يخشىٰ الربَّ في خلقه، يعوذ بالله ممن هو فوقه، ولا يعيذ بالله مَنْ هو تحته[2]، يخشىٰ الموت، ولا يرجو الفوت[3]، يأمن ما يخشىٰ وقد أيقن به، ولا ييئَس مما يرجو وقد تيقن منه[4]، يرجو نفعَ علمٍ لا يعمل به، ويأمنُ ضرَّ جهلٍ قد أيقنَ به، يسخر بمن تحته من الخلق[5]، وينسىٰ ما عليه فيه من الحق.

ينظر إلىٰ من هو فوقه في الرزق، وينسىٰ من تحته من الخلق، يخاف علىٰ غيره بأدنىٰ من ذنبه، ويرجو لنفسه بأيسرَ من عمله، يبصر العورةَ[6] من غيره ويغفلها من نفسه، إن ذُكرَ اليقين قال: ما هكذا من كان قبلكم، فإن قيل: أفلا تعملُ أنت عملَهم؟ يقول: من يستطيعُ أن يكونَ مثلَهم.

---

(١) في تاريخ دمشق: إن عرضت له شهوة.

(٢) في عيون الأخبار وجمل من أنساب الأشراف: ولا يريد أن يعيذ الله منه من هو تحته. ومثله في تاريخ دمشق وفيه: ممن تحته.

(٣) هكذا وردت. ومن معاني الفوت: السبق. يقال: فات فلان فلانًا بكذا وبكذا. سبقه. فلعل المعنىٰ: ولا يرجو (يؤمل) أن يسبق الموتَ بعمل صالح.

(٤) في تاريخ دمشق: وقد أُيِّس منه.

(٥) في تاريخ دمشق: من الحق من أن يكون مثلهم، كأن النقص لم يصبه معهم، يخاف.

(٦) في جمل من أنساب الأشراف: الغررة! ولعله تصحيف.

فهو للقول مُدَلٌّ[١]، ويستصعب عليه العملُ، يرىٰ الأمانةَ ما عُوفي وأُرضي، والخيانةَ أن أُسخط وابتلي، يلين[٢] ليُحْسَبَ عنده أمانةً، فهو يرصدها للخيانة[٣]، يتعلَّمُ للصداقة ما يرصُدُ به للعداوة، يستعجل بالسيئة وهو في الحسنة بطيءٌ، يخفُّ عليه الشعرُ، ويثقلُ[٤] عليه الذكرُ، اللغوُ مع الأغنياء أحبُّ إليه من الذكر مع الفقراء، يتعجل[٥] النومَ ويؤخر الصومَ، فلا يبيت قائمًا ولا يصبحُ صائمًا[٦]، ويصبحُ وهمُّه التصبُّحُ من النومِ ولم يسهرْ، ويمسي[٧] وهمُّه العشاءُ وهو مفطر.

إن صلَّىٰ اعترض[٨]، وإن ركع ربض، وإن سجد نَقَرَ[٩]، وإن سأل ألحف، وإن سُئل سوَّف[١٠]، وإن حَدَّثَ حلف، وإن حلف حنثَ، وإن وعد أخلف، وإن وُعِظَ كَلَحَ[١١]، وإن مُدِح فرح، طلبُه شر، وتركُه وِزْرٌ، ليس له في نفسه عن عيب الناس شغلٌ، وليس لها في الإحسان فضلٌ، يميل لها ويحبُّ لها منهم العدل[١٢]،

---

(١) مدل: مُرشَد ومُسَدَّد.

(٢) يلين: يسهل وينقاد.

(٣) في جمل من أنساب الأشراف: يتصنَّع لتحسب عنده أمانة، وهو مرصد للخيانة. ومرصد: معدٌّ. يرصد: يعد.

(٤) في المصدر السابق: ويقل. وهو تصحيف. وفي تاريخ دمشق: خفف عليه الشعر، وثقل... فاللغو.

(٥) في المصدر السابق: يعجل.

(٦) في المصدر السابق: يبيت نائمًا ولا يصبح صائمًا.

(٧) في الأصل: ويمشي! تصحيف، والتصحيح من المصدر السابق.

(٨) اعترض: صار عارضًا، كما تكون الخشبة في النهر أو الطريق. ويمكن أن يكون بمعنىٰ تكلَّف. ويقال: اعترض فلان علىٰ الشيء، أي تكلَّفه.

(٩) زاد المصدر السابق وتاريخ دمشق: وإن جلس شغر. نقر: أسرع وتخفف. شغر: جلس جلسة الكلب حين يبول. وفي عيون الأخبار: شعر. ولعله تصحيف.

(١٠) ألحف: ألحَّ. سوَّف: أجَّل ومطل.

(١١) حنث: لم يبرَّ يمينه وأثم. كلح: عبس وقطب بين حاجبيه.

(١٢) زاد في تاريخ دمشق: يرىٰ له في العدل سعة، ويرىٰ عليه فيه منغصة.

أهل الخيانةِ له بطانةٌ، وأهلُ الأمانةِ له عداوةٌ[١]، إن سَلَّم لم يُسمِعْ، وإن سَمِع[٢] لم يُرْجِع، ينظر نظرَ الحسود، ويُعرِضُ إعراضَ الحقود، يسخر بالمُقْتِرِ، ويأكل بالمدبِّرِ[٣]، ويُرضي الشاهدَ بما ليس في نفسه، ويُسخطُ الغائبَ بما لا يعلمُ فيه[٤].

جريءٌ علىٰ الخيانة، بريءٌ من الأمانة، من أحبَّ كذبَ، ومن أبغض خَلَبَ، يضحك من غير العجب، ويمشي في غير الأدب[٥]، لا ينجو منه من جَانَبَ، ولا يسلمُ منه من صَاحَبَ[٦]، إن حدَّثته ملَّك، وإن حدَّثَك غمَّك، وإن سُؤته سرَّك، وإن سررته ضَرَّك، وإن فارقته[٧] أكلَك، وإن باطنته فجَعَكَ، وإن تابعته[٨] بَهَتَكَ، وإن وافقته حسَدك، وإن خالفتَه مقتَك.

يَحْسُد أن يُفْضَل، ويزهد أن يُفْضِلَ[٩]، يحسد[١٠] مَنْ فَضَلَهُ، ويزهدُ أن يعملَ

(١) في جمل من أنساب الأشراف: وأهلِ الأمانة عليه علاوة. وزاد هو وتاريخ دمشق: يعجب أن يفشو سرَّه، ولا يشعر من أين جاء ضرُّه، وزاد جمل من أنساب الأشراف: يُسرُّ من الناس ما لا يخفىٰ علىٰ الله، فيستحييهم ولا يستحيي ربَّه، العلاوة: الحِمْل.

(٢) في تاريخ دمشق: وإن أسمع.

(٣) كذا في الأصل. وفي تاريخ دمشق: ويأكل المدبر.

(٤) زاد تاريخ دمشق: من اشتهىٰ زكّىٰ، ومن كره...

(٥) في المصدرين السابقين: عجب... أرب. ولعل الأدب مصحفة عن الأرب، الأرب: الحاجة. وقد وردت الجملة -برواية: الأرب- وصيةً من لقمان لابنه في العقد الفريد ٣/ ١٤٧. وفي كتاب العزلة للخطابي ٥٣: (قال أعرابي: لا تكن ضحاكًا من غير عجب، ولا مشّاء إلىٰ غير أرب).

(٦) في جمل من أنساب الأشراف: جانبه... صاحبه. وفي تاريخ دمشق: لا يرجو منه.

(٧) في المصدرين السابقين: فارقك.

(٨) في جمل من أنساب الأشراف: حاورته. وفي تاريخ دمشق: باعدته. بهتك: قذفك بالباطل.

(٩) يفضل: يغلب بالفضل. ويفضل: يترك الفضل (الفضل: الإحسان ابتداء بلا علَّة).

(١٠) زاد في عيون الأخبار وغريب الحديث والفائق وتاريخ دمشق: إن أفيض في الخير بَرِمَ (كزم)، وضعف واستسلم، وقال: الصمت حُكْم، وهذا ما (مما) ليس لي به علم، وإن أفيض في الشرِّ قال: يحسب بي (بك) عِيٌّ، فتكلم؛ يجمع (فجمع) بين الأراوي (الأروىٰ) والنعام،=

عمَلَهُ، يعجز عن مكافأة من أحسنَ إليه، ويُفرِطُ فيمن بغىٰ عليه، لا يُنصِتُ فيسلم، ويتكلَّمُ بما لا يعلم[1]، يغلب لسانُه قلبَه، ولا يضبط[2] قلبُه قولَه، يتعلَّم للمراء، ويتفقَّه للرياء[3]، ويُظهر[4] الكبرياء، فيظهر منه ما أَخفىٰ، ولا يخفىٰ منه ما أبدىٰ،

=وبين الخال والعم، ولاءم ما لا يتلاءم). ووردت الجملتان الأوليان في النهاية في غريب الحديث. أفيض: تُوُسِّع في الحديث. بَرِمَ: سئم وضجر. حكم: حكمة. العيُّ: العجز عن الكلام بما يفهم المراد. الأراوي: جمع أروية؛ الذكر والأنثىٰ من الوعول. يتلاءم: يتفق ويتناسب.

قال الزمخشري في شرح قول عون: (إن أُفيض... ما لا يتلاءم): (الكزم، والأزم: أخوان، أمسك عن الكلام وسكت فلم يُفض في الخير وانخَزَل، وأخذ يحسِّن عادة الصمت، ويضرب له الأمثال، ويتجاهلُ ويتعامىٰ عن وجه الخوض فيه. وأما في الشرِّ فنشيط للإفاضة فيه، خائفٌ إن سكت أن يظنَّ فيه فهاهَةٌ، فهو يحتشد للتكلم فيه ويجمع نفسه له، ويتكلم بالمتنافر من الكلام الذي لا يأخذُ بعضُه بأعناق بعض. وهو راكب رأسه لا يُبالي؛ كأنه أراد ابنه علىٰ ألا يكون من أبناء جنس هذا الكلام وأشكاله، وأن يرفعَ نفسه عن طبقتِه، ونصحه أن يكون من مفاتيح الخير ومغاليق الشر حتىٰ لا يكون مذمومًا مثله).

وقال ابن قتيبة: (وقوله: جمع بين الأراوي والنَّعام. يريد: أكثر القوم (لعله: القول) ولم يتثبَّت، وأحال (قلت: أحال جاء بما يستحيل) فجمع بين كلمتين مختلفتين. حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أنه قال: في المثل: «ما يُجمع الأروىٰ والنعام»، يراد: كيف يجتمع هذان، وذلك لأن النعام في الفيافي والحَضيض، والأروىٰ، بشعَفَ الجبال لا تُسهِل). قلت: قوله لا تسهل: أي لا تنزل للسهل.

(١) في جمل من أنساب الأشراف: ولا يتكلم بما لا يتعلَّم! وفي تاريخ دمشق: ولا يتكلم بما يعلم.

(٢) في جمل من أنساب الأشراف: ويضبط!

(٣) في المصدر السابق: يتعلَّم المراء، وينفقه للرياء. المراء: المناظرة والجدل.

(٤) في المصدر السابق: ويكثر.

يبادر ما يفنىٰ، ويُواكل ما يبقىٰ[1]، يبادر بالدنيا[2]، ويواكل بالتقوىٰ[3])[4].

[٢٦٤] قال سفيان بن عيينة[5] قال لي أبي[6]:

(١) يبادر: يسارع. يواكل: يقال: واكلَتِ الدابةُ وكالاً، أساءت السير، وقيل: المواكل من الدواب السيئ السير، الملجئ إلىٰ التأخر.

(٢) في جمل من أنساب الأشراف: ويرعىٰ للدنيا.

(٣) في المصدر السابق: في التقىٰ.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٤/ ٢٦٠-٢٦٢، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٧٩. كما وردت (باختصار يسير) في جمل من أنساب الأشراف ١١/ ٢٤١-٢٤٢، وهي في المصادر الثلاثة عن المسعودي، وهي (باختصار أكثر) في عيون الأخبار ٢/ ٣٥٣-٣٥٤، عن إسحاق بن راهويه. وقد وردت الجملة الأولىٰ منها في المعارف مصدرة بقول ابن قتيبة: (وأوصىٰ ابنه بوصية طويلة أولها...) وورد منها في غريب الحديث لابن قتيبة ٣/ ٦٥٧ والفائق للزمخشري ٣/ ٢٥٩ قوله: (إن أفيض... يتلاءم)، وقال ابن قتيبة بعدها: (حدثناه إسحاق بن راهويه... عن عون في وصية لابنه طويلة). وورد منها قوله: (لا تكن كمن تغلبه نفسه... يستيقن) في نثر الدر ٤/ ٢٠٥، ٢٠٧. وورد منها قوله: (إن أفيض... واستسلم) في النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٧٠)، وورد منها قوله: (ينهىٰ... يأتي)، (يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي)، (يحب الصالحين... أحدهم)، (يقول في الدنيا... الراغبين)، (إن منع... يشبع)، (يرجو الآخرة... أمل)، (تغلبه نفسه... يستيقن) في جمهرة الأمثال ١/ ٢٧٢ مصدرة بـ(وفي كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ)! وورد منها قوله: (يا بني لا تكُن ممن يرجو... بطول الأمل) منسوبًا لرجل من العباد في كتاب التوبة لابن أبي الدنيا ٥٣، والجامع لشعب الإيمان ١٢/ ٤٨٧. وورد منها قوله: (لا تكُن ممن تغلبه نفسه... يستيقن) في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣١٢ منسوبًا لعلي ﷺ. وفي غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٢٨٩: (وذُمَّ رجل فقيل: إن أفيض في الخير كزم).

(٥) **صاحب الوصية**: لم أقف لأبي سفيان بن عيينة علىٰ ترجمة سوىٰ ما ورد في المنتظم ٦/ ٨٠: (وكان من عمال خالد القسري، فلما عزل خالد عن العراق، وولي يوسف بن عمر طلب عمال خالد فهربوا منه، وهرب عيينة فسكن مكة). وسفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، كان إمامًا عالمًا حجة زاهدًا ورعًا مجمعًا علىٰ صحة حديثه وروايته. ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ وتوفي بمكة سنة ١٩٨هـ.

انظر: صفة الصفوة ٢/ ٢٣١، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٩١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤.

(٦) **مناسبة الوصية**: قال سفيان: لما بلغت خمس عشرة سنة دعاني أبي فقال: ... قال سفيان: فجعلت وصية أبي قِبْلَةً أميل معها ولا أميل عنها ولا أعدل عنها.

(يا بني[١]، قد انقطعتْ عنك شرائعُ الصبا[٢]، فاختلطْ بالخير تكُنْ من أهله، ولا تزايلْه فتبينَ[٣] منه، ولا يغرنَّك من مدحك بما تعلم أنت[٤] خلافَه منك، فإنه ما من أحدٍ يقول في أحدٍ من الخير ما لم يعلم منه، إلَّا قال فيه عند سخطه عليه من الشرِّ علىٰ قدر ما مدحَه[٥]، واستأنسْ بالوحدة من جلساء السوء، ولا تنقلْ أحسنَ ظني بك إلىٰ أسوأ ظني بمن هو دونك[٦]، فاعلمْ أنه لن يسعدَ بالعلماء إلاَّ من أطاعَهم[٧]. فأطعْهم تسعدْ، واخدمْهم تقتبسْ من علمِهم)[٨].

---

(١) المعاني والروايات: في المنتظم: يا سفيان.

(٢) في المنتظم: شرائع الصدِّ عن الخير. والشرائع: الطرق. الصِّبا: الصغر والحداثة.

(٣) تزايله: تبتعد عنه وتخالفه.وتبين منه: تبتعد وتنفصل.

(٤) في المنتظم وصفة الصفوة: ولا يغرنك من اغتر بالله فمدحك. وفي الأخير: بما يعلم الله خلافه منك.

(٥) في المصدرين السابقين: من الخير إذا رضي إلاَّ وهو يقول فيه من الشرِّ مثلي (في صفة الصفوة: مثل) ذلك إذا سخط.

(٦) في المصدرين السابقين: أحسن ظني بك إلىٰ غير ذلك. والمعنىٰ: إن لي فيك أحسن الظن، فلا تنقله إلىٰ سيئه. (من هامش صفة الصفوة).

(٧) في المصدرين السابقين: ولن يسعد... أطاعهم. وهو نهاية الوصية فيهما.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد الكبير ١١١-١١٢. كما وردت (باختصار يسير) في المنتظم ٦/ ٨١، وصفة الصفوة ٢/ ٢٣١. وقد وردت في كلٍّ من المصدرين الأولين بسند متصل إلىٰ سفيان بن عيينة. وقد وردت الوصية منسوبة إلىٰ عمرو بن عتبة (انظرها في موضعها). وقد ورد خبر في المنتظم ٦/ ٨١، وفي سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٩ علىٰ أن سفيان بن عيينة تردد علىٰ حلق العلم وعمره عشر سنوات. ولكن عقب عليه الذهبي بقوله: (في صحة هذا نظر، وإنما سمع من المذكورين (أي في الخبر المشار إليه) وهو ابن خمس عشرة سنة أو أكثر). وورد في المعرفة والتاريخ ١/ ١٨٥-١٨٦ (قال الحميدي: حدثنا سفيان قال حدثني قاسم سنة عشرين ومئة وأنا ابن ثلاث عشرة) وفي التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٩٤: (وقال لنا علي -يعني ابن المديني- عن ابن عيينة: ولدت سنة سبع ومئة، وجالست الزهري وأنا ابن ست عشرة سنة وشهرين ونصف).
وفي سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٤ (قال عبد الرحمن بن يونس: حدثنا ابن عيينة قال: أول من جالست عبد الكريم أبو أمية وأنا ابن خمس عشرة سنة، وقرأت القرآن وأنا ابن أربع عشرة سنة).

[٢٦٥] قال الغضبان بن القبعثرى[١] لولده:

(يا بني، إذا سمعتُم صيحةً بليلٍ فلا تخرجوا إليها، فإن صاحبَها لو وجدَ بِدْرَةً[٢] لم يدعُكم إليها)[٣].

[٢٦٦] قال الفَرافِصة الكلبي[٤] لابنته[٥]:

(١) **صاحب الوصية**: الغضبان بن القبعثرىٰ بن هوذة بن عباد بن عمرو بن ثعلبة الشيباني، كان من أشراف العراق وعلماء العرب، طلب عبد الملك بن مروان تأييده -مع آخرين- في نزاعه مع مصعب بن الزبير فأجابه كلُّهم، وشرط عليه ولاية أصبهان. بعثه الحجاج إلىٰ ابن الأشعث فأغراه بالثورة علىٰ الحجاج، فحين رجع سجنه الحجاج ثم عفا عنه.
انظر: نسب معد واليمن الكبير ١/ ٣٤، والطبري ٦/ ٥٤، والأغاني ٨/ ٣١١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٠١.

(٢) البدرة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به، ويقدم في العطايا.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٤٠٠.

(٤) **صاحب الوصية**: الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة من بني كلب بن وبرة، كان نصرانيًا، وكان وأبناؤه سادة بيتهم. (انظر جمهرة أنساب العرب ٤٥٦)، وابنته نائلة تزوجها عثمان -رضي اللّٰه عنه- سنة ٢٨هـ فأسلمت قبل أن يدخل بها، وقد أعجبت عثمان رضي اللّٰه عنه، وولدت ابنته مريم، وقتل وهي عنده، فخطبها بعده أشراف قريش فلم تنكح بعده أحدًا حتىٰ ماتت.
انظر: الطبري ٤/ ٢٦٣، وتحفة العروس ١١٢.

(٥) مناسبة النص: (كان من قِصتها أن سعيد بن العاص تزوج هند ابنة الفرافصة الكلبية. فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فكتب إلىٰ سعيد: أمَّا بعد، فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب، فاكتب إليَّ بنسبها وجمالها. فكتب إليه سعيد: أمَّا بعد، أمَّا نسبها، فهي ابنة الفرافصة بن الأحوص، وأمَّا جمالها، فبيضاء، مديدة، والسلام. فكتب إليه عثمان: إن كانت لها أخت فزوجنيها. فبعث سعيد إلىٰ أبيها فخطب إليه إحدىٰ بناته علىٰ عثمان. فقال الفرافصة لابن [له] يدعىٰ ضبًّا، وكان قد أسلم، وأبوه نصراني: يا بني زوِّج عثمان بن عفان أختك، فزوجه. فلما أراد حَملها قال لها أبوها: ...) الظرف والظرفاء ١٨٠.

(يا بنيَّة إنك تقدمين[١] علىٰ نساءِ[٢] قريشٍ وهنَّ أقدرُ علىٰ الطيب منك فلا تغلبي[٣] علىٰ خصلتين: الكحلِ والماءِ[٤]، تطهَّري حتىٰ يكون ريحُك ريحَ[٥] شنٍّ[٦] أصابَه المطرُ[٧])[٨].

[٢٦٧] وكان قتيبة[٩] بن مسلم يقول لولده:

(١) في الظرف والظرفاء: ستقدمين.

(٢) في الأغاني وشرح النهج: علىٰ نساء من نساء قريش.

(٣) في الظرف والظرفاء والأغاني: فاحفظي عني. وفي نثر الدر: فلا تلقبي! ولعلها مصحفة عن: تغلبي. وفي شرح النهج: ولا تغلبين.

(٤) في الظرف والظرفاء والأغاني: تكحلي وتطيبي بالماء حتىٰ...

(٥) في الظرف والظرفاء: كريح الشباب المطهرين! وفي نثر الدر: كأنه ريح... وفي شرح النهج: حتىٰ يكون ريح جلدك..

(٦) الشن والشنة: القربة القديمة اليابسة. قلت: فسرها محقق نثر الدر: (ريحُ شنٍّ: ريح يابسة جافة. وأحال علىٰ اللسان (شن)! ولم أقف علىٰ ذلك في لسان العرب. كما لم أقف علىٰ شيء من ذلك في كتاب الريح لابن خالويه. وربما أن محقق نثر الدر قرأها: ريحٌ شنٌّ، والمتفق مع المعنىٰ والسياق أن تقرأ: ريحُ شنٍّ. وحين كان الناس يستخدمون القِرَبَ لتبريد الماء كان لماءِ (الشنة = القربة القديمة) عندهم فضلٌ علىٰ ماء القِرَبِ الجديدة! وقد جعل خزز بن لوذان ماء الشنِّ بإزاء الغبوق في خطابه لامرأته حين قال:

كذب العتيــق وشــن ماء بارد إن كنـت سائلتي غبوقًا فاذهبي

(كتاب البرصان والعرجان ٢٧٥). وربما كان أوضح من ذلك جعل أبي ذؤيب العسل الذي يفوقه -مع روعته- فمُ محبوبته ممزوجًا بماء شنان:

بماء شنان زعزعت متنه الصبا وجـادت عليه ديمة بعد وابل).

انظر: خزانة الأدب ٥/ ٤٩٢. و(وصف أبو العالية امرأة فقال: جاء بها اللّٰه كأنها نطفة عذبة في شنٍّ خلق، ينظر إليه الظمآن في الهاجرة) نثر الدر ٦/ ٣٥.

(٧) زاد شرح النهج: وإياك والغيرة علىٰ بعلك فإنها مفتاح الطلاق.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٤/ ٧٦، كما وردت في الظرف والظرفاء ١٨٠، والأغاني ١٦/ ٢٤٩، ونثر الدر ٦/ ٤٠٦، وشرح نهج البلاغة ١٨/ ٣٣٤.

(٩) **صاحب الوصية**: قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي. ولي خراسان، وتم علىٰ يديه فتوح كبيرة، كان من الشجاعة والحزم والرأي بمكان. ولما تولىٰ سليمان بن عبد الملك الخلافة -وكان بينه وبين قتيبة وحشة- خلع قتيبة طاعته فلم يطاوعه أكثر الناس. وقتله=

(يا بني، الزموا القناعةَ، فإن أوسعَ الناسِ غنًىٰ أقنعُهم بما قُسمَ له، وعليكم بالشكر لله، فإن أحقَّ الناس بالزيادة في النعمة أشكرُهم لما أُوتي منها)[1].

[٢٦٨] وقال قتيبة:

(يا بني، لا تدخلوا الأسواق فتدقَّ[2] أخلاقُكم، ولا تمزحوا[3] فيُستخَفَّ بكم، ولا تمشوا في العساكرِ فتصغروا عند أكفائكم[4] [5]).

[٢٦٩] وقال قتيبة بن مسلم لبنيه:

(لا تطلبوا[6] الحوائجَ من كذوبٍ، فإنه يقرِّبُها وإن كانت بعيدةً، ويبعِّدُها وإن كانت قريبةً، ولا من[7] رجل جعل المسألةَ مأكلةً، فإنه يقدِّمُ حاجتَه قبلها ويجعل حاجتك وقايةً لها، ولا من[8] أحمقَ، فإنه يريد نفعَك فيضرُّك)[9].

=وأحد عشر نفسًا من أهله وكيعُ بن حسان الغداني -وكان عليه حاقدًا- سنة ٩٦هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (وفيات ٨١-١٠٠)/ ٤٥٤، والبداية والنهاية ١٢/ ٦١٥.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٢٣٣.

(٢) في بهجة المجالس: فترق. وكلاهما بمعنىٰ، أي إن كثرة مخالطة دهماء الناس ورعاعهم تضعف الأخلاق.

(٣) في بهجة المجالس: لا تمازحوا.

(٤) تصغروا عندهم: يحتقروكم. وفي بهجة المجالس: ولا تبخلوا فيزدريكم أكفاؤكم. وأكفاؤكم المماثلون لكم في القوة والشرف.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٢٣٥. وقال في صدرها: (وقال قتيبة -ويقال سلم بن قتيبة وهو عن قتيبة أثبت-) وانظر المصادر التي نسبتها لسلم في وصاياه. كما وردت (باختصار) في بهجة المجالس ٢/ ٥٧١.

(٦) في المحاسن والأضداد: لا تطلبنَّ...

(٧) في المحاسن والأضداد ومحاضرة الأبرار: ولا إلىٰ رجل.

(٨) في محاضرة الأبرار: ولا إلىٰ.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ٣٩٣، كما وردت في المحاسن والأضداد ٢٨، ومحاضرة الأبرار ٢/ ١٢٨ (دون تصريح فيهما بأنها وصية). وفي جمل من أنساب=

[٢٧٠] قال قيس[١] بن عاصم المنقري[٢]:

=الأشراف ١٣/ ٢٣٦: (المدائني قال: قال سلم بن قتيبة: لا تستعينَنَّ علىٰ من تطلب إليه حاجة بمن له عنده طُعْمَةٌ فإنه لا يؤثرك علىٰ نفسه، ولا بكذاب فإنه يباعد لك القريب ويقرب لك البعيد، ولا بأحمق فإنه يستفرغ مجهوده ولا يبلغ لك ما تريد). وفي سرح العيون ١٩٣ (ومن كلام قتيبة: لا تستعن... طمع... ولا بأحمق فإنه ربما أراد نفعك فضرك)، وبقية عباراته كما في جمل من أنساب الأشراف. وقد وردت الجملة الأخيرة في صدر وصية نسبت لابنه سلم، وفي عيون الأخبار ٣/ ١٣٤: (حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال: مسلم بن قتيبة: لا تطلبن حاجتك إلىٰ كذاب... ولا إلىٰ أحمق.. ولا إلىٰ رجل له عند من تسأله الحاجة مأكلة...). وفي الأمالي ٢/ ١٨٨ بسنده (عن الأصمعي وعن العتبىٰ قالا: قال مسلم بن قتيبة: لا تطلبن حاجتك إلىٰ واحد من ثلاثة: لا تطلبها إلىٰ الكذاب، فإنه يقربها وهي بعيدة، ويبعدها وهي قريبة، ولا تطلبها إلىٰ الأحمق فإنه يريد أن ينفعك وهو يضرك، ولا تطلبها إلىٰ رجل له عند قوم مأكلة فإنه يجعل حاجتك وقاء لحاجته).

وفي العقد الفريد ١/ ٢٦٠ (وقالت الحكماء: لا تطلب.... فإنه يقربها بالقول ويبعدها بالفعل، ولا إلىٰ أحمق... ولا إلىٰ رجل به أكلة من جهة رجل، فإنه لا يؤثر حاجتك علىٰ أكلته).

وفي نثر الدر ٤/ ١٩٩: (وكان يقال: لا تطلبوا الحاجة إلىٰ ثلاثة: إلىٰ كذوب... ولا إلىٰ أحمق... ولا إلىٰ رجل له إلىٰ صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته).

وفي غرر الخصائص الواضحة ١١٩: وقال مسلم بن قتيبة: لا تطلب حاجتك إلىٰ أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، فسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قُرْبِه، وموته خير من حياته).

وفي شرح مقامات الحريري للشريشي ٤/ ٢٦٢: (وقال خالد بن صفوان: لا تسأل الحوائج ثلاثة؛ لا تسألها كذوبًا فيقرب بعيدًا ويبعد قريبًا، ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ولا رجلًا له إلىٰ صاحبك حاجة فإنه يصيِّر حاجتك بطانة لحاجته).

ويغلب علىٰ ظني أن مسلم بن قتيبة في المصادر السابقة هو سَلْم لأمرين؛ الأول: أن مسلم بن قتيبة لا يعرف عنه غير اسمه، ولم تذكره -هو وبعض ولدِ قتيبة- سوىٰ قلة من المصادر. علىٰ حين كان لسلم شهرة عريضة. والثاني: أنه حدث تداخل بين كلام قتيبة وكلام ابنه سلم، وانظر ما أورده البلاذري في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٢٣٤، ٢٣٦.

(١) **صاحب الوصية**: قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري التميمي، شاعر فارس شجاع، كان عاقلًا مشهورًا بالحلم، وهو ممن حرَّم الخمر علىٰ نفسه في الجاهلية، أسلم وحسن إسلامه، وصحب النَّبِيَّ ﷺ، وقال عنه: هذا سيِّد أهل الوبر، وعمَّر بعده زمنًا.

انظر: الأغاني ١٤/ ٦٦، وأسد الغابة ٤/ ١٣٢، والإصابة ٥/ ٤٨٣.

(٢) **مناسبة الوصية**: لما حضرت قيسًا الوفاة جمع بنيه -وهم اثنان وثلاثون ذكرًا (!)، فجلسوا إليه فأوصاهم. انظر: المعجم الكبير والمستدرك والمنتظم والبداية والنهاية.

(يا بني[1]، إذا أنا مِتُّ فسوِّدوا أكبَرَكم تخلُفُوا[2] آباءَكم، ولا تسوِّدوا أصغرَكم فيزريَ بكم ذاك عند أكفائكم[3]، ولا تقيموا عليَّ نائحةً[4]، فإني سمعت رسولَ الله ﷺ ينهىٰ عن

(١) جاءت بداية الوصية في الأدب المفرد: يا بنيَّ خذوا عني؛ فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني. وفي الوصايا: أوصيكم بتقوىٰ الله وسوِّدوا، وفي البيان والتبيين والكامل والأغاني وأمالي الزجاجي وأخباره ونثر الدر (٦/ ٣٨٩) والاستيعاب وأسد الغابة: يا بني احفظوا عني (زاد الكامل: ثلاثًا)، فلا أحد أنصح مني. وفي وصايا العلماء ونثر الدر (٦/ ٤١٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧) وشرح النهج: يا بني خذوا عني، فإنه ليس أحد أنصح لكم مني. وبعدها في المصادر الثلاثة الأخيرة: إذا دفنتموني فانصرفوا إلىٰ رحالكم فسوِّدوا. والرحال: المنازل. وفي شعب الإيمان: يا بني اتقوا الله وسوِّدوا.

(٢) في الطبقات الكبرىٰ والجامع لشعب الإيمان والمنتظم: فإن القوم إذا سوَّدوا عليهم أكبرهم خلفوا أباهم. وفي الوصايا مثل ذلك ونهايته فيه: لم يفقدوا أباهم. وفي الأدب المفرد: وسوِّدوا أكابركم، فإنكم إذا سوَّدتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة. وفي البيان والتبيين وجمل من أنساب الأشراف والكامل: وسوِّدوا كباركم. وفي وصايا العلماء: فسوِّدوا كباركم (وفي رواية: كُبَراكم). وفي المعجم الأوسط والبداية والنهاية: سوِّدوا عليكم أكبركم تخلفوا أباكم.

(٣) في الطبقات الكبرىٰ والجامع لشعب الإيمان والمنتظم: وإذا سوَّدوا أصغرهم أزرىٰ بهم عند أكفائهم. وفي الأدب المفرد: وإذا سوَّدتم أصاغركم هان أكابرُكم علىٰ الناس. وفي البيان والتبيين والأغاني ونثر الدر والاستيعاب: ولا تسوِّدوا صغاركم فيُسَفِّه الناس كبارَكم. ومثل ذلك في الكامل والعقد وأمالي الزجاجي وأخباره إلَّا أن فيها: فيحقر، وفي أسد الغابة: فتسفِّه. وزادت بعدها (سوىٰ العقد والأغاني): فتهونوا عليهم. زاد أمالي الزجاجي وأخباره: جميعًا. وفي وصايا العلماء: ولا تسوِّدوا أصاغركم (وفي رواية: صغاركم) فيتسفِّه الناس كباركم (وفي رواية: كُبَراكم) فتهونوا عليهم. وفي البداية والنهاية: ولا تسوِّدوا أصغركم فيزري بكم أكفاؤكم، وفي نثر الدر (٦/ ٤١٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧) وشرح النهج: أزرىٰ ذلك بهم في أكفائهم. وزاد بعدها فيها: وإياكم ومعصية الله تعالىٰ، وقطيعة الرحم، وتمسَّكوا بطاعة أمرائكم فإنه من رفعوا ارتفع، ومن وضعوا اتضع. وتسوَّدوا: تجعلوه سيدًا عليكم. ويزري بكم: ينتقصكم ويحتقركم. وأكفاؤكم: نظراؤكم ومماثلوكم في الشرف.

(٤) في الطبقات الكبرىٰ والوصايا والأدب المفرد وتاريخ واسط (١١٩) وشعب الإيمان، والمنتظم والبداية والنهاية: ولا تنوحوا عليَّ. وفي وصايا العلماء وتاريخ واسط (١٦٥) ونثر الدر (٦/ ٤١٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧)، وشرح النهج: وإياكم والنياحة عليَّ.

النياحةِ[1]، وعليكم بإصلاحِ المالِ[2] فإنه منبهةٌ[3] للكريم ويُستغنىٰ به عن اللئيمِ[4]، ولا

(١) في الطبقات الكبرىٰ والوصايا والأدب المفرد وشعب الإيمان: فإن رسول الله ﷺ لم يُنَحْ عليه. وفي المعجم الأوسط: فإني رأيت... نهىٰ.

(٢) في الطبقات الكبرىٰ وبهجة المجالس (١/ ١٩٥) وروضة العقلاء والجامع لشعب الإيمان والمنتظم والبداية والنهاية: وعليكم بالمال واصطناعه. ومثله في الوصايا وفيه: بطلب المال. وفي الأدب المفرد: وأصلحوا عيشكم فإن فيه غنىٰ عن طلب الناس. وفي الكامل وأمالي الزجاجي وأخباره: وعليكم بحفظ المال (وفي الأخيرين: ففيه). وفي وصايا العلماء ونثر الدر (٦/ ٣٨٩): وعليكم باستصلاح المال. وفي نثر الدر (٦/ ٤١٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧) وشرح النهج: وعليكم بهذا المال فأصلحوه. وفي عين الأدب والسياسة: يا بني عليكم باصطناع المال. والاصطناع من اصطنع عند فلان صنيعة: أحسن إليه، والصنيع: ما صنع من معروف ونحوه.

(٣) في الطبقات الكبرىٰ والمنتظم والبداية والنهاية: مأبهة. والمأبهة: من الأُبَّهة، وهي العظمة والبهجة.

(٤) في جمل من أنساب الأشراف: وغنىٰ. وفي أخبار الزجاجي: ومغناة. وفي نثر الدر (٦/ ٤١٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧): واستغناء. وفي شرح النهج: وجُنَّة لعرض اللئيم. جُنَّة: وقاية. وبعد هذه الجملة في الوصايا: وإياكم ومسألة الرجال فإنها أخر كسب المرء. ومثله في الأدب المفرد ووصايا العلماء وفيهما: وإياكم والمسألة. وفي البيان والتبيين: وإياكم ومسألة الناس فإنها شر كسب المرء. وفي روضة العقلاء وأمالي الزجاجي وأخباره ونثر الدر (٦/ ٣٨٩)، وفصل المقال والاستيعاب وأسد الغابة: ومسألة الناس فإنها أَخِر كسب الرجل. وفي جمل من أنساب الأشراف والكامل وبهجة المجالس (١/ ١٧٢)، ونثر الدر (٦/ ٤١٠)، والجامع لشعب الإيمان والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧)، وشرح النهج: وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل، وفي المنتظم والبداية والنهاية: وإياكم ومسألة الناس فإنها من أخسِّ مكسبة الرجل.

وقد وردت كلمة (آخر) هكذا بالمد في جملة المصادر، في حين جاء في بعض منها (أخر). قال البكري (فصل المقال ٤٠٧): (أخر علىٰ وزن فَعِل، ومعناه: أبعده من الخير وأرذله... ولا يحسن هنا أن يقال: آخر كسب المرءَ بالمدِّ -الذي هو نقيض أول- لأن ذلك إباحة للمسألة، وأن تكون من آخر ما يتكسب به المرء. والمسألة مكروهة منهيٌّ عنها في الجاهلية والإسلام).

وقد أشار محقق الكامل إلىٰ أنه ورد في زيادات إحدىٰ نسخه: (أخر بقصر الهمزة لا غير، ومن رواه بالمد أخطأ، ومعنىٰ أخر: أدنىٰ وأرذل)، وقد ورد بعد ذلك زيادة في وصايا العلماء: وإن امرؤ يسألك إلَّا ترك كَسْبَه. وفي نثر الدر ٦/ ٤١٠، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧) وشرح النهج: فإنَّ أحدًا لم يسأل إلَّا ترك كسبه (شرح النهج: الكسب).

تُعطوا رقابَ الإبلِ إلَّا في حقِّها، ولا تمنعوها من حقِّها، وإياكم[1] وكلَّ عِرْقِ سوءٍ فمهما يسرُّكم يومًا فما يسوؤُكم أكثر، واحذروا أبناءَ أعدائكم فإنهم لكم أعداءٌ علىٰ منهاجِ آبائهم[2]، وإذا أنا متُّ[3] فادفنوني في موضع لا يطَّلع عليَّ هذا الحيُّ من بكر بن وائل[4]، فإنها كانت بيني وبينهم خُمَاشاتٌ في الجاهلية[5]، فأخاف[6] أن ينبشوني فتفسدوا عليهم دنياهم، ويفسدوا عليكم آخرتكم.

---

(١) في نثر الدر (٦/ ٤١٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧)، وشرح النهج: وخذوا (عني) بثلاث خصال: إياكم.

(٢) في نثر الدر (٦/ ٤١٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧): واحذروا -بنيَّ - أعداءَ آبائكم، فإنهم علىٰ منهاج آبائهم لآبائكم.

(٣) في الأغاني ووصايا العلماء ونثر الدر (٦/ ٤١٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧)، وشرح النهج: وإذا متُّ فادفنوني (في وصايا العلماء: فكفِّنوني) في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم.

(٤) في الطبقات الكبرىٰ: ولا تدفنوني حيث تشعر بي بكر بن وائل فإني كنت أغاولهم في الجاهلية. وأغاولهم: أبادرهم بالغارة والشرِّ. ومثله في المنتظم، والبداية والنهاية، وفيهما: أعاديهم.
وفي الوصايا: ولا يعلمن بمدفني بكر بن وائل، فإني كنت أغاورهم في الجاهلية. وأغاورهم: أغير عليهم. وفي الأدب المفرد: وإذا دفنتموني فسوُّوا عليَّ قبري. وفي جمل من أنساب الأشراف والأغاني: وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن (زاد الأغاني: هذا الحي من) بكر بن وائل. وفي وصايا العلماء: وادفنوني في مكان لا يعلم بي أحد. وفي نثر الدر (٦/ ٤١٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧): ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني فإني كنت أعاديهم (التذكرة الحمدونية: أغتالهم) في الجاهلية. وفي الجامع لشعب الإيمان: ولا تدفنوني بأرض يشعر بدفني بكرُ بن وائل... أعاديهم. وفي المعجم الأوسط: يطَّلع عليَّ أهل هذا الحي.

(٥) في شرح النهج: مشاحنات في الجاهلية والإسلام! وخماشات واحدها خُماشة: أي جراحات وجنايات، وهي كلُّ ما كان دون القتل، وما ليس له دية معلومة. والمشاحنات جمع مشاحنة وهي العداوة.

(٦) في الوصايا: فأخاف أن يفتنوكم في دينكم، أو يدخلوا عليكم غضاضة. وفي الأدب المفرد: فلا آمن سفيهًا أن يأتي أمرًا يدخل عليكم عيبًا في دينكم. وفي نثر الدر (٦/ ٤١٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧): فأخاف أن يدخلوها عليكم، فيعيبوا عليكم دينكم. وفي شرح النهج: وأخاف أن يدخلوا عليكم بي عارًا. والغضاضة: الذلة والمنقصة. ينبشوني: يستخرجوني من قبري.

ثم دعا بكنانته[1] فأمرَ ابنَه الأكبرَ -وكان يسمىٰ عليًّا- فقال: أخرج سهمًا من كنانتي، فأخرجَه فقال: اكسرْهُ فكسرَه. ثم قال: أخرج سهمين، فأخرجهما فقال: اكسرهما، فكسرهما، ثم قال: اخرج ثلاثةَ أسهمٍ، فأخرجها، فقال: اكسرها، فكسرها، ثم قال: أخرج ثلاثين سهمًا، فأخرجها، فقال: اعصبْها بوَتَرٍ، فعصبها، ثم قال: اكسرها، فلم يستطِع كسرها، فقال: يا بني، هكذا أنتم بالاجتماعِ، وكذلك أنتم بالفُرقةِ، ثم أنشأ يقول[2]: (الخفيف)

---

(١) في الأغاني: (ثم جمع ثمانين (!) سهمًا فربطها بوتر (الوَتَر: خيط من جلد) ثم قال: اكسروها. فلم يستطيعوا. ثم قال: فرِّقوا. فقال: اكسروها سهمًا سهمًا فكسروها. فقال: هكذا...). وفي جمهرة الأمثال: ليأتني كلٌّ واحد منكم بعود، فاجتمع عنده عيدان. فجمعها وشدَّها وقال: اكسروها، فلم يطيقوا ذلك. ثم فرقها فكسروها، فقال: هذا مثلكم في اجتماعكم وتفرُّقكم ثم أنشدهم لنفسه).

(٢) أورد أبو هلال الأبيات الأربعة الآتية:

بصلاح ذات البين طولُ بقائكم ... إنْ مدَّ في عمري وإن لم يُمْدَدِ

حتىٰ تلين جلودُكم وقلوبُكم ... لمسوَّدٍ منكم وغيرِ مُسَوَّدِ

إنَّ القداحَ إذا جُمِعْنَ فأمَّها ... بالكسر ذو حنقٍ وبطشٍ أيِّدِ

عزَّت فلم تُكسَر وإن هي بُدِّدتْ ... فالوهنُ والتكسيرُ للمتبدِّدِ

(القداح جمع قِدْح وهو قطعة من الخشب تعرَّض قليلًا وتسوَّىٰ، وتكون في طول الفتر أو دونه، وتخط فيه حزوز، يميِّز كلَّ قدح بعدد من الحزوز، وكانت القداحِ تستعمل في الميسر. وأمَّها: قصدها ورامها. والأيِّد: القوي. وعزت: غلبت وامتنعت. وبدِّدت: فرِّقت. الوهن: الضعف). وقد استشهد عبد الملك بن مروان في وصيته لأولاده عند وفاته بأبيات قيس هذه. وختمت الوصية في نثر الدر (٦/ ٤١٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٤٧)، وشرح النهج دون أن تذكر دعوته بكنانته (جعبة صغيرة من جلد توضع فيها السهام): (ثم قال:

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سلفوا ... فلن تبيد وللآباء أبناء

وجاء في المصدرين الأولين: (قال الكلبي: فنحل هذا البيت سابقًا البربري وقيس (في نثر الدر: فعيسىٰ (!)، تصحيف) أول من قاله)، وفي شرح النهج: (قال ابن (!) الكلبي: فيحكي الناس هذا البيت سابقًا للزبير (!)، وما هو إلَّا لقيس بن عاصم). وانظر ديوان سابق بن عبد الله البربري ٨٧، وانظر التخريج هناك.

إنما المجدُ ما بنىٰ والدُ الصِّد	قِ وأحيا فَعَالَه المولودُ
وكفىٰ المجدُ والشجاعةُ والحِلمُ	إذا زانَها عفافٌ وجودُ[3]
وثلاثون -يا بنيَّ- إذا ما	عقدتْهم للنائبات العُهودُ[4]
كثلاثين من قِداحٍ إذا ما	شَدَّها للمرادِ عقدٌ شديدُ[5]
لم تكسّر وإن تبددت الأسـ	ـهم أودىٰ بجمعها التبديدُ[6]
وذوو السِّنِّ والمروءةِ أولىٰ	أن يكون منكم لهم تَسويدُ[7]
وعليكم حفظُ الأصاغرِ حتىٰ	يبلغَ الحنثَ الأصغرُ المجهودُ)[8]

(٣) في الأغاني: وتمام الفضل... إذا زانه. وفي معجم الشعراء: وكمال... إذا زانه.

(٤) في الأغاني: جمعتهم في النائبات.

(٥) في المستدرك: للزمان، وكذا في الأغاني وفيه: قدح شديد.

(٦) في الأغاني: تفرقت. وفي المستدرك: تقطعت.

(٧) في الأغاني: وذوو الحلم والأكابر أولىٰ أن يرىٰ.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في المعجم الكبير للطبراني ١٨/ ٣٤١-٣٤٢، والمعجم الأوسط له ٦/ ١٨١ (ح٦١٢٧)، والمستدرك للحاكم ٣/ ٦١١-٦١٢. كما وردت -باختصار يسير- في الوصايا ١٣٥، وصحيح الأدب المفرد ٣٥٩، والأغاني ١٤/ ٧٧، وفي نثر الدر ٦/ ٤١٠-٤١١، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٧، وشرح نهج البلاغة ١٧/ ١٢٢-١٢٣. كما وردت باختصار أكثر في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٣٧، والبيان والتبيين ٢/ ٧٩-٨٠، وجمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٢٦٩، وأمالي الزجاجي ٢٩، وأخبار أبي القاسم الزجاجي ٧٥، ووصايا العلماء عند حضور الموت ٦٠، ونثر الدر ٦/ ٣٨٩، والاستيعاب ٣/ ١٢٩٦، والجامع لشعب الإيمان ٢٠/ ١١٦-١١٧، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٩٨، والمنتظم ٤/ ٤٤، وأسد الغابة ٤/ ١٣٤، والبداية والنهاية ١١/ ١٧٧. وقد وردت جمل منها في إصلاح المال ٢٣٨، والعقد الفريد ٢/ ٢٧٣، وروضة العقلاء ١٤٥، ٢٢٤، وتاريخ واسط ١١٩، ١٦٥، وبهجة المجالس ١/ ١٧٢، ١٩٥. وفصل المقال ٤٠٧، وعين الأدب والسياسة ١٤٥. ونُسِب قريب مما فعله قيس مع بنيه في السهام إلىٰ أكثم بن صيفي مع أولاده عند موته. كما في محاضرات الأدباء ١/ ٣٥٧. وورد جزؤُها الأخير مع الأبيات في جمهرة الأمثال ١/ ٧١. وفي معجم الشعراء ٢٠٠ عند ترجمة قيس بن عاصم: (وأوصىٰ عند وفاته بوصية حسنة مشهورة يقول في آخرها) ثم أورد البيتين الأولين.

[٢٧١] كان قيس بن عاصم يقول لبنيه[١]:

(إياكم والبغيَ؛ فما بَغىٰ قومٌ قطُّ إلَّا قلُّوا وذلُّوا)[٢].

[٢٧٢] وقال قيس بن عاصم في وصيةٍ لولده:

(أكرموا الإبلَ، فإنَّ فيها مهرَ الكريمةِ ورقوءَ الدَّم)[٣].

[٢٧٣] وقال قيس بن عاصم:

(يا بني، اصحبوا من يَذكرُ إحسانَكم إليه، وينسىٰ أياديَه لديكم)[٤].

[٢٧٤] أوصى قيس بن عاصم المنقري ولده قال:

(لا تَغْشَ السلطانَ حتىٰ يملَّك، ولا تقطعْه حتىٰ ينساك، ولا تجلسْ له علىٰ فراشٍ ولا وِسَادٍ، واجعل بينك وبينه مجلسَ رجلٍ أو رجلين؛ فإنه عسىٰ أن يأتيَ من هو أولىٰ بذلك المجلسِ منك فتقامَ له، فيكونَ قيامُك زيادةً له، ونقصانًا عليك)[٥].

---

(١) **مناسبة الوصية**: ورد في شرح نهج البلاغة (كان قيس بن عاصم المنقري إذا غزا شهد معه الحرب ثلاثون من ولده يقول لهم: ...) وفيه بعد الوصية: (قالوا: فكان الرجل من ولده يُظلم فلا ينتصف مخافة الذل).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٢٦٥، والأغاني ١٤/ ٧٣، وهي فيهما عن المدائني، وقد عقب عليها فيهما بقوله: (فكان بعض بنيه يلطمه قومُه أو غيرُهم فينهىٰ إخوتَه عن أن ينصروه)! كما وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ١٥/ ١٠٦.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الأمثال لأبي عبيد ١٩٠-١٩١، والتذكرة الحمدونية ٨/ ٩٨. وقد عقب أبو عبيد علىٰ الرقوء بقوله: (يعني الديات التي يدفع بها القصاص والقَوَد) وعقب الحمدوني عليها قائلًا: (ورقوء الدم حبسه، وكذلك الدمع، يقال لا أرقأ الله له مدمعًا).

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٤/ ٢٠٨.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ١/ ٥٣-٥٤. وقد جاء فيه: (ودخل الأحنف بن قيس علىٰ معاوية بن أبي سفيان، فأشار له إلىٰ الوساد فقال له: اجلس. فجلس علىٰ الأرض، فقال له معاوية: وما منعك يا أحنف من الجلوس علىٰ الوساد؟ فقال: يا أمير المؤمنين،=

[٢٧٥] وقال كثير[١] بن هراسة [يومًا لابنه: يا بني][٢]:

(إن من الناس ناسًا ينقصُونك إذا زدتَهم، وتهونُ عندهم إذا خاصَصْتهم[٣]، ليس لرضاهم موضعٌ تعرفه[٤]، ولا لسُخطِهم موضعٌ تحذره[٥]، فإذا عرفت أولئك

=إن فيما أوصىٰ به قيس... حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين، لعله أن يأتي من هو أولىٰ بذلك المجلس مني؛ فقال معاوية: لقد أوتيتْ تميمٌ الحكمة، مع رقة حواشي الكلم). ثم أنشد ثلاثة أبيات. وقد ورد منها قوله: (لا تسعَ (تغش)... رجلين) في العقد الفريد ٢/ ٤٢٢، مع المقدمة السابقة -باختلافات يسيرة- عن الهيثم بن عدي عن عامر الشعبي.
وفي نثر الدر٧/ ٣٨: (دخل كعب (الأحبار) علىٰ عمر فأدناه، وأمره بالجلوس إلىٰ جنبه، فتنحىٰ كعب قليلًا، فقال له عمر: وما منعك من الجلوس إلىٰ جنبي؟ فقال: لأني وجدت في حكمة لقمان مما أوصىٰ به ابنه قال: يا بني إذا قعدت لدىٰ سلطان فليكُن بينك وبينه مقعد رجل، فلعله أن يأتيه من هو آثر عنده منك فيريد أن تتنحىٰ له عن مجلسك فيكون ذلك نقصًا عليك وشينًا) وقريب منه في بهجة المجالس ١/ ٤٨.

(١) **صاحب الوصية**: قال عنه الزجاجي في صدر الخبر: (وهو رجل من بني كلاب، كان يبالغ في كلامه)! وورد له ذكر في الأغاني ١٧/ ٦١ في ترجمة المقنع الكندي في خبر جاء فيه: (قال عبد الملك بن مروان -وكان أول خليفة ظهر منه البخل (!)-: أي الشعراء أفضل؟ فقال له كثير بن أبي هراسة -يعرِّض ببخل عبد الملك-: أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول: إني أحرِّض أهل البخل كلهم... خمسة أبيات) فقال عبد الملك -وعرف ما أراد-: الله أصدق من المقنع حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧]. ونقل الخبر الصفدي في الوافي ٣/ ١٨٠، وسماه كثير بن هراشة، ولعله تصحيف.. فروايته الخبر مطابقة لما ورد في الأغاني.

(٢) الزيادة من الصناعتين.

(٣) في أخبار الزجاجي: تهون عليهم إذا عظَّمتهم، وينتقصونك إذا زدتهم، وفي الصناعتين: عليهم إذا أكرمتهم. خاصصتهم: جعلتهم من خاصتك.

(٤) في الصناعتين: فتقصده.

(٥) في أخبار الزجاجي والصناعتين: موقع، وفي الأخير منهما: فتحذره. وفي أسرار الحكماء: ولا لغضبهم موقع تحذره.

بأعيانهم فابذُلْ لهم موضعَ[1] المودةِ، واحرِمْهم[2] موضعَ الخاصةِ، يكُن ما بذلتَ لهم من المودة حائلًا[3] دون شرِّهم، وما حرمتهم[4] من موضعِ الخاصة قاطعًا لحرمتِهم[5])[6].

[٢٧٦] قال محمد بن عطية السعدي[7] لابنه عروة[8]:

(إذا غضبتَ فانظرْ إلىٰ السماءِ فوقَك، وإلىٰ الأرضِ أسفلَ منك، ثم أعظمْ

---

(١) في الصناعتين: فأبدِ لهم. ولعله أولىٰ. ويؤيده ما في أسرار الحكماء: فإذا وجدتهم فابذل لهم ظاهرَ وجهِ المودة.

(٢) في سائر المصادر: وامنعهم.

(٣) في الصناعتين: ليكون ما أبديت. وفيه وفي أسرار الحكماء: من ظاهر المودة حاجزًا. والحائل والحاجز: المانع.

(٤) في سائر المصادر: وما منعتهم.

(٥) في الصناعتين: بحرمتهم.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٢/ ٣٢٨. كما وردت في أخبار الزجاجي ١١٢، وفيه: (أخبرنا الزجاج قال: أخبرنا المبرد عن المازني قال: حدثني رجل عن الأصمعي، ولم أسمعه أنا منه، قال: حدثنا خلف الأحمر...) والصناعتين ٣١٠، وكتاب أسرار الحكماء -باختصار يسير- ١٥٤ وفيه: أوصىٰ رجل ابنه.

(٧) **صاحب الوصية**: أبو عروة محمد بن عطية بن عروة السعدي البلقاوي، قيل إن له صحبة، والصحيح أن الصحبة لأبيه، عاش حتىٰ أدرك خلافة عمر بن عبد العزيز وهو في نحو التسعين من العمر.

انظر: الإصابة ٦/ ٢٥١، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٤٥.

وابنه عروة ولاه عمر بن عبد العزيز اليمن، وكان من صالح العمال وخيار الناس، وولي علىٰ اليمن عشرين سنة وخرج حين خرج ومعه سيف ومصحف، وذكر ابن عبد البر أنه كان أميرًا لمروان بن محمد علىٰ الخيل، وأنه الذي قتل أبا حمزة الشاري الخارجي، وقتل طالب الحق الأعور القائم باليمن. ويبدو أن ذلك وَهْمٌ. فالذي قاد جيش مروان وقتل المذكورين، هو أخوه عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدي.

انظر: مروج الذهب ٣/ ٢٥٧، الاستيعاب ٣/ ١٠٧١، وتهذيب التهذيب ٧/ ١٨٧.

(٨) **مناسبة الوصية**: قال عروة بن محمد: (لما استعملتُ علىٰ اليمن قال لي أبي: أوليتَ اليمن؟ قلت: نعم. قال: ...).

خالقَهما)[1].

[٢٧٧] **قال محمد بن علي[2] لابنه:**

(يا بني، لا تكسلْ[3] فإنك إذا[4] كسلت لم تؤدِّ حقًّا، ولا تضجرْ فإنك إنْ[5] ضجرتَ لم تصبرْ علىٰ حقٍّ، فإنَّه[6] ما من عبدٍ يمتنعُ من حقٍّ إلاَّ فتحَ الله عليه بابَ باطلٍ، فأنفقَ فيه أمثالَه)[7].

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الأشراف ١٦٧، كما وردت في روضة العقلاء ٢١٢، وربيع الأبرار ٢/ ٣٠، وتهذيب التهذيب ٣/ ٦٠، ٧/ ١٨٧، ٩/ ٣٤٥، والإصابة ٦/ ٢٥٣، وقد ورد في ربيع الأبرار ٢/ ٣١: عن (عروة بن محمد؛ مكتوب في الحكمة إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم). كما ورد فيه ١/ ٣٠ عنه أنه كلَّمه رجل بكلام فغضب غضبًا شديدًا، فقام فتوضأ، ثم جاء فقال: حدثني أبي عن جدي عطية -وكانت له صحبة- قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطفَأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

(٢) **صاحب الوصية**: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بالباقر، مدني تابعي، كان إمامًا مجتهدًا، جمع بين العلم والعمل والسؤدد والثقة والرزانة، ولد سنة ٥٦هـ، وتوفي سنة ١١٤هـ بالمدينة.
انظر: حلية الأولياء ٣/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٠، وقد كان لمحمد من الولد عبد الله وإبراهيم وعلي وجعفر (جمهرة أنساب العرب ٥٩) إلَّا أن أشهرهم جعفر المعروف بالصادق. انظر ترجمته عند وصاياه لابنه.

(٣) في بقية المصادر: يا بني إياك والكسل والضجر. وفي بهجة المجالس: إياك وكثرة النوم. وزاد بعدها في حلية الأولياء: فإنهما مفتاح كلِّ شر.

(٤) في شأن الدعاء ولباب الآداب: إنْ.. وفي صفة الصفوة: فإنهما مفتاح كلِّ شر، إنك إن....

(٥) في البيان والتبيين وبهجة المجالس ونثر الدر وربيع الأبرار والمستطرف: وإذا.

(٦) قوله: (فإنه... أمثاله) انفرد به المجتنىٰ ومختار الحكم ولباب الآداب.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في المجتنىٰ ٨١، وحلية الأولياء ٣/ ١٨٣، ولباب الآداب ١٢، وصفة الصفوة ٢/ ١٠٩، وقد وردت الوصية منسوبة للقمان يوصي ابنه في البيان والتبيين ٢/ ٧٤، ٢٥٢، وبهجة المجالس ٣/ ٨٧، ونثر الدر ٧/ ٣٨، ومختار الحكم ٢٧٥، وربيع الأبرار ٣/ ٨٧، والمستطرف ٢/ ٣١٩. وقد نسبت الوصية (دونما تصريح بأنها وصية) للأحنف في شأن الدعاء للخطابي ١٢٠. كما وردت منسوبة إلىٰ الأحنف يوصي بها رجلًا في تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٢٤.

[٢٧٨] وقال محمد بن علي الباقر لابنه:

(يا بني، إذا أنعمَ الله عليك نعمةً فقل: الحمد لله، وإذا حَزَبَكَ[١] أمرٌ فقل: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، وإذا أبطأ عليك رزقٌ فقل: استغفر الله)[٢].

[٢٧٩] قال محمد بن علي لابنه:

(أدِّ[٣] النوائبَ، ولا تتعرضْ للحقوق[٤]، ولا تجبْ أخاك[٥] إلىٰ ما مضرَّتُه عليك أكثرُ من منفعتِه[٦])[٧].

[٢٨٠] وقال محمد بن علي لابنه جعفر:

(يا بني، إن الله ﷻ خبأ ثلاثةَ أشياءٍ في ثلاثةِ أشياء: خبأ رضاه في طاعتِه، فلا تحقرنَّ من الطاعة شيئًا، فلعلَّ رضاه فيه، وخبأ سخطَه في معصيته فلا تحقرنَّ من المعاصي شيئًا، فلعل سخطه فيه، وخبأ أولياءه في خلقِه، فلا تحقرنَّ أحدًا، فلعله ذاك[٨] الولي)[٩].

---

(١) حزبك: أهمَّك. وفي الموفقيات: أحزنك.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٣/ ٢٧٩-٢٨٠، كما وردت في الموفقيات ٣٣١، ونثر الدر ١/ ٣٤٥.

(٣) أشار محقق بهجة المجالس إلىٰ أن رواية نسخة أ عنده: لا تأمن. والنوائب جمع نائبة، وهي ما ينزل بالإنسان من الكوارث والحوادث المؤلمة. وفي العقد: يا بني اصبر علىٰ...

(٤) في العقد: ولا تعرَّض للحتوف، والحتوف جمع حتف، الهلاك. ولعل ما في البهجة تصحيف.

(٥) في العقد: أخاك من الأمر.

(٦) في العقد: منفعته لك.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٣/ ٢٥٢، وقد وردت منسوبة لأبيه علي بن الحسين في العقد ٣/ ١٤٨، باختلاف يسير.

(٨) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية: فلعل ذلك الولي. وفي مجمع الأمثال: فلا تحقرن أحدًا من خلقه فلعله في ذلك.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٤/ ١٣٣، كما وردت في نثر الدر ١/ ٣٤٣، ومجمع الأمثال ٤/ ٦٤، وفيه قال محمد بن الباقر! والتذكرة الحمدونية ١/ ١١٠-١١١.

[٢٨١] قال محمد بن علي لابنه جعفر:

(يا بني، إن الله رضيني لك وحذرني منك، ولم يرضك لي فأوصاك بي. يا بني، إن خيرَ الأبناءِ من لم يدعُه البرُّ إلىٰ الإفراط، ولم يدعُه التقصيرُ إلىٰ العقوق)[1].

[٢٨٢] قال سفيان الثوري:

(دخلتُ علىٰ أبي عبد الله جعفرِ بن محمد بن علي[2] ﷺ فقلت: يا بن رسول الله أوصني... قلت: يا بن رسول الله زدني. قال: يا سفيان، أدَّبني أبي بثلاثٍ وأتبعني بثلاثٍ، قلت: يا بن رسول الله! ما الثلاثُ التي أدَّبَك بهن أبوك؟ قال: قال لي أبي: من يصحبْ صاحبَ السوءِ لا يسلم، ومن يدخلْ مداخلَ السوء يُتَّهمْ، ومن لا يملكْ لسانَه يندمْ. ثم أنشدني: (البسيط)

عوِّدْ لسانَك قولَ الخيرِ تحظَ به ... إنَّ اللسانَ لما عوَّدتَ معتادُ

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٢/ ٧٦٦. وثمة مصادر أخرىٰ أوردتها ونسبتها إلىٰ علىٰ بن الحسين أو إلىٰ زيد بن علي (انظرها في مواضعها)، وفي جمل من أنساب الأشراف ٤/ ١١١: (وكان محمد بن علي [بن عبد الله بن عباس] يقول: شر الآباء من دعاه البر إلىٰ الإفراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلىٰ العقوق).

(٢) **صاحب الوصية**: في الأصل: جعفر بن علي. وهو خطأ؛ لأنه ليس ثمة جعفر بن علي سوىٰ ثلاثة؛ جعفر بن علي بن أبي طالب ﷺ وقد قتل شابًّا مع الحسين ﷺ سنة ٦١هـ (انظر: جمهرة النسب ٣٢٨، والمنتظم ٤/ ١٥٥). وجعفر بن علي بن محمد بن علي الرضي، وليس من بين أولاده عبد الله، ومات تخمينًا في أوائل القرن الرابع، إذ توفي ابنه عيسىٰ في رجب سنة ٣٥٤هـ. وابن ابنه علي بن جعفر بن علي بن جعفر (انظر: جمهرة أنساب العرب ٦١-٦٢) ولعل (محمد) ساقطة من الأصل. ولعل مما يؤيد ذلك أن جعفرًا الصادق أحد شيوخ سفيان الثوري (انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣١). خاصة وقد ورد قريب من صدر الخبر بين سفيان الثوري وجعفر الصادق في بهجة المجالس ٣/ ١٢٧.

مـوكَّلٌ بتقاضـي مـا سـننتَ لـه ... في الخيرِ والشرِّ فانظرْ كيف ترتـادُ[١]

قال: فقلت: فما الثلاثُ الأخرُ؟ قال: قال أبي: إنما يُتَّقىٰ حاسدُ نعمةٍ، أو شامتٌ بمصيبة، أو حاملُ نميمةٍ)[٢].

[٢٨٣] قال مروان بن الحكم[٣] لابنه عبد العزيز[٤]:

---

(١) موكل: ضامن. تقاضي: طلب. سننت له: عوَّدته وروضته عليه. ترتاد: تطلب وتسير. وقد مضىٰ تخريج الأبيات في الوصية ٢٤٧.

(٢) **التوثيق:** وردت الوصية في الجليس الصالح الكافي ١/ ٥٨٤ بسند متصل إلىٰ جعفر الصادق، وجاء أول الخبر فيه: (... عن علي بن يوسف المدائني، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول: دخلت علىٰ أبي عبد الله جعفر بن علي ﷺ، فقلت: يا بن رسول الله أوصني، فقال: يا سفيان! لا مروءة لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا خلَّة لبخيل، ولا إخاء لملول، ولا سؤدد لسيئ الخلق، قلت: يا بن رسول الله، زدني، قال: يا سفيان! كُفَّ عن محارم الله تكُن عابدًا، وارضَ بما قسم الله لك تكن مسلمًا، واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنًا، ولا تصحب الفاجر فيعلِّمك من فجوره، وشاور في أمورك الذين يخشون الله تعالىٰ، فقلت: يا بن رسول الله: زدني، قال: يا سفيان! من أراد عزًّا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان، فليخرج من ذل معصية الله تعالىٰ إلىٰ طاعة الله ﷻ، قلت: يا بن رسول الله زدني...).، وقد وردت في عين الأدب والسياسة ٢٥٠ دون تلك المقدمة منسوبة إلىٰ علي بن الحسين. (انظرها في وصاياه). وروايتها بالسند إلىٰ جعفر الصادق في مصدر متقدم كثيرًا علىٰ المصدر الآخر تجعل نسبتها إلىٰ والده أولىٰ.

(٣) **صاحب الوصية:** مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي، ولد بمكة، كان ذا شهامة وشجاعة ودهاء، ولي إمرة المدينة لمعاوية غير مرة. بويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، وتوطد له الملك بعد هزيمة الضحاك بن قيس، ومات في أول رمضان سنة ٦٥هـ بعد تسعة أشهر من استتباب الأمر له.

انظر: المعارف ٣٥٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٧٦. وانظر ترجمة ابنه عبد العزيز عند وصيته لابنه.

(٤) **مناسبة الوصية:** لما انصرف مروان بن الحكم من مصر بعد استيلائه عليها إلىٰ الشام استعمل ابنه عبد العزيز عليها، وقال له ذلك حين ودَّعه.

(أرسلْ[١] حكيمًا ولا توصِهِ. أي بُنيَّ، انظرْ إلىٰ عُمَّالِك[٢]، فإن كان لهم عندك حقٌّ غدوةً فلا تؤخِّرْهم[٣] إلىٰ عشيَّةٍ، وإن كان لهم عشيةً فلا تؤخرْهم إلىٰ غدوة[٤]، وأعْطهم حقوقَهم عند محلِّها تستوجبْ بذلك الطاعةَ منهم. وإياك أن يظهرَ لرعيتك منك كذبٌ، فإنهم إن ظهر لهم منك كذبٌ لم يصدِّقوك في الحق[٥].

واستشرْ جلساءك وأهلَ العلم، فإن لم يستبنْ لك فاكتب إليَّ يأتك رأيي فيه إن شاء الله تعالىٰ[٦]. وإن كان بك غضبٌ علىٰ أحدٍ من رعيتك فلا تؤاخذْه[٧] به عند سَورةِ الغضب، واحبس عنه عقوبتَك حتىٰ يسكنَ غضبُك، ثم يكون منك

(١) في عين الأدب والسياسة: إنه يقال: أرسل، وهو مثل معروف، وهو شطر بيت تمامه:

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصه

وقد ورد ضمن أبيات اختلف في نسبتها. (انظر الخلاف فيها في شعر عبد الله بن معاوية ٥١-٥٣ والحماسة البصرية ٢/ ٩١٣). وقد ورد المثل في كتاب الأمثال لأبي عبيد ٢٥٢، وجمهرة الأمثال ١/ ٩٨، والمستقصىٰ ١/ ١٤٠، ومجمع الأمثال ٢/ ٥٢، وقال: (إنه يقال: إن هذين المثلين (هذا وقولهم: أرسل حكيمًا وأوصه) للقمان الحكيم قالهما لابنه) وقد علق أبو عبيد علىٰ المثل قائلًا: (يقول: إن عقله وأدبه يغنيك عن وصاته بعد أن يعرف الحاجة)، وعلق الزمخشري بقوله: (لأنه يعرف بحكمته ما فيه صلاحك، وهو يضرب في تخيُّر الرسول).

(٢) في سائر المصادر: وانظر -أي بني- إلىٰ أهل عملك.

(٣) في نهاية الأرب: فلا تؤخره. وأثبت محققو العقد هذه الرواية اعتمادًا عليه وعلىٰ نسخة عندهم، وأشاروا إلىٰ أن سائر النسخ عندهم كما أثبت. وفي عين الأدب: فإن حلَّ لهم قِبَلَك حق غدوة فلا تؤخره عنهم إلىٰ العشي.

(٤) انظر: التعليق السابق. وفي عين الأدب والسياسة: وإن حلَّ لهم عشية فلا تؤخره عنهم إلىٰ غد.

(٥) في عين الأدب والسياسة: فإنهم إن جرَّبوا عليك الكذب... الحق. وزاد: ولا تحابينَّ في القضاء قريبًا ولا بعيدًا، واقضِ في ذلك بالحق.

(٦) في التذكرة الحمدونية: فإن لم يتبيَّن لك الرأي فاكتب إليَّ لأرىٰ لك فيه. وفي عين الأدب والسياسة: فإن لم يستبن لهم.

(٧) في التذكرة الحمدونية: وإياك إن كان... أن تؤاخذه. سورة الغضب: شدَّته وحدته وهياجه.

ما يكون وأنت ساكنُ الغضبِ منطفئُ الجمرةِ[1]؛ فإن أولَ من جعلَ السجنَ كان حليمًا ذا أناة[2]. ثم انظر إلىٰ أهل الحسبِ والدِّينِ والمروءةِ، فليكونوا أصحابَك وجُلساءَك[3]، ثمَّ اعرفْ منازلَهم منك علىٰ غير استرسالٍ[4] ولا انقباضٍ، أقولُ[5] هذا وأستخلفُ الله عليك)[6].

[٢٨٤] عن عبد العزيز بن مروان قال:

(أوصاني مروان قال: لا تجعلْ لداعي الله عليك حجَّةً، وإذا وعدت ميعادًا فانزل عنده ولو ضُربتَ به علىٰ حدِّ السيفِ، وإذا رأيت أمرًا فاستشر فيه أهلَ العلم بالله ﷻ وأهلَ مودتِك، فأمَّا أهلُ العلمِ فيهديهم الله ﷻ إن شاء، وأمَّا أهلُ مودتِك فلا يألونك نصيحةً)[7].

[٢٨٥] قال مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز[8]:

---

(١) في عين الأدب والسياسة: ثم ليكُن منك ما كان إليه... الحيرة. والكلمة الأخيرة مصحفة عن الجمرة. وجمرة الغضب: شدته.

(٢) في المصدر السابق: جعل الحبس. والأناة: الحلم والوقار، والرفق.

(٣) في المصدر السابق: أهل... والمروءة والعقول، فليكونوا جلساءك وأهل دخلتك. والدخلة: باطن الأمر، والمعنىٰ: ليكونوا خاصتك القريبين منك.

(٤) في التذكرة الحمدونية وعين الأدب والسياسة: منك علىٰ غيرهم بلا استرسال. والاسترسال: الانبساط والاستئناس.

(٥) في التذكرة الحمدونية: أقول قولي هذا.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ١/ ٥٨-٥٩، كما وردت في التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣، ونهاية الأرب ٦/ ٤٢، وعين الأدب والسياسة ١٧١.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في وصايا العلماء عند حضور الموت للربعي ١٠٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ١٩٣. ولا يألونك: لا يقصِّرون في حقك.

(٨) **مناسبة الوصية**: (قال عبد العزيز بن مروان: أوصاني مروان حين ودَّعته عند مخرجه من مصر إلىٰ الشام فقال: ...).

(أوصيك بتقوىٰ الله في سرِّ أمرِك وعلانيتك[1]، فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وأوصيك بألَّا تجعلَ لداعي الله عليك سبيلًا، فإنَّ المؤذنين يدعون[2] إلىٰ فريضةٍ افترضها الله عليك، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]، وأوصيك بألَّا تَعِدَ الناس موعدًا إلَّا أنفذته وإن حُمِلْتَ[3] علىٰ الأسنة، وأوصيك بألاَّ تعجلَ في شيءٍ من الحكم حتىٰ تستشير، فإن الله ﷻ لو أغنىٰ أحدًا عن ذلك لأغنىٰ نبيَّه محمدًا ﷺ عن ذلك بالوحي الذي يأتيه، قال الله ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩])[4].

[٢٨٦] قال مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز[5]:

(يا بنيَّ، عُمَّهم بإحسانِك يكونوا كلُّهم بني أبيك، واجعلْ وجهَك طلقًا[6] تصفُ لك مودتُهم، وأوقعْ[7] إلىٰ كلِّ رئيس منهم أنَّه خاصتُك دون غيرِه يكُنْ عَينًا لك علىٰ غيره، وينقاد قومُه إليك، وقد جعلتُ معك أخاك بِشْرًا[8] مؤنسًا، وجعلتُ لك موسىٰ

---

(١) في الخطط المقريزية: وعلانيته.

(٢) في المصدر السابق: فإن المؤذن يدعو.

(٣) في المصدر السابق: وإن حملته. والأسنة: الرماح.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الولاة والقضاة لأبي عمر الكندي ٤٧-٤٨، والخطط المقريزية ١/ ٢٠٩-٢١٠.

(٥) **مناسبة الوصية**: (أقام مروان بمصر شهرين، ثم جعل ولاية مصر إلىٰ ابنه عبد العزيز؛ جعل إليه صلاتها وخراجها، فقال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلدٍ ليس به أحد من بني أبي؟ فقال له مروان: ...).

(٦) طَلْق الوجهُ: تهلَّل واستبشر.

(٧) أوقع إليه: أشعره وحسَّسه.

(٨) هو بشر بن مروان بن الحكم الأموي، ولي العراق لأخيه عبد الملك بعد قتل مصعب بن الزبير، كان جوادًا حازمًا، توفي بالبصرة سنة ٧٥هـ وله نيف وأربعون سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٥، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٩٥، والوافي ١٠/ ١٥٢.

بن نصير[1] وزيرًا ومشيرًا، وما عليك يا بُني أن تكون أميرًا بأقصىٰ الأرض، أليس ذلك أحسنُ من إغلاقِ بابك وخمولِك[2] في منزلك؟!)[3].

[٢٨٧] قال مروان بن الحكم لابنه يوصيه:

(آثِرِ الحقَّ وحصِّنْ مملكتَك بالعدل، فإنَّه سورُها[4] المنيعُ الذي لا يغرقه ماءٌ، ولا تحرقه نارٌ، ولا يهدمُه منجنيق)[5].

[٢٨٨] وأمر مروان [بن الحكم] عبد الملك[6] بتقوى الله وقال له:

(مرْ حاجبَك أن يخبرَك بمن يحضرُ بابَك في كلِّ يوم[7]، فتأذن أو[8] تحجب. وآنِسْ من يدخل عليك بالحديث يبسطوا إليك[9]، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك أمرٌ[10]، فإنَّك علىٰ العقوبةِ إذا أردتَها أقدرُ منك علىٰ ارتجاعِها إذا أمضيتَها)[11].

(١) أبو عبد الرحمن اللخمي، ولي إفريقية سنة ٧٩هـ وتولىٰ - مع مولاه طارق بن زياد - فتح الأندلس، كما فتح بلادًا عدة، كان ذا رأي وحزم وتدبير، توفي سنة سبع أو تسع وتسعين بوادي القرىٰ.
انظر: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ١٤٦، وجذوة المقتبس ٣٣٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٦.

(٢) خمل الرجل خمولاً: خفي فلم يُعرف ولم يُذكر.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الولاة والقضاة ٤٧، والخطط المقريزية ١/ ٢٠٩.

(٤) في مواسم الأدب: ملكك... سوره.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٣/ ٤٥، والتذكرة الحمدونية ١/ ٤٣٣، ومواسم الأدب ٢/ ١٦٥، والمنجنيق: آلة حربية لرمي الحجارة وهدم الأسوار.

(٦) **مناسبة الوصية**: حين ولاه فلسطين.

(٧) في بهجة المجالس: يخبرك من حضر بابك كلَّ يوم.

(٨) في المصدر السابق: فتكون أنت تأذن و.

(٩) في المصدر السابق: وآنس من دخل... فينبسط إليك.

(١٠) في المصدر السابق: الأمر.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٦/ ٢٥٨، وقال بعدها: (ويقال إنه أوصىٰ بهذه الوصية عبد العزيز حين ولاه مصر. والأول أثبت). كما وردت في بهجة المجالس ١/ ٢٦٧ وفيه: قال مروان لابنه عبد العزيز حين ولاه مصر. ووردت في رسائل الجاحظ ٢/ ٣٨ بأوسع مما هنا علىٰ أن عبد الملك بن مروان أوصىٰ بها أخاه عبد العزيز حين ولاه مصر!

[٢٨٩] قال مصعب بن الزبير[١] لابنه:

(تعلَّمِ العلمَ، فإن يكن لك مالٌ كان لك جمالًا، وإن لم يكن لك مالٌ كان لك مالًا)[٢].

[٢٩٠] وأوصى مضرِّس بن ربعيٍّ[٣] ابنه فقال:

(يا بني، إن الأسفَ[٤] مرضٌ، والطمعَ لؤمٌ، واليأسَ عجزٌ، فاسْلُ[٥] عما فاتَ، واحرصْ فيما تستقبلُ، وفكِّرْ ثم قَدِّرْ[٦]، ثم احضرْ[٧])[٨].

[٢٩١] وقال مطرف بن عبد الله[٩] لابنه:

---

(١) **صاحب الوصية**: مصعب بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، كان فارسًا شجاعًا جميلاً جوادًا، تولىٰ العراقين لأخيه عبد الله حين دعا لنفسه بالخلافة، وقتل في معركة بينه وبين عبد الملك بن مروان في جمادىٰ الأولىٰ سنة ٧٢هـ.

انظر: جمل من أنساب الأشراف ٧/ ٨٣، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٠.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في أدب الدنيا والدين ٤٨. وقد نسبت إلىٰ عبد الملك بن مروان (انظر وصاياه) وإلىٰ عبد الله بن مصعب الزبيري.

(٣) **صاحب الوصية**: مضرس بن ربعي بن لقيط بن خالد بن الأشتر الأسدي. شاعر محسن متمكن، لقي الفرزدق في مربد البصرة وجرىٰ بينهما كلام عرَّض فيه كلٌّ منهما بقبيلة الآخر.

انظر: المؤتلف والمختلف ١٩١، ومعجم الشعراء ٣٠٧، والتنبيه للبكري ١٢١.

(٤) **الأسف**: الحزن وشدة الندم.

(٥) **سلا عنه**: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

(٦) **قدَّر**: تمهَّل وفكَّر في تسوية أمر وتهيئته.

(٧) **أحضر ذهنه للأمر**: وجهه إليه. وأحضر الرجل والفرس: عدا وأسرع. والمراد: المبادرة.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٣٣.

(٩) **صاحب الوصية**: مطرف بن عبد الله بن الشخِّير بن عوف الحرشي العامر البصري، كان ثقة له فضلٌ وورع ورواية وعقل وأدب، كما كان ذا منزلة عند الخلفاء والأمراء، توفي بالبصرة سنة ٨٧هـ وقيل سنة ٩٥هـ.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ١٤١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٤٠٠.

وابنه لعله عبد الله المصرَّح به في الوصية التالية، يكنىٰ أبا جزء، روىٰ الحديث وذكره ابن حبان في الثقات، ومات قبل والده. انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٣٥.

وإن المنبتَ لا أرضًا قطعَ ولا ظهرًا أبقىٰ)[1].

[٢٩٣] قال معاوية بن أبي سفيان[2] لابنه يزيد[3]:

(يا بني، ما أقدرَك علىٰ أن تصيرَ إلىٰ حاجتك من غير تهَتُّكٍ[4] يذهبُ بمروءتك

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في فصل المقال ١/ ١٣٨. وقد وردت باختصار في غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٤٢٩، وسنن الدارمي ١/ ١٠٠، وعيون الأخبار ١/ ١٣٨، ٣٢٧، والكامل ١/ ٣١٦، والظرف والظرفاء ٨٤، والعقد ٢/ ٣٦٤، والأمالي ٢/ ٩٨، وتهذيب اللغة ٣/ ٣٨٣، ونثر الدر ٧/ ١٣١ (وقد فصل فيه بين جزأي الوصية بقوله: ومن كلامه) وحلية الأولياء ٢/ ٢٠٩، ومجمع الأمثال ٢/ ١٥٢. والفائق ٢/ ٢١١، والجامع لشعب الإيمان ٧/ ٤٦٧، وروىٰ قبلها حديثًا -حكم المحقق علىٰ إسناده بالضعف- (عن بعض أصحاب النَّبِيّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: العلم أفضل من العمل، وخير الأعمال أوسطها، ودين الله ﷻ بين القاسي (!) والغالي، والحسنة بين السيئتين، لا ينالها إلَّا بالله، وشر السير الحقحقة). وفي نثر الدر ٤/ ٢٠٧ -وفي المجالسة ٥/ ٣٠٢ قريب جدًّا منه-: (كان مطرف يقول: انظروا قومًا إذا ذكروا بالقراءة لا تكونوا منهم، وقومًا إذا ذكروا بالفجور لا تكونوا منهم، ولكن كونوا بين هؤلاء وهؤلاء)! وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «إنَّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغِّضوا إلىٰ أنفسكم عبادة الله، فإن المنبتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقىٰ». انظر: فتح الباري ١١/ ٢٩٧. وقد عُدَّ الجزء الأخير من الحديث من الأمثال النبوية. انظر: الأمثال لأبي عبيد ٣٦، المستقصىٰ ١/ ٤١٠، ومجمع الأمثال ١/ ١٠.

(٢) **صاحب الوصية**: معاوية بن أبي سفيان صخرِ بن حرب الأموي، أسلم عام الفتح، وكان كاتبًا -بعد ذلك- فيما بين النَّبِيّ ﷺ وبين العرب، ولاه عمر الشام وأقرَّه عثمان، تولىٰ الخلافة بعد صلحه مع الحسن بن علي رضي الله عنهما سنة ٤٠هـ، عرف بالدهاء والحلم، وتوفي بالشام منتصف رجب سنة ٦٠هـ.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٤٠٦، والمعارف ٣٤٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١١٩.

وابنه يزيد ولي الخلافة بعد أبيه، في عهده قتل الحسين رضي الله عنه واستبيحت المدينة، وتوفي سنة ٦٤هـ وهو ابن ثمانٍ وثلاثين.

انظر: فوات الوفيات ٤/ ٣٢٧، والبداية والنهاية ٩/ ٦٣٧، وتاريخ الخلفاء ٢٠٥.

(٣) **مناسبة الوصية**: (كان يزيد في حداثته صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث، فأحسَّ معاوية بذلك، فأحب أن يعظه في رفق فقال: ...).

(٤) **التهتُّك**: الافتضاح. وتهتَّك فلان: لم يبالِ أن يُهتك سترُه حين يرتكب خطأ.

وقَـدْرِك[(١)]. ثم قال: يا بني، إني منشدُك أبياتًا، فتأدبْ[(٢)] بها واحفظْها. فأنشده: (السريع)

انصبْ نهارًا في طلابِ العُلا	واصبْر علىٰ هجرِ الحبيبِ القريبْ
حتىٰ إذا الليلُ أتىٰ بالدجىٰ	واكتحلتْ بالغمضِ[(١)] عينُ الرقيبْ
فباشرِ الليلَ بما تشتهي	فإنما الليلُ نهارُ الأريبْ
كم فاسقٍ نحسبُه ناسكًا[(٢)]	قد باشرَ الليلَ بأمرٍ عجيبْ
غطّىٰ عليه الليلُ أستارَه	فباتَ في أمنٍ وعيشٍ خصيبْ
ولذةُ الأحمقِ مكشوفةٌ	يُشفَىٰ[(٣)] بها كلُّ عدوٍّ غريبْ[(٤)]

---

(١) أشار محققو البداية والنهاية إلىٰ أنه جاء بعده في نسخ أ ٦، أ ٣، م: ويشمت بك عدوك، ويسيء بك صديقك.

(٢) تأدب بها: رُضْ عليها نفسك واعمل حسب ما فيها من توجيه.

(١) الغمض: النوم.

(٢) الناسك: الزاهد المتعبد.

(٣) أشار محققو البداية والنهاية إلىٰ أنه ورد في أ ٦، م: يسعىٰ. كما ورد في أ ٦، أ ٣، م: عدو مريب.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٥/ ٤٠٣، -وعنه فيما يبدو- في البداية والنهاية ١١/ ٦٤١، وعلق ابن كثير بعدها بقوله: (قلت: وهذا كما جاء في الحديث: من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ﷺ) وقد وردت الأبيات -مع وصية- منسوبة إلىٰ يحيىٰ بن خالد البرمكي يوصي بها ابنه الفضل. انظرها في وصاياه، كما جاء في جمهرة الأمثال ٢/ ١٨١: (كتب عبد الله بن طاهر إلىٰ ابنه -وقد بلغه عنه إقبال علىٰ اللهو-: ...) وأورد الأبيات الأربعة. وفي فوات الوفيات ٤/ ٣٣٢-٣٣٣: (ولما تحقق معاوية أن يزيد يشرب الخمر عزَّ عليه ذلك وأنكر عليه وقال: إن رسول الله ﷺ قال: من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر، وإنك تقدر علىٰ بلوغ لذتك في ستر. فتماسَك [يزيد] عن الشرب ثم دعته نفسه لما اعتاده، فجلس علىٰ شرابه، فلما استخفه الخمر وداخله الطرب قال يشير إلىٰ أبيه:

أمن شربةٍ من ماء كرمٍ شربتها	غضبتَ عليَّ؟! الآن طاب لي السكرُ
سأشربُ فاغضبْ، لا رضيتَ، كلاهما	حبيبٌ إلىٰ قلبي: عقوقك والخمرُ)! =

[٢٩٤] قال معاوية ليزيد[١]:

(يا يزيد، اتقِ الله فقد وطَّأْتُ لك هذا الأمرَ، ووليتُ من ذلك ما وليت، فإن يكُ خيرًا فأنا أسعدُ به، وإن كان غير ذلك شقيتُ به، فارفقْ بالناس، وأغمضْ عما بلغك من قولٍ تُؤذىٰ به وتُنتقص به، وطَأْ عليه يهنِك عيشُك، وتصلحْ لك رعيتُك، وإياك والمناقشةَ وحملَ الغضب، فإنك تهلك[٢] نفسَك ورعيتَك، وإياك وَجبْهَ[٣] أهل الشرف، واستهانتَهم، والتكبُّرَ عليهم، لِنْ لهم لينًا بحيث لا يرون منك ضعفًا ولا خوَرًا[٤]، وأوطئهم فراشك، وقرِّبهم فإنه يُعلم لك حقَّك، ولا تُهِنْهُم، ولا تستخفَّ بحقهم فيهينوك ويستخفون بحقك ويقولون فيك.

فإذا أردت أمرًا فادع أهل السنِّ والتجربةِ[٥] من أهل صنائعي والانقطاع إليَّ، فشاورهم ثم لا تخالفهم، وإياك والاستبدادَ برأيك؛ فإن الرأيَ ليس في صدر واحد.

اصدُقْ من أشار عليك حتىٰ يجيبك علىٰ ما يعرف، ثم أطِعْه فيما أشار به، واخْزُن[٦] ذلك عن نسائك وخدمك.

=وقد نقل ذلك محقق ديوان يزيد بن معاوية ٥٣، وعلق عليه بقوله: (لم يذكر [ابن شاكر] مصدره. ولم تذكر المصادر قط أن يزيد تطاول علىٰ أبيه)! قلت: ورد البيتان في عيون الأخبار ١/ ٩٣، وربيع الأبرار ٣/ ٥٧٥، والمناقب والمثالب لأبي الوفاء الخوارزمي ٣٥٥، والتذكرة الحمدونية ٨/ ٤٠٤، والمستطرف ٣٩٨ (وكلها سوىٰ المصدرين الأخيرين عن الأصمعي)، وفيها: (عاتب أعرابي ابنه في شرب النبيذ، فلم يُعْتِبْ «لم يطلب رضا والده بترك الشراب»، وقال: ...). وعقَّب صاحب المستطرف بقوله: (وقيل: قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر).

(١) **مناسبة الوصية**: (قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت: ...).

(٢) في مختصر تاريخ دمشق: تملك.

(٣) في مختصر تاريخ دمشق: وجفوة. الجَبْه: الرد عن الحاجة، والاستقبال بكلام فيه غلظة.

(٤) في مختصر تاريخ دمشق: جورًا. الخور: الضعف والانكسار.

(٥) في مختصر تاريخ دمشق: ذوي السنين والتجربة.

(٦) اخزن: امنع واحبس.

وشَمِّر إزارك[١]، وتعاهدْ جندك، وأصلحْ نفسك يصلحْ لك الناسُ، لا تدعْ لهم فيك مقالًا؛ فإن الناسَ سُرَّاعٌ إلىٰ الشر.

واحضر الصلاة.

فإنك إذا فعلت ما أوصيتك به عَرفَ الناسُ لك حقَّك، وعظمتَ مع مملكتِك.

وشرِّفْ أهل المدينة ومكة؛ فإنهم أصلُك وعشيرتُك ونسبك، وشرِّف أهل الشام؛ فإنهم أنصارُك وحماتُك وجندُك الذين تصول بهم[٢] أهل طاعة. واكتبْ إلىٰ أهل الأمصار بكتابٍ تعدُهم منك المعروف؛ فإن ذلك يبسطُ آمالهم، ووفِّدْ عليك من الكُوَرِ[٣] كلِّها فأحسن إليهم وأكرمهم؛ فإنهم لمن وراءهم، ولا تسمعنَّ قولَ قارفٍ ولا مَاحِلٍ[٤]؛ فإني رأيتهم وزراءَ سوءٍ)[٥].

[٢٩٥] قال معاوية لابنه يزيد[٦]:

---

(١) شمِّر إزارك: جدَّ في أمرك.

(٢) تصول: تسطو وتقهر.

(٣) الكور: جمع كورة وهو الصقع والبقعة التي يجتمع فيها قرىٰ ومحالّ.

(٤) القاذف: المتكلم بالناس من غير تدبر ولا تأمل. والماحل: من مَحِل به إلىٰ ذي سلطان محلًا: مشىٰ له بسعاية كيدًا.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (تحقيق ودراسة: الدكتور عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق -الطائف، السعودية، ط ١، سنة ١٤١٦هـ) عن الواقدي، وعن الطبقات في تاريخ ابن عساكر، والبداية والنهاية ١١/ ٦٤٤-٦٤٥)، وقيد الشريد في أخبار يزيد لابن طولون، ولم تبرأ طبعتاه من تصحيفات. وقد ورد جزء من صدرها: (اتقِ الله... فارفق بالناس وإياك وجَبْهَ أهل الشرف والتكبُّر عليهم) في سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥٩، وقال الذهبي بعده: (... في كلام طويل أورده ابن سعد)، وفي تاريخ الإسلام (وفيات ٤٠-٦٠)/ ٣١٦. وفي مجمع الأمثال ٣/ ٩٢: (وقال معاوية ليزيد عند وفاته: تشمّر كل التشمير، والبس لابن الزبير جلد النمر)! وهذا جزء من وصية عبد الملك بن مروان لبنيه عند وفاته، ولعل ما جاء في الوصية من قوله: (وشمر إزارك) أوجد اللبس في نسبتها لمعاوية!

(٦) **مناسبة الوصية**: حين رآه يضرب غلامًا له.

(أتفسدُ[1] أدبَك بتأديبِه؟!)[2].

[٢٩٦] قال معاوية لابنه يزيد[3]:

(يا بني، كيف لا يسعُ حلمُك من تضربُه فلا يمتنعُ منك؟!)[4].

[٢٩٧] قال معاوية ليزيد:

(يا بني، اتخذِ المعروفَ[5] عند ذوي الأحساب[6] لتستميلَ[7] به مودتَهم، وتعظمَ به في أعينِهم، وتكفَّ به عنك عاديتَهم[8]، وإياك والمنعَ فإنه مفسدةٌ[9] للمروَّةِ، وإزراءٌ بالشريفِ)[10].

[٢٩٨] وقال معاوية لابنه يزيد:

(إذا وَلِيْتَ فابسط الخير، فإنه يعفِّي علىٰ العيبِ، واتقِ الله يَقِك، وإياك والقتلَ،

---

(١) في البصائر والتذكرة الحمدونية: لا تفسد.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ١/ ٢٨٤، والبصائر والذخائر١/ ٢١٩، والتذكرة الحمدونية ١/ ٤١٥. وقد جاء بعدها في عيون الأخبار: (فلم يُرَ -يزيد- ضاربًا غلامًا له بعد ذلك).

(٣) **مناسبة الوصية**: حين رآه يضرب غلامًا.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ١٦/ ١٠٠.

(٥) في بهجة المجالس: اتخذ المعروف منالاً عند. ولعل الكلمة مصحفة عن: منارًا.

(٦) في التذكرة الحمدونية: عند ذوي الإحسان! ولعله تصحيف.

(٧) في نثر الدر وبهجة المجالس والتذكرة الحمدونية: تستملْ به. وصحفت في بهجة المجالس إلىٰ: تشتمل!

(٨) في بهجة المجالس: وتكفَّ به عاديهم.

(٩) في بهجة المجالس: وإياك والمنع فإنه ضد المعروف. وإزراء: عيب.

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٥/ ٣٣، وبهجة المجالس ١/ ٣٠٦ (باختصار يسير). كما وردت -(دون الجملة الأخيرة: (وإياك... بالشريف)- في نثر الدر ٣/ ٤١، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٧٠.

فإن الله قتّال للقاتلين)[1].

[٢٩٩] قال معاوية ليزيد:

(إن كنتَ بعدي -وكنْه- فابدأْ بالخير، فإنه يعفِّي على الشرِّ، وما صنعتَ من شيءٍ فاجعلْ بينك وبين الله سترًا ترجوه له، وتأملُه به. وإياك والقتلَ فإنَّ الله قاتلُ القاتلين)[2].

[٣٠٠] قال معاوية لابنه يزيد:

(أعطِ من أتاك صادقًا بما تكرهُ، كما تعطي من أتاك بما تحبُّ، واعلمْ أنَّه إذا أعطى الأميرُ على الهوى لا على الغنى[3] فسدَ ملكُه)[4].

[٣٠١] قال معاوية ليزيد[5]:

(إنَّ لك من أهل المدينة يومًا، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإني عرفت نصيحته)[6].

[٣٠٢] كان معاوية أوصى يزيد:

(إن رابك من قومك رَيْبٌ، أو انتقضَ عليك منهم أحدٌ فعليك بأعورِ بني مُرَّةَ

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٣/ ٤٠. ويعفِّي: يغطي ويستر.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٣/ ٣٩.

(٣) **هكذا**، ولعله: الغناء، أي النفع والفائدة.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ١/ ٣٣٥. وقد ورد في سراج الملوك ١/ ٢٩٤: (وقال بعض الملوك: أعط من أتاك بما تكره... تحبُّ، فإنَّ من أنذر كمن بشَّر)، والكلام ذاته في بدائع السلك ١/ ٥٣ وفيه: أنذرك، بشرك.

(٥) **مناسبة الوصية**: (لما احتضر معاوية دعا يزيد فقال له: ...).

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في فتح الباري ١٣/ ٧٠ وقال في صدرها: (واخرج أبو بكر بن أبي خيثمة بسند صحيح...).

فاستشرْه. يعني: مسلمَ بنَ عقبة)[١].

[٣٠٣] قال معاوية ليزيد[٢]:

(قد وطأتُ لك البلادَ، وفرشت لك الناسَ، ولستُ أخاف عليك إلَّا أهل الحجاز، فإن رابَك منهم ريبٌ فوجِّه إليهم مسلمَ بنَ عقبة، فإني قد جرَّبْته غير مرة، فلم أجد له مثلًا؛ لطاعته ونصيحته)[٣].

[٣٠٤] وقال [معاوية] لولده:

(كن مقدِّرًا، ولا تكن مقتِّرًا)[٤].

[٣٠٥] وقال معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد[٥]:

(قد وطأتُ لك الأمورَ فانظر إلىٰ كل ذي شرفٍ من كلِّ جنسٍ فواجههم وقرِّبْهم وأحسنْ إليهم، فإنَّهم أشكرُ الناسِ إن أُعطوا، وأصبرُهم إن جُفوا)[٦].

[٣٠٦] وقال [معاوية] ليزيد ابنه:

(قد تبلغُ بالوعيدِ ما لا تبلغُ بالإيقاعِ، وإياك والقتلَ، فإن الله قاتلُ القتالين)[٧].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ٦٤، وقال في صدرها: (قال أبو معشر حدثنا رجل...).

(٢) **مناسبة الوصية**: لما حضر معاوية الموت.

(٣) وردت الوصية في المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٩٠، ١٤/١٧٨. وعنه في فتح الباري ١٢/ ٧١، وفيه: ومهَّدت لك الناس... جربته، وعرفت نصحه.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في غرر الخصائص الواضحة ٣٠٦.

(٥) **مناسبة الوصية**: لما بايع له.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في نصيحة الملوك للماوردي ٢٤٠-٢٤١.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ١٥/ ١٠٢.

[٣٠٧] قال معاوية لبنيه:

(يا بني، إنَّكم تجارةُ قومٍ لا تجارةَ لهم غيرَكم، فلا يكُن تجارٌ أربحَ من تجارِكم، فإن أدنىٰ ما يرجعُ به الخائبُ عنكم تخطئةُ ظنِّه بكم)[١].

[٣٠٨] قال معاوية ليزيد[٢]:

(يا بني، من خَدَعَكَ فانخدعتَ له فقد خدعتَه)[٣].

[٣٠٩] قال معاوية ليزيد[٤]:

(أتضربُ من لا يمتنعُ منك؟! والله لقد حالتِ القدرةُ بيني وبين أولي التِرات)[٥].

[٣١٠] قال معاوية لابنه[٦]:

(إياك -يا بني- والتشفِّي ممن لا يمتنعُ منك، فوالله لقد حالت القدرةُ بين أبيك وبين ذوي تراتِه)[٧].

[٣١١] وقال [معاوية] ذات يوم لابنه يزيد:

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المجتنىٰ ٥٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٧٠، والذي ذكر لمعاوية من الأبناء -غير يزيد- عبد الله وكان يضعّف (انظر نسب قريش ١٢٨). فهل كان ابناه هما من يخاطبهما بالوصية؟!

(٢) **مناسبة الوصية**: : (لما أمضىٰ معاوية بيعة يزيد قال يزيد: يا أبت ما أدري أنخدع الناس أم يخدعوننا بما يأخذون منا؟ فقال معاوية: ...).

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في محاضرات الأدباء ١/ ٢٥.

(٤) **مناسبة الوصية**: (نظر -معاوية- يومًا إلىٰ يزيد ابنه يضرب غلامًا له فقال: ...).

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل المنسوب للمبرد ٨٨. وانظر الوصية الآتية.

(٦) **مناسبة الوصية**: حين رأىٰ معاوية يزيد ضرب غلامًا له.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في التذكرة الحمدونية ٢/ ١٣٨.

(لا تستفسدِ الحرَّ فسادًا لا تصلحُه أبدًا. قال: بماذا؟ قال: لا تشتمنَّ له عرضًا، ولا تضربنَّ له ظهرًا، فإنَّ الحرَّ لا يرىٰ الدنيا عوضًا من هذين، ولكن خذْ ماله، ومتىٰ شئتَ أن تصلحَه فمالٌ بمالٍ)[1].

[٣١٢] قال معاوية لابنه يزيد:

(سوءةً لك، أتضربُ من لا يستطيعُ أن يمتنعَ عليك؟ والله لقد منعتني القدرةُ [من الانتقامِ] من ذوي الإحَنِ، وإنَّ أحقَّ من عفا لَمَنْ قَدِرَ)[2].

[٣١٣] وقال معاوية لابنه يزيد:

(عليك بالحلمِ والاحتمالِ حتىٰ تمكنَك الفرصةُ، فإذا أمكنتك فعليك بالصفح، فإنه يدفعُ عنك معضلاتِ الأمور، ويقيك مصارعَ المحذور)[3].

[٣١٤] قال معاوية لابنه يزيد[4]:

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٣/ ١٤.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ دمشق ٦٥/ ٤٠١ وعنه في البداية والنهاية ١١/ ٦٤٠.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في نهاية الأرب ٦/ ٥٠.

(٤) **مناسبة الوصية**: (قيل: كان لعبد الله بن الزبير أرض متاخمة لأرضٍ لمعاوية بن أبي سفيان، قد جعل فيها عبيدًا له من الزنوج يعمرونها، فدخلوا علىٰ أرض عبد الله [بن الزبير]، فكتب إلىٰ معاوية «أما بعد يا معاوية فَانْهَ عبدانَك عن الدخول في أرضي، وإلا كان لي ولك شأن»، فلما وقف معاوية علىٰ الكتاب دفعه إلىٰ ابنه يزيد، فلما قرأه قال له: يا بني ماذا ترىٰ؟ قال: أرىٰ أن تنفذ إليه جيشًا أوله عنده وآخره عندك، يأتونك برأسه. قال أوَخير من ذلك يا بني؟، عليَّ بدواة وقرطاس، فكتب إليه: «وقفت علىٰ كتاب ابن حواري رسول الله ﷺ وآله، وساءني ما ساءه، والدنيا بأسرها عندي هيِّنة في جنب رضاه، وقد كتبت علىٰ نفسي صكًّا بالأرض والعبدان له، وأشهدتُ عليَّ فيه، فليستضفها مع عُبدانها إلىٰ أرضه وعبيده، والسلام»، فلما وقف عبد الله علىٰ كتاب معاوية كتب إليه: «وقفت علىٰ كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فلا عدم الرأي الذي أحلَّه من قريش هذا المحل، والسلام»، فلما وقف معاوية علىٰ كتاب عبد الله، رماه إلىٰ ابنه يزيد، فلما قرأه اصفر وجهه فقال له: يا بني إذا بليت بمثل هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء).

(يا بني، إذا بليتَ بمثلِ هذا الداءِ فداوِه بمثلِ هذا الدواءِ)[1].

[٣١٥] قال معاوية لابنه يزيد:

(يا بني[2]، لقد ذللتُ لك الشِّدَّةَ، ومنحتك اللينَ، وتحمَّلتُ دونك الغلظةَ، وقد ولَّيتُك أمرًا عظيمًا من أمرِ الأمة، وليس حيٌّ من أحياء العرب إلَّا وله عندي تِرَةٌ[3] قد كنت أشغلُه عنها بحسن الوِفَادَةِ، وجزيلِ الرِّفدِ[4]، حتىٰ تركت قلوبَهم كالطينة المؤتَّثَةِ[5] فلا تخالفنَّ فعلي فيهم، فعليك بإدرارِ[6] عطيتِك، ومباشرةِ أمورِك، ولا تشغل نفسَك بمفاكهة الإماء ومداعبتِهن، فإن ذلك من فِعْلِ ضَعَفَةِ الرجال. وانظر هؤلاء الأربعةَ من قريش، أمَّا الحسين بن علي فإني قد أوصيتك فيه بحفظِ قرابتِه، ورعايةِ حقِّ رحِمه، فإن القلوبَ إليه جانحةٌ، فاجعل له عند ظَفَرِكَ نصيبًا من رحمك، واطوِ كَشْحًا[7] عن ابنِ عمر، وابنِ أبي بكر، فإنهما كمثل الهِقْلِ[8]، لا يحمل ثِقْلًا، ولا يُجْمِعُ نهوضًا، وأمَّا ابنُ الزبير فكالثعلبِ رَاوَغَ[9] بالحيلة، وكالليث صَال بالجراءةِ[10])[11].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ٢٣-٢٤، وتهذيب الرياسة ٢٣١-٢٣٢.

(٢) **مناسبة الوصية**: (لما أخذ معاوية البيعة ليزيد، قال له: ...).

(٣) ترة: حقد وثأر.

(٤) حسن الوفادة: حسن الاستقبال له حين يقدم. وجزيل الرفد: عظيم العطاء.

(٥) المؤتثة: المرنة.

(٦) إدرار: استمرار وكثرة.

(٧) الكشح في الأصل: ما بين الخاصرة والضلوع، ويقال: طوىٰ كشحًا علىٰ الأمر، أضمره وستره. وطوىٰ عنه كشحه: تركه وأعرض عنه.

(٨) الهقل: الفتيُّ من النعام، يجمع: يحكم.

(٩) في الأصل: رواغَ. ورَاوَغَ: خادع.

(١٠) صال: سطا. جرؤ علىٰ الشيء جرأة وجراءة أقدم عليه فهو جريء.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في تهذيب الرياسة ٢٦٧.

[٣١٦] قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ لابنه يزيد[١]:

(يا بني[٢]، قد جاءَ أمرُ الله، وهذا أوانُ هلاكي، فما أنت صانعٌ بهذه الأمة من بعدي؟[٣]، فمن أجلِك آثرتُ الدنيا علىٰ الآخرة، وحملتُ الوِزْرَ[٤] علىٰ ظهري لتعلوَ بني أبيك.

قال يزيد: آخذُهم بكتابِ الله وسنةِ نبيه ﷺ، آخذُهم به، وأقتلُهم عليه.

فقال: أولا[٥] تسيرُ بسيرةِ أبي بكرٍ الذي قاتلَ أهلَ الرِّدَّةِ، ومضىٰ والأمةُ عنه راضون؟

قال: لا، إلَّا بكتابِ الله وسنةِ نبيِّه، آخذُهم به، وأقتلُهم عليه.

قال: أولا تسيرُ بسيرةِ عمرَ الذي مصَّرَ الأمصارَ، وجَنَّدَ الأجنادَ، وفرضَ العطيةَ[٦]، وجَبَىٰ الفَيْءَ[٧]، وقاتلَ العدوَّ، ومضىٰ والأمةُ عنه راضون.

قال: لا، إلَّا بكتابِ الله وسنةِ رسولِه، آخذُهم به، وأقتلُهم عليه.

قال: أولا تأخذُ بسيرةِ عثمانَ عمِّك الذي أكلَ في حياتِه، ووَرَّثَ[٨] في مماتِه، واستعملَ أقاربَه؟

---

(١) **مناسبة الوصية:** (لما ثقل معاوية، بعث إلىٰ يزيد -وهو في ضَيَاعِه (جمع ضيعة، وهي الأرض المُغِلَّة)- فأتاه غلام له يقال له عجلان، فأخبره بثِقَل أبيه فأقبل... فلما دخل علىٰ معاوية خلا (!) به وأخرج عنه أهل بيته وقال: ....). التعازي والمراثي وأخبار أبي القاسم الزجاجي.

(٢) في أخبار الزجاجي: يا يزيد!

(٣) في التعازي والمراثي وأخبار الزجاجي: الأمة بعدي.

(٤) الوزر: الإثم والذنب.

(٥) في أخبار الزجاجي: ويحك ألا.

(٦) في التعازي: الأعطية.

(٧) الفيء: الغنيمة تنال بلا قتال.

(٨) في أخبار الزجاجي: وأطعم.

قال: لا، إلَّا بكتابِ الله وسنةِ نبيه، آخذُهم به، وأقتلُهم عليه.

قال: أولا تسيرُ بسيرةِ أبيك الذي أكلَ في حياتِه ووَرَّثَ بعد وفاتِه، واحتملَ[١] الوِزْرَ علىٰ ظهرِه؟

قال: لا، إلَّا بكتابِ الله وسنةِ نبيه، آخذُهم به، وأقتلُهم عليه.

قال: يا يزيد، انقطعَ منك الرجاءُ، أظنُّك ستخالفُ هؤلاء جميعًا[٢]، فتقتلَ خيارَ قومِك، وتغزوَ حَرَمَ ربِّك بأوباشِ[٣] الناسِ، فتطعمَهم لحومَهم بغير الحقِّ[٤]، فتدركَكَ مِرَّتَه[٥] فجأةً، فلا دنيا أصبتَ ولا آخرةَ أدركتَ.

يا يزيد، إذا[٦] لم تصبِ الرُّشدَ وتطلعْ[٧] ذا الحقِّ فإنِّي قد أوطأتُ لك المنابرَ[٨]، وأذللتُ[٩] لك أهلَ العزِّ، وأخضعتُ لك رقابَ[١٠] العربِ، وكفيتُك الرحلةَ[١١]

(١) في المصدر السابق: وحمل.
(٢) في أخبار الزجاجي: انقطع الرجاء منك، إنك ستقاتل هؤلاء كلهم فتقتل خيار.
(٣) في التعازي: بأشابات: جمع أشابة، وهي أخلاط الناس، تجمع من كل أوب. والأوباش: الأخلاط والسِّفْلة.
(٤) في أخبار الزجاجي: ظلمًا بغير الحق، ثم تفجؤك المنية فلا دنيا.
(٥) مِرَّته: قوته.
(٦) في المصدرين السابقين: أمَّا إذا.
(٧) هكذا، ولعل الصواب: وتُطِعْ.
(٨) في المصدرين السابقين: وطأت لك الأمور. وفي الطبري والمنتظم: وطأت لك الأشياء، وقبلها -وهو أول الوصية فيهما- يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال (المنتظم: الترحل).
(٩) في التعازي: ذللت. وفي أخبار الزجاجي: أعز العرب، وأخضعت لك أهل الشرف والكرم. وفي الطبري والمنتظم: وذللت لك الأعداء.
(١٠) في الطبري والمنتظم: أعناق.
(١١) في أخبار الزجاجي: الحل. والحل: الإقامة.

والترحال، وجمعتُ لك ما لم يجمعْ واحدٌ[1]، وإني لستُ أخافُ[2] أن ينازعَك في هذا الأمرِ إلَّا ثلاثةُ نفرٍ، الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

فأمَّا ابنُ عمرَ فرجلٌ وقَذَتْهُ العبادةُ، وتخلىٰ من الدنيا وشغل نفسه بالقرآن، ولا أظنه يقاتلُ إلَّا أن يأتيَه الأمرُ عَفْوًا[3]، وأمَّا الذي يجثمُ جُثُومَ الأسدِ[4]، ويروغُ رَوَغَانَ الثعلبِ[5]، وإن أمكنتْه فرصةٌ[6] وثبَ، فابنُ الزبيرِ، فإن هو فعلَ فاستَمْكَنْتَ[7] منه فقطِّعه إرْبًا إرْبًا[8]، إلاَّ أن يلتمسَ منك صُلْحًا، فإن فعلَ فاقبلْ منه[9]، واحقنْ دماءَ قومِك تُقْبِلْ[10] قلوبُهم إليك، وأمَّا الحسينُ بنُ علي[11] فإن له رَحمًا وحَقًّا وولادةً من رسولِ الله ﷺ، ولا أظنُّ أهلَ العراقِ تاركيْه حتىٰ يخرجوه عليك، فإن قدرتَ عليه

---

(١) في التعازي: يجمعه. وفي الطبري: وجمعت لك من جمع واحد. وفي أخبار الزجاجي: وجمعت لك ما يجمع واحد.

(٢) في الطبري: وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلاَّ أربعة نفر من قريش، ومثله في المنتظم وفيه: وإني لا أتخوف عليك... في هذا... أسندت لك. وفي أخبار الزجاجي: ولست أخشىٰ عليك أن.

(٣) في الطبري والمنتظم: وقذته العبادة، وإذا لم يبقَ أحد غيره بايعك. وفي أخبار الزجاجي: فأمَّا ابن عمر فقد اشتغل بالعبادة وخلا من الدنيا وشغل نفسه، فليس ينازعك عليها أو تجيئه عفوًا.

(٤) في أخبار الزجاجي: السبع. ويجثم: يلزم مكانه فلا يبرح، أو يلصق بالأرض.

(٥) في الطبري والمنتظم: ويراوغك مراوغة.

(٦) في التعازي: فإن أمكنته الفرصة. وفي الطبري والمنتظم: فإذا... وفي الطبري: فذاك ابن الزبير.

(٧) في الطبري والمنتظم: فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه. وفي أخبار الزجاجي: وتمكنت.

(٨) إربًا إربًا: قطعة قطعة!

(٩) في أخبارا لزجاجي: إلاَّ أن يطلب صلحًا فإن طلب فافعل.

(١٠) في المصدر السابق: تمل.

(١١) في الطبري والمنتظم: وأمَّا الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتىٰ يخرجوه، فإذا خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحمًا ماسة وحقًّا عظيمًا.

فاصفحْ عنه، فإنِّي لو كنتُ صاحبَه لعفوتُ عنه[1])[2].

(١) في التعازي وأخبار الزجاجي: قم عني.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا ١٥٧، والتعازي والمراثي ١١٩-١٢١ (كلاهما عن ابن دأب)، وأخبار أبي القاسم الزجاجي ١٤٤-١٤٥.

ووردت الوصية -دون الحوار في أولها- في الطبري ٥/ ٣٢٢-٣٢٣ عن هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة. وفي المنتظم ٤/ ١٣٧ (ويبدو أنه عن الطبري) بسنده عن المبرد عن ابن دأب. وعندما أقف علىٰ قوله أول الوصية (خلا بِهِ، وأخرج عنه أهل بيته) يُلِحُّ علىٰ ذهني سؤال مزعج: كيف وصل الخبر إلىٰ ابن دأب؟! ومع أن ابن دأب كان من رواة الأخبار والأشعار المعروفين إلّا أن هناك اتهامات غير محدودة له بالوضع، بل ونماذج لذلك الوضع. (انظر: معجم الأدباء ٥/ ٢١٤٤-٢١٥٠)، وقال عبد الواحد الطيبي (مراتب النحويين ١٥٦): (وكان ابن دأب يضع الشعر وأحاديث السمر وينسبه إلىٰ العرب)! وفي لسان الميزان ٤/ ٤٠٨-٤٠٩: (كان إخباريًّا علامة نسابة، لكنَّ حديثَه واهٍ... وقال البخاري وغيره: منكر الحديث... وقال العقيلي: ما لا يتابع عليه من حديثه أكثرُ مما يتابع عليه). ولعل شيئًا مما سبق ينطبق علىٰ الحوار بين معاوية ويزيد في أول الوصية لأمور:

الأول: جاء في البداية والنهاية (١١/ ٤٦١): (وهذا -دخول يزيد دمشق قبل موت أبيه- قد قاله ابن إسحاق وغير واحد، ولكن الجمهور علىٰ أن يزيد لم يدخل دمشق إلَّا بعد موت أبيه وأنه صلىٰ علىٰ قبره بالناس).

الثاني: ورد في تاريخ دمشق لابن عساكر: (وقال ابن أبي الدنيا... عن بكير بن الأشج: أن معاوية قال ليزيد ابنه: كيف تراك فاعلًا إن وليت؟ قال: يمتع الله بك. قال: لتخبرني. قال: كنت -والله يا أبهْ- عاملًا فيهم عمل عمر بن الخطاب! قال معاوية: سبحان الله، سبحان الله، والله يا بني لقد جهدت علىٰ سيرة عثمان بن عفان فما أطقتها)، ونقل ذلك عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٦٤٤ وزادت بعض نسخه: (فكيف بك وسيرة عمر؟). وورد في الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام للبياسي ٢/ ٢٠ قريب من ذلك.

الثالث: أن هذا الحوار انفرد به ابن دأب علىٰ حين يتشابه باقي الوصية مع الروايات الأخرىٰ.

الرابع: ورد في معجم الأدباء (٥/ ٢١٤٩): (وزعم العنزي أن ابن دأب كان يتشيع ويضع أخبارًا لبني هاشم، وكان عوانة بن الحكم عثمانيًّا ويضع الأخبار لبني أمية)!

فالمعروف أن معاوية قاتل عليًّا -وهو الخليفة المبايع، مع التماس العلماء الأعذار لمعاوية- وظهر في عهده بعض الأحداث التي تعامل معها -في سبيل استقرار الخلافة- بشيء من الحسم. ثم تحولت الخلافة علىٰ يديه ﷺ من الشورية إلىٰ الملكية الوراثية، وهو ما رأىٰ الحسن البصري (البداية والنهاية١١/ ٦٥٠) أنه كرَّس ذلك فيما بعد، إذ يقول: (فمن أجل=

[٣١٧] كتب معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد[١]:

(من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلىٰ يزيد بن معاوية: أما بعد: فقد أدَّتْ ألسنةُ التصريحِ إلىٰ أُذُنِ العناية بك ما فَجَعَ الأملَ فيك، وباعدَ الرجاءَ منك إذ ملأتَ العيونَ بهجةً، والقلوبَ هيبةً، وترامتْ إليك آمالُ الراغبين، وهِمَمُ المتنافسين، وشحَّتْ بك فتيانُ قريشٍ وكهولُ أهلِكَ، فما يَسُوغُ لهم ذكرُك إلا علىٰ الجِرَّةِ المُهَوِّعَةِ، والكَظِّ الجَشِءِ[٢].

اقتحمتَ البوائقَ، وانقدت للمعاير[٣]، واعتَضْتَها[٤]من سُمُوِّ الفضل، ورفيع القَدْر، فليتك -يزيدُ- إذ كنت لم تكُنْ. سَرَرْتَ يافعًا ناشئًا! وأثكلتَ كهلًا ضالعًا،

=ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورىٰ بين المسلمين إلىٰ يوم القيامة).

ومع أن يزيد ابنه الذي أورثه الخلافة كان مشتملًا علىٰ خصال محمودة (انظر البداية والنهاية ١١/ ٦٤٦)، إلَّا أنه لم يخلُ من سلوكيات مخلة بمن هو في مثل موقعه (انظر: المصدر السابق ١١/ ٦٥٠). قال الذهبي (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٦): (ويزيد مما لا نسبُّه ولا نحبُّه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك في ملوك النواحي، بل فيهم من هو شرٌّ منه، وإنَّما عظم الخطب لكونه وُلِّي بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ بتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون...) وقد وقع في أول ولايته حادث مقتل الحسين ﷺ، ثم وقعة الحرَّة. وكل ذلك خلق مواقف متباينة واتجاهات مختلفة من الناس تجاه معاوية وابنه. وذلك أدىٰ إلىٰ ظهور صناعة الأخبار بصورة ظاهرة، قال ابن كثير: (وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة، لا يصلح شيء منها، وأجود ما ورد ما ذكرناه علىٰ ضعف أسانيده وانقطاع بعضه، والله أعلم). (البداية والنهاية ١١/ ٦٤٩). وإذا كان هذا الوضع علىٰ لسان الرسول ﷺ فإنه يخيل للباحث أن ظلالًا من الشك تحيط ببعض ما نقل علىٰ لسان معاوية ويزيد، خاصة مما يشمُّ منه الحطُّ منهما والزراية عليهما أو علىٰ لسانهما في التنقص من أولي الفضل! ولعل تعدد روايات وصية معاوية ليزيد حين موته دليل واضح علىٰ ذلك.

(١) **مناسبة الوصية**: حين بلغه مقارفته اللذات، وإقباله علىٰ الشهوات.

(٢) الجرة: ما يجترُّه البعير. المهوَّع: ما يحمل علىٰ التقيُّؤ، أي لا يذكرونك إلا بكل قبيح. الكظ: من الكظَّة، وهي الامتلاء من الطعام، والجشء: الكثير، والتجشؤ: تنفس المعدة عند الامتلاء.

(٣) البوائق: الأمور العظيمة. المعاير: الأمور المعيبة.

(٤) اعتضتها: استبدلت بها.

فواحزناه عليك يزيدُ! ويا حَرَّ صدْر المُثكلِ بك! ما أشمتَ فتيان بني هاشم، وأذلَّ فتيان بني عبد شمس عند تفَاوُضِ المفاخر ودِرَاسة المناقب[١]!

فمن لصلاح ما أفسدتَ، ورَتْقِ ما فَتَقْتَ؟ هيهات خَمَشَتْ الدُّرْبَةُ[٢] وَجْهَ التَّصبُّرِ بك، وأبتِ الجنايةُ إلا تَحَدُّرًا علىٰ الألسُنِ، وحلاوةً علىٰ المَنَاطقِ[٣]، ما أربَحَ فائدةً نالوها، وفرصةً انتهزوها!

انتبه -يزيدُ- للَّفظة، وشاور الفِكرةَ، ولا تكُن إلىٰ سمعِك أسرعَ من معناها إلىٰ عقلِك. واعلم أن الذي وطَّأك[٤] وسوسةُ الشيطان، وزخرفةُ السلطان، مما حسنُ عندك قبحُه، واحلولىٰ عندك مُرُّه، أمرٌ شَرَكَكَ فيه السَّواد، ونافسَكه الأعْبُدُ، لا لأثرةٍ تدَّعيها أوجَبَتْها لك الإمْرَةُ، وأضعتَ بها من قَدْرِكَ، فأمكنتَ بها من نفسِك؛ فكأنك شأنِئُ نفسِك[٥]، فمن لهذا كلِّه؟

اعلم -يا يزيدُ- أنك طريدُ الموتِ وأسيرُ الحياةِ، بلغني أنك اتخذت المصانعَ والمجالسَ والملاهيَ والمزاميرَ كما قال تعالىٰ: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩]، وأَجْهَرتَ الفاحشةَ حتىٰ اتخذتَ سريرتَها عندك جهرًا.

اعلم -يا يزيد- أنَّ أولَ ما سَلَبَكُه السُّكْرُ معرفةُ مواطنِ الشكرِ لله علىٰ نعمه المتظاهرةِ، وآلائهِ المتواترةِ[٦]، وهي الجَرْحَةُ العظمىٰ، والفَجْعَةُ الكبرىٰ: تركُ الصلواتِ المفروضاتِ في أوقاتها، وهو من أعظمِ ما يحدثُ من آفاتِها، ثم

(١) تفاوض المفاخر: التنافس فيها. دراسة المناقب: تذاكر الأفعال الكريمة.

(٢) الرتق: الإصلاح. والفتق: الشق. الدربة: الاعتياد والجراءة. التصبُّر: حمل النفس علىٰ الصبر.

(٣) أي أسرعت الألسن في تناقل ما وقعت فيه من أعمال، وفرح بترديده الشامتون.

(٤) أي إنَّ ما دعاك إلىٰ ما وقعت فيه، وهوَّنه عليك.

(٥) السواد: عامة الناس. الأثرة: المنزلة وتفضيل الإنسان نفسه علىٰ غيره. شانئ: مبغض.

(٦) المتظاهرة: المتراكمة. آلائه: نعمه. المتواترة: المتتالية المستمرة.

استحسانُ العيوبِ، وركوبُ الذنوبِ، وإظهارُ العورةِ، وإباحةُ السرِّ، فلا تأمن نفسَك علىٰ سرِّك، ولا تعقِد علىٰ فعلك، فما خيرُ لذَّةٍ تُعْقِبُ النَّدَمَ، وتُعَفِّي[1] الكرمَ.

وقد توقَّفَ أميرُ المؤمنين بين شطرين من أمرِك، لما يتوقعه من غلبةِ الآفةِ واستهلاكِ الشهوةِ. فكن الحاكمَ علىٰ نفسك، واجعلْ المحكومَ عليه ذهنَك ترشد إن شاء الله تعالىٰ. وليبلُغْ أميرَ المؤمنين ما يردُّ شاردًا من نومِه، فقد أصبحَ نُصْبَ الاعتزالِ عن كلِّ مؤانسٍ، ودُرأَة الألسنِ[2] الشامتةِ، وفقك الله فأحسن)[3].

---

(١) تعفِّي: تغطي وتستر.

(٢) درأة الألسن: ما تستهدفه.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في صبح الأعشىٰ ٦/ ٣٨٨ - ٣٨٩. وقد عدَّ أنيس المقدسي (تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ١٠٧-١١٠) هذه الوصية نموذجًا لما وضع من النثر الأدبي لأغراض سياسية وقال: (من قرأ سيرة معاوية وعرف حرصه علىٰ أن يجعل الخلافة في يزيد يتعذر عليه إلا أن يقف موقف المشكك بل المنكر لما رُوي عن لسانه. وعندنا أن الكتاب موضوع في عصر متأخر وضعه بعض أعداء يزيد، ونستدل علىٰ وضعِه مما يأتي:

١- ما فيه من تكلف المجاز غير المألوف في ذلك العهد كقوله: «فقد أدت ألسنة التصريح إلىٰ أذن العناية» وقوله: «وخمشت الدربة وجه التصبر بك، وأبت الجناية إلا تحدرًا علىٰ الألسن».

٢- أن أكثره يجري مجرىٰ الازدواج المتكلف مما هو أشبه بإنشاء العصر العباسي.

٣- ما فيه من الحمل علىٰ يزيد ووصمه بكل قبيح، وقد وضع الكاتب كل ذلك عن لسان أبيه معاوية، وهو الذي كان يرشحه للملك ويقدِّمه إلىٰ العالم الإسلامي وليًّا لعهده. ولم يتورع واضعه أن يضع علىٰ لسان معاوية قوله لابنه: «فليتك يزيد إذ كنت لم تكن -سررت يافعًا ناشئًا وأثكلت كهلًا ضالعًا- فواحزناه عليك يزيد ويا حرَّ صدر المثكل بك -ما أشمت فتيان بني هاشم- فمن لصلاح ما أفسدت -وأجهرت الفاحشة- سلبك السكر معرفة مواطن الشكر». وغير ذلك من الأقوال التي لا يصح أن رجلًا بدهاء معاوية يصرِّح بها.

٤- هلهلة الكتاب أو عدم احتباكه. فليس في نسيجه متانة الإنشاء في الصدر الأول كما يتبين لك من الجمل الآتية: «اعلم يزيد أن ما سلبكه السكر». إلىٰ آخر قوله: «ما يحدث من آفاتها» وكذلك: «واعلم أن الذي وطأك وسوسة الشيطان» إلىٰ قوله: «فمن لهذا كله؟». فإنك إذا تأملت هذه العبارات وجدت ضعفًا في الارتباط، ورخاوة في التنسيق لا نراهما عادة في أقوال معاوية وأهل عصره. ولا ينفي ذلك أن يوجد مثل هذا الضعف في بعض أقوال ذلك العصر ولكنه قليل. فإذا قَرَنَّا ذلك بما بيناه من الأسباب السالفة الذكر لم يكُن لنا محيص عن رفض هذه الرسالة أو علىٰ الأقل الوقوف إزاءها موقف الحذر والتشكيك).

[٣١٨] لما حضر معاويةَ الموتُ -وذلك في سنة ستين- كان يزيدُ غائبًا، فدعا[١] بالضحاك[٢] بن قيسٍ الفهري -وكان صاحبَ شرطتِه- ومسلمِ بنِ عقبة المري[٣]، فأوصى إليهما[٤] فقال:

(بلِّغا يزيدَ وصيَّتي[٥]: انظرْ أهلَ الحجازِ[٦] فإنهم أصلُك[٧]، فأكرمْ من قَدِمَ عليك

(١) **مناسبة الوصية:** لما حضر معاوية الموت كان يزيد ابنه غائبًا فدعا...

(٢) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، من صغار الصحابة، شهد فتح دمشق. كان مع معاوية فولاه الكوفة.. وهو الذي صلىٰ علىٰ معاوية بعد وفاته وقام بخلافته حتىٰ قدم يزيد. ثم بعده دعا إلىٰ ابن الزبير وبايع له، ثم دعا إلىٰ نفسه وقاتل مروان بن الحكم فقتل بمرج راهط منتصف ذي الحجة سنة ٦٤هـ.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٤١٠، والاستيعاب ٢/ ٧٤٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢١.

(٣) في الأخبار الطوال: وكان علىٰ حرسه. ومسلم بن عقبة بن رباح المرىٰ، أدرك النَّبِيَّ ﷺ، وشهد صفين مع معاوية، وكان علىٰ الرجَّالة، جعله يزيد علىٰ رأس الجيش الذي سيَّره إلىٰ المدينة حين انتقضت عليه، فأوقع فيهم بما عرف بيوم الحرة، وأباح المدينة لجنده ثلاثة أيام، ثم واصل مسيره إلىٰ ابن الزبير بمكة، فوافته منيته بالطريق سنة ٦٣هـ.

انظر: المحبر ٤٨٢، ونسب قريش ١٢٧، والإصابة ٦/ ٢٩٤.

(٤) في إحدىٰ روايات السجستاني في الوصايا (أنه كان عند معاوية خمسة رهط حين حضرته الوفاة: الضحاك..، ومسلم...، وثور بن معن السلمي، وزياد بن عمرو بن معاوية العقيلي، والنعمان بن بشير الأنصاري، فقال: بلغوا يزيد عني السلام وقولوا له: انظر...). وقد ورد في إحدىٰ روايات الوصايا وأنساب الأشراف والكامل في التاريخ والفخري أن معاوية قالها ليزيد مباشرة، وجاء في صدرها في هذه المصادر (سوىٰ إحدىٰ روايتي أنساب الأشراف) زيادة هي جزء من الوصية السابقة (إني كفيتك الحل والترحال... وجمعت لك ما جمع واحد) وقد ألحقت الاختلافات في مفردات هذه الزيادة بموضعها من الوصية السابقة.

(٥) في الوصايا: أبلغا عني يزيد قولاً؛ قولا له. ومثله في البيان والعقد دون: قولاً. وفي الأخبار الطوال: أبلغا يزيد وصيتي، وأعلماه أني آمره في أهل الحجاز. وفي جمل من أنساب الأشراف (٥/ ١٠٨-١٠٩): يا بني احفظ عني ما أقول لك.

(٦) في جمل من أنساب الأشراف (٥/ ١٥٣): فانظر أهل مكة والمدينة فأكرمهم.

(٧) في البيان والعقد: أصلك وعترتك. وفي جمل من أنساب الأشراف (٥/ ١٥٣): أصلك ومنصبك! وعترة الرجل: رهطه وعشيرته الأدنون؛ من مضىٰ ومن غبر.

[٣١٨] لما حضر معاويةَ الموتُ -وذلك في سنة ستين- كان يزيدُ غائبًا، فدعا[١] بالضحاك[٢] بن قيسٍ الفهري -وكان صاحبَ شرطتِه- ومسلمِ بنِ عقبة المري[٣]، فأوصى إليهما[٤] فقال:

(بلِّغا يزيدَ وصيَّتي[٥]: انظرْ أهلَ الحجازِ[٦] فإنهم أصلُك[٧]، فأكرمْ من قَدِمَ عليك

(١) **مناسبة الوصية**: لما حضر معاوية الموت كان يزيد ابنه غائبًا فدعا...

(٢) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، من صغار الصحابة، شهد فتح دمشق. كان مع معاوية فولاه الكوفة.. وهو الذي صلىٰ علىٰ معاوية بعد وفاته وقام بخلافته حتىٰ قدم يزيد. ثم بعده دعا إلىٰ ابن الزبير وبايع له، ثم دعا إلىٰ نفسه وقاتل مروان بن الحكم فقتل بمرج راهط منتصف ذي الحجة سنة ٦٤هـ.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٤١٠، والاستيعاب ٢/ ٧٤٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢١.

(٣) في الأخبار الطوال: وكان علىٰ حرسه. ومسلم بن عقبة بن رباح المرىٰ، أدرك النَّبِيَّ ﷺ، وشهد صفين مع معاوية، وكان علىٰ الرجَّالة، جعله يزيد علىٰ رأس الجيش الذي سيَّره إلىٰ المدينة حين انتقضت عليه، فأوقع فيهم بما عرف بيوم الحرة، وأباح المدينة لجنده ثلاثة أيام، ثم واصل مسيره إلىٰ ابن الزبير بمكة، فوافته منيته بالطريق سنة ٦٣هـ.

انظر: المحبر ٤٨٢، ونسب قريش ١٢٧، والإصابة ٦/ ٢٩٤.

(٤) في إحدىٰ روايات السجستاني في الوصايا (أنه كان عند معاوية خمسة رهط حين حضرته الوفاة: الضحاك..، ومسلم...، وثور بن معن السلمي، وزياد بن عمرو بن معاوية العقيلي، والنعمان بن بشير الأنصاري، فقال: بلغوا يزيد عني السلام وقولوا له: انظر...). وقد ورد في إحدىٰ روايات الوصايا وأنساب الأشراف والكامل في التاريخ والفخري أن معاوية قالها ليزيد مباشرة، وجاء في صدرها في هذه المصادر (سوىٰ إحدىٰ روايتي أنساب الأشراف) زيادة هي جزء من الوصية السابقة (إني كفيتك الحل والترحال... وجمعت لك ما جمع واحد) وقد ألحقت الاختلافات في مفردات هذه الزيادة بموضعها من الوصية السابقة.

(٥) في الوصايا: أبلغا عني يزيد قولاً؛ قولا له. ومثله في البيان والعقد دون: قولاً. وفي الأخبار الطوال: أبلغا يزيد وصيتي، وأعلماه أني آمره في أهل الحجاز. وفي جمل من أنساب الأشراف (٥/ ١٠٨-١٠٩): يا بني احفظ عني ما أقول لك.

(٦) في جمل من أنساب الأشراف (٥/ ١٥٣): فانظر أهل مكة والمدينة فأكرمهم.

(٧) في البيان والعقد: أصلك وعترتك. وفي جمل من أنساب الأشراف (٥/ ١٥٣): أصلك ومنصبك! وعترة الرجل: رهطه وعشيرته الأدنون؛ من مضىٰ ومن غبر.

منهم، وتعاهدْ من غاب[١]، وانظر أهلَ العراق، فإن سألوك أن تعزلَ عنهم كل يوم عاملاً فافعلْ[٢]، فإن عزلَ عاملٍ أحبُّ إليَّ من أن تُشهرَ[٣] عليك مئة ألفِ سيفٍ، وانظرْ أهلَ الشامِ فليكونوا بطانتَك وعيبتَك[٤]، فإن نابَك شيءٌ من عدوِّك فانتصرْ بهم[٥]، فإذا أصبتَهم[٦] فارددْ أهلَ الشامِ إلىٰ بلادِهم، فإنهم إن أقاموا بغيرِ بلادِهم أخذوا بغير أخلاقِهم[٧]،

(١) في البيان والعقد: فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك منهم فتعاهده. وفي جمل من أنساب الأشراف: ومن أتاك (ورد عليك) منهم فأكرمه، ومن لم يأتِك فابعث إليه بصلته. وفي الأخبار الطوال: أن يكرم من قدم عليه منهم، ويتعهَّد من غاب عنه من أشرافهم.

(٢) في الوصايا: فإن سألوا عزل عامل في كل يوم فاعزل عنهم. ومثله في البيان والعقد وفيهما: سألوك... فاعزله. وفي جمل من أنساب الأشراف: فإنهم أهل طعن علىٰ أمرائهم وملالة لهم، فإن سألوك أن تبدل كل يوم أميرًا فافعل. وفي الأخبار الطوال: وإني آمره في أهل العراق أن يرفق بهم ويداريهم ويتجاوز عن زلاتهم.

(٣) في الوصايا: أهون من أن يشهر. وفي العقد: عامل واحد. وفيه وفي البيان: «أهون عليك من سل». وفي الكامل والفخري: أيسر من أن يشهر. وزاد البيان: ثم لا تدري علام أنت عليه منهم. ورواية الزيادة في العقد: ولا تدري علىٰ من تكون الدائرة.

(٤) زاد في جمل من أنساب الأشراف: وحصنك. وفي الوصايا: وانظر أهل الشام. وفي العقد والبيان: ثم انظر إلىٰ أهل الشام، وفيها جميعًا: فاجعلهم الشعار دون الدثار. وفي الوصايا ١٥٨: فإنهم جندك. والشعار: ما ولىٰ جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب. والدثار: الثوب يكون فوق الشعار. وفي الأخبار الطوال: وإني آمره في أهل الشام أن يجعهلم عينيه وبطانته. قلت: لعل: عينيه مصحفة عن: عيبته. وعيبة الرجل: موضع سرِّه.

(٥) في الوصايا والبيان والعقد: فإن رابك من عدوك ريب فارمهم بهم. وفي الوصايا ١٥٨: وإذا هاجك هيج فارمه بهم. وهاج القوم هَيْجًا وهِياجًا وهيجانًا: ثاروا لمشقة أو ضرر. وفي الكامل والفخري: فإن رابك. وفي جمل من أنساب الأشراف: فمن رابك أمره فارمه بهم.

(٦) في الوصايا والبيان: فإن أظفرك الله بهم. وفي العقد: ثم اردد... بلدهم.

(٧) في الكامل: تغيَّرت أخلاقهم. وكذا في الفخري وفيه: إن أقاموا بها! وفي الوصايا: ولا يقيموا في بلاد غيرهم. وفي البيان: في غير ديارهم. وفي العقد: في غيره. وفيها جميعًا: فيتأدبوا بغير أدبهم. وفي الوصايا ١٥٨: فإنهم إن يسكنوا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم. وفي جمل من أنساب الأشراف: فإذا فرغوا فأقفلهم فإني لا آمن الناس علىٰ إفسادهم. وفي الأخبار الطوال: وألَّا يطيل حبسهم في غير شامهم، لئلا يجروا علىٰ أخلاق غيرهم.

وإني لستُ أخافُ من قريشٍ إلَّا ثلاثة[1]: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير؛ فأمَّا ابنُ عمرَ فرجلٌ قد وَقَذَهُ الدينُ[2]، فليس ملتمسًا شيئًا قِبَلَك، وأمَّا الحسين بن علي فإنه[3] رجلٌ خفيفٌ، وأرجو أن يكفيكَه الله بمن قتل أباه، وخذلَ أخاه[4]، وإن له رحمًا ماسَّة، وحقًّا عظيمًا، وقرابةً من محمدٍ ﷺ، ولا أظنُّ أهلَ العراقِ تاركيه حتىٰ يخرجوه، فإن قدرتَ عليه فاصفحْ عنه، فإني لو أني صاحبُه عفوتُ عنه، وأمَّا ابنُ الزبير

(١) في الوصايا والبيان: (إني) لست أخاف عليك غير. وفي العقد: لست أخاف عليك إلاَّ ثلاثة. وفي جمل من أنساب الأشراف: وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر فليس يخالف عليك غير. وفي الأخبار الطوال: وأعلماه أني لست أخاف عليه إلَّا أربعة رجال. وفي الكامل والفخري: وإني لست أخاف عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلَّا أربعة نفر من قريش. وقد اختلفت المصادر في ترتيب أسماء الرجال المذكورين. وقد عقب ابن الأثير علىٰ الوصية بعد نهايتها بقوله: (هكذا في هذه الرواية ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر، وليس بصحيح؛ فإن عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل معاوية. وقيل: إن يزيد كان غائبًا في مرض أبيه وموته، وإن معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري فأمرهما أن يؤديا عنه هذه الرسالة إلىٰ يزيد ابنه، وهو الصحيح).

(٢) في الوصايا والبيان والعقد: وقذه الورع. زاد في العقد: فخلِّ بينه وبين آخرته يخلِّ بينك وبين دنياك. وفي الوصايا ١٥٥: فيقيِّده إيمانه. وفي جمل من أنساب الأشراف: فقد وقذه الإسلام، وشغله عن منازعتك. وفي الأخبار الطوال: قد وقذته العبادة، وليس بطالبٍ للخلافة إلَّا أن تأتيه عفوًا. وفي الكامل والفخري: فإنه رجل قد وقذته العبادة، فإذا لم يبقَ أحد غيره بايعك.

(٣) في الوصايا والبيان: فإني أرجو أن يكفيكه الله، بمن قتل أباه، وخذل أخاه. ومثله في العقد وفيه: فإنه قَتَل! وفي جمل من أنساب الأشراف: فلست أشك في وثوبه عليك فسيكفيكه من قتل أباه وجرح أخاه. وزاد بعدها: إن آل أبي طالب قد مدُّوا أعناقهم إلىٰ غاية أبت العرب أن تعطيهم المقادة فيها، وهم محدودون. وفي الأخبار الطوال: فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتىٰ يخرجوه، فإن فعل، فظفرت به، فاصفح عنه، وفي الكامل والفخري: ... ولن يتركه أهل العراق... فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإن له.

(٤) جاء في سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٩٥: (قالوا: ولما حُضِر معاوية دعا يزيد، فأوصاه، وقال: انظر حسينًا فإنه أحب الناس إلىٰ الناس، فصل رحمه، وارفق به، فإن يكُ منه شيء، فسيكفيك الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه).

فإنه خِبٌّ ضَبٌّ[١]، فإذا شَخَصَ لك فالبدْ له، إلاَّ أن يلتمسَ منك صلحًا، فإن فعلَ فاقبلْ، واحقنْ دماءَ قومِك ما استطعت)[٢].

[٣١٩] قال المنذر بن جارود[٣] لابنه الحكيم[٤]:

(يا بني، أحْيِ لياليك بالنظر[٥] في الأدب، فإن القلب بالنهار طائر، وبالليل[٦]

---

(١) في الوصايا: فإذا طلع فاثبت له، فقلما مارست رجلاً مثله، فوالله لو قذفته في بئر مملوءة زفتًا لخرج منه متملسًا! وفي العقد: وإن ظفرت به فقطعه إربًا إربًا. وفي جمل من أنساب الأشراف: فإذا شخص إليك فالبِدْ له، فإنه ينفسخ علىٰ المطاولة. وفي الأخبار الطوال: وأمَّا الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك روغان الثعلب، فإن أمكنته فرصة وثب فذاك عبد الله بن الزبير، فإن فعل وظفرت به، فقطعه إربًا إربًا، إلَّا... ومثل ذلك في الكامل وفيه: فإن هو فعلها بك فظفرت. وفي الفخري: فإن هو وثب عليك فظفرت به. ونهاية الجملة فيهما: إربًا. وقد ورد في الأخبار الطوال عن عبد الرحمن بن أبي بكر: وأمَّا عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه ليس له في نفسه من النباهة والذكر عند الناس ما يمكنه طلبها، ويحاول التماسها إلَّا أن تأتيه عفوًا. وفي الكامل والفخري عنه: وأمَّا ابن أبي بكر فإن رأىٰ أصحابه صنعوا شيئًا صنع مثله، ليس له همة إلَّا في النساء واللهو. والخب: الخداع. والضب: الحقود.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الطبري ٥/ ٣٢٣ (وعنه في العبر ٣/ ٤١-٤٢، وفيما يبدو في المنتظم ٤/ ١٣٧-١٣٨). كما وردت في الوصايا ١٥٦-١٥٨ (بثلاث روايات) والبيان والتبيين ٢/ ١٣١، والعقد ٤/ ٣٤١، وجمل من أنساب الأشراف ٥/ ١٠٨-١٠٩، و٥/ ١٥٣، والأخبار الطوال ٢٢٥-٢٢٦. والكامل في التاريخ ٤/ ٦، والفخري ١١١-١١٢، وتلتقي مع الوصية (٣١٦) في آخرها.

(٣) **صاحب الوصية**: المنذر بن الجارود بن عمرو بن حنس العبدي، ولد علىٰ عهد رسول الله ﷺ. كان سيدًا جوادًا من وجوه أهل البصرة، ولاه عليٌّ اصطخر، وولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند فمات هناك سنة ٦١ أو ٦٢ عن ستين عامًا.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٥٦٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٤٤، والإصابة ٦/ ٢٦٤.

(٤) هكذا في الأصل، ويبدو أنه تصحيف، فابن المنذر بن الجارود اسمه الحكم، كان سيد عبد القيس، مات في سجن الحجاج.

انظر: المعارف ٣٣٩، والأشراف ٨٨ - ٨٩. وفي لباب الآداب: لابنٍ له يوصيه.

(٥) في لباب الآداب: اعمل النظر. وهو أول الوصية فيه.

(٦) في لباب الآداب: وهو بالليل.

ساكن، فكلما أودعته[1] شيئًا قبله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦])[2].

[٣٢٠] أوصى المهلب[3] بن أبي صفرة بنيه[4] فقال:

(أوصيكم بتقوىٰ الله وصلةِ الرحمِ، فإن تقوىٰ الله تعقبُ الجنةَ، وإنَّ صلةَ الرحم تُنسئ[5] في الأجلِ، وتثري المالَ، وتجمعُ الشملَ، وتكثرُ العددَ، وتعمرُ

---

(١) في لباب الآداب: فكلما أوعيت فيه شيئًا عقله.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الاقتباس من القرآن الكريم للثعالبي ٢٠٧، كما وردت -دون الاستشهاد بالآية- في لباب الآداب ٢٢٩.وقد نسبت الوصية للمنذر، ملك الحيرة، يقولها لابنه النعمان.

(٣) **صاحب الوصية**: المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح العتكي، أحد أشراف البصرة ووجوههم ودهاتهم وأجوادهم. قال ابن قتيبة: كان من أشجع الناس، ولي خراسان خمس سنين، ومات بمرو الروذ سنة ٨٣هـ وله ست وسبعون سنة.
انظر: المعارف ٣٩٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٣، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٢٢.

(٤) **مناسبة الوصية**: (مضىٰ المهلب منصرفه من كس [في الكامل في التاريخ: كش. وعدَّ ابن ماكولا (الإكمال ٧/ ١٨٥-١٨٦) ذلك تصحيفًا. وهي بلد بما وراء النهر يقارب سمرقند. انظر الأنساب ٥/ ٧٠] يريد مرو، فلما كان بزاغول من مرو الروذ [الروذ: النهر. وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان بخراسان بينهما خمسة أيام، وهي علىٰ نهر عظيم فلهذا سميت بذلك. انظر: معجم البلدان ٥/ ١٣٢] أصابته الشوصة -وقوم يقولون الشوكة- [والشوصة: ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هَهُنا ومرة هَهُنا، ومرة في الجنب ومرة في الظهر ومرة في الحواقن. يجد صاحبها كالوخز فيها. والشوكة: داء كالطاعون] فدعا حبيبًا ومن حضره من ولده ودعا بسهام فحزمت، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا. قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم؛ قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم....) الطبري. وانظر: الكامل.
وقد نسب مثل هذا العمل لأكثم بن صيفي ولقيس بن عاصم المنقري (انظر وصاياهما).

(٥) في اللباب: تنسئ الأجل. وتنسئ: تؤخر.

الـدارَ[1]، وتعزُّ الجانبَ، وأنهاكم عن معصيةِ الله وقطيعةِ الرحمِ[2]، فإنَّ معصيةَ الله تعقبُ النارَ، وإنَّ قطيعةَ الرحمِ تورثُ القلَّةَ والذِّلَّةَ، وتفرِّقَ الجمعَ، وتدعُ الدارَ بلاقعَ[3]، وتطمعُ العدوَّ، وتبدي العورةَ[4].

يا بني، قومكم قومكم، إنَّه ليس لكم فَضْلٌ عليهم، بل هم أفضلُ منكم، إذ فضَّلوكم وسوَّدُوكم، ووَطِئُوا أعقابَكم[5]، وبلَّغوا حاجتكم فيما أردتم[6]، فلهم بذلك حقٌّ عليكم وبلاءٌ عندكم، لا تُؤدُّون شكرَه، ولا تقومون بحقِّه، فإذا طلبوا فأطلِبُوهم[7]، وإذا سألوا فأعطوهم، وإن لم يسألوا فابتدئوهم، وإن شتموا فاحتملوا لهم[8]، وإن غَشَوا أبوابَكم فلتفتحْ لهم، ولا تغلق دونهم.

---

(١) في التعازي واللباب: الديار.

(٢) في البيان والتبيين ونثر الدر والتذكرة الحمدونية وشرح النهج ونهاية الأرب: يا بني تباذلوا تحابوا، فإن بني الأم (في شرح النهج: الأعيان) يختلفون فكيف بنو (ببني) العلات؟ البر ينسأ في الأجل، ويزيد في العدد، وإن القطيعة تورث الذلة، وتعقب النار بعد الذلة. وفي الطبري والكامل في التاريخ: وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة (فإنها) تعقب النار، وتورث الذلة والقلة. زاد في الطبري: وتواصلوا، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا، وتبارُّوا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون فكيف ببني العلات؟ وأعقبها بجملة: (وعليكم بالطاعة والجماعة) -وكذا جاء في الكامل في التاريخ- علىٰ حين تأخر موضعها في النص المثبت. وتبارُّوا: ليبرَّ بعضكم بعضًا. وبنو العلات: بنو الرجل الواحد من أمهات شتىٰ.

(٣) في التعازي واللباب: وتذر. وفي التعازي: بلقعًا. وزاد في المصدرين: وتذهب المال. والبلقع: الخالي. والمعنىٰ أن القطيعة تؤدي إلىٰ البغضة، ومن ثم التفرق فتصبح الديار خالية.

(٤) تبدي: تكشف وتظهر. والعورة: الخلل أو العيب.

(٥) في التعازي: ووطَّؤوا. وفي اللباب: أوْطَؤوا. ووطِئوا عقب فلان: مشوا في أثره إعزازًا أو تواضعًا. وأوطَؤواووطَّؤوا: جعلوا الناس يمشون في آثاركم. لما أحاطوكم به من الهيبة، وما أكنُّوا لكم من العزة.

(٦) زاد في التعازي واللباب: وأعانوكم.

(٧) أطْلِبُوهم: أسعفوهم بما طلبوا وأعينوهم عليه.

(٨) في التعازي واللباب: فاحتملوهم.

يا بني، إني أحبُّ للرجل منكم أن يكون لفعلِه الفضلُ علىٰ لسانِه[١]، وأكرَه[٢] أن يكونَ للسانِه الفضلُ علىٰ فعلِه.

يا بني، اتقوا الجوابَ وزلةَ اللسانِ، فإني رأيت[٣] الرجلَ يعثُرُ[٤] قدمُه فيقومُ من زلَّتِه، فينتعشُ منها سويًّا، ويزلُّ لسانُه فيوبقُه وتكونُ فيه هلكتُه[٥]، يا بني، إذا غدا عليكم رجلٌ وراحَ فكفىٰ بذلك مسألةً وتذكرةً بنفسِه[٦].

يا بني، ثيابُكم علىٰ غيرِكم أجملُ منها عليكم، ودوابُّكم[٧] تحت غيرِكم أجملُ[٨] منها تحتكم، يا بني، أحيوا المعروفَ وافعلوه[٩]، واكرهوا[١٠] المنكرَ

(١) في الطبري والكامل في التاريخ: وليكُن فعالكم أفضل من قولكم (مقالكم).
(٢) في التعازي واللباب: وأكره للرجل.
(٣) في التعازي واللباب: وجدت. وفي الصمت ومختصر تاريخ دمشق: فإن الرجل.
(٤) في المصدرين السابقين: تعثر قدمه. وفي البيان والتبيين والصمت والطبري ونثر الدر ومختصر تاريخ دمشق والتذكرة الحمدونية والكامل في التاريخ ونهاية الأرب: فإن الرجل تزل قدمه فينتعش (في نثر الدر: فينتقش) من زلته (منها). وفي الصمت والطبري ومختصر تاريخ دمشق والكامل: ويزل لسانه فيهلك.
(٥) يزل: يخطئ ويعثر. ويوبقه: يحبسه ويكون به حتفه.
(٦) في الطبري والكامل في التاريخ: اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفىٰ بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له. ويغشاكم: يأتيكم ويخالطكم. وقد ورد في نثر الدر ٥/ ٧٥: (قال المهلب: كفىٰ بالمرء مسألة أن يغدو عليك ويروح). والغدو أول النهار، والرواح آخره. والمراد: التردد. ويبدو أن الشعراني في تنبيه المغترين ٢٥٠ عبَّر بلفظه عن الوصية -بشيء من التوسع- فقال: (كان المهلب أبي صفرة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لأولاده: كلُّ فقير رأيتموه يغدو ويروح علىٰ بابكم فاعلموا أنه محتاج؛ فأعطوه، ولا تحوجوه إلىٰ السؤال، وكفىٰ بالرواح والغدو مسألة).
(٧) في التذكرة الحمدونية: ودوابكم وخدمكم عند غيركم.
(٨) في التعازي والمحاسن والمساوئ: أحسن. في الموضعين. وفي سرح العيون: أحسن ثيابكم ما رأيتموه علىٰ غيركم.
(٩) في التعازي واللباب: أحبوا المعروف.
(١٠) في اللباب: وأنكروا.

واجتنبوه، وآثروا الجودَ علىٰ البخلِ، واصطنعوا العربَ[1] وأكرموهم، فإن العربيَ[2] تعدُه العِدَةَ فيموت دونك، ويشكر لك، فكيف بالصنيعةِ إذا وصلت إليه في احتمالها وشكرها، والوفاءِ منه لصاحبها[3]؟

يا بني، سوِّدوا أكابركَم[4]، وأعزُّوا ذوي أسنانِكم[5] تعظمُوا بذلك، وارحموا صغيَركم، وقرِّبوه، وألْطِفُوه، وأجيروا يتيمَكم، وجودوا[6] عليه بما قدرتم، وخذوا علىٰ أيدي سفهائكم، وتعهَّدوا جيرانكم وفقراءكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق[7]، واحذروا عارَ عدوِّكم[8]، عليكم في الحرب بالأناةِ والتؤدةِ في اللقاءِ[9]، وعليكم بالتماسِ الخديعةِ في الحربِ لعدوِّكم، وإياكم والنزقَ والعجلةَ، فإن المكيدةَ والأناةَ والخديعةَ[10] أنفعُ من الشجاعةِ[11].

---

(١) في الطبري: وأحبوا العرب واصطنعوا العرف. وفي الكامل في التاريخ: وأحيوا العرف (لعله مصحف عن: وأحِبوا العرب)، واصطنعوا المعروف. واصطنعوا: اتخذوا عندهم الصنائع، جمع صنيعة، كلُّ ما عُمل من خير أو إحسان. والعرف: المعروف.

(٢) في الطبري والكامل: فإن الرجل من العرب.

(٣) في الأصل: منها. وفي التعازي واللباب: في احتماله لها وشكره، والوفاء منه لصاحبها. وفي الطبري والكامل: فكيف الصنيعة (بالصنيعة) عنده.

(٤) في التعازي: كباركم. والأكابر: جمع الأكبر، وهو الأقرب إلىٰ الجد، والكبار: المسنون.

(٥) في التعازي واللباب: واعرفوا فضل ذوي أسنانكم.

(٦) في المصدرين السابقين: وأجبروا يتيمكم وعودوا عليه.

(٧) زاد في المصدرين السابقين بعدها: ونوائب الدهر (الدهور).

(٨) لم ترد هذه الجملة في التعازي. وفي اللباب: واحذروا عار غدٍ، وعليكم. ولعله أولىٰ.

(٩) في البيان والتبيين ونثر الدر والتذكرة الحمدونية وشرح النهج ونهاية الأرب وعين الأدب والسياسة: بالمكيدة فإنها أبلغ من النجدة. وفي الطبري: بالأناة والمكيدة. وفي الكامل في التاريخ: بالتؤدة والمكيدة. والأناة: الحلم والوقار. والتؤدة: التأني. والمكيدة: الخديعة. والنجدة: الشجاعة في القتال. وقد عقب ابن هذيل علىٰ ما أورده من الوصية بقوله: (وفسر بعضهم النجدة، فقال: النجدة هي الجرأة علىٰ الإقدام عند ازورار الأقدام).

(١٠) زاد في التعازي: في الحرب.

(١١) زاد في اللباب: والشدة.

واعلموا أن القتالَ والمكيدةَ مع الصبر، فإذا كان القضاءُ عند اللقاءِ[١]، فإن ظَفِرَ امرؤ[٢] وأخذ بالحزم قال العاقلُ[٣]: قد أتىٰ الأمرَ من وَجْهِهِ، وإن لم يظفرْ قال: ما ضيَّعَ ولا فرَّطَ، ولكن القضاءَ غالبٌ، فالزموا[٤] الحزمَ علىٰ أيِّ الحالين[٥] وقعَ الأمرُ، والزموا الطاعةَ والجماعةَ، وإياكم والخلافَ وفِراقَ الجماعةِ، تواطؤوا، وتوازروا، وتواصلوا، وتعاطفوا[٦]؛ فإن ذلك يثبتُ المودةَ، وتحابوا، وخذوا فيما أوصيكم به بالجدِّ والقيامِ به[٧] تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها وآخرتِكم إذا صِرتُم إليها، ولا قوةَ إلَّا بالله.

وليكنْ[٨] أوَّل ما تبدئون به أنفسَكم إذا أصبحتم، تعلَّموا[٩] القرآنَ والسننَ

---

(١) في التعازي والطبري واللباب والكامل في التاريخ: فإذا كان اللقاء نزل القضاء. وهو أولىٰ. وزاد في اللباب: المبرم. والمبرم: المحكم. وفي البيان والتبيين ونثر الدر والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: فإن القتال إذا وقع وقع (نثر الدر: دفع) القضاء. زاد في التذكرة الحمدونية: وبطل الخيار.

(٢) في الطبري والكامل في التاريخ: فإن أخذ رجل (الرجل) بالحزم فظهر علىٰ عدوه قيل. وفي اللباب: المرء. وفيه وفي التعازي: وقد أخذ.

(٣) في البيان والتبيين ونثر الدر والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: فإن ظفر (زاد في شرح النهج: الرجل ذو الكيد والحزم) سعد، وإن ظُفِر به لم يقولوا فرَّط. وزاد بعده في التذكرة الحمدونية: واقتدوا بقول نبيكم ﷺ: الحرب خدعة، فليكُن أول أمركم منها وآخره المكيدة، فإذا اضطررتم إلىٰ المجالدة فعليكم بالمطاولة فإنها نتيجة الظفر وذريعة المكايد، وهي بعد دربة الفارس وتخريج الناشئ.

(٤) في اللباب: يا بني الزموا.

(٥) في التعازي: أي الحالتين.

(٦) تواطؤوا: توافقوا. توازروا: تعاونوا. تواصلوا: ليصل بعضكم بعضًا (لا تقاطعوا). تعاطفوا: عطف عليه: أشفق ورحم، أي ليعطف بعضكم علىٰ بعض.

(٧) زاد في اللباب: والتعهد له، وترك الغفلة عنه.

(٨) في اللباب: يا بني وليكُن.

(٩) في التعازي: تعليم. وأشار محقق اللباب إلىٰ أنها في أصله: بتعليم. وأصلحها إلىٰ: تعلُّم! وفي الطبري والكامل في التاريخ: وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين.

والفرائضَ[1]، تأدبوا[2] بـأدبِ الصالحين من قَبلِكم، من سَلَفِكم الصالحِ، ولا تقاعدوا أهلَ الدعارةِ والريبةِ[3]، ولا تخالطوهم، ولا يطْمَعُنَّ[4] في ذلك منكم، وإياكم والخفَّةَ[5] في مجالسكم وكثرةَ الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبُه، وأدُّوا حقَّ الله عليكم، فإني قد أبْلَغتُ إليكم الوصيةَ[6]، واتُّخِذَتْ لله عليكم الحُجَّةَ[7])[8].

---

(١) في اللباب: وأداء الفرائض.

(٢) في التعازي: وتأدبوا بآداب. وتأدبوا: خذوا بأدبهم (احتذوه). والأدب: رياضة النفس بالتعليم والتهذيب علىٰ ما ينبغي من مكارم الأخلاق.

(٣) الدَّعارة: الفسق والخبث والفجور. الريبة: الظن والشك والتهمة.

(٤) في التعازي: ولا يطمع في ذلك منكم طامع.

(٥) الخِفَّة: الطيش والحمق، والعجلة في القول والفعل.

(٦) في التعازي واللباب: في وصيتي.

(٧) في التعازي: واتخذت لله الحجة عليكم. في اللباب: واتخذت الله حجة. والحجة: الدليل والبرهان.

(٨) **التوثيق**: الوصية في الوصايا ١٤١-١٤٣. كما وردت في التعازي والمراثي ١٣٣-١٣٥، ولباب الآداب ٢٩-٣١. كما وردت -باختصار يسير- في تاريخ الطبري ٦/ ٣٥٤ والكامل في التاريخ ٤/ ٤٧٥-٤٧٦. وورد منها قوله: (يا بني تباذلوا... فرَّط) في البيان والتبيين ٢/ ١٨٨-١٨٩، ونثر الدر ٥/ ٦٩، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٤١٣، وشرح نهج البلاغة ١٨/ ٨٥-٨٦، ونهاية الأرب ٧/ ٢٤٩، مع زيادة في التذكرة الحمدونية ونقص يسير في نهاية الأرب. وورد منها قوله: (اتقوا زلة اللسان... فيكون فيه هلاكه) في المحاسن والأضداد ١٧، والصمت ٦٠٧، والمحاسن والمساوئ ٣٧٩-٣٨٠، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٢٤٥، ومحاضرة الأبرار ٢/ ٢٩.

وورد منها قوله: (يا بني إذا غدا عليكم الرجل وراح فكفىٰ بذلك تقاضيًا) في الكامل للمبرد ١/ ٢٢٥، ٢/ ٦٩٨، والعقد ١/ ٢٦٩، ونثر الدر ٥/ ٧١ (وفيه: ولاح. وهو تصحيف)، والتذكرة الحمدونية ٨/ ١٦٠، ونهاية الأرب ٣/ ٣٧٩، وسرح العيون ٢٠٤. وورد منها قوله: (ثيابكم... منها تحتكم) في المحاسن والمساوئ ١٩٠، وزهر الآداب ١/ ٢١٠، وربيع الأبرار ٢/ ٦٤٢، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٢٩٣، ووردت الفقرة الأولىٰ فقط في آداب الملوك ٦٦، والإعجاز والإيجاز ٧٠، والتمثيل والمحاضرة ١٣٤، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٥٣، وسرح العيون ٢٠٤، وقال ابن خلكان بعدها: (وقد أشار إلىٰ هذا أبو تمام فيما كتبه إلىٰ من يطلب منه كسوة [ديوانه ١/ ٢٨١]:

[٣٢١] قال المهلب لابنه يزيد:

(يا بني، استعقلِ الحاجبَ[١]، واستظرفِ الكاتبَ[٢]، فإن حاجبَ الرجلِ وجْهُهُ، وكاتبَه لسانُه)[٣].

[٣٢٢] وقال المهلب لبنيه:

(إذا وليتم فلينوا للمحسن، واشتدُّوا علىٰ المريبِ، فإن الناسَ للسلطان أهيب منهم للقرآن)[٤].

[٣٢٣] قال المهلب لابنه يزيد:

(يا بني، اخفضْ جناحَك[٥]، واشتدَّ[٦] في سلطانِك، فإن الناسَ[٧] للسلطان أهيبُ منهم للقرآن)[٨].

فأنت العليم الطِّب أيُّ وصية بها كان أوصىٰ في الثيابِ المهلبُ

وقد ورد في البصائر والذخائر ٢/ ٢١، وشرح ديوان أبي تمام ١/ ٢٨١، وربيع الأبرار ٤/ ١٠: (قال المهلب: ما رأيت أحدًا بين يديَّ قط إلَّا أحببت أن أرىٰ ثيابي عليه، واعلموا يا بني أن ثيابكم علىٰ غيركم أحسن منها عليكم). وورد منها قوله: (عليكم في الحرب... النجدة). في نهاية الأرب ٦/ ١٧٦، وعين الأدب والسياسة ٣٠١.

(١) استعقل الحاجب: اختره عاقلاً.

(٢) استظرف الكاتب: اتخذه ظريفًا، والظرف: الفطنة والحذق. وقيل: الظرف في الوجه: الحسن، وفي القلب: الذكاء، وفي اللسان: البلاغة.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في آداب الملوك ١٣٦، ونسبت لابنه يزيد في مصادر أخرىٰ (انظرها في وصاياه). وفي الممتع في صناعة الشعر ٢٤٨: (وقال ابن المهلب لأخيه (!) وأورد صدرها (يا بني... الكاتب) وجاء فيه: استغفل... واستطرف! وهو تصحيف.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الكامل للمبرد ١/ ٣٤٩، ونثر الدر ٥/ ٧٢، وانظر الوصية الآتية.

(٥) اخفض جناحك: ألِنْ جانبك وتواضع.

(٦) اشتدَّ: كن حازمًا والزم الشدة.

(٧) في تهذيب الرياسة: فإني رأيت الناس.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ١/ ٣٤٣. كما وردت في تهذيب الرياسة ٢٧٦.

[٣٢٤] كان المهلب بن أبي صفرة يقول لبنيه:

(إياكم أن تُـروا في الأسـواق، فإن كنتم لا بدَّ فاعلين، ففي سـوقِ الـدوابِ والسلاحِ، فإنها من صناعةِ الفرسان)[١].

[٣٢٥] قال المهلب لبنيه في وصية:

(يا بني، لا تقوموا في الأسواقِ إلَّا علىٰ[٢] زرَّادٍ أو ورَّاقٍ)[٣].

[٣٢٦] قال المهلب بن أبي صفرة لابنه عبد الملك[٤]:

(يا بني، إنما كانت وصيةُ رسـولِ الله ﷺ عامَّتُها عـداتٍ أنفذها أبو بكر الصديق ﵁، فلا تبدأْ بنعم، فإن موردَها سهلٌ، ومصدرَها وَعْرٌ، واعلم أن «لا» وإن قَبُحَتْ فربما روَّحتْ، وما قَدِرْت فلا توجبِ الطمعَ)[٥].

[٣٢٧] قال المهلب لابنه يزيد[٦]:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٣/ ٢٥١.

(٢) في العقد: إياكم أن تجلسوا في الأسواق إلاَّ عند. وعلق ابن عبد ربه علىٰ ذلك قائلاً: (أراد الزراد للحرب، والوراق للعلم). والزرَّاد: صانع الزَّرَد، وهي حلق المغفر والدرع، وتطلق علىٰ الدرع أيضًا. والوراق: محترف الوراقة، وهي نسخ الكتب وبيعها.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الحيوان ١/ ٥٢. كما وردت في العقد الفريد ٢/ ١٨١. وفي محاضرات الأدباء ١/ ١٠٦: (قيل: لا تقعدنَّ في السوق إلَّا إلىٰ وراق أو زراد، فهما مباينان للأوغاد)!

(٤) أحد أبناء المهلب البالغ عددهم ثلاثمئة، ولم يعقب منهم سوىٰ تسعة عشر، منهم عبد الملك (انظر: المعارف ٤٠٠، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٨) وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني ٨/ ٢٩٨ لعبد الملك خبرًا مع الأخطل، كما وصف كعب الأشقري عبد الملك أمام الحجاج بأنه سمٌّ ناقع، وسيف قاطع. (الأغاني ١٤/ ٢٦٨).

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في مجمع الأمثال ١/ ١٧١، وهي في تاريخ دمشق ٦١/ ٣٠٠.

(٦) **مناسبة الوصية**: حين ولاه كرمان.

(يا بني، إنك اليوم لستَ كما كنتَ؛ إنما لك من مالِ كِرْمَانَ[١] ما فضلَ عن الحجاج، ولن تُحتمل إلَّا علىٰ ما احتُمل عليه أبوك، فأحسنْ إلىٰ من معك[٢]، وإنْ أنكرت من إنسانٍ شيئًا فوجِّهه إليَّ، وتفضَّلْ علىٰ قومك، إن شاء الله)[٣].

[٣٢٨] وقال المهلب بن أبي صفرة [لولده][٤]:

(إذا سمعَ أحدُكم العوراءَ فليتطأطأْ لها تخطَّهُ[٥])[٦].

[٣٢٩] كان المهلب يقول لبنيه[٧]:

---

(١) في شرح النهج: إنما لك من كرمان. وكرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرىٰ ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، كثيرة النخل والزرع والمواشي، تُشَبَّه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها. انظر: معجم البلدان ٤/ ٥١٥.

(٢) في شرح النهج: من تبعك.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الكامل ٣/ ١٣٥٠، وشرح نهج البلاغة ٤/ ٢٢١.

(٤) انفرد بها اللباب.

(٥) العوراء: الكلمة القبيحة. يتطأطأ لها: يخفض لها رأسه، والمراد فليغض عنها ولا يلقي لها بالًا. تخطُّه: تتجاوزه وتبعد عنه، ويسلم من عاقبة المماراة من جرَّائها.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الأشراف ١٤٢، ولباب الآداب ١٧. (وفيه: تخطاه)، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٤٥. وقد نسبت في جمل من أنساب الأشراف ٤/ ١١١ إلىٰ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس روايتها فيه: كان يقال: إذا سمعت العوراء فتطأطأ لها تخْطِك.

وقد جاء في البداية والنهاية ١١/ ٤٤١: (وقال ابن أخته [معاوية] عبد الرحمن بن أم الحكم لمعاوية: إن فلانًا يشتمني. فقال له: تطأطأ لها تمرُّ فتجاوزك). ونسب القول لعمر بن الخطاب ﷺ في العقد ٢/ ٢٦٤، ولعلي في شرح النهج (!) وفيهما: (إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها حتىٰ تتخطاك).

(٧) **مناسبة الوصية**: كان المهلب يخوض حروبًا ضد الخوارج من قبل الحجاج ويستعين بأولاده في ذلك. انظر أخبار الخوارج في الكامل في اللغة والأدب.

(لا تبدؤوهم[1] بقتالٍ حتىٰ يبدؤوكم ويبغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا[2] نُصِرْتُم عليهم)[3].

[٣٣٠] قال المهلب لبنيه:

(لا تتَّكِلُوا علىٰ ما سبق من فعلي[4]، وافعلوا ما ينسبُ إليَّ، ثم قال متمثلا[5]: (الخفيف)

إنما المجدُ ما بنىٰ والدُ الصِّدْ قِ وأحيا فعَالَه المولودُ)[1]

[٣٣١] قال هشام بن عبد الملك[2] لبنيه:

---

(١) في شرح النهج: لا تبدؤوا الخوارج.

(٢) في المصدر السابق: إذا بغوا عليكم. والبغي: الظلم والاعتداء والتسلُّط.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الكامل للمبرد ٣/ ١٣٢٢، وشرح نهج البلاغة ٤/ ١٩٦، وقد نسبت لعلي ﷺ. انظرها في وصاياه.

(٤) في مختصر تاريخ دمشق: علىٰ فعل غيركم.

(٥) في مختصر تاريخ دمشق: إليكم، ثم أنشد.

(١) التوثيق: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ١٩٠، كما وردت في مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٤٦.

والبيت لقيس بن عاصم المنقري ضمن ستة أبيات وردت في نهاية وصيته الأولىٰ لأبنائه.

(٢) **صاحب الوصية**: هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، ولد سنة ٧٢هـ وبويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ. كان في خلافته حازم الرأي، جيد التدبير، فيه حلم وأناة توفي سنة ١٢٥هـ.

انظر: فوات الوفيات ٤/ ٢٣٨، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥١، وتاريخ الخلفاء ٢٤٧.

وابنه محمد لم أقف علىٰ كبير خبرٍ عنه سوىٰ أن أمه أم حكيم بنت يحيىٰ بن الحكم بن أبي العاصي (نسب قريش ١٦٧) وأنه تزوج رقية الكبرىٰ بنت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان (جمهرة أنساب العرب ٨٣)، وأورد الطبري ٧/ ٢٠٢ خبرًا عنه يتضح منه أن هشام لم يكُن يحابي ولده علىٰ حساب العدل.

(تعلَّموا القرآنَ والنحوَ، فإنَّ القرآنَ بلا نحوٍ كالجسدِ بلا رأسٍ)[١].

[٣٣٢] قال هشام بن عبد الملك لولده:

(لا تصطَبِحُوا[٢]، فإنَّه شُؤمٌ ونَكَدٌ[٣])[٤].

[٣٣٣] كتب هشام لابنه محمد بن هشام[٥] كتابًا نسخته:

(إني رأيت أن أعهدَ إليك في أشياءَ من أمرِ خاصَّتِك، أُحبُّ أن أحملَك فيها علىٰ أدبي، ليكون حجةً عليك وتأديةً لحقِّ الله عليَّ لك، وأنا أرجو أن يتولىٰ الله حفظَك بالتنزيهِ عن كلِّ قبيحٍ، والعصمةِ من كلِّ مكروهٍ، والتحصينِ من كلِّ آفةٍ أخشاها عليك في دينك وبدنك ورأيك وعرضِك، وأن يُبليَني في جميعِ ذلك أجملَ ما عوَّدني فيك، فحميدٌ هو علىٰ ما يُولي، مشكورٌ علىٰ ما يُبلي، وليس امرؤٌ وإن ظُوهِرَتْ[٦] له العظةُ ونُخِلَتْ له النصيحةُ[٧] بمنتفعٍ بشيءٍ من ذلك حتىٰ يكونَ له من توفيقِ الله داعٍ، ومن نفسه عليه معينٌ يبصِّره فضلَ ما يوعظ به علىٰ ما يوعظ عليه، فإنه لا يوفِّق للخير ويعين عليه إلَّا الله وحده لا شريك له.

وقد كان مما أحدثَ الله لي فيك من النعمة، ما أسأل الله تمامَه، وحسنَ المزيدِ فيه، والعونَ علىٰ أداءِ شكرِه عليه، فإنه قد أراني فيك من معالمِ الفضلِ وأماراتِ

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٣/ ٢٢٧، ٢٦٦.

(٢) في المستطرف: لا تصطبح. وتصطبحوا: تشربوا الصبوح. والصبوح: ما يشرب من الحليب أو اللبن في الصباح، وهو خلاف الغبوق، وهو ما يشرب من ذلك مساء. والمراد هنا شرب الخمر.

(٣) الشؤم: الشر. والنكد: كلُّ شيء جرَّ علىٰ صاحبه شرًّا.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٤/ ٣٣٤، والمستطرف ٢/ ٤١٩.

(٥) **مناسبة الوصية**: حين أراد أن يبعثه علىٰ الصائفة.

(٦) ظوهرت: ضوعفت.

(٧) نخلت له النصيحة: أخلص فيها.

الخيرِ ما قَذَفَ به في نفسي توجيهَك لما وَجَّهتُك له من الأمر الذي أرجو أن يجعلَه الله لك إلىٰ قصوىٰ غاياتِ الفضلِ سببًا وسبيلًا، فيما يعرِّفنا من بَصَرِكَ بالأمور، واستقلالِك بالقيام لله بالنصيحة، وحسنِ السياسة، والرفقِ في مستقبلِ أمرِك، ومفتاحِ عملِك.

فليكُن أولُ ما تبدأ به إيثارَ تقوىٰ الله ربِّك بالاجتهاد في طاعته، والحيطةِ لدينه وعبادِه؛ ليجزيَك بذلك جزاءَ كريمِ سلفِك الماضين، وصُلحاءِ أهلِك الباقين، فإنَّ به تمامَ كلِّ نعمةٍ، وإليه منتهىٰ كلِّ رغبةٍ)[1].

[٣٣٤] أوصى وكيع بن حسان بن أبي سود[2] فقال[3]:

(يا بني، إن أبي -والله- ما ورَّثني إلَّا دِرْعًا[4] سَحْقًا ورمحًا خطِّيًّا[5]، وما ورَّثني دينارًا ولا درهمًا. وقد جمعتُ لكم هذا المالَ الذي ترون من حِلِّه وحرامِه؛ وإياكم إذا

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٨/ ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) صاحب النص: أبو مطرف وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود من بني غدانة بن يربوع، كان من سادة بني تميم، كان شجاعًا إلَّا أن فيه تيهًا وحمقًا. قتل قتيبة بن مسلم حين أظهر خلع سليمان بن عبد الملك، إذ كان مستوحشًا منه، فولَّىٰ سليمان وكيعًا إمرة خراسان ثم خلعه بعد تسعة أو عشرة أشهر بيزيد بن المهلب سنة ٩٧هـ.

انظر: المعارف ٤١٥، وجمل من أنساب الأشراف ١٢/ ١٩٠، والطبري ٦/ ٥١٢، ٥٢٨، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٦.

(٣) **مناسبة الوصية**: عند موته.

(٤) **تصحف في الأصل إلىٰ**: بدعًا. والسحق: القديم.

(٥) في التذكرة الحمدونية: خطلاً. ورمح خطل: مضطرب (غير مستقيم). والخطِّيُّ: الرمح المنسوب إلىٰ الخط. وهو مرفأ السفن بالبحرين التي تحمل القنا من الهند، كما قالوا: مسك دارين، وليس هنالك مسك ولكنها مرفأ السفن -قديمًا- التي تحمل المسك من الهند، وليس الخطيُّ -الذي هو الرماح- من نبات أرض العرب. وإن كثر مجيئه في أشعارها؛ قال الشاعر:

وهل ينبت الخطِّيُّ إلَّا وشيجه وتغرس إلَّا في منابتها النخل

انظر: لسان العرب (خطط).

مِتُّ[1] أن تأتيَكم هذه الباعةُ من أهل الأسواق فيقولون: لنا على أبيكم دينٌ.

يا بني، إن كان الله تعالىٰ يريدُ أن يغفرَ لي فوالله ما دَيْني في ذنوبي إلَّا كشعرةٍ بيضاءَ في ثورٍ أسود، وإن كان لا يريد أن يغفر لي، فوالله ما دَيْني في تلك الذنوب إلَّا كحصاةٍ رُمي بها في بحر. شُدُّوا أيديَكم علىٰ مالِكم واحفظوه ولا تقضوا عني شيئًا. ثم مات)[2].

[٣٣٥] أوصى وكيع بن أبي سود، وكان أحمقَ الناس، وأظهرَهم مَوْقًا، فقال:

(يا بني، إني لو قد هلكتُ أتاكم قومٌ قد شمَّروا ثيابَهم، وحلقوا شواربَهم، وعفَّرُوا جباهَهم، فقالوا: إن لنا علىٰ أبيكم دَينًا فاقضوا دينَ أبيكم، ألا وإن قِبَلَ أبيكم تبعاتٍ إن يغفرْها الله له فالدَّينُ أهونُ مما هنالك، وإن تكُن الأخرىٰ فلا يَهلِكَنَّ أبوكم وتذهبْ أموالُكم)[3].

[٣٣٦] دعا [وكيع بن أبي سود] بنيه[4] فقال:

(يا بني، إني لأعلمُ أن قومًا سيأتونكم[5] قد أَقْرَحُوا جباهَهم[6]، وعَرَّضُوا

(١) في التذكرة الحمدونية: فإياكم إذا أنا متُّ.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٤١١، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٧٣. وانظر الوصية الآتية.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الوصايا لأبي حاتم ١٤٠.

(٤) **مناسبة الوصية**: لما حضرته الوفاة.

(٥) في التعازي والمراثي: إني إذا مت جاءكم قوم. وفي جمل من أنساب الأشراف: إنَّ قومًا يأتونكم إذا مت.

(٦) في نثر الدر ومحاضرات الأدباء: قرحوا جباههم. والقَرْح في الأصل: الجرح أو أثره. والقُرحة: الغُرَّة في وسط الجبهة. والمراد هنا تعمُّد وجود أثر في الجبهة يشعر بكثرة السجود! وفي التعازي والمراثي وجمل من أنساب الأشراف: وسوِّدوا جباههم.

لحاهم[١]، يدَّعُون أنَّ لهم علىٰ أبيكم دينًا[٢] فلا تقضُوهم[٣]، فإنَّ أباكم[٤] قد حَمَلَ من الذنوبِ ما إن غَفَرَ الله له لم تضرزه[٥]، وإلا فهي مع ما تقدَّم[٦])[٧].

[٣٣٧] قال وهب بن منبه[٨]:

(يا بني، لا تجادلنَّ العلماءَ فتهونَ عليهم فيرفضوك، ولا تمارِيَنَّ السفهاءَ فيجهلوا عليك ويشتموك، فإنه يلحقُ بالعلماءِ من صبر ورأىٰ رأيَهم، وينجو من السفهاءِ من صمت وسكت عنهم، ولا تحسبنَّ أنك إذا مَارَيتَ الفقيهَ إلَّا زدته غيظًا

---

(١) في التعازي والمراثي: ونشروا. والنشر: التفريق. ولعل المراد تركوها دون تهذيب ومشْطٍ، إظهارًا للانشغال بالعبادة ورغبة في الزهادة. وفي التعازي وجمل من أنساب الأشراف: وعرضوا نعالهم! وفي الأخير -بدل الجملة الأخيرة- وقصِّروا ثيابهم.

(٢) في المصدرين السابقين: يقولون إنَّ... فاقضوه.

(٣) في التعازي: فلا تقضوا عني شيئًا. وفي جمل من أنساب الأشراف: فلا تفعلوا.

(٤) في التعازي: فإن علىٰ أبيكم من الذنوب ما إن غفرها الله فالدين من أيسرها. وفي جمل من أنساب الأشراف: فإن لأبيكم ذنوبًا كلها أعظم من الدين، فما أحسن حال أبيكم إن بُلغ به إلىٰ الدين.

(٥) في نثر الدر ومحاضرات الأدباء: إن غفرها الله لم تضرَّه.

(٦) في محاضرات الأدباء: فهي معها.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٢/ ٦١. كما وردت في التعازي والمراثي ٢٥٩، وجمل من أنساب الأشراف ١٢/ ١٩١، ونثر الدر ٦/ ٣٩٧، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٤٩٦.
وقد ورد في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٤٥ (وقال عبد الله بن شعبة حين احتضر: إنَّ عليَّ دينًا فلا تقضوه، فإن لي ذنوبًا أعظم من الدين، فما أحسن حالي إن بلغ بي إلىٰ الدين، اللهم إن تغفر تغفر جمًّا)!
وأشار في الموضع نفسه إلىٰ أن أبا عبد الله المذكور هو شعبة بن القلعم بن خفاف -من بني مالك بن عمرو بن تميم- وأنه كان شريفًا في زمن زياد، وكان لِسَنًا، وبعثه الحجاج إلىٰ عبد الملك ومعه مال فهلك بالشام. وأن عمه الهمام بن القلعم كان جافيًا!

(٨) **صاحب الوصية**: وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار الأبناوي الصنعاني، علامة إخباري، جملة أخباره عن أهل الكتاب. ولد سنة ٣٤هـ كان علىٰ قضاء صنعاء، ومات بها سنة ١١٤هـ.
انظر: المعارف ٤٥٩، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨٠٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤.

دائبًا[1]، ولا تحمينَّ[2] من قليلٍ تسمعه فيوقعَك في كثيرٍ تكرهه، ولا تفضحْ نفسَك لتشفيَ غيظَك، فإن جَهِلَ عليك جاهلٌ فلينفعنَّ إياك حلمُك، وإنك إذا لم تُحْسِنْ حتىٰ يُحسَنَ إليك فما أجرُك، وما فضلُك علىٰ غيرك؟ فإذا أردت الفضيلةَ فأحسنْ إلىٰ من أساء إليك، واعفُ عمَّن ظلمك، وانفع من لم ينفعْك، وانتظرْ ثوابَ ذلك من قِبَلِ الله، فإن الحسنةَ الكاملةَ التي لا يريدُ صاحبُها عليها ثوابًا في الدنيا)[3].

[٣٣٨] قال وهب بن منبه:

(يا بني، عليك بالحكمةِ فإنَّ الخيرَ في الحكمةِ كلِّه، وتشرِّف[4] الصغيرَ علىٰ الكبيرِ، والعبدَ علىٰ الحرِّ، وتزيد السَّيِّدَ سؤددًا، وتجلسُ الفقيرَ مجالسَ الملوك)[5].

[٣٣٩] وقال وهب بن منبه لابنه:

(يا بني، جالسِ الكبراءَ[6]، وسائلِ العلماءَ، وخاللِ[7] الحكماءَ، فإنَّ مجالستَهم غنيمةٌ، وصحبتَهم سليمةٌ، ومؤاخاتَهم[8] كريمةٌ)[9].

[٣٤٠] قال وهب بن منبه:

(يا بني، اتخذْ طاعةَ الله تعالىٰ تجارةً تزيد بها ربحَ الدنيا والآخرة، والإيمانَ

---

(١) ماريت: جادلت. غيظًا: غضبًا. دائبًا: مستمرًّا.
(٢) تحمينَّ: تغضبن.
(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في روضة العقلاء ٢١١.
(٤) تشرِّف: ترفع، وتجعله أكثر شرفًا.
(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في سنن الدارمي ١/١٠٨.
(٦) الكبراء جمع كبير، وهو الطاعن في السِّن.
(٧) خالل: صادق.
(٨) مؤاخاتهم: اتخاذهم إخوة، ومصاحبتهم.
(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في المجتنىٰ ٧٩.

بالله تعالىٰ سفينتَك التي تحمل عليها، والتوكلَ علىٰ الله تعالىٰ دَقَلَها[1]، والدنيا بَحْرَك، والأيـامَ موجَك، والأعمالَ المفروضةَ تجارتَك التي ترجو بها ربحَها، والنافلةَ هديتَك التي تكرم بها، والحرصَ عليها الريحَ التي تسير بها وتزجيها[2]، وردَّ النفسِ عن هواها مراسيَها[3] التي ترسيها، والموتَ ساحلَها، والله ﷻ مالكُها، وأحبُّ التجارِ إليه أفضلُهم بضاعةً وأكثرُهم هديةً. وأبغضُ التجار إليه أقلُّهم بضاعةً وأردؤُهم هديةً. كما تكون تجارتُك تربحُ، وكما تكون هديتُك تُكرمُ)[4].

[٣٤١] قال يزيد بن عمر الأسيِّدي[5] لبنيه:

(اعلموا أنه إنْ كان عند أحدكم مئةُ ألفٍ لهو أعظمُ في عيون بني تميم منه لو

---

(١) الدقل: خشبة طويلة تشدُّ في وسط السفينة يمدُّ عليها الشراع.

(٢) تزجيها: تسوقها.

(٣) المراسي جمع مرسىٰ، وهو محط السفينة بالساحل.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٤/ ٥٤. وقد ورد في كتاب الزهد لأحمد ٤٧: عَنْ مَالِكٍ يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ قَالَ: قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، اتَّخِذْ طَاعَةَ اللَّهِ تِجَارَةً تَأْتِكَ الْأَرْبَاحُ مِنْ غَيْرِ بِضَاعَةٍ». وورد ذلك في كتاب روضة العقلاء لأبي حاتم ٢٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٧. لكن القول نسب فيهما إلىٰ مالك بن دينار نفسه!

(٥) **صاحب الوصية**: جاء في الأنساب للسمعاني ١/ ٢٥٤ (الأُسيِّدي: هذه النسبة إلىٰ أُسَيِّد، وهو بطن من تميم يقال له: أسيِّد بن عمرو بن تميم... منهم... ويزيد بن عمير الأسيِّدي)، ولم يزِد علىٰ ذلك. وجاء في نسب ولده الحكم في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٨٧-٨٨: الحكم بن يزيد بن عمير بن مرثد ابن أنمار الأسيدي، وفي جمهرة أنساب العرب ٢١٠: الحكم بن يزيد بن عمير بن عبد الله بن مرثد بن شيطان بن أنمار... الأسيِّدي. وقد أشار الجاحظ في كتاب الحجاب (رسائل الجاحظ ٢/ ٥٣) -نقلًا عن المدائني- أن يزيد بن عمير كان علىٰ شرطة البصرة [في ترجمة عمر بن يزيد الأسيِّدي من مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ١٦٧: ولي هو وأبوه من قَبْلِه شرطة البصرة للحجاج بن يوسف] فأتاه الفرزدق في جماعة فوقف ببابه فأبطأ عليه، فهجاه ببيتين -أوردهما الجاحظ- مشيرًا إلىٰ ما كان يلقب به وهو الوقاح. إلَّا أن الجاحظ جعله يزيد بن عمر. وقد أشار محقق عيون الأخبار إلىٰ أن الاسم في الأصل عنده: عمر. وأنه صوَّبه عن السمعاني. وفي العقد جاء الاسم: يزيد بن عمر الأسدي! وكذا تحرف الأسيِّدي إلىٰ الأسدي عند ذكر ولده الحكم في تاريخ الطبري ٧/ ١٥٧.

قَسَمَها فيهم[١]، ولأنْ يقالَ لأحدكم: شحيحٌ[٢] وهو غنيٌّ، خيرٌ من أن يقالَ له: سخيٌّ وقد ذهبَ مالُه[٣]، ولأن يقالَ لأحدكم: هو جبانٌ وهو حيٌّ، خير من أن يقال: شجاعٌ وقد قُتِلَ. يا بنيَّ، تعلَّموا الرَّدَّ، فوالله لهو أشدُّ[٤] من الإعطاء)[٥].

[٣٤٢] أوصى يزيد[٦] بن المهلب ابنه مخلدًا[٧] فقال:

---

(١) في عيون الأخبار والعقد: ولأن يعلم (في العقد: تعلم) بنو تميم أنَّ عند أحدكم مئة ألف درهم أعظم له في أعينهم من أن يقسمها فيهم (العقد: عليهم).

(٢) في المصدرين السابقين: بخيل. وهما بمعنىً.

(٣) في المصدرين السابقين: وهو فقير.

(٤) في العقد: أسدُّ. وأسدُّ: أكثر سدادًا. والسداد: الصواب من القول والفعل، كما يعنىٰ الاستقامة والقصد.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ١٦٧. كما وردت (بتقديم وتأخير واختصار يسير) في عيون الأخبار ٣/ ١٣٨، والعقد الفريد ٦/ ٢١٠ -٢١١. وقد ورد منهاقوله: (يا بني... الإعطاء) في ربيع الأبرار ٢/ ٦٢٩ وفيه: وقال رجل لبنيه. وكذا ورد في التذكرة الحمدونية ٨/ ١٩١، وجاء فيه: (... الإعطاء. ومن لقيك بالسؤال البارد فردَّه بالمنع الحارِّ، ربما قضينا حوائج الناس تبرُّمًا لا تكرُّمًا). ويبدو أن هذه الزيادة مقحمة؛ لأن الوصية موجهة لأبناء لا لابنٍ واحد. ونسبت الوصية في المخلاة ٣٥١ (باختصار واختلاف يسير) للأحنف بن قيس يوصي بها ابنه، وهي بيزيد أليق. والمصدر الذي نسبها إلىٰ الأحنف -بتأخره وانفراده- لا يقوم للمصادر التي نسبتها ليزيد.

(٦) **صاحب الوصية**: يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، ولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز وسجنه. ولد سنة ٥٣هـ وله أخبار في السخاء والشجاعة، وكان ذا تيهٍ وكِبْر. ولما استخلف يزيد بن عبد الملك استولىٰ علىٰ البصرة، فسار لحربه مسلمة بن عبد الملك فقتل يزيد في صفر من سنة ١٠٢هـ.
انظر: تاريخ جرجان ٥١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٣، والبداية والنهاية ١٢/ ٧٣١.
وابنه مخلد أحد الأسخياء الممدوحين، ولاه أبوه علىٰ جرجان، وحين سجن عمر بن عبد العزيز والده قدم عليه وحادثه بشأنه. ويبدو أن عمر أعجب به، إذ لم يلبث أن مات.، وكان ذلك في حدود سنة ١٠٠هـ فقال عمر: لو أراد الله بهذا الشيخ [يعني يزيد] خيرًا لأبقىٰ له هذا الفتىٰ. ثم صلىٰ عليه وقال: اليوم مات فتىٰ العرب، وأنشد:

علىٰ مثل عمرو تذهب النفس حسرة ... وتضحي وجوه القوم مغبرةً سودا

انظر: وفيات الأعيان ٦/ ٢٨٤-٢٨٦.

(٧) **مناسبة الوصية**: لما استخلف يزيد بن المهلب ابنه مخلدًا علىٰ خراسان. وفي بعض المصادر: =

(يا بني، قد استخلفتك[1]، فانظر هذا الحيَّ من اليمن، فكُن منهم[2] كما قال الشاعر[3]: (الطويل)

إذا كنت مُرْتادَ الرجالِ لنفعِهم فَرِشْ واصطَنِعْ عند الذين بهم ترمي[1]

وانظر هذا الحيَّ من ربيعة فإنهم شيعتُك وأنصارُك، فاقضِ حقوقَهم[2]، وانظر هذا الحيَّ من تميم، فامطرْ ولا تُزْهِ لهم[3]، ولا تدنِهم فيطمعوا، ولا تقصِهم فينقطعوا

=حين استخلفه علىٰ جرجان. وهو خطأ، ولا يصح تاريخيًّا. وفي الطبري ٦/ ٥٣٧ (واستخلف علىٰ خراسان مخلد بن يزيد... وأقبل علىٰ جرجان -ولم تكن يومئذ مدينة، وإنما هي جبال محيطة بها، وأبواب ومخارم...-) وفي معجم البلدان ٢/ ١٣٩: (وقيل: إن أول من أحدث بناءها [جرجان] يزيد بن المهلب بن أبي صفرة). وخراسان بلاد واسعة، تمتد من حدود العراق إلىٰ حدود الهند، وتشتمل علىٰ أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٠١.

(١) استخلفتك: جعلتك خليفة عني. وزاد بعده في شرح النهج: علىٰ هذه البلاد.

(٢) في التعازي: فيهم. وفي تاريخ جرجان: بهم. وفي شرح النهج: لهم.

(٣) في التعازي وتاريخ جرجان: كما قال أبو دؤاد الإيادي. والبيت في ملحق ديوانه ٣٤٤ (جمع وترتيب غوستاف غرنباوم، وترجمه وأعاد فيه النظر د. إحسان عباس، ضمن دراسات في الأدب العربي، ج ٢). ومرتاد: طالب. وراشه يريشه: إذا أحسن إليه، وكل من أوليته خيرًا فقد رشته. واصطنع عند فلان صنيعة: أحسن إليه.

(١) جاء بعده في التعازي: وكن لهذا الحيِّ من بكر بن وائل كما قال امرؤ القيس:

يا راكبًا قولا لإخواننا من كان من كندة أو وائل

إنا وإياكم وما بيننا كموضع الزور من الكاهل

وقد ورد البيت الأول في ديوانه ٢٥٨ برواية: يا راكبًا بلغ إخواننا ضمن قصيدة.

وقد نسب البيتان -ومعهما ثالث هو ثانيهما- لعمرو بن قميئة.

(٢) في تاريخ جرجان: فاقض حقوقهم ومذمتهم، فإن أحببت أن تبلغ برضاهم (!) فأهِنْ لهم بني تميم ولا تدنهم فيطمعوا. والمذمة: الحرمة والحق.

(٣) في التذكرة الحمدونية: فأمطر ولا تُرهِمْ. وفي شرح النهج: فأمطرهم. يقال: مطرني بخير أصابني، وما مطر منه خيرًا وبخير: ما أصاب منه خيرًا. والمعنىٰ: أفضِل عليهم، ولا تظهر لهم الإعجاب والاستحسان، فيشعروا بالرفعة والقرب.

عنك[١]، وكن بين المطيع وبين المدبر[٢]، وانظر هذا الحي من قيس[٣]، فإنهم أكفاءُ قومِك في الجاهليةِ، ومُنَاصِفُوهم المنابرَ في الإسلام[٤]، ورضاهم منكم البِشْرُ[٥].

يا بني: إن لأبيك صنائعَ فلا تفسدْها، فإنه كفىٰ بالمرء من النقصِ أن يهدمَ ما بنىٰ أبوه[٦]، وإياك والدماءَ[٧]، فإنها لا بقيةَ بعدها[٨]، وإياك وضربَ الأبشارِ[٩] فإنه عارٌ باقٍ، ووِتْرٌ مطلوبٌ[١٠]، واستعمل علىٰ النجدةِ والفضلِ دون الهوىٰ[١١]، ولا

---

(١) في تاريخ جرجان: ينأوا عنك. وينأوا: يبعدوا. وفي شرح النهج: فيقطعوا.

(٢) في تاريخ جرجان: وكن بين المدني والقاضي (لعله: القاصي) وبين السامع والمطيع، وانظر رحمك فيهم فصلهم. وفي التذكرة الحمدونية: ولكن بين المطيع والمدبر!

(٣) في التذكرة الحمدونية: من قريش.

(٤) في التذكرة الحمدونية: ومناصفوهم في الإسلام. وفي شرح النهج: ومناصفوهم المآثر في الإسلام. والمآثر جمع مأثرة، وهي المكرمة المتوارثة.

(٥) ضبطها محقق شرح النهج: البُشَر. والبُشَر جمع بشرىٰ، وهو ما يُبشَّر به. والبِشْر: الفرح، وبشر فلانًا بوجه طليق: لقيه به. ويبدو أن المعنىٰ الثاني هو الأقرب.

(٦) في جزء من أمالي ابن دريد: وحسب المرء لعنة أن يهدم. وفي التذكرة الحمدونية: بناه أبوه.

(٧) في تاريخ جرجان: وإياك والدخول في الدماء.

(٨) في شرح النهج: لا تقيَّة معها. وبقية: بقاء. وتقية: حذر. وزاد بعدها في جزء من أمالي ابن دريد: واكفف عن أعراض الأحرار، فإن الحرَّ لا يرضيه من عرضه عوض. وقد وردت الزيادة في تاريخ جرجان والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: وروايتها فيها: وإياك وشتم الأعراض... عوض. وفي المجالسة (٣/ ٢٤٤) ومجمع الأمثال: وإياك وأعراض الرجال... شيء.

(٩) في جزء من أمالي ابن دريد: واجتنب العقوبة في الأبشار. وفي تاريخ جرجان: وإياك والعقوبة في الأبشار. وفي المجالسة ومجمع الأمثال: واتقِ العقوبات (العقوبة) في الأبشار. وقد فسَّر محقق نثر الدر الأبشار علىٰ أنه جمع بشر، وهو الخلق (الإنسان). ويتراءىٰ لي أن الأبشار هنا جمع لبشر وبشرة وهو ظاهر جلد الإنسان، والمراد مباشرة ضرب بدن الإنسان وهو ما تؤكده رواية تاريخ جرجان. وفي خطبة لعمر ﷺ: (ألا إني -والله- ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم...) انظر: مسند الإمام أحمد ١/ ٣٨٤. وهو أيضًا ما أشار إليه معاوية في إحدىٰ وصاياه.

(١٠) في المجالسة: أو دين مطلوب. وزاد: في الدنيا والآخرة. والوتر: الثأر.

(١١) في جزء من أمالي ابن دريد: واستعمل أهل العقل دون أهل الهوىٰ. وفي تاريخ جرجان: دون الهوىٰ والمحبة.

تعزلْ إلَّا عند[١] العجزِ أو الخيانةِ[٢]، ولا يمنعك من اصطناع الرجل[٣] أن يكونَ غيرُك قد سبقك إليه، فإنك إنما تصطنعُ الرجالَ لنفسك[٤]، ولتكُن صنيعتُك عند من يكافئك عند العشائر[٥].

احمِلِ الناس علىٰ أحسنِ أدبِك، يكفوك أنفسَهم[٦]، وإذا كتبت كتابًا فأكثِرِ النظرَ فيه[٧]، وليكن رسولُك فيما بيني وبينك مَنْ يَفْقَهُ عني وعنك، فإن كتابَ[٨] الرجلِ موضعُ عقلِه، ورسولَه موضعُ سرِّه[٩]. وأستودعك الله[١٠] فإنه ينبغي للمودِّع أن يسكتَ، وللمشيِّع أن ينصرفَ، وما خَفَّ من المنطق وقلَّ من الخطبة[١١] أحبُّ إلىٰ أبيك)[١٢].

---

(١) في تاريخ جرجان: علىٰ. وفي التذكرة الحمدونية وشرح النهج: عن.
(٢) في جزء من أمالي ابن دريد: ولا تعزل عاملاً إلاَّ عن فجور أو خيانة.
(٣) في المصدر السابق: ولا يمنعنك من ذي فضل تصطنعه.
(٤) في شرح النهج: لفضلها.
(٥) في شرح النهج: صنيعك. وفيه وفي التذكرة الحمدونية: عنه العشائر. وورد مكانها في جزء من أمالي ابن دريد: وليكُن جلساؤك غير أسنانك، فإن الشباب شعبة من الجنون.
(٦) جاء بعدها في جزء من أمالي ابن دريد: وإن نازعتك نفسك إلىٰ أخذ شيء من هذا المال فلا يكُن خصمك فيه إلَّا بيت المال، فإن القول فيه قولك.
(٧) في المجالسة: فأطل النظر فيه. وجاء بعدها مباشرة فيه وفي تاريخ جرجان: فإن كتاب الرجل موضع عقله. وفي محاضرات الأدباء: فإنما هو عقلك تضع عليه طابعك.
(٨) في التذكرة الحمدونية: كاتب. وفي جزء من أمالي ابن دريد: فإن كتاب الرجل من عقله.
(٩) في تاريخ جرجان ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية: موضع رأيه.
(١٠) في تاريخ جرجان وجزء من أمالي ابن دريد جاءت هذه الجملة في نهاية الوصية.
(١١) في شرح النهج: وما عفَّ من المنطق، وقلَّ من الخطيئة أحبُّ إلىٰ أبيك.
(١٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/٤٠٦، وجزء من أمالي ابن دريد ٢٠٥-٢٠٦ (باختصار) عن يونس، وتاريخ جرجان (باختصار يسير) ٥٠-٥١، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٦، وشرح نهج البلاغة ١٧/ ١٢١-١٢٢. وجاء منها قوله: (إياك وأعراض الرجال... مطلوب) في المجالسة ٣/ ٢٤٤ عن الرياشي عن الأصمعي عن أبي سفيان بن العلاء، ومجمع الأمثال ١/ ١٠٨. وجاء صدرها: (يا بني انظر هذا الحي... بكر بن وائل) مع بيتين من الشعر في التعازي والمراثي ١٣٦-١٣٧. وجاء من الوصية قوله: (إذا كتبت... عقله) في المجالسة ٤/ ٣٥١، ومحاضرات الأدباء ١/ ١٠٠ (باختلاف يسير).

[٣٤٣] قال يزيد بن المهلب لابنه مخلد[١]:

(استظرفِ الكاتبَ، واستعقلِ الحاجبَ)[٢].

[٣٤٤] قال يزيد بن المهلب لابنه:

(يا بني، لا تملَّ معروفًا، واستكثرْ من الحمدِ، فإن الذمَّ قلَّ من ينجو منه)[٣].

[٣٤٥] قال يعلى بن منية[٤]:

(يا بني، إياكم والمزاحَ؛ فإنه يذهبُ بالبهاءِ[٥]، ويعقبُ المذمَّةَ[٦]، ويزري[٧]

---

(١) **مناسبة الوصية**: جاء في مصادر الوصية -عدا محاضرات الأدباء- أن يزيد بن المهلب قال الوصية لابنه حين ولاه جرجان. وانظر **مناسبة الوصية** السابقة.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في رسائل الجاحظ (كتاب الحجاب) ٢/ ٤٠، ونثر الدر ٥/ ٧٠، وربيع الأبرار ٤/٢٤٦، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٠٥، وفيه: واستغل الحاجب. ولعله تصحيف. وقد نسبت الوصية إلىٰ المهلب يقولها لابنه يزيد. ولعل ورودها بتلك النسبة في مصدر واحد (انظر وصايا المهلب) مقابل المصادر التي نسبتها لابنه يزيد يرجح نسبتها ليزيد. وفي الممتع في صنعة الشعر ٢٤٨: (وقال ابن المهلب لأخيه حين وجهه إلىٰ خراسان: استغفل (!) الحاجب، واستطرف (!) الكاتب).

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ جرجان ٥٤.

(٤) **صاحب الوصية**: يعلىٰ بن أمية بن أبي عبيدة بن همام الحنظلي. ويقال له: يعلىٰ بن مُنْيَة، وهي أمه أو جدَّتُه. من مسلمة الفتح. شهد الطائف وما بعدها، وتولىٰ ولايات في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة. كان مع عائشة يوم الجمل ثم مع علي في صفين رضي الله عنهم، بقي إلىٰ قريب من سنة خمسين.

انظر: مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٥٥، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٣٧، والإصابة ٦/٦٨٥.

(٥) **البهاء**: الحسن والجمال.

(٦) **يعقب المذمة**: يجلب الذم.

(٧) **في مختصر تاريخ دمشق**: يذري. يذري بالمروءة: يضعفها أو يذهب بها. يقال: ذرا فوه: سقطت أسنانه، وذرا حد نابه: كلَّ وضعف. ويزري. يعيب وينقص.

بالمروءة)[1].

(١) التوثيق: وردت الوصية في الظرف والظرفاء ٥٤-٥٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٥٨، وجاء في نهاية الأرب ٤/ ٧٣: (وقال: حكيم لابنه: يا بني إياك والمزاح فإنه يذهب بهاء الوجه، ويحط من المروءة). وفي جمل من أنساب الأشراف ٨/ ١٤٣: (قالوا: وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي [بن أرطاة] إياك والمزاح، فإنه يذهب بالمروءة، وينبت الضغائن).

وصايا العصر العباسي

[٣٤٦] قال إسحاق بن إبراهيم بن شيبان[١]: قال لي أبي:

(يا بني، تعلَّمِ العلمَ لآدابِ الظاهرِ، واستعملِ الورعَ لآدابِ الباطنِ، وإياك أن يشغلَكَ عن الله شاغلٌ؛ فقلَّ من أعرَضَ عنه فأقبلَ عليه)[٢].

[٣٤٧] عن الصلت بن بسطام التيمي[٣] قال: قال لي أبي:

(الزم عبدَ الملكِ بنَ أبجر[٤]، فتعلَّم من توقِّيه في الكلامِ، فما أعلمُ بالكوفةِ أشدَّ

(١) **صاحب الوصية**: أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسيني، نسبة إلىٰ قرميسين، وهي بلدة جليلة من بلاد جبال العراق، علىٰ ثلاثين فرسخًا من همذان، يقال لها كرمانشاه، كان أبو إسحاق شيخ الجبال في وقته، وهو أحد شيوخ الصوفية، له مقامات عزيزة في الورع والتقوىٰ، توفي سنة ٣٤٨هـ.
انظر: طبقات الصوفية للسلمي ٤٠٢، والأنساب ١٠/ ٣٨٩، والمنتظم ٨/ ٢٩٣.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في طبقات الصوفية للسلمي ٤٠٤، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٦٢، وكتاب الزهد الكبير للبيهقي ٣١٣. وجاء في الطبقات والزهد الكبير بعدها عن الراوي قوله: (وسمعت إسحاق يقول: قلت لأبي: بماذا أصل إلىٰ الورع؟ فقال: بأكل الحلال وخدمة الفقراء. فقلت له: من الفقراء؟ فقال: الخلق كلهم فقراء، فلا تميِّز في خدمة من مكَّنك من خدمته، واعرف فضله عليك في ذلك).

(٣) **صاحب الوصية**: لم أقِف له علىٰ ذكر. أما ابنه الصلت فلم أجد من ذكره سوىٰ ابن أبي حاتم حيث قال: (روىٰ عن أبيه عن حماد بن أبي سليمان، وروىٰ عنه زكريا بن عدي والصلت بن حكيم) الجرح والتعديل ٤/ ٤٤١. وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٤/ ١٤٠ بسنده إلىٰ زكريا بن عدي حيث ذكر أنه كان يجالس يحيىٰ بن أبي حية أبا جناب الكلبي وأنه عمي فدعا الله هو وأصحابه فردَّ الله عليه بصره..

(٤) عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبجر الهمداني -ويقال: الكناني- الكوفي. راوٍ للحديث ثقة ثبت، كان متطببًا ويعالج دونما أجر، وكان شديد الورع خصوصًا في نطقه، سريع الدمع غزيره، توفي سنة ١٥٠هـ.
انظر: حلية الأولياء ٥/ ٨٤، والمنتظم ٥/ ١٨١، وتهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٤.

تحفظًا للسانِه منه)[1].

[٣٤٨] وقال أبو عبد الرحمن الثوري[2] لابنه[3]:

(إياك ونهمَ الصبيانِ، وشَرَهَ الزُّرَّاع[4]، وأخلاقَ النوائحِ[5]، ودع عنك خَبْطَ الملاحين والفَعَلَةِ، ونَهْشَ الأعرابِ والمَهَنَةِ[6]، وكلْ من بين يديك، فإنما حظك الذي وقع وصار أقربَ إليك[7]، واعلمْ أنه إذا كان في الطعام شيءٌ طَرِيفٌ ولقمةٌ

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا ٤٦٣.

(٢) **صاحب الوصية**: لم أقف له علىٰ ترجمة، وقد أشار الجاحظ إلىٰ لقائه به وسماعه منه، وأنه كان من أصل بصري ينزل ببغداد عند مسجد ابن رغبان، وأنه كان علىٰ جانب من الثراء، وأنه كان شديد البخل، شديد العارضة، عضب اللسان، كان يحتج للبخل ويوصي به، وجرَّد في ذلك كتابًا.

انظر: البخلاء ١٠٥-١٠٦، وسُمِّي في العقد -في أحد موضعين- (أبو عثمان الثوري) مع تصريحه بالنقل عن الجاحظ.

(٣) **مناسبة الوصية**: (وكان [أبو عبد الرحمن الثوري] إذا كان يوم الرؤوس أقعد ابنه معه علىٰ الخوان، إلا أن ذلك بعد تشرُّط طويل، وبعد أن يقف به علىٰ ما يريده. وكان فيما يقول له: ...). وفي العقد: يوم الرأس، وزاد: وكان له يوم معروف يأكل فيه رأسًا لا محالة. وخلت طبعة العقد بتحقيق محمد سعيد العريان من هذه الزيادة. وقد ذكر الجاحظ أن الثوري كان يعجب بالرؤوس ويحمدها ويصفها، وكان يسمي الرأس عرسًا لما يجتمع فيه من الألوان الطيبة... انظر: البخلاء ١٠٧.

(٤) نهم الصبيان: شدة رغبتهم وإفراط شهوتهم إلىٰ الطعام. الشره إلىٰ الطعام: شدة الحرص والاشتهاء.

(٥) في العقد ٦/ ١٩٥: ونهم الصبيان، وبغر السباع، وأخلاق النوابح. والبغر: داء يشتد معه العطش، فلا يخففه الماء. والنوابح: جمع نابح. ولعلها تصحيف. والنوائح: جمع نائحة، وهي من تبكي علىٰ الميت بجزع وعويل.

(٦) خبط خبطًا: طرح نفسه حيث كان لينام، وخبط الشيء: وطئه وطْئًا شديدًا. ونهش الشيء: تناوله بفيه ليعضه. ومهن الرجل: عمل في صنعته. والمَهَنة: أصحاب المهن والحرف.

(٧) في العقد ٦/ ٣٢٩: وكل مما يليك. وفيه ٦/ ١٩٥: وكل ما (في طبعة العريان: مما) بين يديك، فإنما حظك منه ما قابلك.

كريمةٌ ومضغةٌ شهيةٌ[١]، فإنما ذلك للشيخِ المعظَّمِ والصبي المدلَّلِ، ولست واحدًا منهما[٢].

فأنت قد تأتي الدعواتِ وتجيبُ الولائمَ، وتدخل منازلَ الإخوانِ وعهدُك باللحمِ قريبٌ، وإخوانك أشد قَرَمًا[٣] إليه منك، وإنما هو رأسٌ واحدٌ، فلا عليك أن تتجافىٰ[٤] عن بعضٍ وتصيب بعضًا، وأنا بعدُ أكره لك الموالاةَ بين اللحم، فإن الله يبغض أهل البيت اللحِمين[٥]، وكان عمر يقول: إياكم وهذه المجازر، فإن لها ضراوةً كضراوة الخمر[٦]، وكان يقول[٧]: مُدمنُ اللحم كمدمن الخمر[٨].

وقال المسيح -ورأىٰ رجلًا يأكل اللحم- فقال: لحمٌ يأكل لحمًا، أفٍّ لهذا

(١) في عيون الأخبار: أو لقمة كريمة أو بضعة شهية. والبضعة: القطعة من اللحم. وفي العقد ٦/ ١٩٥: من لقمة. وفي ٦/ ٣٢٩ منه إذا كان في الطعام لقمة... وزاد: أو شيء مستطرف.

(٢) في العقد (في الموضعين): ولست بواحد منهما.

(٣) القرم: شدة الشهوة إلىٰ اللحم.

(٤) تتجافىٰ: تميل وتترك.

(٥) (إن الله... اللحمين) نسب هذا الأثر لكعب الأحبار في الجامع لشعب الإيمان ١٠/ ٢٧٣.

(٦) ورد هذا القول منسوبًا لعمر ﷺ في الحيوان ٢/ ٨١، وتهذيب اللغة ١٠/ ٦٠٥، والغريبين ١/ ٣٣٨، وربيع الأبرار ٣/ ٧٣٥، وغريب الحديث لابن الجوزي ١/ ١٥٣، والنهاية في غريب الحديث ١/ ٢٦٧. قال الأزهري: (أراد بالمجازر: مواضع الجزارين التي تنحر فيها الإبل وتذبح البقر، ويباع لحمانها، ... وإنما نهاهم عمر عن المجازر لأنه كره لهم إدمان اللحوم، وجعل لها ضراوة الخمر أي عادة كعادتها، لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف في النفقة، فجعل العادة في أكل اللحم كالعادة في شرب الخمر لما في الدوام عليهما من صرف النفقة والفساد). وفي الموطأ ٢/ ٩٣٥ (أن عمر بن الخطاب قال: إياكم واللحم فإن له...). ونسب هذا القول في الحلية ٢/ ١٩٤ إلىٰ سالم بن عبد الله. برواية: إياكم وإدامة.... وفي المصنف لابن أبي شيبة ٨/ ١٢٨ (قالت عائشة: يا بني تميم لا تديموا أكل اللحم...).

(٧) في عيون الأخبار: وكان يقال. وفي العقد: وقد قالوا.

(٨) في ربيع الأبرار ٣/ ٧٣٥: كان يقال: ... وفي الجامع لشعب الإيمان ١٠/ ٢٧٦: قال عمر: إياكم والخمرين؛ اللحم والنبيذ، فإنهما مفسدة للمال حرقة للدين.

عملًا[١]. وذكر هَرِم بن قُطْبَة[٢] اللحم، فقال: وإنه ليقتل السباع. وقال المهلب: لحمٌ واردٌ علىٰ غير قَـرِمٍ، هذا الموت الأحمر[٣]. وقال الأولُ: أهلك الرجالَ الأحمران: اللحمُ والخمرُ، وأهلك النساءَ الأحمران: الذهبُ والزعفران[٤].

أي بني، عوِّدْ نفسَك الأثـرَة[٥] ومجاهدة الهوىٰ والشهوة، ولا تَنْهَشْ نَهْشَ الأفاعي[٦] ولا تخضِم خَضْمَ[٧] البراذين، ولا تُدِمِ الأكل إدامة النعاج، ولا تَلْقَم لقمَ الجمال، قال أبو ذرٍّ لمن بدل من أصحاب رسول الله ﷺ: «**تخضمون ونقضم والموعد الله**»[٨].

---

(١) في عيون الأخبار: رأىٰ رجل رجلاً يأكل...

(٢) هو هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري، أحد حكام العرب، وخطبائها في الجاهلية، أسلم في عهد النبي ﷺ، وأدرك عهد عمر ﷺ. انظر: الاشتقاق ١٨٣، والبيان والتبيين ١/ ٢٣٧، ٣٦٥، والإصابة ٦/ ٥٧٢.

(٣) الموت الأحمر: الشديد.

(٤) جاء في النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٣٨: (وفيه «أهلكهن الأحمران» يعني الذهب والزعفران، والضمير للنساء. أي أهلكهن حب الحلي والطيب، ويقال للحم والشراب أيضًا الأحمران، وللذهب والزعفران الأصفران). وفي مجمع الأمثال ٢/ ٤٥٣: أفسد الناس الأحمران: اللحم والخمر، وقيل: الأحامرة الثلاثة، فيكون فيها الخلوق والزعفران). وانظر: جنىٰ الجنتين في تمييز المثنيين ١٦، ٢٠.

(٥) الأثرة: المكرمة المتوارثة، سميت بذلك لأنه يأثرها قرنًا بعد قرن.

(٦) في نهاية الأرب: ولا تنهس نهس. وفيه وفي سائر المصادر: السباع. ونهس اللحم نهسًا: أخذه بمقدم أسنانه ونتفه للأكل.

(٧) في شرح النهج: ولا تقضم. وفي اللسان: (الخضم: الأكل عامة، وقيل: هو ملء الفم بالمأكول. وقيل: الخضم الأكل بأقصىٰ الأضراس والقضم بأدناها... وقيل: الخضم للإنسان بمنزلة القضم من الدابة).

(٨) أورد الجاحظ هذا القول في البيان والتبيين ٣/ ١٥٤، كما ورد في النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٤. وهو فيهما دون ذكر للمناسبة ودون: والموعد الله.

وأبو ذرٍّ هو جندب بن جنادة الغفاري، صحابي جليل، كان من السابقين إلىٰ الإسلام، وكان رأسًا في الزهد والصدق، والعلم والعمل، قوَّالًا بالحق، توفي سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. انظر: الاستيعاب ٤/ ١٦٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦، والإصابة ٧/ ١٢٥.

إن الله قد فضَّلك فجعلك إنسانًا[١]، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سَبُعًا، واحذر سرعة الكِظَّةِ[٢] وسرف البِطْنَةِ[٣]. وقد قال بعض الحكماء: إذا كنت بطينًا فعُدَّ نفسك في الزمنىٰ[٤]. وقال الأعشىٰ[٥]: (الخفيف)

والبطنة مما تسفِّه الأحلاما

واعلم أن الشبع داعية البَشَمِ[٦]، وأن البشم داعية السَّقَمِ، وأن السقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، وهو قاتل[٧] نفسه وقاتل نفسه ألْـوَمُ[٨] من قاتل غيره، واعجب إن أردت العَجَبَ، وقد قال الله جل ذكره: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وسواء قتلنا أنفسنا أو قتل بعضنا بعضًا كان ذلك للآية تأويلًا.

أي بني، إن القاتل والمقتول في النار، ولو سألت حُذَّاق الأطباء لأخبروك أن عامة أهل القبور إنما ماتوا بالتُّخَمِ، واعرف خطأ من قال: أَكْلَةً ومَوْتَةً، وخذ بقول

---

(١) في عيون الأخبار: فإن الله جعلك إنسانًا وفضلك فلا. وكذا في سائر المصادر دون: فضلك.

(٢) في العقد: صرعة! والكظة: امتلاء البطن بالطعام.

(٣) في شرح النهج: وداء البطنة.

(٤) في العقد: إذا كنت نهمًا، وفي شرح النهج: بطنًا. وفيهما وسائر المصادر: من الزمنىٰ. النهم: المحب للطعام المكثر منه. والبطن: المصاب بداء البطن. البطين: عظيم البطن. الزمنىٰ: جمع زمن، المريض عن مرض أو كبر.

(٥) البيت في ديوانه ٢٩٧.
وهو من قصيدة يعاتب فيها بني عبدان بن سعد بن قيس بن ثعلبة والبيت بتمامه:
يا بني المنذر بن عبدان والبط نةُ يومًا قد تأفن الأحلاما
وتأفن الأحلام: تفسد العقول.

(٦) البشم: الإكثار من الطعام حتىٰ التخمة (الامتلاء).

(٧) في شرح النهج: مات موتة لئيمة، وهو مع هذا قاتل.

(٨) في عيون الأخبار والعقد: ألأم. وألوم: أكثر استحقاقًا للوم. والألأم: أكثر لؤمًا.

من قال: ربَّ أكلةٍ تمنع أكلاتٍ[١]. وقد قال الحسنُ: يا بن آدم كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلث بطنك، ودع الثلث للتفكُّرِ والتنفُّسِ[٢]. وقال بكر بن عبد الله المزني[٣]: ما وجدت طَعْمَ العيش حتىٰ استبدلتُ الخَمْصَ[٤] بالكِظَّةِ، وحتىٰ لم ألبس من ثيابي ما يستخدمني، وحتىٰ لم آكل إلا ما لا أغسل يديَّ منه.

يا بني، والله ما أدّىٰ حقَّ الركوع ولا وظيفة السجود ذو كِظَّةٍ، ولا خشع لله ذو بطنة، والصوم مَصَحَّة، والوجبات[٥] عيش الصالحين.

ثم قال[٦]: لأمرٍ ما طالت أعمار الهند، وصحَّت أبدان الأعراب[٧]، فلله درُّ الحارث بن كلدة[٨] حين زعم أن الدواء هو الأَزْمُ، وأن الداء هو إدخال الطعام في

---

(١) ورد المثل في الأمثال لأبي عبيد ٢٨٨، وجمهرة الأمثال ١/ ٤٩١، والمستقصىٰ ٢/ ٩٣، ومجمع الأمثال ٢/ ٤١.

(٢) روىٰ الترمذي ٤/ ٥٩٠ ح٢٣٨٠، وابن ماجه ٢/ ١١١ ح٣٣٤٩ -واللفظ للترمذي- عن النبي ﷺ قوله: (ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنٍ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه).

(٣) إمام محدث فقيه عابد، ثقة حجة فيما يرويه، يُذكر مع الحسن البصري وابن سيرين، توفي سنة ١٠٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٨٤.

(٤) خمص البطن خمصًا: خلا وضمر.

(٥) الوجبات: جمع وجبة، وهي الأكلة الواحدة في اليوم والليلة.

(٦) مكانها في عيون الأخبار والعقد: أي بني. وفي شرح النهج: والصوم مصحة، ولربما طالت... ولله درُّ.

(٧) في العقد ٦/ ٣٢٩ وشرح النهج: العرب.

(٨) الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي، طبيب العرب، كان من الطائف، وسافر في البلاد وتعلم الطب بناحية فارس وتمرن هناك، وعرف الداء والدواء. عاش إلىٰ زمن معاوية ﷺ، قال أبو حاتم: لا يصح إسلامه. ذكر القفطي أن له تقدمًا في النحو واللغة (!).

انظر: طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ٥٤، وأخبار الحكماء للقفطي ١١١، وعيون الأنباء ١٦١، والإصابة ١/٥٩٤. =

أثَرِ الطعام[1].

أي بني، لِمَ صَفَتْ أذهان العرب[2]، ولِمَ صدقت أحسَاس الأعراب، ولِمَ صحَّت أبدان[3] الرهبان، مع طول الإقامة في الصوامع، وحتىٰ لم تعرف النِّقْرِسَ[4] ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لقلَّةِ الرُّزْءِ من الطعام، وخفَّةِ الزاد[5] والتبلُّغِ باليسير.

أي بني، إن نسيم الدنيا ورَوْح الحياة أفضلُ من أن تبيت كظيظًا وأن تكون بِقِصَر العمر خليقًا، وكيف لا ترغب في تدبير[6] يجمع لك صحة البدن، وذكاء الذهن، وصلاح المعاد[7]، وكثرة المال، والقرب من عيش الملائكة.

أي بني، لم صار الضب أطول شيء عمرًا[8]، إلا لأنه إنما يعيش[9] بالنسيم؟

=وقد ورد في غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٢٢٨، والصحاح (أزم)، والفائق ١/ ٤١، والنهاية في غريب الحديث ١/ ٤٦، وعيون الأنباء ١٦١ أن عمر ﷺ سأل الحارث بن كلدة: ما الدواء؟ فقال: الأزم، وقد جعل ابن جلجل السائل معاوية، ونقله عنه ابن أبي أصيبعة، وكذا ورد عند القفطي. والأزم: الجوع، أو الحمية، وهي الامتناع عن الطعام.

(١) في العقد: وأن الداء كله من فضول الطعام.

(٢) في عيون الأخبار وشرح النهج: الأعراب.

(٣) في شرح النهج: أذهان! ولعله تحريف.

(٤) النقرس: مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم، وفي إبهامها أكثر. وهو ما كان يسمَّىٰ: داء الملوك.

(٥) في شرح النهج: الرزء، ووقاحة الأكل! وقلَّة الرزء من الطعام: قلة الإصابة منه.

(٦) في العقد: شيء.

(٧) أثبت محققو عيون الأخبار: المعىٰ (الأمعاء). وأشاروا إلىٰ أن الكلمة في الأصل عندهم: المعاد. وعدوها تحريفًا! وفي العقد: وصلاح الدين والدنيا.

(٨) في العقد ٦/ ١٩٦: ما صار. وفي عيون الأخبار وشرح النهج: ذماء. والذماء بقية الروح في المذبوح، والمراد: أطول عمرًا. والضب يضرب به المثل في ذلك. انظر: الحيوان للجاحظ ٦/ ٥٤.

(٩) في بقية المصادر: يتبلَّغ. يقال: تبلغ به، أي اكتفىٰ. النسيم: الريح اللينة.

ولِمَ زعم[(١)] الرسول ﷺ أن الصوم وِجَاءٌ[(٢)]، إلا ليجعلَ الجوع حِجَازًا[(٣)] دون الشهوات؟ افهم تأديبَ الله[(٤)]، فإنه لم يقصد به إلا إلىٰ مثلِك.

أي بني، قد بلغت تسعين عامًا ما نَغَضَ[(٥)] لي سنٌّ، ولا تحرك لي عظم، ولا انتشر لي عصب[(٦)]، ولا عرفت دَنِينَ أذن[(٧)]، ولا سيلان عين، ولا سَلَسَ بول[(٨)]، ما لذلك علَّة إلا التخفيف من الزاد. فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تحب[(٩)] الموت فلا يبعد الله إلا من ظلم)[(١٠)].

---

(١) في العقد ٦/ ٣٢٩: قال. وهي أولىٰ وأكثر أدبًا مع كلام النبي ﷺ.

(٢) روىٰ البخاري (فتح الباري ٤/ ١١٩ ح١٩٠٥)، ومسلم ٢/ ١٠١٨ ح١٤٠، عن النبي ﷺ قوله: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطِع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء). والوجاء في الأصل رضُّ الخصيتين، والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة.

(٣) في طبعة العريان من العقد وشرح النهج: حجابًا. وهما بمعنىٰ.

(٤) في العقد: فافهم تأديب الله ﷻ، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام. وفي شرح النهج: تأديب الله ورسوله، فإنهما لا يقصدان إلا مثلك.

(٥) في العقد وشرح النهج: ما نقص. نغض الشيء نغضًا ونغضانًا: تحرك في ارتجاف واضطراب.

(٦) انتشر لي عصب: استرخىٰ وضعف.

(٧) في عيون الأخبار والعقد (٦/ ٣٣٠): ذنين أنف. وفي العقد ٦/ ١٩٦: وَكَفَ أنف. وفي شرح النهج: دنين أنف. وذنين الأنف ووكفه: سيلان مخاطه. ودنين الأذن: وجود طنين وصوت فيها.

(٨) في شرح النهج: ولا تقطير بول. وسلس البول: استرساله وعدم إمساكه.

(٩) في عيون الأخبار وشرح النهج: وإن كنت تريد. وفي العقد: فلا أبعد الله غيرك.

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب البخلاء ١٠٨-١١١. كما وردت باختصار يسير في عيون الأخبار ٣/ ٢١٦-٢١٩، وصدرها بقوله: ومما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه. كما وردت باختصار في العقد الفريد ٦/ ١٩٥-١٩٦، ٦/ ٣٢٩-٣٣٠، وفي طبعة العريان منه ٧/ ١٧٦، ٨/ ١٥، وشرح نهج البلاغة ١٩/ ١٨٥-١٨٦. وقد ورد منها قوله: (يا بنيَّ عوِّد نفسك.... بهيمة) في التذكرة الحمدونية ٨/ ٨٥، ونهاية الأرب ٣/ ٣٤٠، ونسب فيهما إلىٰ بعضهم يقوله لولده وقد رأىٰ حرصه علىٰ الطعام.

[٣٤٩] وكان يقول لعياله:

(لا تلقوا نَوىٰ التمرِ والرُّطَبِ، وتعوَّدوا ابتلاعَه، وخذوا حلوقكم بتسويغه[(١)].

فإن النوىٰ يعقد الشحم في البطن[(٢)]، ويدفئ الكليتين بذلك الشحم. واعتبروا ذلك ببطون الصَّفايا[(٣)] وجميع ما يعتلف النوىٰ. والله لو حملتم أنفسَكم علىٰ البَزْرِ والنوىٰ، وعلىٰ قَضْمِ الشعير واعتلاف القَتِّ[(٤)] لوجدتموها سريعة القبول، وقد يأكل الناس القتَّ قَدَّاحًا، والشعير فَرِيكًا[(٥)]، ونوىٰ البسر الأخضر، ونوىٰ العجوة.

فإنما بقيت الآن عليكم عقبة واحدة، لو رغبتم في الدفء لالتمستم الشحم، وكيف لا تطلبون شيئًا يغنيكم عن دخان الوقود، وعن شَنَاعَةِ السُّكْرِ، وعن ثِقَلِ الغُرْمِ، والشحم يفرِّج القلب، ويبيِّض الوجه، والنار تُسَوِّد الوجه، أنا أقدر أن أبتلع النوىٰ وأعلفه الشاء، ولكني أقول ذلك بالنظر مني لكم.

وكان يقول: كلوا الباقِلَّىٰ[(٦)] بِقشورِه، فإن الباقلىٰ يقول: من أكلني بقشوري فقد أكلني، ومن أكلني بغير قشوري فأنا الذي آكله، فما حاجتكم إلىٰ أن تصيروا طعامًا لطعامكم، وأكلًا لما جُعِل أكلًا لكم؟)[(٧)].

---

(١) أي عوِّدوها أن يسهل انحداره ومدخله فيها.

(٢) يعقد الشحم: يبنيه ويحدثه.

(٣) الصفايا: جمع صفيّ، الناقة أو الشاة الغزيرة اللبن.

(٤) البزر: الحب الذي يلقىٰ في الأرض للإنبات. والنوىٰ: عَجَمُ التمر والزبيب أو بذره. والقتُّ: علف الدواب. ولا يزال مُسِنُّو عامة نجد يطلقون علىٰ البرسيم: القت.

(٥) قدَّاحًا: رطبًا. والفريك: البر أو الذرة أو الشعير أول نضجه حين يصلح أن يفرك فيؤكل.

(٦) الباقلىٰ أو الباقلا أو الباقلاء: الفول.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب البخلاء ١٠٣. كما وردت -باختصار يسير- في عيون الأخبار ٣/ ٢٥٦-٢٥٧ (مما أجاز الجاحظ لابن قتيبة روايته من كتبه).

[٣٥٠] وأبو عبد الرحمن هذا هو الذي قال لابنه:

(أي بني، إن إنفاقَ القراريط يفتح عليك أبوابَ الدوانيق، وإنفاقَ الدوانيق يفتح عليك أبوابَ الدراهم، وإنفاقَ الدراهم يفتح عليك أبوابَ الدنانير، والعشراتُ تفتح عليك أبواب المئين، والمئون تفتح عليك أبواب الألوف، حتىٰ يأتي ذلك علىٰ الفرع والأصل، ويطمس علىٰ العين والأثر، ويحتمل القليل والكثير.

أي بني، إنما صار تأويل الدرهم «دارَ الهَمِّ»، وتأويل الدينار «يُدني إلىٰ النار» أن الدرهم إذا خرج إلىٰ غير خلَف وإلىٰ غير بدل دار الهمُّ علىٰ دانقِ مُخْرِجه. وقيل: إن الدينار يدني إلىٰ النار لأنه إذا أنفقه في غير خَلَف وأخرج إلىٰ غير بدل بقي مخفِقًا معدمًا، وفقيرًا مُبْلِطًا متحرِّج المخارج[1]، وتدعوه الضرورة إلىٰ المكاسب الرديئة والطُّعَم الخبيثة، والخبيث من الكسبِ يُسقط العدالة، ويُذهب بالمروءة، ويوجب الحدَّ، ويُدخل النار)[2].

[٣٥١] عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه[3] قال:

(يا بني، تعلَّمِ النحوَ، فإنك لم تعلمْ منه بابًا إلا تـدَرَّعْـتَ[4] من الجمال

(١) مبلطًا: مفلسًا. متحرج المخارج: ضيِّق التصرف.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب البخلاء ١٠٦.

(٣) صاحب النص: جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الجهضمي الأزدي البصري، إمام حافظ من أجلَّة أهل البصرة ورفعائهم، ولد سنة ٨٥ ومات سنة ١٧٠.

انظر: المعارف ٥٠٢، وميزان الاعتدال ١/ ٣٩٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٩٨.

وابنه وهب ولد بعد الثلاثين ومئة، إمام حافظ، روىٰ عن والده وغيره، مات منصرفًا من الحج سنة ٢٠٦هـ أو ٢٠٧هـ.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٢٩٨، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٦١.

(٤) تدرعت: لبست.

سِربالًا[1])[2].

[٣٥٢] قال بعض أصحاب جعفر بن محمد الصادق[3]:

(دخلت علىٰ جعفر وموسىٰ بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال: يا بني، اقبل وصيتي واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تعشْ سعيدًا، وتمت حميدًا[4]، يا بني من رضي[5] بما قُسِمَ له استغنىٰ، ومن مَدَّ عينه[6] إلىٰ ما في يد غيره مات فقيرًا، ومن لم يرضَ بما قسمه الله[7] له اتَّهَمَ الله في قضائه، ومن استصغر زلَّة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه.

يا بني، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيتِه[8]، ومن سَلَّ سيف البغي قُتل به، ومن احتفر لأخيه بئرًا سقط فيها[9]، ومن دَاخَلَ السفهاء حُقِّرْ، ومن خَالَطَ العلماء وُقِّرْ، ومن دخل مَدَاخِلَ السُّوءِ اتهم. يا بني إياك أن تَزري بالرجال فيُزرَىٰ بك، وإياك والدخولَ فيما لا يعنيك فتَذِلَّ لذلك.

(١) سربالاً: قميصًا.

(٢) التوثيق: وردت الوصية في المصون في الأدب ١١٩ لأبي أحمد العسكري.

(٣) صاحب الوصية: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ. المعروف بالصادق، أحد أئمة الطالبيين، كان رأسًا في العلم والعبادة، ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٤٨هـ.
انظر: حلية الأولياء ٣/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٠٣.
وابنه موسىٰ الملقب بالكاظم، كان أحد أئمة الطالبيين، عرف بالسخاء والاجتهاد في العبادة، ولد في المدينة سنة ١٢٨هـ، وتوفي محبوسًا في بغداد سنة ٢٨٣هـ.
انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٠.

(٤) في الأصل: تعيش... وتموت. والتصحيح من صفة الصفوة.

(٥) في صفة الصفوة: إنه من قنع...

(٦) في سير أعلام النبلاء: عينيه.

(٧) في سير أعلام النبلاء: قُسم له.

(٨) في سير أعلام النبلاء: انكشفت عورته.

(٩) في سير أعلام النبلاء: أوقعه الله فيه.

يا بني، قُلِ الحقَّ لك أو عليك تستشار[1] من بين أقرانِك[2]، يا بني كُنْ لكتاب الله تاليًا، وللإسلام[3] فاشيًا، وبالمعروف آمرًا[4]، وعن المنكر ناهيًا، ولمن قطعك واصلًا، ولمن سكت عنك مبتدئًا، ولمن سألك معطيًا، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال[5]، وإياك والتعرضَ لعيوب الناس فمنزلةُ المتعرِّض[6] لعيوب الناس بمنزلة الهدف.

يا بني، إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادنَ، وللمعادن أصولًا، وللأصول فروعًا، وللفروع ثمرًا، ولا يطيب ثمرٌ إلا بأصول[7]، ولا أصلٌ ثابتٌ إلا بمعدنٍ طيِّب، يا بني إن زُرت فزر الأخيار ولا تزرِ الفجار، فإنهم صخرةٌ لا يتفجَّر ماؤها، وشجرةٌ لا يخضر ورقُها، وأرض لا يظهر عشبها. قال علي بن موسىٰ: فما ترك هذه الوصية إلىٰ أن توفي)[8].

---

(١) في الأصل: تستشان! والتصحيح من سير أعلام النبلاء. وتبعًا للقاعدة النحوية فينبغي أن يكون (تستشرْ) باعتباره جوابًا للطلب. ولكن يمكن تأويل رفعه علىٰ الاستئناف.

(٢) في سير أعلام النبلاء: أقربائك.

(٣) جاء في حاشية حلية الأولياء: كذا، ولعله: للسلام فاشيًا! قلت: ولعل المعنىٰ مظهرًا لشعائر دينك مفتخرًا بها. أو ناشرًا لدينك داعيًا إليه.

(٤) في سير أعلام النبلاء: وللمعروف.

(٥) في سير أعلام النبلاء: في القلوب. والشحناء: الحقد والعداوة والبغضاء.

(٦) في الأصل: التعرض. والتصحيح من سير أعلام النبلاء.

(٧) في سير أعلام النبلاء: ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٣/ ١٩٥-١٩٦، كما وردت في صفة الصفوة ٢/ ١٧٠ (باختصار)، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٦٣، وحياة الحيوان الكبرىٰ ٢/ ٥ (باختصار). وقد ورد منها قوله: (من كشف... وقِّر) ضمن وصية لعليٍّ ﷺ. وعلي بن موسىٰ بن جعفر يلقب بالرضي، ولد سنة ١٤٨هـ كان من العلم والدين والسؤدد بمكان، استدعاه المأمون وبالغ في إعظامه وصيَّره وليَّ عهده فقامت قيامة آل المنصور، فلم يلبث أن مات الرضي سنة ٢٠٣هـ وقيل: إنه مات مسمومًا.

انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٨٧، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٨٧.

[٣٥٣] وقال جعفر بن محمد لابنه:

(يا بني، من غضب من إخوانك ثلاثَ مراتٍ فلم يَقلْ فيك سوءًا، فاتَّخذه لنفسك خِلًّا)[١].

[٣٥٤] قال ابن أبي حاتم الرازي[٢]:

(سمعت أبي يقول: اكتب أحسنَ ما تسمع، واحفظ أحسنَ ما تكتب، وذاكر بأحسنِ ما تحفظ)[٣].

[٣٥٥] عن أبي حازم[٤] أنه قال:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في أدب الدنيا والدين ٢٨١.

(٢) **صاحب الوصية**: أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي. أحد الأئمة الحفاظ الأثبات المبرزين في الحديث ومعرفة الرجال. قال الذهبي: كان من بحور العلم. ولد سنة ١٩٥، وتوفي بالري سنة ٢٧٧هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٢/ ٧٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٧.
وابنه عبد الرحمن أبو محمد العلامة الحافظ العابد. ولد سنة ٢٤٠، وتوفي في المحرم سنة ٣٢٧هـ. قال عنه الذهبي: كان بحرًا لا تكدره الدلاء!، له آثار تدل علىٰ سعة حفظه وإمامته.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٣، وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٧، وطبقات الشافعية الكبرىٰ ٣/ ٣٢٤.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ بغداد ٢/ ٧٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ١١، كما نسبت لأبي حاتم الرازي في طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٥. وقد نسبت الوصية للمأمون وليحيىٰ بن خالد البرمكي وغيرهما. راجع التعليق عليها ضمن وصايا الأخير.

(٤) **صاحب الوصية**: أبو حازم سلمة بن دينار، كان مولىٰ لقوم من بني ليث بن بكر، وصفه الذهبي بالإمام القدوة شيخ المدينة النبوية، اشتهر بالحكمة والزهد، اختلف في وفاته بين سنتي ١٣٣، ١٤٤، جعل بعضهم وفاته في خلافة المنصور.
انظر: طبقات خليفة ٢٦٤، وصفة الصفوة ٢/ ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٩٦.

([ابني][1]، لا تقتدينَّ[2] بمن لا يخافُ الله بظهر الغيب، ولا يقفُ[3] عن العيب، ولا يصلح عند[4] الشيب!)[5].

[٣٥٦] قال حبيب[6] بن الشهيد لابنه:

(يا بني، اصحب الفقهاءَ والعلماءَ، وتعلَّمْ منهم، وخذْ من أدبهم، فإن ذلك أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الحديث)[7].

[٣٥٧] وقال [الحسن بن سهل][8] لبنيه:

---

(١) زيادة من حلية الأولياء.
(٢) في الأصل وحلية الأولياء: لا تقتدي! والتصحيح من مختصر تاريخ دمشق.
(٣) في حلية الأولياء ومختصر تاريخ دمشق: ولا يعَفُّ. ويعفُّ: يكفُّ ويتنزَّه.
(٤) في حلية الأولياء: عن. وهو تصحيف.
(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب العمر والشيب لابن أبي الدنيا ٦١، وحلية الأولياء ٣/ ٢٣٠، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٧٤.
(٦) **صاحب الوصية**: هناك رجلان يحمل كل منهما اسم حبيب بن الشهيد؛ أحدهما: أبو مرزوق التجيبي القتيري المصري، وفد علىٰ عمر بن عبد العزيز. كان فقيهًا ينزل طرابلس المغرب، وكان له منزلة في الفتوىٰ فيها، توفي سنة ١٠٩هـ.
انظر: مختصر تاريخ دشق ٦/ ١٨٣، وميزان الاعتدال ٤/ ٥٧٢، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٢٨.
والثاني: حبيب بن الشهيد الأزدي البصري، محدث ثقة قليل الحديث، كان من رفعاء الناس، مات سنة ١٤٥هـ وله ست وستون سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٥٦، والوافي ١١/ ٢٩١، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٨٥.
ولعل نسبة الوصية إلىٰ الأخير أقرب، إذ هو المشتغل بالحديث.
(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة الكناني ٢١.
(٨) **صاحب الوصية**: أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، استوزره المأمون بعد قتل أخيه الفضل الملقب بذي الرياستين، ولم يزل لدىٰ المأمون في ترقٍّ وصعود حتىٰ تزوج المأمون ابنته بوران في حفل أسطوري سنة ٢١٠هـ. كان عالي الهمة غاية في الجود، توفي بسرخس في ذي القعدة سنة ٢٣٦هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٧/ ٣١٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٧١.

(يا بني، تعلَّموا النطق، فإنَّ فضلَ الإنسانِ علىٰ سائرِ البهائم به، وكلَّما كنتم بالنطق أحذقَ كنتم بالإنسانية أحقَّ)[1].

[٣٥٨] قال الحكم بن هشام[2] لابنٍ له[3]:

(أيْ بني، إياك والنبيذَ[4]، فإنه قيءٌ في شدقك[5]، وسَلْحٌ علىٰ[6] عقبك، وحدٌّ في ظهرك، وتكون ضُحْكَةً للصبيان، وأسيرًا للدَّيَّان[7])[8].

[٣٥٩] قال خالد بن صفوان[9] لابنه:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في وفيات الأعيان ٢/ ١٢١.

(٢) **صاحب الوصية**: أبو محمد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الثقفي الكوفي، محدث كان مؤاخيًا لأبي حنيفة، وكان فقيرًا عزيز النفس.
انظر: تاريخ دمشق ١٥/ ٨٣، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٤٣.
وقد ورد الاسم في محاضرات الأدباء: المحكم بن هشام. وهو تصحيف.

(٣) **مناسبة الوصية**: كان للحكم بن هشام ابنٌ يتعاطىٰ الشراب. (وفي محاضرات الأدباء: كان مولعًا بالشراب) فقال ذلك له.

(٤) في البصائر وربيع الأبرار ومحاضرات الأدباء: يا بني دع الشراب.

(٥) في تهذيب تاريخ دمشق: شدقيك.

(٦) في البصائر: في عقبك. وفيه وفي ربيع الأبرار ومحاضرات الأدباء وغرر الخصائص: أو. وكذا في الموضع الآتي.

(٧) في تاريخ دمشق وتهذيب الكمال: وأميرًا للذبان! وفي تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٤١٦: وأسيرًا للذبان.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الجامع لشعب الإيمان ١٠/ ٢١٧، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٤١٦، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٥٥ وهي في المصادر الثلاثة عن هشام بن الكلبي. وقد ورد منها قوله: (أي بني... ظهرك) في البصائر والذخائر ٩/ ١٥٦ وفيه: كان للحكم ابن، وربيع الأبرار ٤/ ٥٦، ونسبها لرجل. ومحاضرات الأدباء ١/ ٦٧٨، وغرر الخصائص الواضحة ٩٣، ونسبها لرجل.

(٩) **صاحب الوصية**: خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم المنقري التميمي البصري، أحد فصحاء العرب وخطبائهم وبلغائهم، كما كان راوية للأخبار، ذا حظ من السلطان ومال، إلا أنه كان بخيلًا مطلاقًا. عاش حتىٰ أدرك أبا العباس السفاح وحَادَثَه. جَعَلَ ياقوتُ وفاتَه سنة ١٣٥هـ.
انظر: المعارف ٤٠٣، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢٣١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦.

(يا بنيّ، الأدب بهاءُ الملوك ورِيَاشُ السُّوَقة[١]، والناس بين هاتين، فتعلَّمْه تجدْه حيث تحبُّ)[٢].

[٣٦٠] وقال خالد [بن صفوان] لابنه:

(يا بني، كن أحسنَ ما تكون في الناس[٣] حالاً أقلَّ ما تكون في الباطن مالًا[٤]؛ فإن الكريم من كرمت عند الحاجة طُعْمَتُه[٥]، وإن اللئيم من ساء عند الفاقة أكلُه[٦])[٧].

[٣٦١] وقال خالد بن صفوان لابنه:

(أوصيك باثنتين -لن تزال بخيرٍ ما تمسكتَ بهما-[٨]: درهمِك لمعاشك،

---

(١) الرياش: اللباس الفاخر، والمراد زينة. والسوقة: من دون الملوك.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في اللطائف والظرائف ٤٣.

(٣) في سائر المصادر: الظاهر.

(٤) في العقد وشرح النهج ٣/ ١٦٣: مآلاً. ولعله تصحيف.

(٥) في ربيع الأبرار وشرح النهج: خلته. وفي المناقب والمثالب: خليقته. والطعمة: الرزق ووجه الكسب. والخلَّة: الخصلة. يقال: فيه خلة حسنة وخلَّة سيئة. والخلة أيضًا: الحاجة والفقر (وبذا فسرها محقق شرح النهج). الخليقة: الطبيعة التي يخلق بها المرء.

(٦) في ربيع الأبرار وشرح النهج: من لؤمت عند الفاقة طعمته. وفي المناقب والمثالب: وشرفت... طريقته. والفاقة: شدة الحاجة.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٣٠١، كما وردت في المناقب والمثالب ٥٠، وربيع الأبرار ٤/ ٣٨٧، وشرح نهج البلاغة ٣/ ١٦٣ (دون تصريح بأنها وصية) كما ورد أولها: (كن... مآلًا) مع زيادة يسيرة في العقد الفريد ٣/ ١٤٨. والوصية ورد أولها: (كن... مالًا) ضمن وصية عبد الله بن شداد، وكذا آخرها في بعض المصادر (انظر وصيته لابنه). وهي به أليق؛ لاتساقها مع وصيته، ولكثرة المصادر التي تواطأت علىٰ نسبتها إليه، فلعل خالد بن صفوان قد قالها لابنه متمثلًا بها. ونسبت الوصية في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣١٤ -مع أجزاء من وصية عبد الله بن شداد - إلىٰ علي بن أبي طالب ﷺ!

(٨) في ربيع الأبرار: يا بني، خلتان إن أنت حفظتهما لم تبالِ بعدهما؛ دينك... ودرهمك...

ودينِك لمعادك)[1].

[٣٦٢] قال خالد بن يحيى بن برمك[2] لابنه:

(يا بني، خذْ من كلٍّ علمٍ بحظٍّ، فإنك إن لم تفعل جهِلت، وإن جهلت شيئًا من العلم عاديته لما جهلت، وعزيزٌ عليَّ أن تُعادي شيئًا من العلم)[3].

[٣٦٣] وعظ الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي[4] ابنه فقال:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ٣٠، كما وردت في ربيع الأبرار ٤/ ١٤٧. وقد جاء في إصلاح المال ١٧٨ بسند عن الأصمعي (قال: قال خالد بن صفوان: خصلتان إذا حفظتهما لا تبالي ما صنعت؛ دينك...) وفي الأمالي ١/ ١٩٥ عن المعتمر بن سليمان: كان يقال: عليك بدينك ففيه معادك، وعليك بمالك ففيه معاشك، وعليك بالعلم ففيه زينك.

(٢) **صاحب الوصية**: خالد بن يحيىٰ بن برمك، كان وزيرًا لأبي العباس السفاح، ثم وزيرًا لأخيه المنصور، ثم عزله وعقد له علىٰ إمرة فارس. اشتهر بالكرم والحلم، وكان ذا رأي وفطنة. ولد سنة ٩٠ وتوفي سنة ١٦٥هـ.

انظر: الوزراء والكتاب ٨٧، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٢٥، والوافي بالوفيات ١٣/ ٢٤٧.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٢٣. وقد نسبت وصية شبيهة بها جدًّا لابنه يحيىٰ (انظرها في وصاياه).

(٤) **صاحب الوصية**: هكذا جاء اسمه في روضة العقلاء وكتاب العزلة، وفي محاضرة الأبرار: خطاب بن المعلىٰ المخزومي. وقد استبدل (!) محقق الكتاب بالاسم (حطان بن المعلىٰ المخزومي)، وعرَّف به بقوله: (شاعر إسلامي، اشتهر بقصيدة له، منها:

وإنمـــا أولادنـــا بينـــنا　　أكبادنا تمشي علىٰ الأرض

إن هبت الريح علىٰ بعضهم　　تمتنع العين علىٰ الغمض)

والشاعر المذكور ورد اسمه في بعض شروح حماسة أبي تمام (عند القطعة المذكورة): الخطاب (انظر: شرح المرزوقي ١/ ٢٨٥، وشرح الفسوي ٢/ ١٨٣، والشرح المنسوب لأبي العلاء المعري ١/ ٢٠٩). ويخالجني شك كبير أن يكون هو صاحب الوصية، إذ لم يُشر أحد ممن نقل مقطوعته (اليتيمة) السابقة بأنه مخزومي أو قرشي، بل ورد في بهجة المجالس ١/ ٧٦٧: وقال أعرابي، وهو حطان بن المعلىٰ.

وثمة شاعر بالاسم نفسه ذكره الصفدي (الوافي ١٣/ ٣٤٥) وقال عنه: (خطاب بن المعلىٰ الليثي. قال المرزباني: بصري شخص إلىٰ مصر، ومدح علي بن صالح بن علي الهاشمي لما=

(يا بني، عليك بتقوىٰ الله وطاعته، وتجنَّبْ محارمَه باتباع سنته ومعالِمِه[1]؛ حتىٰ تصحَّ عيوبُك[2]، وتقرَّ عينُك، فإنها لا تخفىٰ علىٰ الله خافيةٌ، وإني قد وَسَمْت لك وَسْمًا، ووضعت لك رَسْمًا[3]، إن أنت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك، وانقاد لك به الصعلوك، ولم تزلْ مرتجًىٰ مشرَّفًا[4] يُحتاج إليك، ويُرغب إلىٰ ما في يديك، فأطِعْ أباك، واقتصر علىٰ وصية أبيك، وفرِّغ لذلك ذهنك، وأشغل به قلبك ولُبَّك.

وإياك وهَذْر الكلام، وكثرةَ الضحك والمزاح، ومهازلةَ[5] الإخوان، فإن ذلك

=تقلدها، فلم يحمده فقال: ...). وأورد بيتين من الشعر. وعليٌّ المذكور في الترجمة لما أقف له علىٰ ذكر، ولم أقف علىٰ أنه تولَّىٰ مصر، وأبوه صالح بن علي هو الذي دخل مصر وهزم مروان بن محمد. وذُكر له ثلاثة أولاد ليس من بينهم علي. وإسناد الوصية في مصادر الوصية الثلاثة تنتهي إلىٰ أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي الذي حدثه بها عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلىٰ. وورد الاسم في محاضرة الأبرار محمد بن عطية. وهو خطأ -فيما يبدو- إذ إن محمد بن عطية توفي علىٰ رأس المئة (انظر: تقريب التهذيب ٨٧٨)، وأبو حاتم الرازي الراوي عنه توفي سنة ٢٧٧ كما مرَّ في ترجمته عند وصيته لابنه. وعبد الرحمن بن أبي عطية لم أقف عليه بهذا الاسم، لكن يبدو أنه نسب إلىٰ جده، فقد ورد في كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٢٥٧): (عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عطية الحمصي، روىٰ عن أبيه، سمع منه أبي بحمص في الرحلة الثانية). وهذا يدل علىٰ أن صاحب الوصية بينه وبين الشاعر الأخير مدة زمنية طويلة نسبيًّا، وقد ورد في تاريخ دمشق ١٦/ ٤٥٦: (الخطاب بن المعلىٰ الدمشقي، وكان أديبًا حكيمًا، أوصىٰ ابنًا له وصية حسنة).

(١) في محاضرة الأبرار: ومعاملته.

(٢) في المصدرالسابق: يصح عيشك.

(٣) الوسم: العلامة. والرسم: الأثر والخط والطريق والمعلم.

(٤) في عين الأدب والسياسة: الصعاليك. الصعلوك: الفقير. مرتجىٰ: مؤملاً فيك. مشرفًا: مرتفعًا عاليًا.

(٥) في محاضرة الأبرار: ومماراة. ومهازلة الإخوان: التعامل معهم بالهزل. المماراة: المجادلة.

يذهب البهاء، ويوقع الشحناء، وعليك بالرَّزَانةِ والتَّوَقُّرِ[١]، من غير كِبْرٍ يوصَف منك، ولا خُيلاء تُحكىٰ عنك، والقَ صديقَك وعدوَّك بوجه الرضا، وكفِّ الأذىٰ، من غير ذِلَّة لهم ولا هيبة منهم، وكن في جميع أمورك في أوسطها[٢]؛ فإن خير الأمور أوساطها.

وقلِّل الكلام، وأفشِ السلام، وامشِ متمكِّنًا قَصْدًا[٣]، ولا تخطَّ برجلك، ولا تسحب ذيلك، ولا تَلْوِ عنقك، ولا[٤] رداءك، ولا تنظر في عِطْفِك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف علىٰ الجماعات، ولا تتخذ السوق مجلسًا، ولا الحوانيتَ متحدَّثًا، ولا تكثر المراءَ، ولا تنازع السفهاءَ، فإن تكلَّمت[٥] فاختصرْ، وإن مزحتَ[٦] فاقتصرْ، وإذا جلست فتربَّعْ[٧]، وتحفَّظْ من تشبيك أصابعك وتفقِيعِها، والعَبَثِ بلحيتك وخاتمك، وذؤابة سيفك[٨]، وتخليل أسنانك[٩]، وإدخال يدك في أنفك، وكثرة طرْد الذباب عنك[١٠]، وكثرة التثاؤب والتمطي، وأشباه ذلك مما يستخفُّه الناس منك، ويغتمزون به فيك[١١].

---

(١) البهاء: الجمال والنضارة. الشحناء: العداوة. الرزانة: الحلم والسكون. التوقر: التعقُّل والرصانة.

(٢) في عين الأدب والسياسة: متوسطًا.

(٣) امشِ متمكنًا قصدًا: ثابتًا معتدلاً. لا تنظر في عطفك: لا تكُن معجبًا بنفسك.

(٤) زاد محاضرة الأبرار: ولا تلقِ. وزاد المصدر السابق: وراءك.

(٥) في المصدرالسابق: وإن قضيت.

(٦) في المصدر السابق: وإن مدحت.

(٧) تربَّعَ: ثنىٰ قدميه تحت فخذيه مخالفًا لهما.

(٨) ذؤابة كل شيء: أعلاه. وذؤابة السيف: طرفه.

(٩) تخليل الأسنان: إخراج ما بينها من بقايا الطعام.

(١٠) في المصدر السابق: وطرد الذباب عن وجهك.

(١١) في المصدر السابق: ويغتمزون فيك. وتمطىٰ الرجل: تمدد أو مدَّ يديه، وهو علامة علىٰ الكسل والشعور بفتور الجسم.

وليكُن مجلسك هاديًا، وحديثك مقسومًا، وأصغِ إلىٰ الكلام الحسن ممن حدَّثك، بغير إظهار عَجَبٍ منك، ولا مسألة إعـادة، وغُـضَّ عن الفكاهات من المضاحك والحكايات، ولا تَحَدَّثْ[١] عن إعجابك بولدك، ولا جاريتك[٢]، ولا عن فرسك، ولا عن سيفك، وإياك وأحاديثَ الرؤيا، فإنك إن أظهرت عجبًا بشيء منها[٣] طمع فيها السفهاء، فولَّدوا لك الأحلام، واغتمزوا في عقلك[٤].

ولا تصنَّعْ[٥] تصنُّعَ المرأة، ولا تبذل تبذُّلَ العبد، ولا تهلُب[٦] لحيتَك ولا تبَطِّنها، وتوقَّ كثرة الحفِّ[٧]، ونتف الشيب، وكثرة الكحل، والإسراف في الدهن، وليكن كحلُك غبًّا، ولا تلحَّ في الحاجات، ولا تخشع[٨] في الطلبات، ولا[٩] تُعلم أهلك

(١) زاد في عين الأدب والسياسة: أحدًا.

(٢) في محاضرة الأبرار: ولا خادمك. وفي عين الأدب والسياسة: بولدك وزوجتك، ولا إعجابك بسيفك ولا فرسك.

(٣) في محاضرة الأبرار: فإنك إن أظهرت الفرح بها والتعجب منها. وفي عين الأدب والسياسة: فإنها تُطمع فيك السفهاء فيولدوا لك الأحلام، ويفسدوا. ولعل الكلمة الأخيرة تحريف.

(٤) زاد في عين الأدب والسياسة: ولا تلبس من الثياب مشهورًا، ولا تتخذ من الدواب مبطورًا.

(٥) في المصدرين السابقين: ولا تتصنع. وفي عين الأدب والسياسة: ولا تتبذل. التصنع: التظاهر بما ليس فيه. التبذل: ترك التصون والتحرز. ولعل المراد هنا نهي الابن عن الإفراط في التجمُّل فعلَ المرأة، ونهيه عن الابتذال فعل المعبد المسخَّر في مهنة، لها أثرها علىٰ الثوب والجسد. وربما قوَّىٰ ذلك قوله فيما بعد في الوصية: وإياك والتصنُّع لمغازلة النساء.

(٦) هلب الشعر: نتف ما غلظ منه. وتبطين اللحية: أن يؤخذ ما تحت الذقن والحنك. وفي محاضرة الأبرار: وغبَّ بامتشاط لحيتك. وغبُّ الشيء: فعله يومًا وتركه يومًا.

(٧) في المصدر السابق: وتوق نتف الشيب. توق: اترك وابتعد عنه. الحفُّ: من قولهم: حفَّ اللحية يحفُّها حفًّا، أخذ منها.

(٨) في المصدرين السابقين: ولا تخضع.

(٩) في عين الأدب والسياسة: وإياك أن.

وولدك -فضلًا عن غيرهم- عددَ[1] مالك، فإنهم إن رأوه قليلاً هُنتَ عليهم[2]، وإن كان كثيرًا لم تبلغ به رضاهم، وأخِفْهم[3] في غير عُنْفٍ، وَلِنْ لهم[4] في غير ضعف[5].

ولا تهازل أَمَتَك[6]، وإذا خاصمت فتَوَقَّرْ، وتحفَّظ من جهلك، وتجنَّب عن عجلتك[7]، وتفكَّر في حجتك، وأرِ الحاكم شيئًا من حلمك[8]، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تَحَفَّزْ علىٰ ركبتيك[9]، وتَوَقَّ حُمْرَةَ الوجه، وعَرَقَ الجبين، وإن سُفه عليك فاحلم، وإذا هدأ غضبُك فتكلم، وأكرم عرضك، وألْقِ الفضول[10] عنك.

وإن قرَّبك سلطان فكُن منه علىٰ حدِّ السنان، وإن استرسل[11] إليك فلا تأمن من انقلابه عليك، وارفق به رفقَك بالصبيِّ، وكلِّمه به يشتهي[12]، ولا[13] يحملنَّك

---

(١) في محاضرة الأبرار: عدَّة. وفي عين الأدب والسياسة: كثرة مالك وقلته، فإنهم إن علموا قلته... وإن علموا كثرته.

(٢) هنت عليهم: احتقروك وصغرت في أعينهم.

(٣) في محاضرة الأبرار: وأجفهم. جفاه: أعرض عنه.

(٤) في عين الأدب والسياسة: وارفق بهم.

(٥) زاد في عين الأدب والسياسة: ولا تُرِ زوجتك حبَّ الإفراط فتتجبر عليك، ولا ترِها بغضًا فتنفر منك.

(٦) زاد في محاضرة الأبرار: في حاجتك أمتك ولا عبدك، فيسقط وقارُك من قلوبهم.

(٧) هكذا. وفي محاضرة الأبرار: وتجنب عجلتك.

(٨) في محاضرة الأبرار: وأرِ الحاكم بينكما حلمك.

(٩) في المصدر السابق: ولا تحفز علىٰ رتبتك. وأصلحها المحقق: ولا تحقر علىٰ رتبتك. تحفَّز في جلسته: انتصب فيها غير مطمئن، وتضامَّ وتجمَّع. وتحفَّز في مشيه: أسرع.

(١٠) الفضول: ما لا فائدة فيه.

(١١) في عين الأدب والسياسة: وإن أمن. استرسل: انبسط واستأنس.

(١٢) زاد في محاضرة الأبرار: ما لم يصنع (لعلها: يضيِّع) في ذلك حقًّا من حقوق الله. وأثبتها المحقق: ما لم يضع.

(١٣) في عين الأدب والسياسة: وإياك أن تدخل.

ما ترىٰ من إلطافه[1] إياك، وخاصته بك: أن تَدخُل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه[2]، وإن كان لذلك منك مستمعًا، وللقول منك مطيعًا[3]، فإن سَقْطَةَ الداخل بين الملك وأهله صَرْعَةٌ لا تنهض، وزلة لا تقال.

وإذا وعدت فحقِّق، وإذا حدثت فاصدق، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم، ولا تخافت به كتخافت الأخرس[4]، وتخيَّر محاسن القول بالحديث المقبول، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلىٰ أهله، وإياك الأحاديثَ العابرةَ المشنِّعةَ[5] التي تنكرها القلوب، وتقفُّ لها الجلود[6]، وإياك ومضعَّفَ[7] الكلام مثل: نعم، نعم، ولا، لا، وعجِّل، عجِّل[8]، وما أشبه ذلك.

وإذا توضأت فأجد عَرْك كفيك، وليكُن وضعك الحُرُض[9] من الأشنان في

(١) إلطافه إياك: إتحافه وبرُّه.

(٢) في عين الأدب والسياسة: من ولده وحشمه وغلمانه. وزاد محاضرة الأبرار: إلا بخير. حشم الرجل: خاصته.

(٣) زاد محاضرة الأبرار: فيه، وفي عين الأدب والسياسة: وإن كان لقولك فيهم مطيعًا. وزاد: فإن أهل الملوك [و] أصحاب خلوئهم وبطانتهم يحضرون لك في موضع يشربونه الوقيعة فيك، ويولِّدون في صدره ما يغيِّره عليك، وإن الدخول بين السلطان وأهله زلة لا تقام (تقال). خلوئهم: من يخلون بهم، ويثقون فيهم. يشربونه الوقيعة: يوغرون صدره عليك بالغيبة حتىٰ يكاد يصدِّق قولهم. الزلة: السقطة. لا تقال: لا يسامح صاحبها ولا يعفىٰ عنه.

(٤) في محاضرة الأبرار: كمخافتة. الأصم: من فقد حاسة السمع. المخافتة والخفت: خفض الصوت وإسراره وإخفاؤه. الأخرس. من فقد حاسة النطق.

(٥) في المصدر السابق: الأحاديث الغريبة المستبشعة. المشنَّعة: المستكرهة القبيحة. المستبشعة: المكروهة الخشنة.

(٦) تقفُّ لها الجلود: تقشعر.

(٧) في المصدر السابق: ومضاعف.

(٨) في المصدر السابق: وأجل أجل.

(٩) عرك كفيك: دلكهما. الحُرُض: الأشنان (شجر ينبت في الأرض الرملية يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي).

فيك كفعلك بالسواك، ولا تنخَّع في الطِّسْت، وليكن طرحك الماء من فيك مترسِّلًا، ولا تمُجَّ فتنضح[١] علىٰ أقرب جلسائك، ولا تعضَّ نصف[٢] اللقمة، ثم تعيد ما بقي منها منصبغًا[٣]، فإن ذلك مكروه، ولا تكثر الاستسقاء علىٰ مائدة الملك، ولا تعبث بالمُشاش[٤]، ولا تَعِبْ شيئًا[٥] مما يقرب إليك علىٰ مائدة بقلَّةٍ خَلٍّ أو تابلٍ أو عسلٍ، فإن السحابة[٦] قد صيرت لنفسها مهابة.

ولا تمسك إمساك[٧] المثبور، ولا تبذِّر تبذير السفيه المغرور، واعرف في مالك واجبَ الحقوق، وحرمة الصديق، واستغنِ عن الناس يحتاجوا إليك، واعلم أن الجشَع يدعو إلىٰ الطَّبَعِ[٨]، والرغبة -كما قيل- تَدُقُّ الرقبة[٩]، وربَّ أَكْلَةٍ تمنع

---

(١) تنخَّع: رمىٰ نخاعته (ما يخرجه الإنسان من حلقه من البلغم). مترسلاً: هادئًا رفيقًا. مج: لَفَظَ. نضح الشيء. بلله ورشه بماء أو طيب.

(٢) في محاضرة الأبرار: بعض.

(٣) في طبعة مكتبة نزار الباز: في متصبِّغ، وفي محاضرة الأبرار: في متصبَّع. وقد فسر محقق محاضرة الأبرار المتصبع بأنه ما توضع فيه الأصابع من أطباق الطعام.
قلت: لعل (متصبع) تصحيف. وفي لسان العرب (صبغ): (الصبغ والصباغ: ما يصطبغ به من الإدام.. وصبغ اللقمة يصبغها صبغًا: دهنها وغمسها، وكل ما غمس فقد صبغ).

(٤) الاستسقاء: طلب الماء. المشاش: العظم لا مخ فيه.

(٥) في المصدر السابق: ولا تعب طعامًا ولا شيئًا مما يقرب علىٰ المائدة، من بقل أو خلٍّ.. وهو أولىٰ. والقُلَّة: إناء من الفخار يشرب منه.

(٦) هكذا: وفي محاضرة الأبرار: فإن أصحابه!

(٧) زاد المصدر السابق: المسكين. الإمساك: البخل. والمثبور: المحبوس.

(٨) الجشع: شدة الحرص. الطبع: الشين والعيب.

(٩) في مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٦، في أمثال المولدين من حرف الطاء: (الطمع الكاذب يدق الرقبة) قاله خالد بن صفوان حين وَاكَلَهُ الأعرابي. وذلك أنه كان قد بنىٰ دكانًا مرتفعًا لا يسع غيره، ولا يصل إليه الراجل، فكان إذا تغدَّىٰ قعد عليه وحيدًا يأكل لبخله، فجاء أعرابي علىٰ جمل ساوىٰ الدكان، ومدَّ يده إلىٰ طعامه، فبينما هو يأكل إذ هبَّت ريح وحركت شَنًّا هناك، فنفر البعير، وألقىٰ الأعرابي، فاندقت عنقه، فقال خالد: الطمع الكاذب يدق الرقبة، فذهبت مثلًا).

أكلات[1]، والتعفُّف مال جسيم، وخلق كريم، ومعرفة الرجل قدره تُشَرِّفُ[2] ذكره، ومن تعدىٰ القدر هوىٰ في بعيد القَعْرِ، والصدق زين، والكذب شين، ولصدقٌ يسرع عَطَب صاحبِه[3] أحسن عاقبة من كذب يَسْلَمُ عليه قائلُه، ومعاداةُ الحليمِ خيرٌ من مصادقةِ الأحمق، ولزومُ الكريمِ علىٰ الهوانِ خيرٌ من صحبةِ اللئيمِ علىٰ الإحسان، ولقربُ ملكٍ جوادٍ خيرٌ من مجاورة بحرٍ طرَّادٍ، وزوجةُ السوءِ[4] الداءُ العضال، ونكاحُ العجوزِ يذهب بماءِ الوجهِ، وطاعةُ النساء تزري بالعقلاء.

تشبَّه بأهلِ العقلِ تكُن منهم، وتصنَّع[5] للشرفِ تدركه.

واعلم أن كلَّ امرئٍ حيث وضع نفسَه، وإنما ينسب الصانعُ إلىٰ صناعته، والمرءُ يعرفُ بقرينه، وإياك وإخوانَ السوءِ فإنهم يخونون من رافقهم، ويُحزِنون[6] من صادقهم، وقربُهم أعدىٰ من الجَربِ، ورفضُهم من استكمال الأدب، واستخفارُ[7] المستجيرِ لُؤْمٌ، والعجلةُ شُؤْمٌ، وسوءُ التدبيرِ وَهَنٌ[8].

والإخوانُ اثنانِ: فمحافظٌ عليك عند البلاء، وصديقٌ لك في الرخاء، فاحفظ

(١) ورد المثل في كتاب الأمثال لأبي عبيد ٢٢٨، والفاخر للمفضل بن سلمة ١٧٤، وجمهرة الأمثال ١/ ٤٩١، وفصل المقال ٢٦٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٤١، والمستقصىٰ ٢/ ٩٣، وأول من قاله عامر بن الظرب العدواني. وذكر المفضل بن سلمة خبرًا له مع أحد ملوك غسان كان سبب قوله المثل.

(٢) تشرف: ترفع وتعلي.

(٣) عطب صاحبه: هلاكه.

(٤) في محاضرة الأبرار: والزوجة السوء الدِّمن الداء العضال!

(٥) في المصدر السابق: بأهل الفضل... واتضع. تصنَّع للشرف: تمثله وتهيأ له.

(٦) في العزلة: يخرفون! ولعل المراد يفسدون عقله، بكثرة ما يصيبه منهم من أذىٰ أو عدوىٰ.

(٧) في محاضرة الأبرار: وجفوة. خفره، وبه، وعليه خفرًا وخفارة: أجاره وحماه. وخفر بالعهد: وفىٰ به. وخفر العهد أو به: نقضه. والمستجير: طالب الإجارة (الحماية).

(٨) في محاضرة الأبرار: وهم! الوهن: الضعف.

صديقَ البلاءِ[1] وتجنَّب صديقَ العافيةِ، فإنهم[2] أعدىٰ الأعداء.

ومن اتبع الهوىٰ مال به الردىٰ[3]، ولا يعجبنَّك الجَهْمُ[4] من الرجال، ولا تحقر ضئيلًا كالخِلال[5]، فإنما المرءُ بأصغريه: قلبِه ولسانِه[6]، ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه.

وتوقَّ الفسادَ وإن كنت في بلاد الأعادي، ولا تفرِشْ عرضَك لمن دونك، ولا تجعل مالَك أكرمَ عليك من عرضك، ولا تكثر الكلامَ فتَثْقُلَ علىٰ الأقوام، وامنح البِشرَ جليسَك، والقبول ممن[7] لاقاك.

وإياك وكثرةَ التبريق والتزليق[8]، فإن ظاهرَ ذلك ينسب إلىٰ التأنيث، وإياك

---

(١) في العزلة: صديق البلية!

(٢) في المصدر السابق: فإنه. وهو أولىٰ.

(٣) في المصدر السابق: إلىٰ الردىٰ. الردىٰ: الهلاك.

(٤) في المصدر السابق: الظريف. الجهم من الرجال: الغليظ القول، المستقبل الناس بما يكرهون. ولعل المراد هنا: الضخم المبسوط الجسم (وهو مقابل الضئيل)، ومادة (جهم) تستوعب ذلك، ومنه: الجهمة، وهي القدر الضخمة.

(٥) ضئيلاً: ناحلاً صغير الجسم. الخلال: العود الذي يتخلل به (يخرج به ما يتبقىٰ بين الأسنان من الطعام).

(٦) ورد المثل في كتاب الأمثال لأبي عبيد ٩٨، وفصل المقال ١٣٧، وفيهما أن المثل لشقة بن ضمرة التميمي قاله للمنذر بن ماء السماء ضمن كلام له بين يديه -وكان الملك المنذر سمع بذكر شقة- فلما رآه اقتحمته عينه فقال: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال شقةُ ذلك الكلام.

(٧) في طبعة مكتبة نزار الباز: من لاقاك. وهي أولىٰ.

(٨) في المصدر السابق: التزيُّن والتبريق. وفي العزلة: التبريق والتلويق والتنويق، برقت المرأة: تحسَّنت وتزينت. وزلق رأسه: حلقه وملَّسه. وزلَّق المكان: ملسه، وزلَّق الحديدة: بالغ في تحديدها حتىٰ جعلها ملساء، التلويق: لعله مأخوذ من لوَّق الشيء: ليَّنه، ولوَّق الطعام: أصلحه بالزبد. والتنويق: المبالغة في التحسين والتزيُّن في كل شيء من الملابس والطعام والشراب.

والتصنُّعَ لمغازلة النساء، وكن متقرِّبًا، متعزِّزًا، منتهزًا في فرصتك، رفيقًا في حاجتك، متثبِّتًا في حملتك[١]، والبس لكل دهر ثيابَه، ومع كل قوم شكلَهم[٢].

واحذر ما يلزمك[٣] اللائمةَ في آخرتك، ولا تعجل في أمر حتىٰ تنظر في عاقبته، ولا تَرِدْ حتىٰ ترىٰ وجهَ المصدر[٤].

وعليك بالنُّورَةِ[٥] في كل شهر مرةً، وإياك وحِلاقَ[٦] الإبط بالنورة، وليكن السواكُ من طبيعتك[٧]، وإذا استكت فعَرْضًا، وعليك بالعمارة، فإنها أنفع التجارة[٨]، وعلاج الزرع خيرٌ من اقتناءِ الضرعِ[٩]، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس، وذَمُّ الجاهلِ إياك أفضلُ من ثنائه عليك، ومعرفةُ الحق من أخلاقِ[١٠] الصدق، والرفيقُ الصالحُ ابنُ عمٍّ، ومن أيسر أُكبِرَ، ومن افتقر احتُقِر.

---

(١) في المصدر السابق: عجلتك. متعزِّزًا: قويًّا. منتهزًا في فرصتك: مسرعًا لاغتنامها، ومبادرًا لذلك.

(٢) في المصدر السابق: وكن مع كل قوم في سلكهم.

(٣) في المصدر السابق: يكون بك!

(٤) لا ترد حتىٰ ترىٰ وجه المصدر: لا تدخل في أمر حتىٰ تعرف كيف الخروج منه.

(٥) في المصدر السابق: التنوُّر. والتنور: إزالة الشعر غير المرغوب بالنورة، وهي أخلاط من أملاح الكلس والباريون كانت تستعمل لذلك.

(٦) في المصدر السابق: وحلق.

(٧) في المصدر السابق: من طبعك. استكت: استعملت السواك. عرضًا: العرض ضد الطول، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يستاك عرضًا (انظر السنن الكبرىٰ للبيهقي ١/ ٤٠، والمعجم الكبير للطبراني ٢/ ٤٧). وقال النووي رحمه الله في شرحه صحيح مسلم ٣-٤/ ١٤٦: (والمستحب أن يستاك عرضًا ولا يستاك طولًا لئلا يدمي لحم أسنانه).

(٨) في المصدر السابق: من التجارة. العمارة: البنيان. ولعل المراد: تملُّك العقار.

(٩) أي أن الاشتغال بالزراعة خير من تربية الماشية وتثميرها للتجارة فيها.

(١٠) في المصدر السابق: من إخلاص.

قصِّر في المقالة، مخافةَ الإجابة[١]، والساعي إليك غالبٌ[٢] عليك، وطول السفر ملامة، وكثرة المنىٰ ضلالة، وليس للغائب[٣] صديق، ولا علىٰ الميت شفيق، وأدبُ الشيخ عَنَاءٌ[٤]، وتأديب الغلام شقاء[٥]، والفاحشُ أميرٌ، والوَقاحُ[٦] وزيرٌ، والحليمُ مطيَّةُ الأحمقِ، والحُمْقُ داءٌ لا شفاءَ له، والحلمُ خيرُ وزيرٍ، والدِّينُ أزينُ الأمور، والسماجةُ[٧] سفاهةٌ، والسكرانُ شيطانٌ، وكلامه هذيانٌ، والشعرُ من السحر، والتهدُّد هُجْر، والشُّحُّ[٨] شقاءٌ، والشجاعةُ بقاءٌ، والهديةُ من الأخلاق السرية[٩]، وهي تورثُ المحبةَ.

ومن ابتدأ المعروفَ صار دَينًا، ومن المعروفِ ابتداءٌ من غير مسألة، وصاحبُ الرياءِ يرجع إلىٰ السخاء[١٠]، ولرياءٌ بخيرٍ خيرٌ من معالنةٍ بشرٍّ، والعِرْقُ نزَّاع[١١]، والعادةُ طبيعةٌ لازمةٌ، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، ومن حلَّ عَقْدًا احتمل حِقدًا، ومراجعةُ السلطان خُرْقٌ[١٢] بالإنسان، والفرار عارٌ، والتقدُّم مخاطرةٌ، وأعجلُ منفعةٍ

---

(١) زاد في طبعة مكتبة الباز: والسآمة.

(٢) في العزلة: والساعي عائب عليك.

(٣) في المصدر السابق: للمعاتب. وهو أولىٰ.

(٤) في المصدر السابق: والأدب للشيخ عناء. وفي طبعه صادر: عياء، وهو أولىٰ بالنسبة لهذه الرواية. وكأن معنىٰ الرواية المثبتة: تأديب الشيخ متعب شاق. وعلىٰ الرواية الثانية: أن طلب الشيخ الأدب تعب، كأنه لا أمل له فيه.

(٥) في المصدر السابق: شفاء، وهو أولىٰ.

(٦) الوقاح: القليل الأدب، والمجترئ علىٰ اتباع القبائح دون مراعاة أحد.

(٧) في المصدر السابق وطبعة مكتبة الباز: والشماتة. وهو أولىٰ. السماجة: القبح.

(٨) الشعر من السحر، أي في تأثيره. والتهدد: التوعد والتخويف. هُجْر: اللغو والهذيان والقبيح من القول. والشح: البخل.

(٩) السرية: الشريفة العالية.

(١٠) هكذا.

(١١) نزَّاع: جاذب ومؤثر في الذرية.

(١٢) الخرق: الجهل والحمق.

إيسارٌ في دَعَةٍ[١]، وكثرةُ العللِ[٢] من البخل، وشرُّ الرجال الكثير الاعتلال، وحسنُ اللقاءِ يذهب بالشحناء، ولينُ الكلامِ من أخلاقِ الكرام.

يا بني، إن زوجةَ الرجل سكنُه، ولا عيش له مع خلافها، فإذا هممت بنكاح امرأةٍ فَسَلْ عن أهلها، فإن العروقَ الطيبةَ تنبت الثمارَ الحلوة.

واعلم أن النساءَ أشدُّ اختلافًا من أصابعِ الكفِّ، فتوقَّ منهن كلَّ ذاتِ بذاءٍ[٣] مجبولة علىٰ الأذىٰ، فمنهن المعجبةُ بنفسها، المزريةُ ببعلها، إن أكرمها رأته لفضلها عليه[٤]، لا تشكره علىٰ جميلٍ، ولا ترضىٰ منه القليلَ، لسانُها عليه سيفٌ صقيلٌ، قد كشفت القِحَةُ[٥] سِتْرَ الحياء عن وجهها، فلا تستحي من إعوارها[٦]، ولا تستحي من جارها، كلبةٌ هَرَّارة[٧]، مهارشةٌ عقَّارةٌ، فوجهُ زوجِها مكلومٌ، وعرضهُ مشتومٌ، ولا ترعىٰ عليه الدين ولا الدنيا[٨]، ولا تحفظه لصحبةٍ ولا لكثرة بنين[٩]، حجابةُ

---

(١) في طبعة مكتبة الباز: يسار. الإيسار: الغنىٰ. الدعة: خفض العيش ونعومته وتوفُّره.

(٢) زاد في محاضرة الأبرار: مع الوجود.

(٣) في محاضرة الأبرار: يد. البذاء: الفحش وسوء الخلق. مجبولة: من الجبلَّة، وهي الطبيعة، أي أن الأذىٰ مقارن لها، ومنطبع به سلوكها.

(٤) في المصدر السابق: رأت فضلها عليه. المزرية ببعلها: العائبة له.

(٥) في محاضرة الأبرار (طبعة صادر): اللقحة! وسقطت الكلمة من الطبعة الأخرىٰ. صقيل: حاد قاطع. القحة: قلة الحياء والجرأة علىٰ القبائح دون مراعاة أحد.

(٦) في محاضرة الأبرار: عوارها. عوارها: عيبها ونقصها.

(٧) زاد في محاضرة الأبرار: طنانة. وروايته في طبعة صادر: (ظنانة). يقال: هرَّ الكلب: نبح وكشر عن أنيابه. وهرَّ فلان في وجه السائل: تجهَّمه. طنانة: كثيرة الكلام رفيعة الصوت. وظنانة: كثيرة الظن. هارش الكلب ونحوه: قاتله. وهارش الرجل بعض الكلاب علىٰ بعض أو بينها: حرَّش، وهرش فلان ساء خلقه. وعقر الكلب الولد: عضَّه.

(٨) في طبعة مكتبة الباز: ولا دنيا. وهي أولىٰ. وفي محاضرة الأبرار: لا ترعاه لدنيا ولا دين.

(٩) في المصدر السابق: ولا لكبر سنٍّ.

مهتوكٌ، وستره[١] منشورٌ، وخيره مدفون، يصبح كئيبًا، ويمسي عاتبًا[٢]، شرابُه مرٌّ، وطعامُه غيظٌ، وولدُه ضَياعٌ[٣]، وبيتُه مستهلكٌ، وثوبُه وَسِخٌ، ورأسُه شَعِثٌ، إن ضحك فواهِن[٤]، وإن تكلَّم فمُتكارِه، نهارُه ليلٌ، وليلُه ويلٌ[٥]، تلدغه مثل الحيةِ العقَّارةِ، وتلسعُه مثل العقربِ الجرَّارة[٦].

ومنهن شَفْشَلِيقٌ شَعْشَعٌ سَلْفَعٌ[٧]، ذاتُ سَمٍّ مُنْقَع، وإبراقٍ واختلاقٍ[٨]، تهبُّ مع الرياح، وتطير مع كل ذي جناح، إن قال: لا. قالت: نعم، وإن قال: نعم، قالت: لا. مولِّدة لمخازيه، محتقِرة لما في يديه، تضرب له الأمثال، وتقصر به دون الرجال، وتنقله من حال إلىٰ حال، حتىٰ قَلَىٰ بيته، وملَّ ولده، وغثَّ عيشُه[٩]، وهانت عليه نفسُه، وحتىٰ أنكره إخوانُه، ورحمه جيرانُه.

---

(١) في المصدر السابق: وسرُّه، وهو أولىٰ. مهتوك: ممزق مكشوف ما وراءه. منشور: مذاع.

(٢) في المصدر السابق: غائبًا.

(٣) في المصدر السابق: صائم.

(٤) في المصدر السابق: فراهب. شعث: متغيِّر متلبِّد. واهن: ضعيف. متكاره: مكره نفسه علىٰ الكلام.

(٥) في المصدر السابق وطبعة مكتبة الباز: وليله نهار!

(٦) في المصدر السابق: وتكرشه مثل العقرب الجرارة. العقارة: لعله من العقر، وهو القطع. يقال: عقر الرجل عن حاجته قطعه عنها. كأنها تقطع الإنسان عن الحياة. وتكرشه: لعله من قولهم: كرش الجلد، إذا مسَّته النار فانزوىٰ وتقبَّض، وتكرَّش وجهه: تقبَّض جلده. والكراش: ضرب من القردان يلكع (يلسع) الناس ويكون في مبارك الإبل.

(٧) في المصدر السابق: العقرب الجرارة، صهصلق ختارة، دُنْفُسٌ لخناء، تهب. الشفشليق: العجوز المسترخية. الشعشع: الطويلة. السلفع: الصخابة البذيئة السيئة الخلق. الصهصلق: شديدة الصوت الصخابة. الختارة: التي تغدر أقبح الغدرَ. الدفنس: المرأة الحمقاء. اللخناء: قبيحة الكلام، والمنتنة.

(٨) السمُّ المنقع: الذي طال مكثه في أنياب الحية. أبرق: تهدد وأوعد. اختلاق: كذب وافتراء.

(٩) في المصدر السابق: وغبَّ عيشه. قلىٰ بيته: أبغضها وتركها. غث عيشه: فسد. غب عيشه: أكل طعامًا يومًا وتركه يومًا.

ومنهن الورهاءُ الحمقاءُ، ذاتُ الدَّلِّ في غير موضعها[١]، الماضغةُ للسانها[٢]، الآخذةُ في غير شأنها، قد قنعت بحبِّه، ورضيت بكسبِه، تأكل كالحمارِ الراتعِ[٣]، تنتشر الشمسُ ولمَّا يُسمعُ لها صوتٌ، ولم يُكنس لها بيتٌ، طعامُها بائتٌ، وإناؤها وَضِرٌ، وعجينُها حامضٌ، وماؤها فاترٌ، ومتاعُها مزروعٌ، وماعونها ممنوعٌ، وخادمُها مضروبٌ، وجارُها محروبٌ[٤].

ومنهن العطوفُ الودودُ، المباركةُ الولودُ، المأمونةُ علىٰ غيبِها[٥]، المحبوبةُ في جيرانها، المحمودةُ في سرِّها[٦] وإعلانها، الكريمةُ التَّبَعُّلِ، الكثيرةُ التفضلِ[٧]، الخافضةُ صوتًا، النظيفةُ بيتًا، خادمها مُسَمَّنٌ، وابنها مزيَّنٌ، وخيرُها دائمٌ، وزوجُها ناعمٌ، مومُوقةٌ مألُوفةٌ، وبالعفافِ والخيراتِ موصوفةٌ[٨].

جعلك الله -يا بني- ممن يقتدي بالهدىٰ، ويأتمُّ بالتقىٰ، ويجتنبُ السُّخْطَ، ويحبُّ الرضا. والله خليفتي عليك، والمتولىٰ لأمرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله

---

(١) في المصدر السابق: ذات الدلال في غير موضعه. الورهاء: الخرقاء في العمل. الدَّل: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. يقال: امرأة ذات دل: ذات شكل تدلُّ به. ودلَّت المرأة علىٰ زوجها دلالًا: أظهرت الجرأة عليه في تكسر وملاحة كأنها تخالفه وما بها من خلاف.

(٢) في المصدر السابق (تحقيق محمد مرسي الخولي): الماضعة. ولعل معنىٰ قوله: الماضغة للسانها؛ التي تبدي نفسها في صورة علىٰ خلاف حقيقتها، كمن يظهر للناس الأكل وهو يدير لسانه بين أسنانه. الماضعة: لعله من قولهم: مضعه يمضعه مضعًا: تناول عرضه.

(٣) الحمار الراتع: الذي يرعىٰ كيف شاء في خصب وسعة.

(٤) الطعام البائت: الذي مضت عليه ليلة. إناء وضر: وسخ ودسم، ماؤها فاتر: ذهبت حرارته. متاعها مزروع. لم تستحدًّ! محروب: مسلوب جميع ما يملك.

(٥) الودود: المتوددة لزوجها. الغيب: السر.

(٦) في المصدر السابق: الحافظة لسرها وعلنها.

(٧) التبعل: القيام بحق البعل، وهو الزوج. التفضل: العطاء والإنفاق.

(٨) في المصدر السابق: مصونة ألوفة، بالخير والعفاف موصوفة. مصونة: عفيفة محفوظة، ألوفة: تألف هي الناس. مومِوقة: محبوبة. مألوفة: يألفها الناس.

العلي العظيم، وصلىٰ الله علىٰ محمد نبي الهدىٰ وعلىٰ آله وسلم تسليمًا كثيرًا)[١].

[٣٦٤] قال دعبل[٢]:

(يا بني، لا تأكل أَلْيَةَ[٣] الشاةِ؛ لأنها طَبَقُ الاستِ وقريبٌ من الجواعِرِ[٤])[٥].

[٣٦٥] قال الرشيد[٦]:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في روضة العقلاء ١٩٨-٢٠٤، (وفي طبعة مكتبة نزار الباز منه ٣٣٢-٣٣٧) كما وردت باختصار يسير في محاضرة الأبرار لابن عربي ١/ ٢٣٢-٢٣٨ (طبعة دار صادر) و١/ ٣٠٢-٣٠٨ (تحقيق محمد مرسي الخولي) وورد منها قوله: إياك وإخوان السوء... أعداء الأعداء) في كتاب العزلة للخطابي ٥٩. كما ورد منها قوله: (تشبَّه بأهل... حيث يضع نفسه) منسوبًا لأبي المعلىٰ يقوله لابنه في عين الأدب والسياسة ١٠٩. وقد وردت أجزاء منها -متداخلة مع وصية عبد الله بن شداد لابنه- وسط وصية طويلة لبعض العلماء يوصي ابنه في عين الأدب والسياسة ٢٧١-٢٨١.

(٢) **صاحب الوصية**: دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، شاعر متقدم مطبوع، هجَّاء خبيث اللسان، كان شديد العصبية للقحطانية. أصله من الكوفة -وقيل: قرقيسيا- وتنقل في البلاد، وأقام ببغداد. ولد سنة ١٤٨ وتوفي سنة ٢٤٦.

انظر: الأغاني ٢٠/ ٦٨، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٨٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٦٦.

(٣) الألية: ما ركب العَجُزَ من الشحم واللحم.

(٤) الاست: حلقة الدبر. الجواعر: جمع جاعرة، وهو ما تيبَّس في الدبر من العذرة، ويطلق أيضًا علىٰ حرف الورك المشرف علىٰ الفخذ.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٣/ ٢٢٠. وفي ربيع الأبرار ٣/ ٧٣٦: (كان بعضهم لا يأكل ألية الشاة، ويقول: إنها...).

(٦) **صاحب الوصية**: هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي) بن عبد الله (المنصور) بن محمد بن علي بن العباس بن عبد المطلب. بويع بالخلافة سنة ١٧٠هـ. كان محبًّا للعلماء والفقهاء، مقربًا للشعراء والأدباء، مغدقًا العطايا، شجاعًا كثير الحج والغزو. توفي بطوس في جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٩٣هـ عن ستة وأربعين عامًا.

انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٥، وفوات الوفيات ٤/ ٢٢٥.

(لا تحملوا[١] ألسنتكم علىٰ وحشيِّ الكلامِ[٢]، ولا تعوِّدوها المستشنَعَ، ولا المتصنَّعَ[٣]، فإن العادةَ ألزمُ من الطبعِ. واعتمدوا سهولةَ الكلامِ من غيرِ استكراهٍ ولا مؤونةِ تكلفٍ. سيِّدُ الكلامِ ما ارتفعَ عن طبقةِ العامةِ، وانخفضَ عن درجةِ المتشدقين[٤]، وخالف سبلَ المغرقين. فليكن كلامُكم قصدًا[٥] وألفاظكم عددًا، فإن الإكثارَ يمحقُ البيانَ، ومن قِبَله تحدث الآفةُ علىٰ اللسان[٦]. وتحاموا الأنسَ بالسلطانِ، وكلما رفع دونكم سترًا من الحشمةِ فاحتجبوا عنه بسترٍ من الإعظام[٧]، وكونوا أشدَّ ما يكون لكم بسطًا أشدَّ ما تكونون له هيبة. ثم تمثل بأبيات الخطفَىٰ[٨] جدِّ جرير: [الطويل]

(١) مناسبة الوصية: حين سمع أولاده يتعاطون الغريب في محاوراتهم، ويجنحون إلىٰ الغليظ من الكلام.

(٢) في الفائق وربيع الأبرار: الوحشي من الكلام. والوحشي من الكلام: الغريب الغامض.

(٣) في الفائق: ولا تعوِّدوها الغريب المستبشع، ولا السفساف المتَّضع. ولعل المتصنع تصحيف عنها، وفي ربيع الأبرار: ولا تعوِّدوها الغريب المستشنع، ولا السفساف المتصنع. المستشنع: المستكره القبيح. المتصنع: المتكلف. المستبشع: الخشن. المتَّضع: الضعيف الساقط.

(٤) في الفائق وربيع الأبرار: واعتمدوا سهولة الكلام؛ ما ارتفع... المتشدقين. الاستكراه: حَمْلُ الشيء علىٰ غير عادته. مؤونة تكلف: تكلُّف الاستعداد والتهيؤ. يقال: هذا أمر ما مأنت له أو ما مأنت مأنَه: ما أخذت عدَّته وأهبته. التشدق: التفاصح في الكلام والتكلف فيه.

(٥) سبل المغرقين: طرق المبالغين. القصد: الاعتدال.

(٦) الآفة: العلة والفساد.

(٧) الحشمة: الحياء. أي كلما رفع الكلفة بينكم وبينه فليزدد إجلالاً في عيونكم، ولا يدعونَّكم ذلك إلىٰ الجرأة عليه.

(٨) هو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب اليربوعي التميمي، والخطفىٰ لقبٌ لحقه ببيت شعر قاله، كان شاعرًا مجيدًا.

انظر: جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٢٠٩، ولسان العرب ١٤/ ١٢ (أبي).

عجبت لازراء العَيـيِّ بنفسه — وصمتِ الذي قد كان بالنطق أعلما[1]

وفي الصمت سَترٌ للغبِيِّ وإنما — صحيفة لبِّ المرء أن يتكلما[2]

ومن لا يُصبْ قصدَ الكلام لسانُه — وصَاحبَه الإكثارُ كان مذمَّما[3]

إذا نلت إنسيَّ المقالة فليكُن — به ظهرُ وحشيِّ الكلام محرَّما[4]

وإن أكثرَ السلطانُ أنسَك فاحترز — ولا تفغَرنْ إلا بهيبته فما[5][6])

---

(١) الإزراء: العيب والنقص. ولعله هنا من قولهم: أزرىٰ بأخيه: أي أدخل عليه أمرًا يريد أن يلبس عليه به. والعييُّ: العاجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنىٰ المقصود. ورواية بعض مصادر الأبيات: إدلال. وعلَّق عليها عبد السلام هارون رحمه الله (مجموعة المعاني ١/ ٣١٩): «المراد إدلاله بالكلام مع عدم القدرة عليه، وفي ذلك إزراء منه بنفسه، ولو سكت لكان أسلم له). والإدلال: الجرأة. وفي بعض المصادر: كان بالقول».

(٢) في بعض مصادر الأبيات: للعيي. واللبُّ: العقل. والمعنىٰ: كلام المرء دليل علىٰ عقله.

(٣) القصد: الاستقامة. مذممًا: مبالغًا في ذمه.

(٤) الوحشي من الدواب ما لا يركبه الراكب ولا يحتلب منه الحالب، والأنسي بعكس ذلك، والمعنىٰ إذا كان لديك اقتدار علىٰ سهل الكلام فاجتنب عسيرَه وغريبَه.

(٥) احترز: توقَّ. لا تفغرن: لا تفتحن.

وقد ورد البيتان الأولان منسوبين إلىٰ الخطفىٰ في الموشىٰ ٤٦، وأدب الدنيا والدين ٤٣٦، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٦٥، ومعجم الأدباء ١/ ٢٩، والمذاكرة في ألقاب الشعراء للإربلي ٦٧، والتذكرة السعدية ٢٥٢، ومجموعة المعاني ١/ ٣١٩. ونسبا إلىٰ مالك بن سلمة العبسي في حماسة البحتري ٢/ ٢٠٤. ونسبا للحسن بن جعفر في العقد الفريد ٢/ ٢٤٥. ووردا غير منسوبين في البيان والتبيين ١/ ٢٢٠، وعيون الأخبار ٢/ ١٧٥، وبهجة المجالس ١/ ٦٢، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٨، وألف باء للبلوي ١/ ٣٤، وتمثال الأمثال ٢/ ٤٥٧.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٨-٣٤٩. كما وردت -باختصار يسير- وببيت شعري واحد (إذا نلت... محرمًا) في الفائق في غريب الحديث ٣/ ٤، وربيع الأبرار ٤/ ٢٥٤.

[٣٦٦] من وصية الرشيد للمأمون:

(لا تتكلْ علىٰ أن تقولَ: كان أبي الرشيد، واعملْ علىٰ ما يتكلُ عليه من يقول: كان أبي المأمون)[١].

[٣٦٧] قال الرشيد للمأمون[٢]:

(يا بني، ما أنت والشعر؟ أما علمتَ أن الشعرَ أرفع حالات الدنيِّ، وأقلُّ حالات السنيِّ[٣])[٤].

[٣٦٨] عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٥] قال:

(كان أبي يقول: أي بني، وكيف تعجبك نفسُك وأنت لا تشاء أن ترىٰ من عباد الله من هو خيرٌ منك إلا رأيته؟! يا بني، لا ترَ أنك خيرٌ من أحدٍ يقول: لا إله إلا الله،

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ١١٢.

(٢) **مناسبة الوصية**: حين كتب إليه المأمون بشعر.

(٣) الدنيُّ: الوضيع الحقير. السنيُّ: الشريف الرفيع.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ١/ ٣٨٤. وفي البصائر والذخائر ٢/ ٦١، وربيع الأبرار ٤/ ٢٥٣: (قال زياد بن أبيه: (الشعر أدنىٰ مروءة السريِّ، وأسرىٰ مروءة الدنيِّ). وورد هذا القول -دون نسبة- في البيان والتبيين ١/ ٢٤١، وفيه: قال الأول، ومجالس ثعلب ٢/ ٤١١، وفيه: ويقال، والمحاسن والمساوئ ٤٣٢، وفيه: وسئل رجل عن الشعر فقال، والتمثيل والمحاضرة ١٨٤، ومحاضرات الأدباء ١/ ٨٠ وفيه: وسئل بعضهم عن حَوْكِ الشعر، فقال. والمراد من ذلك: أن الشعرَ أشرف خلال الوضيع، وأقلُّ خلال الشريف.

(٥) **صاحب الوصية**: زيد بن أسلم المدني، والده أسلم مولىٰ عمر بن الخطاب ﷺ، محدث ثقة من أهل الفقه والعلم والصلاح، كان عالمًا بتفسير القرآن، توفي في ذي الحجة من سنة ١٣٦هـ.
انظر: مختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٦، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٩٥.
وابنه عبد الرحمن محدث قال عنه أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث، كان في نفسه صالحًا وفي الحديث واهيًا... كان لوالده تفسيرٌ للقرآن رواه عنه. توفي سنة ١٨٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٦، وتهذيب التهذيب ٦/ ١٧٧.

حتىٰ تدخلَ الجنةَ ويدخلَ النارَ، فإذا دخلتَ الجنةَ ودخلَ النارَ تبيَّنَ لك أنك خيرٌ منه)[1].

[٣٦٩] عن زيد بن أسلم أنه قال لبنيه:

(لا تعلَّموا العلمَ للتماري، ولا للتباهي، ولا تدَعُوه رغبةً عنه، ولا استحياءً من تعلُّمه)[2].

[٣٧٠] قال أبو السرايا[3] - أحد الفتاك - لابنه:

(يا بني، كن بحيلتك أوثَقَ منك بشدَّتِك، وبحذرِك أوثَقَ منك بشجاعتِك؛ فإن الحربَ حربُ المتهوِّر، وغنيمةُ الحَذِرِ)[4].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٣/ ٢٢٢، ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ١١٢.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الموفقيات ٣٣١. وقد نسبت في بعض المصادر إلىٰ العباس بن عبد المطلب يوصي بها ابنه عبد الله. راجعها في موضعها من وصاياه.

(٣) **صاحب الوصية**: أبو السرايا السريُّ بن منصور الذهلي الشيباني، كان أول أمره يكري الحمير، ثم -في إثر جناية- جمع نفرًا وقطع بهم الطريقَ، وتطوَّر أمرُه، وكثر فرسانه حتىٰ استعان به بعض الولاة في حروبهم. وحين خرج ابن طباطبا (محمد بن إبراهيم العلوي) سنة ١٩٩هـ بالكوفة بايعه، ولم يلبث أن مات ابن طباطبا (قيل: إن أبا السرايا سمَّه) فبايع مكانه محمدَ بنَ محمد بن يحيىٰ العلوي، واستولىٰ علىٰ الكوفة وما حولها، وسيَّر ولاته علىٰ بعض الأقاليم، فوجه له المأمون قائده هرثمة بن أعين، فتلاحقت هزائم أبي السرايا حتىٰ قتل في النهروان سنة ٢٠٠هـ وعُلِّقت جثتُه علىٰ جسر بغداد. وقيل: إن أبا السرايا كان من رجال هرثمة، فمطله بأرزاقه، وأخَّره بها، فغضب وقصد الكوفة، وبايع ابن طباطبا.

انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٥٢٨-٥٣٥، والكامل في التاريخ ٦/ ٣٠٢-٣٠٩، والوافي ١٥/ ١٣٤.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في سراج الملوك ٢/ ٦٨٣. كما وردت في غرر الخصائص الواضحة ٣٤٧ وفيه: فإن الحرب ورطة المتهور، وغنيمة المتفكِّر، ووردت في نثر الدر ٤/ ٢٠٦ علىٰ أن أبا السرايا يخاطب بها غلامه أبا الشوك. وروايتها فيه: (.. وبحذرك... بنجدتك.. المتحدِّر (تصحيف: المتحذر).

[٣٧١] قال سلم بن قتيبة لولده[١]:

(إنكم لن تسودوا حتىٰ تصبروا علىٰ سِرارِ الشيوخِ البُخْرِ[٢]!)[٣]

[٣٧٢] وقال سعيد بن سلم: قال لي أبي:

(لا تستحيِ من المسألة عما جهلتَ، فإن من رقَّ[٤] وجهُه رقَّ علمُه[٥])[٦].

[٣٧٣] قال سلم بن قتيبة [لأهل بيته][٧]:

(لا تمازحوا فيستخفَّ بكم الناسُ[٨]، ولا تدخلوا الأسواقَ فترقَّ[٩] أخلاقُكم،

---

(١) **صاحب الوصية**: سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي، ولي البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في خلافة مروان، ثم وليها في خلافة أبي جعفر، كان سيد قومه، عاقلًا حازمًا جوادًا، توفي بالري سنة ١٤٨هـ أو ١٤٩هـ.
انظر: تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٢٣٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ١٣٤، والوافي ١٥/ ٢٩٩.
وابنه سعيد كان شريفًا، ولي أرمينية والموصل والسند وطبرستان وغير ذلك. كان بصيرًا بالحديث والعربية. مات سنة ٢١٧هـ.
انظر: أنساب الأشراف ١٣/ ٢٣٩، وتاريخ بغداد ٩/ ٧٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٨، وتاريخ الإسلام (وفيات ٢٠١-٢١٠) ١٦٨، وسماه صاحب المنتظم ٥/ ١٧٤ سالم بن قتيبة.

(٢) السرار: المسارَّة (المناجاة). والبُخر: جمع أبخر، من كانت رائحة فمه كريهة.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٣/ ٢٢٥. وقد ورد في الظرف والظرفاء ٩٤ [وقال سلم بن قتيبة: لا تتم مروءة الرجل حتىٰ يصبر علىٰ مناجاة الشيوخ الدرد] ومثله في مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٠٠ وفيه البُخْر. والدُرْدُ: جمع أدرد، وهو ساقط الأسنان.

(٤) رقَّ وجهه: استحيا.

(٥) رقَّ علمه: قلَّ وضعف.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٢٣٨.

(٧) زيادة من سائر المصادر.

(٨) في نثر الدر: السوقة.

(٩) في نثر الدر واللطائف والظرائف: فتدقَّ.

ولا تَرَجَّلوا[1] فتزدريَكم[2] أكفاؤكم[3])[4].

[٣٧٤] عن سلمة بن نبيط[5] قال:

(يا بني، قم فصَلِّ من السَّحَر، فإن لم تستطِعْ فلا تدعْ ركعتي الفجر)[6].

[٣٧٥] قال سليمان بن داود الهاشمي لابنه[7]:

(لا تكثر الغيرةَ علىٰ أهلك، فتُرمىٰ بالشرِّ من أجلك وإن كانت بريئةً، ولا تكثر الضحكَ، فيستخفَّك فؤادُ الرجلِ الحليمِ، وعليك بخشية الله، فإنها غلبتْ كلَّ شيء)[8].

---

(١) ترجَّلوا: لا تمشوا راجلين (غير راكبين).

(٢) في نثر الدر: فيزدريكم. يزدريكم: يحتقركم.

(٣) الأكفاء جمع كفيء، وهو المماثل في القوة والشرف.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٧/ ١٩٧. وقد وردت في نثر الدر ٤/ ٢٠٤. وباختصار في اللطائف والظرائف ١١٦، وفيه: وقال سالم بن قتيبة!

(٥) **صاحب الوصية**: أبو فراس سلمة بن نبيط بن شريط بن أنس الأشجعي الكوفي، راوية للحديث ثقة. روىٰ عنه الثوري وابن المبارك ووكيع وغيرهم.
انظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٢٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ١٥٨.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٧، وقد جاءت الوصية في كتاب الزهد لأحمد ٢٧٥ علىٰ النحو الآتي: (أوصاني أبي بصلاة السحر. قلت: يا أبت إني لا أطيقها. قال: فانظر الركعتين قبل الفجر لا تدعهما، ولا تشخص في الفتنة).

(٧) **صاحب الوصية**: أبو أيوب سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، كان محدثًا ثقة، كما كان أميرًا شريفًا عاقلًا جليل القدر، كتب عنه البغداديون ورووا عنه، توفي ببغداد سنة ٢١٩هـ.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٣٤٣، وتاريخ بغداد ٩/ ٣١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٥.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والأضداد ١٧٤، وقد ورد منها قوله: (يا بني... بريئة) بزيادة (علىٰ أهلك من غير ريبة). في بهجة المجالس ٣/ ٤٧، وفي حلية الأولياء ٣/ ٧١ برواية: ولم تر منها سوءًا... وإن كانت منه. منسوبة لسليمان بن داود صلىٰ الله عليهما! كما ورد منها قوله: (يا بني لا تكثر... الحليم) في الجامع لشعب الإيمان ٣/ ١١٣، ومختصر=

[٣٧٦] قال المعتمر بن سليمان:

(كتب إليَّ أبي[١] -وأنا بالكوفة-: اشترِ الصحفَ[٢]، واكتب العلمَ؛ فإنَّ المالَ يفنىٰ والعلمَ يبقىٰ)[٣].

[٣٧٧] قال المعتمر بن سليمان قال لي [....][٤]:

(إياك أن تقتديَ بزلاتِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فتقول: فلانٌ لبس المُعَصْفَرَ[٥]،

=تاريخ دمشق ١٠/ ١٤٨ برواية: فإن كثرة الضحك تستخفُّ فؤاد الرجل الحكيم، منسوبة لسليمان بن داود. وورد منها قوله: (وعليك... شيء) في الجامع لشعب الإيمان ١٤/ ٤٦٦ في صدر وصية منسوبة لسليمان بن داود، وهي فيه: فإنهما غاية كل شيء. ووردت منسوبة له في حلية الأولياء ٦/ ١٤١. وفي قوت القلوب ٢/ ٤٢٢: (وروينا عن علي ﷺ: لا تكثر الغيرة علىٰ أهلك فترمىٰ بالسوء من أجلك).

(١) **صاحب الوصية**: أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري، نزل في بني تيم فقيل: التيمي. شيخ الإسلام، من خيار أهل البصرة، كان من العباد المجتهدين كثير الحديث ثقة فيه، توفي بالبصرة في ذي القعدة سنة ١٤٣هـ عن سبع وتسعين سنة.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٢٥٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٥١، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٠١.
وابنه المعتمر محدث ثقة من كبار العلماء، ولد سنة ١٠٦هـ، ومات بالبصرة سنة ١٨٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٧، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٧.

(٢) في شعب الإيمان: يا بني انظر في الصحف.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في روضة العقلاء ٣٩، كما وردت في شعب الإيمان ٢/ ٢٧١.

(٤) هكذا جاء في الأصل: وأحسب الكلام: (قال لي أبي) وذلك لأمرين:
الأول: نوعية العلاقة التي تربط المعتمر بأبيه، والذي يبدو من ترجمة أبي المعتمر أنها قائمة علىٰ القرب والحفز والتدريب (انظر: حلية الأولياء ٣/ ٢٩ - ٣١، والطبقات الكبرىٰ ٧/ ٢٥٣).
الثاني: ما ورد في حلية الأولياء ٣/ ٣٢، بسند متصل عن سليمان التيمي قال: لو أخذت برخصة كل عالم -أو زلّة كل عالم- اجتمع فيك الشرُّ كله! وورد ذلك أيضًا في تهذيب الكمال ٣/ ٢٨٦.

(٥) المعاني: المعصفر: الثوب المصبوغ بالعُصْفُر، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير ونحوه. وقد ورد عنه ﷺ النهيُ عن الثياب المعصفرة. انظر: اللباس والزينة من السنة المطهرة ١١٧-١١٩.

وفلانٌ كانت له جُمَّةٌ[1]، وفلانٌ شربَ النبيذ، وفلانٌ لعبَ الشطرنج، وفلانٌ امتخط في الكتاب[2]، وفلانٌ انتعل السَّبْتَ[3])[4].

[٣٧٨] قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ[5] لابنه محمد[6]:

(يا بني، رِفقًا رِفقًا؛ فإن العجلةَ تنقصُ الأعمالَ، وبالرفقِ تدرك الآمـالُ[7].

---

(١) الجمة: ما استرسل من شعر الرأس على المنكبين.

(٢) امتخط: أخرج ما يسيل من الأنف. والكتاب، هكذا وردت، وأحسبها مصحفة عن الكتان.

(٣) انتعل السبت: اتخذ نعاله من السبت، وهو الجلد المدبوغ. وقد روى البخاري بسنده عن عبيد بن جريج أنه سأل ابنَ عمر عن أربعٍ رآه يصنعها، ولم يرَ أحدًا من أصحابه يصنعها. وذكر منها لبسه النعال السبتية. وردَّ ابنُ عمرٍ بقوله: (... وأما النعال السبتية فإني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها...). (انظر: فتح الباري ١٠/ ٣٠٨ ح٥٨٥١). وفي الفائق في غريب الحديث ٢/ ١٤٨: (وإنما اعترض عليه لأنها نعال أهل النعمة والسعة).

(٤) **التوثيق:** وردت الوصية في البصائر والذخائر ٨/ ٢٤. وقد ورد في محاضرات الأدباء ١/ ١٣٣: (قال المعتمر بن سليمان: إياك والاقتداء بزلات أصحاب رسول الله ﷺ، فتقول: فلان شرب النبيذ، وفلان سمع الغناء، وفلان لعب بالشطرنج، فيخرج منك فاسقٌ تامٌّ)!

(٥) **صاحب الوصية:** محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ ونشأ يتيمًا، ونقلته أمه إلى مكة، وهبه الله ذكاء وحافظة كبيرين، وأقبل على العلم ففاق الأقران، عالم بالكتاب والسنة، واللغة والشعر. أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة. قال عنه ابن خلكان: (كثير المناقب، جمُّ المفاخر، منقطع القرين). توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ عن ست وخمسين سنة.

انظر: وفيات الأعيان ٤/ ١٦٣، سير أعلام النبلاء ١٠/ ، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٢.

وابنه أبو عثمان محمد، أكبر ولده، ولي قضاء الجزيرة، ثم القضاء في حلب، وبقي بهما سنين كثيرة. روى الحديث وكان ثقة، وتوفي سنة ٢٤٢هـ.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٧٢، والوافي ١/ ١١٤.

(٦) **مناسبة الوصية:** قال: (أبو أيوب سليمان الحربي: سمعت محمد بن محمد بن إدريس الشافعي يقول: رآني أبي محمد بن إدريس، وأنا أعجل في بعض الأمر، فقال: ...).

(٧) في مناقب الشافعي للرازي: فإن العجلة توجب الحرمان، والرفق وسيلة إلى الوجدان.

سمعت عبدَ الرحمنِ بن أبي بكر [هو المليكىٰ][1] يقول: سمعت الزهري[2] يقول: سمعت عروةَ بنَ الزبير يقول: سمعت أبا هريرة[3] يقول: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفقَ، ويعطي عليه ما لا يعطي علىٰ العنف**»[4])[5].

[٣٧٩] قال الشافعي لابنه أبي عثمان[6]:

(يا بني، والله لو علمتُ أن الماءَ الباردَ يثلِمُ من مروءتي[7] ما شربتُ إلا حارًّا[8])[9].

---

(١) زيادة من السخاوي تحديدًا للاسم، ومنعًا لالتباسه بأسماء رواة يتوافقون معه فيه. وهو عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المدني (انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ١٤٦). وقد تحرف الاسم في مناقب الشافعي للرازي إلىٰ: عبد الرحمن بن أبي بكرة.

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري القرشي، من كبار علماء المدينة، كان غزير العلم ثقة حافظًا، كتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ الآفاق: (عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه). كما كان غاية في السخاء. توفي سنة ١٢٤هـ عن اثنتين وسبعين سنة.

انظر: وفيات الأعيان ٤/ ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٥.

(٣) تقدمت ترجمة أبي هريرة وعروة في مواضع وصاياهما.

(٤) انظر الحديث وتخريجه في صحيح الجامع الصغير للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ٢/ ١١٣ ح١٧٦٧.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١٨٩، وعنه في المقاصد الحسنة للسخاوي ١١٥. كما وردت في مناقب الشافعي للرازي ٣٣٧. وفيه: رأىٰ الشافعي إنسانًا -رجلًا- يعجل في عمل فقال له: ..

(٦) **مناسبة الوصية**: (عاتب محمد بن إدريس ابنه أبا عثمان فكان فيما قال له، فوعظه به، في وعظه).

(٧) في مناقب الشافعي للبيهقي: من مروءتي شيئًا.

(٨) في المخلاة: ما شربته إلا حارًّا حتىٰ أفارق الدنيا.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي ٨٥، كما وردت في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١٨٨، وطبقات الشافعية الكبرىٰ ٢/ ٧٢، والمخلاة للعاملي ٣٠. وقد نسب الكلام إلىٰ الشافعي في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١٨٧، وزاد فيه: والله الذي لا إله إلا هو لو... ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة (!)، ومناقب الشافعي=

[٣٨٠] قال شبيبُ بنُ شيبة[١] لبنيه:

(إن كنتم تحبونَ المروءةَ والفُتُوَّةَ[٢] فأصلحوا أموالكم)[٣].

[٣٨١] أوصى ضيغم[٤] بن مالك بنيه[٥] فقال:

(أوصيكم بما أوصىٰ به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وأوصيكم بصلة الرحم وحسن

=للرازي -باختصار- ٣٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٩. وقد ورد في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٢٤٩-٢٥٠، قول أحمد بن روح البغدادي: (سمعت الزعفراني يقول: كنت مع يحيىٰ بن معين في جنازة فقلت له: يا أبا بكر ما تقول في الشافعي؟ فقال: دعنا، لو كان الكذب له مطلقًا لكانت مروءته تمنعه أن يكذب).

وفي الوزراء والكتاب ١٩٤: (كان الفضل [بن يحيىٰ البرمكي] لا يشرب النبيذ ويقول: لو علمت أن الماء ينقص مروءتي ما شربته أبدًا).

(١) **صاحب الوصية**: أبو المعتمر شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم المنقري البصري، كان رجلًا عاقلًا داهية شريفًا يفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم، اتصل بأبي جعفر وبالمهدي من بعده وصار أثيرًا عندهما، كان خطيبًا فصيحًا مفوهًا من أعلم الناس بمعاني الكلام، توفي في حدود سنة ١٧٠هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٤، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٧٠، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٠٧.

(٢) المروءة: اجتناب الرجل ما يشينه، واجتناؤه ما يزينه من مكارم الأخلاق. الفتوة: السخاء والكرم.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في غرر الخصائص الواضحة ٣٠٨. وقد ورد عن شبيب بن شيبة في جمل من أنساب الأشراف ١٢/ ٣٠٥ قوله: (حفظ ما في يدك أيسر من طلب ما في يد غيرك). وفيه: (وقال: الكفاف مع القصد أكفىٰ من السعة مع الإسراف، وروىٰ ذلك أيضًا عن هشام بن عبد الملك).

(٤) **صاحب الوصية**: ضيغم بن مالك الراسبي البصري، كان غاية في الزهد والعبادة منذ حداثته، روىٰ الحديث عن التابعين، ولكنه دفن كتبه. توفي سنة ١٨٠هـ.

انظر: الجرح والتعديل ٤/ ٤٧٠، وصفة الصفوة ٣/ ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١.

(٥) **مناسبة الوصية**: (قال مالك بن ضيغم: لما احتُضر أبي قلنا له: ألا توصي؟ قال: بلىٰ، أوصيكم...).

الجوار وفعل ما استطعتم من المعروف، وادفنوني مع المساكين)[1].

[٣٨٢] كتب طاهرُ بنُ الحسين[2] لابنه عبد الله[3]:

([بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فـ][4] عليك بتقوىٰ الله وحده، لا شريك له، وخشيتِه ومراقبتِه[5]، ومزايلةِ سخطِه، وحفظِ رعيتِك[6]، ولزومِ[7] ما ألبسك الله من العافيةِ بالذكرِ لمعادك وما أنت صائرٌ إليه وموقوفٌ عليه ومسؤولٌ عنه، والعملِ في ذلك كلِّه بما يعصمك الله، وينجيك يوم لقائه[8] من عذابه وأليم عقابه، فإن

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٢/ ٣١٢.

(٢) **صاحب الوصية**: طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء، الملقب ذا اليمينين. كان من أكبر أعوان المأمون؛ حسم له الخلاف مع أخيه الأمين بانتزاع بغداد وقتله، فولاه المأمون خراسان. كان شجاعًا أديبًا جوادًا ممدَّحًا، ولد سنة ١٥٩هـ وتوفي في جمادىٰ الآخرة سنة ٢٠٧هـ بمدينة مرو.

انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٣٥٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١٧، والوافي ١٦/ ٣٩٤.

وابنه عبد الله كان سيدًا نبيلًا عالي الهمة كريمًا بارع الأدب حسن الشعر، كان المأمون كثير الاعتماد عليه، ولاه الشام حربًا وخراجًا، ثم ولاه خراسان، ولد سنة ١٨٢هـ وتوفي سنة ٢٣٠هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٨٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٨٣، والوافي ١٧/ ٢١٩.

(٣) **مناسبة الوصية**: ورد في كتاب بغداد والطبري أن طاهرًا كتبها إلىٰ ابنه حين ولاه ديار ربيعة. وفي المخطوط ومقدمة ابن خلدون وبدائع السلك أن طاهرًا كتبها إلىٰ ابنه حين ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما. وفي الكامل: ولما استعمله المأمون كتب إليه أبوه طاهر.

(٤) زيادة في سائر المصادر سوىٰ الأصل. وفي الطبري: بسم الله الرحمن الرحيم عليك!

(٥) زاد في المخطوط والكامل وابن خلدون وبدائع السلك: ﷻ. والمزايلة: المفارقة والابتعاد.

(٦) في المخطوط وابن خلدون: واحفظ. وزاد الكامل والمصدران السابقان وبدائع السلك: في الليل والنهار.

(٧) في سائر المصادر: والزم.

(٨) في سائر المصادر: القيامة. (سوىٰ نسخة من نسخ الكامل أشار إليها المحقق روايتها كرواية الأصل).

اللهِ[1] قد أحسنَ إليك، وواجبٌ[2] عليك الرأفةُ بمن استرعاك أمرَهم من عباده، وألزمك العدلَ عليهم[3]، والقيام بحقِّه وحدوده فيهم[4]، والذبِّ عنهم والدفعِ عن حريمهم وبيضتهم[5]، والحقنِ لدمائهم[6] والأمنِ لسُبُلِهم[7]، وإدخالِ الراحةِ عليهم في معايشهم[8]، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك[9] وموقفُك عليه وسائلُك[10] عنه، ومثيبُك عليه بما قدَّمت وأخَّرت.

ففرِّغ لذلك فكرَك[11] وعقلك وبصرَك[12] ورؤيتك، ولا يذهلك عنه ذاهلٌ[13]، ولا يشغلك عنه شاغلٌ، فإنه رأسُ أمرِك، وملاكُ شأنِك، وأول ما يوفقك الله به لرشدك[14]. وليكُن أولُ ما تلزمه نفسك، وتنسب إليه فعالك[15] المواظبةَ علىٰ ما

---

(١) زاد الكامل: ﷻ. وزاد المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: سبحانه.

(٢) هكذا. وفي سائر المصادر: وأوجب. وهو أولىٰ.

(٣) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك. فيهم.

(٤) في المصادر السابقة: عليهم.

(٥) في المخطوط وابن خلدون: ومنصبهم. والنصيبة والنُّصُب: كل ما نصب فجعل علمًا. وربما كان بمعنىٰ الأصل من قولهم: فلان يرجع إلىٰ منصب صدق؛ أي أصله ومنبته ومحتده. وبيضة القوم: حوزتهم وحماهم. وبيضة الدار: وسطها. والحريم من كل شيء: ما تبعه فحرم بحرمته من مرافق وحقوق، فحريم الدار: ما أضيف إليها، وحريم البئر: الموضع المحيط بها.

(٦) حقن الدماء: منعها من أن تسفك.

(٧) في الطبري والكامل: لسبيلهم. وفي المخطوط وابن خلدون: لسربهم. والسبل: جع سبيل وهو الطريق. والسرب: الطريق والوجهة.

(٨) في معايشهم: استقل بها الأصل والطبري.

(٩) في ذلك: استقل بهما الأصل والطبري.

(١٠) في الطبري والكامل وبدائع السلك: ومسائلك.

(١١) في المخطوط والكامل وابن خلدون وبدائع السلك: فهمك.

(١٢) في الكامل: نظرك.

(١٣) ورؤيتك... ذاهل. انفرد بها الأصل والطبري. ويذهلك عنه: يشغلك ويلهيك فتنساه.

(١٤) في المخطوط وابن خلدون: يوفقك الله عليه. ويوقفك: يطلعك. وملاك الأمر: قوامه.

(١٥) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: فعلك.

افترض[١] الله عليك، من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قِبَلَك في مواقيتها وعلىٰ سننها في[٢] إسباغ الوضوء لها، وافتتاح ذكر الله فيها، وتَرتَّل[٣] في قراءتك، وتَمكَّن في ركوعك وسجودك وتشهدك، ولتصدقْ فيها لربك نيتُك[٤]، واحضض[٥] عليها جماعةَ من معك، وتحت يدك، وادأب عليها، فإنها كما قال الله تأمرُ بالمعروفِ، وتنهىٰ عن المنكرِ[٦].

ثم أتبع ذلك الأخذَ[٧] بسننِ رسولِ الله ﷺ والمثابرةَ علىٰ فرائضه[٨] واقتفاءَ آثارِ السلفِ الصالحِ من بعده، وإذا ورد عليك أمرٌ فاستعِن عليه باستخارةِ الله وتقواه، ولزومِ[٩] ما أنزل الله في كتابه من أمرِه ونهيه، وحلالِه وحرامِه، وائتمامِ ما جاءت به الآثار عن النبي ﷺ[١٠].

---

(١) في المخطوط وابن خلدون: فرض.
(٢) في المخطوط: بالناس وتوابعها علىٰ سننها من. وفي الكامل: بالناس، فأتِ بها في مواقيتها علىٰ سننها. وفي ابن خلدون: وتوقعها علىٰ سننها من إسباغ. وفي بدائع السلك مثله وفيه: سنتها، وإسباغ الوضوء: توفية كل عضو حقه من الغسل.
(٣) في المخطوط وابن خلدون: ورتل. وترتَّل في كلامه: ترسَّل وتأنىٰ. ورتَّل قراءته: جوَّدها.
(٤) في المخطوط: ولتصدق فيه رأيك ونيتك. ومثله في الكامل وفيه: وليصدق. ومثله في ابن خلدون وفيه: وليصرف. ولعله تصحيف.
(٥) في المخطوطة: واحفظ فيه جماعة ممن. وفي ابن خلدون: احضض عليه. وفي بدائع السلك: وحضَّ عليها.
(٦) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: فإنها كما قال الله ﷻ: ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وكذا في الكامل لكنه أورد الآية من أولها: (إن الصلاة...).
(٧) في المخطوط والكامل وابن خلدون وبدائع السلك: بالأخذ.
(٨) في الطبري والمخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: علىٰ خلائقه. وأثبت محقق الكامل: خلافته. وأشار إلىٰ أنه ورد في نسخةٍ: خلائقه. والخلائق: جمع خليقة، وهي الطبيعة التي يخلق المرء بها. والمثابرة: المواظبة والمداومة.
(٩) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: وبلزوم.
(١٠) في بدائع السلك: وإتمام ما جاءت. ولعله تصحيف. والائتمام: الاقتفاء. وفي المخطوط والكامل وابن خلدون وبدائع السلك: عن الرسول ﷺ.

ثم قمْ فيه بما يَحِقُّ[1] لله عليك، ولا تَمِلْ[2] عن العدلِ فيما أحببت أو كرهت، لقريبٍ من الناس أو بعيدٍ، وآثر الفقهَ وأهلَه، والدينَ وحملتَه، وكتابَ الله والعاملين به، فإن أفضل ما تَزَيَّن[3] به المرءُ الفقهُ في دين الله[4] والطلبُ له، والحثُّ عليه، والمعرفةُ بما يتقرَّبُ فيه منه إلىٰ[5] الله، فإنه الدليلُ علىٰ الخيرِ كلِّه، والقائدُ له[6] والآمرُ به، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها، وبه مع توفيق الله يزدادُ العبادُ معرفةً بالله -تعالىٰ ذكره- وإجلالًا له[7]، ودَرَكًا[8] للدرجاتِ العلىٰ في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك، والهيبةِ لسلطانك، والأَنَسَةِ بك[9]، والثقةِ بعدلك.

وعليك بالاقتصادِ في الأمورِ كلِّها، فليس شيءٌ أبينَ نفعًا، ولا أحضرَ[10] أمنًا، ولا أجمع فضلًا من القصدِ[11]، والقصدُ داعيةٌ إلىٰ الرشدِ [والرشدُ][12] دليلٌ علىٰ التوفيقِ، والتوفيقُ منقادٌ[13] إلىٰ السعادةِ.

---

(١) في المخطوط وابن خلدون: بالحق.

(٢) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك، ولا تميلنَّ. وفي الكامل: ولا تملَّ من العدل!

(٣) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: ما يتزيَّن.

(٤) في المخطوط والكامل وابن خلدون: الدين.

(٥) في المخطوط والكامل وابن خلدون: يتقرب به إلىٰ الله ﷻ. ومثله في بدائع السلك وفيه: به منه.

(٦) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: إليه.

(٧) في المخطوط وابن خلدون: ومع توفيق الله ﷻ يزداد المرء معرفة وإجلالاً له. وفي الطبري: معرفة بالله ﷻ. وفي الكامل: ومع توفيق الله يزداد العبد معرفة لله ﷻ وإجلالًا له. وفي بدائع السلك: وبه... يزداد العبد...

(٨) في الكامل: ذكرًا. ولعله تصحيف. ودركًا: إدراكًا وتحصيلاً.

(٩) في بدائع السلك: والأنس بك.

(١٠) في المخطوط والكامل وابن خلدون: ولا أخصَّ. وفي بدائع السلك: ولا أحسن.

(١١) في المخطوط والكامل وابن خلدون وبدائع السلك: فضلًا منه. والقصد: الاعتدال.

(١٢) ساقط من الأصل واستدركته من المصادر الأخرىٰ.

(١٣) في المصادر السابقة: قائد.

وقِوامُ الدينِ والسننِ الهاديةِ بالاقتصاد، فآثره[١] في دنياك كلها، ولا تقصِّر في طلبِ الآخرة، وطلبِ[٢] الأجرِ والأعمالِ الصالحةِ، والسننِ المعروفةِ، ومعالمِ الرشد، فلا غايةَ للاستكثارِ من البرِّ[٣] والسعي له، إذا كان يُطلب به وجهُ الله ومرضاته، ومرافقة أوليائه[٤] في دار كرامته، واعلم[٥] أن القصدَ في شأن الدنيا يورثُ العزَّ، ويحصِّن من الذنوب وأنك لن تحوطَ نفسَك ومن يليك[٦]، ولا تستصلح[٧] أمورك بأفضل منه، فأتِه واهتدِ به تتمُّ أمورُك، وتزدْ به مقدرتُك[٨]، وتصلح به خاصتك وعامتُك.

وأحسن الظنَّ بالله -جلَّ ذكره- يستقمْ[٩] لك رعيتك، والتمس الوسيلةَ إليه في الأمورِ كلِّها تستدمْ به النعمةَ عليك[١٠]، ولا تُنهِض[١١] أحدًا من الناس فيما تولِّيه من عملك قبل تَكَشُّف أمره بالتهمة، فإن إيقاعَ[١٢] التهمِ بالبرآءِ والظنونَ السيئةَ بهم

---

(١) في المخطوط: وكذا في دنياك كلها.

(٢) طلب: استقل بها الأصل.

(٣) في الكامل وبدائع السلك: ولا غاية... وفي المخطوط وابن خلدون: ومعالم الرشد والإعانة والاستكثار.

(٤) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: أولياء الله.

(٥) في المخطوط: أما تعلم.

(٦) في المخطوط وابن خلدون: نفسك من قائل. وفي بدائع السلك: نفسك ومرتبتك.

(٧) في المخطوط وابن خلدون: وتنصلح. وفي بدائع السلك: ولا تصلح.

(٨) في المخطوط وبدائع السلك: وتزيد! وفي الطبري: وتزدد.

(٩) في المخطوطة وابن خلدون وبدائع السلك: وأحسن ظنك بالله ﷻ تستقم. وفي الطبري والكامل: بالله ﷻ تستقم.

(١٠) في بدائع السلك: والتمس الوسيلة إليه، فالأمور كلها تستديم به النعمة عليك!

(١١) في سائر المصادر -ما عدا الطبري-: ولا تتهمن. أنهض فلانًا للأمر: أقامه له وعهد إليه به.

(١٢) في سائر المصادر -ما عدا الطبري-: قبل أن تكشف أمره، فإن. وتكشُّفُ أمرِه: اتضاحه وافتضاحه. تكشِفُ أمرَه: تختبره وتتعرف إلىٰ داخلته.

مأثمٌ[١]، واجعل من شأنك حسنَ الظنِّ بأصحابك، واطرد عنك[٢] سوءَ الظنِّ بهم وارفضه عنهم، يعنْك ذلك علىٰ اصطناعهم[٣] ورياضتهم.

ولا يجدنَّ عدوُّ الله الشيطان في أمرك مغمزًا[٤]، فإنه إنما يكتفي بالقليل من وَهَنِك فيدخلَ عليك من الغمِّ في سوءِ الظنِّ[٥] ما ينغِّصك[٦] لذاذةَ عيشِك.

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوةً وراحةً، وتُكفىٰ به[٧] ما أحببت كفايته من أمورك، وتدعو به الناسَ إلىٰ محبتك، والاستقامةِ في الأمور كلها لك، ولا يمنعْك حسنُ الظنِّ بأصحابك، والرأفةُ برعيتك أن تستعمل المسألةَ والبحثَ عن أمورك، والمباشرةَ لأمور الأولياء، والحياطةَ للرعية[٨]، والنظرَ فيما يقيمها ويصلحها، بل لتكُن[٩] المباشرةُ لأمورِ الأولياء، والحياطةُ للرعيةِ، والنظرُ في حوائجهم، وحملُ

---

(١) في المخطوط وابن خلدون: آثمُ إثمٍ. والمأثم: موضع الإثم. وآثم إثم: أشدُّه وأكثره إيقاعًا في الإثم.

(٢) في المخطوط: عنه! وفي الطبري: عنهم.

(٣) في المخطوط وابن خلدون: استطاعتهم. واصطناعهم: تقريبهم ومصاحبتهم وعمق ولائهم. واستطاع فلانًا: استدعىٰ طاعته وإجابته.

(٤) في المخطوط وابن خلدون: ولا تتخذن... معمدًا. والمعمد: ما يعتمد عليه. المغمز: العيب والمطعن.

(٥) في المخطوط: ويدخل عليك من سوء الظن. وفي ابن خلدون وبدائع السلك: بسوء الظن.

(٦) في المخطوط وبدائع السلك: ما ينغِّص. وفي ابن خلدون: ما ينقص. الوهن: الضعف.

(٧) في المخطوط والكامل وابن خلدون: وتكتفي. كفاه الشيءُ كفاية: استغنىٰ به عن غيره، وكفىٰ فلانٌ فلانًا الأمر: قام فيه مقامه.

(٨) في المخطوط وابن خلدون: وحياطة الرعية.

(٩) يبدو أن تشابه الجمل السابقة مع الجمل اللاحقة تسبَّب في وجود سقط في المخطوط وابن خلدون؛ إذ جاء فيهما: أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك. والمباشرة لأمور الأولياء وحياطة الرعية أيسر عندك مما سوىٰ ذلك. والقلق في النص ظاهر. ويبدو أن الكامل جاء بالصورة نفسها، إلا أن المحقق أضاف زيادة استقلت بها. إحدىٰ النسخ عنده هي كلمة (لتكن) جاءت بعد الواو في (والمباشرة لأمور الأولياء) فاستقام الكلام وإن سقط من الجمل ما سقط.

مؤوناتهم آثرَ[١] عندك، وأوجبَ إليك مما سوىٰ ذلك، فإنه أقوىٰ للدين، وأحيا للسنة، وأخلص نيتك في جميع هذا.

وتفرَّدْ بتقويم نفسك تَفَرُّدَ من يعلمُ أنه مسؤولٌ عما صنع، ومجزيٌّ بما أحسن، ومأخوذٌ[٢] بما أساء، فإن الله[٣] جعل الدين حِرزًا وعزًّا، ورفع من اتبعه وعزَّزه[٤]، فاسلك بمن تسوسهم[٥] وترعاهم نهجَ الدين وطريقةَ الهدىٰ[٦].

وأقم [حدود الله في][٧] أصحابِ الجرائمِ علىٰ قدرِ منازلهم وما استحقوا، ولا تعطِّل ذلك ولا تهاون به[٨]، ولا تؤخرْ عقوبةَ أهلِ العقوبةِ فإن تفريطَك في ذلك مما يفسد[٩] عليك حسنَ ظنِّك، واعزم علىٰ أمرك في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب البدعَ والشبهاتِ يسلمْ لك دينُك، وتقم[١٠] لك مروءتك، وإذا عاهدت عهدًا فَفِ به[١١]، وإذا وعدت بالخير فأنجزه، واقبل الحسنةَ وانتفع بها[١٢]،

---

(١) في المخطوط وابن خلدون: أيسر. وحياطة الرعية: حفظها وتعهُّدها بجلب ما ينفعها ودفع ما يضرها. آثر عندك: أكثر تفضيلًا وأقرب إليك وأولىٰ عندك.

(٢) في المخطوط وابن خلدون: ومؤاخذ. والروايتان بمعنىٰ، أي مجزيٌّ ومحاسب.

(٣) في سائر المصادر -عدا الطبري-: فإن الله ﷻ.

(٤) الحرز: المانع والحاجز. عزَّز: عظَّم ووقر.

(٥) في سائر المصادر: بمن تسوسه.

(٦) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: وطريقه الأهدىٰ.

(٧) زيادة يقتضيها السياق من سائر المصادر. وزاد المخطوط وبدائع السلك: تعالىٰ. وفي الكامل وابن خلدون: ﷻ.

(٨) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: ولا تتهاون به.

(٩) في المخطوط والطبري: فإن في تفريطك في ذلك ما (الطبري: لما) يفسد.

(١٠) في المخطوط وابن خلدون: وتتم. وفي بدائع السلك: وتقوم!

(١١) في الأصل: قف. وهو تصحيف، والتصحيح من الطبري والكامل. وفي المخطوط وابن خلدون: فأوفِ به. وفي بدائع السلك: فوفٍّ به.

(١٢) في سائر المصادر: وادفع بها.

وأغمض[١] عن عيبِ كلِّ ذي عيبٍ من رعيتك، واشدد لسانك[٢] عن قولِ الكذبِ والزورِ، وأبغض أهله، وأقصِ[٣] أهلَ النميمةِ، فإن أوّلَ فسادِ أمرِك في عاجلِ الأمور وآجلِها[٤] تقريبُ الكَذَبَة وأهلِ الجرأةِ علىٰ الكذب[٥]، لأن الكذبَ رأسُ المآثمِ، والزورَ والنميمةَ خاتمتُها، لأن صاحبَ النميمةِ لا يسلم له صاحبٌ، ولا يستقيمُ لمطيعه أمرٌ[٦]، وأحبب[٧] أهلَ الصلاحِ والصدقِ، وأعن[٨] الأشرافَ بالحقِّ، وواسِ[٩] الضعفاءَ، وصلِ الرَّحمَ، وابتغِ بذلك وجهَ الله، وعزَّةَ[١٠] أمرِه، والتمس فيه ثوابه والدارَ الآخرة منه، واجتنب سوءَ الأهواءِ والجور، واصرف عنهما رأيك، وأظهر براءتَك من ذلك لرعيتك، وأَنْعِمْ بالعدلِ سياستهم، وقمْ بالحقِّ فيهم وبالمعرفةِ التي تنتهي بك إلىٰ سبيلِ الهدىٰ.

---

(١) اغمض: غض الطرف وتجاوز.

(٢) اشدد لسانك: امنعه وكفَّه واحجزه. شدَّ عليه في الحرب: حَمَلَ بقوَّة وهجم عليه. وشدَّ فلانًا: أوثقه.

(٣) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: الكذب والزور وأبغض أهل النميمة. الزور: الباطل. أقص: أبعد.

(٤) في سائر المصادر -عدا الطبري-: فساد أمورك في عاجلها وآجلها.

(٥) في سائر المصادر: تقريب الكذوب والجرأة (في ابن خلدون: الجراءة. وهما بمعنىٰ) علىٰ الكذب.

(٦) في المخطوط والطبري وابن خلدون وبدائع السلك: لأن النميمة لا يسلم صاحبها، وقائلها لا يسلم له صاحب. وفي الكامل: لا يسلم صاحبها وقائلها، ولا يسلم. وفي المخطوط وابن خلدون: ولا يستقيم له أمر. وفي الطبري: ولا يستقيم لمطيعها أمر. ومثله في الكامل وفيه: ولا يستتم. وكذا في بدائع السلك وفيه: لطبعه أمر.

(٧) في الطبري والكامل: وأحبُّ. وفي بدائع السلك: وأحببت!

(٨) في ابن خلدون وبدائع السلك: وأعزَّ.

(٩) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: وأعِن. وفي الطبري: وواصل. وفي الكامل: وآسِ.

(١٠) في سائر المصادر -عدا الطبري-: وجه الله تعالىٰ، وإعزاز.

واملك نفسَك عند الغضبِ، وآثرِ الوقارَ والحلمَ، وإياك والحِدَّة، والطيرةَ[١] والغرورَ فيما أنت بسبيله، وإياك [أن][٢] تقول إني مسلَّط[٣] أفعل ما أشاء، فإن ذلك سريعٌ فيك إلىٰ نقضِ الرأي، وقلةِ اليقين بالله وحده لا شريك له[٤]. أخلص الله لنا ولك النية فيه، واليقين به[٥].

واعلم أن الملكَ لله[٦] يعطيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ولن تجد تغيُّرًا لنعمِه وحلولَ نقمِه[٧] إلىٰ أحدٍ أسرعَ منه إلىٰ حَمَلَةِ[٨] النعمةِ من أصحاب السلطانِ، والمبسوطِ لهم في الدولةِ إذا كفروا بنعمة الله[٩] وإحسانه، واستطالوا بما آتاهم الله[١٠] من فضله.

ودعْ عنك شَرَهَ نفسِك، ولتكُن ذخائرُك وكنوزُك التي تذخر وتكنز البرَّ والتقوىٰ والمعْدِلَةَ[١١]، واستصلاحَ الرعيةِ وعمارةَ بلادهم، والتفقُّدَ لأمورهم، والحفظَ لدهمائهم[١٢]، والإغاثةَ لملهوفهم.

---

(١) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: والطيش. وهو أولىٰ.
(٢) ساقطة من الأصل.
(٣) في المخطوط: مسلم! ومسلَّط: لي السلطان والقدرة.
(٤) في المخطوط وابن خلدون: اليقين لله ﷻ.
(٥) في سائر المصادر: وأخلص لله وحده (في الطبري سقطت: وحده، وزاد الكامل: ﷻ) النية فيه واليقين به.
(٦) زادت المصادر -عدا الطبري-: ﷻ.
(٧) في سائر المصادر: لن تجد تغيُّر النعمة (في بدائع السلك: تغيير!) وحلول النقمة.
(٨) في بدائع السلك: جهلة!
(٩) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: كفروا نعم الله. وزاد الكامل وبدائع السلك: ﷻ. وفي الطبري: كفروا بنعم الله.
(١٠) في المخطوط وابن خلدون: أعطاهم الله. وزادا هما والكامل وبدائع السلك: ﷻ. استطالوا: ترفعوا وتكبروا.
(١١) في بدائع السلك: العدل. الشره: النهم وشدة الحرص. الذخائر: جمع ذخيرة، وهو ما يخبأ لوقت الحاجة، ويقال: ذخر لنفسه حديثًا حسنًا: أبقاه. المعدلة: الاستقامة. العدل: الإنصاف.
(١٢) في الكامل وابن خلدون وبدائع السلك: لدمائهم. الدهماء: العامة. الملهوف: المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر.

واعلم أن الأموالَ إذا كثرت وذخِرت في الخزائن لا تثمر[1]، وإذا كانت في صلاحِ الرعيةِ وإعطاءِ حقوقهم، وكفِّ المؤونة[2] عنهم نَمَتْ، وزكت[3]، وصلحت به العامةُ، وتزيَّنت به الولاةُ[4]، وطاب به الزمانُ، وأُعقِب فيه العزُّ والمنعة[5]، فليكُن أكثرُ[6] خزائنك تفريقَ الأموال في عمارة الإسلام وأهله، ووفِّرْ منه علىٰ أولياءِ أميرِ المؤمنين قِبَلَك[7] حقوقهم، وأوفِ رعيتك من ذلك حصصَهم[8]، وتعهَّدْ ما يصلحُ أمورَهم ومعايشَهم[9]، فإنك إذا فعلت ذلك قرَّت النعمةُ عليك، واستوجبتَ المزيدَ من الله[10]، وكنت بذلك علىٰ جبايةِ خراجك وجمعِ أموالِ رعيتك وعملك أقدرَ[11]، وكان الجمعُ[12] لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلَسَ

(١) في المخطوط وابن خلدون: إذا اكتنزت وادَّخرت. وفي الكامل وبدائع السلك: إذا كنزت وذخرت (في بدائع السلك: ادخرت). وفيها جميعًا: لا تنمو.

(٢) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: وكفَّ الأذية. وفي الكامل: مؤونة. والمؤونة: القوت!

(٣) في الطبري: نمت وربت. وفي الكامل: سمت وزكت ونمت. وربت: زادت. زكت: نمت وزادت.

(٤) في المخطوط وابن خلدون: وترتبت به الولاية. وفي الكامل: وتزينت به الولاية.

(٥) في المخطوط وابن خلدون: واعتقد فيها العزُّ والمنفعة. وكذا في الطبري والكامل وبدائع السلك وفيها: والمنعة. أعقب: أورث. المنعة: القوة.

(٦) في سائر المصادر: كنز. وهو أولىٰ.

(٧) في الكامل: فتلك. وفَّر عليه حقه: استوفاه.

(٨) في المخطوط وابن خلدون: وأوفِ من ذلك حصصهم. وحصص جمع حصة، وهي النصيب، أي أعطِ كلًّا حقه تامًا.

(٩) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: معاشهم.

(١٠) في المخطوط وابن خلدون: قرت النعمة لك... المزيد من الله تعالىٰ. وفي بدائع السلك: قرَّت النعمة بملكك. وفيه وفي الكامل: من الله ﷻ. وقرَّت: ثبتت وسكنت.

(١١) في المخطوط وابن خلدون: علىٰ جباية أموال رعيتك وخراجك. وتكررت (خراجك) في بدائع السلك مكان (عملك). ولم ترد هذه الأخيرة في المصدرين السابقين. جباية: جمع. الخراج: الضريبة والجزية.

(١٢) في الكامل وابن خلدون وبدائع السلك: الجميع. وفي الأخير: أسكن لطاعتك.

لطاعتك، وأطيبَ أنفسًا لكل ما أردت[١]، فأجهدْ[٢] نفسَك فيما حدَّدت لك في هذا الباب، ولتعظمْ خشيتُك[٣] فيه، فإنما يبقىٰ من المالِ ما أنفق في سبيلِ حقه[٤].

واعرف للشاكرين شكرَهم[٥]، وأثبهم عليه، وإياك أن تُنسيَك الدنيا وغرورُها هولَ الآخرة فتتهاون بما يحقُّ عليك، فإن التهاونَ يورثُ التفريطَ، والتفريطُ يورثُ البوارَ[٦]، وليكن عملُك لله وفيه تعالىٰ[٧]، وارجُ الثوابَ فإن الله قد أسبغ عليك نعمتَه وأظهر عليك فضلَه[٨]، فاعتصم[٩] بالشكر، وعليه فاعتمد يزدْك الله خيرًا وإحسانًا، فإن الله يثيب[١٠] بقدر شكر الشاكرين، وسيرةِ[١١] المحسنين، واقض الحقَّ فيما حَمَلَ من النعيم وألْبَس من العافيةِ والكرامةِ[١٢].

(١) في الكامل: بكل. وفي بدائع السلك: نفسًا بكل. وفي المخطوط وابن خلدون: وطب نفسًا بكل ما أردت.
(٢) في المخطوط والكامل وابن خلدون: وأجهد.
(٣) في المخطوط وابن خلدون: وليعظم حقك فيه. وفي الطبري: حسبتك، وفي الكامل: حسنتك.
(٤) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: وإنما... في سبيل الله وفي سبيل حقه. وفي الكامل: وإنما... في سبيل الله.
(٥) في المخطوط وابن خلدون: حقَّهم.
(٦) فرَّط الشيء وفيه: قصَّر فيه وضيعه حتىٰ فات. البوار: الهلاك.
(٧) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: عملك لله ﷻ وفيه. وكذا في الكامل دون: فيه.
(٨) في المخطوط وابن خلدون: فإن الله -سبحانه- قد أسبغ عليك فضله. وفي الطبري وبدائع السلك: نعمته في الدنيا وأظهر لديك فضله. وفي الكامل: فإن الله سبحانه... وأسبغ لديك فضله.
(٩) في المخطوط والكامل وابن خلدون: واعتصم.
(١٠) في المخطوط والكامل وابن خلدون وبدائع السلك: فإن الله ﷻ. وفي المخطوط: يكتب.
(١١) في المخطوط وابن خلدون: وإحسان.
(١٢) في الطبري: وقضِّ... النعم... وفي بدائع السلك: واقضِ بالحق فيما حُمِّلت من النعم وأُلبست من الكرامة. والجملة ساقطة من سائر المصادر.

ولا تحقرنَّ ذنبًا[١]، ولا تمايلنَّ حاسدًا[٢]، ولا ترحمنَّ فاجرًا، ولا تصلنَّ كفورًا، ولا تداهننَّ عدوًا، ولا تصدِّقنَّ نمَّامًا، ولا تأتمننَّ غدَّارًا[٣]، ولا توالينَّ فاسقًا، ولا تتبعنَّ غاويًا، ولا تحمدنَّ مرائيًا، ولا تجفوَنَّ إنسانًا، ولا تردَّنَّ سائلًا فقيرًا، ولا تجيبنَّ باطلًا[٤]، ولا تلاحظنَّ مضحكًا[٥]، ولا تخلفنَّ وعدًا[٦]، ولا ترهبنَّ فخرًا[٧]، ولا تعملنَّ غضبًا[٨]، ولا تأتينَّ بذخًا[٩]، ولا تمشينَّ مرحًا، ولا تركبنَّ سفهًا[١٠]، ولا تفرِّطنَّ في طلبِ الآخرةِ، ولا تدفعْ الأيامىٰ عِباسًا[١١]، ولا تغمضْ عن ظالمٍ رهبةً

(١) في الكامل: ولا تحقرن دنيًا!

(٢) في المخطوط: ولا تمالينَّ. وفي الكامل وابن خلدون: ولا تمالئن. وفي بدائع السلك: ولا تمارين! تمالئن: تساعد وتعاون. تماري: تجادل.

(٣) في المخطوط: ولا تأمننَّ عدوًّا.

(٤) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: ولا تحسِّننَّ باطلاً.

(٥) في نسخة من بدائع السلك: ضاحكًا. وتلاحظن مضحكًا: تنظر إليه نظرات تغريه بالانطلاق والتوسع، مما يضعف هيبتك، أو يسقط مروءتك. وربما كان المعنىٰ: لا تكن نظيرًا له. من قولهم فلان لحيظ فلان: أي نظيره.

(٦) في بدائع السلك: موعدًا.

(٧) في المخطوط: ولا تذهبنَّ. وفي الطبري والكامل: ولا ترهبن فجَّرًا. (جمع فاجر). ولعل ما في الأصل مصحف عنها، وضبطت في الكامل: فَجْرًا. وفي ابن خلدون وبدائع السلك: ولا تزهونَّ. زها: اختال.

(٨) في سائر المصادر -عدا الطبري-: ولا تظهرن غضبًا.

(٩) في المخطوط وابن خلدون: ولا تباينَنَّ رجاء. والجملة ليست في الكامل. تباين: تباعد منه.

(١٠) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: ولا تزكينَّ سفيهًا. مرحًا: اختيالًا وعُجْبًا. لا تركبن: تفعل وتقترف. السَّفه: الخفة والطيش والجهل. تزكين: تمدحه وتصفه بالعدالة. والجملة ليست في الكامل.

(١١) في المخطوط: ولا ترفع للنمام عينًا. ومثله في ابن خلدون وفيه: ولا ترفعنَّ. وفي الطبري: ولا تدفع الأيام عيانًا. ومثله في الكامل وفيه: عتابًا. وفي بدائع السلك: ولا تدفعن الأيام عمايًا. ولعل بعض ذلك تصحيف. الأيامىٰ: جمع أيِّم، العزب رجلًا كان أو امرأة، تزوج من قبل أو لم يتزوج. العبوس: التجهم.

منه ومحاباةً[1]، ولا تطلبنَّ ثوابَ الآخرةِ في الدنيا.

وأكثرْ مشاورةَ الفقهاءِ، واستعملْ نفسَك بالحلمِ، وخذْ عن أهلِ التجاربِ وذوي العقلِ والرأيِ والحكمةِ، ولا تدخلنَّ في مشورتك أهلَ الدِّقةِ والبخلِ[2]، ولا تسمعنَّ لهم قولًا، فإن ضررَهم أكثرُ من منفعتهم[3]، وليس شيءٌ أسرعَ فسادًا لما استقبلت في[4] أمر رعيتك من الشحِّ، واعلم أنك إذا كنت حريصًا كنتَ كثيرَ الأخذِ، قليلَ العطيةِ، وإذا كنت كذلك لم يستقِمْ لك[5] أمرُك إلا قليلاً، فإن رعيَّتَك إنما تعتقدُ[6] على محبتك بالكفِّ عن أموالهم، وتركِ الجورِ عليهم، ويدوم صفاءُ أوليائك لك[7] بالإفضالِ عليهم، وحسنِ العطيةِ لهم.

واجتنبِ الشحَّ، واعلم أنه أولُ ما عصىٰ به الإنسانُ ربه، وإن العاصيَ منزله خِزْيٌ[8]، وهو قولُ الله ﷻ في كتابه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

(١) في المخطوط والكامل وابن خلدون: أو محاباة. ومثله في بدائع السلك، وفيه: ولا تغمضنَّ. وفي الطبري: ولا تغمضن عن الظالم رهبة أو مخافة. رهبة: خوفًا، المحاباة: الميل.

(٢) في الكامل: أهل الذمة والنحل! وفي ابن خلدون وبدائع السلك: أهل الرفه والبخل. الرفَهُ: رغد العيش وسعة الرزق والخصب والنعيم.

(٣) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: نفعهم. وهما بمعنىٰ.

(٤) في سائر المصادر -عدا الطبري-: فيه.

(٥) في بدائع السلك: لم يستقم لله أمرك!

(٦) في الكامل وابن خلدون: تعقد. وفي بدائع السلك: تعتمد! وفي المخطوط: علىٰ قدر محبتك. اعتقد الشيء: اشتد وصلب. واعتقد فلان الأمر: صدَّقه وعقد عليه قلبه وضميره. والمعنىٰ: تتعمق محبتك في قلوبهم وتنمو وتثبت.

(٧) في المخطوط: وابن خلدون وبدائع السلك: ووالِ من صفا لك من أوليائك. وفي الأول: بالاتصال إليهم. صفا: أخلص وصدق. الأولياء: الأنصار، جمع ولي. الاتصال إليهم: الانتماء والانتساب.

(٨) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: بمنزلة الخزي. وفي الطبري والكامل: بمنزلة خزي.

[التغابن: ١٦]، فسَهِّل طريقَ الجودِ بالحقِّ، واجعلْ للمسلمين كلِّهم من نيتك[١] حظًّا ونصيبًا، وأيقنْ أن الجودَ أفضلُ أعمالِ العبادِ[٢]، وأعـدِدْهُ[٣] لنفسك خُلقًا، وارضَ به عملًا ومذهبًا، وتفقَّدْ أمورَ الجندِ في دواوينهم ومكاتبهم، وأدررْ عليهم أرزاقَهم، ووسِّع عليهم في معايشهم[٤] يذهبِ الله بذلك فاقتَهم[٥]، ويقوىٰ لك أمرُهم، ويزيد به قلوبهم[٦] في طاعتك وأمرِك إخلاصًا[٧] وانشراحًا.

وحَسْبُ ذي السلطانِ من السعادةِ أن يكون علىٰ جندِه ورعيتِه ذا رحمةٍ[٨] في عدله، وحيطته[٩]، وإنصافِه، وعنايتِه، وشفقتِه، وبرِّه وتوسعته. فزايلْ[١٠] مكروهَ أحدِ البابين باستشعارِ فضيلةِ البابِ الآخرِ[١١]، ولزومِ العملِ به، تلقَ -إن شاء الله- نجاحًا، وصلاحًا، وفلاحًا.

واعلم أن القضاءَ من الله[١٢] بالمكانِ الذي ليس به شيءٌ من الأمورِ؛ لأنه

---

(١) في المخطوط ونسخة من الكامل: بيتك. وفي ابن خلدون وبدائع السلك: فيئك. والفيء: الغنيمة تُنال بلا قتال.

(٢) في المخطوط: العبد. وفي بدائع السلك: من أفضل.

(٣) في الأصل: وأعدد. وفي الطبري والكامل: فأعدده. وفي سائر المصادر: فأعدَّه.

(٤) في المخطوط وابن خلدون: وأدرَّ. وفي الأول وبدائع السلك: معاشهم. وأدرَّ: وسع وأكثر.

(٥) في الطبري وبدائع السلك: ليذهب. وفي سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: الله ﷻ. والفاقة: الفقر والحاجة.

(٦) في المخطوط وابن خلدون: وتزيد قلوبهم.

(٧) في سائر المصادر: خلوصًا. وخلوص مصدر خلص، ومعناه: صفا وزال عنه شوبه.

(٨) في المخطوط والطبري والكامل: علىٰ جنده ورعيته رحمة.

(٩) في المخطوط والطبري وابن خلدون: وعطيته. الحيطة: الحفظ والتعهد.

(١٠) في المخطوط: فذلك. ولعله تصحيف.

(١١) في الطبري والكامل: فزايل مكروه إحدىٰ البليتين. ونهاية الجملة في الطبري: باستشعار تكملة الباب الآخر.

(١٢) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: من الله تعالىٰ.

ميزانُ الله الذي يعتدلُ عليه أحوالُ الجميعِ[١] في الأرضِ، وبإقامةِ العدلِ في القضاءِ والعملِ تصلحُ الرعيةُ[٢]، وتأمنُ السبلُ، وينتصفُ المظلومُ، ويأخذُ[٣] الناسُ حقوقَهم، وتحسنُ المعيشةُ، ويُؤدَّىٰ حق الطاعةِ، ويرزقُ الله[٤] العافيةَ والسلامةَ، ويقومُ الدينُ، وتُجرىٰ السننُ والشرائعُ، وعلىٰ مجاريها[٥] ينتجزُ الحقُّ والعدلُ في القضاءِ.

واشتدَّ في أمرِ الله[٦]، وتورعْ عن النَّطَفِ[٧]، وامضِ لإقامةِ الحدودِ، وأقللْ العجلةَ، وأبعدْ من الضجرِ والقلقِ، واقنعْ بالقَسْمِ[٨]، ولتسكنْ ريحُك[٩]، ويقرَّ جدُّك، وانتفعْ بتجربتِك، وانتبهْ في صمتِك، واسددْ في نطقِك، وأنصفِ الخصمَ، وقِفْ عند الشبهةِ، وأبلغْ في الحجةِ، ولا يأخذك في أحدٍ من رعيتك محاباةٌ، ولا محاماةٌ[١٠]، ولا لومةُ لائمٍ، وتثبتْ وتأنَّ، وراقبْ، وانظرْ[١١]، وتدبَّرْ، وتفكرْ، واعتبرْ،

---

(١) في المخطوط والكامل: الذي يعدل عليه أحوال الناس. ومثله في ابن خلدون وفيه: تعدل، وكذا في بدائع السلك وفيه: تعتدل. وفي الطبري: تعتدل عليه الأحوال.

(٢) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: أحوال الرعية.

(٣) في المخطوط وابن خلدون: وتأخذ.

(٤) في المخطوط: ويُرزَق من الله.

(٥) في المخطوط وابن خلدون: ويقيم الدين، ويجري السنن والشرائع في مجاريها. واشتد. وفي الكامل: والشرائع علىٰ مجاريها. واشتد. وفي بدائع السلك: والشرائع علىٰ مجاريها لتنجز الحق والعدل في القضاء، وليتمكن ربحك، ويقرَّ جدُّك.

(٦) في بدائع السلك: واستوفِ أمر الله. وفيه وفي سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: الله ﷻ.

(٧) في بدائع السلك: عن الشبهات. تورع عن النَّطف: تحرَّج وتوقَّ من التلطخ بالعيب.

(٨) الضجر: الضيق والتبرُّم. والقلق: الهم والانزعاج. القسم: ما قسمه الله وقدره.

(٩) في بدائع السلك: وليتمكن ربحك! يقال: رجل ساكن الريح: وقور. يقرُّ: يسكن. الجدُّ لعل المراد به هنا: الجُدُّ وهو جانب الشيء. وهاتان الجملتان أخلَّ بهما: المخطوط والكامل وابن خلدون. وجاءا في بدائع السلك قبل قوله: واشتد في أمر الله.

(١٠) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: ولا مجاملة. حامىٰ عنه: دافع.

(١١) في الكامل: وانظر الحق علىٰ نفسك.

وتواضعْ لربك، وارأفْ[1] بجميعِ الرعيةِ، وسلطِ الحقَّ علىٰ نفسِك، ولا تسرعنَّ إلىٰ سفكِ دم[2] -فإن الدماءَ من الله[3] بمكانٍ عظيمٍ- انتهاكًا لها[4] بغيرِ حقِّها.

وانظرْ هذا الخراجَ الذي قد استقامت عليه الرعيةُ، وجعله الله للإسلامِ عزًّا ورفعةً، ولأهلِه سعةً[5] ومنعةً، ولعدوِّه وعدوِّهم كبتًا[6] وغيظًا، ولأهلِ الكفرِ من معاهدتهم[7] ذُلاً وصغارًا، فوزِّعْه بين أصحابه بالحقِّ والعدلِ والتسويةِ، والعموم فيه، ولا ترفعنَّ منه شيئًا عن شريفٍ لشرفِه، ولا عن غنيٍّ لغناه، ولا عن كاتبٍ لك، ولا أحدٍ من خاصتك[8]، ولا تأخذْ منه فوقَ الاحتمالِ له، ولا تكلفنَّ[9] أمرًا فيه شَطَطٌ، واحملِ الناسَ كلَّهم علىٰ مُرِّ الحقِّ[10]، فإن ذلك أجمعُ لألفتهم، وألزمُ لرضا العامةِ[11].

واعلم أنك جُعلت بولايتك خازنًا، وحافظًا، وراعيًا، وإنما سُمِّي أهلُ عملِك

(١) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: وارفق. رأف به: رحمه أشدَّ الرحمة، ولطف في معاملته.

(٢) في المخطوط: الدماء.

(٣) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: الله ﷻ.

(٤) في ابن خلدون: فلا تبغ انتهاكًا لها. وفي بدائع السلك: فإياك انتهاكًا... انتهك الشيء: جرؤ عليه ولم يعتدَّ بحرمته وأمعن فيه.

(٥) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: توسعة.

(٦) في المخطوط وابن خلدون: ولعدوه كبتًا وغيظًا. كبتًا: ذلاً وقهرًا. غيظًا: شدة غضب.

(٧) في المخطوط وابن خلدون: من معاديهم. وفي الكامل: من معانديهم. وفي بدائع السلك: من بغاتهم ومعاديهم. الصغار: الذلة المهانة.

(٨) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: من خاصتك ولا حاشيتك. والخاصة: خلاف العامة. والحاشية: الأهل والخاصة.

(٩) في المخطوط والكامل وابن خلدون: ولا تكلف. الشطط: الجور وتجاوز الحد.

(١٠) في المخطوط وابن خلدون: أمر الحق. وفي بدائع السلك: علىٰ أمن من الخوف!

(١١) في المخطوط: والزم إرضاء العامة.

رعيتَك[1] لأنك راعيهم وقيِّمُهم، تأخذُ[2] منهم ما أعطوك من عَفْوِهم ومقدرتهم، وتنفقه[3] في قِوامِ أمرِهم وصلاحِهم، وتقويمِ أَوَدِهم، فاستعملْ عليهم في كُوَرِ عملِك ذوي الرأيِ[4] والتدبيرِ، والتجربةِ، والخبرةِ بالعملِ، والعلمِ بالسياسةِ والعفافِ[5].

ووسِّعْ عليهم في الرزقِ فإن ذلك من الحقوقِ اللازمةِ لك فيما تقلَّدتَ وأُسند إليك، ولا يشغلنَّك[6] عنه شاغلٌ، ولا يصرفنَّك[7] عنه صارفٌ، فإنك متىٰ آثرته وقمت فيه بالواجبِ استدعيت به زيادةَ النعمةِ من ربك، وحسن الأحدوثةِ في عملك، واحترزتَ المحبةَ[8] من رعيتك، وأُعنت علىٰ الإصلاحِ[9]، فدرَّت الخيراتُ ببلدِك، وفشت العمارةُ بناحيتك، وظهرَ الخصبُ في كورِك، فكثُرَ خراجُك، وتوفرتْ أموالُك، وقويتَ بذلك علىٰ ارتباطِ جندِك، وإرضاءِ العامةِ بإضافةِ العطاءِ فيهم من نفسك، وكنت محمودَ السياسةِ، ومرضيَّ العدلِ[10] في ذلك عند عدوِّك، وكنت في أمورِك كلها ذا عدلٍ وقوةٍ، وآلةٍ وعُدَّةٍ، فنافس في هذا ولا تقدِّم عليه شيئًا

(١) في بدائع السلك: أهل عملك ورعيتك!

(٢) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: فخذ منهم.

(٣) في المصادر السابقة: من عفوهم ونفّذه في. العفو من المال: ما زاد علىٰ النفقة. قوام الأمر: ما يقوم به.

(٤) في بدائع السلك: واستعمل. وكذا في المخطوط وابن خلدون وفيهما: أولي الرأي والتدبير. وأخلَّت جميعها بقوله: (في كور عملك). وكور جمع كورة: البقعة التي يجتمع فيها قرىٰ ومحالّ.

(٥) في المخطوط وابن خلدون: والخبرة بالعمل، والعدل بالسياسة والعفاف.

(٦) فلا يشغلك. وفي الكامل وبدائع السلك: ولا يشغلك.

(٧) في المخطوط والكامل وابن خلدون: ولا يصرفك.

(٨) في المخطوط وابن خلدون: واجتررت. وفي الطبري والكامل: واحترزت. وفي الأول منهما: النصيحة. وفي بدائع السلك: وأحرزت. الأحدوثة: الذكر الحسن. اجتررت: جذبت. احترزت: صنت. أحرزت: حزت ونلت.

(٩) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: الصلاح. درَّت: كثرت واتسعت.

(١٠) في سائر المصادر: محمود السياسة، مرضي العدل.

تجدْ مغبَّةَ أمرِك[١] إن شاء الله.

واجعلْ في كلِّ كورةٍ من عملك أمينًا يخبرْك أخبارَ[٢] عمالِك، ويكتبْ إليك بسيرهم وأعمالهم، حتىٰ كأنك مع كلِّ عاملٍ في عملِه، معاينٌ لأموره كلِّها[٣]، وإن أردت أن تأمرَه بأمرٍ[٤] فانظرْ في عواقبِ ما أردت من ذلك، فإن رأيت السلامةَ فيه والعافيةَ، ورجوت فيه حسنَ الدفاعِ والنصحِ والصنعِ، فأمضِه[٥]، وإلا فتوقفْ[٦] عنه وراجعْ أهلَ البصَرِ والعلمِ به. ثم خذْ فيه عُدَّته، فإنه ربما نظرَ الرجلُ إلىٰ أمرٍ من أمرِه قد واتاه[٧] علىٰ ما يهوىٰ فقواه[٨] ذلك وأعجبه، وإن[٩] لم ينظرْ في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره، فاستعمل الحزم في كل ما أردت، وباشره بعد عونِ الله[١٠] بالقوةِ، وأكثرْ استخارةَ[١١] ربك في جميعِ أمورِك.

وافرغْ من عملِ يومك ولا تؤخرْه لغدك، وأكثرْ مباشرته بنفسك فإنَّ لغدٍ أمورًا وحوادثَ تلهيك عن عملِ يومك الذي أخَّرت، واعلم أن اليومَ إذا مضىٰ ذهبَ بما فيه،

(١) في المخطوط وابن خلدون: فتنافس فيها ولا تقدِّم عليها شيئًا تحمد عاقبة أمرك. وفي الكامل: فنافس في ذلك... تحمد. وفي الطبري وبدائع السلك: تحمد. مغبة: عاقبة.

(٢) في المخطوط وابن خلدون: خبر. وفي بدائع السلك: بخبر.

(٣) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: معاينًا. وفي الطبري: لأمره كله.

(٤) في المخطوط وابن خلدون: وإذا. وفي الكامل: فإن. وفيها جميعًا مع بدائع السلك: تأمرهم بأمر.

(٥) في الأصل: فأمضيه، والتصحيح من سائر المصادر.

(٦) في المخطوط: ولا تتوقف عنه.

(٧) في المخطوط وابن خلدون: نظر الرجل في أمره. وفيهما وفي بدائع السلك: وقد أتاه. واتاه: طاوعه.

(٨) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: فأغواه. أغواه: أضله وأغراه.

(٩) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: فإن.

(١٠) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: الله ﷻ.

(١١) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: من استخارة.

وإذا أخَّرت عملَه اجتمعَ عليك أمورُ[١] يومين، فيشغلك ذلك حتىٰ تعرِضَ[٢] عنه، وإذا أمضيتَ لكلِّ يومٍ عملَه أرحتَ نفسَك، وبدنَك، وأحكمتَ أمورَ سلطانك[٣].

وانظرْ أحرارَ الناسِ وذوي الشرفِ[٤] منهم، ثم استيقنْ صفاءَ طويَّتِهم وتهذيب[٥] مودَّتهم لك، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة[٦] علىٰ أمرك، فاستصلحهم[٧] وأحسنْ إليهم.

وتعاهدْ أهلَ البيوتاتِ ممن قد دخلتْ عليهم الحاجةُ، فاحتملْ مؤونتَهم وأصلحْ حالَهم[٨]؛ حتىٰ لا يجدوا لخلَّتهم مَسًّا[٩]، وأفردْ نفسَك للنظرِ[١٠] في أمورِ الفقراءِ والمساكين، ومن لا يقدرُ علىٰ رفعِ مظلمتِه إليك، والمحتقرِ الذي لا علمَ له بطلبِ حقِّه فسلْ عنه أخفىٰ مساءلة[١١]، ووكلْ بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك[١٢]، ومُرْهُم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك لتنظر فيها بما يُصلحُ الله أمرَهم[١٣].

---

(١) في المخطوط وابن خلدون: عمل يومين. وفي الطبري وبدائع السلك: أمر يومين.

(٢) في المخطوط: حتىٰ ترضىٰ منه. ولعله تصحيف. وفي الطبري: فشغلك، وفي ابن خلدون وبدائع السلك: حتىٰ تمرض منه.

(٣) في المخطوط: وتستيقن! أمر سلطانك. وفي ابن خلدون: وجمعت أمر سلطانك.

(٤) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: وذوي الفضل. وفي الكامل: وذوي السِّنِّ.

(٥) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: منهم ممن بلوت صفاء طويتهم وشهدت (تصحفت في بدائع السلك: وشهرة). وفي الكامل: ممن تستيقن... وشهدت.

(٦) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: والمحافظة.

(٧) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: فاستخلصهم. استخلصهم: اخترهم واجعلهم خلصاءك وخاصتك.

(٨) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: واحتمل. وفي الأول: وأصلح خللهم. الخلل جمع خلَّة: الحاجة. والمؤونة: القوت.

(٩) في المخطوط وابن خلدون: لخلتهم منافرًا. نافره: خاصمه وفاخره. والمس: الأثر الشديد.

(١٠) في المخطوط والكامل وابن خلدون: بالنظر.

(١١) في الطبري: فاسأل. وفي سائر المصادر -عدا المخطوط- أحفىٰ. وفيها كلها: مسألة. سل عنه أحفىٰ مسألة: استقصَّ فيها وألحَّ في السؤال ودقِّق في كشف الحال.

(١٢) في المخطوط وابن خلدون: وكل... في رعيتك.

(١٣) في المخطوط وابن خلدون: وخلالهم لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم.

وتعاهدْ ذوي البأساءِ ويتاماهم وأراملَهم، واجعلْ لهم أرزاقًا من بيتِ المالِ اقتداءً بأميرِ المؤمنين -أعزَّه الله- في العطفِ عليهم والصلةِ لهم، ليصلحَ الله بذلك عيشَهم، ويرزقك به بركةً وزيادةً، وأَجْرِ للأضرَّاءِ من بيتِ المالِ، وقدِّمْ حملةَ القرآنِ منهم والحافظين لأكثرِه في الجرايةِ[1] علىٰ غيرهم، وانصبْ لمرضىٰ المسلمين دورًا تؤويهم، وقوَّامًا يرفقونهم[2]، وأطباءَ يعالجون أسقامَهم، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤدِّ ذلك إلىٰ سَرَفٍ في بيتِ المال.

واعلمْ أن الناسَ إن أعطُوا حقوقَهم وأفضلَ أمانيِّهم لم يرضِهم ذلك[3]، ولم تَطِبْ أنفسُهم دون رفعِ حوائجِهم إلىٰ ولاتهم طمعًا في نيلِ الزيادةِ، وفضْلِ الترفُّقِ منهم[4]، وربما بَرِمَ المتصفِّحُ لأمورِ الناسِ بكثرةِ[5] ما يرد عليه، ويشغلُ ذهنَه وفكرَه[6] منها ما يناله به مؤونةٌ ومشقةٌ، وليس من يرغبُ في العدلِ ويعرفُ محاسنَ أمورِه في العاجلِ وفضلِ ثوابِ الآجلِ كالذي يستقبلُ[7] ما يقرِّبه إلىٰ الله ﷻ ويلتمسُ رحمته به.

---

(١) في الكامل: للأضراب... في الجرائد. والأضراب واحدها الضرب: المثل والشكل. وربما كانت الكلمة تصحيفًا عن الأضراء. جمع ضرير، وهو الأعمىٰ. والجراية: الجاري من الرواتب. وأجرىٰ علىٰ فلان كذا: جعل له مرتَّبًا معلومًا مستمرًّا. والجرائد واحدتها جريدة، البقية من المال، ودفتر أرزاق الجيش في الديوان.

(٢) في المخطوط وابن خلدون: تأويهم وفي بدائع السلك: وقومًا. وفيها وفي سائر المصادر: يرفقون بهم. القُوَّام: جمع قوَّام، الحسن القيام بالأمور. رفق به وله وعليه: لان له جانبه وحسن صنيعه معه.

(٣) في المخطوط: إذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانتهم لم (لعله: قلَّ) تبرمهم، وربما تبرَّم المتضع لأمور الناس.

(٤) في الطبري والكامل وابن خلدون وبدائع السلك: الرفق. وفي الأخيرين: بهم. والترفق لعله من الارتفاق، وهو النفع.

(٥) في سائر المصادر: لكثرة.

(٦) في المخطوط وابن خلدون: ذكره وفكره.

(٧) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: يستقل... من الله تعالىٰ. وفي الكامل: يستقل... بما يقربه إلىٰ الله تعالىٰ.

وأكثِرِ الإذنَ للناسِ عليك، وأبْرِزْ لهم[١] وجهك، وسكِّن لهم أحراسَك[٢]، واخفضْ لهم جناحَك، وأظهرْ لهم بِشْرَك، ولاينْ[٣] لهم في المسألةِ والمنطقِ[٤]، واعطفْ عليهم بجودِك وفضلِك، وإذا أعطيتَ فأعطِ بسماحةٍ وطيبِ نفسٍ والتماسٍ[٥] للصنيعةِ والأجرِ غيرَ مكدِّرٍ ولا منَّانٍ[٦]، فإن العطيةَ علىٰ ذلك تجارةٌ مربحةٌ إن شاء الله[٧].

واعتبرْ بما ترىٰ من أمورِ الدنيا، ومن مضىٰ قبلك[٨] من أهلِ السلطانِ والرئاسةِ في القرونِ الخاليةِ، والأممِ البائدةِ. ثم اعتصمْ في أحوالِك كلِّها بأمرِ الله[٩]، والوقوفِ عند محبته، والعملِ بشريعتِه وسنتِه، وإقامةِ[١٠] دينه وكتابه، واجتنبْ ما فارقَ ذلك وخالفه ودعا إلىٰ سَخَطِ الله[١١]، واعرفْ ما تجمَعُ عمالُك من الأموالِ وينفقون منها[١٢]، ولا تجمعْ حرامًا ولا تنفقْ إسرافًا.

وأكثرْ مجالسةَ العلماءِ ومشاورتهم ومخالطتهم، وليكُن[١٣] أكرمُ دخلائك

(١) في المخطوط وابن خلدون: وأرِهم.
(٢) في المخطوط ونسخة من الكامل: حراسك. وفي الكامل وابن خلدون وبدائع السلك: حواسك.
(٣) في سائر المصادر -سوىٰ بدائع السلك-: ولِنْ. وفي بدائع السلك: وليِّن لهم النطق في المسألة والتصريح والنظر.
(٤) في المخطوط وابن خلدون: النطق.
(٥) في الطبري وبدائع السلك: والتمس الصنيعة. والصنيعة: كل ما عمل من خير أو إحسان.
(٦) زاد في الكامل: للصنيعة. وفي المخطوط والكامل وابن خلدون: من غير تكدير ولا امتنان.
(٧) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: الله تعالىٰ.
(٨) في المخطوط: وبمن. وفيه وفي الطبري والكامل: من قبلك.
(٩) في المخطوط وابن خلدون: بالله. وفيهما وفي بدائع السلك: ﷻ.
(١٠) في المخطوط وابن خلدون: وبإقامة.
(١١) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: ﷻ.
(١٢) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: وما ينفقون منها.
(١٣) زادت سائر المصادر قبلها: وليكن هواك اتباعَ السنن وإقامتَها، وإيثارَ مكارم الأخلاق ومعاليَها.

وخاصتِك عليك من إذا رأىٰ عيبًا فيك لم يمنعْه[1] هيبتُك من إنهاءِ ذلك إليك في سرٍّ، وإعلامك ما فيه من النقص[2]، فإن أولئك أنصحُ أوليائك ومظاهريك[3]، وانظرْ عمالَك الذين بحضرتك وكتَّابَك فوقِّتْ لكلِّ رجلٍ منهم في كلِّ يومٍ وقتًا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته، وما عنده من حوائجِ عمالِك وأمورِ كورِك[4] ورعيتِك، ثم فرِّغْ -لما يوردُه عليك من ذلك- سمعَك وبصرَك، وفهمَك، وعقلَك، وكررْ النظرَ إليه[5] والتدبيرَ له، فما كان موافقًا للحزمِ والحقِّ فأمضِه واستخرِ الله[6] فيه، وما كان مخالفًا ذلك[7] فاصرفه إلىٰ التثبُّتِ فيه، والمسألةِ عنه.

ولا تمننْ علىٰ رعيَّتِك ولا غيرِهم بمعروفٍ تأتيه إليهم[8]، ولا تقبلْ من أحدٍ منهم إلا الوفاءَ والاستقامةَ والعونَ في أمورِ أميرِ المؤمنين[9]، ولا تصنعنَّ[10] المعروفَ إلا علىٰ ذلك.

وتفهَّمْ كتابي إليك، وأكثرِ[11] النظرَ فيه، والعملَ به، واستعنْ بالله علىٰ جميعِ[12]

(١) في سائر المصادر: تمنعه (في بدائع السلك: فلا تمنعه).

(٢) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: في سترٍ... بما فيه. وفي الكامل: في سرك. إنهاء: إيصال.

(٣) في المخطوط: ومظاهريك لك. وفي نسخة من الكامل: ومظاهرين لك. مظاهريك: معاونيك.

(٤) في المخطوط وابن خلدون: وأمور الدولة. وفي الطبري: وأمر.

(٥) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: وكرر النظر فيه.

(٦) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: ﷻ.

(٧) في سائر المصادر: لذلك.

(٨) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: تؤتيه. تأتيه: تفعله. تؤتيه: تعطيه. تمنن: تفخر بنعمة أسديتها حتىٰ تكدرها.

(٩) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: في أمور المسلمين.

(١٠) في المصادر السابقة: ولا تضعن.

(١١) في المخطوط وابن خلدون: وأمعن. أمعن: بالغ واستقصِ.

(١٢) في المخطوط: في جميع أمورك.

أمورِك، واستخرْه فإن الله -جل وعز- مع الصلاح وأهلِه، وليكن أعظمُ سيرتِك، وأعظمُ[1] رغبتك ما كان لله -جل وعز- رضًا، ولدينه نظامًا، ولأهلِه عزًّا وتمكينًا، وللملَّةِ والذمَّةِ عدلًا وصلاحًا، وأنا أسأل الله[2] أن يحسنَ عونَك، وتوفيقَك، ورشدَك، وكلاءتَك[3]، وأن ينزلَ عليك فضلَه ورحمتَه بتمامِ فضلِه عليك وكرامتِه لك؛ حتىٰ يجعلَك أفضلَ أمثالِك[4] نصيبًا، وأوفرَهم حظًّا، وأسناهم ذكرًا وأمْرًا، وأن يهلكَ عدوَّك، ومن ناوأك[5] وبغىٰ عليك، ويرزقَك من رعيتك العافيةَ، ويحجزَ الشيطانَ عنك ووساوسَه[6]، حتىٰ يستعليَ أمرُك بالعزِّ والقوةِ والتوفيقِ، إنه قريبٌ مجيبٌ)[7].

---

(١) في سائر المصادر: وأفضل. وفي الكامل: عيشك. وفي بدائع السلك: وليكن أعظم شغلك.

(٢) في المخطوط وابن خلدون وبدائع السلك: ﷻ.

(٣) في سائر المصادر -سوىٰ الطبري-: والسلام. وهو فيها نهاية الوصية. كلاءتك: حفظك.

(٤) في الطبري: مثالك. ولعله تصحيف.

(٥) أوفرهم حظًّا: أكثرهم نصيبًا. أسناهم ذكرًا: أعلاهم. نأوأك: عاداك.

(٦) في الطبري: عنك وساوسه.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب بغداد لابن طيفور ٢٦-٣٤، وتاريخ الطبري ٨/ ٥٨٢-٥٩١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/ ٣٦٤-٣٧٧، ومقدمة ابن خلدون ١/ ٥٤٢-٥٥٤، وعنه في بدائع السلك٢/ ١٨٤-١٩٧.وفي مكتبة الحرم المدني مخطوطة من ثلاث لوحات كتبت بخط أندلسي، أوقفت من قبل شخص يبدو أنه مغربي، هو محمد العزيز الوزير، في غرة رجب سنة ١٣٢٠هـ ورقمها في تصنيف المخطوطات العام في المكتبة ٣٧٠، ورقمها في قائمة الأذكار وفضائل الأعمال والوعظ ١/ ٨٠ (٢). اشتملت هذه المخطوطة علىٰ وصية عبد الله بن طاهر. وقد ورد في كتاب بغداد، والطبري. وقريب منه في المصادر الأخرىٰ: (ولما عهد طاهر بن الحسين إلىٰ عبد الله ابنه هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه، وشاع أمره حتىٰ بلغ المأمون، فدعا به وقرئ عليه وقال: ما بقّىٰ أبو الطيب شيئًا من أمر الدين والدنيا، والتدبير والرأي، والسياسة وإصلاح الملك، والرعية وحفظ البيعة، وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصىٰ به وتقدم فيه. وأمر أن يكتب بذلك إلىٰ جميع العمال في نواحي الأعمال. وتوجه عبد الله إلىٰ عمله فسار بسيرته واتبع أمره وعمل بما عهد إليه).

[٣٨٣] وقال طاهر بن الحسين لابنه:

(التبذيرُ في المالِ ذمه حبُّ التقتيرِ فيه، فاتقِ التبذيرَ، وإياك والتقتيرَ)[١].

[٣٨٤] كان طفيل العرائس[٢] يوصي ابنه[٣] عبدَ الحميد فيقول:

(إذا دخلت عُرْسًا فلا تلتفتْ تلفُّتَ المريبِ[٤]، وتخيَّرِ المجالسَ، فإن كان العرسُ كثيرَ الزحامِ فأمُرْ وانْهَ، ولا تنظرْ في عيونِ أهلِ المرأةِ ولا في عيونِ أهلِ الرجلِ، ليظنَّ هؤلاءِ أنك من هؤلاء، ويظنَّ هؤلاء أنك من هؤلاء، فإن كان البوَّابُ غليظًا وَقَاحًا[٥] فابدأْ به ومُرْهُ وانهَهُ من غيرِ أن تعنِّفَه، وعليك بكلامٍ بين النصيحةِ والإدلال[٦])[٧].

---

(١) **التوثيق**: ورت الوصية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ٣١١.

(٢) **صاحب الوصية**: هو طفيل بن زلاَّل، رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان، وقيل إنه من بني هلال، وكان يأتي الولائم من غير أن يُدعىٰ إليها، وكان يقال له: طفيل العرائس، وطفيل الأعراس، وهو أول رجل لابَسَ هذا العملَ في الأمصار، فصار مثلًا ينسب إليه كل من يقتدي به فيقال: طفيلي. وكان يقول: وددت أن الكوفة بركة مصهرجة حتىٰ لا يخفىٰ عليَّ من أعراسها شيء. ضرب به المثل فقيل: أطمع من طفيل، وأوغل من طفيل.
انظر: ثمار القلوب ١٠٨، والتطفيل ٦١-٦٣، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٠٣، ٣/ ٤٥٦.
ولم أقِف لابنه علىٰ ذكر.

(٣) **مناسبة الوصية**: في علَّته.

(٤) في عيون الأخبار: تتلفَّت، وهي الأنسب لأنها فعل المصدر بعدها. وأما تلتفت فمصدرها التفات. المريب: الباعث علىٰ الريبة والشك في أمره.

(٥) وقاحًا: قليل الحياء.

(٦) الإدلال: التصرف مع الآخرين اعتمادًا علىٰ سابق محبة وصحبة.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب التطفيل ١٤١، وقد وردت في عيون الأخبار ٣/ ٢٣٢ -مع زيادة يسيرة- علىٰ أنها وصية من طفيل العرائس لأصحابه. وقد وردت -مختصرة- ضمن وصيةٍ نسبت لطفيلي يوصي بها غلامه في كتاب التطفيل ١٤٣-١٤٤.

[٣٨٥] قال أبو طوالة[١] لبنيه[٢]:

(يا بني، اتقوا الله، فإنكم إن اتقيتموه فأنتم[٣] على الصدرِ والنحرِ، وإن عصيتموه[٤] فوالله ما أبالي ما صنعَ بكم)[٥].

[٣٨٦] قال أبو السمراء[٦]: قال لنا أبي:

(١) **صاحب الوصية:** أبو طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصاري البخاري، كان قاضي المدينة في زمن عمر بن عبد العزيز، كان فقيهًا ثقة صوامًا قوامًا خيِّرًا. توفي سنة ١٣٤هـ. انظر: طبقات خليفة ٢٦٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥١، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٧.

(٢) **مناسبة الوصية:** (لما حضرت أبا طوالة الوفاة جمع بنيه فقال: ...) مصدر الوصية.

(٣) في تاريخ دمشق: إن اتقيتم الله فأنتم مني.

(٤) في أخبار القضاة: فإن لم تتقوه، وفي تاريخ دمشق: وإن لم تتقوا الله لم أبالِ ما صنع الله بكم.

(٥) **التوثيق:** وردت الوصية في كتاب العيال ٢/ ٦٥٣، كما وردت (باختصار) في أخبار القضاة ١/ ١٤٨، وتاريخ دمشق ٢٩/ ٣٣٠.

(٦) **صاحب الوصية:** جاء اسم أبي السمراء في مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٤٨، العلاء بن عاصم الغساني وفي جمع الجواهر ٣٠١، العلاء بن عاصم بن عصمة العسكري، وقد قال أبو الفرج (الأغاني ١٩/ ٢٢١) في ترجمة سلم الخاسر، عن عاصم بن عتبة الغساني (وهو رجل جواد كثير العطاء مدحه سلم الخاسر): (جدُّ أبي السمراء).ولعل: عصمة في جمع الجواهر تحريف عن عتبة. كما يبدو أن قول أبي الفرج (جدّ أبي السمراء) غير دقيق، فورود الاسم في المصادر يدلُّ على أنه أبوه لا جده، ثم لعل مما يقرب هذا أنه ورد في الأغاني -في الموضع ذاته- أن سلمًا عند وفاته أودع أمواله عند عاصم على أن أكثرها منه، وهو أولى بها، وليس ثمة وارث، وفي تاريخ بغداد ٩/ ١٣٨ أن سلمًا أودع أمواله أبا السمراء نفسه. وأبو السمراء صحب عبد الله بن طاهر عندما سيَّره المأمون إلى مصر، وكان نديمًا له (انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٦١١)، وهو أحد من وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد بمئة ألف دينار (الأغاني ١٢/ ٩٤، ٢٢/ ٢٣)، ويبدو أن له عناية بالأدب واللغة، إذ تردد عليه الأصمعي وأبو عبيدة وكان يسألهما عن الأخبار والأشعار (مجمع الأمثال ١/ ٣٠١، والمزهر للسيوطي ٢/ ٣٧٦). كما كان شاعرًا. (انظر: جمع الجواهر ٣٠١، ومختصر تاريخ دمشق ٤٨-٥٠).

[٣٨٥] قال أبو طوالة[١] لبنيه[٢]:

(يا بني، اتقوا الله، فإنكم إن اتقيتموه فأنتم[٣] علىٰ الصدرِ والنحرِ، وإن عصيتموه[٤] فوالله ما أبالي ما صنعَ بكم)[٥].

[٣٨٦] قال أبو السمراء[٦]: قال لنا أبي:

---

(١) **صاحب الوصية:** أبو طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصاري البخاري، كان قاضي المدينة في زمن عمر بن عبد العزيز، كان فقيهًا ثقة صوامًا قوامًا خيِّرًا. توفي سنة ١٣٤هـ. انظر: طبقات خليفة ٢٦٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥١، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٧.

(٢) **مناسبة الوصية:** (لما حضرت أبا طوالة الوفاة جمع بنيه فقال: ...) مصدر الوصية.

(٣) في تاريخ دمشق: إن اتقيتم الله فأنتم مني.

(٤) في أخبار القضاة: فإن لم تتقوه، وفي تاريخ دمشق: وإن لم تتقوا الله لم أبالِ ما صنع الله بكم.

(٥) **التوثيق:** وردت الوصية في كتاب العيال ٢/ ٦٥٣، كما وردت (باختصار) في أخبار القضاة ١/ ١٤٨، وتاريخ دمشق ٢٩/ ٣٣٠.

(٦) **صاحب الوصية:** جاء اسم أبي السمراء في مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٤٨، العلاء بن عاصم الغساني وفي جمع الجواهر ٣٠١، العلاء بن عاصم بن عصمة العسكري، وقد قال أبو الفرج (الأغاني ١٩/ ٢٢١) في ترجمة سلم الخاسر، عن عاصم بن عتبة الغساني (وهو رجل جواد كثير العطاء مدحه سلم الخاسر): (جدُّ أبي السمراء). ولعل: عصمة في جمع الجواهر تحريف عن عتبة. كما يبدو أن قول أبي الفرج (جدِّ أبي السمراء) غير دقيق، فورود الاسم في المصادر يدلُّ علىٰ أنه أبوه لا جده، ثم لعل مما يقرب هذا أنه ورد في الأغاني -في الموضع ذاته- أن سلمًا عند وفاته أودع أمواله عند عاصم علىٰ أن أكثرها منه، وهو أولىٰ بها، وليس ثمة وارث، وفي تاريخ بغداد ٩/ ١٣٨ أن سلمًا أودع أمواله أبا السمراء نفسه. وأبو السمراء صحب عبد الله بن طاهر عندما سيَّره المأمون إلىٰ مصر، وكان نديمًا له (انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٦١١)، وهو أحد من وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد بمئة ألف دينار (الأغاني ١٢/ ٩٤، ٢٢/ ٢٣)، ويبدو أن له عناية بالأدب واللغة، إذ تردد عليه الأصمعي وأبو عبيدة وكان يسألهما عن الأخبار والأشعار (مجمع الأمثال ١/ ٣٠١، والمزهر للسيوطي ٢/ ٣٧٦). كما كان شاعرًا. (انظر: جمع الجواهر ٣٠١، ومختصر تاريخ دمشق ٤٨-٥٠).

(يا بنيَّ، تزيَّنوا[1] بزيِّ الكتَّابِ، فإنَّ فيهم[2] أدبَ الملوكِ وتواضعَ السوقة[3])[4].

[٣٨٧] قال عبد الله بن الحسن بن الحسن[5] لابنه محمد أو إبراهيم[6]:

(١) في عيون الأخبار وبهجة المجالس: تزيَّوا. تزيًّا بكذا: تهيأ ولبس. يقال تزيا بزي غيره: لبس كما يلبس. والمعنىٰ قلِّدوهم في سلوكهم.

(٢) في العقد: فإنهم جمعوا.

(٣) السوقة: الرعية وأوساط الناس.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في لباب الآداب ٢٢٩. كما وردت في عيون الأخبار ١/ ٤٦ وفيه: قال رجل لبنيه، والعقد الفريد ٤/ ١٧٠ وفيه: قال بعض المهالبة لبنيه. وبهجة المجالس ١/ ٣٥٨، وفيه: قال بعض الحكماء لبنيه، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٤٢ وفيه: وقال حكيم لبنيه. وفي نثر الدر ٤/ ٢٠٣: قال رجل لابنه: يا بني تزيَّ... ونسب القول في البصائر والذخائر ٢/ ١٢٧ لسهل بن هارون.

(٥) **صاحب الوصية**: أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن [تصحَّف في بعض مصادر الوصية إلىٰ الحسين] بن علي بن أبي طالب ﷺ. كان من العباد وله شرف وهيبة ولسان سديد، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز في خلافته. وحين صارت الخلافة إلىٰ بني العباس أكرمه السفاح، وحين تولىٰ الخلافة أبو جعفر المنصور حبسه بالمدينة لاختفاء ابنيه محمد وإبراهيم، ثم نقله إلىٰ الكوفة فحبسه فيها حتىٰ مات سنة ١٤٤ أو ١٤٥هـ وعمره خمس وسبعون سنة.

انظر: مقاتل الطالبيين ١٧٩، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٣١، والوافي ١٧/ ١٣٥.

وابناه محمد [المعروف بالنفس الزكية] وإبراهيم تأخرا عن القدوم علىٰ أبي جعفر حين حج بالناس في خلافة أخيه السفاح، فأهمَّه أمرُهما، خاصة وهو يذكر أنه كان ممن بايع لمحمد ليلة تشاور بنو هاشم فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمرُ بني مروان... وقد ظل يطلبهما -وهما مستخفيان- حتىٰ خرج محمد عليه في المدينة في رجب من سنة ١٤٥هـ، وخرج إبراهيم في أول رمضان من السنة نفسها. فأرسل أبو جعفر ابن عمِّه عيسىٰ بن موسىٰ فقتل محمدًا في الرابع من رمضان، وحين رجع عيسىٰ منتصرًا بعثه إلىٰ إبراهيم الذي كان يتقاتل وولاة أبي جعفر في العراق، فهزمه وقتله في ذي القعدة من السنة نفسها.

انظر: تاريخ خليفة ٤٢١، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٥٢، ومقاتل الطالبيين ٢٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١-١٦٠)/ ٢١.

(٦) **مناسبة الوصية**: هكذا ورد في الأصل: (لابنه محمد أو إبراهيم)، وكذا ورد في البيان والتبيين ١/ ٢٣٢، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣١٦، وقد ورد في البيان والتبيين ٢/ ١٧٤، وجمل من أنساب الأشراف، ونثر الدر والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣ أنه قال الوصية لابنه محمد حين أراد الاستخفاء.

«أي بني! إني مؤدٍّ حقَّ الله في تأديبك[١]، فأدِّ إليَّ حقَّ الله في الاستماعِ مني[٢]، أي بنيَّ! كفَّ الأذىٰ، وارفض البذا[٣]، واستعنْ علىٰ الكلامِ بطولِ الفكرِ في المواطنِ التي تدعوك فيها نفسُك إلىٰ الكلامِ[٤]؛ فإن للقولِ ساعاتٍ يضرُّ فيها الخطأُ، ولا ينفع فيها الصوابُ[٥]، واحذرْ[٦] مشورةَ الجاهلِ[٧] وإن كان ناصحًا، كما تحذر مشورةَ العاقلِ[٨]

---

(١) في البيان والتبين ١/ ٢٣٢، حسن تأديبك. وفي جمل من أنساب الأشراف: إني مؤدٍّ إلىٰ الله حقَّه في نصيحتك. وفي الأمالي لليزيدي: عليَّ في تأديبك. وفي نثر الدر والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: تأديبك ونصيحتك. وفي الحكمة الخالدة: التأديب.

(٢) في البيان والتبيين والحكمة الخالدة: حسن الاستماع. وفي جمل من أنساب الأشراف: فأدِّ إلىٰ الله حقَّه في الاستماع والقبول. وفي الأمالي لليزيدي: حقه في حسن الاستماع والقبول. وفي نثر الدر والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: حقه (الحمدونية: عليك) في الاستماع والقبول.

(٣) في نثر الدر والحكمة الخالدة: واقض الندىٰ! ولعله تصحيف. وفي الأمالي لليزيدي والتذكرة الحمدونية: وافض الندىٰ. ومعناه: أكثر العطاء. وارفض: اترك وجانب. والبذاء: الفحش وسوء الخلق.

(٤) في عيون الأخبار والمجالسة والحكمة الخالدة: القول. وفي جمل من أنساب الأشراف والأمالي لليزيدي ونثر الدر والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: واستعن علىٰ السلامة بطول الصمت... وزاد في جمل من أنساب الأشراف: فإن الصمت خير علىٰ كل حال إذا لم يكُن للكلام موضع. والفكر: إعمال العقل.

(٥) في البيان والتبيين ٢/ ١٧٤، والأمالي لليزيدي ونثر الدر، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: خطؤه.... صوابه. وفي جمل من أنساب الأشراف: وللمرء أوقات يضرُّ فيها خطؤه ولا ينفع صوابه. وفي محاضرات الأدباء ١/ ٦٩: خطؤها... صوابها. وزاد بعده في جمل من أنساب الأشراف ونثر الدر: واعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة.

(٦) في الأمالي لليزيدي والعقد وروضة العقلاء ونثر الدر ولباب الأداب: يا بني احذر.

(٧) في أدب الدنيا والدين والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣١٦: مشاورة. وفي جمل من أنساب الأشراف والعقد وروضة العقلاء ونثر الدر والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: احذر الجاهل.

(٨) في جمل من أنساب الأشراف والأمالي لليزيدي والعقد وروضة العقلاء ولباب الآداب: كما تحذر العاقل إذا كان [لك] عدوًّا. وفي نثر الدر وأدب الدنيا والدين والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: عداوة العاقل إذا كان لك عدوًّا.

إذا كان غاشًا، لأنه يرديك بمشورته[1].

واعلم يا بني أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائمًا، ووجدتَ هواك يقظانَ، فإياك أن تستبدَّ بر أيك؛ فإنه حينئذٍ هواك، ولا تفعلْ فعلًا إلا وأنت علىٰ يقينٍ أن عاقبتَه لا ترديك، وأن نتيجتَه لا تجني عليك.

وهو القائل: إياك ومعاداةَ الرجالِ؛ فإنك لن تَعْدَمَ مكرَ حليمٍ، أو معاداةَ لئيم[2] [3].

(١) في البيان والتبيين: فإنه يوشك أن يورطاك بمشورتهما، فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط [١/ ٢٣٢: غرارة (غفلة)] الجاهل. وفي الأمالي لليزيدي: فإنه يوشك أن يورطك (يوقعك فيما لا خلاص لك منه) في بعض اغتراره، فيسبق إليك مكر العاقل. وفي العقد ونثر الدر وروضة العقلاء والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: ويوشك الجاهل أن تورطك مشورته [نثر: يورطك بمشورته] في بعض اغترارك، فيسبق إليك مكر العاقل. [وزاد نثر الدر والتذكرة الحمدونية: ومُوَرَّط/ توريط الجاهل]. وفي الحكمة الخالدة: فيوشك أن تورطك المشورة المحرفة، فيسبق إليك مكر العاقل وغرة الجاهل. وفي أدب الدنيا والدين: فإنه يوشك أن يورطك بمشاورته، فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل. وفي لباب الآداب: فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته في بعض اغتراره، فيسبق إليك مكروه مكر العاقل! وفي التذكرة الحمدونية ٣/ ٣١٦: لأنه يورطك بمشورته، ويسبق إليك مكر العاقل والاغترار بالجاهل. وقد جاء بعدها في الحكمة الخالدة زيادة: لا بد للجواد من كبوة، وللسيف من نبوة، وللحكيم من هفوة، ومن لم يصبر علىٰ كلمة سمع كلمات، عليك بإصلاح المال فإنه ينوِّه (يرفع قدره) بالكريم، ويستغنىٰ به عن اللئيم. ولعل المحقق أقحمها في الوصية. خاصة وقد وضع المؤلف عنوانًا اندرجت الوصية -مع غيرها- تحته: حكم للعرب وأمثال لها سائرة. والجزء الأخير (عليك... اللئيم) جزء من وصية لقيس بن عاصم المنقري (انظرها في موضعها).

(٢) في العقد: لا تعدمنَّ منها مكر حليم عاقل أو معاندة جاهل. وفي نثر الدر ١/ ٣٦٧، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: فإنه لا يعدمك منها... ومفاجأة [الحمدونية: مباراة] جاهل. وفي نثر الدر ١/ ٣٣٨ ولباب الآداب: لن تعدمك... أو مفاجأة جاهل. وتصحفت: تعدمك في لباب الآداب إلىٰ: تعدِّيك. وفي محاضرات الأدباء: إياك والمعاداة.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في زهر الآداب ١/ ٨٠. كما وردت في البيان والتبيين ١/ ٢٣٢، ٢/ ١٧٤، وجمل من أنساب الأشراف ٣/٣١٨، وأمالي اليزيدي ١٥٢ عن المدائني، والحكمة الخالدة ١٩٥، وفيه (قال حكيم من العرب لابنه) ونثر الدر ١/ ٣٦٧، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣١٦، ٣٣٣.

إذا كان غاشًا، لأنه يرديك بمشورته[1].

واعلم يا بني أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائمًا، ووجدتَ هواك يقظانَ، فإياك أن تستبدَّ برأيك؛ فإنه حينئذٍ هواك، ولا تفعلْ فعلًا إلا وأنت علىٰ يقينٍ أن عاقبتَه لا ترديك، وأن نتيجتَه لا تجني عليك.

وهو القائل: إياك ومعاداةَ الرجالِ؛ فإنك لن تَعْدَمَ مكرَ حليمٍ، أو معاداةَ لئيم[2][3].

---

(١) في البيان والتبيين: فإنه يوشك أن يورطاك بمشورتهما، فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط [١/ ٢٣٢: غرارة (غفلة)] الجاهل. وفي الأمالي لليزيدي: فإنه يوشك أن يورطك (يوقعك فيما لا خلاص لك منه) في بعض اغتراره، فيسبق إليك مكر العاقل. وفي العقد ونثر الدر وروضة العقلاء والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: ويوشك الجاهل أن تورطك مشورته [نثر: يورطك بمشورته] في بعض اغترارك، فيسبق إليك مكر العاقل. [وزاد نثر الدر والتذكرة الحمدونية: ومُوَرَّط/ توريط الجاهل]. وفي الحكمة الخالدة: فيوشك أن تورطك المشورة المحرفة، فيسبق إليك مكر العاقل وغرة الجاهل. وفي أدب الدنيا والدين: فإنه يوشك أن يورطك بمشاورته، فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل. وفي لباب الآداب: فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته في بعض اغتراره، فيسبق إليك مكروه مكر العاقل! وفي التذكرة الحمدونية ٣/ ٣١٦: لأنه يورطك بمشورته، ويسبق إليك مكر العاقل والاغترار بالجاهل. وقد جاء بعدها في الحكمة الخالدة زيادة: لا بد للجواد من كبوة، وللسيف من نبوة، وللحكيم من هفوة، ومن لم يصبر علىٰ كلمة سمع كلمات، عليك بإصلاح المال فإنه ينوِّه (يرفع قدره) بالكريم، ويستغنىٰ به عن اللئيم. ولعل المحقق أقحمها في الوصية. خاصة وقد وضع المؤلف عنوانًا اندرجت الوصية -مع غيرها- تحته: حكم للعرب وأمثال لها سائرة. والجزء الأخير (عليك... اللئيم) جزء من وصية لقيس بن عاصم المنقري (انظرها في موضعها).

(٢) في العقد: لا تعدمنَّ منها مكر حليم عاقل أو معاندة جاهل. وفي نثر الدر ١/ ٣٦٧، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٣: فإنه لا يعدمك منها... ومفاجأة [الحمدونية: مباراة] جاهل. وفي نثر الدر ١/ ٣٣٨ ولباب الآداب: لن تعدمك... أو مفاجأة جاهل. وتصحفت: تعدمك في لباب الآداب إلىٰ: تعدِّيك. وفي محاضرات الأدباء: إياك والمعاداة.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في زهر الآداب ١/ ٨٠. كما وردت في البيان والتبيين ١/ ٢٣٢، ٢/ ١٧٤، وجمل من أنساب الأشراف ٣/٣١٨، وأمالي اليزيدي ١٥٢ عن المدائني، والحكمة الخالدة ١٩٥، وفيه (قال حكيم من العرب لابنه) ونثر الدر ١/٣٦٧، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣١٦، ٣٣٣.

[٣٨٨] وكان عبد الله [بن الحسن بن الحسن] يقول:

(يا بني، اصبرْ، فإنما هي غَدْوةٌ أو رَوحةٌ[١] حتىٰ يأتيَ الله بالفرج)[٢].

[٣٨٩] قال عبد الله بن حمدان الحمداني[٣] لابنه الحسن[٤]:

وقد ورد جزء منها في عيون الأخبار ٢/ ١٧٨، والمجالسة ٤/ ٥١٠، والعقد ٢/ ٢٣٠، وروضة العقلاء ١٢١، وأدب الدنيا والدين ٤٧٥، ومحاضرات الأدباء ١/ ٦٩، وفيه (عبد الله بن الحسين)، ٢٤٥، وفيه: (عبد الله بن الحسن بن الحسين)، ٢/ ١٧٦ وفيه (عبد الله بن الحسين)، ولباب الآداب ١٥ وفيه (عبد الله بن الحسن بن الحسين)، ونبه المحقق علىٰ ذلك. وقد ورد قوله: (إياك... لئيم) ضمن الوصية في المصادر الأولىٰ، ومستقلًا في: الظرف والظرفاء ٦١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٤٥، ٢/ ١٧٦، وورد منسوبًا إلىٰ علي بن الحسين في نثر الدر ١/ ٣٨٨.

(١) الغدوة: ما بين الفجر وطلوع الشمس. والروحة: المَرَّة من الرواح، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلىٰ الليل.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ١/ ٣٦٧. ولعله قال ذلك في ظل ما حدث له من شدة وسجن (انظر ترجمته).

(٣) **صاحب الوصية**: أبو العشائر عبد الله بن حمدان بن حمدون الحمداني، كان نائبًا علىٰ الكوفة، ثم ولاه الخليفة المكتفي بالله الموصل وأعمالها سنة ٢٧٣هـ وخلعه المقتدر ثم ردَّه، كان شجاعًا شارك في إخماد عدة فتن، وفي سنة ٣٠٨هـ قلده المقتدر طريق خراسان والدينور، وكان مقربًا منه، ثم شارك في خلعه وتولية ابنه القاهر، فثأر الجند وبعض العامة بعد يومين وأعادوا المقتدر وقتلوا ضمن من قتلوا أبا العشائر. وكان شيعيًّا.
انظر: الكامل في التاريخ (الفهارس... مواضع في المجلدين ٧، ٨).
وابنه الحسن كان أميرًا علىٰ الموصل زمانًا طويلًا، وكان ساعدًا أيمن للخليفة المتقي، خاض إلىٰ جنبه معارك ضد خصومه، فلقبه ناصرَ الدولة، حدث خلاف بين أبنائه بسبب إيثاره بعضَهم وتفضيله بإقطاعه دونهم، فسجنه ابنُه أبو تغلب، ومات بعد شهور في ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ.
انظر: الكامل في التاريخ ٨/ ٥٩٣، والبداية والنهاية (الفهارس... مواضع في المجلدين ١٥، ١٦).

(٤) **مناسبة الوصية**: قال الحسن بن عبد الله الحمداني: (كان أبي أبو الهيجاء شديد الانحراف عني أول نشوِّي، لما يراه من الفضل فيَّ، وخوفه مني علىٰ أعماله. فكان يغضُّ مني، ويتجافاني، ويمسك يده عني، فأتحمَّل ذلك، وأصبر عليه. فولي طريق خراسان، فجلس يعرض دوابه،=

(إذا رأيتَ السلطانَ قد رفعَ من أهلِك رجلًا، أو الزمانَ قد نوَّه به ورأَّسَه[1]، فإياك أن تحسُدَه، وتشغلَ نفسك بعداوته، فإنك تتعبُ، ولا تصلُ إلىٰ فائدةٍ، وتسقطُ أنت ولا يضرُّه هو، وتغتمُّ أنت ولا يتأذىٰ هو، وتغضُّ من نفسِك[2] بغضِّك من رجلٍ صار كبيرًا من أهلك، فإنه ما ارتفعَ إلا بآلةٍ فيه، يدفعك بها، أو إقبالٍ يدفعك عنه.

واجهدْ أن تخدمَه، وتصافيَه[3] الودَّ، ليكونَ ذلك الفضلُ الذي فيه فضلاً لك، وذلك الفخرُ راجعًا إليك، وتتجمَّل بثنائه عليك، وإطرائه لك، وتصيرَ أحدَ أعوانه، فإنه أحسنُ بك من أن تكونَ من أعوانِ غيرِه ممن ليس من أهلك، ويراك الناسُ عنده وجيهًا، فيكرمونَك له، فإن كان له منزلةٌ من السلطانِ جاز أن تصلَ إليها باستخلافِه

=فبقَّىٰ منها خمسين دابة، ما بين زَمِنٍ (مريضة) وأعجف (ضعيف)، إلىٰ غير ذلك. ثم قال: يا حسن، أريد أن أخرج بعد شهرين إلىٰ العمل، وهذه الدواب مسلَّمة إليك، فإن صلحت، فقد صلحت، وقد رددت أمرها إليك، لأجرِّبك بها في الأمور الكبار، فإن قمت بها حتىٰ تصحَّ وتبرأ وتسمن، وكان فيك فضلٌ لذلك، علمت أنك تصلح لما هو فوقه، وإن لم تصلح علىٰ يدك، فهو أوَّلُ عمل رددته إليك من أمري وآخره. فعجبت من أن أوَّل عملٍ أهَّلني له، أن أكون سائسَ دواب، ولم أجد بُدًّا من الصبر.

فقلت: السمعَ والطاعة. وأخذت الدواب، وأفردت لها إسطبلًا، وجعلت لنفسي فيه دكَّة، واستأجرت لها سُوَّاسًا، وأدررت أرزاقهم، وطالبتهم بأشد الخدمة، وكنت أحضر أمر الدواب دفعات في اليوم، حتىٰ توقح (وقح حافر الدابة: صلَّبه بالشحم المذاب إذا رقَّ من كثرة المشي) وتعالج وتسمن، وأفردت بياطرة فُرُهًا (الفاره: الماهر الحاذق) لذلك.

فما مضىٰ عليها إلا شهر وأيام، حتىٰ صحَّت وسمنت، وصارت علىٰ غاية الحسن. وأزف (قرب) خروجه، فقال لي: يا حسن ما فعلت بتلك الدواب؟

فقلت: قم إلىٰ الإسطبل حتىٰ تراها.

فقام، فرآها في غاية الحسن، فسرَّ بذلك، وأعجبه، وأثنىٰ عليَّ، وقال: يا حسن، هو ذا أعلِّمك بدل قيامك بهذا الأمر شيئًا تنتفع به، وفيه قضاء لحقك، بقدر ما أتعبتك فيه.

فقلت: قل، يا سيدي، فقال: ...).

(١) نوَّه به: رفعه. رأَّسه: جعله رأسًا (مشهورًا) أو رئيسًا.

(٢) تغضُّ من نفسك: تحطُّ من قدرها.

(٣) تصافيه الود: تصدقه الإخاء والمودة.

إياك عليها، وانتقاله إلىٰ ما هو أكبرُ منها، وكذلك إن كانت منزلتُه من غيرِ سلطانٍ، فلا تقُل أنا أَقْعَدُ منه في النسب[1]، وأني خيرُ قرابتِه، وهذا أمسِ كان وضيعًا، وكان دوننا[2]، فإن الناسَ بأوقاتهم)[3].

(١) أقعد منه في النسب: أقرب نسبًا إلىٰ الآباء والأجداد.

(٢) الوضيع: الدنيء الحقير. دوننا: أقلّ منا.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في نشوار المحاضرة للتنوخي ٢/ ١٤٧. وقد جاء فيه بعدها: (فقلت: نعم يا سيدي. قال: ثم أقبل عليَّ، وونَّسني، وولَّد لي في نفسه، القيامُ علىٰ تلك الدواب، منزلةً. فقال: اخرج معي إلىٰ العمل. وخرج، فخرجت معه، وكنت أسايره إلىٰ جسر النهروان وأحادثه، فولَّد ذلك الانبساط في نفسي طمعًا فيه، وأن أسأله شيئًا. فذكرت بجسر النهروان، أن له ضيعة جليلة عظيمة، بنواحي الموصل، يقال لها: النهروان، كنت أشتهيها.
فقلت له: يا سيدي، قد كثرت مؤونتي، وتضاعفت نفقتي، فلو وهبت لي النهروان ضيعتك، لأستعين بغلتها (دخلها) علىٰ خدمتك، ما كان ذلك منكرًا.
قال: فحين سمع هذا، تغيظ غيظًا شديدًا، واندفع يشتمني أقبح شتيمة، وقال: يا كلب، سَمَتْ بك نفسُك إلىٰ أن تمتلك النهروان؟ وقنعني بالسوط الذي كان في يده، وهو مفتول كالمقرعة، فوقع السوط علىٰ وجهي، فشجَّه من أوله إلىٰ آخره، وأحسست بالنار في وجهي، وورد ذلك علىٰ غفلة، فتداخلني له ألمٌ عظيم، وغيظٌ مما عاملني به أشدُّ من الألم. وقلت في نفسي، ما كان هذا جوابي، وقد كان يقنعه أن يردَّني، ولكن نيته لي فاسدة بعدُ. وقصَّرت (تأخرت وتباطأت) عن مسايرته، ولحقني غلماني، فوقفوا معي ساعة، حتىٰ صَلُحْتُ قليلًا، وسار هو، ففتلت رأس دابتي، وأنفذت من ردّ بغلين كانا لي في السواد، عليهما قماشي وثيابي وغلماني، ورجعت أريد بغداد، وأنا وقيذ (الشديد المرض أو المحزون القلب) من الألم والغيظ حتىٰ وردت بغداد. وكان الوزير إذ ذاك عليَّ بن عيسىٰ، وهو في غاية العناية بأبي، وهو قلَّده العمل، وكان يحبني، ويكرمني، ويختصني، ففكرت أن أدخل إليه، أشكو أبي، وأريه الأثر الذي بي. فقصدت دارنا، فأدخلت البغلين والقماش إلىٰ الدار، ولم أنزل، وتوجهت إلىٰ دار الوزير. فحين نزلت عن دابتي، وصرت في الصحن، ذكرت وصية أبي لي في أمر الأهل، وندمت علىٰ دخول دار الوزير، وقلت: لأن أقبل الوصية في أبي، أولىٰ من قبولها في الأهل، فعملت علىٰ أن أغالط الوزير، ولا أعرِّفه.
وجئت، فسلَّمت علىٰ الوزير، ووقفت بين يديه، ولم تكن عادتي تجري بالجلوس بحضرته. فحين رآني أعظم الأثر الذي بوجهي، وقال: ما لحقك؟ وأنكره، لأنه كان قبيحًا جدًّا.
فقلت: لعبت بالصولجان والكرة، فأفلتت، فضربت وجهي. فقال: أليس كنت قد خرجت مع أبيك، فلم رجعت؟ فقلت: خرجت مشيعًا، فلما بَعُدَ، عُدْتُ لألزم خدمة الوزير. =

=قال: فأخذ يسألني عن مسير أبي، فإذا بأبي قد دخل، وإذا هو لما رجعت من الطريق، وبلغه خبر رجوعي قد اغتاظ، فرجع، إما ليردني، وإما ليقبض علي، وجاء إلىٰ داره، فعرف أني لم أنزل، وأني توجهت إلىٰ دار الوزير، فلم يشكَّ في أني قد مضيت أشكوه. فجاء، فوجدني أخاطبه، فتحقق ذلك عنده، فجلس. فقال له الوزير: ما ردك يا أبا الهيجاء؟ فقال: أيها الوزير، ما هذا حقُّ خدمتي لك، ومناصحتي إياك، وانقطاعي إليك، وأخذ يعتب علىٰ الوزير أعظم عَتْبٍ، وأنا قائم، ساكت، أسمع.

فقال له الوزير: ما هذا العتب عليَّ؟ أي شيء عملت؟

فقال: تمكَّن هذا الكلب من ذكري بحضرتك، والتبسط فيَّ.

فقال: من تعني؟

فقال: الحسن، هذا القائم، فعل الله به وصنع.

فقال له الوزير: يا هذا، قد وَسْوَسْتَ، أي شيء كان أول هذا؟ والله، ما نطق هذا الفتىٰ في أمرك بحرف، ولا سمعته قط ذكرك بما يوجب عتبًا عليه، وكيف عليَّ في تمكيني منه، ولو فعل ذلك، لغضَّ به عندي من نفسه.

فاستحيا أبي، وعلم أني لم أخاطب الوزير بشيء، وأمسك.

فقال له الوزير: لا بد أن تحدثني بما بينكما، فإنك ما حملت نفسك علىٰ الرجوع، إلا لأمر عظيم، وهو ذا أرىٰ الحسن أيضًا به أثر قبيح، وقد سألته، فقال: إن كرة أفلتت من يد غلمان ضرب معهم بالصولجان فأصابت وجهه، فوقع لي أنه صادق، فلما جئت الآن، وقدَّرتَ أنه قد شكاك، وقع لي أن هذا شيء من فعلك، ولا بد أن تصدقني.

قال: فقص عليه أبو الهيجاء القصة، كما جرت.

فأقبل عليه عليُّ بن عيسىٰ، وقال: أما تستحي يا أبا الهيجاء، أن يكون هذا قدر حلمك عن ابنك، وأكبر ولدك؟ فإذا كنت بهذا الطيش معه، فكيف تكون مع الغريب؟ وأي شيء كان في مسألته لك أن تهب له ضيعة؟ ولو فعلت ذلك، ما كان ذلك بِدْعًا من برِّ الآباء بأولادهم، ولما لم تسمح له بذلك، قد كان يجب أن ترده ردًّا جميلًا، أو قبيحًا إذا اغتظت، وأما أن تبلغ به ضرب السياط، آه، آه.

قال: وزاد عليه في العتب والتوبيخ، وهو مطرقٌ مستحيٍ. حتىٰ قال له: وليس العجب من هذا، حتىٰ رجعت من عملك، غيظًا عليه، وقدَّرت أنه قد شكاك إليَّ، وأني أطلق له أن يتنقصك، فجئت عاتبًا علي، لوهمٍ توهمته فيه.

قال: فأخذ أبي يعتذر إليه من ذلك.

فقال: والله، ما أقبل عذرك، ولا تنغسل عن نفسي هذه الآثار، إلا بأن تُشهد لحسنٍ بالضيعة، وتهبها له، جزاء عن ظلمك إياه. =

[٣٩٠] وكان ابن شُبرمة[١] يقول لابنه:

(يا بني، لا تمكِّن الناسَ من نفسك، فإن أجرأَ الناسِ علىٰ السباعِ أكثرُهم لها معاينة)[٢].

[٣٩١] قال ابن شبرمة لابنه:

=فقال: السمع والطاعة لأمر الوزير. فقال لي عليُّ بن عيسىٰ: انكبَّ علىٰ رأس أبيك ويده فقبلهما. قال: ففعلت ذلك.

وجذب عليُّ بن عيسىٰ دواته ودَرْجًا (الورق الذي يكتب فيه)، فأعطاهما أبا الهيجاء، وقال: اكتب له بالضيعة، إلىٰ أن تُشهد، فكتب أبي بالضيعة لي.

وقال الوزير: خذ، خذ، فإذا عاد إلىٰ البيت، فاكتب عليه العهد بالوثيقة، وأشهد عليه جماعة من العدول، فإن امتنع عرِّفني حتىٰ أطالبه لك بذلك.

قال: وخرجنا ونحن مصطلحون.

فلما صرنا في الدهليز، قال أبي: يا حسن أنا علمتك علىٰ نفسي، بالوصية التي وصيتك بها، كأني بك وقد جئت لتشكوني، فلما صرت في الدهليز ذكرتَ وصيتي لك، فقلتَ: لأن أستعملها مع أبي، أولىٰ بي، فلما صرتَ في مجلس الوزير، قلتَ له ما قلتَ، ولم تشكني إليه.

قلت: كذا والله يا سيدي كان.

فقال: إذا كان فيك من الفضل ما قد حفظت معه وصيتي، في مثل هذه الحال، فما ترىٰ بعدها مني ما تكرهه.

فقبلت يده، وعدت معه إلىٰ دارنا.

فسلم إليَّ الضيعة، وأشهد بها لي، وصلحت نيته بعد ذلك، واستقامت الحال بيننا.

وكان قبول تلك الوصية أبركَ شيء عليَّ). نشوار المحاضرة ٢/ ١٤٧-١٥١.

(١) **صاحب الوصية**: عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي، عالم الكوفة مع أبي حنيفة في زمانه، كان قاضي الكوفة، وكان عفيفًا خيِّرًا صارمًا عاقلًا شاعرًا، توفي في خراسان مختفيًا من أبي جعفر المنصور سنة ١٤٤هـ وهو ابن ست وثمانين.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٦/ ٢٤٤، وأخبار القضاة ٣/ ٣٦، ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٧.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المعارف ٤٧١، وعيون الأخبار ١/ ٢٩٤. وفي اللطائف والظرائف ١١٩: (وقال الحكيم لملك: لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك، فإن أجرأ الناس علىٰ الأُسَد أكثرهم له رؤية).وقد نسبت وصية مقاربة لزياد بن أبي سفيان (انظر وصيته) وانظر الوصيتين الآتيتين.

(يا بني، إياكَ وطولَ المجالسةِ، فإن الأُسْدَ إنما يجترئُ عليها من أدامَ النظرَ إليها)[1].

[٣٩٢] عن ابن شبرمة أنه كان يقول لبنيه وبني أخيه[2]:

(لا تجالسوا السِّفلةَ[3] فيجترئوا عليكم، فإن هذه الـزَّطَّ[4] ليسوا بأشجعِ الرجالِ[5]، فإنما يجترئون[6] علىٰ الأُسْدِ لكثرةِ ما يرونها[7])[8].

[٣٩٣] قال مصعب الزبيري[9]:

---

(١) **التوثيق**: الوصية في بهجة المجالس ١/ ٤٩ وعقَّب عليها ابن عبد البر بقوله: (وهذا عندي مأخوذ من قول أردشير لابنه: يا بني لا تمكن الناس من نفسك فإنَّ أجرأ الناس علىٰ السباع، أكثرهم لها معاينة. ومن هذا -والله أعلم- أخذ ابن المعتز قوله:

رأيت حياة المرء تُرخـص قدرَه ... فإن مات أغلته المنايا الطـوائح

كما يُخلِقُ الثوبَ الجديدَ ابتذالُه ... كذا تخلق المرءَ العيون اللوامح)

وقد ورد القول منسوبًا لأردشير في محاضرات الأدباء أيضًا ١/ ٢٠٥ دون تصريح بأنه وصية. وانظر الوصية السابقة. وقد وردت وصية مقاربة نسبت لزياد بن أبي سفيان (انظر وصيته).

(٢) في ربيع الأبرار: قال لبنيه.

(٣) السِّفلة من الناس: أسافلهم وغوغاؤهم.

(٤) في ربيع الأبرار: فإن هؤلاء الزط. والزط: جنس من السودان والهنود، والواحد زطي مثل الزنج وزنجي. وقيل: الزط: قوم من السند بالبصرة.

(٥) في ربيع الأبرار: الناس.

(٦) في ربيع الأبرار: وإنما اجترؤوا.

(٧) في الأصل: ما ترونها. والتصحيح من ربيع الأبرار.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في أخبار القضاة ٣/ ١٢١. كما وردت في ربيع الأبرار ٢/ ٣١١.

(٩) **صاحب الوصية**: عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدي، كان شريفًا فصيحًا محمود الولاية، جمع له الرشيد مع اليمن إمرة المدينة، عاش سبعين سنة. وتوفي سنة ١٨٤هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٣، وسمط اللآلئ ١/ ٥٧٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٥١٧.

وابنه مصعب أديب فصيح إخباري علامة بالنسب، قال عنه الزبير بن بكار: كان وجه قريش مروءة وعلمًا وشرفًا وبيانًا وجاهًا وقدرًا. سكن بغداد وحدث بها ومات بها في شوال سنة ٢٣٦هـ.

انظر: جمهرة نسب قريش ٢٠٧، وتاريخ بغداد ٣/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١-٢٤٠)/ ٣٦٢.

(كتب إلي أبي من المدينةِ وأنا ببغداد: يا بني، تعلَّمِ العلمَ، فإن كنت غنيًّا كان لك جمالًا، وإن كنت فقيرًا كان لك مالًا. وقال: لو لم يكنْ في العلمِ إلا مجالسةُ الكرامِ لكفىٰ)[1].

[٣٩٤] قال مصعب بن عبد الله:

(قال لي أبي: يا بني، من[2] استغنىٰ عن الناسِ احتاجوا إليه، فأصلحْ مالَك، وأقِلَّ من مجالسةِ الناسِ، فإني قد رأيتُ رجالًا يُقتَبس منهم، ولا جاهَ يدفعون به عنهم[3]، ولا جودَ يفضلون به عليهم، استغنوا بأموالهم وجلسوا، فأتاهم الناس)[4].

[٣٩٥] قال عبد الملك بن صالح[5] لابنه[6]:

(أنت تاجرُ الله لعباده[7]، فكن كالضاربِ[8] الكيِّسِ، الذي إن وَجَدَ ربحًا

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المصون في الأدب ١٣٤. وقد نسبت إلىٰ مصعب بن الزبير (انظر وصيته)، وإلىٰ عبد الملك بن مروان (انظر وصاياه). ولعل نسبتها إلىٰ مصعب جاء من تشابه اسمه مع مصعب الزبيري الموصَىٰ في هذه الوصية. وفي شرح مقامات الحريري ٤/ ٢٨٧ (وقال الخليل: من لم يكتسب بالأدب مالًا اكتسب به جمالًا).

(٢) في أسرار الحكماء: إنَّ من.

(٣) في المصدر السابق: عن الناس.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٣/ ١٩١، كما وردت -دون: وأقلَّ من مجالسة الناس- في كتاب أسرار الحكماء ١٠١-١٠٢.

(٥) **صاحب الوصية**: عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، ولي المدينة والطائف للرشيد، ثم ولي الشام والجزيرة للأمين. كان فصيحًا بليغًا شريف الأخلاق مهيبًا شجاعًا. توفي بالرقة سنة ١٩٦هـ.

انظر: مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢١، وفوات الوفيات ٢/ ٣٩٨.

(٦) المناسبة: عن (يزيد بن عقال قال: سمعت عبد الملك بن صالح يوصي ابنه وهو أمير سرية -ونحن ببلاد الروم- فقال له: ...).

(٧) في آداب الملوك: في أرضه.

(٨) في آداب الملوك وشرح النهج: كالمضارب. ضرب في الأرض: ذهب وأبعد. قال تعالىٰ:=

تَجِرَ، وإلا احتفظَ برأسِ المالِ. ولا تطلبِ الغنيمةَ حتىٰ تُحْرِزَ[١] السلامةَ، وكُن من احتيالك علىٰ عدوِّك أشدَّ خوفًا[٢] من احتيالِ عدوِّك عليك)[٣].

[٣٩٦] أوصى عبد الملك بن صالح ابنًا له فقال:

(أي بني، احلمْ فإن من حَلُمَ ساد، ومن تفهَّم ازداد، والقَ أهلَ الخيرِ، فإن لقاءهم عِمارةٌ للقلوبِ، ولا تجمحْ بك مطيةُ اللَّجاجِ[٤]، ومنَّك من أعتبك[٥]، والصاحبُ مناسبٌ[٦]، والصبرُ علىٰ المكروهِ يعصمُ القلبَ، المزاحُ يورثُ الضغائنَ، وحسنُ التدبيرِ مع الكفافِ خيرٌ من الكثيرِ مع الإسرافِ، والاقتصادُ يثمِّرُ القليلَ، والإسرافُ يتبِّرُ الكثيرَ[٧].

ونعم الحظُّ القناعةُ، وشرُّ ما صحب المرءَ الحسدُ، وما كلُّ عورةٍ تصابُ[٨]،

=﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]. وضارب لفلانٍ في ماله: اتَّجر له فيه، أو اتجر فيه علىٰ أن له حصةً معينة من ربحه. الكيِّس: الفطن الحاذق.

(١) في آداب الملوك وشرح النهج: حتىٰ تحوز. وهما بمعنىٰ. أي تملك وتضم.

(٢) في بهجة المجالس وآداب الملوك وشرح النهج: أشد حذرًا.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٢/ ١٠٩، كما وردت في عيون الأخبار ١/ ١٠٩، وآداب الملوك للثعالبي ١٨١، وفيهما أنه أوصىٰ أمير سرية [له] ببلاد الروم وشرح نهج البلاغة ١٥/ ١١٥، وفيه: أوصىٰ أمير سرية بعثها. ونسبت في العقد الفريد ١/ ١٥٢، ونهاية الأرب ٦/ ١٧٠، إلىٰ عبد الملك بن مروان يوصي أميرًا سيَّره إلىٰ بلاد الروم. وفي بهجة المجالس ٣/ ٢٥١ (أوصىٰ صالح بن علي بن عبد الله بن عباس أمير سرية أتت فقال: تاجر الله...) وواضح أن كلمة (أتت) مصحفة عن (أنت) وتقدمت علىٰ (فقال)!

(٤) تجمح بك: تسرع وتغلبك وتفقد السيطرة عليها باللجام. اللجاج: التمادي في الخصومة.

(٥) مَنَّكَ من أعتبك: جعل عندك منَّة (معروفًا) بتركه ما كنت تعتب عليه من أجله، واجتهاده في إرضائك.

(٦) مناسب: نسيب، مشارك في النسب.

(٧) يتبِّر: يهلك.

(٨) العورة: الموضع الذي فيه خلل يخشىٰ دخول العدو منه.

وربما أبصرَ العَمِي رشدَه[١]، وأخطأ البصيرُ قصدَه، واليأسُ خيرٌ من الطلبِ إلىٰ الناسِ، والعفَّةُ مع الحِرْفَةِ خيرٌ من الغنىٰ مع الفجورِ، ارفقْ في الطلبِ وأجملْ في المكسبِ، فإنه ربَّ طَلَبٍ قد جرَّ إلىٰ حَرَبٍ[٢]، ليس كلُّ طالبٍ بمُنْجِحٍ، ولا كلُّ مُلِحٍّ بمحتاجٍ، والمغبونُ[٣] من غُبِن نصيبَه من الله.

عاتبْ من رجوت عُتباه، وفاكِه من أمنت بلواه، لا تكُن مضحاكًا من غيرِ عجبٍ، ولا مشَّاءً إلىٰ غيرِ أربٍ[٤]، ومن نأىٰ عن الحقِّ ضاق مذهبُه[٥]، ومن اقتصرَ علىٰ حالِه كان أنعم لبالِه، لا يكبرنَّ عليك ظلمُ من ظلمك، فإنه إنما سعىٰ في مضرَّتِه ونفعِك، وعوِّد نفسَك السماحَ، وتخيَّرْ لها من كلِّ خلُقٍ أحسنَه، فإن الخيرَ عادةٌ، والشرَّ لجاجةٌ[٦]، والصدودَ آيةُ المقتِ، والتعلُّلَ آيةُ البخلِ[٧].

ومن الفقه كتمانُ السِّرِّ، ولقاحُ المعرفةِ دراسةُ العلمِ[٨]، وطولُ التجاربِ زيادةٌ في العقلِ، والقناعةُ راحةُ الأبدانِ. والشرفُ التقوىٰ، والبلاغةُ معرفةُ رَتْقِ الكلامِ وفَتْقِه[٩].

بالعقلِ تستخرجُ الحكمةُ، وبالحلمِ يستخرجُ غَورُ العقلِ، ومن شمَّرَ[١٠] في

---

(١) أبصر العمىٰ رشده: اهتدىٰ الأعمىٰ لمراده. والعمي: الأعمىٰ، رجل عَمٍ وامرأة عمية.
(٢) أجملَ في الطلب: اتأد واعتدل. الحَرَب: أن يسلب الرجل ماله.
(٣) المنجح: الظافر والفائز. مُلِحٌّ: ملحف. المغبون: الخاسر.
(٤) الأرب: الحاجة.
(٥) نأىٰ: أبعد. المذهب: الطريقة.
(٦) (الخير عادة والشر لجاجة) صدرُ حديثٍ عن النبي ﷺ وبقيته: «ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» انظر: صحيح الجامع الصغير ٣/ ١٣٧ ح٣٣٤٣.
(٧) الصدود: الإعراض. آية: علامة. المقت: شدة البغض. التعلُّل: التشاغل والتلهي.
(٨) الفقه: الفهم والمعرفة. لقاح المعرفة: مثبِّتها ومعمِّقها.
(٩) الرتق: السدُّ والإصلاح. الفتق: الشق.
(١٠) غور العقل: بعيده وخالصه. شمَّر: خَفَّ ونهض واستعد.

الأمورِ ركبَ البُحورَ، شرُّ القولِ ما نقضَ بعضُه بعضًا، من سعىٰ بالنميمةِ حذِرَه البعيدُ، ومقَتَه القريبُ، من أطال النظرَ بإرادةٍ تامةٍ أدركَ الغايةَ، ومن توانىٰ في نفسِه ضاعَ[1]، من أسرفَ في الأمورِ انتشرت عليه، ومن اقتصدَ[2] اجتمعت له.

واللَّجاجةُ[3] تورثُ الضياعَ للأمور، غِبُّ الأدبِ[4] أحمدُ من ابتدائه، مبادرةُ الفهمِ تورثُ النسيانَ[5]، سوءُ الاستماعِ يُعقِبُ العِيَّ[6]، لا تحدِّثْ من لا يُقبِلُ بوجهِه عليك، ولا تنصتْ لمن لا ينمي بحديثه إليك[7]، البلادةُ في الرجلِ هُجنةٌ[8]، قلَّ مالِكٌ إلا استأثر[9]، وقلَّ عاجزٌ إلا تأخرَ، الإحجامُ عن الأمورِ يورثُ العجزَ، والإقدامُ عليها يورثُ اجتلابَ[10] الحظِّ.

سوءُ الطُّعمةِ يفسدُ العرضَ، ويُخلِقُ الوجهَ، ويمحقُ الدِّينَ[11]، الهيبةُ قرينُ الحرمانِ، والجسارةُ قرينُ الظفرِ[12]، ومنَّك من أنصفك، وأخوك من عاتبك، وشريكُك من وفىٰ لك، وصفيُّك من آثرك[13].

---

(١) توانىٰ: قصَّر وفتر.

(٢) انتشرت: توسعت وتفرقت. اقتصد: اعتدل.

(٣) لجَّ في الأمر لجًّا ولجاجة: لازمه وأبىٰ أن ينصرف عنه. ولجَّ فلان. تمادىٰ في الخصومة.

(٤) غب الأدب: عاقبته وآخره.

(٥) مبادرة الفهم: الإسراع فيه. تورث: تعقب وتكون نتيجتها.

(٦) العي: عدم الاهتداء لوجه المراد.

(٧) ينمي بحديثه إليك: يتوجه به ويقصد.

(٨) البلادة: الفتور عن العمل والتقصير فيه، والتبلُّد: تصنُّع البلادة (ضعف الذكاء). هجنه: عيب وقبح.

(٩) استأثر به: خصَّ به نفسه.

(١٠) الإحجام: التردد. اجتلاب الحظ: سوقه واكتسابه.

(١١) الطعمة: وجه الكسب. يخلق الوجه: يذهب جماله وبهاءه، يمحق: يبطله ويبيده.

(١٢) الجسارة: الشجاعة والمضي. القرين: المقارن والمصاحب. الظفر: الفوز.

(١٣) صفيك: صديقك المختار. آثرك: قدَّمك علىٰ نفسه.

أعدىٰ الاعتداءِ العقوقُ، اتباعُ الشهوةِ يُورثُ الندامةَ، وفوتُ الفرصةِ يورثُ الحسرةَ، جميعُ أركانِ الأدبِ التأتِّي للرفقِ[١]، أكرمْ نفسَك عن كلِّ دنيَّةٍ وإن ساقتك إلىٰ الرغائب[٢]، فإنك لن تجد بما تبذُلُ من دينِك ونفسِك عِوضًا، لا تُساعِدِ النساءَ[٣] فيمللنك، واستبقِ من نفسك بقيةً فإنهن إن يرينك ذا اقتدارٍ خيرٌ من أن يطَّلِعنَ منك علىٰ انكسار، لا تملِّك المرأةَ الشفاعةَ لغيرها فيميلَ من شفعت له عليك معها.

أي بنيَّ، إني قد اخترت لك الوصيةَ، ومحضتك النصيحةَ، وأدَّيتُ الحقَّ إلىٰ الله في تأديبك، فلا تُغْفِلَنَّ الأخذَ بأحسنها، والعملَ بها. والله موفقُك)[٤].

[٣٩٧] قال محمد بن عبيد الله بن إسحاق[٥] بن الفضل بن عبد الرحمن بن

(١) التأتي للرفق: التقصد له.

(٢) الدنية: النقيصة. الرغائب: جمع رغيبة، الأمر المرغوب.

(٣) لا تساعد النساء لعلها: لا تساعف. يقال: ساعف فلانًا: واتاه وقرب منه في مصافاة ومعاونة.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٤/ ٩٣-٩٥ عن أبي الحسن. وقد ورد منها قوله: (لا تساعد النساء... له عليك معها) ضمن وصية منسوبة لعلي ﷺ. انظر: الوصية ٩٦. كما وردت العبارات الآتية: (الخير عادة والشر لجاجة، المزاح يورث الضغائن، من حلم ساد ومن تفهم ازداد، بعض اليأس خير من الطلب إلىٰ الناس، كثرة العلل آية البخل، من تعدىٰ الحق ضاقت مذاهبه) ضمن حكم لأكثم بن صيفي في جمل من أنساب الأشراف ١٣/ ٧٢، ٨١، ٨٢.

(٥) **صاحب الوصية**: لم أقف له علىٰ ذكر سوىٰ ما ورد في كتاب الأغاني ٤/ ٩٣، وفيه أنه كان علىٰ البصرة، زمن المأمون، وأنه كان شاعرًا أديبًا ظريفًا. كما ورد في الأغاني ٩/ ١٨٢ ما يفهم منه معرفة إسحاق بن الفضل الهاشمي بالشعر ودرايته بنقده. وفي جمهرة أنساب العرب ٧١: (الفضل كان يرشح للخلافة، وكان له رأي، وكان يرىٰ أن الخلافة فيمن صلح من بني هاشم دون غيرهم، وهو القائل:

دونك أمرًا قد بدت أشراطه ... ورُيِّشت من نبله أمراطه

إن الهدىٰ لواضح صراطه ... لم يبقَ إلا السيفُ واختراطه

فولد الفضل بن عبد الرحمن هذا: إسماعيل وإسحاق و...؛ كان إسحاق ويعقوب ومحمد شعراء مشاهير، وكان لإسحاق منهم ابن اسمه عبيد الله). =

العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم: قال لي أبي:

(يا بني، أنا شاعرٌ، وأبي شاعرٌ، وجدي شاعرٌ، وجد أبي شاعرٌ، لا ينقطعُ بك الحبل)[1].

[٣٩٨] قال أبو عبد الرحمن العتبي[2]:

(قال لي أبي وهو يوصيني[3]: يا بني، إني أتركك مع من لا يتركك، فاكحلْ عيونَهم[4] بحسنٍ منك تقطعْ ألسنتهم[5] عنك، وكُن لنفسك تكُن لك، وخذْ من كلِّ

=وقد ورد في الوافي ٨/ ٤٢٠-٤٢١: (إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. هو وأبوه وجده شعراء، وابناه محمد وعبد الله ابنا إسحاق شاعران، وكان المنصور يكرم إسحاق لمحلِّه في نفسه وموضعه من العلم، ثم اتهمه بسبب إبراهيم بن عبد الله بن حسن فحبسه، وإخوته، إحدىٰ عشرة سنة)! ثم أورد له مقطوعة في حبسه وأخرىٰ في رثاء أخيه.

وفي المنتظم ٥/ ٣٢٦ أن المهدي أطلق سراح إسحاق بن الفضل من السجن بعد وفاة المنصور وتوليه الخلافة. وفيه ٥/ ٣٥٣ أمر موسىٰ الهادي بإخباره بوفاة أخيه يعقوب المسجون بتهمة الزندقة وكان ذلك سنة ١٦٩.

قلت: ورد في ربيع الأبرار محمد بن عبد الله وكذا ورد عبد الله في الوافي -كما سبق- ولكن ورد في جمهرة أنساب العرب تسميته عبيد الله -كما سبق أيضًا-.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٤/ ٢٧٠-٢٧١.

(٢) **صاحب الوصية**: لم أقف لأبي العتبي علىٰ ترجمة، غير أنه يفهم من روايات العتبىٰ عنه أنه ذو عناية باللغة والأخبار. أما العتبىٰ فهو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، من أهل البصرة، كان شاعرًا وصاحب أخبار وراوية للأدب، ترك آثارًا؛ منها: كتاب الخيل، وكتاب أشعار الأعاريب، وأشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن. توفي سنة ٢٢٨هـ.

انظر: المعارف ٥٣٨، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٢٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٩٨.

(٣) **مناسبة الوصية**: يفهم من سياقها أنها عند الوفاة.

(٤) **اكحل عيونهم**: أرِهم منك حسنًا.

(٥) **تقطع ألسنتهم**: تسكتهم وتكفّ ألسنتهم عن الكلام فيك.

زمانٍ محاسنَ ما فيه، وأنت قليلٌ فاتقِّ تكُن به كثيرًا، واعلم بأنك تخرجُ بموتي من سعةِ عذرٍ إلىٰ ضيقِ مداراةٍ[١]، فضعِ الأمورَ مواضعَها تضعْك موضعَك.

واجعلْ دنياك صلةً لآخرتك، ولا ترضَ لها بها عوضًا من الآخرةِ، فإن الله لم يرضَها عقابًا لمن سخط عليه، ولا ثوابًا لمن رضي عنه.

وانظر بناتي، فوصيَّتي فيهنَّ بما أوصىٰ سعيدُ بنُ العاص[٢] في بناته حين قال: يا عمرو، انظر بناتي فاجعل البيوتَ لهن قبورًا حتىٰ يأتيَهنَّ الموتُ أو يأتيَك الأكفاءُ، وانظرْ غلماني، فلا تحبس[٣] منهم من رآك منهم صغيرًا، فإنه لا يُسرُّ لك هيبةً، وانظر إلىٰ مالي، فإن كرهت منه شيئًا ورأيت الاستبدالَ به خيرًا من حبسِه، فلا تحبسْه، فإنه ليست بينك وبينه قرابةٌ، وانظرْ أهلَك فإنهم لن يصلحوا وأنت فاسدٌ، وليكُن لك في منزلك طعامٌ وإن قلَّ، يأتِك من في منزله أطيبُ منه وأكثر.

انظر بني زيادٍ أخوالك، فكن لهم ابنَ أخت ما كانوا لك أخوالًا، فإن أرادوك علىٰ غيرها فأوسعهم الجفاءَ[٤]، وإن حملوك علىٰ[٥] الذي حملوني عليها فاركبْ[٦] غيرَ هائبٍ لهم، فإن الذي قدمتُه لك معينٌ لك عليهم، ولن يدعوك حتىٰ يخبروك[٧]، فلا تدعْهم حتىٰ يعرفوك)[٨].

---

(١) داراه: لاطفه ولاينه ورفق به واتقاه.

(٢) انظر ترجمته في موضع وصيته من البحث.

(٣) تحبس: تبقي.

(٤) أوسعهم الجفاء: أبعد عنهم وأعرض عنهم وعاملهم بالجفاء.

(٥) حملوك: دفعوك إليه بالإكراه (أرادوا إلزامك).

(٦) اركب إليهم: واجههم ودافعهم.

(٧) يخبروك: يعرفوا خبرك علىٰ حقيقته (بعد الابتلاء).

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الأخبار الموفقيات ١٢٨-١٢٩.

[٣٩٩] قال العتبي[١] لابنه:

(يا بني، اجعل دنياك صلةً إلىٰ دينك، ولا ترضَ بها عوضًا منها، فإن الله تعالىٰ لم يرضَها ثوابًا لمن رضي عنه من أهلها، ولا عقابًا لمن سخطَ عليه فيها)[٢].

[٤٠٠] قال علقمة بن لبيد العطاردي[٣] لابنه[٤]:

(يا بني، إذا نزعتك[٥] إلىٰ صحبةِ الرجالِ حاجةٌ، فاصحبْ منهم من إن صحبته زانك، وإن خدمته[٦] صانك، وإن أصابتك خَصَاصَةٌ مانَك[٧]، وإن قلت صدَّق

(١) **صاحب الوصية**: سبقت ترجمته عند وصية والده له.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٦/ ٢٨. وقد تضمنتها -مع اختلاف يسير- وصية والده السابقة.

(٣) **صاحب الوصية**: علقمة بن عمرو بن الحصين بن لبيد التميمي الدارمي العطاردي. أبو الفضل الكوفي. أحد رواة الحديث مات سنة ٢٥٦هـ.
انظر: الثقات لابن حبان، وتهذيب الكمال ٥/ ٢١٨.

(٤) **مناسبة الوصية**: (لما حضرت علقمةَ العطارديَّ الوفاةُ دعا بابنه فقال: ...) آداب الصحبة.

(٥) في الأصل: نزغتك. وهو خلاف ما في سائر المصادر. ولعله تصحيف. وترددت المصادر فيها بين نزعتك ونازعتك. أي غلبتك أو غالبتك. وفي المحاسن والأضداد والمحاسن والمساوئ: إن نازعتك نفسك يومًا إلىٰ صحبة الرجال لحاجتك إليهم، وفي آداب الصحبة: إن عرضت لك إلىٰ... وفي محاضرة الأبرار: إذ قد تمس الحاجة إليهم.

(٦) في المحاسن والأضداد والمحاسن والمساوئ: وإن تخففت له. وفي محاضرة الأبرار: تخففت.

(٧) في المحاسن والأضداد ومحاضرة الأبرار: وإن نزلت بك مؤنة... ومثله في المحاسن والمساوئ وفيه: نازلة. وفي آداب الصحبة: وإن تحركت بك. وفي نثر الدر: وإن عرتك به مؤونة أعانك (ولعل (به) زائدة) وفي بهجة المجالس: وإن أصابتك فاقة... وفي محاضرات الأدباء: وإن نزلت حاجة ما بك أعانك. وفي ربيع الأبرار: وإن عركت به (لعلها: بك) مؤونة مانك، وفي شرح النهج: وإن عرضت لك مؤونة أعانك. وفي شرح المقامات: وإن احتجت إليه..
وعرتك وعركت وعرضت: نزلت وأصابت. والمؤونة الشدة في القوت. ومانك: احتمل مؤونتك (زوَّدك بما تحتاج إليه من القوت). والخصاصة: الفقر والفاقة.

قولَك، وإن صُلت شـدَّ[١] صَولَك، وإن مددت يدَك بفضْلٍ[٢] مَدَّها، وإن رأىٰ منك حسنةً عدَّها[٣]، وإن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك[٤]، وإن نزلتْ بك إحدىٰ الملماتِ[٥] آساك، من لا يأتيك[٦] منه البوائقُ، ولا تختلف[٧] عليك منه الطرائقُ، ولا يخذلك عند الحقائقِ، وإن حاول حَوِيلًا آمرك[٨]، وإن تنازعتما مُنْفَسًا

(١) في المحاسن والأضداد والمحاسن والمساوئ ومحاضرة الأبرار: شدد. (وفي الأخير: صولتك) وفي الجليس الصالح: سدد صولك. وصال علىٰ قرنه: حمل عليه. وصال فلان علىٰ فلان صولة منكرة إذا سطا عليه وقهره. وشد وشدد: قوَّىٰ وأعان. وجاء مكانها في الظرف والظرفاء: وإن أصبت سدَّد صوابك، وجاء في الجليس الصالح بعدها: يزاول عنك من رام ونالك! ولعله تحريف.

(٢) في المحاسن والأضداد والمحاسن والمساوئ ومحاضرة الأبرار: اصحب من إذا مددت إليه يدك لفضل مدها. وفي الجليس: يَصِلُ مَدَّها. وفي آداب الصحبة: بخير.

(٣) جاء بعده في المحاسن والأضداد والمحاسن والمساوئ ونثر الدر وربيع الأبرار ومحاضرة الأبرار: وإن بدت منك ثلمة سدها. وكذا في الجليس الصالح وفيه: بدرت، والظرف والظرفاء وفيه: وإن رأىٰ منك سقطة سترها. وآداب الصحبة وفيه: وإن رأىٰ منك سيئة سدها! وبهجة المجالس وفيه: وإن رأىٰ سيئة كتمها وسترها. وفي محاضرات الأدباء: إن رأىٰ حسنة أظهرها، وإن رأىٰ سيئة سترها. وفي شرح المقامات: وإن رأىٰ منك خلة سدها. وزاد بعدها في ربيع الأبرار -وهي نهايتها فيه-: اصحب من يتناسىٰ معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه.

(٤) في نثر الدر: وإن سكتَّ أغناك. وفي محاضرات الأدباء: وإن تركته بداك.

(٥) في الجليس الصالح: نزلت بك إحدىٰ ملمات الزمان. وفي آداب الصحبة: نازلة واساك. وفي شرح النهج: ملمة واساك.

(٦) في المصادر الأخرىٰ: من لا تأتيك. وفي بهجة المجالس: من لا تخاف بوائقه، ولا تختلف طرائقه.

(٧) في شرح النهج: ولا تحتار. ومعناه: تتردد وتشتبه. والطرائق: الأحوال.

(٨) في الجليس الناصح: حاولت حويلاً. وفي آداب الصحبة: حاولت أمرًا. وضبطت الكلمة فيهما: أمَرَك. وقد علَّق المعافىٰ بن زكريا في الجليس الصالح عليها بقوله: (ويتجه في قوله: أمرك وجهان، أحدهما: أن يأمرك بالصواب فيه، ويشير عليك بركوب الحزم فيما تحاوله، ويرشدك إلىٰ وجه الرأي في التأتي له. والوجه الثاني: أن يكون معنىٰ قوله: أمرك، كثَّرك فيما تحاوله، وأيدك فيما تجاذبه وتزاوله، وأمدَّك بقوته، ورفدك بمعونته، من قولهم: قد أمِر بنو فلان: أي كثروا). وحاول الشيء: أراده. والحويل: الاسم منه. وآمرك: شاورك.

آثرك)[1].

[٤٠١] قال أبو القاسم بن علي بن بندار[2]:

(١) التوثيق: وردت الوصية في عيون الأخبار ٣/ ٤ (بسنده إلىٰ سفيان بن عيينة)، كما وردت في المحاسن والأضداد ٣٩-٤٠، وفيه علقمة بن ليث، والمحاسن والمساوئ ١٨٣، والجليس الصالح الكافي ٢/ ٢٨٣-٢٨٤، وآداب الصحبة ١٣٧، ونثر الدر ٦/ ٣٩٣، وربيع الأبرار ١/ ٤٤١، ومحاضرة الأبرار ٢/ ١٣، وفيه: علقمة بن ليث. وفيه: (... أخبرنا يحيىٰ بن أكثم قال: حدثنا المأمون حديثًا فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن أبجر قال: لما حضرت علقمة...)، وقد وردت (باختصار) في الأخبار الموفقيات ٢٨٣ وفيه: قال عبد الله بن جعفر لجليس له من أهل المدينة فقده: أبا فلان أين كنت؟ قال: خرجت مع فلان أطلب عَرَضًا من الأعراض. فقال له: إن لم تجد من صحبة الرجال بدًا، فعليك...)، كما وردت في الظرف والظرفاء ٦٣ وفيه: (وروي عن أبي عمرو العوفي قال: كان يقال: اصحب...)، و(باختصار) في بهجة المجالس ٢/ ٧٠٧. وفيه: كان من كلام خالد بن صفوان. ومحاضرات الأدباء ٢/ ٦-٧، ونسبت فيه لأبي جعفر بن محمد! وشرح نهج البلاغة ١٨/ ١١٣، وفيه: أوصىٰ بعضهم ابنه. وشرح مقامات الحريري ٢/ ٢٤٣ (باختصار يسير) ونسبت لعبد الله بن جعفر ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٦٢ (باختصار يسير)، وفيه: (وقال خالد بن صفوان: قال حكيم يوصي ولده).

وقد أعقبها السلمي بقوله: قال عبد الملك بن أبجر فحدثت بهذا الحديث الشعبي فقال: تعلمْ لِمَ أوصاه بهذه الوصية؟ قلت: لا. قال: لأنه أحب ألَّا يصحب أحدًا، لأن هذه الخصال لا تجتمع في إنسان. قال: فقال المأمون: وأين هذا؟!

وعقب عليها الراغب بقوله: وقال بعض من سمع ذلك لابن عيينة -وهو أحد رواة الخبر-: ما أراه إلا أمره ألَّا يصحب أحدًا. فقال: بلىٰ إنه أدرك الناس وهذه الأخلاق فيهم، فأوصىٰ بقدر ما عرف.

وفي بهجة المجالس ٢/ ٧٠٧: أوصىٰ رجل ابنه فقال: (يا بني اصحب من إذا غبت عنه خلفك، وإن حضرت كنفك، وإن لقي صديقك استزاده لك، وإن لقي عدوَّك كفَّه عنك).

ووردت هذه الوصية في الظرف والظرفاء ٦٥ -بزيادة- علىٰ أنها وصية حكيم لأخ له.

(٢) صاحب الوصية: أبو الحسن علي بن بندار بن الحسين الصيرفي الصوفي، من جلَّة مشايخ نيسابور، جليل القدر، حسن الخلق، لقي الجنيد وغيره، كتب الحديث الكثير، وكان ثقة. مات سنة ٣٥٧هـ أو ٣٥٩هـ. انظر: طبقات الصوفية للسلمي ٥٠١، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٩.

وابنه القاسم: قال عنه ابن عساكر (مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٩): واحد وقته في طريقته.

(سمعت أبي يقول: يا بني، إياك والخلافَ علىٰ الخلقِ، فمن رضي الله به عبدًا فارضَ به أخًا)[1].

[٤٠٢] قال عمَّارُ بنُ رُزَيق[2] لابنه[3]:

(يا بني، اعملْ بقليلِه تزهدْ في كثيرِه)[4].

[٤٠٣] قال المأمونُ للعباس[5] يومًا وهو يعظُه:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في طبقات الصوفية للسلمي ٥٠٣، والجامع لشعب الإيمان ١٤/ ٤٦٢، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٩، وطبقات الأولياء لابن الملقن ١٣٨.

(٢) **صاحب الوصية**: عمار بن رزيق الضبي التميمي الكوفي، ابن عم عبد الله بن شبرمة القاضي. كان راوية للحديث موثوقًا. توفي سنة ١٥٩هـ وقيل: ١٥٧هـ.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٢٩، وتهذيب التهذيب ٧/ ٤٠٠، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٧٩.

(٣) **مناسبة الوصية**: عندما رآه يطلب الحديث.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٠٣٤.

(٥) **صاحب الوصية**: عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠. تلقىٰ العلم والأدب، وبرع في الفقه والعربية، ومهر -حين كبر- بالفلسفة وهو ما أدىٰ به إلىٰ القول بخلق القرآن وحمل الناس عليه. كان من أشهر خلفاء بني العباس حزمًا ورأيًا وعقلًا وهيبة وحلمًا. تولىٰ الخلافة بعد قتل أخيه الأمين -في حربه معه- وتوفي في رجب سنة ٢١٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٢، وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٥، والوافي ١٧/ ٦٥٤.
وابنه العباس أبو الفضل ولاه أبوه بعض الولايات، واستعان به علىٰ بعض المهمات القتالية، وحين مات أبوه وولي عمه المعتصم شغب له بعض الجند فسكَّنهم، ثم إن عجيف بن عنبسة -أحد قواد والده- زيَّن له الثورة، وأخذ له البيعة سرًّا من بعض الأمراء، وأغراه بقتل المعتصم حين صحبه إلىٰ عمورية. وحين كشف المعتصم المؤامرة قتل المتعاونين معه بعدة أنواع من العذاب، ودفع بالعباس إلىٰ قائده الأفشين الذي عذبه حتىٰ مات بمنبج سنة ٢٢٤هـ.
انظر: الطبري ج ٨، ٩ (الفهارس)، والبداية والنهاية ١٨٨/٥١٤، ١٩٤، ٢٥٩-٢٦٠، والوافي ١٦/ ٦٥٥.

(ينبغي -يا بني- لمن أسبغ الله عليه نعمَه[1]، وشَركَه في ملكه وسلطانه، وبسطَ له في القدرةِ[2] أن ينافسَ في الخيرِ مما يبقىٰ ذكرُه، ويُحَبُّ أجرُه[3]، ويُرجىٰ ثوابُه، وأن يجعلَ همَّتَه في عدلٍ ينشرُه، أو جورٍ يدفنُه، [أ]و سنَّةٍ صالحةٍ يحييها[4]، أو بدعةٍ يميتها، أو مكرمةٍ يعتقدُها، أو صنيعةٍ يسديها[5]، أو يدٍ يودعُها ويوليها، أو أثرٍ محمودٍ[6] يتبعه)[7].

[٤٠٤] قال المأمونُ لولده -موصيًا ومعلمًا-:

(استشيروا ذوي الرأيِ والتجربةِ والحيلةِ فإنهم أعلمُ بمصارفِ الأمورِ[8]، وتقلُّباتِ الدهورِ، وأطيعوهم وتحمَّلوا ما يغلطون[9] من قولٍ، أو يكشفونه من عيبٍ، لما ترجونه من حالةٍ تصلحُ، وفَتْقٍ يُرْتَقُ[10]، فإن من جرَّعكم المرارةَ[11] لشفائكم أشفقُ ممن أطعمكم الحلاوةَ لأسقامكم)[12].

(١) سبغ: زاد واتسع.
(٢) بُسط له في القدرة: مدَّ له فيها.
(٣) يحب أجره: هكذا وردت. ولعلها: يجب، أي يثبت.
(٤) في الأصل: يحيها. والسنة: المنهج والطريقة، يحييها: يعمل بها بعد تركها.
(٥) المكرمة: الفعل الحميد. يعتقدها: يلتزمها ويتصف بها. الصنيعة: عمل الخير. يسديها: يعطيها ويوليها.
(٦) اليد: المعروف. يودعها: يسديها لتكون كالوديعة. والمراد أن يرتهن له بها الحبَّ لدىٰ الناس. يوليها: يصنعها. أثر: طريقةٌ عَمِلَ بها مَنْ سبقه.
(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب بغداد لابن طيفور ٥٣-٥٤.
(٨) صرَّف الأمر: دبَّره علىٰ وجهه.
(٩) ذكر المحقق أن الكلمة في النسخة الأخرىٰ عنده: يغلطون! قلت: لعل صوابها يغلظون. من الغلظة، وهي الاشتداد في الكلام، وذلك أولىٰ.
(١٠) الفتق: الشقُّ. يرتق: يصلح.
(١١) جرَّعكم المرارة: سقاكم إياها وكدَّر صفوكم بمكاشفتكم بالنصح.
(١٢) **التوثيق**: وردت الوصية في تحفة الوزراء ٨٧.

(ينبغي -يا بني- لمن أسبغ الله عليه نعمَه[1]، وشَركَه في ملكه وسلطانه، وبسطَ له في القدرةِ[2] أن ينافسَ في الخيرِ مما يبقىٰ ذكرُه، ويُحَبُّ أجرُه[3]، ويُرجىٰ ثوابُه، وأن يجعلَ همَّتَه في عدلٍ ينشرُه، أو جورٍ يدفنُه، [أ]و سنَّةٍ صالحةٍ يحييها[4]، أو بدعةٍ يميتها، أو مكرمةٍ يعتقدُها، أو صنيعةٍ يسديها[5]، أو يدٍ يودعُها ويوليها، أو أثرٍ محمودٍ[6] يتبعه)[7].

[٤٠٤] قال المأمونُ لولده -موصيًا ومعلمًا-:

(استشيروا ذوي الرأيِ والتجربةِ والحيلةِ فإنهم أعلمُ بمصارفِ الأمورِ[8]، وتقلُّباتِ الدهورِ، وأطيعوهم وتحمَّلوا ما يغلطون[9] من قولٍ، أو يكشفونه من عيبٍ، لما ترجونه من حالةٍ تصلحُ، وفَتْقٍ يُرْتَقُ[10]، فإن من جرَّعكم المرارةَ[11] لشفائكم أشفقُ ممن أطعمكم الحلاوةَ لأسقامكم)[12].

---

(١) سبغ: زاد واتسع.
(٢) بُسط له في القدرة: مدَّ له فيها.
(٣) يحب أجره: هكذا وردت. ولعلها: يجب، أي يثبت.
(٤) في الأصل: يحيها. والسنة: المنهج والطريقة، يحييها: يعمل بها بعد تركها.
(٥) المكرمة: الفعل الحميد. يعتقدها: يلتزمها ويتصف بها. الصنيعة: عمل الخير. يسديها: يعطيها ويوليها.
(٦) اليد: المعروف. يودعها: يسديها لتكون كالوديعة. والمراد أن يرتهن له بها الحبَّ لدىٰ الناس. يوليها: يصنعها. أثر: طريقةٌ عَمِلَ بها مَنْ سبقه.
(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب بغداد لابن طيفور ٥٣-٥٤.
(٨) صرَّف الأمر: دبَّره علىٰ وجهه.
(٩) ذكر المحقق أن الكلمة في النسخة الأخرىٰ عنده: يغلطون! قلت: لعل صوابها يغلظون. من الغلظة، وهي الاشتداد في الكلام، وذلك أولىٰ.
(١٠) الفتق: الشقُّ. يرتق: يصلح.
(١١) جرَّعكم المرارة: سقاكم إياها وكدَّر صفوكم بمكاشفتكم بالنصح.
(١٢) **التوثيق**: وردت الوصية في تحفة الوزراء ٨٧.

[٤٠٥] جمع المأمون ولده يومًا فقال:

(يا بني، ليعلمَ الكبيرُ منكم إنما كَبُرَ قدرُه بصغارِ عظَّموه، وقويتْ قوَّتُه بضعافِ أطاعوه، وشرفتْ منزلتُه بعَوامَّ اتَّضعوا له[١]، فلا يدعونَّ تفخيمُ المفخِّمِ منهم له إلىٰ تصغيرِ أمرِه وتذليلِه، ولا يستأثرنَّ بفائدةٍ ومِرفَقٍ دونه[٢]، ولا يولعنَّ بتسميته عبدًا كما فعلَ الأعاجمُ، بل وليًّا[٣] وأخًا)[٤].

[٤٠٦] وقال المأمون يومًا لبعض ولده:

(إياك وأن تصغي لاستماعِ قولِ السعاةِ، فإنه ما سعىٰ رجلٌ برجلٍ إلا انحطَّ من قدره عندي ما لا يتلافاه[٥] أبدًا)[٦].

[٤٠٧] قال المأمون لولده:

(يا بني، نزِّهوا أقدارَكم[٧] وطهِّروا أحسابَكم عن دَنَسِ الوشاةِ وتمويه سعايتهم[٨]، فكلُّ جانٍ يدُه في فيه[٩]، وليس يشي إليكم إلا أحدُ الرجلين: ثقةٌ

---

(١) اتضعوا له: خضعوا له.

(٢) يستأثرنَّ: يخصُّ نفسه. المرفق: كل ما ينتفع به ويستعان.

(٣) يولعن: يغرىٰ ويحرص. وليًّا: حليفًا ونصيرًا ومحبًّا وتابعًا.

(٤) **التوثيق:** وردت الوصية في كتاب أسرار الحكماء ١٣٧.

(٥) انحط: نزل وانحدر. لا يتلافاه. يتداركه.

(٦) **التوثيق:** وردت الوصية في العقد الفريد ٢/ ٣٢٠-٣٢١، وانظر الوصية الآتية.

(٧) نزهوا: أعلوا. الأقدار جمع: قدر، وهو المكانة والمنزلة. طهِّروا: نزهوا ونقوا. الأحساب: جمع حسب، وهو ما يعدُّه المرء من أمجاده ومناقبه وشرف آبائه.

(٨) الوشاة: جمع واشٍ، وهو من يسعىٰ بالآخرين نميمةً إلىٰ السلطان. تمويه سعايتهم: إظهار باطلهم بمظهر الصدق والحق والنصح. موَّه الحديث: زخرفه ومزجه من الحق والباطل.

(٩) ثمة مثل لعمرو بن عدي اللخمي، ابن أخت جذيمة الأبرش، وهو:

هذا جناي وخياره فيه　　إذ كل جانٍ يده إلىٰ فيه

=

وظنينٌ[١]، أما الثقةُ فقد قيل إنه لا يُبَلِّغ[٢] ولا يشين بالوشايةِ قدرَه، وأما الظنينُ فأهلٌ أن يُتَّهم صدقُه، ويكذَّبَ ظنُّه، ويردَّ باطلُه، وما سعىٰ رجلٌ برجلٍ إليَّ قطُّ إلا انحطَّ من قدره عندي ما لا يتلافاه أبدًا[٣].

فلا تعطوا الوشاةَ أمانيَّهم فيمن يَشُون بهم، فقد قال بعضُ الملوكِ لرجلٍ سعىٰ بآخر: لو كنت أنت أنا ما كنتَ صانعًا به؟ قال: كنتُ أقتله. فقال: أما إذ لم تكن أنت أنا فإني غيرُ قاتلِه. ومع ذلك فلا تدعوا الفَحْصَ[٤] عما يُلقىٰ إليكم مما تحذورن رجوعَ ضررِه عليكم)[٥].

=وكان خاله جذيمة قد نزل منزلًا في البادية، في سنة مكلثة، وأمر الناس -أو أهله وولده- أن يجتنوا له الكمأة، فكان مَنْ وجد ما يعجبه منها يستأثر به لنفسه، سوىٰ عمرو، الذي كان يخبئ ما يجد في حجزته لجذيمة، وكان عمرو صغيرًا، فكان إذا أقبل علىٰ جذيمة قال ذلك. وهو يضرب مثلًا لترك الاستئثار، ومعنىٰ البيت: أوثرك علىٰ نفسي إذ كان غيري يأكله دونك. انظر: الأمثال لأبي عبيد ١٧٤، وأمثال العرب للضبي ١٤٩، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٦٠، والمستقصىٰ ٢/ ٣٨٦، ومجمع الأمثال ٢/ ٤٨٨. ولعل مراد المأمون أنَّ كل واشٍ يريد أن يتوصل إلىٰ حاجةٍ تنفعه عندكم، ولو بالوقيعة بالآخرين.

(١) يشي إليكم: ينقل إليكم الكلام بالآخرين. الظنين: المتهم.

(٢) إن الثقة لا يبلِّغ، هو من كلام الأحنف بن قيس، وقد رُوي أنه قاله لمصعب بن الزبير حين عاتبه بشيء، فأنكره الأحنف، فقال مصعب: أخبرني الثقة. (انظر: عيون الأخبار ٢/ ٢٠، والعقد الفريد ٢/ ٣٢٢)، وروي أنه قاله لمصعب، حين كلَّمه في رجل وجد عليه مصعب، وقال عنه: كلمني الثقة (انظر: الأمالي للقالي ٢/ ٣٠٣)، أو قاله حين شهد مصعبًا يوبخ رجلًا، في شيء بلغه عنه، ويقول: أبلغني عنك الثقة. (انظر: كتاب البرصان والعرجان ٣٢٧). وبعض المصادر تجعل معاوية يعاتب الأحنف، ويقول: بلغني عنك الثقة. فقال له الأحنف ذلك. (انظر: الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٨٨٥، والتذكرة الحمدونية ٣/ ١٥٦، والمستطرف ١/ ٢٨٠).

(٣) انحط: نزل. يتلافاه: يتداركه.

(٤) الفحص: الاستقصاء والبحث.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ١٢٠، وانظر الوصية السابقة.

[٤٠٨] وقال المأمون لولده -وعنده عمرو بن مسعدة[١] ويحيى بن أكثم[٢]-:

(اعتبروا في عُلُوِّ الهمَّةِ بمن ترون من وزرائي وخاصتي، إنهم -والله- ما بلغوا مراتبَهم عندي إلا بأنفسِهم، إنه من تبعَ منكم صغارَ الأمورِ تبعَه التصغيرُ والتحقيرُ، وكان قليلُ ما يَفتقد من كبارِها أكثرَ من كثيرِ ما يَستدرِكُ[٣] من الصغارِ، فترفَّعوا عن دناءةِ الهمةِ، وتفرَّغوا لجلائلِ الأمورِ والتدبيرِ، واستكفوا الثقات[٤]، وكونوا مثلَ كرامِ السباعِ التي لا تشتغلُ بصغارِ الطيرِ والوحشِ بل بجليلِها وكبارِها، واعلموا أن أقدامَكم إن لم تتقدَّمْ بكم فإنَّ قائدَكم لا يقدِّمُكم، ولا يغني الوليُّ[٥] عنكم شيئًا ما لم تعطوه حقَّه)[٦].

[٤٠٩] قال المأمون[٧] لأحدِ أولاده[٨]:

---

(١) عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول الكاتب، كان ذا منزلة وقدر عظيمين عند المأمون، وولاه بعض الأعمال الجليلة. كان كاتبًا بليغًا فصيحًا، كما كان شاعرًا، توفي سنة ٢١٥ وقيل: سنة ٢١٧هـ. انظر: معجم الشعراء ٣٣، ومعجم الأدباء ٥/ ٢١٢٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٧٥.

(٢) أبو محمد يحيىٰ بن أكثم بن محمد التميمي، من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب. كان في زمنه من دهاة الناس والخبيرين بالأمور، واسع العلم كثير الأدب، وافر العقل، قربه المأمون وأدناه وقلده قضاء القضاة، واستشاره في كل أمره، ثم تغير عليه وعزله. توفي في ذي الحجة سنة ٢٤٢هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ١٩١، ووفيات الأعيان ٦/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥.

(٣) يفتقد: يفوت عليه ويذهب. يستدرك: يدرك.

(٤) دناءة الهمة: صغرها وانحطاطها. جلائل الأمور: عظائمها. استكفوا الثقات: قرِّبوهم وكِلُوا إليهم الأمور والمهام ليكفوكم.

(٥) الولي: النصير والقريب.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ١٧٠.

(٧) مناسبة النص: حين سمع منه لحنًا.

(٨) في زهر الآداب وغرر الخصائص: لبعض ولده. وهو أولىٰ.

(ما علىٰ أحدِكم أن يتعلَّمَ العربيةَ[1]، فيقيمَ بها أَوَدَه[2]، ويزيِّنَ بها مشهدَه، ويَفُلَّ[3] بها حُجَجَ خصمِه بمسكتاتِ حكمِه[4]، ويملكُ مجلسَ سلطانِه بظاهرِ بيانِه، أوَيسرُّ أحدَكم[5] أن يكونَ لسانُه كلسانِ عبدِه[6] أو أمته؟ فلا يزالُ الدهرَ أسيرَ كلمتِه، قاتلَ الله الذي يقول[7] [الطويل]:

---

(١) زاد بعدها في غرر الخصائص: يصلح بها لسانه، ويفوق أقرانه.

(٢) يقيم أَوَدَه: يصلح اعوجاج لسانه.

(٣) مشهده: حضور المجالس. يفلُّ: يقطع.

(٤) في زهر الآداب: بمسِّ كتاب حكمه. وهي إلىٰ التصحيف أقرب، وقد أشار زكي مبارك في هامش طبعته إلىٰ أنها في نسخة وردت كالمثبت. والمسكتات: المفحمات الملجمات الداعيات إلىٰ السكوت والانقطاع.

(٥) في زهر الآداب: ليس لأحدكم!

(٦) في غرر الخصائص: أن يكون كعبده أو أمته.

(٧) نسبت الأبيات الثلاثة للأعور الشني في الظرف والظرفاء ٤٤-٤٥، والحماسة البصرية ٢/ ٩٦١. ووردت دون نسبة في ديوان المعاني ١/ ٦٧، والمحاسن والمساوئ، ونسب البيت الأول لصالح بن عبد القدوس في حماسة البحتري ٣٦٧ برواية:

وإن لسان المرء مفتاح قلبه ... إذا هو أبدىٰ ما يُجِنُّ من الفم

ونُسب البيتان الثاني والثالث للأعور الشني في البيان والتبيين ١/ ١٧١، والصمت لابن أبي الدنيا ٢٢٩، وأدب الدنيا والدين ٤٣٥، وألف باء للبلوي ١/ ٣٠. وترددت نسبتهما بين الهيثم بن الأسود النخعي والأعور الشني في فصل المقال ٥٢، ونسب لعبد الله بن معاوية الجعفري في حماسة البحتري ٢٠٥/ ١٣٥، كما نسبا لأبي بكر العرزمي في التذكرة الحمدونية ١/ ٢٨٣. ونسبا لزهير في حماسة البحتري ٣٦٧/ ٢٣١، والعقد ٢/ ٢١٩، وجمهرة أشعار العرب ١/ ٢٩٩ (ومعهما الأول)، وشرح المعلقات السبع للزوزني ١٥٩، ولم ترِد الأبيات في ديوان زهير برواية ثعلب (طبعة دار الكتب الوطنية) ولا ديوانه برواية الأعلم الشنتمري (دار القلم العربي بحلب) ولا في شروح المعلقات. ولذا قال العلامة أحمد الأمين الشنقيطي (المعلقات العشر ٩٥): إنها ليست لزهير. وقد ورد البيتان دون نسبة في الفاضل للمبرد ٦، واللطائف والظرائف ٧٨، وبهجة المجالس ١/ ٥٦، وعين الأدب والسياسة ١٢٢. ونفح الطيب ٣/ ٣٦٨. وفي الإمتاع والمؤانسة ٢/ ١٤٤، ورد علىٰ لسان عبد الملك البيت الثالث علىٰ أنه لزهير، وردَّ ذلك جلساؤه بأنه لزياد الأعجم. وورد البيت دون نسبة في صبح الأعشىٰ ١/ ٢٨٥، والمستطرف ٨٦.

ألم ترَ مفتاح الفؤاد لسانه ... إذا هو أبدىٰ ما يقول من الفم

وكائن ترىٰ من صاحب لك معجبٍ ... زيادتُه أو نقصُه في التكلُّم

لسان الفتىٰ نصفٌ ونصفٌ فؤاده ... فلم يبقَ إلا صورةَ اللحمِ والدَّمِ)[8]

[٤١٠] كان المأمون يوصي بعض بنيه فيقول:

(اكتبْ أحسنَ ما تسمعُ، واحفظْ أحسنَ ما تكتبُ، وحدِّثْ بأحسنِ ما تحفظ)[1].

[٤١١] قال أبو عبيدة: قال لي أبي[2]:

(يا بني، إذا كتبتَ كتابًا فالحنْ فيه، فإن الصوابَ حُرفةٌ[3] والخطأ أنجح)[4].

---

(٨) التوثيق: وردت الوصية في بهجة المجالس ١/ ٦٤، كما وردت في زهر الآداب -دون الأبيات- ٢/ ٧١٩، و(باختصار يسير) في غرر الخصائص الواضحة -دون الأبيات ١٧٢، ونسبت الوصية- باختصار واختلاف يسيرين -ومعها الأبيات- إلىٰ ابن هبيرة، قاله لشاب أعجبته فصاحتُه حين تكلم بحضرته، لكنه شانها بلحنٍ يسير، في ديوان المعاني ١/ ٦٧.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي ١٤١. وقد نسبت إلىٰ يحيىٰ بن خالد البرمكي وإلىٰ أبي حاتم الرازي. راجع وصاياهما.

(٢) **صاحب الوصية**: لم أقف له علىٰ ترجمة، وابنه أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ التيمي -ولاء- البصري، نحوي علامة، عارف بالغريب وبأخبار العرب وأيامهم وأنسابهم، يتهم بالشعوبية، توفي بالبصرة سنة ٢١٠هـ (علىٰ خلاف في ذلك) وقد قارب المئة. وترك آثارًا كثيرة.
انظر: المعارف ٥٤٣، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٣٥.

(٣) في غرر الخصائص: والخطأ نجح. حُرْفة: حرمان.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٦/ ١٨٢ عن أبي زيد وغرر الخصائص الواضحة ١٦٠. وذكر أبو الطيب اللغوي (مراتب النحويين٣٥١) بسنده إلىٰ أبي حاتم السجستاني قوله: (جاء رجل إلىٰ أبي عبيدة يسأله كتاب وسيلة إلىٰ بعض الملوك، فقال لي: يا أبا حاتم: اكتب له عني، والحن في الكتاب، فإن النحو محدود). وجاء هذا الخبر في إنباه الرواة ٣/ ٢٨٣ في عرض حديثه عن أبي عبيدة: (وسأله بعض الناس كتابًا إلىٰ بعض، فقال لمن حضر: اكتب عني والحن فيه، فإن النحو محذور).
وفي وفيات الأعيان ٥/ ٢٣٨: (وكان أبو عبيدة إذا أنشد بيتًا لا يقيم وزنه، وإذا تحدث أو قرأ=

[٤١٢] قال محمد بن حازم الباهلي[١] لابنه:

(يا بني، إذا سألتَ الحوائجَ فتأملْ بها الصِّباحَ[٢] الوجوهِ من ذوي العناصرِ السنيةِ[٣]، والشِّيَم[٤] المرضيةِ، واحذر ذوي الوجوهِ العابسةِ[٥]، والأكفِّ اليابسةِ[٦]،

=لحن اعتمادًا منه لذلك، ويقول: النحو محدود)، وجاءت العبارات نفسها في إنباه الرواة في الموضع السابق وفيها: (محذور)!

وفي محاضرات الأدباء ١/ ٣٦: وقيل: إذا كتبت كتابًا فالحن فيه فإن العربية مجدودة. وجُدًّ كان له حظ فهو مجدود. (جعلها إحسان عباس في هامش البصائر: محدودة). والحد: المنع، وحُدَّ الإنسان منع من الظفر، وكل محروم محدود، والمحدود: الممنوع عن الشيء من الخير والشر. (انظر: اللسان (حدد))، وهذا المعنىٰ للمحدود يتفق مع معنىٰ عبارة الوصية (حُرفة: حرمان). ولعل هذا ما دعا الدكتور إحسان عباس إلىٰ تصحيح (مجدودة) الواردة في محاضرات الآدباء. وقد عقَّب الوطواط في غرر الخصائص علىٰ الوصية بقوله: (أخذه بعض الشعراء، فنظمه في قوله:

إن كنـت يومًا كاتبًا رُقعَةً ... تبغي بها نجح وصول الطلب

إياك أن تعــرب ألفاظها ... فتكتسـي حرفة أهـل الأدب

(١) صاحب الوصية: أبو جعفر محمد بن حازم الباهلي، ولد بالبصرة ونشأ بها، وانتقل إلىٰ بغداد فسكنها، شاعر مطبوع كثير الهجاء. قال ابن أبي عون: كان من ألحف الناس إذا سأل، وألحِّهم إذا استماح، مع كثرة ذكره القناعة في شعره. جعل الزركلي (الأعلام ٦/ ٧٥) وفاته نحو ٢١٥هـ.

انظر: طبقات الشعراء ٣٠٧، والأغاني ١٤/ ٨٧، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٩٥.

(٢) صبح الوجه صباحة: أشرق وجمل.

(٣) العناصر جمع عنصر وهو الأصل والحسب. والسنية: من سني سنًا وسناء: ارتفع وصار ذا قدر ومكانة.

(٤) الشيم: جمع شيمة والشيمة: الخلق والطبيعة.

(٥) العابسة: المتجهمة.

(٦) اليابسة: المنقبضة عن العطاء.

أصحابَ القراريطِ[١]، وكَسَبَةَ الدوانيقِ[٢]، المعروفين بالضيقِ، المنسوبين إلىٰ التدقيقِ[٣]، الذين إن سُئلوا ضنوا، وإن أَعطوا مَنّوا[٤]، فلا تُخْلِقَنَّ[٥] بالطلبِ إليهم وجهَك، ولا تدنِّسْ بالسعي إليهم عرضَك، وعليك بمن أنعم الله علىٰ وجهِهِ بالصباحةِ، وعلىٰ كفِّه بالسماحةِ[٦]، فأولئك هم المعروفون بالصبرِ علىٰ ما ينوبهم من ملمَّاتِ[٧] الرجال)[٨].

[٤١٣] عن إسماعيلِ بنِ محمد بن سعد[٩] قال:

(كان أبي يعلِّمنا مغازيَ رسولِ الله ﷺ ويعدُّها علينا، وسراياه، ويقول: يا بني، هذه مآثرُ آبائِكم، فلا تضيِّعوا ذكرَها)[١٠].

---

(١) القراريط: جمع قيراط، والكلمة يونانية الأصل، والقيراط جزء من أجزاء الدينار، وهو نصفُ عُشْرِه في أكثر البلاد. إذ اختلف وزنه بحسب البلاد. انظر: المعجم الاقتصادي الإسلامي، د. أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٢) كَسَبَة جمع كاسب، وكسب الشيء جمعه. والدوانيق: جمع دانق، سدس الدرهم، والمعنىٰ أنهم يملكون الأموال الكثيرة، ويتعبون أنفسهم وراء الجمع، ولو كان ما يبذل فيه الجهد دراهم قليلة.

(٣) دقق في الشيء: استعمل الدقة، أي أنهم يستوفون حقوقهم كاملة ولا يغضون الطرف عن شيء منها مهما قلَّ.

(٤) ضنوا: بخلوا. منُّوا: فخروا بعطيتهم وتعالوا علىٰ من أعطوه.

(٥) أخلق السائل ماء وجهه: بذله في السؤال.

(٦) السماحة: البذل عن كرم وسخاء.

(٧) ينوبهم: ينزل بهم، ملمات جمع ملمة: النازلة الشديدة.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ٣٦٥.

(٩) **صاحب الوصية**: محمد بن سعد بن منيع البصري، مولىٰ بني هاشم، صحب الواقدي وكتب له فعُرف به، كان من أهل الفضل والعلم، كثير الحديث غزير الرواية، ثقة فيما يروي. توفي ببغداد سنة ٢٣٠هـ عن اثنتين وستين عامًا.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٣٦٤، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٢١، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥١.

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢/ ١٩٥.

[٤١٤] أوصى محمدُ بن عبد اللّه بن حسن[١] ابنتيه[٢] فقال:

(واعلما أن لن تسقطَ امرأةٌ واظبتْ علىٰ ثلاثِ خصالٍ: الماءِ[٣] والسواكِ والكحلِ، فعليكما بهنَّ)[٤].

[٤١٥] وقال ابن المقفع[٥] لابنه:

(يا بني، الصبرُ علىٰ كلمةٍ تسمعُها خيرٌ من ألفِ كلمةٍ تطلبُ التخلصَّ منها، فأكرمْ نفسَك عما الخيرُ في غيرِه)[٦].

[٤١٦] قال ابن المقفع لابنه:

(يا بني، لا تعدَّ الملكَ الكذوبَ ملكًا، ولا الناسكَ[٧] المخادعَ ناسكًا، ولا الأخَ الخاذلَ أخًا، ولا مصطنعَ الكفورِ[٨] منعمًا. وليس للملكِ أن يكذبَ؛ لأنه لا يقدرُ

---

(١) **صاحب الوصية**: سبقت ترجمته عند ترجمة والده. وقد جاء في مصدر الوصية: محمد بن عبد اللّه بن حسين. ولم أجد من سمّي بهذا الاسم سوىٰ أبي طالب الجعفري، محمد بن عبد اللّه بن حسين بن عبد اللّه بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، شاعر مقل نزل الكوفة (انظر: معجم الشعراء ٣٨٢، والوافي ٣/ ٣٤١)، ولكني آثرت ما أثبته لشهرته الكبيرة في مقابل شخصية أبي طالب الجعفري المغمورة، ولأن الحسن تصحفت في بعض مصادر وصية والده إلىٰ الحسين، فلعلها هنا تصحفت أيضًا.

(٢) في الأصل: ابنيه! وسياق النص يستقيم بابنتيه.

(٣) أشار محقق الأصل إلىٰ أن رواية نسخة (أ) عنده: المرآة.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٣/ ٣٠-٣١.

(٥) **صاحب الوصية**: عبد الله بن المقفع، فارسي الأصل، كان مجوسيًا فأسلم. هو أحد البلغاء والكتاب المشهورين، ومن أوائل من اعتنىٰ بترجمة الكتب إلىٰ العربية. انتهت حياته بالقتل سنة ١٤٤هـ، بأمر من أبي جعفر المنصور كما يقال، وكان عمره ستًا وثلاثين سنة.

انظر: أخبار الحكماء ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٨، ولسان الميزان ٣/ ٣٦٦.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل للوشاء ١٥٤-١٥٥.

(٧) الناسك: المتديِّن.

(٨) الكفور: الجاحد للنعمة. ومصطنعه: مسدي النعمة والمعروف له.

أحدٌ علىٰ استكراهِه علىٰ غيرِ ما يريدُ، وليس له أن يغضبَ؛ لأن القدرةَ من وراءِ حاجتِه، وليس له أن يبخلَ؛ لأنه أقلُّ الناسِ عذرًا في تخوُّفِ الفقرِ)[1].

[٤١٧] قال ابن المقفع لابنه:

(إن وجدتَ من السلطانِ وصحبتِه غنًىٰ، فأَغْنِ عنه[2] نفسَك، واعتزِلْه جهدَك[3]، فإنه من يأخذُه السلطانُ بحقه[4] يَحُلْ بينه وبين لذةِ الدنيا[5]، ومن لا يأخذُه بحقِّه يكسبُه[6] الفضيحةَ في الدنيا، والوِزْرَ في الآخرة)[7].

[٤١٨] وروي عن ابن المقفع أنه قال لابنه:

(يا بني، حبِّبْ إلىٰ نفسِك العلم حتىٰ ترْأَمَه، ويكونَ لهوتَك وسَلْوَتَك[8]، والعلمُ علمان: علمٌ يدعوك إلىٰ آخرتك، فآثِرْهُ علىٰ ما سواه، وعلمٌ لتذكيةِ القلوبِ،

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب المجالسة للدينوري ٦/ ١٥٠، وقد ورد منها -بتقديم وتأخير- في كتاب الأدب الكبير ١١٣-١١٤ قوله: (ليس للملك... الفقر). دون تصريح بأنها وصية لابنه. وقد ورد منها قوله: (ليس للملك) إلىٰ آخرها -باختلاف يسير- وفيها بدل: يغضب (ولا يحقد لأن خطره جل عن المجازاة) في المجالسة ٦/ ٣٨٧، علىٰ أنه من كلام أسقف نجران لمصعب بن الزبير، حين قنَّعه بقضيب في رأسه، وقد رواه بسنده عن الأصمعي، وكذا ورد في الجواهر المجموعة للسخاوي ١١١، وفيه: قال الأصمعي: قال بعضهم.

(٢) في الأدب الكبير: عن ذلك.

(٣) جهدك: قدر طاقتك ووسعك.

(٤) في الأدب الكبير: فإن من يأخذ عملهم بحقه يحل. يحل: يحجز ويمنع.

(٥) زاد في الأدب الكبير: وعمل الآخرة.

(٦) في الأدب الكبير: يحتمل. الوزر: الإثم والذنب.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في سراج الملوك ٢/ ٤٨٢. وقد وردت، ضمن كلام ابن المقفع، في الأدب الكبير ١٤١.

(٨) ترأمه: تألفه وتحبه. لهوتك: ما تلهو به وتنشغل. سلوتك: ما تتسلىٰ به، وتنسىٰ معه غيره.

وهو جلاؤها، وهو علمُ الأدبِ، فخذْ بحظِّك منه[1])[2].

[٤١٩] قال المنصور[3] لابنه المهدي[4]:

(إني لم أدعْ شيئًا إلا قد تقدَّمتُ إليك فيه، وسأوصيك بخصالٍ والله ما أظنك تفعلُ واحدةً منها -وكان له سَفَطٌ فيه دفاترُ علمِه، وعليه قُفلٌ لا يأمنُ علىٰ فتحِه ومفتاحِه أحدًا، يَصُرُّ مفتاحَه في كُمِّ قميصِه، وكان حمَّاد التركي يقدِّم إليه ذلك السفطَ إذا دعا به، فإذا غابَ حمادٌ أو خرجَ كان الذي يليه سلمةُ الخادمُ[5]- فقال للمهدي: انظرْ هذا السَّفَطَ فاحتفظْ به؛ فإن فيه علمَ آبائك، ما كان وما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامةِ، فإن أحزنك أمرٌ فانظرْ في الدفترِ الأكبرِ[6]، فإن أصبتَ فيه ما تريدُ، وإلا

---

(١) تذكية القلوب: بعث الذكاء فيها. جلاؤها: يزيل الهموم عنها ويصقلها.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في جمهرة أشعار العرب ١/ ١٦٠.

(٣) **صاحب الوصية**: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ثاني خلفاء بني العباس، بويع له بالخلافة بعد أخيه السفاح. كان مهيبًا شجاعًا ذا رأي وحزم وجبروت، جماعًا للمال، بعيدًا عن اللهو، حسن المشاركة في العلم والأدب. توفي في طريقه إلىٰ مكة حاجًا في السابع من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ.

انظر: مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٣١١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٤٥٩.

(٤) **مناسبة الوصية**: قال الطبري: ذكر عن الهيثم بن عدي أن المنصور أوصىٰ المهدي في هذه السنة لما شخص متوجهًا إلىٰ مكة في شوال، وقد نزل قصرَ عبدويه، وأقام بهذا القصر أيامًا والمهدي معه يوصيه، وكان انقضَّ في مقامه بقصر عبدويه كوكبٌ، لثلاث بقين من شوال بعد إضاءة الفجر، وبقي أثره بيِّنًا إلىٰ طلوع الشمس، فأوصاه بالمال والسلطان، يفعل ذلك كلَّ يوم من أيام مقامه بالغداة والعشي، لا يفتر عن ذلك، ولا يفترقان إلا تحريكًا. فلما كان اليوم الذي أراد أن يرتحل فيه، دعا المهدي فقال له: ....).

(٥) في المنتظم: وكان له سفط فيه دفاتر، لا يأمن علىٰ فتحه أحدًا. فقال: ... وفي الكامل: ... دفاتر علمه، وعليه قفل لا يفتحه غيره، فقال. السَّفَط: صندوق من خشب توضع فيه الكتب. (انظر: تاج العروس ٥/ ١٥٣).

(٦) في الكامل: الكبير.

فالثاني والثالث[1]، حتىٰ بلغَ سبعةً، فإن ثَقُلَ عليك فالكراسةُ الصغيرةُ، فإنك واجدٌ فيها ما تريدُ، وما أظنك تفعلُ.

وانظر هذه المدينةَ، فإياك أن تستبدلَ بها؛ فإنها بيتُك[2] وعزُّك، قد جمعتُ لك فيها من الأموالِ ما إن كُسِرَ[3] عليك الخراجُ عشرَ سنين كان عندك كفايةٌ لأرزاقِ الجندِ والنفقاتِ وعطاءِ الذريةِ ومصلحةِ الثغورِ[4]، فاحتفظ بها، فإنك لا تزال عزيزًا ما دام بيتُ مالِك عامرًا، وما أظنك تفعل.

وأوصيك بأهلِ بيتِك؛ أن تُظهرَ كرامتَهم وتقدِّمَهم وتكثرَ الإحسانَ إليهم[5]، وتعظِّمَ أمرَهم، وتوطئَ الناسَ أعقابَهم[6]، وتوليهم المنابرَ؛ فإن عزَّك عزُّهم وذكرَهم لك[7]، وما أظنك تفعل.

وانظر مواليك، فأحسنْ إليهم وقرِّبهم واستكثرْ منهم، فإنهم مادتُك لشدةٍ إن نزلتْ بك، وما أظنك تفعل.

وأوصيك بأهلِ خراسانَ خيرًا، فإنهم أنصارُك وشيعتُك الذين بذلوا أموالهم في دولتك، ودماءهم دونك، ومن لا تخرجُ محبَّتُك من قلوبهم، أن تحسنَ إليهم وتتجاوزَ عن مسيئهم وتكافئهم علىٰ ما كان منهم، وتخلفَ من مات منهم في أهلِه وولدِه، وما أظنك تفعل.

---

(١) في الكامل: ففي الثاني والثالث.
(٢) في المنتظم: مدينتك.
(٣) في المنتظم: وقد جمعت... ما لم يجمعه خليفة قبلي، فإن حبس عنك الخراج. كسر عليك: صرف عنك ومنعت منه.
(٤) في الكامل: البعوث.
(٥) في الكامل: وتحسن إليهم.
(٦) توطئ الناس أعقابهم: تجعلهم يتبعونهم ويمشون خلفهم طمعًا وتطلعًا.
(٧) في المنتظم: وذلُّهم ذلُّك.

وإياكَ أن تبنيَ مدينةَ الشرقيةِ[1]؛ فإنك لا تتمُّ بناءها، وما أظنك تفعل[2].

وإياكَ أن تستعينَ برجلٍ من بني سليمٍ، وأظنك ستفعل.

وإياكَ أن تدخلَ النساءَ في مشورتِك في أمرِك، وأظنك ستفعل)[3].

[٤٢٠] أوصى المنصور المهدي[4]:

---

(١) في المنتظم: مدينة شرقية.

(٢) في الكامل: وأظنك ستفعل.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ١٠٣-١٠٤. وفيه بعدها: وقال غير الهيثم: إن المنصور دعا المهدي عند مسيره إلىٰ مكة، وقال: يا أبا عبد الله، إني سائر وإني غير راجع؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون! فاسأل الله بركة ما أقدم عليه، هذا كتاب وصيتي مختومًا، فإذا بلغك أني قد متُّ، وصار الأمر إليك فانظر فيه، وعليَّ دين فأحب أن تقضيه وتضمنه، قال: هو عليَّ يا أمير المؤمنين، قال: فإنه ثلاثمئة ألف درهم ونيِّف، ولست أستحلها من بيت مال المسلمين، فاضمنها عني، وما يفضي إليك من الأمر أعظم منها، قال: أفعل، هو عليَّ. قال: وهذا القصر ليس هو لك، هو لي، وقصري بنيته بمالي، فأحب أن تصيِّر نصيبك منه لإخوتك الأصاغر، قال: نعم، قال: ورقيقي الخاصة هم لك، فاجعلهم لهم، فإنك تصير إلىٰ ما يغنيك عنهم، وبهم إلىٰ ذلك أعظم الحاجة، قال: أفعل، قال: أما الضياع، فلست أكلِّفك فيها هذا، ولو فعلت كان أحبَّ إلي، قال: أفعل، قال: سلِّم إليهم ما سألتك من هذا، وأنت معهم في الضياع. قال: والمتاع والثياب، سلِّمه لهم، قال: أفعل. قال: أحسن الله عليك الخلافة ولك الصُّنع! اتق الله فيما خولك وفيما خلَّفتك عليه.

كما وردت (باختصار يسير) في المنتظم ٥/ ٢٥٢-٢٥٣، و(باختصار أقل) في الكامل في التاريخ ٦/ ١٨-١٩.

(٤) **مناسبة الوصية**: (لما أراد [المنصور] الحج في السنة التي توفي فيها أتىٰ قصر عبدويه فأقام به، ثم دعا بالمهدي فقال له: يا أبا عبد الله اقرأ هذ االكتاب واعمل بما فيه، فإذا فيه: أوصيك.... ولما قرأ الكتاب قال: أفهمته يا بني؟ قال: نعم، قال: فاتخذه لك إمامًا ومثالًا، ثم قال: أستودعك الله يا بني وأنشد:

المرء يأمل أن يعيش ... وطول عيش قد يضرُّه

تبلىٰ بشاشته ويبقىٰ ... بعد حلو العيش مرُّه

وتخونه الأيام حتىٰ ... لا يرىٰ شيئًا يسرُّه

كم شامتٍ بي إن هلكـ ... ـتُ وقائلٍ لله درُّه

(أوصيك بتقوىٰ الله ومراقبتِه، وعليك بإكرامِ أهلِ بيتك وإعظامِهم، ولا سيما من استقامت طريقتُه، وطهُرتْ سيرتُه، وحسُنتْ مودَّتُه منهم، فإن أقربَ الوسائلِ المودةُ، وأبعدَ النسبِ البغضةُ، وانظرْ أهلَ الجزالةِ والفضلِ والعقلِ منهم فشرِّفهم، وأوطئ الرجالَ أعقابهم[1]، فإنه لا يزالُ لأمرِ القومِ نظامٌ ما كانت لهم أعلامٌ، وأجزلْ لهم الإعطاءَ، ووسِّعْ عليهم في الأرزاقِ، فإن أكثرَ الناسِ مؤونةً أعظمُهم مروءةً، ثم ليكُن معروفُك لغيرهم بعدهم، فإن الصلةَ تزيدُ الألفةَ، وصُنْهم ينبُلُوا ولا تبتذلْهم فيَخْلَقُوا[2].

واعلم أن رضا الناسِ غايةٌ لا تدرك[3]، فتحبَّبْ إليهم بالإحسانِ جهدَك[4]، وتثبَّتْ فيما يَرِدُ من أمورِهم عليك، ووكِّلْ همومَك بأمورِك، وتفقَّدِ الصغيرَ تَفَقُّدَك الكبيرَ، وخذْ أهبةَ الأمرِ قبلَ حلولِه، فإنَّ ثمرةَ التواني الإضاعةُ[5]، وكُنْ عند رأسِ كلِّ أمرٍ لا عند ذَنَبِه، فإنَّ المستقبلَ لأمرِه سابِقٌ، والمستدبرَ له مسبوقٌ.

ووَلِّ أمورَك الفاضلَ تكُن مستعليًا، ولا تولِّ المفضولَ فإنه مزرٍ باختيارك، وانظرِ الأموالَ فإنها عُدَّةُ الملوكِ، وبهاءُ السلطانِ، ونظامُ التدبيرِ، فوفِّرها بولايةِ أهلِ

(١) أوطئ الرجال أعقابهم: سيِّرهم خلفهم بما تشرِّفهم به من مال ومنزلة.

(٢) أي ارفع قدرهم بالتعامل يرتفعوا، ولا يهونوا عليك وتزدريهم فتتضع منزلتهم عند الناس حتىٰ يكونوا بمنزلة الثوب الخلق البالي.

(٣) رضا الناس غاية لا تدرك: مثل قاله أكثم بن صيفي ضمن مجموعة أمثال وحكم ردَّ بها علىٰ النعمان ابن حميضة الذي كتب إليه بقوله: مثِّل لنا مثالًا نأخذ به. (انظر: جمهرة الأمثال ١/ ٤٩٣)، وقد نسب له في الأمثال لأبي عبيد ٢٧٧، والمستقصىٰ ٢/ ١٠٠، ومجمع الأمثال ٢/ ٤٧. وقد ورد ضمن وصية الشافعي لتلميذه الربيع بن سليمان في حلية الأولياء ٩/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٩. كما نسب إلىٰ سفيان الثوري في حلية الأولياء ٦/ ٣٨٦. ونسب إلىٰ أرسطوطاليس في عيون الأنباء ١٠١. قال العسكري: (ومعناه أن الرجل لا يسلم من الناس علىٰ كل حال، فينبغي أن يستعمل ما يصلحه ولا يلتفت إلىٰ قولهم).

(٤) بعده في روضة العقلاء: وتودد إليهم بالإفضال، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم.

(٥) الأهبة: التأهب والاستعداد. حلوله: نزوله. التواني: التقصير والتكاسل.

العفافِ عنها والحيطةِ عليها، ولا تبتذلها إلا في إصلاحِ أمورِ السلطانِ والرعيةِ، وثوابِ أهلِ الطاعةِ والنصيحةِ.

وأحسنْ إلىٰ نصائحِك[١]، واستدمْ مودَّتَهم ومحبَّتَهم بجميلِ التعهُّدِ لهم والتفقُّدِ لأمورِهم، ولا تعطِ عطيةً تبطرُ الخاصَّ، وتؤسفُ العامَّ[٢]، واجعلْ لكلٍّ إليك حاجةً، واجعلْ لهم من فضلِك مادةً، واسمعْ من أهلِ التجاربِ، ولا تردنَّ علىٰ ذوي الرأي، وعوِّد نفسك الصبرَ علىٰ التعبِ في إصلاحِ الرعيةِ وتركِ الهوينىٰ والدَّعَة[٣].

واعلمْ أن ذهابَ السلطانِ يؤتىٰ من ثلاثةِ أمورٍ: قلَّةِ الحزمِ، وضعفِ العزمِ، وفقدِ صالحي الأعوانِ، وأن ثباتَه بأربعِ خلالٍ: المعرفةِ، وحسنِ التخيُّرِ، وإمضاءِ الاختيارِ، وتنكُّبِ أهلِ الحرصِ، فإنَّ الحريصَ يبيعُك باليسيرِ من حظِّه، وشَرَهُ[٤] الوزراءِ أضرُّ الأعداءِ، ومن خانك كذبك، ومن كذبك غشَّك.

واعلمْ أن مادةَ الرأيِ المشاورةُ، فاخترْ لمشاورتِك أهلَ اللبِّ والرأيِ والصدقِ وكتمانِ السرِّ، وكافِ بالحسنةِ، وتجاوزْ عن السيئةِ ما لم يكُن في ذلك ثَلْمُ دينٍ، ولا وَهَنُ[٥] سلطانٍ، ودعِ الانتقامَ فإنه أسوأُ أفعالِ القادرِ، وقد استغنىٰ عن الحقدِ من عَظُمَ عن المجازاةِ، وعاقبْ بقدرِ الذنبِ، واعفُ عن الخطأ، وأَقِلِ العثراتِ من أهلِ الحرمةِ والبلاءِ[٦].

---

(١) أشار المحقق إلىٰ أنه ورد في هامش المخطوطة -في رواية أخرىٰ-: أصحابك. ونصائحك: الناصحون لك المخلصون.

(٢) تبطر: تدعوه إلىٰ الزهو والاستخفاف والاستغناء وكفر النعمة. تؤسف: تحزن وتؤلم.

(٣) الهوينىٰ: الخفض والدعة والسعة في العيش.

(٤) تنكب: تجنب. الشرَه: شدة الحرص.

(٥) ثلم الجدار: أحدث فيه شقًّا، وثلم الدين: خرقه بترك شيء من أحكامه. وهن: ضعف.

(٦) أقل: اصفح وتجاوز. العثرات: الزلات. الحرمة: ما لا يحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة أو نحو ذلك. البلاء: الجهد الشديد المبذول من أمرٍ ما.

وعليك بتِلادِ نعمتك[١]، ومواليك من أهلِ خراسانَ وغيرِها من الآفاقِ، فإنهم أنصحُ الناسِ لك، وأشدُّهم سعيًا في بقاءِ دولتك؛ فإنما عزُّهم بعزِّك، وتجنبْ دقيقَ أخلاقِ أهلِ العراقِ، فإنهم نشؤوا علىٰ الخِبِّ ومذمومِ الأخلاقِ[٢]، وإذا اطَّلعتَ من خاصَّتِك وأهلِ نعمتِك علىٰ هوًىٰ مفسدٍ لنصيحتِك فلا تُقِلْه عثرةً، ولا تَرْعَ له حرمةً، ودعِ الاغترارَ به فإنك إذا اغتررت به كنتَ كمدخلِ الحيَّةِ دونَ شِعَارِه[٣]، إن شاء الله)[٤].

[٤٢١] **قال المنصور لابنه المهدي[٥]:**

(يا أبا عبدِ الله، إني ولدتُ في ذي الحجةِ، ووليتُ في ذي الحجةِ، وقد هَجَسَ في نفسي أني أموتُ في ذي الحجةِ من هذه السنةِ، وإنما حداني علىٰ الحجِّ ذلك، فاتقِ الله فيما أعهدُ إليك من أمورِ المسلمين بعدي يجعلْ لك فيما كربك وحزنك مخرجًا -أو قال: فرجًا ومخرجًا- ويرزقك السلامةَ وحسنَ العاقبةِ من حيث لا تحتسب.

احفظْ يا بني محمدًا ﷺ في أمَّتِه يحفظِ الله[٦] عليك أمورك، وإياك والدمَ الحرامَ، فإنه حُوْبٌ[٧] عند الله عظيمٌ، وعارٌ في الدنيا لازمٌ مقيمٌ، والزمِ الحلالَ، فإن

---

(١) تلاد نعمتك: من عاشوا فيها بعد آبائهم. يقال: تلد فلان عندنا: أي ولدنا أباه وأمه.

(٢) دقيق الأخلاق: خسيسها وحقيرها. الخب: الخداع.

(٣) الشعار: ما ولي جسد الإنسان من الثياب.

(٤) التوثيق: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٤/ ٣٦٣-٣٦٥. وعقب عليها بقوله: (قال العمري: وقرأت هذا الكتاب بعدُ عند قوم من الكتَّاب فوجدتهم قد كثَّروه).

(٥) مناسبة الوصية: قال الطبري: (ذُكر عن إسحاق بن عيسىٰ بن علي عن أبيه قال: سمعت المنصور وهو متوجِّه إلىٰ مكة، سنة ثمانٍ وخمسين ومئة، وهو يقول للمهدي عند وداعه إياه: ...).

(٦) في الكامل: يحفظك الله ويحفظ.

(٧) حوب: إثم.

ثوابَك في الآجلِ، وصلاحَك في العاجلِ، وأقمِ الحدودَ[1] ولا تعتدِ فيها فتبورَ؛ فإنَّ الله لو عَلِمَ أن شيئًا أصلحَ لدينه وأزجرَ من[2] معاصيه من الحدودِ لأمرَ بِه في كتابه.

واعلمْ أن من شدَّةِ غضبِ الله لسلطانِه أمرَ في كتابِه بتضعيفِ العذابِ والعقابِ علىٰ من سعىٰ في الأرضِ فسادًا، مع ما ذَخَر له عنده من العذابِ العظيمِ، فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الآيـة[3]، فالسلطانُ -يا بني- حبلُ الله المتينُ، وعُروتُه الوثقىٰ، ودينُ الله القيّمُ[4]، فاحفظه وحُطْهُ وحَصِّنْهُ، وذُبَّ عنه، وأوقعْ بالملحدين فيه، واقمعِ المارقين منه، واقتلِ الخارجين عنه بالعقابِ لهم والمَثُلاتِ بهم[5]، ولا تجاوزْ ما أمرَ الله به في محكمِ القرآن.

واحكمْ بالعدلِ ولا تشططْ؛ فإن ذلك أقطعُ للشَّغَبِ[6]، وأحسمُ للعدوِّ، وأنجعُ في الدواءِ، وعفَّ عن الفيءِ، فليس بك إليه حاجةٌ مع ما أخلِّفه لك[7]، وافتتح عملَك بصلةِ الرحمِ وبرِّ القرابةِ، وإياك والأَثَرَةَ[8] والتبذيرَ لأموالِ الرعيةِ، واشحنِ الثغورَ،

---

(١) في الكامل: والزم الحدود، فإن فيها خلاصك في الآجل... ولا تعتدَّ (هكذا مشددة، ولعلها: تتعدَّ) وتَعْتَدِ وتتعدَّ: تتجاوز الحد. تبور: تهلك.

(٢) في الكامل: عن.

(٣) سورة المائدة، آية ٣٣، وتكملة الآية: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٤) في الكامل: ودينه القيم.

(٥) ذبَّ: ادفع، اقمع المارقين: اقهر الخارجين والثائرين عليك وردَّهم، المثلات: جمع مثلة: وهي العقوبة والتنكيل.

(٦) لا تشطط: لا تَجُرْ وتجاوز الحدَّ. الشغب: الفتنة وهيجان الشر. أحسم للعدو: أشدُّ استئصالاً له.

(٧) في الكامل: خلَّفه الله لك. أخلِّفه: أتركه وترثه عني.

(٨) الأثرة: تفضيل الإنسان نفسه علىٰ غيره، ويقابلها الإيثار.

واضبطِ الأطرافَ، وأمِّنِ السُّبُلَ، وخُصَّ الواسطةَ[1]، ووسِّعِ المعاشَ، وسكِّنِ العامةَ، وأدخلِ المرافقَ عليهم، واصرفِ[2] المكارهَ عنهم، وأَعِدَّ الأموالَ واخزنها.

وإياك والتبذيرَ، فإن النوائبَ غيرُ مأمونةٍ، والحوادثَ غيرُ مضمونةٍ؛ وهي من شِيَمِ الزمانِ[3]، وأعدَّ الرجالَ والكُرَاعَ[4] والجندَ ما استطعت، وإياك وتأخيرَ عملِ اليومِ إلىٰ غدٍ[5]، فتتدارك عليك الأمورُ وتضيع. جدَّ في إحكامِ الأمورِ النازلاتِ لأوقاتها أولًا فأولًا، واجتهدْ وشمِّرْ فيها، وأعدِدْ[6] رجالاً بالليلِ لمعرفةِ ما يكون بالنهارِ، ورجالًا بالنهارِ لمعرفةِ ما يكونُ بالليلِ، وباشرِ الأمورَ بنفسك، ولا تضجَرْ ولا تكسلْ ولا تفشلْ، واستعملْ حسنَ الظنِّ بربك، وأسِئِ الظنَّ بعمَّالك وكتَّابِك، وخذْ نفسَك بالتيقُّظ، وتفقَّدْ من يبيتُ[7] علىٰ بابك، وسهِّل إذنك للناسِ، وانظرْ في أمرِ النُّزاعِ إليك[8]، ووكِّلْ بهم عينًا غيرَ نائمةٍ، ونفسًا غيرَ لاهيةٍ، ولا تنمْ فإن أباك لم ينمْ منذ وليَ الخلافةَ، ولا دخلَ عينَه غَمْضٌ[9] إلا وقلبه مستيقظٌ. هذه وصيتي إليك، والله خليفتي عليك)[10].

---

(١) اشحن: املأ وسدَّ. الثغور: جمع ثغر، الموضع يخاف هجوم الأعداء منه. الأطراف: جمع طرف، نواحي البلاد وحدودها. السبل: الطرق. الواسطة: الواسطة من القلادة الدُّرة التي في وسطها، ولعل المراد هنا الطرق القريبة المسلوكة (غير البعيدة الواقعة في الأطراف).

(٢) في الكامل: وادفع. المرافق: جمع مرفق، ما يرتفق به وينتفع ويستعان.

(٣) النوائب: الأحداث والمصائب. شيم الزمان: طبائعه.

(٤) الكراع: السلاح.

(٥) في الكامل: الغد. وتتدارك: تجتمع.

(٦) في الكامل: وأعدَّ.

(٧) أثبت محقق الكامل: تثبت، وأشار إلىٰ مثل رواية الأصل في الهامش، والتي جاءت في عدد من النسخ عنده.

(٨) النزاع: جمع نازع، الغرباء المقبلون عليك المسرعون إليك.

(٩) في الكامل: الغمض، وقوله: ولا تنم، كناية عن شدة التيقظ ومراقبة الأمور.

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ١٠٥-١٠٦، والكامل في التاريخ ٦/ ١٩-٢١، وورد صدرها: (إني ولدت... بعدي) في المختصر في أخبار البشر ٢/ ٧ وقال بعدها:=

[٤٢٢] وصية أبي جعفر المنصور للمهدي:

(هذا ما عَهِدَ عبدُ الله أميرُ المؤمنين إلىٰ المهدي محمدِ ابن أمير المؤمنين، وليِّ عهدِ المسلمين، حين أسندَ وصيَّته إليه بعده، واستخلفه علىٰ الرعيةِ من المسلمين، وأهلِ الذِّمَّةِ، وحرمِ الله وخزائنِهِ، وأرضِه التي يورثها من يشاء من عباده، والعاقبةُ للمتقين.

إن أميرَ المؤمنين يوصيك بتقوىٰ الله في البلادِ، والعملِ بطاعته في العبادِ، ويحذِّرُك الحسرةَ والندامةَ والفضيحةَ في القيامةِ، قبلَ حلولِ الموتِ، وعاقبةِ الفوتِ حين تقولُ: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]، هيهات! أين منك المَهْلُ وقد انقضىٰ عنك الأجلُ. وتقول: ربِّ أرجعني لعلي أعملُ صالحًا، فحينئذٍ ينقطعُ عنك أهلُك، ويَحِلُّ بك عملُك، فترىٰ ما قدمته يداك، وسَعَتْ فيه قدماك، ونطقَ به لسانُك، واستركبَتْ عليه جوارحُك، ولحظتْ له عينُك، وانطوىٰ عليه غيبُك[١]، فتُجزىٰ عليه الجزاءَ الأوفىٰ، إنْ شرًّا فشرًّا، وإنْ خيرًا فخيرًا.

فلتكُن تقوىٰ الله من شأنك، وطاعتُه من بالِك، استعنْ بالله علىٰ دينك، وتقرَّبْ به إلىٰ ربِّك، ونفسك فخذْ منها ولا تجعلها للهوىٰ، ولن تعملَ الشرَّ قامعًا[٢]، فليس أحدٌ أكثرَ وِزْرًا، ولا أعزَّ إثمًا، ولا أعظمَ مصيبةً، ولا أجَلَّ رَزِيئةً منك لتكاثفِ ذنوبك[٣]، وتضاعفِ أعمالك، إذ قلَّدك الله الرعيةَ تحكمُ فيهم بمثلِ الذَّرَّةِ، فيقتضون

=ووصاه وصية طويلة. وفي البداية والنهاية ١٣/ ٤٧٠: ولما عزم المنصور علىٰ الحج في هذه السنة -أعني سنة ثمانٍ وخمسين ومئة- دعا ولده المهدي وليَّ عهده من بعده فأوصاه في خاصة نفسه وفي أهل بيته وبسائر المسلمين خيرًا، وعلمه كيف يفعل الأشياء، ويسد الثغور، بوصايا يطول بسطها، وحَرَّج عليه ألَّا يفتح شيئًا من خزائن المسلمين حتىٰ يتحقق وفاته، فإن بها من الأموال ما يكفي المسلمين لو لم يُجْبَ إليهم من الخراج درهمٌ عشرَ سنين).

(١) استركبت عليه جوارحك: جعلتها تركبه من المعاصي والجرائر. لحظت عينك: استرقت النظر إليه. انطوىٰ عليه غيبك: أضمرته وأسررته في داخلتك.

(٢) لن تعمل: هكذا! قامعًا: قاهرًا ومذلاً.

(٣) وزرًا: ذنبًا. أجلَّ رزية: أعظم مصيبة. تكاثف: تكاثر.

منك أجمعون[1]، وتُكافئ على أفعالِ ولاتِك الظالمين، فإن الله يقول: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

فكأني بك وقد أوقفت بين يدي الجبارِ، وخَذَلَك الأنصارُ، وأسلمك الأعوانُ، وطُوِّقت الخطايا، وقُرِنَتْ بك الذنوبُ، وحَلَّ بك الوجَلُ، وقعدَ بك الفَشَلُ وكَلَّتْ حجَّتُك[2]، وقلَّتْ حيلتُك، وأُخذَت منك الحقوقُ، واقتادَ منك المخلوقُ، في يومٍ شديدٌ هولُه، عظيمٌ كربُه، تَشْخَصُ فيه الأبصارُ لدىٰ الحناجرِ كاظمين، ما للظالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يطاع، فما عسيت أن يكونَ حالك يومئذ، إذا خاصمك الخلقُ، واستقضىٰ عليك الحقُّ، إذ لا خاصةَ تنجيك، ولا قرابةَ تحميك، تُطلب فيه التِّبَاعَةُ[3]، ولا تُقبل فيه الشفاعةُ، ويُعملُ فيه بالعدلِ، ويُقضىٰ فيه بالفضلِ، قال الله: ﴿ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧].

فعليك بالتشميرِ لدينك والاجتهادِ لنفسك، فافكُكْ عنقَك، وبادرْ يومَك، واحذرْ غدَك، واتقِ دنياك، فإنها دنيا غادرةٌ موبقةٌ، ولتصدقْ لله نيتُك، وتعظمْ إليه فاقتُك، وليتسعْ إنصافُك، وينبسط عدلُك، ويؤمن ظلمُك، وواسِ بين الرعيةِ في الاحتكامِ، واطلبْ بجهدِك رضىٰ الرحمنِ، وأهل الدينِ فليكونوا أعضادَك، وأعطِ حظَّ المسلمين من أموالهم، ووفِّرْ لهم فَيْئَهم، وتابعْ أعطياتهم عليهم، وعجِّل بنفقاتهم إليهم سنةً سنةً، وشهرًا شهرًا.

وعليك بعمارةِ البلادِ بتخفيفِ الخراجِ، واستصلحِ الناسَ بالسيرةِ الحسنةِ

(١) قلَّدك الله الرعية: فوَّض إليك أمرها. الذرة: واحدة الذر، وهو صغار النمل، قال ثعلب: إن مئة منها وزن حبة، من شعير، فكأنها جزء من مئة، يضرب بها المثل للشيء القليل. يقتضون: يطلبون حقوقهم ويأخذونها.

(٢) طوَّقتَ الخطايا: جعلت لك كالطوق. حلَّ بك الوجل: نزل بك الخوف. قعد بك الفشل: أقامك وخلَّفك النكول والجبن. كلَّت حجتك: ضعفت.

(٣) تباعة الأمر: عاقبته وما يترتب عليه من أثر.

والسياسةِ الجميلةِ، وليكن أهمُّ أمورِك إليك تحفُّظَ أطرافِك، وسدَّ ثغورِك، وانكماشَ بعوثِك[1]، وارغبْ إلىٰ الله ﷻ في الجهادِ، والمحاماةِ عن دينه، وإهلاكِ عدوِّه بما يفتح الله علىٰ المسلمين ويمكّن لهم في الدينِ، وابذُلْ في ذلك مهجتَك ونجدتَك ومالَك، وتفقدْ جيوشَك ليلَك ونهارَك، واعرفْ مراكزَ خيلِك ومواطنَ رحلِك[2]، وبالله فليكُن عصمتُك وحولُك وقوتُك، وعليه فليكُن ثقتُك واقتدارُك وتوكُلك، فإنه يكفيك ويغنيك وينصرك، وكفىٰ به مؤيدًا ونصيرًا)[3].

[٤٢٣] قال المنصور للمهدي:

(لا ينبغي أن يكونَ الحاجبُ جهولًا، ولا غبيًّا، ولا عييًّا، ولا ذهولًا، ولا متشاغلًا، ولا خاملًا ولا محتقرًا، ولا جَهمًا ولا عبوسًا؛ فإنه إن كان جهولًا أدخلَ علىٰ صاحبِه الضَّررَ من حيث يُقدِّر المنفعةَ، وإن كان عييًّا لم يؤدِّ إلىٰ صاحبِه ولم يؤدِّ عنه، وإن كان غبيًّا جَهِلَ مكانَ الشريفِ فأحلَّه غيرَ منزلته وحطَّه عن مرتبتِه، وقدَّم الوضيعَ عليه، وجهل ما عليه وما له، وإن كان ذهولًا متشاغلًا أخلَّ بما يحتاجُ إليه صاحبُه في وقته، وأضاعَ حقوقَ الغاشين لبابه، واستدعىٰ الذمَّ من الناسِ له، وأذن عليه لمن لا يحتاجُ إلىٰ لقائه ولا ينتفعُ بمكانه. وإذا كان خاملًا محتقرًا أحلَّ الناسُ صاحبَه في محلِّه وقضوا عليه به. وإذا كان جهمًا عبوسًا تلقَّىٰ كلَّ طبقةٍ من الناسِ بالمكروهِ، فتركَ أهلُ النصائحِ نصائحَهم، وأخلَّ بذوي الحاجاتِ في حوائجهم، وقلَّتِ الغاشيةُ لبابِ صاحبِه، فرارًا من لقائه)[4].

---

(١) كمش في أمره: عزم وأسرع فيه.

(٢) مواطن رحلك: أماكن إقامتك، وربما كانت مصحفة عن: رجلك، أي مشاتك.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩٢-٣٩٤، وعقَّب عليها بقوله: وأمَرَه بعد ذلك بأمور يطول الكتاب بها، فاقتصرنا علىٰ صدر الوصية!

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في رسائل الجاحظ ٢/ ٣٧-٣٨ (كتاب الحجاب).

[٤٢٤] وقال المنصور لولده:

(لذةُ العفوِ أطيبُ من لذةِ التشفي)[١].

[٤٢٥] قال المنصور لولده:

(خذ عني ثنتين: لا تقلْ بغيرِ تفكيرٍ[٢]، ولا تعملْ بغيرِ تدبير)[٣].

[٤٢٦] قال المنصور للمهدي:

(يا أبا عبد الله[٤]، ليس العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ الذي وقعَ فيه حتىٰ يخرجَ منه، ولكنه الذي يحتالُ للأمرِ الذي غَشِيَه حتىٰ لا يقعَ فيه[٥])[٦].

[٤٢٧] قال المنصور للمهدي:

(يا أبا عبدِ الله، لا تجلسْ مجلسًا إلا ومعك[٧] من أهلِ العلمِ من يحدِّثك؛

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في نهاية الأرب ٦/ ٥٩.
(٢) في المستطرف: اثنتين. وفيه (٢٩): من غير. وفيه (١٢٨): في غير.
(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٣/ ١٤٧، والمستطرف ٢٩، ١٢٨.
(٤) في البداية والنهاية: يا بني.
(٥) في نثر الدر: ليس العاقل الذي يتحرز من الأمر الذي يقع فيه حتىٰ يخرج منه، إنما العاقل من يتحرز من الأمر الذي يخشاه حتىٰ لا يقع فيه. وفي كتاب أسرار الحكماء: إذا وقع فيه يخرج منه ولكن العاقل... قبل أن يغشاه...
(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ٧٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٤٦٨. كما وردت في نثر الدر ٣/ ٨٦، وكتاب أسرار الحكماء ١٣٠. وقد نسب القول لزياد بن أبي سفيان في العقد الفريد ٢/ ٢١٩، ونثر الدر ٥/ ١٢، وشرح نهج البلاغة ١٦/ ١٩٨، ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ٨٣.
(٧) في الجليس الصالح وكتاب أسرار الحكماء: إلا ومعك فيه رجل من.

فإنَّ محمدَ بنَ شهابٍ[1] الزهري قال: الحديثُ ذَكَرٌ ولا يحبُّه إلا ذكورُ الرجالِ، ولا يبغضُه إلا مؤنثوهم[2]، وصَدَقَ أخو زهرة![3])[4].

[٤٢٨] قال أبو جعفر المنصور للمهدي:

(يا أبا عبدِ الله، لا يصلحُ السلطانُ إلا بالتقوىٰ، ولا تصلحُ رعيتُه إلا بالطاعةِ، ولا تعمرُ البلادُ بمثلِ العدلِ، ولا تدومُ نعمةُ السلطانِ وطاعتُه إلا بالمالِ، ولا تَقَدُّمَ في الحياطةِ بمثلِ نقلِ الأخبارِ، وأقدرُ الناسِ علىٰ العفوِ أقدرُهم علىٰ العقوبة، وأعجز الناس من ظلم من هو دونه. واعتبر عَمَلَ صاحبك وعلمَه باختبارِه)[5].

---

(١) في الجليس الصالح: فإن محمد بن مسلم بن شهاب. وفي كتاب أسرار الحكماء: فإن ابن شهاب.
وابن شهاب هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي، أحفظ الناس وأعلمهم بالسنة في زمانه، ولد سنة ٥٠، وتوفي في رمضان سنة ١٢٤، أو ١٢٥هـ. انظر: وفيات الأعيان ٤/ ١٧٧، والوافي ٥/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦.
ومقولته وردت في المحاسن والأضداد ٧، والمحاسن والمساوئ ٥ وفيهما: الأدب ذكر... وفي الظرف والظرفاء ٥١، وفيه: الأخبار ذكران... وفي الحلية ٣/ ٣٦٥ عن أبي بكر الهذلي قال: قال لي الزهري: أيعجبك الحديث؟ قلت: نعم. قال: إنما يعجب به مذكَّرو الرجال ويكرهه مؤنثوهم!

(٢) في كتاب أسرار الحكماء: إن الحديث ذكر تحبه الذكور من الرجال، ويكرهه مؤنثوهم.

(٣) في المصدر السابق: وتمثل بقول أخي بني زهرة:

إن المشيب وقد بدا في عارضي ... صرف الغواني فانصرفت كريما
وصحوت إلا من لقاء محـدِّث ... حسنِ الحديث يزيدني تعليما

قلت: ورد البيتان في ديوان إبراهيم بن العباس الصولي ١٧٦-١٧٧ برواية الأول:

إن الزمـان وما تـرىٰ بمفارقي ... صـرف الغواية فانصرفت كريما

ورواية آخر الثاني: يزيدني تفهيما. كما ورد البيتان له في البصائر والذخائر ٢/ ١٤٥.
ونسب البيتان لبشار ضمن أربعة أبيات في ملحقات ديوانه ٤/ ١٨٩-١٩٠. كما نسب البيتان إلىٰ (عمرو بن مرة الجهني، صاحب رسول الله ﷺ)، في الظرف والظرفاء ٦٢.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ٧٢، والجليس الصالح الكافي ١/ ٢٢٩، كما وردت في كتاب أسرار الحكماء ٤١.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ٧١-٧٢.

[٤٢٩] قال المنصور للمهدي:

(يا أبا عبدِ الله، الخليفةُ[١] لا يصلحه إلا التقوىٰ، والسلطانُ لا يصلحه إلا الطاعةُ، والرعيةُ لا يصلحها إلا العدلُ، وأولىٰ الناسِ بالعفوِ أقدرهم علىٰ العقوبةِ، وأنقصُ الناسِ[٢] عقلاً من ظلمَ من هو دونه)[٣].

[٤٣٠] قال المنصور للمهدي[٤]:

(يا أبا عبدِ الله، لا تبرمنْ[٥] أمرًا حتىٰ تفكِّرَ فيه، فإن فكرةَ العاقلِ مرآةٌ[٦]، تريه قبيحَه وحسنَه[٧])[٨].

---

(١) في الوزراء والكتاب وتاريخ الموصل ومختصر تاريخ دمشق والبداية والنهاية: إن الخليفة.
(٢) في نثر الدر: وأنقص الناس مروءة وعقلاً.
(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل المنسوب للمبرد ٨٨، ومجالس ثعلب ١/ ١٨٧، والوزراء والكتاب ١٢٦، وتاريخ الموصل ٢٠٢، ونثر الدر ٣/ ٨٩، والمصباح المضيء ١/ ٢٣٠، ومختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٧. والبداية والنهاية ١٣/ ٤٦٣، وتاريخ الخلفاء ٢٦٤، ووردت منسوبة للمنصور -دون تصريح بأنها وصية- في تاريخ بغداد ١٠/ ٥٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٨٥، وتاريخ الإسلام وفيات (١٤١-١٦٠)/ ٤٦٨. وقد نُسب منها قوله: (أولىٰ الناس... دونه) إلىٰ خالد بن صفوان في معجم الأدباء ٣/ ١٢٣٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٦٥.
(٤) **مناسبة الوصية**: قالها له حين أنفذه إلىٰ الري. انظر: الوزراء والكتاب.
(٥) في العقد الفريد ونهاية الأرب وعين الأدب والسياسة: يا بني. وفي تاريخ الطبري والوزراء والكتاب والكامل في التاريخ: لا تبرم.
(٦) في زهر الآداب ونهاية الأرب وعين الأدب والسياسة وتاريخ الخلفاء: مرآته. وفي الطبري: فإن فكر العاقل مرآته.
(٧) في الطبري والوزراء والكتاب: حسنه وسيئه. وفي زهر الآداب: قبحه وحسنه. وفي العقد ونهاية الأرب وعين الأدب والسياسة: حسناته وسيئاته.
(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في مجالس ثعلب ١/ ١٨٧، والوزراء والكتاب ١٢٦، وتاريخ الطبري ٨/ ٧١، وزهر الآداب ١/ ١٨٠، ونثر الدر ٣/ ٨٩، وتاريخ الخلفاء ٢٦٤، وقد وردت في صدر الوصية السابقة في العقد الفريد ١/ ٥٧، ونهاية الأرب ٦/ ٤١، وعين الأدب والسياسة ٢٦٤.

[٤٣١] قال المنصور للمهدي[١]:

(يا أبا عبدِ الله[٢]، استدمِ[٣] النعمةَ بالشكرِ، والقدرةَ[٤] بالعفوِ، والطاعةَ بالتألُّف[٥]، والنصرَ بالتواضعِ[٦]، ولا تنسَ مع نصيبك من الدنيا نصيبَك من رحمةِ الله)[٧].

[٤٣٢] قال المنصور للمهدي:

(لا تبرمْ أمرًا حتىٰ تفكِّرَ فيه، فإن فكرَ العاقلِ مرآتُه تريه حسنَه وسيئَه. يا بني، لا يصلح السلطانُ إلا بالتقوىٰ، ولا تصلحُ رعيته إلا بالطاعةِ، ولا تعمُرُ البلادُ بمثلِ العدلِ، وأقدرُ الناسِ علىٰ العفوِ أقدرهم علىٰ العقوبةِ، وأعجزُ الناسِ من ظلمَ من هو دونه، واعتبرْ عملَ صاحبك وعلمه باختبارِه.

---

(١) **مناسبة الوصية**: حين عهد له بولاية العهد. انظر الطبري ونثر الدر.

(٢) في جمل من أنساب الأشراف ونثر الدر والبداية والنهاية: يا بني. وفي مختصر تاريخ دمشق: أي بني.

(٣) في مختصر تاريخ دمشق: ائتدم. وعلقت علىٰ ذلك المحققة: الإدام معروف: ما يؤتدم به مع الخبز، يقال: أدم الخبز باللحم. فكأنه أراد أن الشكر يصلح النعمة كما يصلح الإدام الخبز!

(٤) في تاريخ الخلفاء: المقدرة.

(٥) في تاريخ الموصل والبداية والنهاية: بالتأليف. وفي مختصر تاريخ دمشق: بالتآلف!

(٦) في جمل من أنساب الأشراف: بالتواضع لله والرحمة للناس. وفي نثر الدر: والرحمة من الله بالرحمة للناس. وفي المجتنىٰ ومختصر تاريخ دمشق وتاريخ الخلفاء: بالتواضع والرحمة للناس. وفي البداية والنهاية كذلك وبعدها فيه: ولا تنسَ نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ٧١، وجمل من أنساب الأشراف ٤/ ٣٥٩، والوزراء والكتاب ١٢٦، والمجتنىٰ ٧١، وتاريخ الموصل ٢٠٢، ونثر الدر ٣/ ٨٥، والتذكرة الحمدونية ١/ ٤٢٤، ومختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٤٦٣، وتاريخ الخلفاء ٢٦٤.

يا أبا عبدِ الله، لا تجلسْ مجلسًا إلا ومعك من أهلِ العلمِ من يحدثك؛ ومن أحبَّ أن يحمدَ أحسنَ السيرةِ، ومن أبغضَ الحمدَ أساءها، وما أبغضَ الحمدَ أحدٌ إلا استذمَّ، وما استذمَّ إلا كُرِهَ.

يا أبا عبدِ الله، ليس العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ الذي غشيه، بل العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ حتىٰ لا يقعَ فيه)[1].

[٤٣٣] قال المنصور لابنه المهدي[2]:

(يا بني، إني قد جمعتُ لك من الأموالِ ما لم يجمعْه خليفةٌ قبلي، وجمعتُ لك من الموالي ما لم يجمعْه خليفةٌ قبلي، وبنيتُ لك مدينةً لم يكنْ في الإسلامِ مثلها، ولست أخافُ عليك إلا أحدَ رجلين: عيسىٰ بنَ موسىٰ[3]، وعيسىٰ بنَ زيدٍ[4]؛ فأما عيسىٰ بنُ موسىٰ فقد أعطاني من العهودِ والمواثيقِ ما قبلتُه، والله

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في الكامل في التاريخ ٦/ ٢٧، وهي في جملتها مجموعة وصايا سبقت. وقد روىٰ الطبري والجهشياري وغيرهما كل وصية بسند.

(٢) **مناسبة الوصية**: (لما حج المنصور في السنة التي توفي فيها شيَّعه المهدي فقال: ...).

(٣) عيسىٰ بن موسىٰ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فارس بني العباس، جعل له السفاح ولاية العهد بعد المنصور، وعلىٰ يده توطدت الدولة العباسية، وقد عمل المنصور بالترهيب وبذل الأموال الطائلة علىٰ تنازله للمهدي عن ولاية العهد سنة ١٤٦. وتوفي في الكوفة سنة ١٦٨هـ.

انظر: الوزراء والكتاب ١٢٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٣٤.

(٤) أبو يحيىٰ عيسىٰ بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد في أيام هشام بن عبد الملك، كان -كما يقول أبو الفرج الأصفهاني- أفضل من بقي من أهله دينًا وعلمًا وورعًا وزهدًا وتقشفًا، وأشدهم بصيرة في أمره ومذهبه. كما كان شجاعًا مقدامًا. كان علىٰ ميمنة محمد بن عبد الله النفس الزكية حين ثار علىٰ أبي جعفر في المدينة، كما كان علىٰ ميمنة أخيه إبراهيم حين ثار في العراق، وبعد قتل إبراهيم توارىٰ ثمانيا وعشرين سنة، وكان يستتر بزي الجمالين، حتىٰ توفي في عهد المهدي.

انظر: مقاتل الطالبيين ٤٠٥، وجمهرة أنساب العرب ٥٦.

لو لم يكُن إلا أن يقولَ قولًا لما خفتُه عليك، فأخرجْه من قلبك، وأما عيسىٰ بنُ زيد فأنفقْ هذه الأموالَ واقتلْ هؤلاء الموالي، واهدِمْ هذه المدينةَ حتىٰ تظفرَ به، ثم لا ألومك)[1].

[٤٣٤] قال المنصور للمهدي:

(يا أبا عبدِ الله، من أحبَّ الحمدَ أحسنَ السيرةَ، ومن أبغضَ الحمدَ أساءها، وما أبغضَ أحدٌ الحمدَ إلا استذمَّ، وما استذمَّ إلا كُرِهَ)[2].

[٤٣٥] قال المنصور لابنه المهدي:

([يا بني][3]، أشبعِ العباسَ بنَ محمد[4]، فإنك إن لم تشبعْه يأكلْك، وأما محمدُ

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ١٠٦-١٠٧. ويذكر الأصفهاني في مقاتل الطالبيين أن المهدي بذل مجهودًا كبيرًا في البحث والتحري عن عيسىٰ بن زيد ولم يتنفس الصعداء حتىٰ علم بموته، فسجد شكرًا لله. انظر: مقاتل الطالبيين الصفحات ٤١١، ٤١٢، ٤١٦-٤١٧، ٤٢٢.

وأما جمع أبي جعفر للأموال فقد ورد في تاريخ الطبري ٨/ ٧٢، والكامل في التاريخ ٦/ ٢٧-٢٨، و(باختلاف يسير) في البداية والنهاية ١٣/ ٤٦٩: (قال المنصور يومًا للمهدي: كم راية (في بعض نسخ الطبري والبداية والنهاية: دابة) عندك؟ قال: لا أدري؟ قال: هذا والله التضييع؛ أنت لأمرِ الخلافة أشد تضييعًا، ولكن قد جمعت لك ما لا يضرك معه ما ضيَّعت؛ فاتقِ الله فيما خوَّلك).

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ٧٢.

(٣) زيادة عن التذكرة الحمدونية.

(٤) أبو الفضل العباس بن محمد أخو المنصور، كان من رجالات بني هاشم جودًا، ورأيًا وشجاعة، ولي الشام للمنصور، وولي الجزيرة للرشيد، وحج بالناس مرات، وغزا الروم فانتصر وغنم. ولد سنة ١٢٠هـ وتوفي سنة ١٨٦هـ.

انظر: جمل من أنساب الأشراف ٤/ ٣٧٩، وتاريخ بغداد ١/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٤.

بنُ إبراهيم[1] فإنه إذا قدرَ علىٰ فرجِ امرأته لم يفارقْه، وإياك أن تولِّي محمدَ بن سليمان[2] صعودَ المنبرِ، فإنه إن صعدَه همَّ بالخلافة)[3].

[٤٣٦] قال المهدي[4] لابنه موسى[5]:

(يا بني، إن صار لك هذا الأمرُ[6] فتجرَّدْ لهذه العصابةِ -يعني أصحابَ ماني[7]- فإنها فرقةٌ تدعو الناسَ إلىٰ ظاهرٍ حسنٍ، كاجتنابِ الفواحشِ والزهدِ

---

(١) لعل المراد محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عباس الهاشمي. ولي دمشق لابن عمه المهدي. وكان كبير الشأن يُذكر للخلافة. ولي الحج في خلافة المنصور عدة سنين. عاش ثلاثًا وستين سنة، وتوفي ببغداد سنة ١٨٥هـ.
انظر: تاريخ بغداد ١/ ٣٨٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٨٨، والعقد الثمين ١/ ٤٠١.

(٢) لعله محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. كان فارس بني هاشم وعظيمهم في وقته، وهو الذي قتل إبراهيم بن عبد الله العلوي حين خرج علىٰ أبي جعفر، كان جوادًا ممدحًا، تولىٰ الكوفة والبصرة للمنصور ثم للمهدي. ثم أقره الرشيد وزاد في إمارته زيادة كبيرة، ثم نقم عليه واستصفىٰ أمواله الضخمة. توفي سنة ١٧٣هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٥/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٠، والوافي ٣/ ١٢١.

(٣) **التوثيق:** وردت الوصية في محاضرات الأدباء ١/ ٤٤٧، وقد ورد صدرها: (يا بني أشبع... أكلك) في نثر الدر ٣/ ٨٤، والتذكرة الحمدونية ١/ ٤٢٣.

(٤) **صاحب الوصية:** أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور، ولد سنة ١٢٧، وتولىٰ الخلافة بعد أبيه، كان جوادًا ممدحًا محببًا إلىٰ الرعية كثير العطايا. اشتهر بمحاربة الزندقة وتتبع الزنادقة. توفي في المحرم سنة ١٦٩هـ عن ثلاث وأربعين سنة.
انظر: المعارف ٣٧٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٠، وفوات الوفيات ٣/ ٤٠٠.
وابنه موسىٰ أبو محمد ولد سنة ١٤٧، وتولىٰ الخلافة بعد أبيه. كان شجاعًا فصيحًا أديبًا مهيبًا عظيم السطوة. مات سنة ١٧٠هـ عن ثلاث وعشرين سنة، وكانت خلافته سنة وشهرًا. انظر: المعارف ٣٨٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٤١، وفوات الوفيات ٤/ ١٧٣.

(٥) **مناسبة الوصية:** قالها المهدي لابنه موسىٰ يومًا وقد قُدِّم إليه زنديق فاستتابه، فأبىٰ أن يتوب، فضرب عنقه وأمر بصلبه.

(٦) في الكامل: إذا صار الأمر إليك.

(٧) (المانوية أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بن أزدشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور، وذلك بعد عيسىٰ عليه السلام. أخذ دينًا بين المجوسية، والنصرانية... وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين؛ أحدهما نور والآخر ظلمة...) الملل والنحل ١/ ٢٤٤.

في الدنيا، والعملِ للآخرة، ثم تخرجها إلىٰ تحريمِ اللحمِ[1] ومسِّ الماءِ الطهورِ وتركِ قتلِ الهوامِّ تَحَرُّجًا[2] وتحوُّبًا، ثم تخرجها من هذه إلىٰ عبادةِ اثنين: أحدُهما النورُ، والآخرُ الظلمةُ، ثم تبيحُ بعد هذا نكاحَ الأخواتِ والبناتِ، والاغتسالِ بالبولِ، وسرقةِ الأطفالِ من الطرقِ، لتنقذَهم من ضلالِ الظلمةِ إلىٰ هدايةِ النورِ، فارفعْ فيها الخَشَبَ[3]، وجرِّدْ فيها السيفَ، وتقرَّبْ بأمرها إلىٰ الله لا شريك له، فإني رأيت جدَّك العباسَ في المنامِ قلَّدني بسيفين[4]، وأمرني بقتلِ أصحابِ الاثنين)[5].

[٤٣٧] قال المهدي لابنه موسى[6]:

(أي بني، إنك قد أصبحتَ لسَمْتِ عيون العامةِ نَصْبًا، ولمَثْنَىٰ أعطافِ الرعيةِ غايةً[7]، فحسنتك شاملةٌ، وإساءتك ناميةٌ، وأمرك ظاهرٌ، فعليك بتقوىٰ الله ﷻ

---

(١) في الكامل: تخرجها من هذا إلىٰ تحريم اللحوم.

(٢) الهوام من الزواحف: جمع هامة، كل ذي سمٍّ قاتل. تحرُّجًا: تجنبًا للحرج، وهو الإثم. تحوُّبًا: تركًا للحوب، وهو الإثم.

(٣) ارفع فيها الخشب: انصبها للصلب، أي شدَّ أطرافهم وعلقهم عليها.

(٤) قلدني بسيفين: ألقىٰ حمالتهما (ما يعلق به السيف) في عنقي.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢٠، والكامل في التاريخ ٦/ ١٠٤-١٠٥، وفيهما (فلما ولي الهادي قال: لأقتلن هذه الفرقة، وأمر أن يهيأ له ألف جذع، فمات بعد هذا القول بشهرين).

(٦) **مناسبة الوصية**: عقب ثورة أهالي خراسان، وطردهم عمالهم، ومنعهم الخراج، جمع المهدي بعض قرابته ووزراءه وأرسل إلىٰ ولديه موسىٰ وهارون فأحضرهما الأمر، وأشركهما في الرأي، وقال للعباس بن محمد عمه: أي عمٍّ، تعقَّب قولنا، وكن حكمًا بيننا. وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم وإثبات مقالتهم في كتاب! ثم بعد تلك المشاورات (بعث في ابنه موسىٰ. فقال: أي بني...) وقد علق محقق العقد علىٰ الجملة الأخيرة بقوله: بعث في ابنه، أي في طلب ابنه. وقد وردت هذه العبارة هكذا في أكثر الأصول. والذي في (أ): ثم بعث إليه. قلت: الذي يظهر لي أن المراد أنه وجهه إلىٰ خراسان وأوصاه بذلك لأنه -كما مرَّ- كان حاضرًا ذلك المجلس! ثم إنه في نهاية الوصية يقول له: فسر علىٰ بركة الله.

(٧) سامته: قابله ووازاه وواجهه. نصبًا: هدفًا. مثنىٰ: ميل. الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب من كل شيء. الغاية: النهاية والآخر.

وطاعته، فاحتملْ سخطَ الناسِ فيهما، ولا تطلبْ رضاهم بخلافهما، فإن الله ﷻ كافيك من أسخطه عليك إيثارُك رضاه، وليس بكافيك من يسخطه عليك إيثارُك رضا من سواه.

ثم اعلم أن لله تعالىٰ في كلِّ زمانٍ عِتْرَةً من رسله، وبقايا من صفوةِ خلقه، وخبايا لنصرةِ حقِّه[1]، يجددُ حبلَ الإسلامِ بدعواهم، ويشيد أركانَ الدينِ بنصرتهم، ويتخذهم لأولياءِ دينه أنصارًا، وعلىٰ إقامةِ عدله أعوانًا، يسدونَ الخللَ، ويقيمون المَيْلَ[2]، ويدفعونَ عن الأرضِ الفساد.

وإن أهل خراسانَ أصبحوا أيدي دولتنا، وسيوفَ دعوتنا، الذين نستدفعُ المكارهَ بطاعتهم، ونصرفُ نزولَ العظائمِ بمناصحتهم، وندافعُ ريبَ الزمانِ بعزائمهم، ونزاحمُ ركنَ الدهرِ ببصائرهم، فهم عمادُ الأرضِ إذا أرجفتْ كنُفُها، وحُتُوفُ الأعداء إذا برزتْ صفحتُها[3]، وحصونُ الرعيةِ إذا تضايقتْ الحالُ بها، قد مضتْ لهم وقائعُ صادقاتٌ، ومواطنُ صالحاتٌ، أخمدتْ نيرانَ الفتنِ، وقصمتْ دواعيَ البدعِ، وأذلَّتْ رقابَ الجبارين، ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ريحِ دولتنا[4]، وأقاموا في ظلِّ دعوتنا، واعتصموا بحبلِ طاعتنا، التي أعزَّ الله بها ذلَّتهم، ورفعَ بها ضَعَتَهم، وجعلهم بها أربابًا في أقطارِ الأرضين[5]، وملوكًا علىٰ رقابِ العالمين، بعد لباسِ الذُّلِّ، وقِنَاعِ الخوفِ، وإطباقِ البلاءِ، ومحالفةِ الأسىٰ[6]، وجَهْدِ البأسِ والضرِّ.

---

(١) العترة: الأصل وما تفرعت منه الشعب. الخبايا: جمع خبيئة، ما يخبأ ويدخر.

(٢) الخلل: الفساد والضعف. وأصل الخلل: منفرج ما بين كل شيئين. الميل: الانحراف.

(٣) أرجفت كنفها: اضطربت جوانبها. حتوف: جمع حتف، الهلاك. برزت صفحتها: أظهرت عداوتها وكاشرت بمكنون شرورها.

(٤) لم ينفكوا: استمروا. الريح: القوة والغلبة.

(٥) الضعة: الدناءة والحقارة. الأرباب: الأسياد والملاك، جمع رب.

(٦) إطباق البلاء: شموله وطغيانه. محالفة الأسىٰ: ملازمة الحزن.

فظاهِرْ عليهم لباسَ كرامتك[١]، وأنزلهم في حدائقِ نعمتك، ثم اعرفْ لهم حقَّ طاعتهم، ووسيلةَ دالتِهم، وماتَّةَ سابقتِهم، وحرمة مناصحتهم[٢] بالإحسانِ إليهم، والتوسعةِ عليهم، والإثابةِ لمحسنهم، والإقالةِ لمسيئهم[٣].

أي بني، ثم عليك العامةَ، فاستدعِ رضاها بالعدلِ عليها، واستجلب[٤] مودتها بالإنصافِ لها، وتَحَسَّن بذلك لربك، وتَزَيَّنْ به في عين رعيتك، واجعلْ عمالَ القدرِ، وولاةَ الحججِ مقدِّمةً بين يدي عملك، ونَصَفَةً[٥] منك لرعيتك، وذلك أن تأمرَ قاضيَ كلِّ بلدٍ، وخيارَ أهلِ كلِّ مصرٍ، أن يختاروا لأنفسهم رجلًا توليه أمرهم، وتجعل العدلَ حاكمًا بينه وبينهم، فإن أحسنَ حُمدتَ، وإن أساء عُذرتَ، هؤلاء عمالُ القدرِ وولاةُ الحججِ، فلا يضيعنَّ عليك ما في ذلك -إذا انتشرَ في الآفاقِ، وسبق إلىٰ الأسماعِ- من انعقادِ ألسنةِ المرجفين، وكَبْتِ[٦] قلوبِ الحاسدين، وإطفاءِ نيرانِ الحروبِ، وسلامةِ عواقبِ الأمورِ.

ولا ينفكَّنَّ في ظلِّ كرامتك نازلًا، وبعُرَا حبلِك متعلِّقًا، رجلان: أحدُهما كريمةٌ[٧] من كرائم رجالاتِ العربِ، وأعلامِ بيوتاتِ الشرفِ، له أدبٌ فاضلٌ، وحِلمٌ راجحٌ، ودينٌ صحيحٌ، والآخرُ له دينٌ غيرُ مغْمُوزٍ، وموضعٌ غيرُ مدخولٍ[٨]، بصيرٌ بتقليبِ الكلامِ، وتصريفِ الرأيِ، وأنحاءِ الأدبِ[٩]، ووضعِ الكتبِ، عالمٌ بحالاتِ

---

(١) جهد: شدة. ظاهر: ضاعف، يقال: ظاهر بين الثوبين: طابق بينهما، ولبس أحدهما علىٰ الآخر.

(٢) وسيلة دالتهم: طريق ارتفاعهم وشهرتهم. الماتَّة: الحرمة. الحرمة: ما لا يحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة أو نحو ذلك.

(٣) الإقالة: الصفح والتجاوز.

(٤) استدع واستجلب: اطلب.

(٥) النصفة: المنصفون.

(٦) أرجف القوم: خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن. كبت فلان فلانًا: غاظه وأذله وأخزاه.

(٧) الكريمة: الكريم.

(٨) مغموز: متهم. مدخول: فاسد أو معيب.

(٩) أنحاء الأدب: شتاته وشوارده.

الحروبِ، وتصاريفِ الخطوبِ، يضعُ آدابًا نافعةً، وآثارًا باقيةً، من تجميلِ محاسنك وتحسينِ أمرك، وتحْلِيَةِ[1] ذكرك، فتستشيرَه في حربك، وتدخلَه في أمرك. فرجلٌ أصبته كذلك فهو يأوي إلىٰ محِلَّتي، ويرعىٰ في خُضْرَةِ جِناني[2].

ولا تدع أن تختارَ لك من فقهاءِ البلدانِ، وخيارِ الأمصارِ، أقوامًا يكونون جيرانك وسمَّارك، وأهل مشاورتك فيما تُورِد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصْدِر، فسِرْ علىٰ بركةِ الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلًا يهدي إلىٰ الصوابِ قلبك، وهاديًا يُنطقُ بالحقِّ لسانك)[3].

[٤٣٨] قال الوليدُ بنُ أبان[4] الكرابيسي لبنيه[5]:

---

(١) تحلية: تجميل وتزيين.

(٢) يأوي: يرجع. المحلَّة: منزل القوم. والمعنىٰ أنه وإن كان غير معروف لدي فكأنه علىٰ صلة عميقة بي، لاشتمال صفاته علىٰ ما أطلبه في مثله.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ١/ ٢٢٨-٢٣٠، وكتب في نهايتها -إشارة إلىٰ الوصية و(محضر) الاجتماع-: (وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومئة ببغداد). وعلق المحقق بقوله: (المعروف أن المهدي توفي سنة ١٦٩، وخلفه الهادي الذي توفي سنة ١٧٠، فلعل هذا تاريخ نشر الكتاب علىٰ الناس لا تاريخ كتابته، هذا إن صحَّت نسبته)، وابن عبد ربه ابتدأها بقوله: هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه، وما دار بينهم... وسبق -في المناسبة- الإشارة إلىٰ أَمْرِ المهديِّ محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم، وإثبات مقالتهم في كتاب. وهذا -في ظني- يضعف أن يكون التاريخ المذكور تاريخ نشر الكتاب. خاصة وبعث الهادي إلىٰ خراسان كان سنة ١٦٦هـ. وأسلوب الكتاب والوصية يشي بجوِّ الصناعة عليها.

(٤) **صاحب الوصية**: الوليد بن أبان الكرابيسي، أحد الأئمة، كان من كبار المعتزلة بالبصرة، وله في الاعتزال مقالات معروفة، يقوي بها مذاهب المعتزلة. كان أعلم الناس بالكلام بعد حفص الفرد، توفي سنة ٢١٤هـ.
انظر: المنتظم ٦/ ٢٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٨، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢١٠.

(٥) **مناسبة الوصية**: قال أحمد بن سنان: (كان الوليد الكرابيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه...).

(تعلمون أحدًا أعلمَ بالكلامِ[1] منِّي؟ قالوا: لا. قال: فتتَّهموني؟ قالوا: لا. قال: فإني أوصيكم، تقبلون[2]؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحابُ الحديثِ، فإني رأيت الحقَّ معهم، لستُ أعني الرؤساءَ، ولكن هؤلاء الممزَّقين، ألم ترَ أحدَهم يجيءُ إلىٰ الرئيسِ منهم فيخطئَه ويهجيَه[3])[4].

[٤٣٩] قال يحيى بن خالد[5] لولده جعفر:

(يا بني، إذا حدثك جليسك فأقبلْ إليه[6]، وأصغِ إليه، ولا تقلْ قد سمعناه[7] وإن كنتَ أحفظَ له منه، وحتىٰ[8] كأنك لم تسمعه إلا منه، فإن ذلك مما يكسبه المحبةَ والميلَ إليك[9]، ولا تستخدمه إذا جلس إلىٰ مؤانستك، فقد حُكي أنَّ هشامَ بنَ عبد الملك كان يعتمُّ فقام إليه سعيدُ بنُ الوليد، المعروفُ بالأبرش، ليُسَوِّي عمامته، فقال

(١) علم الكلام: هو علم يُقتدر معه علىٰ إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج العقلية عليها. انظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة ص٢٠٧.

(٢) في تلبيس إبليس: أتقبلون.

(٣) الممزقين: لعله يعني بهم ذوي الثياب الرثة والتقشف، الذين لا يأبهون بالمظاهر وحظوظ النفس. يهجيَه: يعلمه الصواب. والمعنىٰ: أنهم يأخذون الدين تلقينًا بعيدًا عن المحاجات العقلية.

(٤) **التوثيق:** وردت الوصية في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٤١، والمنتظم ٦/ ٢٤٧. وقد ورد صدرها في تلبيس إبليس ٨٤، كما وردت (باختصار يسير) في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٨، و(باختصار) في نفح الطيب ٥/ ٢٨٨.

(٥) **صاحب الوصية:** يحيىٰ بن خالد البرمكي، من رجال الدهر حزمًا، ورأيًا وسياسة وحذقًا بالتصرف، كلَّفه المهدي بتأديب ابنه الرشيد وتربيته، فلما استخلف الرشيد ارتفع قدره، وقدر أولاده عنده، وبالغ في تعظيمهم، ثم بعد حينٍ قتل جعفرًا وسجن يحيىٰ وابنه الفضل فيما عرف بنكبة البرامكة. ومات في سجن الرقة سنة ١٩٠هـ، وهو ابن سبعين سنة.
انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ١٢٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٨٩.

(٦) في بهجة المجالس: جليسك حديثًا، فأقبل عليه.

(٧) في المصدر السابق: قد سمعته.

(٨) في المصدر السابق: أحفظ له، وكأنك.

(٩) في المصدر السابق: يكسبك.

له: مَهْ، إنا لا نتخذُ الإخوان خولًا)[1].

[٤٤٠] وقال يحيى لجعفر[2] ابنه:

(يا بني، انتقِ من كلِّ علمٍ شيئًا[3]، فإنه من جهلَ شيئًا عاداه، وأنا أكرهُ أن تكونَ عدوًّا لشيء[4] من الأدبِ[5])[6].

[٤٤١] وقال يحيى بن خالد لابنه:

(عليك بكلِّ نوعٍ من العلمِ فخذْ منه، فإن المرءَ عدوٌّ ما جهل، وأنا أكرهُ أن تكونَ عدوًّا لشيءٍ من العلمِ)[7].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في غرر الخصائص الواضحة ٤٤٢، كما ورد منها قوله: (إذا حدثك... والميل إليك) في بهجة المجالس ١/ ٤٣ عن المدائني. والأبرش هو سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي، كان يكتب لهشام، وكان غالبًا عليه. انظر: الوزراء والكتاب ٥٩، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٦٩. وقد وردت حكاية هشام معه في عيون الأخبار ١/ ٢٦٦، والوزراء والكتاب ٥٩، ومحاضرات الأدباء ٢/ ١٧، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٣٦٥. وقد استشهد بها المأمون في موقف له مع كاتبه عمرو بن مسعدة في زهر الآداب ٢/ ٦٧٢، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٧٨.

(٢) جعفر بن يحيىٰ، كان وسيمًا فصيحًا بليغًا أديبًا، غاية في السخاء، غارقًا في اللذات، ذا تيهٍ وكِبْرٍ، قرَّبه الرشيد، ومكَّن له جدًّا، وكان لا يصبر عن الاجتماع به، ثم انتهىٰ به الأمر إلىٰ أن قتله سنة ١٨٧هـ وسجن أباه وأخاه الفضل.

انظر: تاريخ بغداد ٧/ ١٥٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٩.

(٣) في المنتظم والبداية والنهاية ونزهة الظرفاء: خذ، وفي الأولين: من كل شيء. وفيها جميعًا. طرفًا. انتقِ: اختر. الطرف: الطائفة من الشيء.

(٤) في محاضرات الأدباء: عدو الشيء. وهو تحريف.

(٥) في محاضرات الأدباء: الآداب. وفي نزهة الظرفاء: العلوم.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الوزراء والكتاب ٢٠٢-٢٠٣. كما وردت في محاضرات الأدباء ١/ ٥١، ونزهة الظرفاء ٥٣، وورد طرفها الأول: (خذ... عاداه) في المنتظم ٥/ ٥٤٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٧٧. وانظر الوصية الآتية.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في أدب الدنيا والدين ٥٧. وجاء بعدها: وأنشد: =

[٤٤٢] كان يحيى يقول لولده:

(انظروا في سائرِ العلومِ، فإن من جهل شيئًا عاداه، وأكره أن تكونوا أعداءً لشيءٍ من العلومِ)[١].

[٤٤٣] كان -يحيى بن خالد البرمكي- يقول لولده:

(اكتبوا أحسنَ ما تسمعون، واحفظوا أحسنَ ما تكتبون، وتحدثوا بأحسنِ ما تحفظون)[٢].

= تفنن وخذ من كل علم فإنما يفوق امرؤ في كل فنٍّ له علم
فأنت عدو للذي أنت جاهل به ولعلم أنت تتقنه سلم

وقد نُسِب قريب منها إلىٰ خالد بن برمك والد يحيىٰ. انظرها في موضعها. وانظر الوصية التالية.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المصون في الأدب ١١٣.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المصون ١١٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٢٩، والمنتظم ٥/ ٥٤٦، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨١٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢١، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٧٧، وشذرات الذهب ١/ ٣٢٧. وفي عيون الأخبار ٢/ ١٣٠، والوزراء والكتاب ٢٠٠: وكان يحيىٰ يقول: الناس. ومثل ذلك في شرح نهج البلاغة ١٨/ ٤٦ إلا أن فيه: وكان يقال. وفي البيان والتبيين ١/ ٢٥٨: وكان يقال: يكتب الرجل أحسن ما يسمع، ويحفظ أحسن ما يكتب. وفي ألف باء للبلوي ١/ ٦٠ يقال: العالم يكتب. وزاد علىٰ المصدر السابق: ويتكلم بأحسن ما يحفظ. وفي كتاب الفصوص لصاعد البغدادي ١/ ٣٠: (روي عن إياس بن معاوية أنه قيل له: بم سدت الناس، وفاق كلامك كلامهم؟ فقال: بأني كنت كتبت أحسن ما سمعت، وحفظت أحسن ما كتبت، وحدثت بأحسن ما حفظت).

وفي المحاسن والأضداد ٧، والمحاسن والمساوئ ٥، ومحاضرة الأبرار ١/ ٩: (قال مصعب بن الزبير: إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون، فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فإنك (لا ترىٰ و) لا تسمع (تستمع) إلا مختارًا، ولؤلؤًا منثورًا (منظومًا)).

وفي الكشكول ١/ ١٨: (قال بعض الحكماء لابنه: يا بني خذ العلم من أفواه الرجال، فإنهم يكتبون... ويقولون أحسن ما يحفظون). وقد نسبت الوصية إلىٰ المأمون وإلىٰ أبي حاتم الرازي (راجع وصاياهما).

[٤٤٤] وقال يحيى لابنه جعفر:

(يا بني، ما دامَ قلمُك يرعُفُ[١] فأمطرْه معروفًا)[٢].

[٤٤٥] قال يحيى بن خالد لبنيه:

(يا بني، إذا أقبلتِ الدنيا عليكم فأعطوا منها، فإنها لا تفنىٰ، وإذا أدبرتْ عنكم فأعطوا[٣] منها فإنها لا تبقىٰ)[٤].

---

(١) في المستطرف: يرعد! ويرعف: يسيل، ولعل المراد: استثمر اقتدارك في بذل النوال. وانظر الوصية الآتية.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٥/ ١٣٤، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٢٦٣، والمستطرف ١/ ٤٩٩.

(٣) في البداية والنهاية: فأنفقوا منها. وكذا في الموضع اللاحق.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل المنسوب للمبرد ٣٤، كما وردت في البداية والنهاية ١٣/ ٦٧٧، وقد ورد في تاريخ بغداد ١٤/ ١٣١، وربيع الأبرار ٣/ ٦٧٥، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨١٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢٦، والمستطرف ١/ ٤٩٩ -باختلاف يسير في بعضها- قال يحيىٰ البرمكي: إذا أقبلت الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنىٰ، وإذا أدبرت فأنفق فإنها لا تبقىٰ. ونسب هذا القول لجعفر بن يحيىٰ في سير أعلام النبلاء ٩/ ٦١. وقد عقب الزمخشري عليها -ونقله عنه الأبشيهي فيما يبدو- قائلًا: (فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول: لله درُّه ما أطبعه علىٰ الكرم وأعلمه بالدنيا، وقد أمر يحيىٰ من نظمه فقال:

لا تبخلــن بدنيــا وهي مقبــلة ... فليــس ينقصها التبــذير والــسرف

فإن تولت فأحرىٰ أن تجود بها ... فالشكر فيها إذا ما أدبرت خـلف)!

وقد نسب القول -باختلاف يسير جدًّا- لبزرجمهر في شرح مقامات الحريري ٤/ ٢٧١، وعقب عليه بقوله: أخذ هذا المعنىٰ الشاعر فقال: ...) وأورد البيتين. وفي الفاضل عن الأصمعي: (كان ابن هبيرة -وهو أمير العراق- يقسم المال بين أصحابه ويقول: ....) وأورد البيتين.

وفي حدائق الأزاهر ٢٨٤: (وقال بعضهم: إذا أقبلت الدنيا عليك... أخذ الشاعر هذا المعنىٰ فقال: ...).

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩/ ٢٣٧ نسب إلىٰ عبد الله بن طاهر بن الحسين قوله:

ليس في كـل حــالة وأوان ... تتهيــا صنــائع الإحسان

فإذا أمكنت تقدمــتُ فيها ... حــذرًا من تعذر الإمكان

[٤٤٦] كتب يحيى بن خالد البرمكي إلى ابنه جعفر[١]:

(يا بني، أنتم معاقلُ الأحرارِ، ومظانُّ المطالبِ[٢]، ومعادنُ الشكوىٰ، فكونوا سواءً في الأقوالِ والأفعالِ، فإن الحرَّ يدخرُ وعدَ الحرِّ ويعتقده وينفقه قبل مَلْكِه، فإن أخفق أملُه كان سببًا لذمِّه واتهامِه وسوءِ ظنِّه، حتىٰ يواريَ[٣] قبحُ ذلك حسنَ يقينه، فأنجزِ الوعدَ وإلا فاقصرِ القولَ فإنه أعذرُ، والسلام)[٤].

[٤٤٧] قال يحيى بن خالد لابنه جعفر[٥]:

(هي[٦] قميصُك؛ فإن شئت فوسِّعْه، وإن شئت فضيِّقْه[٧])[٨].

[٤٤٨] وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر:

(تريدُ أن تبنيَ دارَك، فاعلم أن عمرانَها عمرانٌ قليلٌ، وخرابَها خرابٌ قليلٌ،

---

(١) **مناسبة الوصية**: (شكا رجل جعفر بن يحيىٰ لأبيه: أنه وعده وعدًا ومطله به، فوقع: ...).

(٢) مظان المطالب: مواضع آمال أصحابها.

(٣) يواري: يستر ويغطي.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في نهاية الأرب للنويري ٣/ ٢٥٦. وقد ورد في شرح نهج البلاغة ١٩/ ٢٤٨: (وكان جعفر بن يحيىٰ يكره الوعد ويقول: الوعد من العاجز، فأما القادر فالنقد)!

(٥) **مناسبة الوصية**: حين اختطَّ دارًا ليبنيها. زاد في شرح النهج: ببغداد.

(٦) في محاضرات الأدباء: دارك قميصك. وفي اللطائف والظرائف: يا بني دارك قميصك.

(٧) في العقد: إن شئت فضيق... فوسع، وفي محاضرات الأدباء: فوسعها... فضيقها. وفي اللطائف والظرائف: فوسعه كيف شئت.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ١/ ٣١١، والعقد الفريد ٦/ ٢٣٧، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٥٩٥، وشرح نهج البلاغة ١٩/ ٢٧١. كما وردت -باختصار يسير- في اللطائف والظرائف للمقدسي ٦٠. وقد ورد في عيون الأخبار وشرح نهج البلاغة -باختلاف يسير- عقبها: (وأتاه وهو يبني داره التي ببغداد بقرب الدور، وإذا هم يبيِّضون حيطانها، فقال: اعلمْ أنك تغطي الذهب بالفضة، فقال جعفر: ليس في كل مكان يكون الذهب أنفع من الفضة، ولكن هل ترىٰ عيبًا؟ فقال: نعم مخالطتها دور السوقة)! وانظر الوصية اللاحقة.

فاستوسع فإن الهمَّة مع السَّعَة)[١].

[٤٤٩] كتب[٢] يحيى بن خالد البرمكي إلى ابنه الفضل[٣]:

(أما بعد، فقد بلغني عنك ما كنتَ جديرًا بغيره، وقد يهفو ذو الحِلْمِ، ويزلُّ ذو الحنكةِ[٤]، ثم يعودُ إلىٰ ما هو أولىٰ به، حتىٰ كأنَّ أهلَ دهرِه لم يعرفوه إلا بذلك، وقد قلتُ أبياتًا[٥] فاعلمْها ولا تتجاوزْها[٦]، فإنك إن تجاوزتها عزلتك عن سخطٍ، ولم أكلِّمْك حَولًا، وكتبَ في أسفلِ الكتابِ: (السريع)

انصبْ[٧] نهارًا في طِلاب العلا ... واصبر علىٰ فقد لقاء الحبيب

حتىٰ إذا الليل دنا مقبلًا ... واستترت فيه وجوهُ الغيوب[٨]

فباشر الليل بما تشتهي ... فإنما الليل نهار الأديب[٩]

كم من فتىٰ تحسبه ناسكًا ... يستقبل الليل بأمر عجيب

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في محاضرات الأدباء ٢/ ٥٩٥.

(٢) الفضل بن يحيىٰ كان أخًا للرشيد من الرضاعة، استوزره الرشيد مدة، ثم استعمله واليًا علىٰ خراسان والمشرق، كان غاية في السخاء، علىٰ كبرٍ وتيهٍ بارزين فيه. ولد سنة ١٤٧هـ وتوفي في سجن الرشيد بالرقة سنة ١٩٣هـ. انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٣٤١، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٩١.

(٣) **مناسبة الوصية**: (عن الأصمعي قال: ولَّىٰ يحيىٰ بن خالد بن برمك ابنه الفضل بن يحيىٰ خراسان، فبلغه عنه إقبال علىٰ اللذات وإهمال الرعية، فكتب إليه: ...).

(٤) في ربيع الأبرار: وقد يهفو ذو الحنكة ويزل الحليم. يهفو: يخطئ. ذو الحنكة: اللبيب العاقل. يزل: يخطئ.

(٥) في ربيع الأبرار: وقد كتبت إليك بأبيات.

(٦) في ربيع الأبرار: إن تجاوزتها صرمتك حولاً. صرمتك: هجرتك.

(٧) نصب في الأمر: جد فيه.

(٨) في ربيع الأبرار: دنا... وسترت... العيوب.

(٩) في ربيع الأبرار: الأريب. الأريب: ذو الدهاء والفطنة.

غطَّىٰ عليه الليلُ أثوابه   فبات في لهوٍ وعيشٍ خصيب[1]
ولذةُ الأحمقِ مكشوفةٌ   يرصدها كل حسود رقيب[2])[3]

[٤٥٠] كتب يحيى بن خالد البرمكي إلى ابنه الفضل[4]:

(حفظك الله يا بني، وأمتع بك، قد انتهىٰ إلىٰ أميرِ المؤمنين ما أنت عليه من التشاغلِ بالصيدِ ومداومةِ اللذاتِ عن النظرِ في أمورِ الرعيةِ ما أنكره، فعاودْ ما هو أزينُ بك، فإنه من عاد إلىٰ ما يزينه أو يشينه لم يعرفْه أهلُ دهرِه[5] إلا به، والسلام، وكتبَ في أسفله هذه الأبيات: (السريع)

انصب نهارًا في طلاب العلا   واصبر علىٰ فقد لقاء الحبيب
حتىٰ إذا الليل بدا مقبلًا   واستترت فيه وجوه العيوب[6]

---

(١) في ربيع الأبرار: أستاره.

(٢) في ربيع الأبرار: يسعىٰ بها كل عدو رقيب.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل للوشاء ١٠٦-١٠٧، كما وردت في ربيع الأبرار ٤/ ٥٠-٥١، وبعدها: (فلما وصله الكتاب امتثل بما فيه، وارتدع عما كان عليه). وقد جاءت الأبيات عند ابن عساكر (انظر: تاريخ دمشق ٦٥/ ٤٠٣)، -وعنه فيما يبدو- في البداية والنهاية ١١/ ٦٤٠-٦٤١ منسوبة إلىٰ معاوية بن أبي سفيان يخاطب بها ابنه يزيد حين أَحَسَّ بأنه أخذ مأخذ الأحداث! راجع وصايا معاوية ﷺ، وانظر الوصية الآتية.

(٤) **مناسبة الوصية**: (يحكىٰ أنه ورد علىٰ الرشيد يومًا كتابُ صاحبِ البريد بخراسان، ويحيىٰ بن خالد بين يديه، يذكر فيه أن الفضل بن يحيىٰ تشاغل بالصيد و[إدمان] اللذات عن النظر في أمور الرعية، فلما قرأه الرشيد رمىٰ به ليحيىٰ، وقال له: يا أبت اقرأ هذا الكتاب، واكتب إليه كتابًا يردعه عن مثل هذا، فمد يده إلىٰ دواة الرشيد وكتب إلىٰ الفضل علىٰ ظهر كتاب صاحب البريد: ... والرشيد ينظر إلىٰ ما يكتب [يحيىٰ] فلما فرغ قال له: أَبْلَغْتَ يا أبتِ، فلما ورد الكتاب علىٰ الفضل لم يفارق المسجد نهارًا (!) إلىٰ أن انصرف عن عمله)!

(٥) في معجم الأدباء: أهل زمانه.

(٦) في معجم الأدباء: وغاب فيه عنك وجه الرقيب.

فبـادر الليـل بمـا تشـتهي فإنمـا الليـل نهـار الأريـب[1]
كـم مـن فتـىٰ تحسـبه ناسـكًا يسـتقبل الليـل بأمـر عجيـب
ألقـىٰ عليـه الليـل أسـتاره فبات في لهـو وعيـش خصيـب[2]
ولـذة الأحمـق مكشـوفة يسعىٰ بهـا كل عدو رقيـب[3])[4]

[٤٥١] وكتب يحيى بن خالد إلى الفضل ابنه وهو بخراسان:

(يا بني، لا تُغْفِلْ نصيبَك من الكسل)[5].

[٤٥٢] أوصى يحيى بن خالد ابنه جعفرًا قال:

(لا تردَّ علىٰ أحدٍ جوابًا حتىٰ تفهمَ كلامَه، فإن ذلك يصرفك عن جوابِ كلامِه إلىٰ غيره، ويؤكدُ الجهلَ عليك، ولكن افهم عنه، فإذا فهمته فأجبْه، ولا تتعجلْ بالجوابِ قبل الاستفهامِ، ولا تستحي أن تستفهمَ إذا لم تفهم، فإن الجوابَ قبل الفهمِ حُمْقٌ، وإذا جهلتَ قبل أن تسألَ فاسأل، فيبدوَ لك، فسؤالُك واستفهامُك

(١) في وفيات الأعيان: فكابد.
(٢) في وفيات الأعيان: غطَّىٰ عليه.
(٣) في معجم الأدباء: مريب.
(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في مروج الذهب ٣/ ٣٧٧-٣٧٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٨. ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨١١-٢٨١٢، وقد ورد في سير أعلام النبلاء ٩/ ٩١، عن الفضل بن يحيىٰ: (وكان غارقًا في الملذات المردية، حتىٰ تعطلت الأمور، فكتب إليه الشيخ النحس (!) أبوه بأن يتستر ويتقنع بالليل، فسمع منه)!
(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٦/ ٤٠٤، وقد عقَّب عليها ابن عبد ربه بقوله: (وهذا حرف جامع لما قصدناه من هذا المعنىٰ، لأنَّ بالكسل تكون الراحة، وبالراحة يثوب النشاط، وبالنشاط يصفو الذهن، ويصدق الحسُّ ويكثر الصواب).

أحمدُ بك وخيرٌ لك من السكوتِ علىٰ العِيِّ)[1].

[٤٥٣] وكان يحيى يقول لولده:

(لا بدَّ لكم من كتَّابٍ وعمالٍ وأعوانٍ، فاستعينوا بالأشرافِ، وإياكم وسِفْلَةَ الناسِ، فإن النعمةَ علىٰ الأشرافِ أبقىٰ، وهي بهم أحسنُ، والمعروفُ عندهم أشهرُ، والشكرُ منهم أكثر)[2].

[٤٥٤] وقال يحيى بن خالد لبنيه:

(يا بني، كونوا أُسْدًا في الأقوالِ، نجَّازًا في الأعمالِ، ولا تعدوا إلا وتنجزوا، فإن الحرَّ يثقُ بوعدِ الكريمِ، وربما ادَّانَ عليه)[3].

[٤٥٥] وقال يحيى بن خالد لبنيه:

(يا بني، لا تمطُلوا معروفكم، فإن كثيرَ العطاءِ بعد المَطْلِ قليلٌ، وعجِّلوا فإن

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٨٤، وقد ورد في الوزراء والكتاب ١٩٨ خبرٌ يفهم منه التوجيهُ غيرُ المباشر، في نقد السلوك وتعديله، من يحيىٰ بن خالد تجاه ابنه الفضل فقد قال الواقدي: (دخل الفضل بن يحيىٰ بن خالد علىٰ أبيه يتبختر في مشيته، وأنا عنده، فكره ذلك منه؛ فقال لي يحيىٰ: يا أبا عبد الله، أتدري ما بقَّىٰ الحكيم في طرسه؟ قلت: لا. قال: بقىٰ الحكيم في طرسه أن البخل والجهل مع التواضع أزين بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم، فيا لها حسنةً غطت علىٰ عيبين عظيمين، ويا لها سيئةً غطت علىٰ حسنتين كبيرتين. ثم أومأ إليه بالجلوس).
وقد ورد هذا الخبر -أيضًا- في نهاية الأرب ٣/ ٣٧١-٣٧٢، وزاد فيه: وقال: احفظه يا عبد الله (!) فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء. وفي عيون الأخبار ١/ ٢٦٨: ويقال: التواضع مع السخافة والبخل أحمد من السخاء والأدب مع الكبر، فأعظم بنعمة عفَّت من صاحبها بسئيتين، وأقبح بسيئة حرمت صاحبها حسنتين.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الوزراء والكتاب ١٧٩.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ١٩/ ٢٤٨.

عذرَكم مقبولٌ مع التعجيل)[1].

[٤٥٦] كان يحيى بن يحيى الغساني[2] يوصي ولده وأهل بيته فقال:

(أنزلوا الأضيافَ، ولا تكلَّفوا لهم مؤونةً، فإنكم إذا تكلَّفتم لهم ثقلوا عليكم، فأطعموهم مما حضر)[3].

[٤٥٧] قال الكندي[4]:

(يا بني، الأبُ ربٌّ، والأخُ فخٌّ، والعمُّ غَمٌّ، والخال وبالٌ، والولد كمدٌ، والأقاربُ عقاربُ. وقولُ لا، يصرفُ البلا، وقولُ نعم، يزيل النِّعَمَ، وسماعُ الغناءِ برسامٌ[5] حادٌّ، لأن الإنسانَ يسمعُ فيطربُ، وينفقُ فيسرفُ فيفتقرُ فيغتمُّ فيعتلُّ فيموت[6]. والدينارُ

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في شرح نهج البلاغة ١٩/ ٢٤٩.

(٢) **صاحب الوصية**: يحيىٰ بن يحيىٰ بن قيس بن حارثة الغساني الشامي أبو عثمان، كان من فقهاء أهل الشام وقرائهم، ثقة عالمًا بالفتيا والقضاء، استعمله عمر بن عبد العزيز علىٰ قضاء الموصل، توفي سنة ١٣٣هـ وقيل سنة ١٣٥هـ.
انظر: الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٤٦٦، وتاريخ الموصل ٣، ١٥٧، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٩.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ دمشق ٦٥/ ٥٩.

(٤) **صاحب الوصية**: يعقوب بن إسحاق بن الصباح المسمىٰ في وقته فيلسوف الإسلام، من ولد الأشعث بن قيس. اشتغل بعلوم الفلسفة حتىٰ أصبح رأسًا فيها، كما اشتغل بالمنطق والهندسة والنجوم والموسيقا، وترك في ذلك آثارًا كثيرة. قال محقق طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص٧٣: (أما تاريخ وفاته فلم يذكر في كتب التراجم القديمة، وأكثر المحدثين علىٰ= =أن وفاته في حدود سنة ٢٥٥ علىٰ الأرجح). وجاء في معجم المؤلفين ١٣/ ٢٤٤ حاشية (١): (وقال إبراهيم طوقان في تراث العرب: توفي ببغداد في أواخر ٢٥٢، وقال الزركلي: توفي نحو ٢٦٠هـ). انظر: الفهرست ٣١٥، وصوان الحكمة ٢٨٢ وعيون الأنباء ٢٨٥.

(٥) البرسام: ذات الجنب، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة. ويعني أن الغناء في عاقبته مضرٌّ أو مهلك كالبرسام.

(٦) في زهر الآداب وشرح مقامات الحريري: لأن المرء يسمع فيطرب، فيسمح فيفتقر، فيغتم فيمرض فيموت.

محمومٌ[1]، فإن صرفته مات، والدرهمُ محبوسٌ فإن أخرجته فرَّ، والناسُ سُخْرَةٌ[2]، فخذ شيئهم واحفظ شيئك، ولا تقبلْ ممن قال اليمين الفاجرة، فإنها تدعُ الديارَ بلاقعَ[3])[4].

[٤٥٨] قال الكندي يوصي ابنه:

(يا بني، أما بعد فكُن مع الناس كلاعبِ الشطرنجِ، تحفظ شاهَك وتأخذ شاهَهم[5]، فإنَّ مالكَ إذا خرج عن يدك[6] لم يَعُدْ إليك، واعلم أن الدينارَ محمومٌ فإذا صرفته مات، واعلم أنه ليس شيءٌ أسرعَ فناءً من الدينارِ إذا كُسِرَ، والقرطاسِ إذا

---

(١) محموم: مصاب بالحمىٰ! وكأنه يشبهه بالمريض الذي يجب أن يلزم الراحة، فإن تحرك وكثرت حركته فقد يمضي به المرض فيموت. وقد ورد في التمثيل والمحاضرة ٢٨٨: (الدرهم ذو جناح إن حركته طار، والدينار محموم إن أزعجته مات).

(٢) السُّخرة: ما سخرته من دابة أو رجل بلا أجر ولا ثمن، يقال: هم سخرة.

(٣) البلاقع: جمع بلقع، المكان القفر الخالي. وقد جاء مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ: (ثلاث من كُن فيه رأىٰ وبالهن... واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع) في مصنف عبد الرزاق ١١/ ١٧١، والبيهقي (بسنده عن عبد الرزاق) ١٠/ ٣٥. وانظر: الأمثال لأبي عبيد ٨٩ ومجمع الأمثال ٣/ ٥٤٠.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأنباء ٢٨٨ وقال ابن أبي أصيبعة في تقديمه لها: (ومن كلامه -الكندي- مما أوصىٰ به لولده أبي العباس، نقلت ذلك من كتاب المقدمات لابن بختويه)، وعقب عليها بقوله: (أقول: وإن كانت هذه من وصية الكندي فقد صدق ما حكاه عنه ابن النديم البغدادي في كتابه فإنه قال: إن الكندي كان بخيلًا). وقد ورد منها قوله: (قول (لا)... الموت) في زهر الآداب ٢/ ٨٣٢، وورد منها قوله: (الأب... عقارب) في نور الطرف للحصري ٢٢٤، ومحاضرات الأدباء، وزادا بعدها: وإنما المرء بصديقه. كما ورد منها قوله: (سماع الغناء... فيموت) في شرح مقامات الحريري ٤/ ١٩١، وسرح العيون ٢٣٣، وفي اللطائف والظرائف ١٥٩: (إياك والسماع فإنه برسام حاد، وذلك أن المرء يسمع فيطرب، ويطرب فيسمح، ويسمح فيعطي، ويعطي فيفتقر، ويفتقر فيهتم، ويهتم فيمرض، ويمرض فيموت) وانظر الوصية بعدها.

(٥) في سرح العيون: تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم. وفي زهر الآداب: يا بني كن مع الناس كاللاعب بالقمار، إنما غرضه أخذ متاعهم وحفظ متاعه. والشاه في الفارسية: الملك، وهو هنا إحدىٰ أدوات لعب الشطرنج.

(٦) في المصدر السابق: عن يديك.

نُشِرَ، والجلدِ إذا قُشِرَ، والثوبِ إذا قُصِر[١]. ومَثَلُ الدرهمِ مَثَلُ الطيرِ الذي هو لك ما دام في يدك، فإذا طار صار لغيرك. قال المتلمس[٢]: [الوافر]

قليلُ المال تصلِحُه فيبقىٰ ... ولا يبقىٰ الكثيرُ مع الفساد

لحفظُ المال أيسرُ من بَغَاهُ ... وسيرٍ في البلاد بغير زاد

وأعرف بيتًا قد بيَّتَ أكثرَ من مئة ألفٍ في المساجدِ، وهو قولُ القائل[٣]: [الطويل]

فسر في بلاد الله والتمس الغنىٰ ... تعشْ ذا يسارٍ أو تموت فتُعذرا

فاحذر يا بني أن تلحقَ بهم فتكونَ منهم)[٤].

(١) نشر: بسط. وقصر الثوب: قصَّ ودقَّ وبيَّض.

(٢) المتلمس لقبه، وهو جرير بن عبد المسيح الضبعي، شاعر جاهلي، كان ينادم عمرو بن هند ثم هجاه في خبر. قال أبو عبيدة: اتفقوا علىٰ أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة: المتلمس، والمسيب بن علس، والحصين بن الحمام المري، وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٥، والشعر والشعراء ١/ ١٧٩، والأغاني ٢٣/ ٥٢٤.
وقد ورد البيتان في ديوانه (تحقيق وتعليق وشرح حسن كامل الصيرفي) ١٧٢-١٧٣، وأولهما فيه هو الثاني. ورواية الأول فيه: وإصلاح القليل يزيد فيه...

(٣) في بهجة المجالس ١/ ٢٢٦: (قال بعض العقلاء: أعرف... ألف رجل في المساجد وفي غير أوطانهم وهو: ...)، وراجع في نسبة البيت وتخريجه وصية عبد الله بن شداد.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٩/ ١٠٤-١٠٥، وسرح العيون ٢٣٣. وورد منها قوله: (يا بني كن... متاعه) في زهر الآداب ٢/ ٨٣٢، وقد جاء في البصائر والذخائر: (صار عطاء بن أبي رباح إلىٰ رجل من أشراف قريش فقال: إني أتيتك بهدية فتفضل بقبولها، فقال: هاتها، قال: فلان كانت عليه نعمة فزالت فلو نظرت له، فقال: جزاك الله علىٰ هديتك خيرًا، فما أحسبنا ننهض بمجازاتها، فقال عطاء: بل جزاك الله علىٰ قبولك إياها أفضل الجزاء. وقلَّ ما ترىٰ في عصرنا من يقبل هدية مثل هذه، والله إني لأستحيي من رواية هذه المكارم في عصر يتباهىٰ فيه باللؤم، ويتبجح بالسخف، ويحتج بالحزم في البخل، وقد تواصىٰ الناس بكلام الكندي -لعنه الله (!)- حيث يوصي ابنه... لحا الله هذا الموصي، وقبح هذه الوصية وأبعد قائلها والعامل بها)!

[٤٥٩] قال الكندي:

(يا بني، الأصدقاءُ هم الأعداءُ؛ لأنك إذا احتجت إليهم منعوك، وإذا احتاجوا إليك سلبوك)[١].

(١) **التوثيق:** وردت الوصية في اللطائف والظرائف ١١١.

وصايا المغمورين والمجهولين

[٤٦٠] قال ابنُ أبي إدريس[١] لابنه عائذِ الله[٢]:

(أي بني، تكلُّمٌ بحقٍّ خيرٌ من سكوتٍ عنه)[٣].

[٤٦١] قال أبو الأغرِّ التميمي[٤] لابنه الأغر[٥]:

---

(١) **صاحب الوصية**: لم يتبيَّن لي من هو إلا أن يكون أبا إدريس الخولاني ووقع في اسمه تحريف. فهو عائذ الله بن عبد الله وقيل: عيِّذ الله بن إدريس بن عائذ الخولاني... ولد يوم حنين. كان عالم دمشق وواعظها، ثم جعله عبد الملك بن مروان علىٰ قضائها. وتوفي سنة ٨٠هـ.

انظر: مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢٩٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٢، والإصابة ٤/ ٥.

(٢) **مناسبة الوصية**: (قال ابن أبي إدريس عائذ الله لأبيه: يا أبة، أما يعجبك طول صمت أبي عبد الله -يعني مسلم بن يسار-؟ قال: ... فذهب ابن أبي إدريس إلىٰ مسلم فقال: يا أبا عبد الله إني قلت لأبي أما يعجبك طول صمت أبي عبد الله؟ فقال: ... فقال مسلم: سكوت عن الباطل خير من تكلم به).

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد لأحمد ٣٥٨. وقد ورد في الزهد والرقائق لابن المبارك ١/ ٦٣٩ (عن ابن أبي نجيح قال سمعت طاوسًا يسأل أبي عن حديث، فرأيت طاوسًا كأنه يعقد بيده. وقال أبي: يا أبا عبد الرحمن إن لقمان قال: إن من الصمت حكمًا وقليل فاعله. فقال له طاوس: يا أبا نجيح إنه من تكلَّم واتقىٰ الله خير ممن صمت واتقىٰ الله).

(٤) **صاحب الوصية**: كلمة (التميمي) زيادة انفرد بها العقد الفريد، وقد ساق الجاحظ (الحيوان ١/ ٢٣١-٢٣٣) خبرًا طريفًا يمثل الغفلة والجبن، وكان أبو الأغر النهشلي - عروة بن مرثد - هو بطلَ الخبر! ولعله -كما تشفع زيادة العقد- هو **صاحب الوصية**، إذ بنو نهشل بطن من دارم من تميم. وهو -كما يبدو من الخبر- أعرابي قد يكون عاش في العصر الأموي. كما ورد ذلك الخبر في عيون الأخبار ١/ ١٦٧-١٦٨، وجمع الجواهر ٢١٦-٢١٧، وعنه نقله صاحب خزانة الأدب ١٠/ ٢١٩-٢٢٠.

(٥) **مناسبة الوصية**: في محاضرات الأدباء: (أوصىٰ بعض الأعراب ابنه وقد أرسله إلىٰ محاربة بعض أقرانه فقال: ...). وفي الأنوار: (ووصىٰ أبو الأغر ابنه، وقد وقع بين بني عمه وحلفائهم شر، فقال: ...). وفي سائر المصادر: (بلغ أبا الأغر [التميمي] أن أصحابه في البادية قد وقع بينهم شرٌّ، فبعث إليهم ابنه الأغر وقال: يا بني...).

(يا بني، كن يدًا[1] لأصحابك علىٰ من قاتلهم[2]، وإياك والسيفَ فإنه ظلُّ[3] الموتِ، واتقِ[4] الرمحَ فإنه رِشَاءُ المنيةِ[5]، ولا تقربِ السهامَ فإنها رُسُلٌ لا تُؤامِرُ مرسلَها[6]. قال: فبماذا أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر[7]: (الطويل)

جلاميدُ يملأن الأكفَّ[1] كأنها   رؤوس رجال حُلِّقتْ في المواسم[2])[3]

[٤٦٢] قال أبو العباس القنَّاد الصوفي[4]:

---

(١) في محاضرات الأدباء: بذا! وهو تصحيف.

(٢) في محاضرات الأدباء: علىٰ ما فاتك. وهو تحريف.

(٣) في محاضرات الأدباء: ظلة. وهو تحريف.

(٤) في محاضرات الأدباء: والق، وهو تحريف.

(٥) في بهجة المجالس: رسالة! وفي محاضرات الأدباء: رسول. والرشاء: الحبل، وربما أطلق علىٰ حبل الدلو خاصة.

(٦) في نهاية الأرب: فإنها رسل تعصي وتطيع. تؤامر: تستشير، تنتظر الأمر.

(٧) ورد البيت -مع بيت آخر قبله- في أساس البلاغة (ملأ) منسوبين لامرأة من بني حنيفة. وفي ذيل الأمالي ١١٦-١١٧ جاء البيت خامس خمسة أبيات منسوبة لنافع بن خليفة الغنوي. وكذا وردت -منسوبة لجرير- في ملاحق ديوانه ٢/ ١٠٤٠.

(١) في نثر الدر وبهجة المجالس ومحاضرات الأدباء وربيع الأبرار والتذكرة الحمدونية ونهاية الأرب: أملاء. وفي أساس البلاغة (ملأ): (وحجر ملء الكف، وحجارة أملاء الكف). الجلاميد: الصخر جمع جلمود.

(٢) زاد بعدها في نهاية الأرب: فعليك بها، وألصقها بالأعقاب والسوق. المواسم: جمع موسم، المجمع الكثير من الناس. ولعل المراد: الحَلْقُ في الحج بعد الانتهاء من المناسك. الأعقاب: جمع عقب، مؤخر القدم. السوق: جمع ساق، ما بين الركبة والقدم.

(٣) التوثيق: وردت الوصية في عيون الأخبار ١/ ١٣١، والعقد الفريد ١/ ١٢٤، ونثر الدر ٦/ ٣٩٥ والأنوار في محاسن الأشعار للشمشاطي ١٤، وبهجة المجالس ٢/ ٤٧٠، ومحاضرات الأدباء ٢/ ١٦٨، وربيع الأبرار ٣/ ٣١٧، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٧٢، ونهاية الأرب ٦/ ٢٠١.

(٤) **صاحب الوصية**: القناد الصوفي: هو أبو الحسن علي بن عبد الرحيم الواسطي، أحد الصوفية، ممن سافر علىٰ التجريد (التجريد عند الصوفية: عدم الأخذ بالأسباب، إذ هو -عندهم- غاية التوكل!) ولقي المشايخ، وله كلام، روىٰ عن الحلاج شيئًا من كلامه.=

(سمعتُ بدويًّا[1] وَرَدَ من المنتَهِبِ[2] يقول لابنه: يا بني، كن سبعًا خالسًا[3]، أو ذئبًا خانسًا[4]، أو كلبًا حارسًا، وإياك أن تكونَ[5] إنسانًا ناقصًا)[6].

[٤٦٣] قال محمد بن أبي مالك الغزي[7]:

(سمعت أبي يقول: جالسوا الألبَّاء[8]، أصدقاء كانوا أم أعداء، فإن العقولَ تُلْقِحُ العقولَ)[9].

=والقناد: نسبة إلىٰ من يبيع القند وهو السكر. انظر: الأنساب ١٠/ ٤٨٨، ويلاحظ أن الكنية المثبتة هنا (أبو العباس). ولكن أشارت محققة البصائر والذخائر ٣/ ١٨ إلىٰ أن أبا حيان نقل عن القناد في مواضع من كتابه، بل إنه أشار في المقابسات ص٢٢٧، إلىٰ أنه لقيه بالري سنة ٣٥٠هـ.

(١) في نثر الدر: وقال بعضهم: سمعت بدويًّا. وفي شرح النهج: قال أعرابي لابنه.

(٢) (المنتهب: قرية في طرف سلمىٰ، أحد جبلي طيء، وتعد في نواحي أجأ، وهي لبني سنبس). معجم البلدان ٥/ ٢٤٠.

(٣) في شرح النهج: خالصًا. والاختلاس: الأخذ بسرعة وخفية.

(٤) في شرح النهج: حائسًا. الخانس: المتأخر المتقبض، أو المتواري المختفي، والحائس: الذي يحوس الغنم، أي يتخللها ويفرقها. وقالت محققة البصائر والذخائر: ولعل صوابها: خابسًا، أي آخذًا مغتنمًا.

(٥) في التذكرة الحمدونية وشرح النهج والكشكول: ولا تكُن. وفي شرح النهج: أحمق ناقصًا.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٧/ ١٣، وفيه: سمعت أبا العباس، ونثر الدر ٦/ ٣٩٠، وربيع الأبرار ١/ ٦٢١، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٧٦، وشرح نهج البلاغة ١٨/ ١٦٤، والكشكول للعاملي ٢/ ٤١١.

(٧) **صاحب الوصية**: لم أقِف له علىٰ ذكر.

(٨) الروايات: في مختار الحكم: العلماء.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في روضة العقلاء ٢٥. وفي نثر الدر ٤/ ٢٠٦: (دخل عبد العزيز بن زرارة الكلابي علىٰ معاوية فقال: يا أمير المؤمنين: جالس الألباء أعداءً كانوا أو أصدقاء، فإن العقل يقع علىٰ العقل). ووردت في مختار الحكم ٣٢٣ منسوبة لأحد الحكماء. وورد في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣١٢ -منسوبًا لعلي ﷺ-: (جالس العقلاء أعداءً كانوا أم أصدقاء؛ فإن العقل يقع علىٰ العقل).

[٤٦٤] قال نافعُ بن خليفة العبدي[(١)]:

(جمعنا أبونا فقال: يا بنيَّ، اتقوا الله بتقاته[(٢)]، واتقوا السلطانَ بحقِّه[(٣)]، واتقوا الناسَ بالمعروف[(٤)]. فقام وقد جمعَ لنا أمرَ الدنيا والآخرة)[(٥)].

[٤٦٥] قال ابن هبيرة[(٦)] **لبعض بنيه**[(٧)]:

---

(١) **صاحب الوصية**: لم أقف له ولا لابنه نافع على ذكر. وقد نسبت أبيات جيمية أربعة لنافع بن خليفة الغنوي في البصائر والذخائر ٨/ ١٧٠، كما ورد له بيت في الأغاني ١٥/ ٢٨١ على أنه -حسب رأي أعرابي بين يدي قتيبة بن مسلم- أجود بيت قالته العرب في الصبر، وثمة أبيات في مصادر أخرى. ولا أدري إن كان هو راوي الوصية أو لا؟ ومع ذلك فقد قال الأستاذعبد العزيز الميمني، في ذيل اللآلئ ٥٥: ونافع لم أعرفه، ولا ذكره الآمدي!

(٢) أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

(٣) أي تَوَقَّوا سخطه وعقوبته بالقيام بحقه عليكم.

(٤) أي تَوَقَّوا شرَّهم ببذل المعروف لهم.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٣/ ٢٥٢.

(٦) **صاحب الوصية**: جاء في نهاية الأرب: وأوصى إبراهيم بن هبيرة ولده، ولم أقف فيما اطلعت عليه على ذكر لهذا الاسم، وسائر المصادر جاء فيها ما أثبته، وهناك شخصان يحتمل أن يكون أحدهما **صاحب الوصية**؛ الأول: عمر بن هبيرة بن معاوية (أو سعد) الفزاري، ولي العراقين من قبل يزيد بن عبد الملك ست سنين، ثم عزله هشامٌ بخالد القسري، الذي سجنه وقيَّده، فهرب من السجن واستجار بمسلمة بن عبد الملك فأجاره، ثم أَمَّنَه هشام، مات سنة ١٠٧هـ.

انظر: المعارف ٤٠٨، ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ١٦٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٢.

والثاني: يزيد ابنه، ولد سنة ٨٧هـ ولاه مروان بن محمد خمس سنين، وكان سخيًّا جسيمًا شجاعًا خطيبًا، حاصره أبو جعفر بمدينة واسط شهورًا ثم أمَّنه، ثم أمر بقتله في ذي القعدة سنة ١٣٢هـ.

انظر: المعارف ٤٠٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٨١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٧.

وقد جعل الشيخ عبد السلام هارون رَحِمَهُ اللهُ موضع ابن هبيرة في الوصية ضمن مواضع ورود يزيد بن عمر في فهرس الأعلام من البيان والتبيين.

(٧) **مناسبة الوصية**: قالها وهو يؤدب بعض ولده.

(لا تكوننَّ أولَ مشيرٍ، وإياك[١] والرأيَ الفطيرَ، وتجنَّبِ ارتجالَ الكلامِ[٢]، ولا تشرْ علىٰ مستبَدٍّ[٣]، ولا علىٰ وَغْدٍ[٤]، ولا علىٰ متلوِّنٍ، ولا علىٰ لجُوجٍ[٥]. وخَفِ الله في موافقةِ هوىٰ المستشير؛ فإن التماسَ موافقته لؤمٌ، وسوءَ الاستماع منه خيانة)[٦].

[٤٦٦] وقال الهيثم بن صالح[٧] لابنه[٨]:

---

(١) في العقد: وإياك والهوىٰ والرأي. الفطير: المستعجَل به الذي لم يُنضج.

(٢) ارتجل الكلام: ابتدعه بلا رويَّة.

(٣) في العقد ونهاية الأرب والمستطرف: ولا تشيرنَّ، وزاد الأخير والتذكرة الحمدونية: مستبدٍ برأيه. المستبد: المنفرد برأيه.

(٤) في بهجة المجالس: ولا علىٰ عدو. الوغد: الأحمق الدنيء الرذل، المتلون: المتقلِّب الذي لا يثبت علىٰ خُلُق.

(٥) في محاضرات الأدباء والمستطرف: لحوح! ويبدو أنه تصحيف. واللجوج: المتمادي في الخصومة.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٢/ ١٨٨، كما وردت أيضًا في العقد الفريد (باختصار) ١/ ٨٠، ونثر الدر (باختصار) ٥/ ٩٤ -٩٥، وبهجة المجالس (بتقديم وتأخير) ٢/ ٤٥٤، ونهاية الأرب ٦/ ٧٧، ونسبت لجعفر بن محمد في التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٠٠، والمستطرف ١/ ٢٤٦، ووردت (بتقديم وتأخير) في محاضرات الأدباء ١/ ٣٠ دون نسبة، وفي العقد الفريد ١/ ٨١: (وكان عامر بن الظرب -حاكم العرب- يقول: دعوا الرأي يغبُّ حتىٰ يختمر، وإياكم والرأي الفطير، يريد الأناة في الرأي والتثبت فيه).

(٧) **صاحب الوصية**: جاء في لسان الميزان ٦/ ٢٠٦، راوٍ للحديث اسمه الهيثم بن صالح، وأشار ابن حجر إلىٰ ضعف روايته، وأشار إلىٰ أنه روىٰ عن مطر الوراق، وهذا الأخير قدر ابن حجر (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٦٩) وفاته أنها قرب الأربعين ومئة بناء علىٰ ما جاء في التذكرة الحمدونية ٣/ ١٩٦ أن المنصور قتله.

وقد جاء في عيون الأخبار ٢/ ١٧٧: (تكلم رجل في مجلس الهيثم بن صالح بخطأ فقال له الهيثم: يا هذا، بكلام مثلك رزق أهل الصمت المحبة)، ولا أدري هل هما شخص واحد أو لا؟ ولم أقف علىٰ من يطلق عليه هذا الاسم في غير هذين الموضعين، وربما يشير ما نقله ابن قتيبة عنه إلىٰ أنه صاحب الوصية.

(٨) **مناسبة الوصية**: جاء في البيان والتبيين بعد كلمة (ابنه): وكان خطيبًا. وواضح أن المراد بذلك الابن، وأن توجيه الأب له كان خشية كثرة السقط، ويدل علىٰ ذلك ما ورد في نهايتها في مصادر الوصية: (فقال: يا أبة، فإن أكثرت وأكثرت؟ -يعني كلامًا وصوابًا-؟ قال: يا بني، ما رأيت موعوظًا أحق بأن يكون واعظًا منك)!

(يا بني، إذا أقللتَ من الكلامِ أكثرتَ من الصوابِ، وإذا أكثرتَ من الكلامِ أقللتَ من الصواب)[1].

[٤٦٧] قال أحدُهم لابنته[2]:

(كوني لزوجك أمةً يكن لك عبدًا، وعليكِ باللُّطفِ فإنه أبلغُ من السحرِ، وبالماء فإنه رأسُ الطيب)[3].

[٤٦٨] وعظ أعرابيٌّ ابنًا له[4] فقال:

(لا الدهرَ يعظك، ولا الأيامَ تنذرك، ولا الشيبَ يزجرك، والساعاتُ تُعَدُّ[5] عليك، والأنفاسُ تعدُّ منك، والمنايا تُقَادُ إليك، أحبُّ الأمرين[6] إليك أردُّهما[7] بالمضرةِ عليك)[8].

[٤٦٩] قال أعرابيٌّ لابنه:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ١/ ٢٦٤، وأدب الدنيا والدين ٤٤٠، وربيع الأبرار ٤/ ٢٥٧، والمستطرف ١/ ١٥٣.

(٢) **مناسبة الوصية**: ليلة الهداء (الزواج).

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في تحفة العروس ١٥٥.

(٤) **مناسبة الوصية**: (قال الأصمعي: سمعت أعرابيًا من بني مرة يعظ ابنًا له، وقد أفسد ماله في الشراب. فقال: ....) الأمالي وانظر الفاضل.

(٥) في الفاضل: تعظ. وفي العقد: تُحصىٰ. وفي المجتنىٰ: والساعات تعدُّ عليك الأنفاس.

(٦) في المجتنىٰ والفاضل والأمالي وزهر الآداب: أمريك. وفي العقد: الأمور.

(٧) في المجتنىٰ: تردهما. ولعله: تحريف. وفي العقد: أعودها. وفي الفاضل: أزواهما. وأزواهما: أكثرهما ميلًا.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٧٧، والعقد الفريد ٣/ ٤٤٠، وفيه: (وعظ أعرابي أخًا له...). كما وردت -باختصار يسير- في المجتنىٰ ٨٠، والفاضل للوشاء ٢٠٤، والأمالي ١/ ١٩٤، وزهر الآداب ٢/ ٨٠٤.

(صحبةُ بليدٍ نشأ مع الحكماءِ، خيرٌ من صحبةِ لبيبٍ نشأ مع الجهال)[١].

[٤٧٠] قال أعرابيٌّ لابنه:

(إياك -يا بني- وسؤالَ البلغاءِ في الرَّدِّ)[٢].

[٤٧١] قال أعرابيٌّ لبنيه -وهو يوصيهم-:

(اتقوا الظهيرةَ الغَرَّاء[٣]، والفلاةَ الغَبْرَاء[٤]، ورِدُوا الماءَ بالماء[٥])[٦].

[٤٧٢] أوصى أعرابيٌّ ابنه فقال:

(يا بني، اغتنمْ مسالمةَ من لا يَدَانِ[٧] لك بمحاربته، وليكن هربُك من السلطانِ إلىٰ الوحشِ في الفيافي وأطرافِ البلدانِ، حيث تأمن سعايةَ الساعي، وطمعَ الطامعِ

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٨٣.
(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٨٣.
(٣) الظهيرة: شدة الحر نصف النهار (الهاجرة)، الغراء: من قولهم: يوم أغرُّ شديد الحر. وفي لسان العرب (غرر): (الأصمعي: ظهيرة غراء، أي هي بيضاء من شدة حر الشمس).
(٤) الفلاة: الأرض الواسعة المقفرة. الغبراء: المغبرة لعدم وجود النبات والماء.
(٥) ورد في أمثال العرب قولهم: أن ترد الماء بماء أكيس. انظر: كتاب الأمثال لأبي عبيد ٢١٣، وجمهرة الأمثال ١/ ٧٩، والمستقصىٰ ١/ ٣٧٠، ومجمع الأمثال ١/ ٥٤، قال العسكري: (يضرب مثلًا للآخذ بالثقة والاحتياط، يقول: الكَيْسُ (الذكاء والفطنة) أن ترد المنهل ومعك فَضْلُ ماءٍ تزودته من منهل قبله).
(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٣٨٧. وفيه: أخبرنا الصاحب إسماعيل بن القاسم عن الإيجي عن محمد بن الحسن عن أبي نصر عن الأصمعي قال: سمعت أعرابيًّا...).
(٧) في الأشراف: من لا يدين لك، وفي المجالسة: من لا بدَّ لك (!) بعيدًا أو حبيبًا حتىٰ تأمن. ولا يدان لك بمحاربته: أي لا قدرة ولا طاقة. وفي لسان العرب (يدي). (يقال: ما لي بهذا الأمر يدٌ ولا يدانِ، لأن المباشرة والدفاع إنما يكونان باليد، فكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه. ابن سيده: وقولهم لا يدين لك بهما، معناه (لا) قوة لك بها، لم يحكِه سيبويه إلا مثنىٰ، ومعنىٰ التثنية هنا الجمع والتكثير).

منك[١]، ولا تغرنَّك بَشَاشَةُ[٢] امرئٍ حتىٰ تعلمَ ما وراءها؛ فإن دفائنَ الناسِ[٣] في صدورهم، وخُدَعَهم في وجوههم، ولتكن شِكاتُك الدهرَ[٤] إلىٰ ربِّ الدهرِ، واعلمْ أن الله إذا أراد بك خيرًا أو شرًّا أمضاه فيك[٥] علىٰ ما أحبَّ العبادُ أو كرهوا، وأرِحْ نفسَك من التعبِ بقبولِ القِيلِ والقالِ[٦]، فإن كلمةَ السوءِ حِبَّةُ القلبِ، كما أن الحنطةَ حِبَّةُ الأرضِ[٧]، إذا أصابها الماءُ نبتت، وكذلك الكلمةُ السوءُ إذا زُرعت في صدرِك نبتتْ منها الضغائنُ[٨] والبغضاءُ والعداوة)[٩].

[٤٧٣] وقال أعرابيٌّ لابنه:

(يا بني، إنه قد أسمعك الداعي، وأعذر إليك الطالبُ، وانتهىٰ الأمرُ فيك إلىٰ حَدِّهِ؛ ولا أعرفُ أعظمَ رَزِيَّةً[١٠] ممن ضيَّع اليقينَ وأخطأه الأمل)[١١].

[٤٧٤] قال أعرابيٌّ لابنه:

---

(١) في الأشراف: الساعي بك... فيك. الساعي: الواشي، وناقل الكلام إلىٰ السلطان تزلفًا أو حسدًا.

(٢) بشَّ فلان بفلان: ضحك إليه ولقيه لقاء جميلاً.

(٣) الدفائن: جمع دفينة، ما يدفن. والمراد: ما يضمره الناس في قلوبهم.

(٤) في الأشراف والمجالسة: شكايتك من الدهر.

(٥) في المجالسة: أن الله تبارك وتعالىٰ... فيك وفي غيرك.

(٦) القيل والقال: فضول القول مما يوقع الخصومة بين الناس.

(٧) الحبة: واحدة الحب، وهو ما يلقىٰ في الأرض للإنبات. الحنطة: القمح.

(٨) الضغائن: جمع ضغينة، الحقد الشديد.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٣/ ٢٤٩. وورد منها قوله: (يا بني، اغتنم... كرهوا) في الأشراف لابن أبي الدنيا ٢٧٣-٢٧٤. وفيه: حدثني شيخ من بني تميم قال: أوصىٰ رجل ابنه. وفي المجالسة للدينوري ٦/ ٣٧٧-٣٧٨ عن ابن عائشة. وفيه: قال حكيم لابنه.

(١٠) المعاني: الرزية: المصيبة والنازلة.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ١٤٨.

(لا يغرَّنَّك ما ترىٰ من خَفْضِ العيشِ ولِينِ الرِّياشِ[1]، ولكن فانظر إلىٰ سرعةِ الظَّعَنِ وسوءِ المنقلَبِ[2])[3].

[٤٧٥] قال أعرابيٌّ لابنه:

(ما لك ساكتًا! والناس يتكلمون؟ قال: لا أحسنُ ما يحسنون، قال: إن قيل: لا، فقل أنت: نعم، وإن قيل: نعم، فقل أنت: لا، وشاغبْهم ولا تقعُدْ غُفْلًا لا يُشعَر بك)[4].

[٤٧٦] قال أعربيٌّ لابنه:

(كن للعاقلِ المدبِرِ أرجىٰ منك للأحمقِ المقبلِ، ثم أنشد: (المتقارب)

عـدوُّك ذو العقـل أبقـىٰ عليـك   وأرعـىٰ مـن الوامِقِ الأحمـق[1])

---

(١) خفض العيش: لِينتهُ ونعومته، الرياش: اللباس الفاخر.

(٢) الظعن: الرحيل، المنقلب: المرجع والمصير.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الأمالي ٢/ ٥٧ بسنده عن الأصمعي.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٤/ ٢٦٣.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في ذيل الأمالي ٣٢. وفيه: (حدثنا عبد الرحمن عن عمِّه قال: سمعت أعرابيًّا يقول لابنه: ...). وفي نهاية الأرب ٣/ ٣٥٥: (وقال آخر: لأنا للعاقل... المقبل، وقال شاعر)، ثم أورد البيت. وقد ورد البيت منسوبًا إلىٰ صالح بن عبد القدوس في الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني ٣٧٦. وفي روضة العقلاء ١٨: (أنشدني علي بن محمد البسامي «شاعر بغدادي، توفي سنة ٣٠٢ هـ» وأورد البيت، ومعه بيت آخر هو:

وذو العقل يأتي جميل الأمور   ويقصـد للأرشـد الأرفق

وفي الصداقة والصديق جاء غير منسوب، ومعه بيت آخر هو:

فما أحكـم الرأي مثل امـرئ   يقيس بما قد مضىٰ ما بقي

وورد البيت غير منسوب في محاضرات الأدباء ١/ ١٤، والمستقصىٰ ٢/ ٣٤٦، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٢٤٦ (وكأنه ناقل عن المصدر السابق). ورواية البيت في كل المصادر -عدا محاضرات الأدباء- تختلف اختلافًا يسيرا عنها هنا.

[٤٧٧] وعظ أعرابيٍّ ابنه:

(يا بني، إن الدنيا تسعىٰ علىٰ من يسعىٰ لها، فالهربُ قبل العَطَبِ، فقد آذنتك[١] بِبَينٍ، وانطوتْ لك علىٰ حَينٍ[٢])[٣].

[٤٧٨] قال أعرابيٌّ لابنه[٤]:

(يا بني، عجبتُ من الكَذَّابِ المشِيدِ بكذبه، وإنما يدلُّ علىٰ عيبِه، ويتعرَّض للعقابِ من ربِّه، فالآثامُ له عادةٌ، والأخبارُ عنه متضادةٌ، إن قال حقًّا لم يُصدَّقْ، وإن أرادَ خيرًا لم يُوَفَّقْ، فهو الجاني علىٰ نفسه بفِعَالِه، والدالُّ علىٰ فضيحته بمقاله، فما صحَّ من صِدْقِه نُسب إلىٰ غيرِه، وما صحَّ من كَذِبِ غيرِه نُسب إليه، فهو كما قال الشاعر: (الكامل)

حَسْبُ الكذوبِ من المهانَةِ بعضُ ما يُحْكَىٰ عليه

ما إن سمعتَ بكذبةٍ من غيِره نُسِبَتْ إليه)[١]

[٤٧٩] أوصى أعرابي ابنًا له فقال:

(يا بني، إن لحقتْك صعوبةُ أمرٍ فاستصعِبْ[٢] له تذلَّ مراكبُه، وتَلِنْ جوانبُه،

---

(١) في ربيع الأبرار: العطب فيها، فقد والله آذنت.

(٢) العطب: الهلاك. آذنتك ببين: أشعرتك بفراق. حَين: هلاك.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الصناعتين ٤٢، وربيع الأبرار ١/ ٧٣. وورد منها في بهجة المجالس ٣/ ٢٧٩ قوله: (يا بني... العطب).

(٤) **مناسبة الوصية**: حين سمعه يكذب.

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في زهر الآداب ١/ ٤٢٨. وقد ورد البيتان غير منسوبين في المحاسن والأضداد ٥٤، وعيون الأخبار ٢/ ٢٨، والمحاسن والمساوئ ٣٩٤، والبصائر والذخائر ٩/ ١٤١، ربيع الأبرار ٣/ ٦٤٥، والمستطرف ٢/ ١٥٠. وروايتها للبيت الأول: من البليَّة. ولأول البيت الثاني: مهما، فمتىٰ.

(٢) استصعب الأمرُ صعب، واستصعب فلان الأمرَ: رآه صعبًا، ولعل المراد استشعر صعوبته،=

وقارع[1] الدهرَ عن أحداثه، واصبرْ لنوائبه، ليعلمَ أنك من أقرانه[2])[3].

[٤٨٠] أوصى أعرابيٌّ ابنًا له فقال:

(أي بني، إنَّ صحبةَ الرجالِ ذلٌّ، وذلُّ الصحبةِ أيسرُ من مضاضةِ الخَلَّةِ[4]، فإن دعتك إليها حاجةٌ فاستكرِم[5] الصاحبَ، وإن صحبتك -ولا محالة- وأصارك الدهرُ إلىٰ مكروهِ ذلك فاحتجبْ بالصبرِ، واستزدْ بالشكرِ)[6].

[٤٨١] قال أعرابيٌّ لابنه:

(يا بني، الأدبُ دِعَامةٌ أيَّدَ الله بها الألبابَ[7]، وحِلْيَةٌ زيَّن الله بها عَواطِلَ الأحسابِ[8]، فالعاقلُ لا يستغني -وإن صحَّتْ غريزته- عن الأدبِ المخرجِ زهرته، كما لا تستغني الأرضُ -وإن عَذُبَتْ تربتُها- عن الماءِ المخرجِ ثمرتها)[9].

=واستعدَّ له. تذل مراكبه: تنقاد لك أموره. وقد يكون مأخذه من البعير الصعب (غير الذلول)، والمعنىٰ: أي تحمَّل صعوبته ولا تضعف.

(١) قارع: غالب ودافع.

(٢) الأقران جمع قِرْن، المماثل في الشجاعة والشدة والقتال.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل للوشاء ١٥٦ وفيه: قال العتبي: سمعت أعرابيًّا.

(٤) مضاضة: شدة. الخلة: الحاجة والفقر.

(٥) أثبت محقق الفاضل: فاستلزم، وأشار إلىٰ أن: استكرم وردت في نسخة ثانية. وفي رأيي أنها أولىٰ. والمعنىٰ: اطلب صحبة الصاحب الكريم.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل للوشاء ١٥٦، وجاءت فيه -عطفًا علىٰ قول العتبي السابق-: وسمعت أعرابيًّا.

(٧) الدعامة: عماد البيت الذي يقوم عليه. ويقال: هذا من دعائم الأمور: مما تتماسك به الأمور. الألباب: العقول.

(٨) الحلية: ما يتزيَّن به. العواطل من النساء: اللائي لا حَلْيَ عليهن، وهنَّ ضد الحوالي.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في أدب الدنيا والدين ٣٦٦. وفيه: (حكىٰ الأصمعي رحمه الله أن أعرابيًّا...)، والكشكول ٢/ ١٣٣.

[٤٨٢] وقال أعرابيٌّ لابنه:

(لا يسرُّك أن تَغْلِبَ بالشرِّ، فإن الغالبَ بالشرِّ هو المغلوبُ)[١].

[٤٨٣] قال أعرابيٌّ لابنه[٢]:

(لا توهَّمَنَّ -علىٰ من يستدِلُّ علىٰ غائبِ الأمورِ بشاهدها- الغفلةَ عن أمورٍ يعانيها[٣]، فتكونَ بنفسك بدأتَ، وحظَّك أخطأتَ)[٤].

[٤٨٤] وقال أعرابي لولده:

(يا بني، لا تكن رأسًا ولا تكن ذَنَبًا، فإن كنت رأسًا فتهيأ للنِّطَاحِ، وإن كنت ذنبًا فتهيأ للنكاحِ)[٥].

[٤٨٥] قال أعرابيٌّ لبنيه[٦]:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ٤٤٤.

(٢) **مناسبة الوصية**: قال له ذلك معاتبًا.

(٣) لا توهمنَّ: لا تظننَّ، يستدل: يتعرف، شاهدها: حاضرها. يعانيها: هكذا جاءت في طبعة الأبياري من العقد. وربما تصحفت عن (يعاينها) أي يراها عيانًا، وهو ما ورد في طبعة العريان من العقد ٤/ ٢٥. وإن كانت المعاناة تعني القيام علىٰ الشيء، وحسن سياسته.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ٤٤٣. وفيه: قال [الأصمعي]: وسمعت أعرابيًّا...).

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ٤٤٠.

(٦) **مناسبة الوصية**: في البيان والتبيين: عَلَّمَ أعرابي بنيه الخراءة، وفي عيون الأخبار: علَّم أعرابي بنيه إتيان الغائط في السفر. وفي الأمالي: (حدثنا أحمد بن يحيىٰ عن ابن الأعرابي قال: كان رجل من بني أبي بكر بن كلاب يعلم بني أخيه العلم فيقول: افعلوا كذا، وافعلوا كذا، فثقل عليهم، فقال له بعضهم جزاك الله خيرًا يا عمِّ فقد علمتنا كل شيء، ما بقي علينا إلا الخراءة! فقال: والله يا بني أخي، ما تركت ذلك من هوان بكم عليَّ...).

(ابتغوا[١] الخَلا[٢]، وابعدوا عن المَلا، واعلُوا الضَّرَّاء، واستقبلوا الريحَ[٣]، وأفجُّوا إفجاجَ[٤] النعامةِ، وامتسحوا[٥] بأشملِكم)[٦].

[٤٨٦] أوصى أعرابيٌّ ولده فقال:

(يا بني، إياك وما سبقَ إلىٰ القلوبِ إنكارُه، وإن كان عندك اعتذارُه، فلستَ بموسعٍ عذرًا كلَّ من أسمعته نُكْرًا)[٧].

---

(١) في عيون الأخبار: اتبعوا.

(٢) في عيون الأخبار والأمالي: الخلاء. وزاد عيون الأخبار: وجانبوا الكلا، وقد علق الشيخ عبد السلام هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلًا: (الخلا مقصور الخلاء، وهو المتوضأ. والملا: الفلاة). ويتراءىٰ لي أن هذا التفسير غير دقيق، وأن الخلاء هنا هو الفضاء من الأرض الواسع الخالي. والملا مقصور من الملأ: وهم جماعة الناس، والضراء: ما وارىٰ وستر من شجر وغيره. ولعل سياق الكلام -من مجانبة الكلأ واستقبال الريح- أليق بهذا المعنىٰ.

(٣) في الأمالي: واستدبروا الريح. وقد جاء في فصل المقال ٥٧ تعليقًا علىٰ قول أكثم بن صيفي: لا تبُل علىٰ أَكَمَة، (فإن بال في أعلاها (الأكمة) ردَّت الريح بوله عليه، أو نضحته ببوله إن استدبرها، لاشتداد هبوبها في نشوز الأرض علىٰ أكثر المعهود...).

(٤) في عيون الأخبار: وأفحجوا إفحاج النعامة. والإفحاج مباعدة ما بين الرجلين، وفي الأمالي: وخوُّوا تخوية الظليم. خوَّىٰ الظليم: إذا جافىٰ بين رجليه. الظليم: ذكر النعام.

(٥) في الأمالي: وامتشوا. ومعناها: امسحوا، يقال: مششت يدي بالمنديل، والأشمُل من الأيدي جمع الشمال، مقابل اليمين.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في البيان والتبيين ٢/ ٧٩، وفيه: قال الحسن، كما وردت في عيون الأخبار ١/ ١٣٦، والأمالي ٢/ ١٦٧-١٦٨، وعنه في فصل المقال ٥٧.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ١/ ٧٥٠، وكتاب أسرار الحكماء ١٠٥. وفي الفاضل للوشاء ٢٠١: وقال أعرابي لصديقٍ له وقد عرَّض نفسه لشيء من التهمة: أي أخي، دع ما يسبق... فليس كل ما حكي عنك نكرًا توسعه عذرًا. ونسبت -بقريب من رواية الفاضل- إلىٰ آخر في الحكمة الخالدة ١٣٧، وتسهيل النظر ١٤٧، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٣٧، وفيهما: وقيل. وورد منها قوله: (إياك... اعتذاره) في بهجة المجالس ٢/ ٤٩١ منسوبًا لبعض الحكماء. وفي غرر الخصائص ٣٧٥: (ومن وصاياهم: إياك... فما كل من أسمعته نُكرًا يطيق أن توسعه عذرًا).

[٤٨٧] قال بعضُ الأعراب لابنه:

(يا بني، المسيءُ ميِّتٌ وإن كان في دار الدنيا، والمحسنُ حيٌّ وإن نُقل إلىٰ الآخرة)[١].

[٤٨٨] قال بعض الحكماء لابنه:

(يا بني، عليك بالترحيبِ والبِشر، وإياك والتقطيبَ والكِبْرَ، فإن الأحرارَ أحبُّ إليهم[٢] أن يُلقَوا بما يحبُّون ويحرموا، من أن يُلقَوا بما يكرهون ويُعطَوا[٣]، فانظر إلىٰ خصلةٍ غطَّتْ علىٰ مثلِ اللؤمِ فالزمها، وانظر إلىٰ خصلةٍ عفَّتْ[٤] علىٰ مثل الكرمِ فاجتنبها. ألم تسمعْ إلىٰ قولِ حاتمِ الطائي: (الطويل)

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحلِه ... ويخصب عندي والمحلُّ جديب

وما الخصب للأضياف أن يَكثُر القِرىٰ ... ولكنَّما وجهُ الكريمِ خصيب[١])[٢]

[٤٨٩] وقال بعضُ الحكماء لبنيه:

(إياكم والحسدَ، فإنه يبيِّنُ فيكم ما لا يبيِّنُ علىٰ عدوِّكم)[٣].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي ٢٦. وقال في صدرها: (وسمعته [المبرد] يقول: سمعت بعض الأعراب يقول لابنه: ....). وهي في المنتقىٰ من مكارم الأخلاق للسلفي ٤٥.

(٢) في التذكرة الحمدونية: فإن الإخوان يحبون.

(٣) في التذكرة الحمدونية: وإن منعوا، ولا يحبون أن يلقوا بما لا يحبون وإن أعطوا.

(٤) في التذكرة الحمدونية: غطت. وهما بمعنىٰ.

(١) نقل محقق ديوان حاتم الطائي ٣٠٩ البيتين عن العقد والروض الأنف وجعلهما فيما نسب لحاتم وليس له، وقال: (والصواب أنهما من بائية الخريمي المشهورة). وهما في ديوان الخريمي ١٢.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٢/ ٣٤٥، والتذكرة الحمدونية ٣/ ١٠٨.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل المنسوب للمبرد ١٠٠.

[٤٩٠] أوصى بعض الحكماء بنيه فقال:

(الأدبُ أكرمُ الجواهرِ طبيعةً، وأنفسُها قيمةً، يرفعُ الأحسابَ الوضيعةَ، ويفيدُ الرغائبَ الجليلةَ[١]، ويعزُّ بلا عشيرةٍ[٢]، ويُكثِّرُ الأنصارَ بغير رَزِيَّـةٍ[٣]، فالبسوه حُلَّةً[٤]، وتزيَّنُوه حِلْيَةً[٥]، يؤنسكم في الوحشةِ، ويجمعُ لكم القلوبَ المختلفةَ)[٦].

[٤٩١] وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له:

(إياك أن تسيرَ شبرًا من الأرضِ وأنت حافٍ، ولا تذوقنَّ نبتةً ولا تشمنَّها حتىٰ تعرفَها، وإياك وأن تبولَ في شِقِّ الأرضِ فتخرجَ منه عليك داهيةٌ، ولا تشربْ من فمِ قِربَةٍ ولا إدَاوَةٍ حتىٰ يكونَ الماءُ مَعِينًا[٧]، واحذرْ مرافقةَ المعرفة ومن لا تعرفُ فلا تصاحبْه، وإياك والسجودَ علىٰ بارِيَّةٍ جديدةٍ حتىٰ تمسحَها بكمِّك، فرُبَّ شَظِيَّةٍ حقيرةٍ فقأت عينًا خطيرةً[٨]، ولا تنظرنَّ في بئرٍ عَادِيَّةٍ، ولا تشهدنَّ من الحيوانِ الكبارِ

---

(١) بعدها في غرر الخصائص: ويُنجح القصد والوسيلة. الوضيعة: الحقيرة. الرغائب: الأمور المرغوبة المطلوبة. الجليلة: العظيمة الكبيرة.

(٢) في شرح مقامات الحريري: ويغني من غير عشيرة.

(٣) في المصدر السابق: من غير. (بغير رزية: أي بغير أن يرزؤوك شيئًا تتكلفه لهم كفاء نصرهم إياك) عن حاشية العقد. يرزؤوك: ينقصوك.

(٤) الحلة: الثوب الجيد الجديد.

(٥) في المصدر السابق: وتزينوا به. وبعدها في غرر الخصائص -وهو آخرها فيه-: فإنه أنفق معاش، وأجمل رياش. الحلية: ما يتزيَّن به. الرياش: اللباس الفاخر.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٢/ ٤١٠، وشرح مقامات الحريري ٤/ ٢٨٧. كما وردت -باختصار- في غرر الخصائص الواضحة ٤٧٨. وقد جاء في العقد ٢/ ٤١١: وقال شبيب بن شيبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل علىٰ المروءة، وصاحب في الغربة، ومؤنس في الوحشة، وحلية في المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

(٧) الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء. المعين: الجاري.

(٨) البارية: الحصير (فارسي معرب)، وهو بساط منسوج من أوراق البردئ أو الباري أو نحوهما. الشظية: الفلقة (الجزء الصغير) تتناثر من جسم صلب. فقأت: شقت. خطيرة: عظيمة جليلة القدر.

ما هو في النزعِ[1]، واقبل وصيتي ترشدْ، ولا تدعها فتندم)[2].

[٤٩٢] وقال بعض الحكماء لابنه:

(يا بني، تعلَّمْ حسنَ الاستماعِ كما تتعلم حسنَ الحديثِ، وليعلمِ الناسُ أنك أحرصُ علىٰ أن تسمعَ منك علىٰ أن تقولَ، فاحذر أن تسرعَ في القولِ فيما تحبُّ عنه الرجوعُ بالفعل، حتىٰ يعلمَ الناسُ أنك علىٰ فعلِ ما لا تقل أقربُ منك إلىٰ قولِ ما لا تفعل)[3].

[٤٩٣] حكي عن بعض حكماء العرب أنه قال لبنيه:

(يا بني، إذا اتخذتم عند رجلٍ يدًا فانسوها)[4].

[٤٩٤] أوصى بعض الحكماء ابنه، فقال له:

(يا بني، إياك والتسويفَ[5] لما تهمُّ به من فعلِ الخيرِ؛ فإن وقته إذا زال لم يَعُدْ إليك، واحذر طولَ الأملِ، فإنه هلاكُ الأممِ، ولا تدفعِ الواجبَ بالباطلِ، فيُدَالُ[6] منك سريعًا، وكن في وقتِ الرحلةِ إلىٰ الآخرةِ تغتبط بالعاقبةِ، وتنكَّب العجلةَ فعلًا وقولًا، وتفهَّمْ ما قيل فيمن عُرِفَ بها.

---

(١) العادية: القديمة (كأنها منسوبة إلىٰ عاد قوم ثمود). النزع: الاحتضار.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٢/ ٤١٩، وفي طبعة العريان من العقد (٢/ ٢٣٦): فيما يجب الرجوع... ما لم تقل... ما لم تفعل. وهو أكثر استقامة. ويشبه أولها (تعلم... تقول) وصية للحسن البصري.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في الأمثال لأبي عبيد ٦٦ -وعنه في مجمع الأمثال ١/ ٤٧- وعيون الأخبار ٣/ ١٧٧، قال أبو عبيد: (يقول: حتىٰ لا يقع في أنفسكم الطول (التطاول) علىٰ الناس بالقلوب، ولا تذكروها بالألسنة).

(٥) التسويف: المماطلة، وسوَّف فلانٌ الأمرَ: قال سوف أفعله.

(٦) فيدال منك: تؤاخذ وتجازىٰ، وينتقل ما بيدك إلىٰ غيرك.

واعلمْ أنك الموقوفُ[1] بها إذا فعلتها، فاحذرها قبل أن تقعَ بك، واستعدَّ لحريقِ الغضبِ بالأناةِ قبل أن تلتهبَ نارُه[2] في لحمك ودمك، فإن إطفاءه قبل استيثاره سريعٌ[3]، وإذا اشتعل[4] قَبَّحَ محاسنَ ما كنت تجمَّلُ بها إن كنت سلطانًا، فعقوبتُك تكون من وراء المذنبِ، والغضبُ فضلٌ لا وجهَ له[5]، وإن كنت سوفه[6]، فما قَدْرُ كلمةٍ وإن بلغت منك في جَنْبِ ما يفوزُ به من عاجلِ الحمدِ، والطَّوْلِ[7] علىٰ من نازعك بالعفوِ إنه لا تسقطُ مكرمةٌ ولا تخفىٰ حسنةٌ عن حاملٍ لنشرها عنك فتكتسب جمالًا، وتُبْرِدُ بها اللهبَ الواصلَ لخزي يومِ القيامةِ، وليس في وقتِ الرضا وَصْفُ الحلمِ، ولا عند الإمساكِ وَصْفُ حمدِ الجوادِ؛ وإنما نذكرُ[8] بالشجاعةِ من مارسَ الحروبَ.

واعلم يا بُنيَّ، أن للمحامدِ محافلَ وللمحاسنِ أسواقًا يبتاعها الناسُ، ثم يسيرُ بها الركبانُ[9] إلىٰ البلدانِ والأمصارِ، فتعاهدْ نفسك لنفسك، فإن أخلاقَ المرءِ إذا صلحت كانت كنوزًا يُبْضَعُ له بها في الآفاقِ[10]، ويتعجَّلُ ما يسرُّه من التعظيم، إن

(١) هكذا. ولعله: الموصوف.
(٢) في المجتنىٰ: قبل تلهُّب ناره.
(٣) في المجتنىٰ: فإن إطفاءه قبل انتشاره يسير.
(٤) في المجتنىٰ: وإذا انتشر أنسىٰ الحياء وقبَّح المحاسن.
(٥) فضل لا وجه له: زيادة لا سبب مسوِّغ لها. وقوله: فعقوبتك تكون من ورائه: أي أنك قادر عليه متمكن منه.
(٦) هكذا. والذي يبدو لي أنها محرفة عن (سوقة) وهو ما ليس بسلطان، أي من عامة الناس.
(٧) الطول: التطول والتفضل.
(٨) هكذا. ولعله: يذكر.
(٩) المحافل: جمع محفل، أماكن تجمعات الناس. يبتاعها: يشتريها. الركبان: المسافرون.
(١٠) يبضع له: تحمل بضاعة. الآفاق: جمع أفق، النواحي.

الفرائضَ[1] في الأموالِ أقلُّ منها في الأخلاقِ، وإنما قدرة[2] المالِ ما صحبك وكان لك، وجاهلًا بأخلاقك غيرَ زائلٍ عنك، والمالُ لباسٌ والزمانُ يبليه، والعرضُ المصونُ لا تبلىٰ حدَّته[3] وبهجته)[4].

[٤٩٥] قال بعض الحكماء لابنه:

(يا بني، اقبل وصيتي وعهدي، إن سرعةَ ائتلافِ قلوبِ الأبرارِ[5] كسرعةِ اختلاطِ[6] قَطْرِ المطرِ بماء الأنهارِ؛ وبُعدَ قلوبِ الفجارِ من الائتلافِ[7] كبُعدِ البهائمِ من التعاطفِ وإن طال اعتلافُها علىٰ آريٍّ[8] واحدٍ، كن يا بني بصالحِ الوزراءِ أغنىٰ منك بكثرةِ عِدَّتهم[9]، فإن اللؤلؤةَ خفيفٌ محملُها كثيرٌ ثمنُها، والحَجَرُ فادحٌ حَمْلُهُ قليلٌ غَنَاؤه[10])[11].

[٤٩٦] قال بعض الحكماء لبنيه:

---

(١) الفرائض: العطايا.

(٢) هكذا. ولعله: قدر.

(٣) هكذا. ولعله: جدَّته. العِرض: مواضع المدح والذم من الإنسان سواء كان في نفسه أو سلفه، أو من يلزمه أمره. المصون: المتعاهد والمحافظ عليه. بهجته: حسنه ونضارته.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في المجالسة للدينوري ٥/ ١٦٧-١٦٨، ولا تخلو بعض جمل الوصية من قلق. وقد ورد منها قوله: (استعد... المحاسن) في المجتنىٰ لابن دريد ٧٧.

(٥) زاد الجليس الصالح: حين يلتقون.

(٦) في التذكرة الحمدونية: كسرعة ائتلاف، والائتلاف: التوافق والاجتماع.

(٧) زاد الجليس الصالح: وإن طال تعاشرهم.

(٨) الآري: مربط الدابة.

(٩) في الجليس الصالح والتذكرة الحمدونية: بكثرة عددهم، ولعل المراد بالوزراء هنا: الإخوان والأصدقاء، لأن من معاني الوزير المؤازر، أي المساعد والمعين، وهو ما ينتظر من الصديق.

(١٠) في الجليس الصالح: غناؤه عنك، الفادح: الثقيل. الغناء: النفع.

(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في الأمالي ١/ ٢٣١، والجليس الصالح الكافي ٣/ ٧، ٣/ ٣٣٨. وقد ورد منها قوله: (اعلم أن سرعة... اعتلافها) في مختار الحكم ١٨٩ منسوبًا إلىٰ أرسطوطاليس.

(يا بنيَّ، أظهروا الزهدَ والنُّسْكَ[1]، فإن رأىٰ الناسُ أحدَكم بخيلاً[2] قالوا: مقتصدٌ لا يحبُّ الإسرافَ، وإن رأوه عيِيًّا[3] قالوا: يكرهُ الكلامَ فيما لا يعنيه، ويؤثرُ الصمتَ خيرٌ من مقالٍ يردِيه، وإن رأوه جبانًا[4] قالوا: لا يُقدِمُ علىٰ الشبهات)[5].

[٤٩٧] وقال بعض الحكماء لابنه:

(يا بني، إنما الإنسانُ حديثٌ، فإن استطعتَ أن تكونَ حديثًا حَسَنًا فافعل)[6].

[٤٩٨] قال بعض الحكماء لابنه:

(يا بني، احتفظ من النَّزَقِ عند سَورَةِ الغضبِ[7]، فإنك متىٰ افتتحت بُدُوَّ غضبِك بكَظْمٍ[8] ختمتَ عاقبتَه بالحلمِ، ومتىٰ افتتحته بالقلقِ والضَّجَرِ ختمته بالسَّفَهِ، وإذا حاججتَ فلا تغضبْ، فإن الغضبَ يقطعُ الحُجَّةَ، ويُظهِرُ عليك الخصمَ)[9].

[٤٩٩] قال بعض السلف:

---

(١) النسك: التعبد والزهد.

(٢) في نثر الدر: فإن الناس إن رأوا من أحدكم بخلاً.

(٣) في المصدر السابق: وإن رأوا عِيًّا، قالوا: مُتَوَقٍّ. والعيُّ: العجز عن النطق، والقصور عن بيان المراد. متوقٍّ: حذر يتجنب الوقوع في الإثم بفضول الكلام.

(٤) في المصدر السابق: وإن يروا جبنًا قالوا: متحرِّج يكره الإقدام. والمتحرج: المتجنب ما يوقعه في الحرج، وهو الإثم. يرديه: يؤدي به إلىٰ الردىٰ، وهو الهلاك.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٣/ ٣٠٤، و(باختصار يسير) في نثر الدر ٦/ ٣٩٦، وفيه: وقال رجل من بني هلال لبنيه. وانظر الوصيتين الآتيتين.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في رسائل الجاحظ (كتمان السر وحفظ اللسان) ١/ ١٦٠.

(٧) احتفظ: احترس، النزق: الخفة والطيش. سَورة الغضب: شدته وحدته وهياجه.

(٨) بُدوٌّ: بدايته وظهوره، الكظم: كتم ما في النفس وإخفاؤه.

(٩) **التوثيق**: وردت الوصية في المجالسة للدينوري ٤/ ٤٧٧ -٤٧٨ عن المدائني.

(يا بني، اتقِ السلطانَ، فإنه يغضبُ غضبَ الصَّبِي، ويصولُ صِيَالَ الأسدِ)[١].

[٥٠٠] قال بعض العلماء لبنيه:

(يا بني تعلَّموا العلمَ، فإن لم تنالوا به حظًّا، فلأن يُذَمَّ الزمانُ لكم أحبُّ إليَّ من أن يذمَّ الزمانُ بكم)[٢].

[٥٠١] قال بعض الفلاسفة لولده[٣]:

(لا تتكلوا علىٰ البَخْتِ[٤]، فإنه ربما لم يكنْ، وربما كان وذهبَ، فأما الحَسَبُ فرأيته بلاءً علىٰ أهله، فإنه يقال للناقصِ: هذا ابنُ فلانٍ، فيتضاعفُ غمُّه وعارُه، ولو لم يكنْ في العلمِ إلا أن العالمَ يُكْرَمُ وإن لم يَكسَبْ لكفاه)[٥].

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ٤/ ٢٢٩. وقد ورد في عيون الأخبار ١/ ٢٨٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٥٨-٥٩: أن معاوية قال هذا الكلام لأبي الجهم العدوي في إثر كلام بينهما وروايته فيهما: إياك والسلطان... ويعاقب عقاب الأسد، وإن قليله يغلب كثير الناس.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في أدب الدنيا والدين ٦٦، ونسبت في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣١٠ إلىٰ علي ﷺ دون تصريح بأنها وصية، وجاء في البصائر والذخائر ١/ ٤٠: (وكان يقال: تعلموا...). وفي نثر الدر ٧/ ٢٣١: (قال بعض حكمائهم [الهنود] لابنه: (يا بني، عليك بالحكمة والأدب، فلأن يذم الزمان فيك خير من أن يعاب بك). وفي المنتظم لابن الجوزي ٩/ ٢١٢ في ترجمة الحسين بن علي المغربي الوزير: (قال أبو غالب بن بشران الواسطي: رويت له أن بعض الحكماء قال لبنيه: تعلموا العلم فلأن يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم، ففكر ساعة وكتب:

ولقـد بلوت الـدهر أعجم صرفه	فأطـاع لي عصـيانه وليانُـه
ووجـدت عقـل المرء قيمةَ نفسـه	وبجدّه جـدواه أو حـرمانه
فإذا جفـاه المـجد عِيبت نفسـه	وإذا جفاه الجد عيـب زمانه)

(٣) **مناسبة الوصية**: يحثهم علىٰ الكسب.

(٤) المعاني: البخت: الحظ.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٧/ ٤٩.

[٥٠٢] أوصى بعض الملوك ابنه، فقال:

(احرصْ أن تكونَ خبيرًا بأمور عمَّالك، فإن المسيءَ يَفْرَقُ من خبرتك قبل أن تصيبَه عقوبتُك، والمحسنَ يستبشرُ بعلمك قبل أن يأتيَه معروفُك، وليعرفِ الناسُ من أخلاقك أنك [لا] تعاجلُ بالثوابِ والعقابِ، فإن ذلك أدومُ لخوفِ الخائفِ ورجاءِ الراجي)[١].

[٥٠٣] قال بعض الهالبيين(!) لبنيه:

(لا تشتروا الغنمَ فإنها مالُ الرِّقَّةِ، ولا تشتروا البقرَ فإنها مالُ الذِّلَّةِ، واشتروا الإبلَ واقتنوها فإنها رَقُوءُ الدمِ، وصدقاتُ الحرائرِ، وسفنُ البرِّ، وفيها قضاءُ الحقوقِ، ولا تتزوجوا المُمِيتَاتِ فإنهن يضربن علىٰ رؤوسكم من كان قبلكم، وتزوجوا المطلَّقاتِ فإنهن أضعفُ نفسًا، وإنكم تضربون علىٰ رؤوسهن من كان قبلكم)[٢].

[٥٠٤] وكتب بعضهم وصيةً لولده:

(لا تقبلْ من السلطانِ عطيةً، ولا من الإخوانِ هديةً، كن آنسَ ما تكونُ إذا خلوتَ بربك، وأوحشَ ما تكون إذا قعدتَ مع الناسِ، ما أصغرَ ما بذلت، وما أحقرَ ما تركت، وما أيسرَ ما فعلت في جنبِ ما أمَّلت! اسجنْ نفسك في بيتك وحدك،

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب أسرار الحكماء ٥٥. وقد ورد الكلام -باختلافات يسيرة- في الأدب الكبير لابن المقفع ١٠٧-١٠٨، كما ورد نقلًا عنه دون تصريح -في التذكرة الحمدونية ١/ ٢٩٥، والحكمة الخالدة ٢٩٦ (احرص... معروفك). كما ورد منها قوله: (لا تعجل... الراجي)- منسوبًا لابن المقفع في كتاب أسرار الحكماء ١١٨. كما ورد الكلام باختلاف ودون نسبة في نثر الدر ٤/ ٢٤٤.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المحاسن والمساوئ ٢٩١ وفيه: (الأصمعي قال: سمعت...)، وقد أوصىٰ قيس بن عاصم المنقري بنيه بقوله: (أكرموا الإبل، فإن فيها مهر الكريمة ورقوء الدم).

لا محدِّثَ ولا جليسَ، واصطنعْ[1] بملحك، واجعلْ قرصَك كفايتك، فإذا بك قد لحقت بالصالحين، أذلِلْ نفسك وقوِّمها بالعدلِ، وأهنْها تكرمْها، وأتعبْها ترضِها، فإن الرغبةَ متعِبةٌ لأهلها، والزهادةَ راحةٌ لأهلها، والنفسَ أمَّارةٌ بالسوء، وعدوٌّ بين جنبيك لا يفترُ)[2].

[٥٠٥] واوصى حكيم ابنه فقال:

(يا بني، إذا كنت في نادي قومٍ فحدِّثِ القومَ ما حاذوك بآذانهم، ولحظوك بأبصارهم، فإذا وجدت فترةً منهم فأمسك، وكفَّ عن الشتمِ فإنه أسلمُ للأعراضِ، ومن سَبَّ سُبَّ، وأحسنْ جوارَك يحسنْ ثناؤك، وامنعْ ضيمَ الغريبِ من القريبِ، وإذا حدثتَ فأوجزْ، فإن مع الإكثارِ يكونُ الإهذارُ، ولا خيرَ فيمن لا رويَّةَ له مع الغضبِ، ولا فيمن إذا عُوتب لم يعتبْ)[3].

[٥٠٦] جمع حكيمٌ من حكماءِ بني حنيفة بنيه فقال لهم[4]:

(اتقوا الله حقَّ تقاته، وإياكم والغِرَّةَ بتَواتُرِ النِّعمِ، وعليكم فيما فرَّطْتُم[5] فيه من أمرِ الله ﷻ بكثرةِ الندمِ؛ فإنكم إن تندموا علىٰ تفريطكم فيما مضىٰ من عمْرِكم

---

(١) هكذا. ويبدو أنه اعتراها تصحيف، وأن صحتها: واصطبغ بملحك. إذ يقال: صبغ الشيء، غمسه، ومنه صبغ اللقمة في الإدام. والصِّبْغ: ما يؤتدم به.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في الحكمة الخالدة ١٨٠.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ٢٥٢. وقد ورد منها قوله: (كفَّ عن الشتم... لم يعتب)، بصيغة الجمع، جزءًا من وصية عمرو بن كلثوم التغلبي لبنيه، وهي تكاد تطابق رواية الوشاء في كتابه الفاضل لها.

(٤) **مناسبة الوصية**: (عن مؤرج السدوسي قال: كنت في بادية بني حنيفة، فحدثني رجل منهم أن حكيمًا من حكمائهم جمع بنيه عند موته، فقال لهم).

(٥) الغرة: الاغترار والانخداع. تواتر: استمرار ودوام. فرطتم: قصرتم.

أوشك أن تقيموا[1] فيما بقي من آجالكم، ولا تجعلوا لأنفسكم همًّا سوىٰ الله ﷻ؛ فإنكم إن تفعلوا يجعلِ الله لكم من أمركم فَرَجًا ومَخْرَجًا من حيث لا تحتسبون، وخفِّفُوا ظهورَكم من المظالمِ تسلمْ لكم حسناتُكم غدًا)[2].

[٥٠٧] وقال حكيم لابنه:

(يا بني، عليك[3] بطلبِ المالِ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عزٌّ في قلبك، وذُلٌّ في قلبِ عدوِّك[4] لكفىٰ)[5].

[٥٠٨] وقال حكيمٌ لابنه:

(يا بني، إن أشدَّ الناسِ حسرةً يومَ القيامةِ رجلٌ كَسِبَ مالًا من غيرِ حلِّه فأدخلَه النارَ، وأورثه مَنْ عَمِلَ فيه بطاعةِ الله فأدخلَه الجنةَ)[6].

[٥٠٩] وقال حكيمٌ لابنه وهو يعظه:

(يا بني، المدبرُ لا يوفَّقُ لطريقِ المراشدِ[7]، فإياك وصحبةَ المدبرِ؛ [فإنك][8] إن

(١) أشار المحقق إلىٰ أن الكلمة في الأصل عنده: تغتموا.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في المجالسة للدينوري ٦/ ٣٢٩ عن مؤرج السدوسي.

(٣) في شرح مقامات الحريري: يا بني أوصيك عليك. ويبدو أن (أوصيك) مقحمة من قلم الناسخ، فبعدها مباشرة: وقال آخر لابنه: يا بني أوصيك... فربما كان سبق نظر! وفي التذكرة الحمدونية وعين الأدب والسياسة: اطلب المال فإنه.

(٤) في عين الأدب والسياسة: قلب غيرك.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ٣٠، وشرح مقامات الحريري ٤/ ٢٤١. كما وردت في التذكرة الحمدونية ٨/ ٩٨، وعين الأدب والسياسة ١٤٥.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ١٤٩.

(٧) في التذكرة الحمدونية ولباب الآداب: لطرق. والمراشد: المقاصد.

(٨) زيادة من سائر المصادر.

صَحِبْتَه عَلَقَ بك إدبارُه، وإن تركتَه بعد صحبتِك إياه تتبَّعتْ نفسُك آثارَه)[1].

[٥١٠] قال حكيمٌ لولده:

(يا بني، عليك بالنُّسْكِ، فإن رأىٰ الناسُ منك بخلًا قالوا: مقتصدٌ لا يحبُّ الإسرافَ، وإن رأوا عِيًّا قالوا: يكرهُ أن يتكلمَ فيما لا يعنيه، وإن رأوا جبنًا قالوا: لا يُقدِمُ علىٰ الشبهاتِ)[2].

[٥١١] قال رجلٌ من الحكماءِ لبنيه:

(يا بنيَّ، لا تعادوا الرجلَ[3] وإن ظننتم أنه لا يضرُّكم، ولا تزهدوا في صداقةِ أحدٍ وإن ظننتم أنه لا ينفعكم، فإنكم لا تدرون متىٰ تخافون عداوةَ العدوِّ، ولا متىٰ ترجون صداقةَ الصديقِ، ولا يعتذر إليكم أحدٌ إلا قبلتم عذرَه منه، وإن علمتم أنه كاذب[4])[5].

[٥١٢] أوصى رجلٌ من ربيعةَ ابنه[6] فقال:

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في المجتنىٰ ٧٨، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٣٦١، ولباب الآداب ١٩، وفيه: ووصىٰ حكيم ابنه. كما وردت في المجالسة للدينوري ٦/ ٣٢٨ لحكيم من الحكماء، وأولها فيه: (يا بني، إياك وصحبة المدبر) وزاد في آخرها: (ومن يتبع مدبرًا أوفىٰ به علىٰ سبيل الهلكة، ومن شاور مدبرًا دلَّه علىٰ طريق حيرة) وهي فيه عن ابن عائشة. أوفىٰ به: أوقفه وأوصله.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في ربيع الأبرار ١/ ٨٢٥.

(٣) في أمالي اليزيدي ونثر الدر والكشكول: أحدًا.

(٤) زاد أمالي اليزيدي ونثر الدر: زُجُّوا الناس زجًّا، وعلق الأول بعدها: أي ادفعوهم بالراح ولا تكاشفوهم. قلت: كاشفه بالعداوة: باداه بها.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في الموفقيات ٢٨٤، وأمالي اليزيدي بسنده عن الزبير بن بكار ١٥٢ وفيه: وقال رجل من أهل الفضل والعقل، ونثر الدر ٦/ ٣٩٠ وفيه: وقال بعضهم لبنيه، وورد منها في الكشكول ١/ ٢٤٢ قوله: (يا بني.... الصديق) وفيه: قال بعض الحكماء لبنيه.

(٦) **مناسبة الوصية**: (حضرت رجلاً من ربيعة الوفاة فقال لابنه...).

(يا بني، إذا حَزَبَك أمرٌ فاحْكُك ركبتيك بركبةِ من هو أسنُّ منك، ثم استشْره[١])، قال: فمات أبي فأردت التزويجَ[٢] فجئت شيخًا من قومي فجلستُ في ناديه[٣]، فلما قام[٤] مَنْ عنده قال: ألك حاجةٌ يا بن أخي؟ قلت: نعم يا عمِّ، إني أريدُ التزويجَ[٥]. قال: أطويلةُ النسبِ أم قصيرتُه؟ فوالله ما اخترتُ ولا أدَّبتُ[٦]، فقال: إني أعرفُ[٧] في العينِ إذا عرفتْ، وأعرفُ في العينِ إذا أنكرتْ، وأعرفُ في العينِ إذا لم تعرفْ ولم تنكرْ. فأما إذا[٨] عرفتْ فإنها تحاوِصُ[٩] للمعرفةِ، وأما إذا أنكرتْ فإنها

(١) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية: فحكَّ ركبتك (في الحمدونية: ركبتيك) بركبة شيخ من قومك، وشاوره. حزبك: أهمك.

(٢) في تحفة العروس: التزوج.

(٣) في تحفة العروس: من قومه. وفي نثر الدر والتذكرة الحمدونية: فأتيت شيخًا من قومي في ناديه فجلست إليه. وتصحفت (ناديه) في نثر الدر إلىٰ: بادية!

(٤) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية: حتىٰ خفَّ. خفَّ: قام.

(٥) في تحفة العروس: التزوج، وفي نثر الدر والتذكرة الحمدونية: فقلت: نعم، أردت التزويج فأتيتك أشاورك.

(٦) زاد محقق الموفقيات -اجتهادًا- كلمة [قلت] وجعلها بين معقوفين، ويبدو أنه ظن أن الجملة ردٌّ من راوي الخبر علىٰ الشيخ، علىٰ حين أنها إخبار عن حيرته وعدم الرد. ولعل ما دعاه إلىٰ ذلك الفهم هو -ربما- تصحُّف النص عنده كما هو مثبت. فقد جاء في تحفة العروس -وهو نقل عن الموفقيات-: فوالله ما احترت ولا آذيت! ولم يسلم هو الآخر من التصحيف. وقد جاء في نثر الدر: فما أخْيَرْت ولا أردأت. وفسرها: أي لم أقُل خيرًا ولا رديئًا. وفي التذكرة الحمدونية: فما أجدت ولا أرديت. وفسرها: أي لم أقل جيدًا ولا رديًا.

(٧) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية: إني لأعرف.

(٨) في المصدرين السابقين: فأما العين إذا عرفت.

(٩) في تحفة العروس: تخاوض. تصحيف. وفي نثر الدر: تتحاوص. يقال: هو يحاوص فلانًا أي ينظر إليه بمؤخر عينه ويخفي ذلك، والحوص ضيق في مؤخر العين حتىٰ كأنها خيطت، وقيل: هو ضيق مشَقِّها، وقيل: هو ضيقٌ في إحدىٰ العينين دون الأخرىٰ، قال الأزهري: الحوص عندهم جميعهم ضيق في العينين معًا. وفي التذكرة الحمدونية: تتخاوص للمعرفة. الخوص ضيق العين وصغرها وغؤورها، وقيل فيه بعض ما قيل في الحوص، وعدَّ الأزهري تعريف الخوص أنه ضيق العين خطأ، وقال: لأن العرب إذا أرادوا ضيقها قالوا: هو الحوص -بالحاء- فإذا أرادوا غؤور العين فهو الخوص بالخاء معجمة. انظر: تهذيب اللغة=

تجحَظ للنكرةِ[1]، وأما إذا لم تَعرفْ ولم تنكر فإنها تسْجو سَجْوًا[2].

يا ابن أخي إياك أن تتزوجَ[3] إلىٰ قومٍ أهلِ دناءةٍ أصابوا من الدنيا غَثَرَةً[4]، فتشركهم في دناءتهم ويستأثرون عليك بدنياهم[5]. فقمتُ[6] وقد اكتفيت)[7].

[٥١٣] قال رجلٌ لبنيه:

(يا بني، أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجلَ تنوبه النائبةُ يحتاجُ أن يتجمَّلَ فيها، فيستعيرَ من أخيه دابَّةً، ومن صديقه ثوبًا، ولا يجدُ من يعيرُه لسانًا)[8].

=٧/ ٤٧٣-٤٧٤. وخاوص الرجل وتخاوص: غضَّ من بصره شيئًا، وهو في كل ذلك يحدِّق النظر كأنه يقوِّم سهمًا.

(١) في نثر الدر والتذكرة الحمدونية: وإذا... للإنكار. تجحظ: من جحوظ العين وهو نتوؤها وانزعاجها، حين يشخص بصر الإنسان وهو يترقب أمرًا، والأصل فيه: خروج مقلة العين وظهورها من محجرها.

(٢) في المصدرين السابقين: وإذا لم. تسجو: تسكن.

(٣) في المصدرين السابقين: يا بن أخي لا تتزوج.

(٤) هكذا جاءت في الأصل. وفسرها المحقق: سفلة الناس، وهي إن استقامت لغويًّا لا تنسجم -في ظني- مع السياق. وفي لسان العرب (غثر): (وأصاب القوم من دنياهم غثرة أي كثرة، وعليه غثرة من مال أي قطعة).وقد جاء في تحفة العروس -وهو ناقل عن الموفقيات-: بعد عسرة. والعسرة: الضيق والشدة. وفي نثر الدر: عثرة، وهو في ظني تصحيف عن (غثرة)، إذ لا معنىٰ لها هنا. وفي التذكرة الحمدونية: أصابوا من الدنيا عسرة، وهي وإن أمكن اعتساف معنىٰ لها، ليست -في ظني- مرضية وسقطت الكلمة من بهجة المجالس. والدناءة: الخبث والخسَّة والمجون، ورجل دنيٌّ من قوم أدنياء، وهو الضعيف الخسيس الذي لا غناء عنده، المقصِّر في كل ما أخذ فيه.

(٥) في المصدرين السابقين: ولا يشركونك في أموالهم.

(٦) في المصدرين السابقين: قال: فقمت.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في الموفقيات ٤٢١ وعنه في تحفة العروس ٦٢. كما وردت في نثر الدر ٦/ ٣٩٩-٤٠٠، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٤، وورد منها في بهجة المجالس ٣/ ٣٣ قوله: (يا ابن أخي إياك... اكتفيت بما قال لي)، وصدرها بقوله: (وشُووِر بعض الحكماء في تزويج فقال للمشاور).

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في معجم الأدباء ١/ ٢٨، ولباب الآداب ٢٠، وفيه: قال بعض الحكماء لبنيه، وحياة الحيوان الكبرىٰ ٢/ ٣٦١، وفيه: (وروي أن الرشيد قال للأصمعي:=

[٥١٤] قال رجلٌ من العرب لابنه:

(أي بني، إنه من خاف الموتَ بادر الفوتَ، ومن لم يلجمْ نفسه عن[١] الشهواتِ أسرعت به التبعاتُ[٢]، والجنةُ والنارُ أمامك)[٣].

[٥١٥] أوصى رجلٌ بنيه فقال:

(يا بني، عليكم بالنُّسْك، فإنه إذا ابتلي أحدُكم بالبخلِ قيل: مقتصدٌ لا يرىٰ الإسرافَ. وإن ابتلي بالعِيِّ قيل: يكرهُ الكلامَ فيما لا يعنيه، وإن ابتلي بالجبنِ قيل: لا يُقدِمُ علىٰ شُبْهَةٍ)[٤].

[٥١٦] قال رجلٌ لابنه:

(يا بني، اعصِ هواك والنساءَ واصنعْ[٥] ما بدا لك)[٦].

=ما أحسن ما مرَّ بك في تقويم اللسان؟ قال: أوصىٰ رجل بعض بنيه فقال: ... النائبة فيتجمَّل فيها، فيستعير من أخيه وأبيه...)، ولعل (أبيه) مصحَّفة عن (دابة). ووردت -باختصار- منسوبة لبعض الحكماء، يقولها لأولاده، في رسائل الجاحظ (صناعة القواد) ١/ ٣٨١.

(١) في بهجة المجالس: ومن لم يصبر علىٰ. وفي ذم الهوىٰ: ومن لم يكبح. يلجم: يمتنع ويمسك لسانه عن الكلام.

(٢) وفي ذم الهوىٰ: بادرت به. وفيه وفي بهجة المجالس: إلىٰ الهلكات. التبعات: تبعة الأمر: عاقبته وما يترتب عليه من أثر.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الزهد الكبير ١٦٧، كما وردت في بهجة المجالس (باختصار يسير) ٣/ ٣٢١ وذم الهوىٰ ٣٢ وفيهما قال أعرابي لابنه، وفي العقد الفريد ٣/ ٤٤٢ (قال أعرابي: من خاف... ومن لم يُنحِّ النفس...).

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في بهجة المجالس ٣/ ٢٥٢. وانظر الوصية السابقة، واللاحقة.

(٥) في غرر الخصائص: وأطِع من شئت.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٤/ ٢٠٥، وغرر الخصائص الواضحة ٩١، وفيه: وقال حكيم لولده. وقد ورد القول -منسوبًا لحكيم- في ربيع الأبرار ٤/ ٢٨٠، ومنسوبًا لعلي ﵁ في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣١٢، وورد فيه ١٨/ ١٩٩ مصدرًا بقوله: ومن كلام الحكماء. كما ورد -دون نسبة- في التمثيل والمحاضرة ٢١٦.

[٥١٧] قال رجلٌ لبنيه:

(يا بَنِيَّ، لو أن رجلًا منكم أراد حاجةً احتاجَ فيها إلىٰ أن يتهيَّأ لها لقدرَ علىٰ عاريةِ ثوبِ جارِه ودابتِه، ولكن لا يقدرُ علىٰ لسانٍ يستعيره، فأصلحوا ألسنتكم)[١].

[٥١٨] قال رجلٌ لابنه[٢]:

(يا بني، ساهلْ، فما تضيعُه من عِرْضِك أكثرُ مما تناله من غَرَضِك)[٣].

[٥١٩] أوصى رجلٌ ابنه فقال له:

(يا بني، ابذلِ المودَّةَ الصادقةَ[٤] تستعبدْ[٥] إخوانًا، وتتخذْ أعوانًا، فإن العداوةَ موجودةٌ عتيدةٌ، والصداقةَ مُستَعْذِرَةٌ بعيدةٌ[٦]، وجنِّب كرامتَك اللئامَ، فإنك إن أحسنت إليهم لم يشكروا، وإن نزلتْ معضِلَةٌ[٧] لم يصبروا، واعلم أن الحسدَ ماحقٌ للحسناتِ، والزَّهْوَ جالبٌ لمقتِ الله ﷻ[٨] ومقتِ عبادِه، والعُجْبَ صارفٌ

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب العيال ١/ ٥٢٩، رواية عن عبد الله بن ثعلبة الحنفي. وانظر الوصية (٥١٣).

(٢) **مناسبة الوصية**: حين رآه يماكس في ابتياع (شراء) لحم.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٤/ ٢٠٠. ولعل الكلمة الأخيرة مصحفة عن (عَرَضك)، والعرض: متاع الدنيا، قلَّ أو كثر.

(٤) في التذكرة الحمدونية: الصافية.

(٥) في الأمالي والتذكرة الحمدونية: تستفد. تستفد: تكسب. تستعبد إخوانًا: تحظَ بأصحاب مخلصين صادقين في مودتهم.

(٦) في الأمالي: مستعرزة. وفي التذكرة الحمدونية: مستعزَّة. ومستعرزة: منقبضة شديدة. يقال: رأيت فلانًا اعترز منِّي أي انقبض (الأمالي). ومستعزَّة: ثابتة راسخة. ومستعذرة: من استعذر إليه: قدَّم إليه الاعتذار. واستعذر من فلان: قال: من عذيري منه، وطلب من الناس العذر إن هو عاقبه. وربما كانت الكلمة تحريفًا عن رواية الأمالي. وعتيدة: مهيأة حاضرة.

(٧) في الأمالي والتذكرة الحمدونية: شديدة. المعضلة: النازلة الشديدة الصعبة.

(٨) ماحق: مذهب ومزيل. الزهو: الكبر. جالب لمقت الله: مسبب لبغضه.

للازديادِ من العلمِ[1]، داعٍ إلىٰ الجهلِ والتخبُّطِ، والبخلَ أذمُّ الأخلاقِ، وأجلبُها لسوءِ الأحدُوثةِ[2])[3].

[٥٢٠] وقال رجلٌ لابنه يوصيه:

(يا بني، إياك والرَّقُوبَ[4]، الغَضوبَ القَطُوبَ[5]، الغَلباءَ الرَّقبَاءَ[6]، اللفُوتَ[7] الشَّوسَاءَ[8]، المَنَّانةَ[9]، الأنَّانـةَ[10]، الحَنَّانةَ[11]، واعلم أن من النساءِ جِمَاعًا

---

(١) العجب: الكبر. صارف: مانع.

(٢) التخبط: الاضطراب والحيرة، الأحدوثة: ما يتحدث، يقال: صار فلان أحدوثة: كثر فيه الحديث.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ٢٥٣. وقد ورد منها قوله: (يا بني.. يصبروا) في الأمالي ١/ ١٩٧ وفيه: (حدثنا أبو بكر بن دريد: قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت أعرابيًّا يوصي ابنه...)، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٣٧٥ وفيه: قال أعرابي لابنه.

(٤) الرقوب: التي تراقب زوجها أن يموت فترثه.

(٥) الغضوب: الكثيرة الغضب. والقطوب: كثيرة القطوب (تزوي ما بين العينين عند العبوس).

(٦) الغلباء الرقباء: الغليظة الرقبة.

(٧) اللفوت: التي عينها لا تثبت في موضع واحد، إنما همُّها أن يغفل عنها زوجها فتغمز غيره. وقيل: التي تكثر التلفُّت، وقيل: التي يموت زوجها أو يطلقها ويدع عليها صبيانًا فهي تكثر التلفت إلىٰ صبيانها، وقيل: هي التي فيها التواء وانقباض.

(٨) الشوساء: المتشاوسة النظر من التيه. (الشوس: النظر بمؤخر العين تكبُّرًا أو تغيظًا).

(٩) المنانة: التي تمنُّ علىٰ زوجها بما لها كلما أهوىٰ إلىٰ شيء منه.

(١٠) الأنانة: التي مات عنها زوجها فهي إذا رأت الزوج الثاني أنَّت (أصدرت أنينًا) وقالت: رحم الله فلانًا لزوجها الأول! وقيل: التي تئن من غير علَّة، أو التي تئن كسلًا وتمارضًا.

(١١) الحنانة: التي لها ولد من غير زوجها فهي تحنُّ عليهم. وقيل: التي تزوجها رجل من قبل، فهي تحن إليه.

تجمعُ[1]، وربيعًا تَربَعُ[2]، وخَرُوجًا[3] تَطلعُ، توهي[4] الخَرْقَ ولا ترقع)[5].

[٥٢١] قال رجلٌ لابنه:

(ابتدِ بتقوىٰ الله -جل جلاله- وطاعته، وقدِّمْهما مؤثرًا فضلَهما، متحلِّيًا جمالَهما، فإن التردِّي[6] بهما أجملُ لباسٍ، والتحصنَ بهما أمنعُ حِرْزٍ، والتشفُّعَ بهما أكرمُ وسيلةٍ)[7].

---

(١) الجماع التي تجمع: المرأة يتزوجها الرجل وله نشب (مال) ولها نشب فتجمع ذلك!

(٢) في خبر آخر في اللسان (سمع): ربيع مربع، قال: هي الشابة الجميلة التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك.

(٣) الخروج: الكثيرة الخروج.

(٤) توهي الخرق: تزيد فيه.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في مجالس ثعلب ١/ ٢١٤. وقد ورد صدرها: (يا بني... القطوب) في أدب الدنيا والدين ٢٥٤، وفيه (وقال شيخ من بني سليم لابنه)، وفي تحفة العروس ٦٥ (وقال بعض العرب لولده)، واللسان (حنن) ١٣/ ١٣١، (لفت) ٢/ ٨٥، وورد في الأمالي ٢/ ٢٥٦، قال يعقوب: قال الفراء: سمعت الكلابي يقول: (وقال بعضهم لولده: يا بني لا تتخذها حنانة، ولا أنانة، ولا منانة، ولا عشبة الدار، ولا كيَّة القفا). وضبطها محققه (كُبَّة).. ووجدتها في مخطوطته كسائر المصادر (كيَّة). وتفسير القالي لها يعضد ذلك. وهي كذلك في المحاسن والأضداد ٢٩، كما وردت في اللسان (عشب) ١/ ٦٠١ وفيه: (وفي بعض الوصاة: يا بني...)، وشرح مقامات الحريري ٥/ ١١٢، وقد وردت -دون الجملتين الأخيرتين- في أدب الدنيا والدين ٢٥٤، وفيه: (وأوصىٰ بعض الأعراب ابنه)، وتحفة العروس ٦٥. وفسر صاحب الأمالي (كيَّة القفا) بأنها التي يأتي زوجها أو ابنها القوم، فإذا انصرف من عندهم قال رجل من جبناء القوم: قد والله كان بيني وبين امرأة هذا المُوَلِّي أو أمِّه أمرٌ، وفسرت في المحاسن والأضداد بأنها التي إذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت بامرأة هذا كذا! قلت: كأنها تترك -بسمعتها السيئة- كيَّة في قفا زوجها أو أخيها. وعشبة الدار: الهجينة، أو الحسناء في أصل السوء، لأن أصل عشبة الدار: التي تنبت في دمنة الدار وحولها عشب في بياض الأرض فهي أفخم منه وأضخم، لأنها غذتها الدمنة.

(٦) متحليًا: جاعلاً ذلك حلية، أي زينة. التردي: تردَّىٰ بالرداء: لبسه.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في البصائر والذخائر ٤/ ١١٧.

وصايا النساء

[٥٢٢] قالت أسماءُ[١] بنت أبي بكرٍ لابنها[٢] عبدِ الله بن الزبير:

(يا بني عِشْ كريمًا، ومتْ كريمًا، ولا يأخذك القومُ أسيرًا)[٣].

[٥٢٣] قالت أسماء بنت أبي بكر لابنها عبدِ الله[٤]:

(يا بني لا تقبلنَّ[٥] منهم خُطَّةً تخاف فيها علىٰ نفسك الذلَّ مخافةَ القتل، فوالله لضربةُ سيفٍ[٦] في عزٍّ خيرٌ من ضربةِ سوطٍ في ذلٍّ) [٧].

[٥٢٤] قالت أسماء لابنها عبد الله[٨]:

---

(١) **صاحبة الوصية**: أسماء بنت أبي بكر الصديق، شهرت بذات النطاقين لدورها الرائع في أحداث الهجرة. عرفت بالعلم والعبادة، توفيت سنة ٧٣هـ وعمرها فوق التسعين.
انظر: تاريخ مدينة دمشق (قسم النساء) ٣، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٧، والإصابة ٧/ ٤٨٤.
وابنها عبد اللَّه تقدمت ترجمته عند وصية والده.

(٢) **مناسبة الوصية**: قالت له ذلك حين قاتل الحجاج.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ مدينة دمشق (قسم النساء) ٢٢، كما وردت في تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٣٠ (وتحرفت فيه القوم إلىٰ: اليوم) عن الطبقات الكبرىٰ لابن سعد، وليس هو في المطبوع من الطبقات.

(٤) **مناسبة الوصية**: حين دخل عليها في اليوم الذي قُتل فيه.

(٥) **الروايات**: في بلاغات النساء: يا بني لا تجبنن عن خطة تخاف علىٰ نفسك فيها القتل.

(٦) في أسد الغابة: بسيف... بسوط.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في الاستيعاب ٣/ ٩٠٧، وأسد الغابة ٣/ ١٤٠، كما وردت باختصار في بلاغات النساء ١٩٩-٢٠٠، وفيه بعدها: قال -أي ابنها عبد اللَّه-: إنما أخاف أن يمثِّلوا بي. قالت: يا بني إن الشاة لا تألم السلخ بعد الذبح. وانظر الوصية اللاحقة.

(٨) **مناسبة الوصية**: قال عروة بن الزبير: (دخلت أنا وعبد اللَّه بن الزبير علىٰ أسماء قبل قتل ابن الزبير بعشر ليالٍ وإنها وَجِعَة، فقال عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة، قال: إن في الموت لعافية! قالت: لعلك تشتهي موتي، فلذلك تتمناه فلا تفعل، فالتفت إليَّ عبد الله، فضحكت وقالت...، وإنما عنىٰ ابن الزبير أن يقتل فيحزنَها ذلك، وكانت ابنة مئة سنة).

(والله ما أشتهي أن أموت حتىٰ يأتي عليَّ[1] أحدُ طرفيك، إما أن تُقتلَ فأحتسبَك، وإما أن تظفرَ فتقرَّ عيني عليك، وإياك أن تُعرضَ [علىٰ][2] خطَّةٍ فلا توافق فتقبلَها كراهيةَ الموت[3])[4].

[٥٢٥] كانت أسماء بنت أبي بكر تقول لبناتها ولأهلها[5]:

(أنفقوا أو أنفقن وتصدَّقن ولا تنتظرنَ الفَضْلَ، فإنكن إن انتظرتنَّ الفضلَ لم تُفْضِلْنَ شيئًا[6]، وإن تصدَّقتُنَّ لم تجدْن[7] فَقْدَه)[8].

---

(١) **الروايات**: في تاريخ دمشق وسير أعلام النبلاء: حتىٰ تأتي علي. وطرف كل شيء: منتهاه.

(٢) ساقطة من الأصل، وفي تاريخ الإسلام: أن تعرض عليَّ (!!) خطة لا توافق.

(٣) أشارت محققة تاريخ ابن عساكر إلىٰ أنه ورد في النسخة الثانية لديها: فلا تقبلها.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في حلية الأولياء ٢/ ٥٦، ومن طريق أبي نعيم وردت في تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٢٢/ ٢٣. كما وردت في سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٩٣، وتاريخ الإسلام (وفيات ٦١-٨٠)/ ٣٥٧.

(٥) **الروايات**: في تاريخ دمشق (إحدىٰ رواياته): لبناتها: يا بناتا تصدقن. وفي رواية أخرىٰ له وتاريخ الإسلام: يا بناتي تصدقن.

(٦) في تاريخ دمشق (روايتان عنده)، وتاريخ الإسلام: لم (لن) تجدنه.

(٧) في تاريخ دمشق (إحدىٰ رواياته)، وإن تفقدن لا تجدن.

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨/ ٢٥٢، وتاريخ دمشق (قسم النساء) ١٩، (ثلاث روايات) و-عنه فيما يبدو في تاريخ الإسلام (وفيات ٦١-٨٠)/ ٣٥٦، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٢٩ (عن تاريخ دمشق).

[٥٢٦] قال الأوقَصُ[١] المخزومي: قالت لي أمي[٢]:

(يا بني إنك خلقتَ خِلْقَةً لا تصلُحُ معها لمجامعةِ[٣] الفتيانِ في بيوتِ القِيانِ[٤]، إنك[٥]

(١) **صاحبة الوصية**: هي أم أبان بنت عبد الحميد بن عباد بن مطرف بن سلامة، من بني مخرمة (نسب قريش٣١٥)، وقد ورد في الأغاني ١/ ٣٧٣ (أن العرجي خرج إلىٰ جنبات الطائف متنزهًا فمر ببطن النقيع، فنظر إلىٰ أم الأوقص... وهي امرأة من تميم...) ثم ذكر أبياتًا زعم أن العرجي قالها فيها ومنها:

لحَيني والبلاء لقيت ظُهرًا   بأعلىٰ النقع أختَ بني تميم

ولم أقف علىٰ قبيلة باسم بني مخرمة. وقد جاء في الأنساب ١٢/ ١٣٠ (المخرمي... هذه النسبة إلىٰ المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف القرشي... وأما أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المخرمي صاحب السيرة فهو مولىٰ قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف). وليس ثمة علاقة بين هذه النسبة وبين بني تميم. وقد جاء في المحكم لابن سيده ٥/ ١٠٩ (خرب): (ومخرَّبة حيٌّ من بني تميم أو قبيلة). ونقلها عنه -فيما يبدو- صاحب اللسان ١/ ٣٤٩ (خرب)، ولكنها ضبطت فيه (مخرِّبة...) فهل ما ورد في نسب قريش من مخرمة مصحف عن مخربة؟ ربما!

وقد ورد في ربيع الأبرار بين يدي الوصية قول الأوقص: (قالت لي أمي -وكانت عاقلة- ...)، والأوقص هو محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن يحيىٰ المخزومي، عرف بالظرف والأدب، كان عنقه داخلًا في بدنه، ومن هنا شهر بلقب الأوقص، تولىٰ قضاء مكة للمهدي، وتوفي سنة ١٦٩هـ. وقد سمي في جمهرة أنساب العرب: الأوقص بن محمد...! وهو خطأ.

انظر: أخبار القضاة ١/ ٢٦٤، وجمهرة أنساب العرب ١٤٦، والوافي ٣/ ٢٢٤.

(٢) **مناسبة الوصية**: كان الأويقص المخزومي أقبح الناس خلقة، وما رُوي مثلُه في العفاف والزهد، فقال يومًا لجلسائه:... فنفعني الله بما قالت، وتعلَّمت العلم حتىٰ وليت القضاء. انظر: مصادر الوصية.

(٣) **الروايات**: في العقد ٣: لمجامع، وفي محاضرات الأدباء وشرح مقامات الحريري: لمجالسة. وفي الوافي والنجوم الزاهرة: لمعاشرة. ومجامعة الفتيان: الاجتماع بهم.

(٤) في العقد ٣: عند القيان.

(٥) في ربيع الأبرار: لأنك.

لا تكونُ مع أحدٍ إلا تخطتْك إليه العيونُ، فعليك بالدينِ[1] فإنه يرفعُ الخسيسةَ، ويتمُّ النقيصةَ)[2].

(١) في العقد وشرح المقامات: فإن اللّه يرفع به... ويتم به. وفي محاضرات الأدباء: فعليك بالأخلاق التي ترفع... وتتم. وفي الوافي والنجوم الزاهرة: فعليك بالدين والعلم، فإنهما يتممان النقائص، ويرفعان الخسائس. والنقائص جمع نقيصة، وهي النقص. والخسائس جمع خسيسة، يقال: رفع من خسيسته: إذا فعل به فعلًا يكون فيه رفعتُه.

(٢) **التوثيق**: وردت هذه الوصية في عيون الأخبار ١/ ٣٢٢، والعقد الفريد ٣/ ١٦٤ وفيه أنه قال ذلك لجلسائه. ووردت في العقد الفريد ٦/ ١٦ باختصار، كما وردت في محاضرات الأدباء ١/ ٢٧٨، وربيع الأبرار ١/ ٨٤٧، وشرح مقامات الحريري ٤/ ٧٣، والوافي بالوفيات ٣/ ٢٢٤، والنجوم الزاهرة ٢/ ٦٠، وقد ورد في الأغاني ٤/ ٢٢٥-٢٢٦، عن حسين بن دحمان الأشقر قال: (كنت بالمدينة، فخلا لي الطريق وسط النهار، فجعلت أتغنىٰ:

ما بال أهلك يا رباب   خُزْرًا كأنهم غِضاب

قال: فإذا خوخة قد فتحت، وإذا وجهٌ قد بدا تتبعه لحية حمراء، فقال: يا فاسق أسأت التأدية، ومنعت القائلة، وأذعت الفاحشة؛ ثم اندفع يغنِّيه، فظننت أن طويسًا قد نُشر بعينه؛ فقلت له: أصلحك الله! من أين لك هذا الغناء؟ فقال: نشأت وأنا غلام حَدَثٌ أتبع المغنين وآخذ عنهم، فقالت لي أمي: يا بني إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلىٰ غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه؛ فإنه لا يضر معه قُبحُ الوجه. فتركت المغنين واتبعت الفقهاء، فبلغ اللّه بي -عز وجل- ما ترىٰ. فقلت له: فأعدْ جعلت فداءك! قال: لا ولا كرامة! أتريد أن تقول: أخذته عن مالك بن أنس! وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم). وقد ورد الخبر نفسه -باختلاف يسير- ورَاوِيه حسنُ بن نعمان (!) في سرح العيون ٢٦٣، وقال في صدره: وحكىٰ ابن حمدون في تذكرته، وكذا فعل الحموي في ثمرات الأوراق ١١٨، ويغلب علىٰ ظني أنه ناقل عن سرح العيون، مع أن حسن بن نعمان أصبح فيه: الحسن بن حماد، ويبدو أن كلا الاسمين محرف عن: حسين بن دحمان، الوارد في الأغاني. ولم أقف عليه في تذكرة ابن حمدون.

وفي شرح مقامات الحريري ٤/ ٧٣ -بعد إيراد المؤلف وصية أم الأوقص المخزومي- قال: (وروي أن أم مالك بن أنس أوصته بمثل هذه الوصية حين أراد أن يتعلم الغناء في حداثته، فتركه وتعلم، العلم فذهب به حيث بلغ).

وفي الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٥٥ (وقال ابن خويزمنداد: فأما مالك فيقال (!) عنه: إنه كان عالمًا بالصناعة وكان مذهبه تحريمها. وروي (!) عنه أنه قال: تعلمت هذه الصناعة وأنا غلام شاب، فقالت لي أمي: أي بني: إن هذه الصناعة يصلح لها من كان صبيح الوجه ولست كذلك، فاطلب العلوم الدينية (!)، فصحبت ربيعة، فجعل اللّه في ذلك خيرًا).   =

[٥٢٧] أوصت أمامة بنت الحارث التغلبية[1] ابنتَها أمَّ إياس بنتَ عوفِ بن

=وفي عيون الأخبار ١/ ٣٢٢ (حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال: ولي الأوقص المخزومي قضاء مكة فما رئي مثله في العفاف والنبل، فبينا هو نائم ذات ليلة في جناح له مرَّ به سكران يتغنىٰ، فأشرف عليه فقال له: يا هذا شربت حرامًا، وأيقظت نوامًا، وغنيت خطأ، خذ عني. فأصلحه له)! وورد الخبر نفسه في الأغاني ٢/ ٣٢٦، وزهر الآداب ١/ ١٧٣، وربيع الأبرار ١/ ٦٤٥-٦٤٦.

ويتراءىٰ لي أن ما ذكره أبو الفرج منسوبًا لمالك هو في أصله خبر الأويقص وأن ثمة خلطًا، قد يشهد به خبر الأوقص مع السكران. ووصية أم الأوقص له في إشارتها إلىٰ دمامته. وقد يؤكد ذلك أن مالك بن أنس رحمه اللَّه (كان طويلًا جسيمًا... أعْيَنَ، حَسَنَ الصورة) قال عنه مصعب الزبيري: (كان مالك من أحسن الناس وجهًا، وأحلاهم عينًا، وأنقاهم بياضًا، وأتمّهم طولًا). وقال عيسىٰ بن عمر المديني: (ما رأيت قط بياضًا وحمرة أحسن من وجه مالك). ترتيب المدارك ١/ ١١٢. وسند أبي الفرج -بين يدي خبره عن مالك- في اسم راويه اضطراب، ولأبي الفرج عليه تحفظ!

كما أني لم أقف علىٰ ذكرٍ للخبر في الكتب المعتمدة في تراجم المالكية والتي خصت مالكًا بترجمة طويلة كترتيب المدارك والديباج المذهب.

(١) **صاحبة الوصية**: هكذا ورد اسمها في المصادر التي صرحت به. وتصحفت: التغلبية في تحفة العروس إلىٰ: الثعلبية. وفي نسب معدّ واليمن الكبير ١/ ٢٧ أمامة بنت كسر من تغلب. ووصل نسبها ابن الأنباري في شرح المفضليات ٤٢٩ فقال: بنت كسر بن كعب بن زهير بن جشم من تغلب.

وابنتها أم إياس ورد اسمها في جملة من المصادر: أم أناس (انظر: نسب معد واليمن الكبير ١/ ٢٧، وشرح المفضليات ٤٢٩، والأغاني (مصورة دار الكتب) ١٦/ ٣٥٧، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٠٠، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٤١٥). بل أورد ابن الأثير (الكامل في التاريخ ١/ ٥٠٧) تفسيرًا لهذا الاسم، إذ جاء فيه أن والدها عوف بن محلِّم همَّ حين ولدت بوأدها، فاستوهبها منه عمر بن أبي ربيعة بن ذهل الشيباني وقال: لعلها تلد أناسًا، فسميت أم أناس! وقد اختلفت **الروايات** في زوج أم إياس/ أناس هذه؛ ففي نسب معدّ واليمن الكبير ١/ ١٧، والعقد الفريد ٦/ ٨٦، وجمهرة أنساب العرب ٣٢٢، والكامل في التاريخ ١/ ٥٤٩، والمستطرف ٧٢٣ أن زوجها عمرو بن حجر (آكل المرار) الكندي. وفي المصدرين الأول والثالث: فولدت له الحارث الملك الكندي. وكذا جاء في العقد وزاد: جد امرئ القيس. وفي المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥٣٢، وفي الأغاني ١٦/ ٢٧٩، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٠٠ -وعنه فيما يبدو في شرح القصائد العشر=

محلِّم الشيباني قائلةً[1]:

=٤١٥- وشرح القصائد التسع المشهورات ٨٦ أن زوج أم إياس هو حجر بن عمرو آكل المرار. وكانت تلك المصادر تعلق علىٰ بيت الحارث بن حلزة:

وولدنا عمرو بن أم أناس   من قريب لما أتانا الحباء

ولكن تلك المصادر -عدا الأغاني- سمَّت المرأة أم أناس بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة! وأشارت إلىٰ أن المراد بعمرو في البيت هو عمرو بن حجر الكندي، وكان جدَّ الملك عمرو بن هند، وزادت تلك المصادر -عدا المعاني الكبير- أن عمرًا المذكور هو جدُّ امرئ القيس الشاعر.

أما الأغاني فأورد اسمها -نقلًا عن أبي عبيدة-: أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني وقال: وهي أم الحارث بن حجر، وهند بنت حجر، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو، وله يقول بشر بن أبي خازم:

فإلىٰ ابن أم إياس أعمل ناقتي   عمرو فتنجح حاجتي أو ترجف

وبنتها هند هي التي تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخمي. وفي الوصايا ١١٨، والفاخر ١٨٤ -ونقل ذلك عنه الميداني في مجمع الأمثال ٣/ ٢٤٠-، وجمهرة الأمثال ١/ ٥٦٩، والكامل في التاريخ ١/ ٥٠٧ أن زوج أم إياس هو الحارث بن عمرو ملك كندة. وقد عرض د. عزة حسن -في تحقيقه ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ٧٩-٨٠- لهذه الأقوال (معتمدًا علىٰ أربعة مصادر) ولم يعتدَّ بالقول الأول ومال إلىٰ القول الأخير (بمسوغات تاريخية مبسوطة هناك). في حين يرىٰ د. علي جواد (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/ ٣٢٦) أن الصفات التي أسبغها بشر بن أبي خازم تنطبق علىٰ عمرو بن حجر أكثر من انطباقها علىٰ عمرو بن الحارث جد امرئ القيس. وبسط هو الآخر مسوغات تاريخية. ولعل ما يلفت النظر أن المصادر أشارت إلىٰ امرأتين تحملان اسم أم أناس، وهو ما لم يشر إليه د. عزة حسن ومرَّ به عرضًا د. علي جواد.

(١) **مناسبة الوصية**: قال المفضل بن سلمة في الفاخر عند قولهم: ما وراءك يا عصام: (أول من قال ذلك -فيما ذكر عوانة بن الحكم- الحارث بن عمرو ملك كندة. وذلك أنه لما بلغه جمال بنت عوف بن محلم وكمالها وشدة عقلها، دعا عند ذلك امرأة من كندة يقال لها عصام ذات عقل ولسان وأدب. فقال لها: إنه قد بلغني جمال ابنة عوف وكمالها، فاذهبي حتىٰ تعلمي لي علمها. فمضت حتىٰ انتهت إلىٰ أمها، وهي أمامة بنت الحارث، فأعلمتها ما قدمت له. فأرسلت إلىٰ ابنتها: أي بنية! هذه خالتك أتتك لتنظر إليك، فلا تستتري عنها بشيء إن أرادت النظر من وجهٍ أو خلق، وناطقيها إن استنطقتك. فدخلت إليها فنظرت إلىٰ ما لم يُرَ مثله قط. فخرجت من عندها وهي تقول: ترك الخداع مَنْ كَشف القناع، فأرسلتها مثلًا. ثم انطلقت=

(أي بنيةَ، إن الوصيةَ لو تُرِكَتْ لعقلٍ وأدب، أو مكرُمة في حَسَبٍ[1] لتَرَكتُ ذلك منك[2]، ولزَوَيتُه عنك، ولكن الوصية تذكرةٌ للعاقل، ومَنْبَهَةٌ للغافل[3].

أي بنية، إنه لو استغنت المرأةُ بغنىٰ أبويها وشدَّةِ حاجتِهما إليها كنتِ أغنىٰ الناسِ عن الزوجِ[4]، ولكن للرجالِ خُلقَ النساءُ، كما لهنَّ خُلِقَ الرجالُ[5].

=إلىٰ الحارث. فلما رآها مقبلة قال: ما وراءك يا عصام؟ قالت: صرَّح المحض عن الزبدة (ثم راحت تصف له جمال الفتاة عضوًا عضوًا). فأرسل الملك إلىٰ أبيها فخطبها فزوجه إياها، وبعث بصداقها. فلما أرادوا أن يحملوها إلىٰ زوجها قالت لها أمها: أي بنية...).

وزاد في الوصايا وجمهرة الأمثال: فبعث إليها من الصداق بمثل مهور نساء الملوك، مئة ألف درهم، وألفًا من الإبل، فلما حان أن تحمل إليه دخلت إليها أمها لتوصيها فقالت:... وفي العقد الفريد: (خطب عمرو بن حجر إلىٰ عوف بن محلم ابنته أم إياس، فقال: نعم، أزوجها علىٰ أن أسمي بنيها وأزوج بناتها (!) فقال عمرو بن حجر: أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فينكحهن أكفاؤهن من الملوك، ولكني أصدقها عقارًا في كندة، وأمنحها حاجات قومها، لا ترد لأحد منهم حاجة. فقبل ذلك منه أبوها، وأنكحه إياها، فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت...).

(١) **المعاني والروايات**: في الفاخر: لفضل في أدب، وفي الفاضل: لفضل أدب، وفي جمهرة الأمثال: أو أدب... وحسب، وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: لو تركت الوصية لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك، وفي تحفة العروس: إن الوصية لو كانت تترك... معك.

(٢) في الفاخر ومجمع الأمثال: تركت لذلك منك. وفي جمهرة الأمثال: لتركت لك، وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: لتركتها لك. زويته عنك: أخفيته.

(٣) في سائر المصادر -سوىٰ جمهرة الأمثال-: ولكنها، وفي الفاخر ومجمع المثال ونثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، وفي شرح النهج: ومؤونة للعاقل!

(٤) في الفاخر ومجمع الأمثال: ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنىٰ... عنه، وفي الفاضل: عن زوج بغناء... عن ذلك، وفي تحفة العروس: لو استغنت ابنة عن زوج لغنىٰ... عنه.

(٥) في الفاخر: ولكن للرجال خلقنا ولنا خلقوا، وفي الفاضل: ولكن للرجل خلقتن، كما لكنَّ خلقوا، وفي جمهرة الأمثال: ولكن الرجال خلقوا للنساء، كما هن خلقن للرجال، وفي مجمع الأمثال: ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، وفي تحفة العروس: ولكن خلقنا للرجال، كما خلق الرجال لنا.

أي بنية، إنك قد فارقت الحِوَاءَ الذي منه خرجْتِ[١]، والوَكْرَ الذي منه دَرَجْتِ[٢]، إلىٰ وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألَفيه[٣]، فأصبح بملكه عليك مَلِكًا[٤]، فكوني له أمةً يكن لك عبدًا[٥]، واحفظي عني خصالاً عشرًا، تكن لك دَرَكًا وذِكْرًا[٦]؛ فأما الأولىٰ والثانية فالمعاشرةُ له بالقناعة، وحُسْنُ السمعِ له والطاعة[٧]، فإنَّ في القناعةِ راحةَ

---

(١) في الفاضل ومجمع الأمثال: فارقت الجوّ. وفي العقد والمستطرف: بيتك، وفي جمهرة الأمثال: الحويّ، وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: خلّفت العش الذي فيه درجت، والموضع الذي منه خرجت (شرح النهج: والوكر)، وفي تحفة العروس: فارقت الوطن.
الحواء: المكان الذي يحوي الشيء، كما يطلق علىٰ البيوت من الوبر المجتمعة علىٰ الماء.
الحوي: الحوض الصغير للبعير، ولعله تعبير عن انتقالها من حالة إلىٰ أخرىٰ.

(٢) في الفاخر ومجمع الأمثال: وخلفت العش. وفي الفاضل وتحفة العروس: والعش، وفي العقد والمستطرف: وعشك. الوكر: عش الطائر الذي يبيض فيه ويفرخ، وهو تعبير عن المدة التي عاشتها في بيت أبويها لتنتقل عنه بالزواج كما يبدأ الفرخ بالطيران. والعش: ما يجمعه الطائر من حطام العيدان وغيرها ويجعله في شجرة أو نحوها.

(٣) في العقد والمستطرف: إلىٰ رجل، وفي شرح النهج: إلىٰ منزل، وفي تحفة العروس: إلىٰ كنٍّ.

(٤) في الفاخر ومجمع المثال: فأصبح بملكه إياك عليك رقيبًا ومليكًا، وفي الفاضل: أصبح... مليكًا.

(٥) زاد الفاخر ومجمع الأمثال والفاضل: وشيكًا، وفي نثر الدر والتذكرة الحمدونية: كوني لزوجك، وفي المستطرف: ليكون.

(٦) في الفاخر ومجمع الأمثال: يا بنية، احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرًا وذكرًا، وفي الفاضل: واحفظي عني خلالًا عشرًا تكن لك ركنًا وذخرًا، وفي العقد: واحفظي له... يكن لك ذخرًا، وفي جمهرة الأمثال: واحفظي مني عشر خصال تكن لك ذكرًا.

(٧) في الفاخر ومجمع الأمثال والفاضل: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة. وفي العقد: فالخشوع بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، وفي جمهرة الأمثال: أما الأولىٰ والثانية والثالثة والرابعة: ثم أورد الأخيرتين، ولعل فيه سقطًا. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: فحسن الصحابة بالقناعة، وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة. وفي المستطرف: فالرضا والقناعة وحسن السمع له والطاعة، وفي تحفة العروس: فالصحبة بالقناعة والمعاشرة بالسمع والطاعة.

القلب، وحسنِ السمع والطاعة رأفةَ الرَّبِّ[١]؛ وأما الثالثة والرابعة[٢] فلا تَقَعُ عيناه منك على قبيحٍ، ولا يشمُّ أنفُهُ منك إلا طيِّبَ الريح[٣]؛ واعلمي، أي بنية، أن الماء أطيبُ الطيبِ المفقودِ، وأن الكحلَ أحسنُ الحسن الموجود[٤].

وأما الخامسةُ والسادسةُ فالتعهُّدُ لوقتِ طعامِه[٥]، والهدوُّ عند منامِه[٦]، فإن حرارةَ الجوعِ مَلْهَبَةٌ، وتنغيصَ النَّومَةِ مَغْضَبَةٌ[٧]؛ وأما السابعةُ والثامنةُ فالاحتفاظُ

---

(١) في الفاضل: فإن فيهما رضا الرب وراحة القلب. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: ففي حسن الصحابة (محاضرات الأدباء: المصاحبة) راحة القلب، وفي جميل المعاشرة رضا الرب. وفي تحفة العروس:... وفي المعاشرة بحسن الطاعة رضا الرب.

(٢) زاد في الفاخر ومجمع الأمثال: والتعاهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه. وفي الفاضل، وتحفة العروس: فالتعهد لموضع عينيه والتفقد... وفي العقد والمستطرف: فالتفقد لموضع (المستطرف: لمواقع) عينيه وأنفه. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية: التفقد لموضع عينه، والتعاهد لموضع أنفه. وفي ربيع الأبرار: عليك بالتعهد لموضع عينيه وأنفه. وفي شرح النهج: التفقد لمواقع عينيه، والتعهد لمواضع أنفه.

(٣) في الفاخر ومجمع الأمثال وربيع الأبرار: طيّب ريح، وفي الفاضل والعقد وجمهرة الأمثال وتحفة العروس: أطيب ريح. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: فلا تقع عينه... ولا يشمّ أنفه منك خبيث ريح.

(٤) في الفاخر ومجمع الأمثال والفاضل ونثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية، وشرح النهج: واعلمي أن الكحل... وأن الماء. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء: الحسن المودود... الماء الموجود...

(٥) في الفاخر والفاضل ونثر الدر والتذكرة الحمدونية: فالتعاهد. وفي العقد والمستطرف: فالتفقد لوقت منامه وطعامه. وفي ربيع الأبرار: والتعرف.

(٦) في الفاخر: عنه حين. وفي الفاضل: والتفقد لحين منامه. وفي جمهرة الأمثال ونثر الدر وربيع الأبرار والتذكرة الحمدونية وتحفة العروس: والهدوء. وفي محاضرات الأدباء: والهداء! وفي شرح النهج: والهدوّ والسكون.

(٧) في الفاضل: واعلمي أن... وأن. وفي العقد: فإن تواتر الجوع. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: فحرارة (في هذه المصادر جعلت هاتان الوصيتان السابعة والثامنة) وفي مجمع الأمثال: فإن تنغيص النوم مبغضة. وفي المستطرف: فإن شدة. ملهبة: يقال: ألهبه للأمر: هيَّجه، وفلان يلتهب جوعًا: يتحرَّق ويتضرَّم، تواتر: تتابع، تنغيص: تكدير، مغضبة: مدعاة للغضب، مبغضة: مدعاة للبغض.

بمالِه والرعايةُ علىٰ حَشَمِه وعِيالِه[١]، فإن الاحتفاظَ بالمالِ من حسنِ التقدير، والرعايةَ علىٰ الحَشَمِ والعيالِ من حسنِ التدبير[٢]؛ وأما التاسعةُ والعاشرةُ فلا تُفشي له سرًّا، ولا تعصي له أمرًا[٣]، فإنك إن أفشيتِ سرَّه لم تأمني غَدْرَه، وإن عصيت أمرَه أوغَرْتِ صدرَه[٤].

واتقي الفرحَ لديه إذا كان تَرِحًا، والاكتئابَ عنده إذا كان فَرِحًا[٥]، فإن الأولىٰ[٦]

---

(١) في الفاخر ومجمع الأمثال: والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء علىٰ نفسه وحشمه. وفي الفاضل: الاحتفاظ ببيته وماله من التبذير، والرعاية للحشم والعيال بحسن التدبير، وفي العقد: فالاحتراس بماله والإرعاء علىٰ حشمه وعياله. وفي جمهرة الأمثال: فاحتفاظك بماله. فإنه من حسن التقدير، ورعايتك علىٰ الحشم والعيال، فإنها من حسن التدبير. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: فالحفظ لماله، والإرعاء علىٰ حشمه وعياله. وفي المستطرف: الإحراز لماله والإرعاء... وفي تحفة العروس: فالاحتفاظ ببيته وماله، والرعاية لحشمه وعياله. التدبير: حسن سياسة الأمر والنظر في عاقبته، الإرعاء: الإبقاء والملاحظة، الرعاية: الحفظ، الإحراز: الصيانة.

(٢) في الفاخر ومجمع الأمثال: فإن... حسن التقدير، والإرعاء... حسن التدبير. وفي العقد: وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج: واعلمي أن أصل (الكلمة ليست في محاضرات الأدباء) الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والإرعاء... حسنُ... وفي تحفة العروس: فإن أصل حب المال من التقدير (!).

(٣) في الفاضل: ولا تعصي له في حالة أمرًا. وفي العقد: فلا تعصين... ولا تفشين! وفي جمهرة الأمثال: فألا تفشي. وفي نثر الدر ومحاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية وشرح النهج وتحفة العروس: فلا تفشين... ولا تعصين!

(٤) في الفاضل: فإنك إن أفشيت سره أوغرت صدره، وإن عصيت... غدره. وفي العقد والمستطرف: فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره. أوغرت صدره: ملأته غيظًا وحقدًا.

(٥) في الفاخر ومجمع الأمثال: ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان. ومثله في الفاضل وتحفة العروس وفيهما: واتقي. وفي العقد والمستطرف: ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتمًّا، والكآبة بين يديه (في المستطرف: لديه) إذا كان فرحًا. ترحًا: حزينًا.

(٦) في الفاخر ومجمع الأمثال والفاضل وتحفة العروس: فإن الخصلة الأولىٰ.

من التقصيرِ، والثانيةَ من التكديرِ، واعلمي[1] أنك لن تصلي إلىٰ ذلك منه[2] حتىٰ تؤثري هواه علىٰ هواك، ورضاه علىٰ رضاك فيما أحببتِ وكرهتِ. واللهُ[3] يَخِيرُ لك، ويصنعُ لك برحمته[4])[5].

[٥٢٨] كتبت أمُّ خالدِ القسري إليه[6]:

(للأمير خالد بن عبد الله من أمِّ خالدٍ، أما بعد:

(١) زاد في الفاخر ومجمع الأمثال والفاضل وتحفة العروس: وكوني (في الفاضل: واعلمي أن) أشد ما تكونين له إعظامًا أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة.

(٢) في الفاخر ومجمع الأمثال: واعلمي أنك لا تصلين إلىٰ ما تحبين. وفي الفاضل: واعلمي أنك يا بنية لن تقدري علىٰ ذلك. وفي جمهرة الأمثال: واعلمي أنك لن تصلي إلىٰ مرادك منه. وفي تحفة العروس: واعلمي أنك لا تقدرين علىٰ ذلك.

(٣) في الفاخر: والله -جل وعز-! يخير لك: يعطيك ما هو خير لك.

(٤) في الفاضل: والله يخير لك بحسن الصنع، واستودعك اللَّه، والسلام عليك.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الوصايا لأبي حاتم ١١٩-١٢٠. كما وردت في كتاب الفاخر ١٨٦ عن عوانة بن الحكم -وعنه في مجمع الأمثال ٣/ ٢٤١-٢٤٢- والفاضل للوشاء ٢٢٣-٢٢٤ عن عوانة بن الحكم، وجمهرة الأمثال ١/ ٥٧١-٥٧٢، وقال في صدرها: (أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن أبي عبيدة وأبي اليقظان. وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن بعض رجاله فذكرت أجود ألفاظهم). وقال في ختامها: (وكانت في رواية أبي اليقظان ألفاظ رديئة مردودة تركتها)، وتحفة العروس ١٥٦-١٥٧ (نقلًا عن التيفاشي في قادمة الجناح). وقد وردت الوصية -باختصار يسير- في العقد الفريد ٦/ ٨٦-٨٧ (عن العباس بن خالد السهمي)، ونثر الدر ٦/ ٣٩٦-٣٩٧ ونسبها لأعرابية، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٢١٢، ونسبها لامرأة، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٤٣-٣٤٤ لأعرابية، وشرح نهج البلاغة ١٨/ ٣٣٢-٣٣٣ لامرأة من نساء العرب والمستطرف ٧٢٣. كما وردت -باختصار كبير- في ربيع الأبرار ٤/ ٢٩٢-٢٩٣ لأعرابية.

(٦) **مناسبة الوصية**: بعث خالد القسري كتابًا مع رجل إلىٰ أمِّه يدعوها إلىٰ الإسلام. والقرب منه، ويزعم أنه أقوىٰ علىٰ برِّها إذا اقتربت. فلما قدم عليها [حامل الكتاب] بالكتاب قالت: أتقرأ؟ قال: نعم، فأمرته بقراءة الكتاب. ثم قالت: أتخط؟ قال: نعم. فأملت عليه الرد.

فقد جاءني كتابُك، وفهمتُ ما دعوتني إليه من دينِك، الذي ارتضيتَه لنفسِك، ولعمري ما آلَيتَني[1] خيرًا عند نفسِك، وإنَّ لك دينًا ولي دين، وزعمت أنه أقوىٰ لك علىٰ بِرِّي إذا قَرُبْتُ منك، ولعمري إنك لقويٌّ علىٰ بِرِّي أين كنتَ. واعلم -يا بني- أني قرأتُ كتابَ اللَّهِ: أنه من عملَ بكبيرةٍ اسودَّ ثلثُ قلبه، فإن عاد اسودَّ ثلثاه، فإن عاد اسودَّ قلبُه كلُّه، ومن عمل السيئَ، وهو يراه حسنًا، فقد خاس. واعلم -يا بني- أن كلَّ ذَنْبٍ مع الدَّمِ أَمَمٌ[2])[3].

[٥٢٩] أوصت أمُّ الذيالِ العبسية[4] ابنها الفتاك -وهو من أشد العرب-:

(يا بني لا تنْشَبْ[5] في حربٍ إن وثقتَ بشدَّتِك حتىٰ تعرفَ وجهَ المهربِ منها، فإن النفسَ أقوىٰ شيءٍ[6] إذا وجدت سبيلَ الحيلةِ، وأضعفُ شيءٍ إذا يئست منها، وأحمدُ الشدةِ ما كانت الحيلةُ[7] مدبِّرةً لها، إذا لم يكن النصرُ من اللَّه تعالىٰ، فابذُلها، واختلسْ من المحاربِ خِلْسَةَ[8] الذئبِ، وطِرْ[9] طيرانَ الغرابِ، فإن الحَذَرَ زِمامُ الشجاعـةِ، والتَّهَـوُّرَ[10] عدوُّ الشدة)[11].

(١) **المعـاني**: ما آليتني: ما قصَّرت معي.
(٢) خاس: ذلَّ، أمم: هيِّن يسير.
(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في بلاغات النساء ٢٢٨. بسند إلىٰ العتبي قال: (حدثنا خلف أبو معمر، مولىٰ آل قحذم، قال: حدثني رجل (!) قال: حملت كتاب خالد...).
(٤) **صاحبة الوصية**: لم أقف لها ولا لابنها علىٰ ترجمة.
(٥) **المعـاني**: لا تنشب في حرب: لا تتورط فيها أو تدخلها.
(٦) في غرر الخصائص: أقوىٰ ما تكون.
(٧) في المصدر السابق: إذا وجدت سبيل النجاة مدبرة لها. وكأن فيه سقطًا أو اختصارًا.
(٨) في المصدر السابق: طِرْ منه.
(٩) خلسة الذئب: أخذه الشيء بسرعة وخفية.
(١٠) زمام الشجاعة: ملاكها وقوامها، التهور: الوقوع في الأمر بقلة مبالاة.
(١١) **التوثيق**: وردت الوصية في سراج الملوك ٢/ ٦٨٢-٦٨٣. كما وردت -باختصار- في غرر الخصائص الواضحة ٣٤٧.

[٥٣٠] قالت أمُّ رُهْم ابنة الخزرج بن تيم الله[١] لابنتها:

(إذا سابَبْنَكِ فابدئيهنَّ بِعَفَالِ، سُبِيتِ[٢])[٣].

[٥٣١] كان سفيان الثوري[٤] -رحمه الله- يقول: قالت لي والدتي:

(يا بني، لا تتعلمِ العلمَ إلا إذا نَوَيْتَ العملَ به، وإلا فهو وبالٌ عليك يومَ القيامة)[٥].

---

(١) **مناسبة الوصية**: قال المفضل بن سلمة -تعليقًا على المثل: رمتني بدائها وانسلت-: (كان سبب هذا المثل أن سعد بن زيد مناة كان تزوج رُهْمَ ابنة الخزرج بن تيم اللّه بن رفيدة بن كلب بن وبرة، وكانت من أجمل النساء، فولدت له مالك بن سعد، وكان ضرائرها إذا سابينها يقلن لها: يا عفلاء. فشكت ذلك إلىٰ أمها. فقالت لها أمها:... قال: فسابتها بعد ذلك امرأة من ضرائرها، فقالت لها رهم: يا عفلاء (في فصل المقال: كما وصتها أمها)، فقالت ضرتها: رمتني بدائها وانسلت).

(٢) **المعـاني**: قال الميداني: (عفال: يجوز أن يكون كخباث ودفار، ويجوز أن يكون أرادت عفِّليها أي انسبيها إلىٰ العفلة). العفل: لحم ينبت في فرج المرأة شبه الإدرة (الانتفاخ) في خصية الرجل. سُبيت: تغرَّبت، وهو دعاء لا يراد ظاهره.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاخر ٦٢، وعنه في مجمع الأمثال ١/ ١٧٨. كما رواه عن المفضلِ الأزهريُّ في تهذيب اللغة ٢/ ٤٠١. كما وردت في فصل المقال ٩٢.

(٤) **صاحبة الوصية**: لم أقف لها علىٰ ذكرٍ سوىٰ ما ذكره المناوي في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/ ٢٣١ (كانت من أكابر الصالحات). وذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ١٨٩ تحت موضوع ذكر المصطفيات من العابدات الكوفيات. ولم يزد علىٰ ذكر وصيتين من وصاياها.

وأما سفيان بن سعيد الثوري الكوفي فهو أحد أئمة الإسلام وعبَّاده. كان ثقة مأمونًا كثير الحديث حجة، قال عنه بعض العلماء: أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة ٩٧هـ وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٦/ ٣٧١، والبداية والنهاية ١٣/ ٤٨٩، والوافي ١٥/ ٢٧٨.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب تنبيه المغترين للشعراني ٢٣. وربما أنها الوصية الآتية ساقها المؤلف بالمعنىٰ.

[٥٣٢] قالت أم سفيان الثوري لسفيان:

(يا بني، إذا كتبتَ عشرةَ أحرفٍ فانظر هل ترىٰ في نفسك زيادةً في خشيتِك وحلمِك ووقارِك، فإن لم ترَ ذلك فاعلمْ أنها تضرُّك ولا تنفعُك[١])[٢].

[٥٣٣] قالت أمُّ سفيان لسفيان:

(يا بني اطلبِ العلمَ وأنا أكفيك[٣] بمِغْزَلي[٤]).

[٥٣٤] عن محمد بن المنكدر قال: قالت لي أمي[٥] -وأنا غلام-:

---

(١) **الروايات**: في صفة الصفوة: زيادة في مشيك... فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك!

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الورع لأحمد بن حنبل ١٤٤ بسنده إلىٰ وكيع بن الجراح. وصفة الصفوة ٣/ ١٨٩، والكواكب الدرية للمناوي ١/ ٢٣١.

(٣) في الوافي: وأنا أعولك. أعولك: أنفق عليك.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الورع لأحمد بن حنبل ١٤٤ عن وكيع، وصفة الصفوة ٣/ ١٨٩، والوافي ١٥/ ٢٧٩، والكواكب الدرية للمناوي ١/ ٢٣١.

(٥) **صاحبة الوصية**: جاء في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٤-٣٥٥: (وقال أبو القاسم اللالكائي: كان المنكدر خال عائشة [أم المؤمنين رضي اللّٰه عنها]، فشكا إليها الحاجة، فقالت: إنَّ لي شيئًا يأتيني، أبعث به إليك. فجاءتها عشرة آلاف، فبعثت بها إليه، فاشترىٰ جارية، فولدت له محمدًا، وأبا بكر وعمر). وانظر: تهذيب الكمال ٢٦/ ٨، ومختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٦٠. وورد في الظرف والظرفاء -بعد إيراد الوصية-: وقد كانت أدركت النبي ﷺ.

وأشارت بعض المصادر (مختصر تاريخ دمشق مثلًا ٢٣/ ٢٦٠) إلىٰ إشفاقها علىٰ ابنها محمد من طول قيامه في الليل، ودعوته للنوم. كما أشارت إلىٰ حُسْنِ برِّه بأمه. ففي صفة الصفوة ٢/ ١٤٣: (عن عبد الله بن المبارك قال: قال محمد بن المنكدر: بات عمر -يعني أخاه- يصلي، وبت أغمز رِجْلَ أمي، وما أحب أن ليلتي بليلته).

وابن المنكدر هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي القرشي المدني، محدث حافظ، وزاهد وعابد كبير، غزير الدمعة، مجمع علىٰ ثقته وتقدمه في العلم والعمل. توفي سنة ١٣٠هـ وقد نيَّف علىٰ السبعين. انظر: الأنساب للسمعاني ٣/ ١٢٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٢٧، والوافي ٥/ ٧٨.

(لا تمازحِ الغلمانَ[1]، فتهونَ عليهم[2]، أو يجترئوا عليك)[3].

[٥٣٥] قال أبان بن تغلب -وكان عابدًا من عبَّادِ أهلِ البصرة-[4]:

(شهدتُ أعرابية[5] وهي توصي ولدًا لها تقول له: أي بني! اجلس أمنَحْك وصيتي وبالله توفيقُك[6]، فإن الوصيةَ أجدىٰ عليك[7] من كثيرِ عقلِك. قال أبـان: فوقفت مستمعًا لكلامِها مستحسنًا لوصيتِها، فإذا هي تقول[8]: أي بني!

---

(١) في الظرف والظرفاء وربيع الأبرار: الصبيان.

(٢) في المستطرف: تَهُن عندهم.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في روضة العقلاء ٨٠ بسنده إلىٰ محمد بن المنكدر. كما وردت -دون الجملة الأخيرة- في الظرف والظرفاء ٥٦، بسنده إلىٰ محمد بن المنكدر، وربيع الأبرار ٤/ ١٦٨، والمستطرف ٧٤٠. وقد نسب القول إلىٰ محمد بن المنكدر نفسه في حلية الأولياء ٣/ ١٥٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٦٣ ونهايته فيهما: ويستخفُّون بك.

(٤) **مناسبة الوصية**: في البيان والتبيين: (الأصمعي عن أبان بن تغلب قال: مررت بامرأة بأعلىٰ الأرض، وبين يديها ابنٌ لها يريد سفرًا، وهي توصيه، فقالت:...).
وأبان بن تغلب بن رياح الجريري الكوفي، قارئ فقيه محدث لغوي، تبدَّىٰ وسمع من العرب، وروىٰ عنهم، كان شيعيًّا غاليًا. توفي سنة ١٤١هـ (في تهذيب التهذيب ٢٤١هـ وهو خطأ).
انظر: معجم الأدباء ١/ ٣٨، وميزان الاعتدال ١/ ٥، وتهذيب التهذيب ١/ ٩٣.

(٥) في بلاغات النساء ونثر الدر: سمعت امرأة. زاد صفة الصفوة: من أهلِ البادية.

(٦) في بلاغات النساء ونثر الدر وصفة الصفوة: أي بني، أوصيك بتقوىٰ اللّٰه. وفي العقد: يا بني، عليك بتقوىٰ الله. وفي الجامع لشعب الإيمان: يا بني احفظ وصيتي، ومحض نصيحتي، وأنا أسأل اللّٰه توفيقه لك. وفي عين الأدب والسياسة: يا بني، اجلس حتىٰ أوصيك.

(٧) في البيان والتبيين: وقليل إجدائها عليك أنفع من. وفي بلاغات النساء ونثر الدر وصفة الصفوة: فإن قليلها أجدىٰ، وفي العقد: فإنها أجدىٰ. وفي الجامع لشعب الإيمان: فإن قليل توفيقه لك أجدىٰ عليك من كثير نصحي. أجدىٰ: أنفع.

(٨) شارك الأصلَ -في إيراد كلام أبان- الجليسُ الصالح وزهرُ الآداب والتذكرةُ الحمدونية، والوصية متصلة في بقية المصادر.

إياك والنميمــةَ، فإنها تزرعُ الضغينــةَ وتفرِّقُ بين المحبين[1]، وإياك والتعرُّضَ[2] للعيوبِ، فتُتخَذَ غَرَضًا وخليقٌ ألا يثبت الغَرَضُ علىٰ كثرةِ السهام؛ وقلما اعْتَوَرَتِ السهامُ غَرَضًا إلا كَلَمَتْهُ حتىٰ يَهِيَ ما اشتدَّ من قوَّته[3]؛ وإياك والجودَ بدينك والبخلَ بمالك[4]، وإذا هززت فاهزز كريمًا يلن لهزَّتِك، ولا تهزُزِ اللئيمَ فإنه صخرةٌ لا ينفجر ماؤها[5]؛ ومثِّل لنفسك مثالَ ما استحسنتَ من غيرِك فاعمل به، وما استقبحتَ

---

(١) في البيان والتبيين والجامع لشعب الإيمان وصفة الصفوة: إياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن. وزاد الجامع: وتنبت الشحائن. وفي بلاغات النساء والعقد ونثر الدر: وإياك والنمائم فإنها تورث. وفي ربيع الأبرار: وإياك والنمائم فإنها تنبت السخائم، وتفرق بين المحبين، وتحسّىٰ أهلها الأمرين. الشحائن: جمع شحناء، الحقد والعداوة والبغضاء، الضغائن: جمع ضغينة، الحقد الشديد. السخائم: جمع سخيمة، الحقد والضغينة، تحسِّي، تجرَّع، الأمرَّين: الصَّبر (عصارة شجر مرٌّ) والثُّفاء (الخردل وهو مرٌّ).

(٢) في الجليس الصالح: والتغرُّض. والمعنىٰ إياك أن تتخذ عيوب الناس غرضًا توجه إليه حديثك ونظراتك. الغرض: الهدف الذي توجَّه السهام إليه، خليق: حريٌّ، اعتورت: تناوشته وتوجهت إليه. كَلَمَتْه: جرحته، والمعنىٰ: نالت منه، يهي: يضعف.

(٣) في البيان والتبيين: ولا تجعل نفسك غرضًا للرماة، فإن الهدف إذا رمي لم يلبث أن ينثلم. وفي بلاغات النساء ونثر الدر: وإياك والتعرض للعيوب فتصيِّر نفسك غرضًا، وخليق ألَّا يلبث الغرض علىٰ كثرة السهام.

(٤) في البيان والتبيين: وكن بمالك جوادًا، وبدينك شحيحًا. وفي الجامع لشعب الإيمان: يا بني، إياك والبخل بمالك، والجود بعرضك، والبذل لدينك. وزاد: بل كن بمالك جوادًا، ولعرضك صائنًا، ولدينك موقِّيًا.

(٥) في البيان والتبيين: إذا هززت فهزَّ كريمًا فإن الكريم يهتز لهزتك، وإياك واللئيم. وفي الجليس الصالح: يلين! والفعل مجزوم جوابًا للطلب، والياء تحذف لالتقاء الساكنين. ولكن يمكن تأويل ذلك علىٰ الاستئناف، وفي الجامع لشعب الإيمان: يا بني، إذا هُززتَ فاهتزَّ، وإذا هَزِزت فاهزُزْ كريمًا فإنك تحبطت نهرته! وواضح أن في الكلمتين الأخيرتين تحريفًا. فنهرته محرفة عن: لهزَّته.

من غيرِك فاجتنبه[1]، فإن المرءَ لا يرىٰ[2] عيبَ نفسه؛ ومن كانت مودَّتُه بشرَه وخالفَ ذلك منه فعلُه كان صديقُه منه علىٰ مثلِ الريحِ في تصرُّفِها[3]، ثم أمسكتْ فدنوتُ منها فقلت: بالله يا أعرابية، إلا زِدْتِهِ في الوصية؛ فقالت: أوقد أعجبك كلامُ العربِ يا عراقي؟ قلت: نعم، قالت[4]: والغدرُ أقبحُ ما تعاملَ به الناسُ بينهم[5]،

(١) في البيان والتبيين: ومثِّل لنفسك مثالاً، فما استحسنته من غيرك فاعمل به، وما كرهته منه فدعه واجتنبه. وفي بلاغات النساء ونثر الدر: مثال ما تستحسن لغيرك ثم اتخذه إمامًا، وما تستقبح. وفي الجامع لشعب الإيمان: يا بني، وانظر ما استحسنته لغيرك فمثِّله لنفسك، وما كرهته لغيرك فاجتنبه ودعه. وزاد: ثم أنشأت تقول:

صاف الكرام وكن لعرضك صائنًا ... واعلم بأن أخا الحفاظ أخوك

النـاس ما استغنيت أنت أخوهــم ... فإذا افتقرت إليهمُ رفضوك).

وفي العقد: ومثِّل لنفسك مثالًا تستحسنه من غيرك فأخْذُ عليه، واتخذه إمامًا). ما تستحسن: ما تراه حسنًا. ما تستقبح: ما تراه قبيحًا. إمامًا: قدوة.

وقد ورد البيتان السابقان -ضمن ستة أبيات- منسوبة إلىٰ العباس بن عبيد بن يعيش في روضة العقلاء (طبعة نزار الباز) ١٤٣،كما ورد البيتان -ومعهما ثالث- دون نسبة في العقد الفريد ٢/ ٢٩٣.

(٢) في عين الأدب والسياسة: لا يدري.

(٣) في البيان والتبيين: ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرفها، وفي عيون الأخبار: يا بني، إياك وصحبة مَنْ مودته بشره فإنه بمنزلة الريح، وفي عين الأدب والسياسة: ومن كانت مودته لا يصدقها فعله.

(٤) في الجليس الصالح: زدتيه (!)... الأعراب. وفي البيان والتبيين: ثم نظرتُ فقالت: كأنك يا عراقي أعجبت بكلام أهل البدو؟ ثم قالت... وفي بلاغات النساء ونثر الدر: فقالت أعرابية معها: أسألكِ إلا زدته يا فلانة في وصيتك. قالت: إي والله والغدر. وفي زهر الآداب: يا حضري.

(٥) في البيان والتبيين: وإياك والغدر فإنه أقبح ما تعومل به، وزاد: وعليك بالوفاء ففيه النماء. وفي بلاغات النساء ونثر الدر: والغدر (تحرفت في الأول إلىٰ: العذر) أقبح ما يعامل به الإخوان. وزادا: وكفىٰ بالوفاء جامعًا لما تشتت من الإخاء.

ومن جمع الحلمَ والسخاءَ فقد أجاد الحُلَّةَ[1] رَيْطَتَها وسِرْبالَها[2])[3].

[٥٣٦] قالت الأعرابيةُ لابنها:

(إذا جلستَ مع الناسِ[4] فإن أحسنتَ أن تقولَ كما يقولون فقلْ، وإلا فخالفْ

---

(١) في نثر الدر: ومن جمع العلم، ولعله تحريف. وزاد هو وبلاغات النساء: والفجور أقبح حلَّة (في نثر الدر: خلة) وأبقىٰ عارًا. وفي البيان والتبيين: ومن أُعطي السخاء والحلم فقد استجاد. وفي العقد وصفة الصفوة: واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء فقد أجاد (صفة الصفوة: استجاد) الحلة إزارها ورداءها. وفي ربيع الأبرار: يا بني اعلم أنه من اعتقد الوفاء والسخاء فقد استجاد الحلة بربطتها (تحريف: ريطتها) وسربالها.

(٢) الرَّيْطَة: كل ثوب لين رقيق، السربال: القميص، وكل ما لبس. وفي العقد: قال الأصمعي: لا تكون الحلة إلا ثوبين؛ إزارًا ورداءً.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في الأمالي ٢/ ٧٩، والجليس الصالح ٢/ ٣٢٣-٣٢٤، وزهر الآداب ١/ ٣٨٥، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٦-٣٣٧، وعين الأدب والسياسة ٢٥٢-٢٥٣، ورواها مؤلفا الأمالي والجليس الصالح بسند ينتهي إلىٰ محمد بن قادم (في الجليس: بن عيسىٰ) النحوي عن أبان بن تغلب. وفي المصادر الثلاثة الأخيرة عن أبان بن تغلب مباشرة (في عين الأدب والسياسة: بن ثعلب: تصحيف) كما وردت -باختصار يسير- عن أبان بن تغلب في البيان والتبيين ٤/ ٧٢-٧٣. كما وردت -باختصار يسير وزيادة- في بلاغات النساء ٧٦-٧٧ (عن الأصمعي عن أبان بن تغلب) ونثر الدر ٤/ ٨٨ (عن أبان بن تغلب) كما وردت في الجامع لشعب الإيمان ٢٠/ ٤٠ بسند متصل إلىٰ الأصمعي قال سمعت أعرابية. ووردت -باختصار كبير- في العقد الفريد ٣/ ٤٤١، وصفة الصفوة ٤/ ٣٩٣ وفيه: أبو عبد الرحمن القرشي عن رجل من بني ثعلب (!!). وورد منها قولها: (يا بني اعلم أنه من اعتقد... سربالها، وإياك والنمائم... الأمرين) في ربيع الأبرار ٤/ ٤٣١. وورد منها قولها: (إياك وصحبة... الريح) في عيون الأخبار/ ٧٧٣. وفيه: (حدثني أبو حمزة الأنصاري قال: حدثنا العتبي قال: قالت أعرابية). وربما كان راوي الوصية الحقيقي أبان بن تغلب لأمرين: الأول: أن جملة المصادر نسبتها له. الثاني: أن الأصمعي يروي أحيانًا بعض النوادر عن أبان -الذي اختلط بالأعراب وروىٰ عنهم- (انظر مثلًا الفاضل للوشاء ١٩٢، وبلاغات النساء ٧٧). وربما يكون العتبي روىٰ الوصية عن الأصمعي. (العتبي توفي سنة ٢٢٨هـ والأصمعي سنة ٢١٦هـ).

(٤) في محاضرات الأدباء: مع القوم.

تُذْكَرْ[1])![2].

[٥٣٧] وقالتْ أعرابيةٌ لابنها:

(يا بني، إن سؤالَك الناسَ ما في أيديهم من أشدِّ الافتقارِ إليهم، ومن افتقرتَ إليه هُنْتَ عليه، ولا تزالُ تُحفَظُ وتُكرمُ حتىٰ تَسألَ وتَرغبَ، فإذا ألحَّتْ عليك الحاجةُ ولزمك سوءُ الحالِ، فاجعلْ سؤالَك إلىٰ مَنْ إليه حاجةُ السائلِ والمسؤولِ، فإنه يغني السائلَ ويكفي العائلَ)[3].

[٥٣٨] قالت أعرابية توصي ابنًا لها:

(عليك بحفظِ السرِّ، وإياك والنميمةَ، فإنها لا تتركُ مودةً إلا أفسدتها، ولا ضغينةً إلا أوقدتها)[4].

[٥٣٩] قالت أعرابية -من كلبٍ- لابنٍ لها[5]:

(ويلك! دعني من أساطيرِك، لا تحملْ عقوبتَك علىٰ مَنْ لم يحملْ عليك، ولا تتطاولْ علىٰ من لا يتطاولُ عليك، فإنك لا تدري ما يقرِّبك إليه حوادثُ الدهورِ،

---

(١) عقب عليها الجاحظ بقوله: وأما الأصمعي فزعم أنها قالت: فخالف ولو بأن تعلق في عنقك أير حمار. وجاء هذا تكملة لها في محاضرات الأدباء. وخالف تذكر مثل ذكر المفضل بن سلمة في الفاخر ٢١٢ -وعنه في مجمع الأمثال ١/ ٤١٢- أن أول من قاله الحطيئة في خبرٍ له -ذكره - مع عتيبة بن النهاس العجلي.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في كتاب الحيوان للجاحظ ٢/ ١٠٠، ومحاضرات الأدباء ١/ ٧٧.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في العقد الفريد ٣/ ٤٤١. العائل: الفقير.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في روضة العقلاء ١٧٧، وفيه: (عن العتبي قال سمعت أعرابية...).

(٥) **مناسبة الوصية**: (ذكر الأصمعي عن أبان بن تغلب قال: خرجت في طلب الكلأ (!) فانتهيت إلىٰ ماء من مياه كلب، وإذا أعرابي علىٰ ذلك الماء، ومعه كتاب منشور يقرؤه عليهم، وجعل يتوعَّدهم، فقالت له أمه، وهي في خبائها، وكانت مقعدة كِبَرًا، ويلك...).

ولعل من صيَّرَك إلىٰ هذا اليومِ أن يصَيِّرَ غيرك إلىٰ مثله غدًا، فينتقمَ منك أكثرَ مما انتقمت منه، فاكففْ عمَّا أسمعُ منك، ألم تسمعْ إلىٰ قولِ الأول[1]: (المنسرح)

لا تحقــرنَّ الفقيــرَ علَّــك أنْ تركـعَ يومًـا والدهـرُ قـد رَفَعَـه[2]

[٥٤٠] قالت أعرابية لابنها[3]:

(يا بني، إنك تجاورُ الغرباءَ، وترحلُ عن الأصدقاءِ، ولعلك لا تلقىٰ غيرَ الأعداءِ، فخالطِ الناسَ بالسِّترِ، واتقِ اللَّهَ في السِّرِّ[4]، وأستودعك اللَّه، وعليك السلام)[5].

[٥٤١] قالت أعرابية لابنها[6]:

(قفْ عليَّ كي أوصيَك، وعِ وصيتي[7]، فإنك إن وعيتَها كنتَ محبَّبًا محفوظًا. عليك بحسنِ الخلقِ، ولينِ الجانبِ، ومرافقةِ السمحاءِ المعطين، ومجانبةِ البخلاءِ المكدين[8]، وعَدِّ عن الجزعِ، والْهَ عن النمائمِ، فإنها تزرعُ الضغائنَ، وتزيلُ الوفاءَ، واطرحْ حُلَلَ الغرورِ فإنها مَبْغَضَةٌ[9]، والتخَلُّقُ بها شَينٌ، وأستودعك الله، والسلام عليك)[10].

---

(١) هو الأضبط بن قريع السعدي، شاعر جاهلي. والبيت رابع خمسة أبيات وردت في الحماسة البصرية ٢/ ٧٨٨، وانظر تخريجًا موسَّعًا لها هناك.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٤/ ٨٥.

(٣) **مناسبة الوصية**: حين أراد سفرًا.

(٤) في زهر الآداب: فخالط الناس بجميل البشر... في العلانية والسر.

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل للوشاء ١٥٥-١٥٦ -عن المدائني- وزهر الآداب ١/ ٢٨٤.

(٦) **مناسبة الوصية**: حين أراد سفرًا.

(٧) ع وصيتي: احفظها.

(٨) المكدين: المانعين خيرهم، القابضين أيديهم عن الإنفاق.

(٩) مبغضة: داعية إلىٰ البغض.

(١٠) **التوثيق**: وردت الوصية في الفاضل للوشاء ٢٢٢ عن الأصمعي.

[٥٤٢] قالت أعرابية لابنها:

(يا بني عليك بحسنِ الخلقِ، وجميلِ العشرةِ، ولُطْفِ الموافقةِ، ولِينِ الجانبِ، والاحتمالِ للصاحبِ، وكفِّ الأذىٰ، والمقاسمةِ في العزاءِ، فإنك تستميلُ القلوبَ، وتنالُ كلَّ مرغوبٍ، ويحفظُك علَّامُ الغيوبِ)(١).

[٥٤٣] زعموا أن امرأة قالت لابنتها:

(احفظي بنتَك ممن لا تنشُدِين)(٢).

[٥٤٤] أوصت امرأةٌ من كلبٍ ابنها فقالت:

(يا بني، إذا رأيت المالَ مقبلًا فأنفقْ فإنه يحتَمِلُ النفقةَ، وإذا رأيته مدبِرًا فأنفقْ، فإن ذهابَه فيما تريدُ خيرٌ من ذهابِه فيما لا تريد)(٣).

[٥٤٥] عن امرأةٍ من العرب قالت لابنتها:

(لا تهدي إلىٰ ضرَّتِك(٤) الكتفَ، فإن الماءَ يجري بين(٥) أَلَلَيها)(٦).

---

(١) **التوثيق**: وردت الوصية في عين الأدب والسياسة ٢٥٦.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في لسان العرب ٣/ ٤٢١ (نشد) وقال فيها: (قال شمر: ورُوي عن المفضل الضبي أنه قال). وفسَّر لا تنشدين: أي لا تعرفين.

(٣) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٤٠٠.

(٤) في مجمع الأمثال: حماتك.

(٥) الألَلان: اللحمتان المتطابقتان في كتف البعير، بينهما فجوة علىٰ وجه الكتف، يسيل من بينهما ماء إذا مِيْزَتْ إحداهما عن الأخرىٰ.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في تهذيب اللغة ١٥/ ٤٣٧ عن الأصمعي، وعلَّقَ عليها بقوله: أي أهدي شرًّا منها، كما وردت في مجمع الأمثال ٣/ ٢١٠. وفيه: وصَّت امرأة بنتها. وعلق الميداني بقوله: يضرب مثلًا لمن يباسط إخوانه بالحقير الرديء!

[٥٤٦] قالت امرأةٌ لابنها[١]:

(يا بني إياك و[كلَّ قِرْنٍ][٢] أهلَبَ العِضْرِطِ[٣])[٤].

[٥٤٧] قالت امرأةٌ بغداديةٌ عابدة لابنها:

(ويحك يا بني، احذر بِطالاتِ الليلِ والنهارِ، فتنقضي مُهْلاتُ الأعمارِ وأنت غيرُ ناظرٍ لنفسك، ولا مُستَعِدٌّ لسَفَرِك، ويحك يا بني، ما من الجنةِ عِوَضٌ، ولا في رُكوبِ المعاصي ثَمَنٌ من حلولِ النارِ. ويحك يا بني، مهِّدْ لنفسك قبل أن يُحالَ بينك وبين ذلك، وجِدَّ قبل أن يَجِدَّ الأمرُ بك، واحذرْ سَطْواتِ الدهرِ، وكَيدِ الملعونِ عند هجومِ الدنيا بالفتنِ، وتقلُّبها بالعبرِ، فعند ذلك يهتَمُّ التقيُّ كيف ينجو من مصائبها.

ثم قالت: بُؤسًا لك يا بني إن عصيتَ اللَّهَ وقد عرفته وعرفتَ إحسانَه، وأطعتَ إبليسَ، وقد عرفتَه وعرفتَ طغيانَه)[٥].

---

(١) **مناسبة الوصية**: قال الميداني: (وأصل المثل أن امرأة قال لها ابنها: ما أجد أحدًا إلا قهرته وغلبته، فقالت:... فصرعه رجل مرةً، فرأىٰ في استه شعرًا، فقال هذا الذي كانت أمي تحذرني منه. يضرب مثلًا في التحذير للمعجب بنفسه).

(٢) زيادة من المستقصىٰ.

(٣) قال الميداني: (الأهلب: الكثير الشعر. والعضرط: ما بين السَّهِ (حلقة الدبر) والمذاكير، ويقال له: العجان). وفي لسان العرب (هلب): (ورجل أهلب العضرط: في استه شعر؛ يُذهب بذلك إلىٰ اكتهاله وتجربته، حكاه ابن الأعرابي، وأنشد:

مهلًا بني رومان بعض وعيدكم وإياكم والهلب منا عضارطا).

وفيه (عضرط): (قال ابن بري: تقول في المثل: إياك والأهلب العضرط فإنك لا طاقة لك به).

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في مجمع الأمثال ١/ ٣٤، وقد وردت -دون يا بني- مثلاً في المستقصىٰ للزمخشري ١/ ٤٥١، وفيه: (ومعناه أبعد نفسك من الرجال واحذرهم؛ يضرب في تضعيف الرجل وتجبينه، وأنه ليس مما يقاوم الرجال. وفي مجمع الأمثال: (يضرب في التحذير للمعجب بنفسه).

(٥) **التوثيق**: وردت الوصية في صفة الصفوة ٢/ ٥٢٩-٥٣٠. وفيه: (نوح الأسود قال: رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البراثي فتجلس تسمع كلامه... وسمعتها تعظ ابنها يومًا).

[٥٤٨] وأوصت امرأةٌ ابنتها[١] فقالت:

(كوني له فِراشًا يكنْ لك مَعاشًا[٢]، وكوني له وِطاءً[٣] يكن لك غِطاءً، وإياك والاكتئابَ إذا كان فرحًا، والفرحَ إذا كان كئيبًا، ولا يَطَّلِعَنَّ منك علىٰ قبيحٍ، ولا يشمَّنَّ منك إلا أطيبَ ريحٍ[٤]، ولا تفشين له سرًّا، فإنك إن أفشيتِ سرَّه سقطتِ[٥] من عينه، ولم تأمني غدرَه، وعليك بالدُّهنِ والكحلِ فهما[٦] أطيبُ الطيب)[٧].

[٥٤٩] قالت امرأةٌ لابنتها[٨]:

---

(١) **مناسبة الوصية**: حين أهدتها إلىٰ زوجها.

(٢) الفراش: البيت، أو ما يفرش من متاعه، والمعنىٰ ذللي نفسك لزوجك، المعاش: ما تكون به الحياة من المطعم والمشرب ونحوهما.

(٣) الوطاء: الفراش الليِّن.

(٤) في الأصل: إلا الطيب ريحًا. وقال المحقق: في الأصل: ريح، خطأ نحوي، قلت: يبدو أن (الطيب) هي المتحرفة عن: أطيب، وهو ما ورد في تحفة العروس، ومنه صححته. كما وردت العبارة نفسها في وصية أمامة بن الحارث.

(٥) في تحفة العروس: له سرًّا، لئلا تسقطي من عينه.

(٦) في تحفة العروس: وعليك بالماء والدهن والكحل، فإن ذلك من.

(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في نثر الدر ٦/ ٣٩٨، كما وردت في تحفة العروس ١٥٤-١٥٥. عن أبي الريحان في كتاب الجماهر.

(٨) **مناسبة الوصية**: في عيون الأخبار: عند هدائها. (زواجها)، وفي محاضرات الأدباء: زوَّجت امرأةٌ ابنتها فقالت:...، وفي قوت القلوب وتحفة العروس والمراح في المزاح: وكان نساء العرب يعلِّمن بناتهن (في قوت القلوب: أولادهن!) اختبار (في تحفة العروس: اختيار!) الأزواج، وبعده في قوت القلوب: (كانت المرأة إن أنكحت ابنتها قالت: اختبري حليلك قبل أن تقدمي عليه انزعي). وفي تحفة العروس: فكانت المرأة تقول لابنتها: ابدئي زوجك قبل الإقدام عليه، فانزعي)، ومثله في المراح وفيه: قبل الإقدام والجرأة عليه وانزعي).

(اقلعي[١] زُجَّ رمحِه[٢]، فإن أقرَّ[٣] فاقلعي سِنانَه، فإن أقرَّ فاكسري العظامَ بسيفه، فإن أقرَّ فاقطعي اللحمَ علىٰ تُرْسِه[٤]، فإن أقرَّ[٥] فضعي الإكَافَ علىٰ ظهرِه فإنما هو[٦] حمارٌ)![٧].

[٥٥٠] قالت الخنساءُ[٨] بنتُ عمرو بن الشريد السلمية توصي أبناءها[٩]:

---

(١) في قوت القلوب وتحفة العروس والمراح: انزعي. وفي محاضرات الأدباء: يا بنية اقلعي.
(٢) في محاضرات الأدباء: رمح زوجك أولاً. الزج: الحديدة في أسفل الرمح.
(٣) في قوت القلوب وتحفة العروس والمراح: فإن سكت. وكذا في الموضعين بعده. وزاد المصدر الأول: لذلك. وروايته في الثالث: علىٰ ذلك. والسنان: نصل الرمح (حديدته).
(٤) الترس: ما يتوقَّىٰ به في الحرب.
(٥) في المصادر الثلاثة السابقة: فإن صبر. والإكاف: البرذعة (ما يوضع علىٰ الحمار ليُركب عليه، كالسرج للفرس).
(٦) في محاضرات الأدباء والتذكرة الحمدونية: فإنه.
(٧) **التوثيق**: وردت الوصية في عيون الأخبار ٤/ ٧٧ عن أبي الحسن، وقوت القلوب ٢/ ٤٢٤، ونثر الدر ٦/ ٣٩٢، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٢١٢، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٧٢، وتحفة العروس ١٤٧، والمراح في المزاح للغزي ٥٤.
(٨) **صاحبة الوصية**: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية، والخنساء لقب عليها. شاعرة اشتهرت برثاء أخيها صخر. أسلمت وحسن إسلامها، وكان النبي -صلىٰ اللّٰه عليه وسلم- يستنشدها شعرها ويعجبه. قال النابغة الذبياني بعدما سمع شعرها منها: والله ما رأيت ذا مثانة (موضع الولد) أشعر منك! فقالت: والله ولا ذا خصيين! حشد الدكتور إبراهيم عوضين الأقوال في وفاتها وأكثرها يدور بين عامي ٢٤، ٢٦هـ. انظر: الشعر والشعراء ١/ ٣٤٣، والأغاني ١٥/ ٦١، والإصابة ٧/ ٦١٣، وديوان الخنساء، تحقيق د. إبراهيم عوضين ٧٨.
(٩) **مناسبة الوصية**: في الاستيعاب: (حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال، فقالت لهم) وفي الفاضل: (أن الخنساء... لما أزِفَتْ حرب القادسية، وترعرع لها من بها من المسلمين (!) دعت بنيها من الليل -وهم أربعة رجال- فقالت:...)، وفي صفة الصفوة: (لما اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة فقالت:...).

(يا بني؛ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين[1]، ووالله الذي لا إله إلا هو إنَّكم لبنو رجلٍ واحدٍ، كما أنكم بنو امرأةٍ واحدةٍ، ما خُنْتُ أباكم، ولا فضَحتُ خالَكم، ولا هجَّنت حسبَكم[2]، ولا غبَّرت[3] نسبَكم[4]، وقد تعلمون ما أعدَّ الله للمسلمين من الثوابِ الجزيلِ في حربِ الكافرين. واعلموا أن الدارَ الباقيةَ خيرٌ من الدارِ الفانيةِ، يقول الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠][5]، فإذا أصبحتم[6] غدًا -إن شاء اللهُ- سالمين فاغدوا إلىٰ قتالِ عدوِّكم مستبصرين، وباللهِ علىٰ أعدائه مستنصرين،

(١) زاد في صفة الصفوة: والله ما نبت بكم الدار، ولا أقحمتكم السَّنة، ولا أرداكم الطمع. نَبَتْ بكم الدار: لم توافقكم ولم تجدوا بها قرارًا، والسنة القحط، وأقحمتهم: اضطرتهم لترك البادية هربًا من القحط، وأرداكم: دفعكم وأهلككم.

(٢) الحسب: ما يعده المرء من مناقبه أو شرف آبائه. هجنت: عبت وقبحت.

(٣) في الفاضل وصفة الصفوة وأسد الغابة: غيّرت. وغبرت في الأصل: أثرت الغبار. ولعل المراد: عملت عملًا تغمزون به في أنسابكم كما يؤثر الغبار فيما يقع عليه فيؤثر في مرآه.

(٤) زاد بعده في صفة الصفوة: ولا أوطأت حريمكم، ولا أبحت حماكم. والحريم من كل شيء ما تبعه فحرم بحرمته من مرافق وحقوق. أبحت: أحللت. الحمىٰ: في الأصل: ما يمنع من مواضع الكلأ.

(٥) قولها: (وقد تعلمون... تفلحون) ليست في صفة الصفوة.

(٦) في الفاضل: حسبكم، وقد ترون الأعلاج قد ألـمَّت، فإذا كان بالغداة إن شاء اللَّه فاغدوا لقتال. وفي صفة الصفوة: فإذا كان غدًا -إن شاء اللَّه- فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين الله مستبصرين. ألـمَّت: قربت، والأعلاج جمع علج وهو كل جاف شديد من الرجال، ويطلق علىٰ الرجل من كفار العجم.

فإذا رأيتم الحربَ قد شمَّرتْ عن[1] ساقِها، واضطرمت لظًىٰ علىٰ سياقِها[2]، وجلَّلت نارًا علىٰ أوراقِها[3]، فتيمَّمُوا وطيسَها، وجالِدوا رئيسَها[4] عند احتدام خميسِها[5] تظفروا بالغُنْمِ[6] والكرامةِ في دارِ الخُلْدِ والمُقَامَةِ[7])[8].

(١) في صفة الصفوة: قد أبدت ساقها، وقد ضربت رواقها، فتيمموا. وشمَّرت الحرب عن ساقها: اشتدت. والرواق: هو الفسطاط (بيت يتخذ من الشعر)، كما يطلق علىٰ مقدّم بيت الشعر. ويقال: ضرب فلان رواقه بالمكان أي: أقام به واطمأن. وضرب الليل أرواقه: أظلم. وتيمموا: اقصدوا. والخميس: الجيش الجرار.

(٢) في معاهد التنصيص:... لظىٰ مساقها. والروايتان بمعنىٰ، وهو اشتدادها وتتابعها. واضطرمت: هاجت واشتدت. ولظًىٰ: لهبًا (حال) علىٰ ما في الأصل. ولظىٰ: نار (فاعل) علىٰ الرواية الأخيرة.

(٣) هكذا في الأصل، وفي أسد الغابة: أرواقها. وفي الفاضل: وضربت بأرواقها. الأرواق: جمع روق وهو الشجاع الذي لا يطاق، كما يطلق من كل شيء علىٰ أوَّله ومقدّمه. كما يطلق علىٰ الفسطاط. وجلَّلت: عظمت وعمَّت.

(٤) في شرح مقامات الحريري: وجالدوا رسيسها، والرسيس الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه. ورسيس الحمىٰ بدؤها وأول مسها، والوطيس: الضراب في الحرب. والمراد مواضع الشدة منها.

(٥) في الفاضل وصفة الصفوة: وجالدوا خميسها. احتدام: اشتداد.

(٦) في الفاضل: تظفروا بالنعم والسلامة، والفوز والكرامة. ومثله في صفة الصفوة إلا أن فيه: بالمغنم.

(٧) في الفاضل: والسعادة!

(٨) **التوثيق**: وردت الوصية في الاستيعاب ٤/ ١٨٢٨ (بسنده عن الزبير بن بكار) وعنه فيما يبدو في أسد الغابة ٦/ ٩٠، وصرح بنقلها عنه صاحب خزانة الأدب ١/ ٤٣٨، كما وردت في شرح مقامات الحريري ٤/ ٣٥٦، ومعاهد التنصيص ١/ ٣٥٢، ونقلها ابن حجر في الإصابة ٧/ ٦١٥ باختصار عن الزبير بن بكار. وأشار إلىٰ أن محمد بن الحسن المخزومي الذي رواها عنه الزبير أحد المتروكين! وقد أوردها ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٣٨٥-٣٨٦ بسند مختلف ونسبها إلىٰ خنساء بنت عمرو النخعية من عابدات العرب وأهل البادية! كما وردت -باختصار يسير- في الفاضل للوشاء ٢٢٠، وفيه: نُمي إليَّ أن الخنساء.. السلمية.
وأسلوب الوصية في صفة الصفوة أكثر جزالة وأليق بأسلوب ذلك العصر. ولذا فلعل نسبتها إلىٰ النخعية أولىٰ من نسبتها إلىٰ السلمية!!

ولعل مما يشد أزر ذلك ما ورد في تاريخ الطبري ٣/ ٥٤٤: (كانت امرأة من النخع، لها بنون أربعة، شهدوا القادسية، فقالت لبنيها: إنكم أسلمتم فلم تبدِّلوا، ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة، فوضعتموها بين يدي أهل فارس، والله إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره).

وقد تساءل أحد محققي شعر الخنساء عن سرِّ صمتها عن رثاء أبنائها الذين استشهدوا في معركة القادسية، وهي التي ملأت الدنيا عويلًا علىٰ أخيها صخر، والتمس لها العذر بأن التأثر بالإسلام هو الذي دفعها إلىٰ إدامة البكاء علىٰ السادات من مضر (!) إذ هم -كما قال لها عمر رضي اللّٰه عنه-: في النار.. وهو ما دفعها إلىٰ الصبر والاحتساب عند موت أبنائها، فهم ما خرجوا إلا ليقتلوا ويستشهدوا، ولذا حين بلغها نبأُ قتلِهم قالت: الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته... وكان محقق الديوان يناقش -في أثناء ذلك- اتهام بنت الشاطئ للخنساء بأن موقفها في صمتها عند قتل أبنائها (مع مواقف أشارت لها) مصدره انحراف في طبيعة تماضر (!) جعل عاطفة الأخوة فيها تطغىٰ علىٰ عاطفة الأمومة التي هي جوهر الأنوثة، والعنصر الأصيل في مقومات الفطرة لحواء!! انظر: ديوان الخنساء تحقيق د. إبراهيم عوضين ٧٠-٧٦.

وفي ظني أن التأمل في نص الوصية سندًا ومتنًا يجعل الباحث يرىٰ سحبًا من الشكوك تحوِّم حول الوصية، ولعل ذلك يرجِّح ما أشرت إليه من أن الخنساء النخعية، أولىٰ بالوصية من الخنساء السلمية، وبه ينهدم بناء الدليل علىٰ أن أولاد الخنساء الشاعرة قد دخلوا المعركة واستشهدوا، ومن ثم يصبح من السذاجة اتهامها بانحراف الطبيعة، بناء علىٰ خبر واهٍ، بل يصبح الدفاع عنها عبثًا.

ثم وقفتُ علىٰ مقالة علمية في المجلة العربية (عدد ١٠٦ في ذي القعدة ١٤٠٦هـ) لطه عمرين من سوريا بعنوان: الخنساء هل استشهد أبناؤها؟ وقد نفىٰ الكاتب استشهاد أولاد الخنساء في القادسية، ومن ثم نفىٰ صحة وصيتها بناء علىٰ أربعة أدلة هي:

١- أن ابنها أبا شجرة بن رواحة بن عبد العزىٰ بقي حيًّا حتىٰ توفي عمر، وهذا يعني أنه -حتىٰ لو شهد القادسية- لم يقتل فيها.

٢- أن ابنها العباس بن مرداس السلمي شاعر كبير قبل إسلامه وبعده، وله مواقف معروفة ولو شارك في القادسية أو استُشهد فيها لذكر خبره، فقد ذكر من هو أقل شهرة منه.

٣- وصية الخنساء النخعية وردت في الطبري، دون أدنىٰ ذكر لوصية الخنساء السلمية، فكيف يذكر شيخ المؤرخين امرأة نخعية مجهولة وينسىٰ الخنساء الشاعرة المشهورة.

٤- ما أشارت إليه النخعية التي ذكرها الطبري من كونها عجوزًا كبيرة ولم تكن الخنساء في زمن القادسية بذلك الوصف. =

[٥٥١] قال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان:

(جمعتنا أمنًّا فاطمةُ[١] بنتُ الحسين بن علي فقالت: يا بني إنه -واللهِ- ما نالَ أهلُ السَّفَهِ[٢] شيئًا في لذَّاتِهم بالسَّفَهِ[٣] إلا وقد نال أهلُ المروءاتِ مثلَه أو أكثرَ منه[٤] بمروءاتهم، فاستتروا بسترِ الله[٥])[٦].

= قلت: وما ذكره ابن الجوزي -ولم يطلع عليه الباحث- يجعل وصية النخعية أكثر شبهًا بالمنسوبة للخنساء.

وفي التعازي للمدائني ٢٥-٢٦ والتعازي والمراثي للمبرد ٤٦ عن جويرية بن أسماء عن عمِّه: أن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تُستر، فاستشهدوا، فخرجت أمهم يومًا إلىٰ السوق لبعض شأنها، فتلقاها رجل قد حضر أمر تستر، فعرفته، فسألته عن أمور بنيها، فقال: استشهدوا. فقالت: مقبلين أم مدبرين دبرين؟ قال: بل مقبلين. قالت: الحمد لله، نالوا الفوز، وحاطوا الذمار، بنفسي هم وأبي وأمي).

(١) **صاحبة الوصية**: فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية، قتل والدها وهي معه صغيرة. تزوجها ابن عمها الحسين بن الحسن بن علي، وحين مات عنها تزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وحين مات لم تتزوج بعده. روت الحديث، وروىٰ عنها أبناؤها. انظر: (الطبقات الكبرىٰ ٨/ ٤٧٣، وتاريخ دمشق (تراجم النساء) ٢٧٢، وتهذيب الكمال ٨/ ٥٦١.

(٢) في الأصل: ما قال أهل السنة! وهو تصحيف (وكذا تصحف فيه في الموضعين الآتيين)، وفي نثر الدر وتاريخ مدينة دمشق: ما نال أحد من. والسفه: الجهل والطيش وضعف العقل.

(٣) في المصدرين السابقين: بسفههم شيئًا ولا أدركوا ما أدركوه من لذاتهم.

(٤) في المصدرين السابقين: إلا وقد ناله أهل المروءات. والمروءات جمع مروءة، والمروءة جماع الفضائل من الدين والعقل والحياء والكرم ونحوها.

(٥) جاء بعده في تاريخ مدينة دمشق: وقال الخطيب: فاستتروا بجميل ستر الله.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في أخبار أبي القاسم الزجاجي ١١٥، بسنده إلىٰ (الرياشي قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال: قال لي محمد بن عبد الله بن عثمان (!)....). كما وردت في نثر الدر ٤/ ٥٠، ٦٦، وتاريخ مدينة دمشق (قسم النساء) ٢٨٤، بسنده إلىٰ محمد بن معن الغفاري قال: حدثني محمد...).

[٥٥٢] تزوج النعمانُ بنُ امرئ القيس بن عمرو بن [امرئ القيس بن عمرو بن] بن عدي بن نصر [اللخمي] إلى فاطمةَ بنتِ الخُرْشُبِ الأنمارية، وإلى قَيلَة بنت الحسْحاس الأسدية، وإلى تُمَاضر بنت الشريد، وإلى الرَّواعِ النمرية بناتِهن، فلما أُهدين إليه دخل على ابنة الأنمارية[1] فقال:

(ما أوصتكِ به أمك؟ قالت: قالت لي: عطري جلدك، وأطيعي زوجك، واجعلي الماءَ آخرَ طيبِك.

ثم دخل علىٰ ابنة السلمية فقال: ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: لا تجلسي بالفِناءِ، ولا تكثري من المِراءِ[2]، واعلمي أن أطيبَ الطيبِ الماء.

ثم دخل علىٰ ابنة النمريةِ فقال: ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: لا تطاوعي زوجَك فتمُلِّيه، ولا تعاصِيه فتُشكيه[3]، واصدقيه الصفاءَ[4]، واجعلي آخرَ طيبِك الماءَ.

ثم دخل علىٰ ابنةِ الأسدية فقال: ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: أدني

---

(١) صاحبات الوصايا: فاطمة بنت الخرشب (عمرو) بن النضر بن جارية الأنمارية، إحدىٰ المنجبات، كان يقال لبنيها الكملة. (انظر الأغاني ١٧/ ١١٦-١١٧).
وتماضر بنت الشريد السلمية. أم قيس بن زهير العبسي وإخوته، رثته بعد قتله، يزعم بعض بني فزارة أن حذيفة بن بدر الفزاري كان قد أصابها ضمن ما أصاب من بني عبس يوم ذي حسًّي فقتلها. (انظر: النقائض ١/ ٩٧-٩٨، وجمهرة النسب ٤٤٢)، ولم أقف لقيلة بنت الحسحاس وللرواع النمرية علىٰ ذكرٍ سوىٰ ما ذُكر في مصدر الوصية.
والنعمان هو فارس يوم حليمة، وصاحب الخورنق، وملك الحيرة، ملك ثلاثين سنة. (انظر: نشوة الطرب ١/ ٢٧٣).

(٢) المراء: الجدل.

(٣) في نثر الدر: فتشكعيه. وتشكيه: تحمليه علىٰ الشكوىٰ. شكع: كثر أنينه وضجره من المرض والوجع حين يشتدُّ به ويقلقه، وأشكعني: أحفظني وأغضبني وأضجرني.

(٤) في نثر الدر: الصغار. ولعله تحريف.

سترَك، وأكرمي زوجَك، واجتنبي الإباءَ[١]، واستنظفي بالماء)[٢].

[٥٥٣] قالت هندُ بنت عتبةَ[٣] لابنها[٤] معاوية:

(يا بني إنه -واللهِ- قلَّما ولدتْ[٥] حُرَّةٌ مثلَك، وقد استنهضَكم هذا الرجلُ[٦]

---

(١) الإباء: الامتناع والترفع.

(٢) **التوثيق**: وردت هذه الوصايا في بلاغات النساء ١٣١ عن الكلبي، ونثر الدر ٤/ ٨٩-٩٠ في خبرٍ علىٰ النحو الآتي: (بعث النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر إلىٰ نسوة من العرب منهن فاطمة بنت الخرشب وهي من بني أنمار بن بغيض، وهي أم الربيع بن زياد وإخوته، وإلىٰ قيلة بنت الحسحاس الأسدية وهي أم خالد بن صخر بن الشريد، وإلىٰ تماضر بنت الشريد، وهي أم قيس بن زهير وإخوته كلهم، وإلىٰ الرواع النمرية، وهي أم يزيد بن الصعق فلما اجتمعن عنده. قال: إني قد أخبرت بكن، وأردت أن أنكح إليكن فأخبرنني عن بناتكن. فقالت: فاطمة عندي الفتخاء العجزاء، أصفىٰ من الماء، وأرق من الهواء، وأحسن من السماء. وقالت تماضر: عندي منتهىٰ الوصاف، دفيئة اللحاف، قليلة الخلاف. وقالت الرواع: عندي الحلوة الجهمة، لم تلدها أمة. وقالت قيلة: عندي ما يجمع صفاتهن وفي ابنتي ما ليس في بناتهن. فتزوج إليهن جميعًا فلما أهدين إليه...).

(٣) **صاحبة الوصية**: هند بنت عتبة بن ربيعة العبشمية القرشية، ناوأت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ودعوته، ثم فتح الله قلبها للإسلام عام الفتح، وشهدت اليرموك. كانت امرأة عاقلة جزلة، ماتت في خلافة عثمان. انظر: تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٣٧، والإصابة ٨/ ١٥٥.

(٤) **مناسبة الوصية**: جاء في العقد «لما قدم معاوية من الشام -وكان عمر قد استعمله عليها- دخل علىٰ أمه هند فقالت له:...»، وفي نثر الدر أنه لما مات يزيد بن أبي سفيان -وكان واليًا لعمر علىٰ الشام- ولَّىٰ عمر معاوية موضعه فقالت له هند ذلك. ومثله في البداية والنهاية وفيه: وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه.

(٥) **الروايات**: في العقد: يا بني إنه قلما، وفي نثر الدر: إنه ما ولدت، وفي تاريخ دمشق: والله يا بني إنه لقلما ولدت، وفي البداية والنهاية: إنه قلَّ أن تلد.

(٦) في العقد: وقد استعملك، وفي نثر الدر: وإنك قد انهضت فانهض، وإن الذي استعملك قادر أن يعزلك، وفي تاريخ دمشق: وقد استنهضك هذا الرجل، وفي البداية والنهاية: وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر.

فاعملوا بما يوافقه، واجتنبوا ما يكرهُه[1])[2].

[٥٥٤] قالت هند بنت عتبة لابنها معاوية بن أبي سفيان[3]:

(أي بني؛ إنه عمرُ؛ وإنما يعملُ لله، وقد أتاك أبوك فخشيتُ أن تخرجَ إليه من كلِّ شيءٍ؛ وأهل ذلك هو، فلا يعلمُ النـاسُ من أين أعطيته، فيؤنبونك ويؤنِّبك عمر[4]، فلا يستقيلها أبـدًا[5])[6].

---

(١) في العقد: فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته، ومثله في تاريخ دمشق، وفيه: بموافقته، وفي نثر الدر: فاعمل بما وافقه، وافقك ذلك أم خالفك، وفي البداية والنهاية: فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت.

(٢) **التوثيق**: وردت الوصية في جمل من أنساب الأشراف ٥/ ١٧. كما وردت في العقد الفريد ١/ ٢٥، ونثر الدر ٣/ ١٧، وتاريخ دمشق (قسم النساء) ٤٥٨، بسنده إلىٰ أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن العتبي عن أبيه، والبداية والنهاية ١١/ ٣٩٩.

(٣) **مناسبة الوصية**: (عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قالوا: إن هند ابنة عتبة قامت إلىٰ عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها، فأقرضها، فخرجت فيها إلىٰ بلاد كلب، فاشترت وباعت، فبلغها أن أبا سفيان وعمرو بن أبي سفيان قد أتيا معاوية، فعدلت إليه من بلاد كلب، فأتت معاوية، وكان أبو سفيان قد طلَّقها، قال: ما أقدمكِ أي أمّه؟ قالت: النظر إليك...

فبعث إلىٰ أبيه وإلىٰ أخيه بمئة دينار، وكساهما وحملهما، فتعظَّمها عمرو؛ فقال أبو سفيان: لا تعظِّمها، فإن هذا عطاء لم تغِب عنه هند، ومشورة قد حضرتها هند، ورجعوا جميعًا، فقال أبو سفيان لهند: أربحت؟ فقالت: الله أعلم، معي تجارة إلىٰ المدينة. فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركته لك، ولكنه مال المسلمين، وهذه مشورة لم يغِب عنها أبو سفيان، فبعث إليه فحبسه حتىٰ أوفته، وقال لأبي سفيان: بكم أجازك معاوية؟ فقال: بمئة دينار)!!

(٤) يؤنبك: يبالغ في لومك وتوبيخك.

(٥) في تاريخ دمشق: فلا تستقيلها، ويستقيلها: يجد لك عذرًا فيها، ولا تستقيلها: لا تجد لك عذرًا مقبولًا عنده.

(٦) **التوثيق**: وردت الوصية في الطبري ٤/ ٢٢١، وتاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٥٧-٤٥٨، بسندهما إلىٰ زيد بن أسلم عن أبيه.

[٥٥٥] كتبت هندٌ إلى معاويةَ سرًا[١]:

(قد قَدِمَ أبوك وأخوك. فلا تَغْذِمْ[٢] لهم فيعزلَك ابنُ الخطاب، احمل أباك علىٰ فرسٍ، وأعطه أربعةَ آلافِ درهم. واحمل عتبةَ علىٰ بغلٍ وأعْطِه ألفي درهم. واحمل عنبسة[٣] علىٰ حمارٍ وأعطه ألفَ درهم)[٤].

---

(١) **مناسبة الوصية**: (شخص أبو سفيان إلىٰ معاوية [وهو أمير من قبل عمر رضي اللّه عنه] بالشام، ومعه ابناه عتبة وعنبسة فكتبت...).

(٢) **المعـاني**: جاء بعدها: [عن أبي العتبىٰ] قال لي أبو العباس اليشكري: لا تعطهم الكثير، يقال: غذم لهم من المال.

(٣) عتبة وعنبسة ابنا أبي سفيان تقدمت تراجمهما في وصاياهما.

(٤) **التوثيق**: وردت الوصية في تاريخ دمشق (قسم النساء) ٤٥٨، بسنده إلىٰ أبي العباس اليشكري عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن العتبي عن أبيه.

الخاتمة

قبل أن أضع القلم مؤذناً بانتهاء هذه الرحلة الممتعة سأحاول تلخيص أبرز النقاط التي انتهيت إليها، وخلصت بها:

١ - كل اشتقاقات الفعل (وصىٰ) تلتقي عند معنىٰ الوصل والاتصال، وتلك الاشتقاقات غالباً تدل علىٰ أمور محسوسة، ولكن ثمة صلة بين المعنىٰ الحسي والمعنوي الذي استقرت عليه الوصية بمفهومها الشرعي والتربوي.

فالموصي - في مفهوم الوصية الشرعي - يصل ما كان له في حياته بما بعد وفاته، والوصية - في مفهومها التربوي العام - كلام يوصىٰ، أي يوصل بين الموصي والموصىٰ.

٢ - رغم وجود النماذج الكثيرة للوصية - في بعدها التربوي - عبر الامتداد التاريخي فلا يكاد الباحث يقف - لدىٰ اللغويين والباحثين بعامة - علىٰ تعريف لها، أو محاولة لبلورة معنىٰ اصطلاحي، إلا علىٰ نطاق ضيق، وتعريفات مقتضبة. وثمة تعريفات كثيرة معاصرة، تتقارب حيناً وتتباعد حيناً.

٣ - للوصية مرادفات من جذر كلمتها؛ وهي الوصاة والإيصاء، كما أن لها مرادفات أخرىٰ هي النصيحة والموعظة والعهد.

٤ - ثمة دوافع مختلفة للوصايا، انطلقت في العصر الجاهلي من ظروفه ومعطياته، فحيث كانت القبيلة محور الاهتمام جاءت الوصايا بالتاكيد علىٰ ضرورة التعاضد والتكاتف، والتحذير الشديد من الاختلاف، فالقبيلة في ظل أجواء ذلك العصر أحوج ما تكون إلىٰ جمع الكلمة ووحدة الصف، وهنا يكون التأكيد علىٰ التآلف القلبي مقدماً علىٰ الاجتماع المكاني.

وتلتقي موضوعات الوصايا في تلك الدائرة؛ في معان عديدة، تأمر الرئيس بحسن السياسة والتعامل، وتحث المرؤوس علىٰ حسن الطاعة والمؤاتاة.

وقد ترك الإسلام أثراً عميقاً في حياة العرب، في جوانب حياتها كافة، وانعكس ذلك في الوصايا بعامة، حيث ظهر التأكيد علىٰ الالتزام بالدين القويم، والتخلص من أوضار الجاهلية، وصرف وجه الاهتمام إلىٰ الآخرة، مع عدم نسيان نصيب الإنسان من الدنيا، والتدثر بالقناعة، والاجتهاد في طلب العلم منذ الصغر.

وبدت في الوصايا مظاهر النضج السياسي المتمثل في إقامة الدولة علىٰ أنقاض القبيلة، وصرف الولاء منها إلىٰ العقيدة، ووضع موازين جديدة للتفاضل، تتربع علىٰ ذروتها التقوىٰ. وقد دفعت مشاعر الآباء - مستشعرين الفرق بين فوضىٰ المجتمع في الجاهلية واستقراره في الإسلام - إلىٰ التشديد علىٰ أبنائهم بالتزام البيعة لمن يجتمع عليه الناس، ولو طال أفرادَ الناس شيءٌ من الظلم، فوالٍ ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم !!

ولأن الحكمَ تحوّل - مع بداية الحقبة الأموية - إلىٰ مُلْكٍ وراثيٍّ فقد كان الخلفاء، وهم يعدّون أولادهم لخلافتهم، ينفحونهم بعدد من الوصايا، تهدف، بدرجة كبيرة، إلىٰ استيعاب الجانب الإداري لسياسة الدولة، وسياسة الناس، ليستطيع الخليفة الجديد التعاطي - حين خلافته - مع مختلف الأحداث بصورة إيجابية.

وبالإضافة إلىٰ الدوافع السابقة فقد جدت - في العصر العباسي - دوافع جديدة، صاحبت تأثير الثقافة الفارسية السياسي والاجتماعي، تلك الثقافة التي انداحت دوائرها في فضاء العصر العباسي، بفعل الطاقات البشرية الفارسية التي وظفت في مفاصل الإدارة العباسية، بما فيها الرتب العالية كالوزارة.

٥ - غالب من تعددت وصاياهم يجمعون بين الثقافة والخبرة، وتتأكد كثرة الوصايا للشخص الواحد غالباً في المنعطفات التاريخية، ولدىٰ الشخصيات التي تركت آثاراً مفصلية في التاريخ السياسي؛ كما هو الحال لدىٰ معاوية بن أبي سفيان ﵁، وعبد الملك بن مروان، وأبي جعفر المنصور.

٦ - نُسب لعلي بن أبي طالب ﵁ عددٌ من الوصايا، يكاد بها أن يكون أكثر شخص حظي بأكبر عدد من الوصايا، ولكن عند التدقيق يبدو عدد من تلك الوصايا، إما معروفة النسبة إلىٰ أشخاص آخرين ونسبت إلىٰ عليٍّ، ﵁، وإما أن تكون غير منسوبة، لكن المصادر التي حملتها لم تسلم من تهم بعض النقاد، كما أن التأمل فيها قد يفضح نسبتها إلىٰ عليٍّ، ﵁، كما أشرت إلىٰ ذلك في عدة مواضع من البحث.

وحين أراد الحمدوني في تذكرته عرض نماذج من كلام القرابة وآدابهم وآثارهم ومواعظهم لمس طرفاً من هذا - فيما يبدو - وحاول أن يجد له تفسيراً، وختم حديثه عنه بالقول: (فإن حقق قارئ هذا الكتاب نقلاً يخالف في بعض الكلمات، فالعهدة فيه علىٰ الرواة، و أنا لم آل في بذل الاجتهاد مع شدة تناقض أرباب الإسناد، وليس ذلك بقادح فيه، إذ المقصود المذاكرة بمعانيه لا نسبته إلىٰ قائليه)[١].

كما صرّح أبو حيان التوحيدي بوقوفه علىٰ ما نُحله عليّاً ﵁، مشيراً إلىٰ أن أثر التكلف علىٰ ما نحله يفضح نسبته إليه[٢]. ويشير إلىٰ نحل الشيعة جعفر بن محمد أخباراً كثيرة (لم يقلها قط، ولا محصول لها، ولا فائدة معها، ولا حقيقة لشيءٍ منها، ومتىٰ رددتها عليهم غضبوا وشنعوا وقالوا: أنت رديْ الدين ولهذا

(١) التذكرة الحمدونية ١ / ٦٣ - ٦٤

(٢) انظر البصائر والذخائر ٧ / ١٣. وقد علق أبو حيان علىٰ كلام أورده بقوله: (هذا رواه لي بعض المجوس لبزرجمهر، ورواه لي بعض العلويّة لجدّه، ورواه لي آخر مرسلاً، والله أعلم وأحكم بالصواب). المصدر نفسه ٨ / ٦٧.

تردّ علىٰ الصادقين) [1].

وينقل الحميري رأياً خطيراً عن شخص يزعم اختلاطه بالشيعة وحواره معهم، فيقول: (قال السيد أبو طالب في كتاب الدعامة: إن كثيراً من أسانيد الاثنىٰ عشرية مبنية علىٰ أسامٍ لا مسمّىٰ لها من الرجال، قال: وقد عرفت من رواتهم المكثرين من كان يستحلّ وضع الأسانيد للأخبار المنقطعة إذا وقعت إليه، وحُكي عن بعضهم أنه كان يجمع روايات بزر جمهر، وينسبها إلىٰ الأئمة بأسانيد يضعها، فقيل له في ذلك، فقال أُلحق الحكمة بأهلها)![2]

وينقل مثل ذلك أبو حيان التوحيدي بقوله: (قال أبو طاهر بن حمزة العلوي: حدثني ثقة أنه رأىٰ رجلاً من أصحاب الإمامية يضع علىٰ حكم بزرجمهر أسانيد أهل البيت، رضوان الله عليهم، فقيل له: ما هذا ؟ فقال: ألحق الحكمة بأهلها) [3].

وإذا كان الشريف المرتضىٰ قد ألّف كتاب نهج البلاغة، جمع فيه ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ من خطب ورسائل وحكم فقد تعرض للنقد قديمـًا وحديثـًا.

فابن خلكان قال عنه: (وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة، المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب، ﷺ، هل هو جمعه أم جمع أخيه

---

(١) انظر البصائر والذخائر ٧/ ١٦٦ . وفي المصدر ذاته عقَّب أبو حيان بعد إيراده بيتـًا من الشعر بقوله: (وسمعت بعض الشّيعة يقول: البيت لعليّ بن أبي طالب ﷺ قاله لعبد الرحمن بن ملجم لعنه الله، حين علم أنّه ضاربه علىٰ هامته، وسائلٌ دمه علىٰ شيبته، قال: والدليل علىٰ ذلك قوله من مراد، وعبد الرحمن مراديّ، وأصحابنا يأبون هذا الكلام، ويقولون: البيت لعمرو بن معدي كرب، وقد جاء في ديوانه، ولكنّ الشيعة إذا سمعوا هذا الكلام رموا قائله ببغض عليّ، وقذفوه بكلّ قبيح، والفتنة منهم شديدة، والبلاء عظيم، ولو لم يكن من عجائبهم إلاّ تشريف عليّ، ونشر فضائله، والاقتداء بأفعاله، لكان ذلك حقّـًا وصدقـًا وطاعةً، ولكن يتّصل بهذا ما يهدم هذا، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور). نفسه ٨/ ١٣٤ .

(٢) الحور العين ٣٠٧.

(٣) البصائر والذخائر ٨/ ١٥٨ - ١٥٩ .

الـرضـي.وقـد قـيـل إنـه لـيـس مـن كـلام عـلـيٍّ، وإنـمـا الـذي جـمـعـه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم)[1].

وقال الذهبي في ترجمته للشريف المرتضىٰ: (ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب علىٰ أمير المؤمنين عليّ، ﷺ، ففيه السبّ الصراح والحط علىٰ السيدين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنَفَس القرشيين الصحابة، وبنَفَس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل)[2].

وقال الصفدي في ترجمة الشريف الرضي: (والناس يزعمون أن نهج البلاغة من إنشائه، سمعت الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالىٰ - يقول: ليس كذلك بل الذي فيه من كلام علىٰ بن أبي طالب معروف، والذي فيه للشريف الرضي معروف أو كما قال)[3].

وفي العصر الحاضر أشار الدكتور زكي مبارك إلىٰ أن في نهج البلاغة فقرات وفصولاً ينكرها الناقد الحصيف، ولكنه يبرئ الشريف الرضي أن يكون وضع ذلك عن عمد، وإنما وقع عن جهل بما تعرضت له تلك الآثار من الوضع والافتراء من سابقيه، الذين طاب لهم أن يُنطقوا أمير المؤمنين بأقوال رأوها تؤيد مذهبهم بعض التأييد. مع افتراضه أن تكون مجموعة نهج البلاغة قد تعرضت - بعد وفاة الرضي - إلىٰ زيادات أملتها النزعة المذهبية[4].

---

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٣١٣. ونقل كلامه ذاك - دون عزو - اليافعي في مرآة الجنان ٣ / ٥٥، والصفدي في الوافي ٢١ / ٧.

(٢) ميزان الاعتدال ٣ / ١٢٤.

(٣) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٧.

(٤) عبقرية الشريف الرضي ١ / ٢١٨. نقلًا عن بلاغة الإمام علي، د. أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر ٦٩ - ٧١.

وغير بعيد عن ذلك الرأي رأي الدكتور محمد مهدي البصير[١].

وقال أحمد أمين: (ونسبوا إليه - علي ﷺ - نهج البلاغة، وهو مشتمل علىٰ كثير من الخطب والأدعية والكتب والمواعظ والحكم، وقد شكّ في مجموعها النقاد قديماً وحديثاً كالصفدي وهوار huart. واستوجب هذا الشك أمور) [٢].

والدكتور أحمد الحوفي، يبرئ ساحة الشريف من الوضع، ولكنه يقرّ بأن بعض ما في نهج البلاغة لا يصح أن ينسب إلىٰ الإمام عليّ، ﷺ، وإن كان قد بذل مجهوداً كبيراً في الرد علىٰ شُبَهِ الطاعنين في الكتاب [٣].

٧ - تميّز الموصون في العصر الجاهلي بأنهم غالباً من علية القوم وذوي المكانة القبلية الكبيرة، وقد يعكس ذلك إحساساً عميقاً بالمسؤولية القبلية، باعتبار أن الأبناء الموصَين غالباً هم عمد القبيلة وأركانها، ومن هنا غلبت أيضاً الوصايا لجماعة الأبناء.

ولكن الوصايا في العصور الإسلامية شملت مختلف طبقات المجتمع؛ السياسي منهم والعالم والقاضي، وهو انعكاس للشعور بالمسؤولية الفردية من جهة، وانعكاس لتعدد المسؤوليات الإدارية من جهة ثانية، وانعكاس للمستوىٰ العلمي من جهة ثالثة.

٨ - تنوعت موضوعات الوصايا تنوعاً كبيراً، وشملت جوانب الحياة المختلفة، لكنها في الوقت نفسه كانت تلبي الحاجات الآنية، وتراعي المواضعات البيئية

---

(١) في كتابه عصر القرآن ٢٧. كما أشار إلىٰ ذلك الدكتور أحمد الحوفي، في كتابه السابق ٧١ - ٧٢.

(٢) فجر الإسلام ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) انظر كتاب: بلاغة الإمام علي.

العامة، وتتأثر بالأجواء المجتمعية، ومن هنا كان للجانب الأسري - بمعناه العام - حضور ظاهر في وصايا العصر الجاهلي، علىٰ حين كان الجانب العلمي غائباً. كما كان للجانب السياسي والإداري حضوره الكبير في وصايا العصر العباسي بصورة أجلىٰ، كما اتضحت آنذاك المؤثرات الثقافية التي تركت أثراً واضحاً في المجتمع جراء الاختلاط بالأجناس والثقافات الأخرىٰ. كما يلحظ - بصورة عامة - خفوت النَّفَسِ القبلي في عامة وصايا العصور الإسلامية.

٩ - ارتادت الوصايا مختلف الجوانب الحياتية؛ فأفسحت مساحة كبيرة للجانب الديني والأخلاقي، وعالجت مسائل عديدة في الجانب الأسري والاجتماعي، وخط الموصون لبنيهم معالم في الجوانب السياسية والعسكرية، ودفعوا ببنيهم لأبواب العلم، وطرحوا بين يديهم رؤىً تتصل بسياسة المال والجانب الاقتصادي بعامة.

١٠ - مع امتداد مساحة الوصايا في العصر الجاهلي فلم تحمل الوصايا أيّ أثر للعقيدة السائدة آنذاك، وهي عبادة الأصنام، وهو أمر يدعو للتوقف والتساؤل. فهل تلك العقيدة - في حياة الجاهليين - تقاليد وطقوس لا تقوم أمام قيم النسب والولاء للقبيلة ؟ أم إن الوصايا التي تحمل الإشارة إلىٰ تلك القيم قد حُجبت من الوصول إلينا ؟ وهل ما وصلنا منها امتدت إليه أيدٍ بالتعديل ليتوافق مع قيم الإسلام ؟ وهو أمر، وإن كان ممكناً ومتوقعاً، إلا أن القيم السلبية الجاهلية بعامة كان ظهورها خافتاً في الوصايا.

١١ - قد تبدو بعض الوصايا - في العصر الجاهلي بالذات - نثاراً من الحكم لا يربط بينها رابط، لكنها عند التأمل تبدو جملها حبات (سبحة) تنتظم في خيط واحد، تتكامل لتعالج الأوضاع القبلية من مختلف الجوانب. وفي مقابل ذلك فإن

ما جاء في العصور الإسلامية من الوصايا طويلاً قد حافظ علىٰ وحدته الموضوعية بصورة جلية.

١٢ -الوصايا - في جملتها - ذات معانٍ سامية، يسودها الوضوح التام غالبًا، وإذا كان الإسلام قد ترك أثراً جليًا في معاني الوصايا، فإن اتساع الدولة الإداري في العصر الأموي قد ترك هو الآخر أثراً، وازداد هذا الأثر في الإدارة العباسية، التي ورثت التجربة الفارسية في الحكم والإدارة. لكن المعاني الإنسانية العامة كانت قاسمًا مشتركًا بين الوصايا، بما فيها الوصايا الجاهلية. كما أن المعاني الدينية كانت قاسمًا مشتركًا بين الوصايا في العصور الإسلامية.

١٣ - يلفت النظر أن وصايا النساء قليلة جداً بالنسبة لوصايا الرجال، فمن بين خمسمائة وخمس وخمسين وصية، هي عدد الوصايا كلها مع المكرر يوجد أربع وثلاثون وصية منها للنساء. ونصف هذا العدد تقريبًا لنساء مجهولات، ما بين امرأة وأعرابية. ونصف الباقي ليس ثمة معلومات معتبرة عنهن. وإذا كانت الصعوبة تكتنف تحديد العصر الزمني لأغلب المجهولات فإن عصر صدر الإسلام والعصر الأموي حوىٰ معظم المعروفات.

والذي يتراءىٰ للباحث أن عدد الوصايا النسائية المثبتة ليس دليلاً علىٰ قلة وصايا المرأة علىٰ الحقيقة، وإن كان من المؤكد قلتها - بعامة - بالنسبة لوصايا الرجال، ولكن ذلك صورة لغيره من المناشط الحياتية، التي يبرز فيها الرجل بصورة أظهر بسبب وظيفته في الأسرة، التي تفرض عليه أن يقضي جزءاً كبيراً من وقته خارج البيت، في مقابل وظيفة المرأة، التي تفرض عليها البقاء - غالب وقتها - في البيت. ثم إن الكتب المؤلفة من صنع الرجل، الذي ربما اكتنف نظرته إلىٰ المرأة - بعامة - غير قليل من التنقّص !!

١٤ - يغلب علىٰ الوصايا القصر، وهو أمر إذا كان من ضمن دواعيه في العصر الجاهلي الأمية، فهو في جملة العصور مقصوداً ليسهل علىٰ الموصَىٰ حفظُ الوصية وتمثّلها. وغالب الوصايا التي تميزت بالطول كانت صادرة من الخلفاء والأمراء، ومتصلة في جملتها بسياسة الدولة وإدارتها، وحسن سياسة الرعية.

١٥ - جاءت الوصايا نتاج تجارب شخصية عميقة، وأحياناً تجارب غيرية أفاد منها الموصي، خاصة والموصون منهم المعمّر الذي صار شاهداً علىٰ أحداث ممتدة، واختلط بألوان من الناس، وذاق حلو الحياة ومرَّها، ومنهم الزعيم القبلي الذي رأسته سيرته وعقله، وعرف بالعقل والحلم، ومنهم الخليفة الذي خاض غمار حروب تعرض فيها للحتوف أكثر من مرة، حتىٰ أقام أساس الدولة، وثبت أركانها، ومنهم القائد الذي عرف بالشجاعة، واستوعب دروساً جعلته يدرك أسباب النصر والهزيمة، ومنهم العالم الكبير، والزاهد المشهور.

١٦ - مع أن النقاد يجعلون اتكاء النثر علىٰ العقل قبل العاطفة إلا أن الوصايا ربما كانت أقرب ألوان النثر تدثُّراً بالعاطفة، فالعلاقة بين الطرفين علاقة راسخة، وهل ثمة علاقة أكثر رسوخاً من علاقة الأب بالابن ؟! وجملة من الوصايا قيلت في ساعات فراق أبديٍّ أو مؤقت، والهدف الأصلي من الوصية هو الإرشاد والتوجيه، والأب كان شديد الحرص علىٰ توظيف كل ما يساعد في قبول ابنه الوصية، والعاطفة من أوسع الأبواب التي يمكن الدخول منها لتحقيق ذلك الهدف. واللغة هي أوضح ما تتجسد فيها العاطفة.

١٧ - تميزت الألفاظ في عامة الوصايا بالوضوح والسهولة والإيحاء وملاءمتها للمعنىٰ، كما جاءت فصيحة بعيدة عن اللحن والعجمة، قد تركت البيئة عليها بعض آثارها. وقد بدت جمل الوصايا بتلك الألفاظ قوية واضحة، خالية من التعقيد اللفظي والمعنوي، متماسكة بعيدة عن الهلهلة والضعف، الجمل فيها مزيج من

١٤ - يغلب علىٰ الوصايا القصر، وهو أمر إذا كان من ضمن دواعيه في العصر الجاهلي الأمية، فهو في جملة العصور مقصوداً ليسهل علىٰ الموصَىٰ حفظُ الوصية وتمثّلها. وغالب الوصايا التي تميزت بالطول كانت صادرة من الخلفاء والأمراء، ومتصلة في جملتها بسياسة الدولة وإدارتها، وحسن سياسة الرعية.

١٥ - جاءت الوصايا نتاج تجارب شخصية عميقة، وأحياناً تجارب غيرية أفاد منها الموصي، خاصة والموصون منهم المعمّر الذي صار شاهداً علىٰ أحداث ممتدة، واختلط بألوان من الناس، وذاق حلو الحياة ومرَّها، ومنهم الزعيم القبلي الذي رأسته سيرته وعقله، وعرف بالعقل والحلم، ومنهم الخليفة الذي خاض غمار حروب تعرض فيها للحتوف أكثر من مرة، حتىٰ أقام أساس الدولة، وثبت أركانها، ومنهم القائد الذي عرف بالشجاعة، واستوعب دروساً جعلته يدرك أسباب النصر والهزيمة، ومنهم العالم الكبير، والزاهد المشهور.

١٦ - مع أن النقاد يجعلون اتكاء النثر علىٰ العقل قبل العاطفة إلا أن الوصايا ربما كانت أقرب ألوان النثر تدثُّراً بالعاطفة، فالعلاقة بين الطرفين علاقة راسخة، وهل ثمة علاقة أكثر رسوخاً من علاقة الأب بالابن ؟! وجملة من الوصايا قيلت في ساعات فراق أبديٍّ أو مؤقت، والهدف الأصلي من الوصية هو الإرشاد والتوجيه، والأب كان شديد الحرص علىٰ توظيف كل ما يساعد في قبول ابنه الوصية، والعاطفة من أوسع الأبواب التي يمكن الدخول منها لتحقيق ذلك الهدف. واللغة هي أوضح ما تتجسد فيها العاطفة.

١٧ - تميزت الألفاظ في عامة الوصايا بالوضوح والسهولة والإيحاء وملاءمتها للمعنىٰ، كما جاءت فصيحة بعيدة عن اللحن والعجمة، قد تركت البيئة عليها بعض آثارها. وقد بدت جمل الوصايا بتلك الألفاظ قوية واضحة، خالية من التعقيد اللفظي والمعنوي، متماسكة بعيدة عن الهلهلة والضعف، الجمل فيها مزيج من

الجمل الإنشائية والخبرية، وإن كانت الجمل الإنشائية أكثر وضوحـاً، كما تغلب الجمل الفعلية، وهو ما يتناغم مع جو الوصايا المفعم بالعاطفة.

١٨ - تتكرر أحياناً بعض المعاني بألفاظها في الوصايا، ومردّ ذلك إما إلىٰ تأثر الموصي اللاحق بالموصي السابق، أو تردد النسبة بين موصيين، أو التداخل بين وصيتين، وفي عصر صدر الإسلام إلىٰ اتكاء أكثر من موصٍ علىٰ حديث واحد، عن النبي ﷺ.

١٩ - اشتملت الوصايا علىٰ عدد من المحسنات البديعية، وأكثرها حضوراً في العصور الأولىٰ الطباق والمقابلة، وقد وظفا في خدمة المعنىٰ بطريقة جد رائعة، ويكاد السجع يكون سمة لوصايا العصر الجاهلي، وهو يأتي غالباً بين كل جملتين، وقلّ أن يتجاوز ثلاث جمل، بينما جاء السجع عارضـاً في عامة الوصايا اللاحقة. والجناس التام لا يكاد يوجد في الوصايا لارتباطه بالتكلف، ولكن جناس الاشتقاق لا يكاد يفتقد علىٰ امتداد العصور.

٢٠ - جاء التشبيه محدوداً في وصايا العصر الجاهلي، ومعظم الصور الفنية فيها جاءت متكئة علىٰ الاستعارة، ومستمدة من البيئة.

وفي وصايا صدر الإسلام تغلب الصور الجزئية، المتكئة حيناً علىٰ التشبيه، وحيناً علىٰ الاستعارة.

وفي العصر الأموي تبدو الصور كثيرة بالنسبة للعصرين السابقين، وإن ظلت مساحة التشبيه أقل من الاستعارة.

والصور في العصر العباسي لا يبدو الاحتفاء بها كبيراً، وهي في غالبها جزئية، والقائمة منها علىٰ التشبيه قليلة بالنسبة للمتكئة علىٰ الاستعارة. وقد يبدو فيها أحياناً أثر الإفادة من السابقين، أو من الثقافة الوافدة.

٢١ - يمثل الإيقاع في الوصايا جزءاً مهماً من نسيجها، ويسهم بفعالية في تحقيق الهدف الذي يطمح إليه الموصون من ورائها، إذ يهيء الإيقاع الأجواء لعبور المعاني من خلال الأذن إلىٰ القلب. ويسهم في الإيقاع - بصورة أكبر - السجع والجناس والازدواج، وإن كان السجع أوضح في وصايا العصر الجاهلي، والازدواج أوضح في وصايا العصر العباسي.

هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال العمل في هذا البحث

أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، إنه جواد كريم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيــة	الســـورة	رقم الآية	رقم الوصية
﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	البقرة	١٣٢	٣٨١
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾	آل عمران	١٥٣	٢٨٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	آل عمران	٢٠٠	٥٥٠
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾	النساء	٢٩	٣٤٨
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾	النساء	١٠٤	٢٨٥
﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾	المائدة	٢	١١٨
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	المائدة	٣٣	٤٢١
﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾	الأنفال	١٦	٢١٢
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	الأنعام	١٦٢، ١٦٣	١١٨

الآيــة	الســـورة	رقم الآية	رقم الوصية
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾	النحل	١٢٨	٢٨٥
﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ ﴾	الشعراء	١٢٨	٣١٧
﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ ﴾	النمل	٤٠	٢٥٠
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴾	الزمر	٣٠ - ٣١	٤٢٢
﴿ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾	غافر	١٧	٤٢٢
﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الجاثية	٣٦	٢٥٠
﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾	التغابن	١٦	٣٨٢
﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾	المزمل	٦	٣١٩

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	رقم الوصية
إذا مررت بالمجلس فسلم علىٰ أهله	١٣٥
إن الشيطان يغيب معها حين تغيب	١٩٢
إن الله رفيق يحب الرفق	٣٧٨
إن أول ما خلق الله تبارك وتعالىٰ القلم	٨١
أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم	١١٨
أمرنا أنا نحافظ علىٰ الصلوات	١٩٢
صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة	١١٧، ١١٨
الصوم وجاء	٣٤٨
وكان يأمر أن نصلي أي ساعة	١٩٢
كان يأمرنا أن يصلي أحدنا	١٩٢
ما زال يوصينا بهم حتىٰ ظننا أنه	١١٨
المساجد بيوت المتقين	١٣٠
ما عظمت نعمة الله تعالىٰ عند أحد	١٠٠
ينصب لكل غادرٍ لواء يوم القيامة	٢٠٩
ينهىٰ عن النياحة	٢٧٠

فهرس الأعلام[1]

(أ)

(١) أرقام الوصية/ الوصايا الموضوعة بين قوسين تعني أنها خاصة بالعلم.

(ث)

(ج)

(ح)

(ر)

(ز)

(س)

(م)

فهرس الأمثال

فهرس الأشعار

القافية	البحر	اسم القائل	عدد الأبيات	الوصية
فأكثرا	الطويل	النابغة، عروة بن الورد	خمسة أبيات	٢٠٤
فتعذرا	الطويل	عروة بن الورد	بيت واحد	٤٥٨
دهورا	المتقارب	الحارث بن كعب	أربعة أبيات	٢٦
خمائصا	الطويل	الأعشىٰ	بيت واحد	٢٢٤
الدعامصا	الطويل	الأعشىٰ	بيتان	٢٢٥
المنفعه	الرمل	أبو الأسود الدؤلي	ثلاثة أبيات	٢٠٤
رفعهْ	المنسرح	الأضبط بن قريع	بيت واحد	٥٣٩
وسامع	الطويل	هدبة بن الخشرم	ثلاثة أبيات	٢٠٤
الأحمق	المتقارب	صالح بن عبد القدوس	بيت واحد	٤٧٦
جميلا	مجزوء الكامل	ذو الإصبع العدواني	سبعة أبيات	٣٠
قتيلا	الوافر	صالح بن عبد القدوس	أربعة أبيات	٢٠٤
البذلُ	الطويل	زهير بن أبي سلمىٰ	بيت واحد	٢٢٤
الرجلِ	الطويل	المعتز بن المتوكل	بيتان	٢٤٧
المعالي	الوافر	ابن خذاق العبدي، الأعور الشني	أربعة أبيات	٢٠٤
أعلما	الطويل	الخطفىٰ	خمسة أبيات	٣٦٥
الأحلاما	الخفيف	الأعشىٰ	بيت واحد	٣٤٨
المواسمِ	الطويل	نافع بن خليفة الغنوي	بيت واحد	٤٦١

القافية	البحر	اسم القائل	عدد الأبيات	الوصية
الفمِ	الطويل	الأعور الشني، صالح بن عبد القدوس	ثلاثة أبيات	٤٠٩
ترمي	الطويل	أبو دؤاد الإيادي	بيت واحد	٣٤٢
لضنين	الطويل	قيس بن الخطيم	ثلاثة أبيات	٢٠٤
يرتجيني	الوافر	حاتم الطائي	خمسة أبيات	٢٠٤
الأذنان	الخفيف	المنذر بن المنذر	خمسة أبيات	٥٩
عليه	مجزوء الكامل	—	بيتان	٤٧٨

فهرس المصادر

- **آداب الزفاف في السنة المطهرة**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط ١ (من طبعة منقحة جديدة)، ١٤٠٩هـ.

- **آداب الشافعي ومناقبه**، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق الشيخ عبد الغني عبد الخالق، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٣، ١٤٢١هـ.

- **آداب الصحبة**، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار مكتبة التربية، بيروت، ١٤١٠هـ.

- **آداب الملوك**، أبو مصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق الدكتور جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م.

- **أحسن المحاسن**، أبو الحسن الرخجي، (ضمن خمس رسائل) مكتبة دار البيان، مؤسسة الزين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

- **إحياء علوم الدين**، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- **أخبار أبي القاسم الزجاجي**، تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد.

- **الأخبار الطوال**، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

- **أخبار القضاة**، محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- **الأخبار الموفقيات**، الزبير بن بكار، تحقيق د. سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٦هـ.

- **أخلاق الراوي وآداب السامع**، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار المعارف، السعودية، الرياض،

- **الإخوان**، أبو بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد الرحمن طوالبة، دار الاعتصام، القاهرة.

- **أدب الدنيا والدين**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، حققه ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤١٣هـ.

- **الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة**، عبد الله بن المقفع، بعناية يوسف أبو حلقة، مكتبة البيان، بيروت، ط ٣، ١٩٦٤م.

- **أدب الكتاب**، أبو بكر محمد بن يحيىٰ الصولي، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، ط ١، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق الأستاذ علي نويهض، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، أبو الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، دار الفكر، بيروت.

- كتاب **أسرار الحكماء**، جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي، عني بتحقيقه: سميح صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٤م.

- **كتاب الاشتقاق**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة المثنىٰ، بغداد، العراق، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

- **الإشراف في منازل الأشراف**، أبو بكر بن أبي الدنيا، تحقيق الدكتور وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، ط ١، ١٤١٣هـ.

- **كتاب الأشراف**، أبو بكر بن أبي الدنيا، تحقيق د. وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ط١، ١٤١٣هـ.

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٢هـ.

- **اصطناع المعروف**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

- **إصلاح المال**، أبو بكر بن أبي الدنيا، تحقيق ودراسة مصطفىٰ مفلح القضاة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، ط ١، ١٤١٠هـ.

- **الإعجاز والإيجاز**، أبو منصور الثعالبي، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ.

- **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦، ١٩٨٤م.

- **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠١هـ.

- **ألف باء**، أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي، عالم الكتب، بيروت.

- **الأمالي**، أبو علي القالي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ.

- **أمالي الزجاجي**، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

- **أمالي المرتضىٰ (غرر الفوائد ودرر القلائد)**، علي بن الحسين الموسوي العلوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة، ط١، ١٣٧٣.

- **أمالي اليزيدي** = المراثي.

- **أمثال العرب**، المفضل بن محمد الضبي، قدم له وعلق عليه الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

- **كتاب الأمثال**، أبو عبيد القاسم بن سلام، حققه وعلق عليه الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤٠٠هـ.

- **إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة**، أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **أنس المحزون وراحة المحزون**، أبو الفتح عيسىٰ بن البحتري الحلبي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٤١٧هـ.

- **الأوائل**، أبو هلال العسكري، وضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

- **البخلاء**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط٦.

- **بدائع السلك في طبائع الملك**، أبو عبد الله محمد بن علي ابن الأزرق، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، ١٣٩٧هـ.

- **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ.

- **البر والصلة**، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الجيل، بيروت، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٤هـ.

- **البرصان والعرجان والعميان والحولان**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية، دار الرشيد، بغداد.

- **البصائر والذخائر**، أبو حيان التوحيدي، تحقيق الدكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

- **كتاب بغداد**، أحمد بن الفضل بن طاهر المعروف بابن طيفور، عني بنشره السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ.

- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

- **بلاغات النساء**، أبو الفضل أحمد بن طيفور، اعتنىٰ به بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

- **بهجة المجالس وأنس المجالس**، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢.

- **البيان والتبيين**، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط ٤.

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضىٰ الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

- **تاريخ ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بيروت لبنان.

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

- **تاريخ الأمم والملوك**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

- **تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر**.

- **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل البخاري، توزيع دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٨٦م.

- **تاريخ الموصل**، أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي، تحقيق الدكتور علي حبيبة، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

- **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي، دار صادر، بيروت.

- **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسين ابن عساكر (تراجم النساء، والجزء التاسع والثلاثون)، تحقيق سكينة الشهابي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

- **تاريخ واسط**، أسلم بن سهل الرزاز الواسطي، تحقيق كوركيس عواد، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

- **التبيين في أنساب القرشيين**، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد نايف الدليمي، نشر المجمع العلمي العراقي، ط ١، ١٤٠٢هـ.

- **تحفة العروس ونزهة النفوس**، أبو عبد الله محمد بن أحمد التجاني، تحقيق أبي هاجر (!)، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

- **تحفة الوزراء**، أبو منصور الثعالبي، تحقيق حبيب علي الراوي والدكتورة ابتسام مرهون الصفار، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ.

- **التذكرة الحمدونية**، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، تحقيق الدكتور إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

- **تذكرة السامع والمتكلم**، ابن جماعة الكناني، حققه وعلق عليه السيد محمد هاشم الندوي، زمادي للنشر، الدمام، السعودية، ط ١، ١٤١٥هـ.

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، للقاضي عياض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٧هـ.

- **تسهيل النظر وتعجيل الظفر**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق ودراسة رضوان السيد، دار العلوم العربية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

- **كتاب التطفيل**، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي**، لأنيس المقدسي.

- **التعازي**، أبو الحسن المدائني، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٤هـ.

- **التعازي والمراثي**، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، حققه وقدم له محمد الديباجي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ.

- **تعليق من أمالي ابن دريد**، تحقيق: السيد مصطفىٰ السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، قسم التراث العربي، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ.

- **تقييد العلم**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، حققه يوسف العش، دار إحياء السنة المحمدية، ط ٢، ١٩٧٤م.

- **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**، الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني، حققه عبد العليم الطحاوي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

- **تمثال الأمثال**، أبو المحاسن محمد بن علي العبدري، حققه الدكتور أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ.

- **التمثيل والمحاضرة**، أبو منصور الثعالبي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ.

- **تنبيه المغترين**، عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، ضبطه وعلق عليه عبد الجليل العطا، دار البشائر، دمشق، ط ١.

- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، الهند، ط ١، ١٣٢٥هـ.

- **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة**، أبو عبد الله محمد بن علي القلعي، تحقيق إبراهيم يوسف مصطفىٰ عجو، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ١، ١٤٠٥هـ.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، جمال الدين المزي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.

- **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تقديم عبد السلام هارون، تحقيق مجموعة محققين، تقديم الدكتور محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

- **التواضع والخمول**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق لطفي محمد الصغير، دار الاعتصام، القاهرة.

- **التوبة**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

- **ثمار القلوب**، أبو منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

- **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط ٣، ١٤١٨هـ.

- **الجامع لشعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط ١، ١٤٠٨هـ.

- **الجرح والتعديل**، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٧١هـ.

- **جزء من أمالي ابن دريد**، تحقيق السيد مصطفىٰ السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

- **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، أبو الفرج المعافىٰ بن زكريا الجريري، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.

- **جمل من أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيىٰ بن جابر البلاذري، تحقيق: الأستاذ سهيل زكار، والدكتور رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ.

- **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، أبو زيد القرشي، تحقيق وتعليق الدكتور محمد علي الهاشمي، نشر لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ١٤٠١هـ.

- **جمهرة الأمثال**، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط ١، ١٣٨٤هـ.

- **جمهرة أنساب العرب**، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط ٥.

- **جمهرة خطب العرب** أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، ط ١.

- **جمهرة النسب**، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق الدكتور ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

- **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، الزبير بن بكار، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، ١٣٨١هـ.

- **الحكمة الخالدة**، أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨٣م.

- **الحلم**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي،

بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

- **كتاب الحماسة للبحتري**، تحقيق وشرح الدكتور محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.

- **الحماسة البصرية**، صدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ.

- **الحور العين**، أبو سعيد نشوان الحميري، تحقيق: كمال مصطفىٰ، ط ٢، ١٩٨٥ م، دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

- **حياة الحيوان الكبرىٰ**، كمال الدين محمد بن موسىٰ الدميري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي بمصر، ط ٥، ١٣٩٧هـ.

- **الحيوان**، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٣، ١٣٨٨هـ، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، لبنان.

- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٢.

- **الخطط المقريزية**، أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت.

- **الدر المنثور**، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

- **ديوان أبي الأسود الدؤلي**، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ.

- **ديوان الأعشىٰ**، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٣هـ.

- **ديوان الخريمي**، جمعه وحققه علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ١، ١٩٧١م.

- **ديوان الخنساء دراسة وتحقيق**، تحقيق د. إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **ديوان المعاني**، أبو هلال العسكري، تحقيق أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.

- **ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت**، تحقيق د. نعمان محمد طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ.

- **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي**، صنعة يحيىٰ بن مدرك الطائي، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة.

- **ذم البغي**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، حققه الدكتور نجم عبد الرحمن خلف، دار الراية، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٠٩هـ.

- **ذم الغيبة والنميمة**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق الدكتور نجم عبد الرحمن خلف، دار الاعتصام، القاهرة.

- **ذم الكذب وأهله**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، دار السنابل، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤٠٩هـ.

- **ذم الهوىٰ**، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق مصطفىٰ عبد الواحد، ط ١، ١٣٨١هـ.

- **ربيع الأبرار**، جارالله محمود الزمخشري، تحقيق سليم النعيمي، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٠هـ.

- **رسائل الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- **الرسالة المغنية في السكوت ولـزوم البيوت**، أبو علي الحسن بن أحمد البغدادي المعروف بابن البناء، تحقيق عبد الله بن يوسف الجديع، دار العاصمة، السعودية، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.

- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٧هـ.

- **كتاب الزهد الكبير**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

- **كتاب الزهد**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم بن محمد وهنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ.

- **كتاب الزهد**، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **الزهد والرقائق**، عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق وتعليق أحمد فريد، دار المعراج الدولية، السعودية، الرياض، ط ١، ١٣١٥هـ.

- **زهر الآداب وثمر اللباب**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، حققه وضبطه علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج م ع، ط ٢.

- **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، جمال الدين ابن نباتة المصري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.

- **سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي**، أبو عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الحديث، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

- **سنن الترمذي**، (الجامع الصحيح)، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص، سوريا، ط١، ١٣٨٨هـ.

- **سنن الدارمي**، (مسند الدارمي)، أبو محمد الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، لبنان ط١، ١٤٢١هـ.

- **السنن الكبرىٰ**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر، بيروت.

- **سوائر الأمثال علىٰ أفعل**، حمزة بن الحسن الأصفهاني، دراسة وتحقيق الدكتور فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.

- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي، مجموعة محققين، ط ٢، ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **السيرة النبوية**، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق مصطفىٰ السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

- **سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز**، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ.

- **شرح المفضليات**، أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ.

- **شرح ديوان زهير صنعة ثعلب طبع الهيئة المصرية للكتاب**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٨٤هـ.

- **شرح مقامات الحريري**، أبو العباس الشريشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة.

- **شرح نهج البلاغة**، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

- **شعر عبد اللّٰه بن معاوية**، جمعه عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٦هـ.

- **شعر عروة بن الورد صنعة ابن السكيت**، تحقيق الدكتور محمد فؤاد نعناع، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ.

- **شعر هدبة بن الخشرم العذري**، جمع الدكتور يحيىٰ الجبوري، دار القلم، الكويت، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

- **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.

- **صالح بن عبد القدوس البصري**، عصره، حياته، شعره، تأليف وجمع وتحقيق عبد الله الخطيب، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٧م.

- **صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء**، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة.

- **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، بقلم محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل للنشر والتوزيع، السعودية، الجبيل الصناعية، ط ٣، ١٤١٧هـ.

- **صحيح الجامع الصغير**، محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٨٨هـ.

- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية. ١٤٠٠هـ.

- **الصداقة والصديق**، أبو حيان التوحيدي، تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤١٦هـ.

- **صفة الصفوة**، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق وتعليق محمود فاخوري، خرج أحاديثه محمد رواس قلعجي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٩هـ.

- **الصمت لابن أبي الدنيا كتاب الصمت وآداب اللسان**، أبو بكر بن أبي الدنيا، دراسة وتحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **كتاب الصمت وآداب اللسان**، أبو بكر بن أبي الدنيا، حققه وخرج أحاديثه أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.

- **الصناعتين الكتابة والشعر**، أبو هلال العسكري، تحقيق علىٰ محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢.

- **طبقات الشافعية الكبرىٰ**، أبو بصر عبد الوهاب السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- **طبقات الصوفية**، أبو عبد الرحمن السلمي، نور الدين شريبة، دار الكتاب النفيس، حلب، سوريا، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

- **الطبقات الكبرىٰ**، محمد بن سعد، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **الطبقات الكبرىٰ**، المسمىٰ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن علي الشعراني، دار الفكر للطباعة والنشر.

- **طبقات فحول الشعراء**، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

- **كتاب الطبقات**، أبو عمر خليفة بن خياط العصفري، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دار طيبة، السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

- **الظرف والظرفاء**، أبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء، تحقيق ودراسة الدكتور فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥.

- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر = تاريخ ابن خلدون.**

- **العزلة**، أبو سليمان الخطابي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **العقد الفريد**، أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه ورتب فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.

- **كتاب العلم**، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ.

- **العمر والشيب**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق الدكتور نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.

- **العيال لابن أبي الدنيا**، أبو بكر بن أبي الدنيا، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ.

- **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة**، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

- **عيون الأخبار**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٣٨٣.

- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، أبو العباس القاسم بن أحمد الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

- **غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة**، أبو إسحاق الكتبي المعروف بالوطواط، دار صعب، بيروت.

- **غريب الحديث**، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشئؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٤هـ.

- **غريب الحديث**، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ.

- **غريب الحديث**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق د. عبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية، ط ١، ١٣٩٧هـ.

- **الغريبين في القرآن والحديث**، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٩هـ.

- **الفائق**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢.

- **الفاخر**، أبو طالب المفضل بن سلمة، تحقيق عبد العليم الطحاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

- **الفاضل في اللغة والأدب**، أبو العباس المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني.

- **كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل**، أبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء، تحقيق: الدكتور يحيىٰ وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١١هـ.

- **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

- **الفتوح**، أبو محمد بن أعثم الكوفي، طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط ١، ١٣٨٨هـ.

- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، دار صادر، بيروت.

- **الفردوس بمأثور الخطاب**، أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **فردوس الأخبار (ومعه تسديد القوس لابن حجر العسقلاني)**، أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق فواز أحمد الزمرلي، ومحمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، أبو عبيد البكري، حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.

- **فوات الوفيات والذيل عليها**، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- **قضاء الحوائج**، أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

- **قوت القلوب في معاملة المحبوب**، أبو طالب المكي، ضبطه وصححه باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.

- **الكامل في التاريخ**، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

- **الكامل في اللغة والأدب**، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق أحمد الدالي، دار الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، حققه وصححه الأستاذ عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، بمبئ، الهند، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

- **كشف الخفا ومزيل الإلباس**، إسماعيل بن محمد العجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٣٥١هـ.

- **الكشكول**، بهاء الدين العاملي، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- **كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب**، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق الدكتور نوري القيسي، والدكتور حاتم الضامن، وهلال ناجي، منشورات جامعة الموصل.

- **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، زين الدين محمد بن عبد الرؤف المناوي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

- **لباب الآداب**، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ.

- **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

- **لسان الميزان**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٣٧٠هـ.

- **لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار**، أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ١٤١٣هـ.

- **اللطائف والظرائف**، أبو نصر المقدسي، قدم له د. عبد الرحيم يوسف الجمل، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٤هـ.

- **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، تصحيح وتعليق الدكتور ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

- **مجالس ثعلب**، أبو العباس أحمد بن يحيىٰ ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ج م ع، ط ٥.

- **المجالسة وجواهر العلم**، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، خرج أحاديثه وآثاره ووثق نصوصه وعلق عليه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ.

- **المجتنىٰ**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، ط ١، ١٣٩٩هـ، دار الفكر، دمشق، سوريا.

- **مجمع الأمثال**، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ.

- **مجموعة المعاني لمجهول**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

- **المحاسن والأضداد**، المنسوب للجاحظ، دار صعب، بيروت، حققه وقدم له فوزي عطوي، ١٩٦٩م.

- **المحاسن والمساوئ**، إبراهيم بن محمد البيهقي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ.

- **محاضرات الأدباء**، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار**، محيي الدين بن عربي، دار صادر، بيروت.

- **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (المجلد الأول)**، محيي الدين ابن عربي، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ١٩٧٢م.

- **المحبر**، أبو جعفر محمد بن حبيب، تصحيح الدكتورة إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق مصطفىٰ السقا، والدكتور حسين نصار، ط ١، ١٣٧٧هـ.

- **مختار الحكم ومحاسن الكلم**، أبو الوفاء المبشر بن فاتك، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م.

- **مختصر تاريخ دمشق**.

- **المختصر في أخبار البشر**، عماد الدين إسماعيل أبي الفداء، دار المعرفة، بيروت.

- **المخلاة**، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، نسقه وفهرسه محمد خليل الباشا، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- **مراتب النحويين**، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٤هـ.

- **المراثي عن محمد بن العباس اليزيدي**، حققه محمد نبيل طريفي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩١م.

- **المراح في المزاح**، أبو البركات محمد الغزي، راجعه وعلق عليه السيد الجميلي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٦.

- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرىٰ، القاهرة، ط ٤، ١٣٨٤هـ.

- **المزهر**.

- **المستجاد من فعلات الأجواد**، أبو القاسم علي بن عبد المحسن التنوخي، حققه يوسف البستاني، دار العرب، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥م.

- **المستدرك علىٰ الصحيحين**، أبو عبد الله محمد الحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

- **المستطرف في كل فن مستظرف**، أبو الفتح محمد بن أحمد الأبشيهي، دار الجيل، بيروت، ط ١.

- **المستقصىٰ في أمثال العرب**، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.

- **مسند الإمام أحمد**، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ.

- **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

- **مصنف بن أبي شيبة = الكتاب المصنف**.

- **المصون في الأدب**، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

- **المعارف**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه وقدم له: الدكتور ثروت عكاشة، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، مصر.

- **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، ط ١، ١٩٩٣ م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق عوض الله محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، منشورات دار الحرمين بالقاهرة، ١٤١٥هـ.

- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.

- **معجم الشعراء**، أبو عبد الله المرزباني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، منشورات مكتبة النوري، دمشق.

- **المعجم الكبير**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢.

- **معجم قبائل العرب**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٣٠٢هـ.

- **المعرفة والتاريخ**، أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ.

- **المعمرون والوصايا**، أبو حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م.

- **المغني عن حمل الأسفار (حاشية علىٰ إحياء علوم الدين)**.

- **مقاتل الطالبيين**، أبو الفرج الأصفهاني، شرح وتحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.

- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة**، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، صححه وعلق عليه عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ.

- **مكارم الأخلاق ومعاليها**، أبو بكر محمد لخرائطي، راجعه وقدم له أبو محمد عبد الله بن حجاج، مكتبة السلام العالمية، القاهرة.

- **الممتع في صنعة الشعر**، عبد الكريم النهشلي القيرواني، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ.

- **مناقب الإمام الشافعي**، فخر الدين الرازي، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **مناقب عمر بن الخطاب**، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ.

- **المناقب والمثالب**، أبو الوفاء ريحان بن عبد الواحد الخوارزمي، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.

- **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، حققه الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

- **المنتقىٰ من مكارم الأخلاق**، انتقاء أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **مواسم الأدب وآثار العجم والعرب**، جعفر بن محمد البيتي العلوي، مكتبة المعارف، الطائف، السعودية.

- **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار = الخطط المقريزية**.

- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٨٢هـ.

- **نثر الدر**، أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي، تحقيق مجموعة محققين،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩هـ.

- **نسب قريش**، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، ط ٣، دار المعارف، مصر.

- **نسب معد واليمن الكبير**، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق الدكتور ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

- **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، أبو علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.

- **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصىٰ، عمان، الأردن.

- **نصيحة الملوك**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٤٠٣هـ.

- **نقائض جرير والفرزدق**، أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ، اعتناء المستشرق الإنجليزي بيفان، ١٩٠٥م، مطبعة بريل، ليدن.

- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة.

- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، أبو العباس أحمد القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

- **النهاية في غريب الحديث**، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

- **نهج البلاغة**، علي بن أبي طالب ﷺ، جمع الشريف المرتضىٰ، تحقيق د. صبحي الصالح، دار الكتاب الجديد، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٢م.

- **الوافي بالوفيات**، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.

- **الورع**، أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- **الوزراء والكتاب**، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، تحقيق مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي بمصر، ط ٢، ١٤٠١هـ.

- **سراج الملوك**، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ.

- **الوصايا** = **المعمرون والوصايا**.

- **وصايا العلماء عند حضور الموت**، أبو سليمان محمد بن عبد الله الربعي، حققه صلاح محمد الخيمي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

- **الوفا بأحوال المصطفىٰ**، لابن الجوزي.

- **وفيات الأعيان**، شمس الدين بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، تصحيح رفن كست، مؤسسة قرطبة القاهرة.

* **مجلات:**

- **مجلة التوباد** مج٢ ع٣، ٤ ذو الحجة ١٤٠٩هـ (أدب الوصايا في التراث العربي، الدكتور عيسىٰ علي العاكوب).

- **مجلة العربي الكويتية**، ديسمبر ١٩٧٥ م، العدد ٢٠٥ (نصائح مأثورة للآباء).

- **المجلة العربية**، عدد ١٠٦ في ذي القعدة ١٤٠٦هـ (الخنساء هل استشهد أبناؤها؟ طه عمرين).

* **مصادر مخطوطة:**

- **وصية الحارث بن كعب**، ضمن مخطوط مجموع في مكتبة الحرم النبوي الشريف مفهرسة في قسم المخطوطات تحت الرقم العام (٥٣٥)، وتحت الرقم ٦/ ٨٠ (٧) في قائمة: الوعظ وفضائل الأعمال.

- **وصية في الآداب الدينية والسياسة الشرعية**، لذي اليمينين طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما، مخطوط في مكتبة الحرم المدني، ورقمها في تصنيف المخطوطات العام في المكتبة ٣٧٠، ورقمها في قائمة الأذكار وفضائل الأعمال والوعظ ١/ ٨٠ (٢).

فهرس المحتويات

وصايا الآباء للأولاد في النثر العربي

حتى نهاية القرن الرابع

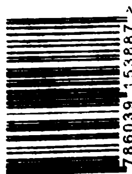
وصايا الآباء للأولاد كنزٌ تراثيٌ ضخمٌ؛ إنْ من حيث سموُ مضمونه أو جودةُ صياغتِه، وليس هو أسيرَ تاريخٍ أو أرضٍ أو ذاتٍ معينةٍ، بل هو ثمرةُ تجاربَ ذاتية، يتجاوز فيها الآباءُ الحديثَ الوجدانيَّ إلىٰ كونها دستورًا حياتيًا، ونهجًا قويمًا للأبناء. والموصي -في أحايين كثيرة- يتطلع أن تخلدَ وصيتُه، لتتجاوزَ أولادَه إلىٰ غيرهم، ويكون ذلك أدعىٰ إلىٰ إعطائها ما تحتاجه من اهتمام أسلوبيٍّ وعطاءٍ فكريٍّ لتنتقلَ من الخاصِّ إلىٰ العام، ومن الآني إلىٰ الآتي.

وإذا كان القالبُ الشعريُّ والنثريُّ قد حمل كلٌّ منهما ذلك النوعَ من الوصايا فإن ما أُثِرَ من الشعر في ذلك الغرض لا يكاد يقف بجوار النثرِ مساحةً، ولا يطاوله في قامته الفنية، ومن هنا تناول هذا الكتابُ الوصايا في حقل النثر. ولمّا كانت المصادر لا تكاد تحتفظ بمادةٍ تُذكر بعد القرن الرابع، فقد عُنِيَ هذا الكتاب بجمع وصايا الآباء للأولاد حتىٰ نهاية القرن الرابع.

مطابع الفسطاط الحديثة sales@al-fostat.com

آفاق المعرفة (٣٦)

AFAQ ALMAAREFA



المملكة العربية السعودية الرياض الرمز البريدي: ١٢٢٧٤
سجل تجاري ١٠١٠٢٥٨٨٣٨ هاتف ٩٦٦١١٢٢٥٥٤٧٣ + ماكس: ٩٦٦١١٢٢٥٠١٦٧ +
www.afaqpub.com sales@afaqpub

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٥٣٨-٨-٧